كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

الكتاب الثاني: الجزء السادس

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

أيمن فؤاد سيد

تونس 2010

9
814
35

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون

الكتاب الثاني: الجزء السادس

قرأه وعارضه بأصول المؤلف

أيمن فؤاد سيد

تونس 2010

IDEO - Bibliothèque
N° d'inventaire : 99986
Cote : 9-814/1-35/6

نشرة تكريمية، أعدت بمناسبة احتفالات تونس بالمئوية السادسة لنابغتها

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

درس أصوله الخطية، وأعدها، ويُشرف عليه

إبراهيم شبوح

نشر: القيروان للنشر

ص.ب 115 -المنار الثاني- تونس 2092 الجمهورية التونسية

الترقيم الدولي: 0-07-896-9973-978 ISBN

جميع الحقوق محفوظة لدار القيروان للنشر

الطبعة التكريمية الأولى

تونس 2010

بسم الله الرحمن الرحيم

أذن سيادة الرئيس

زين العابدين بن علي

رئيس الجمهورية التونسية

بإحياء التراث الفكري لنابغة تونس

عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون

وإصدار تاريخه الكبير: العبر وديوان المبتدإ والخبر

بمناسبة احتفالات تونس والعالم بالذكرى المئوية السادسة لوفاته

تقديرا لإسهامه المتميز في إرساء أسس علم العمران البشري

وإثراء الفكر المستنير

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

تقديـم

ذكَرَ ابنُ خَلْدون في هذا الجُزْء السَّادس الذي يُكمِلُ به ما بدأه في الجزء الخامس قَبْلَه، بلَمْحةٍ عن "قيام دَوْلة بني العبّاس وأوليّة أمرهم ومَنْشإِ دَولتهم" مُنْذُ المؤسّس أبي العبّاس عبد الله بن محمَّد السفَّاح الذي تحمَّل عبءَ تفكيك ما بقيَ مُلتحِماً من كيان الدَّولة الأمويّة الكُبْرى على أوسع رُقْعةٍ ملكَتْها الدَّولة الإسلاميّة في تاريخها، حيثُ استعاد السفّاح - بما حقّقه - ما رأى أنّه حَقُّ آل البيت القُرشيّين في إمامة المسلمين؛ ولأنَّ أحقَّ النّاس بالإمامة من آل البيت بعد النبيّ، عَمُّه العبّاس، وَارِثُه وعاصِبُه، ﴿وأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ [سورة الأنفال، من الآية 75].

وكانت العَصَبيّة الدِّينيّة المُجمِّعةِ حول مَبْدإِ أحقيَّة آل البَيْت ودَعْوتهم الواسعة الانْتِشار، وقُوَّةُ اندفاع المَوالي، وعصبيَّات بني العبّاس، وصَرامَةُ وثَباتُ خُلَفاء التّأسيس الأوائل، من أهمّ العوامل في تثبيت أركان الخلافة الثّانية، وامتدادِ نفوذها على جميع ممالك الإسلام كما كان بنو أميّة من قبْلهم.

وفي هِذا الجزء السَّادس يُبْرز بدايَة وأسباب ضعف الدَّولة العبّاسيَّة، بتوالي الفتن والمَقاتِل، واستبداد الوُلاة، وتضايق نطاق سُلْطان الخلافة، وقد

أَجْمل في فاتحة عمله هذا الصورة، بأنَّ "الدَّولة العبّاسيَّة قد ضعفت بعد الاستفحال، وتَغلَّب على الخليفة فيها الأولياء والقرابةُ والمُصْطَنَعُون[1] وصار تحت حَجْرِهِمْ من حين قُتِلَ المتوكّل".

وبرزت قُوَّةُ الأتْراك وطموح قوّادهم واستبدادهم على سُلْطان الدَّولة، وجَرْأتهم على خلع الخلفاء وقَتْلهم، كما حدث مع المُسْتعين والمعتزّ والمهتدي والمقتدر والقاهر. وأصبح الخلفاء من المستكفي إلى المُقْتَفِيّ مُغَلَّبِينَ لقوَّتَيْن جَديدتين أخذتا مكانَهما على التتالي في المنطقة، وسيكون لهما شَأْنٌ في مسارِ التَّاريخ الإسلاميّ، هما: قوّة بني بُوَيه، والسّلاجقة من بعدهم، وكانا على تقاليد التُّرك في خَلْع الخُلفاء وقَتْلهم أيضاً، وقد حدَث ذلك للمُطيع والمُسْتَرشد.

وظلَّ الخُلفاء العبّاسيّون مَحْجُورين لأمراء من الدَّيْلم مُباشرين تصريف شؤون الدَّولة وإدارة مواردها وجيوشها، حتَّى جاء المُقْتَفِيّ محمد بن المُستظهر الذي استعاد النُّفوذَ على عسكره وأصحابه وما بقي لهم من البلاد بعد استبداد الأُمراء في الأعْمال والنَّواحي. ولكن الأمر سرعانَ ما عادَ إلى ما أَلِفَ الموالي

(1) انفرد ابن خَلْدون بذكر هذا الصّنف الذي سمّاه الموالي المُصْطَنعين. والاصطناع افتعالٌ من الصّنيعة وهي العطيّة والكرامة والإحسان؛ وتعني أن يختار السيّد جماعةً من الموالي يُقرِّبهم بإحسانه ويُلحقهم به كما صنع الرَّشيد باصطناع البرامكة وكما صنع المُعتصم مع الأتراك وبني نوبخت الّذين أحسّوا بشرف الانتماء وملكهم الإحسان. وفيه شيء من معنى مؤالفة القلوب.

المُصطَنعُون فعلَه من إثبات نفوذهم تحتَ مظلّة شرعيّة الخلافة، فقد أعادوا الوضع إلى ما كان عليه وأسوأ، بعد مَوْت المُقْتَفِيّ وولاية ابنه المستنجد، الذي غلب على دَوْلته أستاداره ومُرادفه سَنْجَر المُقْتفويّ، ومات في ظروف مريبةٍ، فتولّى بعده ابنُه المستضيءُ الذي أتى به الوزير المتآمرُ أبو جعفر بن البلديّ على شروطٍ انقلبت عليه فيما بعد. وهكذا كانت ظروف الدّولة مشحونة بالتّوتّر والانتقاض والتّآمر والفتك إلى آخر أيّامها.

وأسْهم في وَهن الدَّولة وتضَخُّمِ مشاكلِها ما طَرأَ على رقعة أرض الخلافة التي كانت موحّدة على انفِساحها من تغيير وتقلّص؛ فقد أدّى انتشار الدَّعوة العلويّة في النّواحي إلى اقتطاع أجزاء مهمّة من الأطراف لإقامة دَولة الخلافة الشّيعيّة الفاطميَّة المزاحمة، التي تولّاها بعد أنْ خرج من مَرْحلة السّتْر عبد الله المهدي[1] بن محمّد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصّادق، ولم يكن

(1) يؤكّد ابن خَلدون دائماً بحُجج مختلفة أن العُبيديّين أو الفاطميّين صحيحو النَّسب، ولا يقول بما أثير حولهم من تشكيك اتّخذه العبّاسيّون سلاحاً للمقاومة، يقول: "ولا عبْرةَ بمَن أنكر هذا النَّسب من أهْل القَيْروان وغيْرهم، ولا بالمَحضر الّذي ثبَتَ ببَغدادَ أيّام القادِر بالقَدْح في نَسبهم وشهِدَ فيه أعلام الأيمّة، فإنّ كتابَ المُعتضد إلى ابن الأغلب بالقَيْروان، وابن مِدْرار بسجِلْماسَة يُغْريهم بالقَبْض عليه لمّا سار إلى المَغرب، شاهدٌ بصِحّة نَسَبهم. وشِعْرُ الشّريف الرَّضِيّ مُسجِّل بذلك، والّذين شهِدوا في المَحْضر فشهادَتهم على السّماع، وهي ما علِمتَ. وقد كان نَسَبُهم ببغداد منكراً عند أعْدائهم شيعةِ بني العبّاس منذ مائة سنَة، فتلَوّنَ النّاس بمذهب أهْل الدَّوْلَة، وجاءَت شهادةُ السّماع عليه مع أنّها شهادَةٌ على النّفْي". (العبر 7: 99).

أمام بني العبّاس غير ملاحقتِهم وتعقّبهم عند بَدْءِ تسَرّب دُعاتهم وتسائلهم إلى بلاد الشّام ومصر واليمن والمغرب، إلى أنْ قاموا بتحقيق الدّولة والخلافة الفاطميّة على المجالات التي كان يحكمها الرّستميّون الإباضيّون في المغرب الأوسط (الجزائر) والأمراء الأغالبة في إفريقية (تُونس) وصقلّيّة.

وفي أيّام المُستعين ظهر بطَبرستان الحسن بن زيد من العلويّة، ولحق بالدّيلَم الذين أسلموا على يدَيْه وأقام دَوْلةً آلت بعد نصف قرنٍ إلى الحسن بن عليّ بن الحسين الأُطْروش، من بني عليّ بن عمر داعي الطّالَقان أيّام المعتصم.

وأسّس بنو بُوَيْه، من الدّيْلَم الذين أسلموا على يَد الأُطْروش ومَلَكَ بهم طبرستان وجُرْجان، دَولةً كانت من أعظم الدّول، واستغلّوا ضعف دَولة الخلافة فقصدوا الاستيلاء على الأعمال والأطراف، وملكوا بغدادَ وصيّروا الخليفةَ في ملكتهم من لدُنْ المستكفي.

ثمّ انتزع مُلكَهم السّلاجقةُ وهم من الغُزّ، أحد شعوب التُّرك. ولم تزَلْ دَوْلتُهم منذ القائم من القرن الرّابع الهجريّ إلى أواخر المائة السّادسة، وكانت دَوْلتهم قويّة مُتماسكة.

وفي الغرب قامت في مصر دولة بني طولون وأعقبتها دولة بني طُغْج مَواليهم إلى سنوات الستّين من المائة الرابعة، ثمّ تحوّلت إلى سُلْطان الفاطميّين.

وفي إفريقية (تُونس) قامت دَولة للأغالبة في القيروان؛ استبدّوا فيها على الخُلفاء من أيّام الرَّشيد إلى انقضائهم على يد الفاطميّين أواخر المائة الثّالثة.

وكان بنو أسد بن سامان الخُراسانيّون تقدَّموا عند المأمون أثناء ولايته على خُراسان، فاستعملهم على ولاية المدن الكبرى: سَمَرْقَنْد وفَرْغانة والشّاش وأشروسنة وهرات، وأقرَّهم طاهر بن الحسين على أعمالهم، فاستبدّوا على ما وراء النّهر وعطَّلوا نفاذ أوامر الخُلفاء، وأقاموا دَولةً استمرَّت إلى أواخر القرن الرّابع الهجريّ، وصارت بُخارى وسَمَرْقَنْد في عهدهم من أهمّ مراكز الحضارة الإسلاميّة.

واتَّصلت بهم دولة في مواليهم بغَزنَة هي الدَّولة الغَزْنَويَّة؛ امتدَّ سُلْطانُها من لاهور إلى سَمَرْقَنْد وأصْفَهان، ثمَّ انقضت منتصف المائة الهجريّة السَّادِسَة.

وفي اليمن ظهر القاسم بن ابراهيم طَباطَبَا الرَّسِّيّ بالدَّعوة الزَّيديّة، ومَلَك صَعْدة وصَنْعاء وأصبحت له دَولة.

وظهرت فتنة صاحب الزّنْج الذي ادَّعى أنّه أحمد بن عيسى بن زيد الشّهيد، وذهب إلى أنّه من ولد يحيى بن زَيْد قتيلِ الجوْزجان، ثمَّ انْتَسَب عند الطّعن في نَسَبه إلى طاهر بن الحسين بن عليّ، وأكّد المحقّقون أنّه عليّ بن عبد الرّحيم بن عبد القَيْس، وقد أقام دَولتَه بنواحي البَصْرة، وقام بها الزّنْج إلى أنْ انقرضت أيّام المُسْتعين.

وظهر القَرْمَطيّ بنواحي البَحْرين وعُمان واتّجه إلى الكوفة، وانتسب إلى بني إسماعيل الإمام ابن جعفر الصَّادق، وكان من أصحابه الحسن الجنّابيّ، وانتشرت دَعْوتُه، ودعوا إلى عبد الله المهدي الفاطميّ بتُونس، وتغلَّبوا على الكوفة والبَصْرة ثمّ انقطعوا إلى البحرين وعُمان. والتَفَّ حولهم العربُ من بني سُلَيْم وبني عُقيل، وهم الّذين انتزعوا الحجرَ الأسود من ركن الكعبة، وأُعيد بتدخّل المعزّ لدين الله الفاطميّ وهو إذّاك في صَبْرة المنصوريّة.

ويعقدُ المؤلِّف آخر هذا الجزء فصْلاً عن "الخُلفاء العبّاسيّين بمصر بعد انْقراض الخلافة في بغداد"، يذكر فيه افتراق شَمْل الجماعة من القصور، وكيف ذهبوا في الأرض طولاً وعرضاً، ولحق بمصر كبيرُهم أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظّاهر وهو عمّ المُستعصم وأخو المُستنصر، فتلقّاه الظّاهر بَيْبَرس بالتَّعظيم، وكان وصوله مصر سنة 659 هـ، وشَهد الذين حضروا معه بالاستفاضة في صِحَّة نَسبه، فبايَعَهُ بَيْبَرس ونَصَّبَهُ، ولَقَّبَه المستنصرَ، وقام له برسوم الخلافة من وظائف ومناصب، وأجْرى لهم الأرزاق. ثمّ تجهَّزَ وعاد لاستعادة بغداد رفقة إسماعيل الصَّالح بن لؤلؤ صاحب الموصل، فحاصرهما الطّطر واسْتُشْهِدَا.

وتطلّع بَيْبَرس إلى آخرَ من البيت العبّاسيّ لكرسيّ الخلافة، فوَصَلَ أحدُ قرابة الخليفة عائداً من وَقْعة الطَّطر مع المستنصر، واسمه أحمد بن حسن، فأكرم السُّلْطان بَيْبَرس نُزُلَه وأثبت نَسبه على العادة، وجمع النّاس على مراتبهم، وبايع له، ونصّبهُ للخلافة ولَقّبه الحاكمَ، وفَوّضَ إليه الأمور العامَّة والخاصّةَ. ثمّ تتالى

أولئك الخلفاء، وتعَرَّض بعضُهم للوَحْشة مع السُّلْطان، وتعَرَّض بعضهم للحَبْس والخَلْع على أيدي المماليك المُستبِدّين.

وكان من مَهامّ هذا المنصب الخلافيّ إقامة رَسْم الخلافة ورعاية المناصب الدِّينيّة على مُقتضَى الشَّريعة، والتَّبرُّك بذكره على المنابر تعظيماً لنَسَبِهم وجَرْياً على سَنَن التَّبرُّك بسَلَفهم، وتَوْفِيَةً لشُروط الإمامَة ببَيْعَتِهم، كما يقول ابن خَلْدون.

لقد استمَرَّت الخلافة العبّاسيّة منذ بُويع أبو العبّاس السَّفّاح سنة 132 هـ إلى مقتل المُسْتَعْصِم سنة 656 هـ خمسَ مائةٍ وأربعاً وعشرين سنة، تعاقبَ فيها ببغداد سبعةٌ وثلاثون خليفة.

وتخلَّلت هذه المسيرة الطّويلة أمجادٌ ومفاخر، وأحداثٌ وفتنٌ وتَدافُع، ومَقاتل وانتقاضٌ واستيلاء. وقامت فيها - على رقعة أرض الخلافة - دولٌ وانفَصلت وانقرضتْ أخرى. وهذه السِّمَةُ من الارتباك المتجدّد مَكَّنتْ للمُتغلّبين المُسْتَبدّين على الخُلفاء من تُرْكٍ ودَيْلَم وخُراسانيّين وغُزّ أنْ يكونَ لهم شأنٌ مُبرَّر لحماية معنى الخلافة والاستبداد تحت مظلّتها، بفضل الوَجْه العسكريّ الفاعل لحضورهم.

لقد تواترتْ أعمال الانتقاض والاستيلاء على الأطراف من المُنازعين والمُزاحمين والمُسْتبدِّين، ولم يبق للخُلفاء العبّاسيّين غير ذلك النّطاق الضَّيّق ما بين دجلة والفُرات وأعمال السَّوَاد وبعض أعمال فارس، إلى أنْ أتى عليهم الطّطر وقهروا السّلاجقة، واكتسحوا البلاد، وقَتلوا الخليفة المُسْتَعْصِم، وانقرضت

الخلافة العبّاسيّة من العراق، ثمّ انبعثت مُتجدّدةً بعد ثلاث سنَوات في مصر؛ رَسْماً رمزيّاً مَحْجوراً عليه، حتّى آلت فيما بعد إلى بني عثمان، وامتزج معناها مع معنى السُّلْطان في كيانٍ واحد.

۞ ۞ ۞

إنَّ محقّق هذا القسم السّادس من كتاب العبر هو الباحث المعروف الدكتور أيمن فؤاد سيِّد، المتحصِّل على درجة دكتوراه الدَّولة من جامعة باريس (الصربون)، وهو أُستاذ التّاريخ والحضارة الإسلاميّة ومدير مركز المخطوطات بجامعة الأزهر، ومدير الهيئة العامّة لدار الكتب والوثائق القوميّة المصريّة سابقاً، والأُستاذ الزّائر بجامعة الصربون ومعهد الأبحاث وتاريخ النُّصوص IRHT بباريس، وجامعة أوساكا وفوكوكا وطوكيو باليابان، وأُستاذ علم المخطوطات ونشر النُّصوص في الجامعة الأمريكيَّة بالقاهرة.

والدكتور أيمن محرز على جائزة الدَّولة التّقديريّة في العلوم الاجتماعيّة لعام 2006، وجائزة مؤسّسة الكويت للتّقدم العلميّ 2009، ووسام العلوم والفنون من الطّبقة الأولى 1985.

تجمّع إنتاجه العلميّ بحثاً وتأليفاً وتحقيقاً وترجمةً حول مصر وتاريخها الفاطميّ خاصّة، وعلم المخطوطات وفهارسها، فنشرَ بحوثه في أهم المجلّات العلميّة

الأجنبيّة والعربيّة وضمن منشورات المؤتمرات الدَّوليَّة: مجلّة المعهد الفرنسيّ للآثار الشَّرقيّة IFAO، وحوليّات إسلاميَّة (المعهد الفرنسيّ بالقاهرة)، ومجلّة المورد البغداديَّة، ومجلَّة فصول، ومجلّة معهد المخطوطات، والمجلَّة التَّاريخيّة المصريَّة، ومؤتمرات مؤسّسة الفرقان للتُّراث الإسلاميّ، ودائرة المعارف التُّركيّة بإستانبول، ومعهد العالم العربيّ بباريس، ومنشورات اليونسكو ومكتبة الإسكندريَّة وغيرها، وقائمة أبحاثه تجاوزت الخمسين.

فمن مؤلَّفاته:

- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلاميّ، المعهد العلميّ الفرنسيّ للآثار الشَّرقيّة بالقاهرة، 1974.
- الدَّولَة الفاطميّة في مصر "تفسير جديد"، القاهرة - الدَّار المصريَّة اللبنانيّة 2000، والهيئة العامّة للكتاب 2007.
- الكتاب العربيّ المخطوط وعلم المخطوطات 1، 2. القاهرة - الدّار المصريَّة اللبنانيّة 1997.
- *La capitale de l'Egypte ā l'époque fatimide - Essai de reconstitution topographique* (BTS, 48) – Beyrouth 1998.

نصوص مترجَمة

- وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، لجومار - جزء من كتاب وصف مصر للحملة الفرنسيّة. القاهرة - مكتبة الخانجيّ 1988.
- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربيّ، لفرنسوا دي روش، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي 2005.

نصوص مُحقّقة

- أخبار مصر للمسبِّحيّ - الجزء الأربعون. المعهد الفرنسيّ للآثار الشرقيّة بالقاهرة 1978.
- أخبار مصر للمسبِّحيّ - نصوص ضائعة. مجلّة حوليّات إسلاميّة 17 (1981).
- المُنتقَى من أخبار مصر لابن ميسّر - المعهد الفرنسيّ للآثار الشَّرقيّة بالقاهرة 1981.
- نصوص من أخبار مصر لابن المأمون - المعهد الفرنسيّ للآثار الشرقيّة بالقاهرة 1983.
- الوافي بالوفيّات للصفديّ، ج 18 - المعهد الألمانيّ للأبحاث الشّرقيّة، بيروت 1988.

- القانون من ديوان الرّسائل، والإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصَّيْرفيّ، القاهرة - الدّار المصريّة اللبنانيّة 1990.
- نزهة المقلتين في أخبار الدّولتين لابن الطّوير القيسرانيّ - المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة، بيروت 1992.
- مُسودّة كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزيّ، لندن - مؤسسة الفرقان للتُّراث الإسلاميّ 1995م.
- الرّوضة البهيّة الزّاهرة في خطط المعزّيّة القاهرة لابن عبد الظّاهر، بيروت - أوراق شرقيّة 1996.
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزيّ 1 - 4 + كشّافات تحليليّة، لندن - مؤسّسة الفرقان للتُّراث الإسلاميّ 2002.
- كتاب الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق النّديم 1 - 2، لندن - مؤسّسة الفرقان للتُّراث الإسلاميّ 2009.
- اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الخلفا للمقريزيّ 1 - 4، معهد الدّراسات الإسماعيليّة - لندن، والمعهد الفرنسيّ للشرق الأدنى - بيروت 2009.

۞ ۞ ۞

وقد أفرغ الدكتور أيمن فؤاد سيّد جهده في إعداد هذا الجزء على الصُّورة التي خرج بها، مُستنداً إلى أربع نُسخ خطيّة لها علاقة مباشرة بالمؤلِّف، تؤكِّدها الحواشي والإلحاقات والمشجَّرات التي خطَّها بخطّه المعروف لدينا، وهي على التَّوالي:

1. نسخة الظَّاهريّ، ورمزها حرف "ظ"، وهي النُّسخة المستمِرَّة مع جميع أجزاء الكتاب الأربعة عشر، المحفوظة مقسّمة بين مكتبة السُّلطان أحمد الثّالث ومكتبة الدَّاماد إبراهيم باشا بالسُّليمانيَّة.
2. النُّسخة الصّاحبيَّة، ورمْزُها الحرف "ص"، وكانت وقفاً على مكتبة المقرّ العالي الصَّاحبيّ بمصر، وهي الآن في مجموعة الدّاماد إبراهيم باشا بالمكتبة السُّليمانيَّة بإستانبول.
3. قطعة غير مُترابطة من بقايا نسخة مكتبة القرويّين بفاس، ورمْزُها "ق".
4. مجلّد يشمل الجزئين 5، 6 من مكتبة السُّلطان أحمد الثّالث، ورَمزه "ح"، وهي نسخة مُصحَّحة كثيرة الحواشي والإضافات بخطّه.

ويحتوي هذا الجزء على ثلاثة مشجّرات لأنساب العبَّاسيّين بالعراق ومصر ونَسب بني طاهر بن الحسين، وقد جاء مُشجَّران منها في نسخة "ظ"، وانفردت "ح" بالمشجَّر الثّالث الخاصّ ببني طاهر.

وأغْفلَ مُنَضّدُ الكتاب في هيئته النهائيّة تخصيص فراغٍ مناسب لموقع مشجَّر بني العبَّاس الذي يجيء مكانُه تالياً للصفحة 602، فأدرَجْناهُ تلو هذه المقدِّمة.

ومن مصادر ابن خَلْدون في هذا الجزء السَّادس، كما لاحقها المحقِّق:

الكامل لابن الأثير، والمُختصر في أخبار البشر، ويقوم عمله في الغالب الأعمّ على الانتقاء والتَّجميع والصِّياغة التي يمتاز بها، وعدم التَّصريح بالمصدر، الذي ربَّما يكون تركيزاً لأكثر من مصدر واحدٍ، وهو يؤرِّخ لحقبةٍ لم يُعايشها، ومن البديهيّ أنْ يكون عمله استمداداً من جهودٍ تقدَّمته.

هذا ونرجو أنْ نوفَّق في إصدار بقيَّة أجزاء الكتاب بإسهام المتميّزين من علمائنا في بلادنا العربيّة خاصَّة؛ ومن الله نستمد العون والسَّداد.

إبراهيم شبُّوح

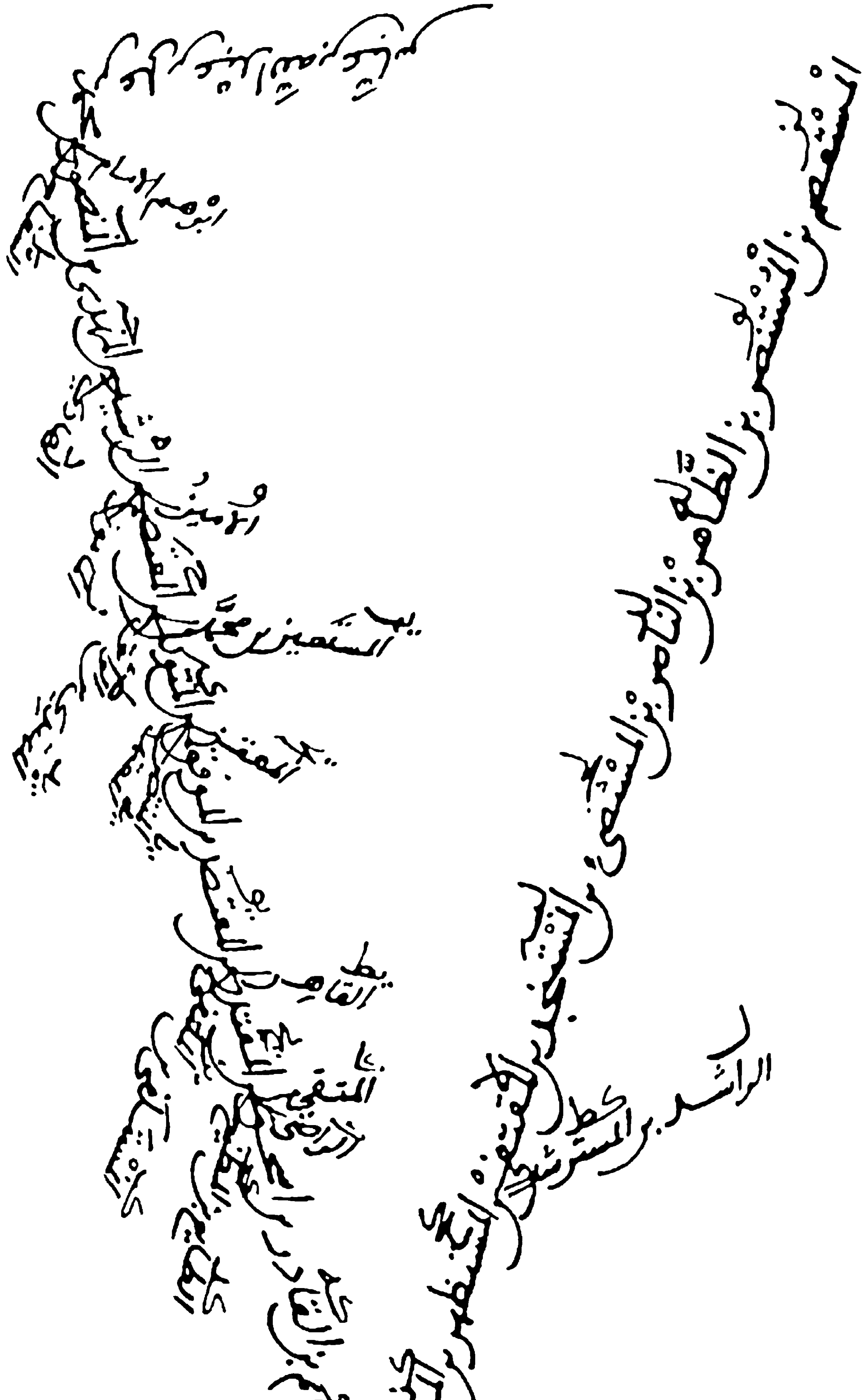

[خلفاء بني العبّاس] تلي الصفحة 602

كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر

الكتاب الثاني : الجزء السادس

[235 ب] /بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وصَلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآله وسَلَّم

الخَبَرُ عن الخُلَفاءِ من بني العَبَّاسِ أيَّامَ الفِتْنة، وتَغَلُّب الأوْلِيَاء وتَضَايُقِ نِطَاقِ الدَّوْلَة باسْتبْدادِ الوُلاة في النَّواحي من لَدُن المُنْتَصِرِ إلى أيَّامِ المُسْتَكْفي

كان بَنُو العَبَّاس حين وَلُوا الخِلافَة قد امْتَدَّت إيَالَتُهم على جَميعِ مَمَالِكِ الإسْلامِ، كما كان بَنُو أُمَيَّةَ من قَبْلِهم، ثم لَحِقَ بالأنْدَلُس، مِنْ فَلِّ بني أُمَيَّة ثم[أ] مِنْ وَلَدِ هِشَام بن عبد المَلِك، حَافِدُه عبدُ الرَّحْمَن بنُ مُعَاوِيَة بن هِشَام، ونَجا من تلك الهَلَكَة فأجَازَ البَحْرَ ودَخَلَ الأنْدَلُس، فمَلَكها من يَدِ عَبْد الرَّحْمَن بن يُوسُفَ الفِهْرِيِّ وخَطَبَ للسَّفَّاحِ فيها حَوْلًا، ثم لَحِقَ به أهْلُ بَيْتِه من المَشْـرِق فعَذَلُوه في ذلك فقَطَعَ الدَّعْوَةَ عنهم، وبَقِيَت بِلادُ الأنْدَلُس مُقْتَطَعَةً من الدَّوْلَةِ الإسْلامية عن بني العَبَّاس.

ثم لَمَّا كانت وَقْعَةُ فَخٍّ أيَّامَ الهَادِي سَنَةَ تِسْعٍ وستِّين ومائة، على بني الحَسَن ابن عليٍّ[ب]، وقُتِلَ دَاعِيَتُهم يومئذٍ حُسَيْنُ بنُ عليِّ بن حَسَن المُثَنَّى وجَمَاعَةٌ من أهْلِ

(أ) ساقطة من ص .   (ب) ص : الهادي على بني الحسن بن عليّ سنة تسع وستين ومائة .

بَيْتِه ونَجَا آخَرون، وخَلَصَ منهم إدْرِيسُ بن عبد الله بن حَسَن المُثَنَّى إلى المَغْرِب الأقْصَى، وقَامَ بدَعْوَتِه البَرَابِرَةُ هُنالِك، فاقْتَطَعَ المَغْرِبَ عن بني العَبَّاس واسْتَحْدَثُوا هُنالِكَ دَوْلَةً لأنْفُسِهم.

ثم ضَعُفَت الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ بعد الاسْتِفْحَال، وتغَلَّبَ على الخَلِيفَةِ فيها الأوْلِيَاءُ والقَرَابَةُ والمُصْطَنَعُون، وصَارَ تحتَ حَجْرِهم من حِينَ قُتِلَ المُتَوَكِّلُ وحَدَثَت الفِتَنُ ببَغْدَاد، وصَارَ العَلَوِيَّةُ إلى النَّوَاحِي مُظْهِرِينَ لدَعْوَتِهم، فدَعَا أبو عبد الله الشِّيعِيُّ سَنَةَ سِتٍّ وثمانين ومائتينِ بإفْرِيقِيَّة في كُتَامَةَ لعُبَيْد الله المَهْدِيّ بن محمَّد بن جَعْفَرِ بن محمَّدِ بن إسْمَاعِيل بن جَعْفَرٍ الصَّادِق وبَايَعَ له، وانْتَزَعَ إفْرِيقِيَّةَ من يَدِ بني الأغْلَبِ واسْتَوْلَى عليها وعلى المَغْرِب الأقْصَى ومِصْرَ والشَّام، واقْتَطَعُوا سَائِرَ هذه الأعْمَال عن بني العَبَّاس فاسْتَحْدَثُوا لهم دَوْلَةً أقَامَت مِائَتَيْنِ وسَبْعِينَ سَنَةً كما يُذْكَر في أخْبَارِهم[1].

ثم ظَهَرَ بطَبَرِسْتَانَ من العَلَوِيَّة الحَسَنُ بنُ زَيْد بن محمَّدِ بن إسْمَاعِيلَ بن الحَسَن بن زَيْد بن الحَسَن السِّبْطِ، ويُعْرَفُ/ بالدَّاعِي، خَرَجَ سَنَة خَمْسين ومائتينِ [236أ] أيَّامَ المُسْتَعِين ولَحِقَ بالدَّيْلَم فأسْلَمُوا على يَدَيْه، ومَلَكَ طَبَرِسْتَان ونَوَاحِيَها وأصَارَ هناك دَوْلَةً أخَذَها من يَدِ أخِيه سَنَةَ إحْدَى وثَلاثِ مائة الأطْرُوشُ من بني الحُسَيْن، ثم من بني عليّ بن عُمَر دَاعِي الطَّالَقَان أيَّام المُعْتَصِم، وقد مَرَّ خَبَرُه. واسْمُ هذا الأُطْرُوش الحَسَنُ بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن عُمَر، وكانت لهم دَوْلَةٌ

(1) انظر كذلك : افتتاح الدعوة، للقاضي النعمان بن محمد، واتعاظ الحنفا، للمقريزي، وعيون الأخبار، لعماد الدين إدريس، الجزء الخامس.

وانقَرَضَت أيَّام الخمسينَ والثلاث مائة، واستَوْلى عليها الدَّيلَمُ، وصَارت لهم دَوْلَةٌ أخرَى [1].

وظَهَرَ باليَمَن القَاسِمُ الرَّسِّي، وهُو ابنُ إبراهيم طَبَاطَبا بن إسْمَاعِيلَ بن إبراهِيم ابن حَسَن المُثَنَّى، وأظْهَرَ [أ] هُنَالِك دَعْوَةَ الزَّيْدِيَّة، ومَلَكَ صَعْدَةَ وصَنْعَاءَ وبِلَادَ اليَمَن، وكانت لهم هُنَالِك دَوْلَةٌ لم تَزَل حتى الآن، وأوَّلُ مَن ظَهَرَ منهم يحيى بنُ الحُسَيْن بن القَاسِم سَنَةَ تِسْعِينَ ومائتين [2].

ثم ظَهَرَ أيَّامَ الفِتْنَة من دُعَاةِ العَلَوِيَّة صَاحِبُ الزَّنْجِ، ادَّعَى أنَّه أحمدُ بن عِيسى ابن زَيْدٍ الشَّهيدُ، وذلك سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسينَ ومائتين أيَّامَ المُهْتَدِي، وطَعَنَ النَّاسُ في نَسَبِه فادَّعَى أنَّه من وَلَدِ يحيى بنِ زَيْد قَتِيل الجُوزجَان، وقيل: إنَّه انْتَسَبَ إلى طَاهِرِ ابن الحُسَيْن بن عليٍّ. والذي ثَبَتَ عند المُحَقِّقين فيه أنَّه عليُّ بنُ عبد الرَّحِيم من عبدِ القَيْس، فكانت له ولبَنِيه دَوْلَةٌ بنَوَاحِي البَصْرَة أيَّام الفِتْنَة قامَ بها الزَّنْجُ إلى أنِ انقَرَضَت على يَدِ المُعْتَضِد أيَّامَ السَّبْعِينَ ومائتين [3].

ثم ظَهَرَ القَرْمَطِيُّ بنَوَاحِي البَحْرَيْنِ وعُمَان، سَارَ إليها من الكُوفَة سَنَةَ سَبْعٍ [ب] وسَبْعين أيَّامَ المُعْتَضِد، وانتَسَبَ إلى بني إسْمَاعِيل الإمَام بن جَعْفَرٍ الصَّادِق دَعْوَى

(أ) ص: فأظهر. (ب) ص: تسع.

---

(1) يراجع عنها المصادر المذكورة فيما يلي ص 13 الحاشية 2.

(2) يراجع عنها: يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني.

(3) ينظر فيما يلي.

كاذِبَة، وكان من أصْحابِه الحَسَنُ الجَنَّابيّ وزكْرَوَيْه القَاشَانيّ، فقَامُوا من بعدِه بالدَّعْوَة، ودَعَوا لعُبَيْدِ الله المَهْدي وغَلَبُوا على البَصْرَة والكُوفَة، ثم انْقَطَعُوا عنها إلى البَحْرَيْن وعُمان، وكانت لهم هُنَالك دَوْلَةٌ انْقَرَضَت آخِرَ المائة الرَّابِعَة، وتغَلَّبَ عليهم العَرَبُ من بَني سُلَيْم وبني عُقَيْل (1).

وفي خِلالِ ذلك اسْتَبَدَّ بَنُو سَامَان بما وَرَاءَ النَّهْر أعْوَامَ السِّتِّين ومائتَيْنِ [236 ب] وأقَامُوا على الدَّعْوَة، إلَّا أنَّهم لا يُنْفِذُون أوَامِرَ الخُلَفَاء، وأقَامَت دَوْلَتُهم كذلك إلى آخِرِ المائة الرَّابِعَة. ثم اتَّصَلَت دَوْلَةٌ أُخْرَى في مَوَاليهم بغَزْنَة إلى مُنْتَصَفِ المائة السَّادِسَة.

وكانت للأغَالِبَة بالقَيْرَوانِ وإفْرِيقِيَّةَ دَوْلَةٌ أُخْرَى اسْتَبَدُّوا فيها على الخُلَفَاء/ من لَدُنْ أيَّام الرَّشِيد والمأمُونِ إلى أوَّلِ المائة الرَّابعة.

ولبني طُولُونَ دولةٌ أخرى بمصرَ والشَّام بالاسْتِبْدَاد من لَدُنِ الخَمْسِينَ والمائتين أيَّامَ الفِتْنَة إلى آخِرِ المائة الثَّالِثَة، ثم أعْقَبَتْها دَوْلَةٌ أُخْرى لمواليهم بني طُغْج إلى السِّتِّينَ والثَّلاث مائة.

وفي خِلالِ هذا كلِّه تَضَايَقَ نِطاقُ الدَّوْلَة العَبَّاسيَّة إلى نَوَاحِي السَّوَاد والجَزِيرَة فقط، إلَّا أنَّهم قائمُونَ ببَغْدَاد على أمْرِهِم.

ثم كانت للدَّيْلَم دَوْلَةٌ أُخْرى اسْتَوْلَوا فيها على النَّواحِي ومَلَكُوا الأعْمالَ، ثم سَارُوا إلى بَغْدَاد ومَلَكُوها وصَيَّرُوا الخَلِيفَةَ في مَلَكَتِهم من لَدُنِ المُسْتَكْفي أعْوَامَ الثَّلاثينَ والثَّلاث مائة، وكانت من أعْظَم الدُّوَل، ثم أخَذَها من أيْديهم السَّلْجُوقِيَّةُ

(1) ينظر فيما يلي.

من الغُزِّ - إِحْدَى شُعُوبِ التُّرْك - فلم تَزَلْ دَوْلَتُهم من لَدُنِ القَائِم سَنَة أَرْبعين وأَرْبعِ مائة إلى آخِرِ المائة السَّادِسَة، وكانت دَوْلَتُهم من أَعْظَمِ الدُّوَلِ في العَالَم، وتَشَعَّبَت عنها دُوَلٌ هي مُتَّصِلَةٌ إلى عَهْدِنا حَسْبَما يُذْكَرُ ذلك كلُّه في أماكِنِه.

ثم اسْتَبَدَّ الخُلَفَاءُ من بني العَبَّاس آخِرًا في هذا النِّطاقِ الضَّيِّق ما بين دِجْلَةَ والفُرَاتِ وأَعْمَال السَّوَاد وبعض أَعْمَال فَارِس، إلى أن خَرَجَ الطَّطار من مَفَازَةِ الصِّين، وتَغَلَّبُوا على(أ) الدَّوْلَة السُّلْجُوقِيَّة وهم على دِينِ المَجُوسِيَّة، وزَحَفُوا إلى بَغْدَاد فقَتَلُوا الخَلِيفَة المُسْتَعْصِم، وانْقَرَضَ أَمْرُ الخِلافَة، وذلك سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسين وستّ مائة، ثم أَسْلَمُوا من بَعْد ذلك، وكانت لهم دَوْلَةٌ عَظِيمَةٌ، وتَشَعَّبَت عنها دُوَلٌ لهم ولأَشْيَاعِهم في النَّواحِي، وهي بَاقِيَةٌ لهذا العَهْدِ، آخِذَةٌ في التَّلاشِي كما نَذْكُرُ ذلك كلَّه في أَماكِنِه.

دَوْلَةُ المُنْتَصِر

ولمَّا بُويِعَ المُنْتَصِرُ - كما ذكَرْناه - وَلَّى على المَظَالِم أبا عَمْرٍو أحمدَ بنَ سَعيد، وعلى دِمَشْق عِيسَى بنَ محمَّد النُّوشَرِيّ، وكان على وِزَارَتِه أحمدُ بنُ الخَصِيب، واسْتَقامَت أُمُورُه، وتَفَاوَضَ وَصِيفٌ وبُغَا وأحمدُ بنُ الخَصِيب في شَأْنِ المُعْتَزِّ والمُؤَيَّد لما يَتَوَقَّعَان(ب) من سَطْوَتِهما بسَبَبِ قَتْلِ المُتَوَكِّل، فحَمَلا المُنْتَصِرَ على خَلْعِهما لأَرْبعينَ يَوْمًا فأَغْلَظُوا عليه وأَوْهَمُوا القَتْلَ، فخَلا به المُؤَيَّدُ وتَلَطَّفَ به حتى أَجَابَ وخَلَعَ نفسه،

(أ) ص: وزحفوا إلى.   (ب) ص: يتوقعوا.

وكَتَبَا بذلك خطَّهُمَا، ثم دَخَلا على المُنتَصِر فأجلَسَهما واعتَذَر لهما بمَسْمَعٍ من الأمَرَاء بأنّهم الذين حَمَلُوه على خَلعِهِما[أ] فأجَبْتُهم[ب] إلى ذلك خَشيةً عليكما منهم، فقبَّلا يَدَه / وشَكرا له، وشَهِدَ عليهما القُضَاةُ وبنو هَاشِم والقُوَّادُ ووُجُوهُ النَّاس، وكَتَبَ بذلك [1237] المُنتَصِرُ إلى الآفاقِ وإلى محمَّدِ بن طَاهِر ببَغْداد.

ثم إنَّ أحمدَ بنَ الخَصِيب أغرَى المنتصرَ بإخرَاج وَصِيف للصَّائِفَة وإبعَادِه عن الدَّوْلَة، لما بينَهما من الشَّحْنَاء، فأحْضَرَهُ المُنتَصِرُ وقال له: قد أتَانا عن طَاغِية الرُّوم أنَّه أفسَدَ الثَّغْرَ، فلابدَّ من مَسِيرِك أو مَسِيرِي، فقال: بل أشْخَصُ يا أمِيرَ المؤمنين! فأمَرَ أحمدَ بنَ الخَصِيب أن يجهِّزه ويزيحَ عِلَلَ العَسْكَر معه، وانتخب اثنَي عَشَرَ ألفَ مُقَاتل، وكَتَبَ المُنتَصِرُ إلى محمَّدِ بنِ عبد الله بن طَاهِر أن يَسْتَنفِرَ النَّاسَ معه، وأمَرَه أن يُوافِيَ ثَغْرَ مَلَطْيَةَ، فسَارُوا على مُقَدّمته مُزَاحِمُ بنُ خَاقَان أخو الفَتْح، وعلى نَفَقاتِ العَسَاكِر والمَغَانِم والمقَاسِم أبو الوَلِيد الجَزَرِيُّ البجَلِيّ، ثم كتب إليه المُنتَصِرُ في طَرِيقه أن يُقِيمَ بالثَّغر أربَعَ سِنِينَ يرِدِّدُ فيها الغَزْوَ إلى أنْ يأتيَه رَأيُه[1].

(أ) ظ: حلفهما. (ب) ظ: فاجبته.

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير 7: 114.

وَفَاةُ المُنْتَصِرِ، وَبَيْعَةُ المُسْتَعِين(1)

ثم أصابَت(أ) المُنتَصِرَ عِلَّةُ الذَّبْحَةِ، فهَلَكَ لخَمسٍ بَقِين من رَبيعٍ الأوَّل من سَنة ثمانٍ وأربعينَ لسِتَّة أشهُرٍ من ولايتِه، وقيل: بل افتَصَدَ، فجُعِلَ السُمُّ في مِشْرَطَةِ الطَّبيب(2)، فاجْتَمَع المَوَالي في القَصْرِ وفيهم بُغَا الصَّغيرُ وبُغَا الكبير وأتامِش وغيرُهم، فاستَخلَفُوا قُوَّادَ الأتْرَاك والمَغارِبَة والأُشْرُوسَنِيَّة على الرِّضا بمن يَرْضَوْنَه لهم، ثم خَلَصُوا للمَشُورَة ومعهم أحمدُ بنُ الخَصيب، فعَدَلوا عن وَلَدِ المُتَوكِّل خَوْفًا منهم، ونَظَرُوا في وَلَدِ المُعْتَصِم فأجْمَعُوا على بَيْعَه أبي العبَّاس أحمدَ بنِ أبي إسْحاقَ محمَّدِ بن المُعْتَصِم فبايَعُوه، واستَكْتَب أحمدَ بنَ الخَصيب واستَوْزَر أتامِش.

وغَدَا على دَارِ العَامَّة في زيِّ الخِلافة، وإبراهيمُ بنُ إسْحاق يَحمِل بين يَدَيْه الحَرْبَة، وصُفَّت المَماليكُ والأُشْرُوسَنِيَّة(3) صَفَّيْنِ بتَرتيبِ [وَاجن(ب) الأُشْرُوسَنيّ]، وحَضَرَ أصْحابُ المَرَاتِب من العبَّاسيِّين والطَّالِبيِّين(4).

(أ) ظ: أصاب.   (ب) في ظ ح : دواجن، واعتمدنا قراءة تاريخ الطبري والكامل واستكمال نسبه. والتزمنا اسمه في ما يأتي.

---

(1) الكامل 7: 114-117.

(2) المصدر نفسه 7: 114، تجارب الأمم لمسكويه 4: 317-318.

(3) الأُشْروسَنية هم الجند القادمون من أُشْروسَنة، وذكرها ياقوت بفتح السين نقلًا عن أهلها، وحدّد موقعها، انظر معجم البلدان 1: 197.

(4) الكامل 7: 117.

وثَارَ جَماعَةٌ من الجُنْد وقَصَدُوا الدَّارَ يذكرونَ أنَّهم من أصْحَابِ محمدِ بن عبدِ الله بن طاهِرٍ والغَوْغَاء، فشَهَرُوا السِّلاحَ وهَتَفُوا باسْمِ المُعتَزِّ وشَدُّوا على أصْحَابِ وَاجِن فتَضَعْضَعُوا، ثم جَاءَت المُبَيِّضَةُ والشَّاكِرِيَّة وحَمَلَ عليهم المَغارِبَةُ و[بعض](أ) الأُشْرُوسَنِيَّة، فنَشَبَتِ الحَرْبُ وانْتُهِبَت الدُّرُوعُ والسِّلاحُ من الخَزَائِنِ بدَارِ العَامَّة، وجَاءَ بُغَا الصَّغِيرِ، فدَفَعَهُم عنها وقَتَلَ منهم عِدَّةً، وفُتِقَت السُّجُونُ وتَمَّت بَيْعَةُ الأتْرَاك للمُسْتَعين ووَضَع العَطَاءَ /على البَيْعَة وبَعَثَ إلى محمَّدِ بن عبد [237ب] الله بن طَاهِرٍ فبَايَعَ له هو والنَّاسُ ببَغْدَاد(1).

ثم جَاءَ الخَبَرُ بوَفَاة طَاهِرِ بن عبد الله بن طاهِرٍ بخُرَاسَان، ومَهْلِكُ عَمِّه الحُسَيْن بن طَاهِرٍ بمَرْو، فعَقَدَ المُسْتَعِينُ لابنِه محمَّد بن طَاهِرٍ مَكانَه، وعَقَدَ لمحمَّدِ بن عبدِ الله بن طَاهِرٍ على العِرَاق، وجَعَل إليه الحَرَمَيْن والشُّرْطَة ومَعَادِن السَّوَاد، وأفْرَده به. ولمَّا وَصَلَ العَهْدُ لمحمَّد بن طَاهِرٍ على خُرَاسَان سَنَة ثمانٍ وأرْبعينَ ومائتين، وَلَّى عمَّه طَلْحَةَ على نَيْسَابُور، وابنَه مَنْصُورَ بنَ طَلْحَة على مَرْوَ وسَرْخَس وخُوارِزْم، وعَمَّه الحُسَيْنَ بن عبد الله على هَرَاةَ وأعْمَالِها، وعَمَّه سُلَيْمانَ بن عبد الله على طَبَرِسْتَان، والعَبَّاسَ ابنَ عَمِّه محمَّد على الجُوزجَان والطَّالَقَان.

ومَاتَ بُغَا الكَبِير، فوَلِيَ ابْنُه مُوسَى على أعْمَالِه كلِّها(2).

وبَعَثَ أنُوجُور، من قُوَّادِ التُّرْك، إلى أبي العَمَرَّط التَّغْلبيِّ فقَتَلَه(3).

(أ) إضافة من الكامل.

(1) الكامل في التاريخ 7: 117-118.

(2) المصدر نفسه 7: 118، تجارب الأمم 4: 323.

(3) المصدر نفسه 7: 119.

واستَأْذَنه عبدُ الله بنُ يحيى بن خاقان في الحَجِّ فأذِنَ له، ثم بعَثَ خلفَه من نَفاه إلى بَرْقَة[1].

وحُبِسَ المُعْتزُّ والمؤيَّدُ في حُجْرَةٍ بالجَوْسَقِ بعد أن أرادَ قُوَّادُ الأتراك قتلَهما، فمنعهم أحمدُ بنُ الخَصِيب من ذلك، ثم قَبَضَ على أحمدَ بن الخَصِيب فاستَصْفى مالَه ومالَ وَلَدِه ونَفاه إلى إقْريطش، واستَوْزَرَ أتامِش وعقَدَ له على مِصْرَ والمَغْرِب، وعَقَد لبُغا الصَّغير على حُلْوان وماسَبَذان ومِهْرَجان قَذَق[أ]، وجعَلَ شاهَكَ الخادِمَ على دارِه وكُراعِه وحُرَمِه وخاصِّ أُمورِه وقدَّمَ، وأُشْناسَ على جميع النَّاس[2].

وعُزِلَ عليُّ بنُ يحيى الأرْمَنيُّ عن الثُّغور الشَّاميَّة وعُقِدَ له على أرْمينيَّة وأذْرَبيجان، وكان على حِمْص كُنْدُر، فوثَبَ به أهلُها فأخْرَجوه، فبعَثَ المُسْتعينُ الفَضْلَ بنَ قارِنٍ، وهو أخو مازيار، فاستَباحهم وحَمَلَ أعيانَهم إلى سامَرَّاء، وبعَثَ المُسْتعينُ إلى وَصِيفٍ وهو بالثَّغر الشَّامي بأنْ يَغْزُو بالصَّائفة، فدخَلَ بِلادَ الرُّوم وافْتَتح حِصْنَ فَروريَّة[3].

ثم غزَا بالصَّائفة سَنَة تِسْعٍ وأربعينَ جَعْفَرُ بن دِينارٍ وافْتَتح مَطامير[4]، واستَأْذَنه عُمَرُ بنُ عبدِ الله الأقْطَع في تَدويخ بِلادِ الرُّوم فأذِنَ له، فدخَلَ في جَماعةٍ من أهلِ مَلَطْيَة ولَقِيَ مَلِكَ الرُّوم بمَرْج الأُسْقُف في خَمسين ألفًا فأحاطُوا به، وقُتِلَ

(أ) رسمها في ح: مهرجا قذق، وينظر عنها معجم البلدان 5: 233.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 119.

(2) المصدر نفسه 7: 119-120.

(3) المصدر نفسه 7: 119.

(4) قرية بحُلوان العراق. معجم البلدان 5: 148.

عُمَر في ألفينِ من المُسلِمين. وكان على الثُّغُورِ الجزَرية، فأغَارَ عليها الرُّومُ، وبَلَغَ ذلك عليَّ بنَ يحيى وهُوَ قافِلٌ من أرْمينيَّة إلى مَيَّافارِقِينَ/ ومعه جَمَاعَةٌ من أهْلِها، فنَفَرَ إليهم [238أ] وهو في نحوِ أربع مائة فقُتِلُوا وقُتِلَ معهم[(1)].

فِتْنَةُ بَغْدَادَ وسَامَرَّاء

ولمَّا اتَّصل الخَبَرُ ببَغْدَادَ وسَامَرَّاء وقُتِلَ عُمَرُ بنُ عبد الله وعليُّ بنُ يحيى، شَقَّ ذلك على النَّاس؛ لما كانوا عليه من عَظِيمِ الغَنَاءِ في الجِهاد، واشْتَدَّ نَكِيرُهم على التُّرْكِ في غَفْلَتِهم عن المَصَالِح، وتَذَكَّروا لهم قَتْلَ المُتَوَكِّل واسْتِيلاءَهم على الأُمُورِ، فاجْتَمعت العَامَّةُ وتَنَادَوا بالنَّفِير إلى الجِهَاد، وانْضَمَّ إليهمُ الشَّاكِرِيَّةُ يَطْلُبُونَ أرْزَاقَهم، ثم فَتَقُوا السُّجُونَ وقَطَعُوا الجُسُورَ وانْتَهَبوا دورَ [بِشْرٍ وإبراهيمَ ابْني هَارُون][(أ)] كاتِبَيْ [محمَّدِ بن عبد الله بن طَاهِر، ثم أخْرَجَ أهْلُ اليَسَار من بَغْدَادَ الأمْوَال][(ب)] ففَرَّقُوها في المُجاهِدين، وجَاءَت العامَّةُ من الجِبَال وفَارِسَ والأهْوَاز فنَفَرُوا للغَزْو، ولم يَظْهَر للمُسْتَعِين ولا لأهْلِ الدَّوْلَة في ذلك أثَرٌ[(2)].

ثم وَثَبَ العامَّةُ بسَامَرَّاءَ وفَتَقُوا السُّجُونَ وخرَجَ مَنْ كان فيها، وجَاءَ جَمَاعَةٌ من المَوَالي في طَلَبِهم، فوَثَبَ العَامَّةُ بهم وهَزَمُوهُم، ورَكِبَ بُغَا ووَصِيفٌ وأتَامِشُ في

(أ) إضافة من ابن الأثير. (ب) من ح وسقط من ظ.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 112.

(2) نفسه 7: 121-122.

التُّرْكِ فقَتَلُوا من العَامَّة خَلْقًا وانْتَهَبُوا مَنَازِلَهم وسَكَنَت الفِتْنَةُ[1].

مَقْتَلُ أتامِش

كان المُسْتَعِينُ لمَّا وَلِيَ أطْلَقَ يَدَ أمِّه وأتامِش وشَاهَك الخَادِمِ في [بيُوت][أ] الأمْوَال فكانت لهم، وما فَضَلَ عنهم فلنَفَقَاتِ العَبَّاس بن المُسْتَعين، وكان في حَجْر أتامِش، فنَفَسَ ذلك عليه بُغَا ووَصِيف، وضَاقَ حَالُ الأتْرَاك والفَرَاغِنَة ودَسَّهم عليها بُغَا ووَصيف، فخَرَج منهم أهلُ الكَرْخ والدُّور وقَصَدُوه في الجَوْسَق مع المُسْتَعين، فأرادَ الهَرَبَ فلم يُطِق، واسْتَجَارَ بالمُسْتَعِين فلم يُجِزْه، وحَاصَرُوه يَوْمَيْن، ثم اقْتَحَمُوا عليه الجَوْسَق وقَتَلُوه وقَتَلُوا كَاتِبَه شُجَاعَ بنَ القَاسِم ونُهِبَت أمْوَالُهم، واسْتَوْزَر المُسْتَعينُ مكانه أبا صَالح عبدَ الله بنَ محمد بن دَاوُد، ووَلَّى عيسى بنَ فَرْخانْشَاه على دِيوانِ الخَرَاج، وعَزَلَ الفَضْلَ بنَ مَرْوَان، وعَقَد لوَصِيف على الأهْوَاز، ولبُغَا الصغيرِ على فِلَسْطِين، ثم غَضِب بُغَا الصَّغيرُ على أبي صَالِح فهَرَبَ إلى بَغْداد، واسْتَوْزَر المُسْتَعِينُ مَكانه محمَّدَ بنَ الفَضْل الجَرْجَرَائيَّ، ووَلَّى على دِيوَان الرَّسَائل سَعِيدَ بنَ حُمَيْد[2].

(أ) إضافة من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 7: 122-123، وتجارب الأمم 4: 324-325.

(2) نفسه 7: 123-124، نفسه 4: 325-326، وينظر عن سعيد بن حميد، الفهرست للنديم 137؛ الوافي بالوفيات 15: 213.

ظُهورُ يَحْيَى بنِ عُمَرَ ومَقْتَلُه

كان من الطَّالِبِيِّين بالكوفة يحيى بنُ عُمَر بن يحيى بن الحُسَيْن بن زَيْدٍ الشَّهيد، ويُكنى/ أبا الحُسَيْن، وأمُّه من وَلَدِ عبدِ الله بن جَعْفَر، وكان من سَرَاتِهم ووُجُوهِهِم، [238 ب] وكان عُمَرُ بنُ فَرَج يتولّى أمرَ الطَّالِبِيِّين أيَّامَ المُتَوَكِّل، فعَرَضَ له أبو الحُسَيْن عند مَقْدَمِه من خُرَاسَانَ يَسْأَلُه صِلةً لدَيْنٍ لَزِمه، فأغْلَظَ له عُمَرُ القَوْلَ وحَبَسَه حتى أخَذَ عليه الكُفَلاءَ وانطَلَقَ إلى بَغْدَاد، ثم جَاء سَامَرَّاءَ وقد أَمْلَقَ، فتعرَّضَ لوَصِيفٍ في رِزْقٍ يُجْرَى له، فأسَاءَ عليه وأيْأسَه، فرَجَعَ إلى الكُوفَة، وعَامِلُها يومئذٍ أيُّوبُ بنُ الحسَن بن مُوسَى بن جَعْفَرِ بن سُلَيْمَانَ بن عليٍّ، من قِبَلِ محمَّدِ بن عبد الله بن طاهِر، فاعْتَزَم على الخُرُوجِ، والْتَفَّ عليه جَمْعٌ منَ الأعْرَابِ وأهْلِ الكُوفَة، ودَعَا للرِّضَا من آلِ محمَّد، ففَتَقَ السُّجُونَ ونَهبَها وطَرَدَ العُمَّال، وأخَذَ من بَيْتِ المالِ أَلْفَي دِينارٍ وسَبْعِين أَلفَ دِرْهَم(1).

وكان صَاحِبُ البَرِيد قد طَيَّرَ بخَبَرِه إلى محمَّدِ بن عبد الله بن طَاهِر، فكَتَبَ إلى عَامِلِه بالسَّوَاد عبدِ الله بن محمُود السَّرْخَسِيِّ أنْ يُسَيِّرَ مَدَدًا إلى الكُوفَة، فلَقِيَهُ البَرِيدِيَّة، وانتهى إلى نَاحِيَة واسِطَ وكثُرت جُمُوعُه، وسَرَّح محمَّدُ بنُ عبدِ الله بن طاهِرَ إلى مُحَارَبَتِه الحُسَيْنَ بنَ إسْمَاعيلَ بن إبراهيمَ بنِ الحُسَيْن بن مُصْعَبٍ في العَسَاكِر، فسَارَ إليه(2).

(1) الكامل في التاريخ 7: 126-127، ويراجع عن يحيى بن عمر مقاتل الطالبيين 639-664؛ الوافي بالوفيات 28: 243-248.

(2) نفسه 7: 127.

وقد كان يحيى قَصَدَ الكُوفَة، فلَقِيه عبدُ الرَّحْمَن بنُ الخَطَّاب، المعرُوف بوَجْهِ الفَلس، فهزَمَه يحيى إلى نَاحِيَة شَاهِي، ودَخَلَ الكُوفَة واجْتَمعَت عليه البَرِيدِيَّة، واشْتَمَلَ عليه عَامَّةُ أهْلِ الكُوفَة وأمْدَادُ البَرِيدِيَّةِ من بَغْدَاد، وجَاءَ الحُسَيْنُ بنُ إسْماعيل، وانْضَمَّ إليه عبدُ الرَّحْمَن بن الخَطَّاب، وخَرَجَ يحيى من الكُوفَة ليُعَاجِلَهم الحَرْبَ، فأسْرَى لَيْلَتَه وصَبَّحَ العَسَاكِرَ فسَارُوا إليه فهَزَمُوه ووَضَعُوا السَّيْفَ في أصْحَابِه ودَاسُوا رِجَالَه أهْلَ الكُوفَة وأسَرُوا الكَثِيرَ من أتْبَاعِه، كان منهم الهَيْصَمُ العِجْلِيُّ وغيرُه. وانْجَلَت الحَرْبُ عن يحيى بنِ عُمَر قَتِيلًا، فبَعَثُوا برَأْسِه إلى محمَّدِ بن عبد الله بن طَاهِر، فبَعَثَ به إلى المُسْتَعِين، وجُعِلَ في صُنْدُوقٍ في بَيْتِ السِّلاح، وجِيءَ بالأسْرَى فحُبِسُوا وكان ذلك مُنْتَصَفَ رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسِينَ ومائتين[1].

ابْتِداءُ الدَّوْلة العَلَوِيَّة بطَبَرِسْتَان[2]

لمَّا ظَفِرَ محمَّدُ بنُ عبد الله بن طاهِر بيحيى بنِ عُمَر(أ)، وكان له من الغَنَاءِ في حَرْبِه ما قَدَّمْناه، أقْطَعَهُ المُسْتَعِينُ قَطَائِعَ من صَوَافِي السُّلْطان بطَبَرِسْتان كانت منها

(أ) ص: يحيى بن عمرو.

(1) الكامل في التاريخ 7: 127-128، وتجارب الأمم 4: 326-328.
(2) يراجع عن الدولة العَلَوِيَّة بطَبَرِستان كتاب "أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان" وهي نصوص تاريخية، لأبي إسحاق الصابئ وأبي العبَّاس الحسني وأبي طالب النَّاطق والحاكم الجُشَمي وحميد المحلِّي ويوسف بن محمد الحجوري، جمعها وحققها فيلفرد ماديلونغ، بيروت – المعهد الألماني للأبحاث الشرقية 1987، وكذلك نهاية الأرب للنويري 25: 7-103.

[239] قَطيعَةٌ بقُربِ ثَغرِ الدَّيلَم / تُسَمَّى كَلار وشالُوس، وفيها أرضٌ مَوَاتٌ ذَاتُ غِياضٍ وأشجَارٍ وكَلَإٍ، مُبَاحَةٌ لمَصَالِح النَّاسِ من الاحتِطَاب والرَّعْي، وكان عامِلُ طَبَرِسْتَانَ يومَئذٍ من قِبَلِ محمَّدِ بن طَاهِر صَاحِبِ خُرَاسَان عمّه سُلَيمَانَ بنَ عبدِ الله بن طَاهِر، وهُو أخُو محمَّدٍ صَاحِبِ القَطَائِع، وكان سُلَيمَانُ مَكفُولًا لأمِّه، وقد حَظِيَ عندَها وتقَدَّمَ وفرَّقَ أولادَهُ في أعمَالِ طَبَرِسْتان، وأساءوا السِّيرَةَ في الرَّعَايَا، ودَخَلَ محمَّدُ بنُ أوْس بِلادَ الدَّيلَم وهم مُسَالِمُون، فسَبَى منهم، وانحَرَفُوا لذلك[1].

وجَاءَ نائِبُ محمَّدِ بن عبدِ الله لقَبْضِ القَطَائِع فحَازَ فيها تلك الأرْضَ المَوَاتَ المُرْصَدَةَ لمَرافِقِ النَّاس، فنَكِرَ ذلكَ النَّاظِرُ على تلك الأرْضِ وهما: محمَّدٌ وجَعْفَرٌ ابنَا رسْتُم، واسْتَنْهَضَا مَن أطاعَهُما من أهْلِ تلك النَّاحِيَة لمَنعِه من ذلك، فخَافَهُما النَّائِبُ ولَحِقَ بسُلَيمَانَ صَاحِبِ طَبَرِسْتان، وبعَثَ ابنَا رُسْتُم إلى الدَّيلَم يَسْتَنْجِدُونَهم على حَرْبِ سُلَيمان، وبَعَثَا إلى محمَّدِ بن إبراهيم - من العَلَوِيِّين بطَبَرِسْتان - يَدْعُونَه إلى القِيَام بأمْرِه، فامْتَنَعَ ودَلَّهُم على كَبيرِ العَلَوِيَّة بالرَّيِّ الحَسَنِ بن زَيْد بن محمَّد بن إسْماعيلَ بن الحَسَنِ بن زَيْد بن الحَسَن السِّبْط، فشَخَصَ إليهم وقد اجْتَمَعَ أهْلُ كَلار وشالُوس ومُقَدَّمُهم ابنا رُسْتُم وأهْلُ الرَّيَّان ومعهمُ الدَّيلَمُ بأسْرِهِم، فبايَعُوه جَمِيعًا وطَرَدُوا عُمَّالَ سُلَيمَانَ وابنِ أوْس[2].

ثم انضَمَّ إليهم أهْلُ جِبالِ طَبَرِسْتَان، وزَحَفَ الحَسَنُ بمن معه إلى مَدِينَة آمُل، وخَرَجَ ابنُ أوْس من سَارِيَةَ لمُدافَعَته، فانهَزَم ولَحِقَ بسُلَيمَانَ في سَارِيَة، فخَرَجَ

(1) الكامل في التاريخ 7: 130-131.

(2) المصدر نفسه 7: 131-132.

سُلَيمانُ لحَرْبِ النَّاس، ولمَّا الْتَقى الجَمْعَانِ بعَثَ الحَسَنُ بَعْضَ قُوَّادِه خَلْفَ سُلَيمان إلى سَارِيَة، وسَمِعَ بذلك سُلَيمانُ فانْهَزَم، وملَكَ الحَسَنُ سَارِيَةَ، وبعَثَ بعِيالِ سُلَيمانَ وأوْلادِه في البَحْرِ إلى جُرْجَان[1].

وقيل : إنَّ سُلَيمانَ انْهَزَم اخْتِيارًا لِمَا كان بنو طَاهِرٍ يَتَّهِمُونه به من التَّشَيُّع.

ثم بعَثَ الحَسَنُ إلى الرَّيِّ ابنَ عمِّه، وهو القَاسِمُ بنُ عليِّ بن إسْماعيل، ويُقالُ: محمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بن عبدِ الله بن العَقِيقيِّ بنِ الحُسَيْن بن عليٍّ زَيْنِ العابِدين، فَملَكَها، وبعَثَ المُسْتَعينُ جُنْدًا إلى هَمَذَانَ ليَمْنَعَها[2].

ولمَّا مَلَكَ [الحسين بن][أ] محمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ قائِدُ الحَسَن بن زَيْد الذي أسَاءَ السِّيرةَ، وبعَثَ محمَّدُ بنُ طَاهِر قائِدَهُ محمَّدَ بنَ ميكَال، أخُو الشَّاه، فغَلَبَه على الرَّيِّ وانْتَزَعها منه وأسَرَه، فبَعَثَ إليه الحَسَنُ بنُ زَيْد قائِدَه دوَاجِن، فهَزَم ابنَ ميكال وقتَلَه واسْتَرجع / الرَّيَّ، ثم رجَعَ سُلَيمانُ بنُ طاهِر من جُرْجَان فَملَكَ طَبَرِسْتان[ب]، ولَحِقَ الحَسَن بالدَّيلَم، وسَارَ سُلَيمانُ إلى سَارِيَةَ وآمُلَ ومعَهم ابْنا قارِنَ بنِ شَهْرَدَاذ[3]، فصَفَح عنهم ونَهَى أصْحَابَه عن الفَتْكِ والأذَى، ثم جاءَ مُوسَى بنُ بُغَا بالعَسَاكر فملَكَ الرَّيَّ من يدِ ابن أبي دُلَف، وبعَثَ مُفْلِحًا إلى طَبَرِسْتَان فحَارَبَ الحَسَنَ بنَ زَيْدٍ وهَزَمَه، واسْتَوْلى على طَبَرِسْتَان، ولَحِقَ الحَسَنُ بالدَّيلَم، ودَخَلَ مُفْلِحٌ آمُلَ وخرَّبَ [239 ب]

(أ) من ح. (ب) ص: إلى طبرستان فملكها.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 132.

(2) المصدر نفسه 7: 133.

(3) في الكامل 6: 498، 500، 503، 7: 163: قارن بن شهريار.

مَنَازِلَ الحَسَن ورجَع إلى مُوسَى بالرَّيِّ[1].

مَقْتَلُ بَاغِر

وكان بَاغِرُ هذا من قُوَّادِ التُّرْك ومن جُمْلة بُغَا الصَّغِير، ولمَّا قَتلوا المُتَوَكِّل زِيدَ في أرزَاقِه، وأقْطَعُوه قُرى بِسَوَادِ الكُوفَة، وضَمِنَها له بعض أَهْلِ بَاوَرْسَمَا بأَلْفَي دِينَار، فطَلَبَه ابنُ مَارِمَة وكِيلُ بَاغِر وحَبَسَه، ثم تَخَلَّصَ وسَارَ إلى سَامَرَّاء، وكانت له ذِمَّةٌ من نَصْرَانِيٍّ عند بُغَا الصَّغِير، فأجَارَه النَّصْرَانِيُّ من وكيلِ بُغَا وأعْدَاهُ عليه، فغَضِبَ لذلك بَاغِرُ وشَكَا إلى بُغَا، فألانَ له القَوْلَ وقال: إنِّي مُسْتَبْدِلٌ من النَّصْرَانِيّ، وتفعَلُ فيه بعدَ ذلك ما تُرِيدُ. ودَسَّ إلى النَّصْرَانِيّ بالحَذَر من بَاغِر وأظْهَرَ عَزْلَه، وبقي بَاغِرُ يتَهَدَّدُه وقدِ انْقَطَعَ إلى المُسْتَعِين، وقَعَدَ بُغَا في يوم نَوْبَتِه عن الحُضُور بدَارِ السُّلْطَان، فسَأَل المُسْتَعِينُ وَصِيفًا عن أعْمَال إيتَاخ وقَلَّدَها لبَاغِر، فأخْبَرَ النَّصْرانيُّ بذلك بُغَا، فعَذَلَ وَصِيفًا في الشَّأن، فحَلَفَ له أنَّه ما عَلِمَ قَصْدَ الخَلِيفَة، وتنكَّرَ بُغَا ووصيفٌ لبَاغِر فجَمَعَ أصْحَابَه الذين بايَعُوه على قَتْلِ المُتَوَكِّل وجَدَّدَ عليهم العَهْدَ في قَتْلِ المُسْتَعِين وبُغَا ووَصِيف، وأن يُنَصِّبُوا ابنَ المُعْتَصم أوِ ابنَ الوَاثِق ويكونَ الأمْرُ لهم.

ونَمَا الخَبَرُ إلى المُسْتَعِين، فأحْضَرَ بُغَا ووَصِيفًا وأعلَمَهما بالخَبَر، فحَلَفَا له على العِلْمِ وأمَرُوا بحَبْسِ بَاغِر ورَجُلَيْنِ معه من الأتْرَاك، فسَخِطُوا ذلك وثَارُوا

(1) الكامل في التاريخ 7: 133-134، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 330-334.

وانتَهَبُوا الإصْطَبْلَ وحَصَرُوا الجواسِقَ[1].

وأمَرَ بُغَا ووَصِيفٌ بقَتْلِ باغِر فقتَلَه لوَقْتِه، وانْحَدَرَ المُسْتَعِينُ إلى بَغْدَاد ومعه بُغَا ووَصِيفٌ وشَاهَكُ الخَادِمُ وكاتِبُه أحمدُ بنُ صَالِح بن شِيرْزَاد، ونزَلَ على محمَّدِ بن عبدِ الله بن طَاهِر في بَيْتِه في المحَرَّم سَنَةَ إحْدى وخمسين، ولَحِق به القُوَّادُ والكُتَّابُ والعُمَّالُ وبنو هَاشِم، وتخلَّف جَعْفَرٌ الخَيَّاطُ وسُلَيْمانُ بنُ يحيى بن مُعَاذ، فنَدِمَ الأتْرَاكُ، ورَكِبَ جَمَاعَةٌ من قُوَّادِهم إلى المُسْتَعِين وأصْحَابِه ليردُّوهم فأبَوْا ورَجَعُوا آيسينَ منه وتَفَاوَضُوا في بَيْعَةِ المُعْتَزِّ[2].

/بَيْعَةُ المُعْتَزِّ وحِصَارُ المُسْتَعِين ببغْداد [240 أ]

كان قُوَّادُ الأتْرَاكِ لمَّا جاءُوا إلى المُسْتَعِين ببغْداد يَعْتَذِرُون من فِعْلِهم، ويتَطَارَحُونَ في الرِّضَا عنهم والرُّجُوعِ إلى دَارِ مُلْكِه، وهو يؤنِّبهم ويُعدِّدُ عليهم إحْسَانَه وإسَاءَتَهم، ولم يَزَالُوا به حتى صَرَّحَ لهم بالرِّضَا، فقَالَ بَعْضُهم: فإنْ كُنتَ رَضِيتَ فقُمْ وارْكَبْ مَعَنا إلى سَامَرَّاء، فلَكَمه ابنُ طَاهِر لسُوءِ خِطَابِه، وضَحِكَ المُسْتَعِينُ لعُجْمَتِهم وجَهْلِهم بآدَابِ الخِطَاب، وأمَرَ باسْتِمْرَارِ أرْزَاقِهم، ووَعَدَهم بالرُّجُوعِ، فانْصَرَفُوا حَاقِدِين ما كان منَ ابنِ طَاهِر، وأخْرَجُوا المُعْتَزَّ من مَحْبِسِه وبَايَعُوا له بالخِلافَة، وأعْطى للنَّاس شهرَيْنِ، وحضَرَ للبَيْعة أبو أحمدَ بنُ الرَّشِيد فامْتَنَع منها، وقال: قد خَلَعْتَ

(1) الكامل في التاريخ 7: 138-139.

(2) نفسه 7: 139-141، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 334-338.

نَفْسَك؟! فقال: أكَرِهْتَ؟ فقال: ما عَلِمْنا ذلك، ولا مُخَلِّص لنا في أيْمَانِنا، فتركَه[1].

ووَلَّوا على الشُّرْطة إبراهيمَ الدَّيْرَج وأُضِيفَت له الكِتَابَةُ والدَّوَاوِينُ وبَيْتُ المال، وهَرَبَ عَتَّابُ بنُ عَتَّاب، من القُوَّاد، إلى بَغْدَاد، وقامَ محمَّدُ بنُ عبدِ الله بن طَاهر بالاحْتِشَاد، واسْتَقْدَم مالِكَ بنَ طَوْق في أهْلِ بَيْتِه وجُنْدِه، وأمَرَ حُوِيَةَ بنَ قَيْس وهو على الأنْبَار بالاحْتِشَاد، وكتَبَ إلى سُلَيْمانَ بنِ عِمْرَانَ صَاحِب المَوْصِل بمَنْعِ المِيرَة عن سَامَرَّاءَ، وشَرَعَ في تَحْصِين بَغْدَاد وأدَارَ عليها الأسْوَارَ والخَنَادِقَ من الجانِبين، وجَعَلَ على كلِّ بابٍ قَائِدًا، ونَصَبَ على الأبْوَابِ المَجَانِيق والعَرَّادَات، وشَحَن الأسْوَارَ بالرُّمَاةِ والمُقَاتِلَةِ، وبَلَغت النَّفَقَةُ في ذلك ثلاثَمائةِ ألْفٍ وثلاثينَ ألْفَ دِينَار، وفرَضَ للعَيَّارِينَ الرِّزْقَ وعَرَّفَ عليهم، وأنفذ كُتُبَ المُسْتَعِين إلى العُمَّال بالنَّوَاحِي بحَمْلِ الخَرَاجِ إلى بَغْدَاد[2].

وكتَبَ المُسْتَعِينُ إلى الأتْرَاك بأمْرِهم بالرُّجُوع عما فعَلُوه، وكَتَبَ المُعْتَزُّ إلى محمَّد يَدْعُوه إلى بَيْعَتِهِ، وطَالَت المُرَاجَعَاتُ في ذلك، وكان مُوسى بنُ بُغَا قد خَرَجَ لقِتَالِ أهْلِ حِمْص، فاخْتَلَفَتْ إليه وهو بالشَّام كُتُبُ المُسْتَعِين والمُعْتَزِّ يَدْعُوه كلُّ وَاحِدٍ منهما إلى نفسِه، فاخْتَارَ المُعْتَزَّ ورَجَعَ إليه، وهَرَبَ إليه عبدُ الله بنُ بُغَا الصَّغِيرُ من بَغْدادَ بعد أنْ كان هَرَبَ عنه، فقَبِلَه، وهَرَبَ الحَسنُ بنُ الأفشين إلى بَغْداد فخَلَعَ عليه المُسْتَعِينُ وضَمَّ إليه الأشْرُوسَنِيَّة[3].

(1) الكامل في التاريخ 7: 142-143.

(2) المصدر نفسه 7: 143-144، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 338-342.

(3) المصدر نفسه 7: 144-145.

ثم عقَد المُعتَزُّ لأخِيه أبي أحمدَ المُوَفَّق على حَرْبِ بَغْدَاد، وضَمَّ إليه الجُنُودَ وجعَلَهم بنظرِ باكُبَاك[أ]، من قُوَّادِهم، فسَارَ في خَمسينَ ألفًا من الأتْرَاك / والفَرَاغِنَة والمَغَارِبَة، وانتَهبُوا ما بين عُكبَرا وبَغْدَاد من القُرَى والضِّيَاع وخَرَّبُوها، وهَرَبَ إليهم جماعَةٌ من أصْحَابِ بُغَا الصَّغِير ووَصَلُوا إلى بابِ الشَّمَّاسِيَّة فنزَلوا عليها[1]. [240 ب]

ووَلَّى المُستَعِينُ على بَابِ الشَّمَّاسِيَّة الحُسَينَ بنَ إسماعيلَ بن إبراهيم بن الحُسَيْن بن مُصْعَب، وجعَلَ القُوَّادَ هنالِك تحتَ يَدِهِ، ووَافَتْ طَلائِعُ الأتْرَاكِ [إلى بَابِ الشَّمَّاسِيَّة][ب] فوَقَفُوا بالقُرْبِ منه، وأمَدَّه ابنُ طَاهِرٍ بالشَّاه بن ميكائيلَ وبُنْدَارٍ الطَّبَرِيِّ، ثم رَكِبَ محمَّدُ بنُ عبدِ الله بن طَاهِرٍ من الغَدِ ومعه بُغَا ووَصِيفٌ والفُقَهاءُ والقُضَاةُ، وذلك عاشِرَ صَفَر، وبَعَثَ إليهم يَدْعُوهم إلى مُراجَعَة الطَّاعَة، على أن يكونَ المُعتَزُّ وَلِيَّ عَهْدٍ، فلم يُجِيبُوا، فانْصَرَفَ، وبعَثَ إليه القُوَّادُ من الغَدِ بأنَّهم زَحَفُوا إلى بابِ الشَّمَّاسِيَّة، فنهَاهُم عن مُبادَأَتِهِم بالقِتَال[2].

وقَدِمَ ذلك اليومَ عبدُ الله بنُ سليمان، خَلِيفَةُ بُغَا، من مَكَّةَ في ثلاثِ مائة رَجُل، ثم جاءَ الأتْرَاكُ من الغَدِ فاقْتَتَلُوا مع القُوَّادِ، وانْهَزَمَ القُوَّادُ.

وبلَغَ ابنَ طاهِرٍ أنَّ جماعَةً من الأتْرَاك سَارُوا نحو النَّهْرَوَان، فبَعَثَ قائِدًا من أصْحَابِه إليهم فرَجَعَ مُنْهَزِمًا، واسْتَوْلَى الأتْرَاكُ على طَرِيقِ خُرَاسَانَ وقطَعُوها عن

(أ) ظ، ص: باكلباك، وفي تجارب الأمم: كلباتكين. (ب) سقط من ظ، ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 145.

(2) المصدر نفسه 7: 146.

بَغْداد، ثم بعَثَ المُعتزّ عَسْكرًا آخَرَ، نحوَ أربعةِ آلاف، فنزَلُوا في الجانِبِ الغَرْبِيِّ، وبعَثَ ابنُ طَاهر إليهم الشّاهَ بنَ ميكائيل، فهزَمَهم وأثْخَنَ فيهم، ورَجَعَ إلى بَغْدَاد فخَلَعَ عليه وعلى سَائِرِ القُوّاد أرْبَعَ خِلع وطَوْقًا وسِوَارًا من ذَهَبٍ لكلِّ واحِدٍ، ثم أمرَ ابنَ طَاهر بهَدْمِ الدُّور والحَوانيت إزاءَ بابِ الشَّمَّاسِيَّة ليَتَّسِعَ المجالُ للحَرْب، وقَدِمَت عليه أمْوَالُ فارِسَ والأهْوَاز مع مَنْكَجُورَ الأُشْرُوسَنيّ، وخَرَجَ الأتْرَاكُ لاعْتِرَاضِه. [وبعَث ابنُ طَاهِرٍ لحِفْظِه، فقدِمُوا به بَغْدَاد ولم يَظْفَرْ به الأتْرَاكُ][أ]، ومَضَوْا نحوَ النَّهْرَوان فأحْرَقُوا سُفُنَ الجِسْر[1].

وكان المُسْتَعِينُ قد بَعَثَ محمَّدَ بنَ خَالِد بن يَزيدَ بن مَزْيدٍ وَالِيًا على الثُّغُورِ الجَزَرِيّة، وأقَامَ يَنْتَظِر الجُنْدَ والمالَ، فلمَّا بلَغَه خَبَرُ هذه الفِتْنَة جَاءَ على طَريق الرَّقَّةِ إلى بَغْدَاد، فخَلَعَ عليه ابنُ طاهِر وبعَثَه في جَيْشٍ كَثِيفٍ لمحارَبتِهم، فانْهَزَمَ، وصَارَ إلى ضَيْعَةٍ بالسَّوَاد فأقَامَ بها، فقال ابنُ طاهر: لن يُفلِحَ أحَدٌ من العَرَب إلَّا أن يكونَ معه نَبِيٌّ يَنْصُرُه اللهُ به[2].

ثم زَحَفَ الأتْرَاكُ وقَاتَلُوا، واتَّصَلَ الحِصَارُ واشْتَدَّت الحَرْبُ وانْتُهِبَتِ الأسْوَاقُ، ووَرَدَ الخَبَرُ من الثُّغُورِ / بأنَّ بَلْكاجُور حَمَل النَّاسَ على بَيْعةِ المُعْتَزّ. فقال [241أ] ابنُ طاهر: لعلَّه ظَنَّ مَوْتَ المُسْتَعِين، فكان كذلك، ووَصَلَ كِتَابُه بأنَّه جَدَّدَ البَيْعَة.

(أ) ساقطة من ظ والتكملة من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 147-148، ويقارن تجارب الأمم 4: 343-346.
(2) الكامل في التاريخ 7: 148.

وكان مُوسَى بنُ بُغَا مع الأتْرَاك - كما قَدَّمْنَا - فأرَادَ الرُّجوعَ إلى المُسْتَعين فامْتَنَع أصْحَابُه وقَاتَلُوه فلم يتِمَّ له أمْرُه[1].

وقَدِمَ النَّفَّاطُونَ من البَصْرَة ورَمَوْا على الأتْرَاكِ فأحْرَقُوهم، فتحَوَّلُوا عن مَكانِهم، وقَدِمَ آخِرَ صَفَرٍ مُزَاحِمُ بنُ خَاقَان [من الرَّقَّة في ألفِ رَجُلٍ فخَلَعَ عليه ابنُ طَاهِر سَبْعَ خِلَعٍ، وقَدِمَ أبو السَّاج][أ] من طَرِيق مَكَّةَ إلى بَغْدَاد آخرَ رَبيعِ الأوَّلِ، فبَعَثَه ابنُ طاهِر إلى المَدَائِن ليَحْفَظَها وأمَدَّه بثَلاثَة آلافِ فَارِسٍ، وبَعَثَ إلى الأنْبَار حُوِيَّةَ ابنَ قَيْس فشَقَّ الماءَ إلى خَنْدَقِها من الفُرَات وجَاءَ على الإسْحَاقي من قِبَلِ المُعْتَزِّ، فسَبَقَ المَدَدَ الذي جَاءَ من قِبَل ابن طَاهِر ومَلَكَ الأنْبَار.

ورَجَعَ حُوِيَّةُ إلى بَغْدَاد، فأنفَذَ ابنُ طاهر الحُسَيْنَ بنَ إسْماعيل في جَمَاعَةٍ من القُوَّاد والجُنْد، فاعْتَرَضَه الأتْرَاكُ وحَارَبُوه وعَادُوا[ب] إلى الأنْبَار، وتقَدَّم هو لينزِلَ عليها، وبينما هو يَحُطّ الأثْقَالَ إذا بالأتْرَاكِ [فقَاتَلَهم][ج] وهَزَمَهُم وأثْخَنَ فيهم، وكانوا قد أكْمَنُوا له، فخَرَجَ الكَمِينُ وانْهَزَمَ الحُسَيْنُ وغَرِقَ كثيرٌ من أصْحَابِه في الفُرَات.

وأخَذَ الأتْرَاكُ عَسْكَرَه بما فيه، ووَصَلَ الخَبَرُ إلى اليَاسِريَّة آخرَ جُمَادَى الآخِرَة، ومنعَ ابنُ طَاهِر المُنْهَزِمين من دُخُولِ بَغْدَاد، وتوَعَّدَهُم على الرُّجُوع إليه، وأمَدَّه بجُنْدٍ آخَرَ فرَحَلَ من اليَاسِريَّة، وبعَثَ إلى[د] المَخَاض الحُسَيْنَ بنَ عليّ بن

(أ) سقط ما بين النجمين من ص. (ب) ص: وعاد. (ج) من ح، وفي ظ فقابلهم، ومعنى الجملة: إذا به يفاجأ بالأتراك فقاتلهم وهزمهم. (د) ص: على.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 149، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 343-346.

يحيى الأزمَنيّ في مائتَيْ مُقَاتِل ليَمنَعَ الأتراكَ من العُبور إليه من عُدْوَةِ الفُرات، فوافَوْه وقَاتَلوه عليها فهَزَمُوه، ورَكِبَ الحُسَيْنُ في زَوْرقٍ مُنحَدِرًا، وتَرَكَ عَسكَرَه وأثقَالَه فاستَوْلَى عليها الأتراكُ، ووَصَلَ المُنهَزِمُون إلى بَغْداد من لَيلَتِهم، ولَحِقَ من عَسكَرِه جَماعةٌ من الكُتّابِ والقُوّاد بالمُعتَزّ وفيهم عليٌّ ومحمَّدٌ ابنا الوَاثِق، وذلك أوّلَ رَجَب (1).

ثم كانت بينَهم عِدّةُ وَقَعَات، وقُتِلَ من الفَرِيقَيْن خَلْقٌ، ودَخَلَ الأتراكُ في كثيرٍ من الأيّام بَغْدَادَ وأخرَجُوا عنها. ثم سَارُوا إلى المَدَائِن وغَلَبوا عليها ابنَ أبي السَّاج ومَلَكُوها، وجاءَ الأتراكُ الذين بالأَنبَار إلى الجانِب الغَرْبي، وانتَهَوا إلى صَرْصَرَ وقَصْرِ ابنِ هُبَيْرة، واتَّصَلَ الحِصارُ إلى شَهرِ ذي / القَعْدَة، وخَرَجَ ابنُ طَاهِرٍ في بَعْض أيّامِه [241 ب] في جَميعِ القُوّادِ والعَساكِر، فقاتَلَهم وانهَزَمُوا وقُتِلَ منهم خَلْقٌ، وارتَغَمَ الذين كانوا مع بُغَا ووَصِيفٍ لذلك فلَحِقوا بالأتراك، ثم تَرَاجَعَ الأتراكُ وانهَزَم أهلُ بَغْدَاد (2).

ثم خرَجَ في ذي الحِجّة رَشِيدُ بنُ كاووس (أ) أخو الأَفشِين سَاعيًا في الصُّلح بينَ الفَرِيقَيْن، واتَّهَمَ النّاسُ ابنَ طَاهِر بالسَّعْي في خَلعِ المُستَعِين، فلمّا جاءَ رَشِيدٌ وأبلَغَهم سَلَامَ المُعتَزّ وأخيه أبي أحمد، شَتَمُوه وشَتَمُوا ابنَ طاهر، وعَمَدُوا إلى دَارِ رَشِيدٍ ليَهْدِمُوها، وسَأَلَ ابنُ طَاهر من المُستَعِين أن يُسَكِّنَهم، فخَرَجَ إليهم ونَهَاهم وبَرَّأَ ابنَ طاهِرٍ ممّا اتّهَمُوه به فانصَرَفُوا. وتَرَدَّدَت الرُّسُلُ بينَ ابنِ طَاهِرٍ وبين أبي أحمد، فتَجَدَّدَ للعَامّة والجُندِ سُوءُ الظَّنّ، وطَلَبَ الجُنْدُ أرزَاقَهم فوَعَدَهُم بشَهْرَيْن، وأمَرَهُم

(أ) ص: كاووش.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 155-156.

(2) المصدر نفسه 7: 157، وينظر عن صرصر فيما يلي 506 هـ 2.

بالنُّزول فأبَوْا إلّا أن يُعلِمَهُمُ الصَّحيحَ من رَأيِه في المُستَعِين والمُعتزّ، وشَغَبَت العامَّة، وخَاف أن يُدخِلوا الأتْرَاكَ كما عَمِلَ أهْلُ المَدَائِن والأنبار، فأصْعَدَ المُستَعِينَ على سَطْحِ دَارِ العَامَّة حتى رآه النَّاس وبيدِه البُرْدَةُ والقَضِيب، وأقْسَمَ عليهم فانْصَرَفُوا[1].

واعْتَزَمَ ابنُ طَاهِرٍ على التَّحَوُّلِ إلى المَدَائِن، فجَاءَه وُجوهُ النَّاسِ واعْتَذَرُوا له بالغَوْغَاءِ فأقْصَرَ، وانْتَقَلَ المُستَعِينُ عن دَارِ ابنِ طَاهِرٍ إلى دَارِ رِزْقٍ الخادِم بالرُّصَافة، وأمَرَ القُوَّادَ وبني هَاشِمٍ بالكَوْن معَ ابنِ طَاهِرٍ، فركِبَ في تَعبئَتِه وحَلَفَ لهم على الوَفَاءِ للمُستَعِين وعلى قَصْدِ الإصْلاح، فدَعَوْا له، وسَارَ إلى المُستَعِين. ثم إنَّ عبدَ الله يحيى بنَ خَاقَان دَاخَلَ ابنَ طاهر في خِذْلان المُستَعِين، وأغراه به، وأنّه أمرَ بُغَا ووَصِيفًا بقَتْلِه فلم يَفْعَلا، وجَاءَهُ أحمدُ بنُ إسْرَائِيلَ والحسنُ بنُ مَخْلَدٍ بمثل ذلك في المُستَعين، فتغَيَّرَ له ابنُ طَاهر[2].

فلمَّا كان يَوْمُ الأضحى، وقد حَضَرَ الفُقَهاءُ والقُضَاةُ، طالَبه ابنُ طَاهِرٍ بإمْضَاءِ الصُّلْح، فأجابَ وخرَجَ إلى بابِ الشَّماسِيَّة، فجلَس هناك في خَيْمة مع جَمَاعةٍ من أصْحَابِه، فجاء أبو أحمدَ في سُمَاريَّة، وتَناظَرا طويلًا، ثم جاءَ ابنُ طاهِرٍ إلى المُستَعِين وأخبَرَه بأنَّه عقَدَ الأمْرَ على أن يَخْلَعَ نَفْسَه، ويَبْذُلُوا له خَمْسينَ ألْفَ دِينار، ويُقْطِعوه غَلَّةَ ثلاثينَ ألفَ دِينار، ويُقيمَ بالحِجَاز مُتَردِّدًا بين الحَرَمَيْن، ويكونَ بُغَا وَاليًا على الحِجَاز، ووَصيفٌ على الجَبَل، ويكونَ ثُلُثُ الجِبَايَة لابن طَاهر وجُنْدِ بَغْداد، والثُّلُثانِ / للمَوَالي والأتْرَاك، فامْتَنَعَ المُستَعِينُ أوَّلًا من الخَلْع، ظَنًّا منه أنَّ وَصِيفًا وبُغَا [242 أ]

(1) الكامل في التاريخ 7: 158-159.

(2) المصدر نفسه 7: 160.

معه، ثم تبيَّنَ مُوافقتَهما عليه، فأجَابَ وكَتَبَ بما أرادَ من الشُّرُوط، وأدْخَلَ الفُقَهاءَ والقُضَاةَ وأشْهَدَهُم بأنَّه قد صَيَّرَ أمْرَه إلى ابنِ طَاهر، ثم أحْضَرَ القُوَّادَ وأخْبَرَهُم بأنَّه إنَّما قَصَدَ بهذا الإصْلاح[أ] حَقْنَ الدِّمَاء، وأخْرَجَهُم إلى المُعْتَزِّ ليُوَافُوه بخَطِّه على كِتَابِ الشَّرْط ويَشْهَدُوا على إقْرارِه، فجاءوا بذلك لسِتٍّ خَلَوْن من المُحَرَّم سنَةَ اثنَتينِ وخَمْسِينَ ومائتين[1].

خَلْعُ المُسْتَعِين ومَقْتَلُه، والفِتَنُ خِلالَ ذلك

ولَمَّا تَمَّ ما عَقَدَهُ ابنُ طَاهر، ووَافَى القُوَّادُ بخَطّ المُعتزّ على كِتَابِ الشُّرُوط، أخَذَ البَيْعَةَ للمُعْتَزِّ على أهْلِ بَغْدَاد، وخَطَبَ له بها، وبَايَعَ له المُسْتَعِينُ، وأشْهَدَ على نَفْسِه بذلك، فنقَلَه من الرُّصَافَة إلى قَصْرِ الحَسَن بنِ سَهْلٍ ومعه عِيَالُه وأهْلُه، وأخَذَ [منهُ][ب] البُرْدَةَ والقَضِيبَ والخَاتَم، ومُنِعَ من الخُرُوج إلى مَكَّة، فطَلَبَ البَصْرَةَ فمُنِعَ منها، وبُعِثَ إلى وَاسِط[2].

واسْتَوْزَرَ المُعتزُّ أحمدَ بنَ إسرائيل، ورَجَعَ أخُوه أبو أحمدَ إلى سَامَرَّاء[3].

(أ) في ص: إلّا، وهو استثناء لا معنى له. (ب) إضافة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 160-162.

(2) المصدر نفسه 7: 167-168، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 364-365، 367-368.

(3) المصدر نفسه 7: 168، المصدر نفسه 4: 368.

وفي آخرِ المحرَّم انصَرَفَ أبو السَّاج ديودادُ بنُ ديورست إلى بَغْداد، فقلَّده ابنُ طَاهِر مَعاوِنَ السَّواد، فبَعَثَ نُوَّابَهُ إليها لطَرْدِ الأتْرَاكِ والمَغَارِبَة عنها، وسَارَ هو إلى الكُوفَة[1].

ثم كَتَبَ المُعْتَزُّ إلى ابن طَاهر بإسْقَاطِ بُغَا ووَصِيف ومَن معَهما من الدَّواوِين. وكان محمدُ بنُ أبي عَوْن من قُوَّادِ ابنِ طاهِر وقد تكَفَّل لأبي أحمدَ بقَتْلِهما، وعَقَدَ له المُعْتَزُّ على اليَمَامَة والبَحْرَيْنِ والبَصْرَة، ونَمَا الخبرُ إليهما بذلك فرَكِبا إلى ابن طَاهِر وأخْبَراه الخَبَرَ، وأنَّ القَوْمَ قد نَقَضُوا العَهْدَ، ثم بعَثَ وَصِيفُ أخْتَه سُعَادَ إلى المُؤَيَّد، وكان في حَجْرِها، فاسْتَوْهَب[أ] له الرِّضَا من المُعْتَزّ، وكذا فَعَلَ أبو أحمدَ مع بُغَا، وكتَبَ لهما المُعْتَزُّ جَميعًا بالرِّضَا، ثم رَغِب الأتْرَاكُ في إحْضَارِهما بسَامَرَّاء، فكتَبَ بذلك ودَسَّ إلى ابن طَاهر بمَنْعِهما، فخَرَجا فيمَن معَهما، ولم يَقْدرِ ابنُ طَاهر على مَنْعِهما، وحَضَرا بسامَرَّاء فعَقَدَ لهما المُعْتَزُّ على أعمالِهما، وردَّ البَريدَ إلى مُوسَى بنِ بُغَا الكبير.

ثم كانت فِتْنَةٌ بينَ جُنْدِ بغْدادَ وابنِ طاهِر في شَهْرِ رَمَضان، جاءُوا إليه يَطْلُبُونَ أرزَاقَهم، فقال: كتَبْتُ إلى أمير المُؤْمنينَ في ذلك فكتَبَ إليَّ: إنْ كنتَ تُريدُ [242 ب] /الجُنْدَ لنَفسِك فأعْطِهم [أرْزَاقَهم][ب]، وإنْ [كنتَ تُريدُهم][ب] لنا فلا حَاجَةَ لنا فيهم. فشَغَبُوا [عليه][ب]، ففَرَّق فيهم ألْفَي دِينارٍ فسَكَتُوا[2].

(أ) ص: فاستوهبت. (ب) إضافة من الكامل.

(1) الكامل في التاريخ 7: 168.

(2) المصدر نفسه 7: 169-170.

ثم اجْتَمَعُوا ثانيةً ومعهم الأعْلامُ والطُّبُولُ، وضَرَبُوا الخِيَامَ ببابِ الشَّمَّاسِيَّة وبَنَوا البُيُوتَ من الوَدِيِّ(أ) والقَصب، وجَمَعَ محمَّدٌ أصْحَابَه وشَحَنَ دَارَه بالرِّجَال، وأرَادُوا يومَ الجُمُعَة أنْ يَمْنَعُوا الخَطِيبَ من الدُّعَاءِ للمُعْتَزِّ، فقَعَدَ واعْتَذَرَ بالمَرَض، فخَرَجُوا إلى الجَسْرِ ليَقْطَعُوه، فقاتَلَهم أصْحَابُ ابنِ طاهر ودَفَعُوهم عنه. ثم دَفَعُوا أصْحَابَ ابنِ طَاهر بإعَانَةِ أهْلِ الجَانِب الشَّرْقي، ونَهَبَ العامَّةُ مَجْلِسَ الشُّرَط فأمَرَ ابنُ طاهر بإحْراقِ الحَوانيت إلى بابِ الجَسْرِ فأحْرِقَت، وحَالَتِ النَّارُ بينَ الفَرِيقَيْن ورَجَعَ الجُنْدُ إلى مُعَسْكَرِهم، وعَبَّأَ ابنُ طاهِر أصْحَابَه تَعْبِئَةَ الحَرْب، وجَاءَ مَن دَلَّه على عَوْرَة الجُنْد، فسَرَّحَ إليهم الشَّاهَ ابنَ مِيكال وغَيْرَه من القُوَّاد، فسَارَ إلى ناحِيَتِهم، وافْتَرقوا، وقُتِلَ رئيسُهمُ ابنُ الخليل، وحُمِلَ رئيسُهم الآخَرُ أبو القاسِم عَبْدُون ابنُ المُوَفَّقِ إلى ابنِ طاهرٍ فضُرِبَ ومَاتَ.

وفي خلال ذلك(1) خَلَعَ المُعْتَزُّ أخاهُ المُؤَيَّدَ من وِلايةِ العَهْد، وذلك أنَّ العَلاءَ بنَ أحمدَ عامِلَ أرْمِينيَّةَ بعَثَ على المُؤَيَّد بخَمْسةِ آلافِ دِينار، فأخَذَها عِيسى بنُ فَرْخَانْشَاه، فأغْرَى المُؤَيَّدُ بعيسى الأتْراكَ والمَغارِبةَ، فبَعَثَ المُعْتَزُّ إلى المُؤَيَّد وأبي أحمدَ فحَبَسَهُما وقَيَّدَ(ب) المُؤَيَّد وأخَذَ خَطَّه بخَلْعِ نَفْسِه. ثم نَمَا إليه أنَّ الأتْرَاكَ يَرُومونَ إخْراجَه من الحَبْس، فسَأل عن ذلك موسى بنَ بُغَا فأنكَرَ عِلْمَ ذلك، وأُخرِجَ المُؤَيَّدُ من الغَدِ مَيِّتًا ودَفَنَتْه أمُّه، فيُقَالُ: [غُطَّ](ج) على أنْفِه فماتَ،

(أ) ص: البودي. والوَدِيّ صغار الفسيل . (ب) ص: وقتل. (ج) في الأصول: غطي.

(1) الكامل في التاريخ 7: 170-171.

وقيل: أُقعِدَ في الثَّلْجِ ووُضِعَ على رَأسِه، ثم نُقِلَ أخُوه أبو أحمدَ إلى مَحْبِسِه[1].

ثم اعْتَزَمَ المُعْتَزُّ على قَتْلِ المُسْتَعِين، فكتَبَ إلى محمَّدِ بنِ عبد الله بن طَاهِر أنْ يُسَلِّمَه إلى سيما الخادِم، وكَتَبَ محمَّدٌ في ذلكَ إلى المُوَكَّلِينَ به بوَاسِطَ، ويُقالُ: بل أرْسَلَ بذلكَ أحمدَ بنَ طُولُون، فسَارَ به في القَاطُولِ وسلَّمه إلى سَعيدِ بن صَالِح، فضَرَبَه سَعيدٌ حتى مَاتَ، وقيل: ألْقَاهُ في دِجْلَةَ بحَجَرٍ في رِجْلِه، وكانت معَه دَابَّتُه فقُتِلَت معَهُ وحُمِلَ رَأسُه إلى المُعْتَزِّ فأمَرَ بدَفْنِه، وأمَرَ لسَعيدٍ بخَمْسِينَ ألفَ دِرْهم ووَلَّاه مَعُونَةَ البَصْرَة[2].

ثم وَقَعَت فِتْنَةٌ بينَ الأتْرَاك والمَغارِبَة مُسْتَهلَّ رَجَبٍ، بسببِ أنَّ الأتْرَاكَ وثَبُوا بعيسى بنِ فَرْخانْشَاه فضَرَبُوه وأخَذُوا دَابَّتَه لما أغْرَاهمُ / المُؤيَّد، فامْتَعَضَت المغارِبَةُ له [243أ] ونَكِرُوا على الأتْرَاكِ خَلْعَ الخُلَفَاء وقَتْلَهم، واجْتَمَعُوا إلى مُقَدَّمَيْهم: محمدِ بن راشد ونَصْرِ ابن سعيد، وثَارُوا بالأتْرَاكِ وغَلَبُوهم على الجَوْسَق، وأخَذُوا دَوَابَّهم ورَكِبُوها ومَلَكُوا بَيْتَ المال.

واسْتَجَاشَ الأتْرَاكُ بمن كان منهم في الكَرْخ والدُّور، وانْضَمَّ الغَوْغَاءُ والشَّاكِرِيَّةُ إلى المَغارِبَة، فضَعُفَ(أ) الأتْرَاكُ عن لِقَائِهم، وسَعَى بينَهم جَعْفَرُ بنُ عبد الوَاحِدِ في الصُّلْح، فتَوَادَعُوا أيَّامًا. ثم اجْتَمَعَ الأتْرَاكُ على حينِ افْتِرَاقٍ من المغارِبَة، فقَصَدَ محمَّدُ

(أ) ص: فضعفت.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 171-172.

(2) المصدر نفسه 7: 172-173.

ابنُ رَاشِد ونَصْرُ بنُ سَعيدٍ مَنْزلَ محمَّدِ بن عَوْنٍ يَخْتَفِيانِ عندَه حتّى تَسْكُنَ الهَيْعَة، فدَسَّ للأتْرَاك بخَبَرِهما وجاءوا فقَتَلُوهما في مَنْزِلِه، فبَلَغَ ذلك المُعْتَزَّ، فهَمَّ بقَتْلِ ابنِ عَوْن[أ] ثم نَفَاه[1].

أخْبَارُ مُسَاوِرٍ الخَارِجيّ

كان الوَالي على المَوْصِل عُقْبَةُ بنُ محمدِ بن جَعْفَرِ بن محمد بن الأشْعَثِ بن أهْبَان الخُزَاعيُّ، وكان صَاحِبَ الشُّرْطَة بالحَدِيثَةِ، من أعْمَالِها، حُسَيْنُ بنُ بُكَيْر، وكان مُسَاوِرُ بنُ عبدِ الله بن مُسَاوِرٍ البَجَلِيُّ، من الخَوَارِجِ، يسكُنُ بالبوازِيج، وحَبَسَ صَاحِبُ الشُّرْطَة حُسَيْنُ بنُ بُكَير بالحَدِيثَة ابنًا لمُسَاوِرٍ هذا يسمَّى حَوْثَرَة، وكان جَمِيلًا، فكَتَبَ إلى أبيهِ مُسَاوِر بأنَّ حُسَيْنَ بنَ بُكَيْر نَالَ منه الفَاحِشَة، فغَضِبَ لذلك وخَرَجَ وقَصَدَ الحَدِيثَة، فاخْتَفَى حُسَيْنُ، وأخْرَجَ ابنَه منَ الحَبْس[2].

ثم كَثُرَ جَمْعُه من الأكْرَادِ والأعْرَاب، وقَصَدَ المَوْصِلَ فقَاتَلَها أيَّامًا، ثم رَجَعَ فكان بخَنِيف[3] طَرِيقِ خُرَاسَان، وكانت لنَظَرِ بُنْدَارٍ ومُظَفَّرِ بنِ شَشَك[ب]، فسَارَ إليه بُنْدَارٌ في ثلاثِ مائة مُقَاتِل، والخَوَارِجُ مع مُسَاوِرٍ في سَبْعِ مائةٍ فهَزَمُوا بُنْدَارًا

(أ) الكامل في التاريخ: ابن غرون. (ب) الكامل في التاريخ: سيسل.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 173-174، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 370-371.

(2) المصدر نفسه 7: 174-175.

(3) الخَنِيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مَسيل الماء.

وقَتلوه، ولم يَنجُ منهم إلّا نحوُ خَمسينَ رجلًا، وفرَّ مُظفرٌ إلى بغْداد[1].

وجاءَ الخَوارجُ إلى جَلُولاءَ، وكانت بينَهم حَرْبٌ هلَكَ فيها من الجانِبينِ خَلْقٌ، ثم سَارَ خَطَرْمَش[أ] في العَسَاكِرِ فلَقِيهم بجَلُولَاءَ، وهَزَمَه مُسَاوِرٌ[2]. ثم اسْتَوْلَى مُسَاوِرٌ على أكثرِ أعْمالِ المَوْصِل، ثم وَلِيَ المَوْصِلَ أيُّوبُ بنُ أحمدَ بن عُمَر بن الخَطّاب التَّغْلِبيُّ سَنَةَ أربعٍ وخَمْسِين، فاسْتَخْلَفَ عليها ابنَه الحَسَن، فجَمع عَسْكرًا كان فيهم/ حَمْدُونُ بنُ الحارِث[ب] بنِ لُقْمَانَ جَدُّ الأمَرَاءِ من بني حَمْدَان، ومُحَمَّدُ بنُ عبدِ الله بن السَّيِّد بن أنَس، وسَارَ إلى مُسَاوِرٍ وعَبَرَ إليه نَهْرَ الزَّاب، فتَأخَّرَ عن مَوْضِعِه، وسَارَ الحَسَنُ في طَلَبِه فالْتَقَوا واقْتَتَلُوا وانْهَزَمَ عَسْكَرُ المَوْصِل، وقُتِلَ محمَّدُ ابنُ السَّيِّد الأزْدِيُّ، ونَجا الحَسَنُ بنُ أيُّوبَ إلى أعْمالِ إرْبِل[3]. [243 ب]

ثم كانت الفِتْنَةُ سَنَةَ خَمس وخَمْسِين، وخُلِعَ المُعْتَزُّ وبُويِعَ المُهْتَدِي، ووَلِيَ على المَوْصِل عبدُ الله بنُ سُلَيمان، فزَحَفَ إليه مُسَاوِرٌ، وخَامَ عبدُ الله عن لِقائِه، فَمَلَكَ مُسَاوِرٌ البَلَدَ، وأقَامَ بها جُمعَةً وصَلَّى وخَطَبَ، ثم خَرَجَ منها إلى الحَدِيثَة وكانت دَارَ هِجْرَتِه[4].

(أ) ص: حطرمش. (ب) في الكامل: حَمْدَان بن حَمْدُون.

(1) الكامل في التاريخ 7: 179.

(2) المصدر نفسه 7: 180.

(3) المصدر نفسه 7: 188.

(4) المصدر نفسه 7: 205؛ ويقارن مع تجارب الأمم 4: 385-386.

ثم انتقَضَ عليه سَنَةَ سِتٍّ وخمسين رَجُلٌ من الخوارج اسْمُه عُبَيْدَةُ بنُ زُهَيْرِ العُمَرِيُّ، بسَبَبِ الخِلافِ في تَوْبةِ المُخطِئ، وقال عُبَيْدَة: لا تُقْبَل. واجْتَمَع جماعَةٌ معه، وخَرَجَ إليهم مُساوِرٌ من الحَدِيثَة واقْتَتَلُوا قِتالًا شَدِيدًا، ثم قُتِلَ عُبَيْدَةُ وانْهَزَم أَصْحَابُه[أ][1]. وخرَجَ عليه آخَرُ من بني زُهَيْرٍ[ب] اسْمُه طَوْق، فَجَمَعَ له الحَسَنُ بنُ أيُّوبَ بنِ أحمدَ العَدوِيُّ جَمْعًا كثيرًا وحَارَبَه فقَاتَلَه سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسين[2].

واسْتَوْلى مُسَاوِرٌ على أكْثَرِ العِرَاق ومَنَعَ الأمْوالَ، فسَارَ إليه مُوسَى بنُ بُغَا وبَاكْبَاكُ[ج] في العَسَاكِرِ فانتَهَوا إلى السِّنِّ، وبلَغَهم خَبَرُ الأتْرَاك مع المُهْتَدي فأقَامُوا، ثُم رَجَعُوا لخَلْعِ المُهْتَدي.

فلمَّا وَلِيَ المُعْتَمِدُ سَيَّرَ مُفْلحًا إلى قِتَالِ مُسَاوِر في عَسْكَرٍ كبيرٍ، وخَرَجَ مُسَاوِرٌ عن الحَدِيثَة إلى جَبَلَيْنِ حِذَاءَها، وقَابَلَه مُفْلِحٌ في أتْبَاعه، ولَحِقَ الجَبَلَ فاعْتَصَمَ به وأقَامَ مُفْلِحٌ في حِصَارِه، فكانت بينَهما وَقَعاتٌ، وكَثُرَت الجِرَاحَةُ في أصْحَابِ مُسَاوِرٍ من لَدُنْ حَرْبِه مع عُبَيْدَةَ إلى هذه الحُرُوب، فسَارَ عن الجَبَل وتَرَكَه، فأصْبَحَ مُفْلِحٌ وقد فَقَدَهُم، فسَارَ إلى المَوْصِل ثم إلى دِيَارِ رَبِيعَةَ وسِنْجَارَ ونَصِيبِينَ والخَابُور، فأصْلَحَ أمُورَها، وخرَجَ من المَوْصِل إلى الحَدِيثَة ففَارَقَها مُسَاوِرٌ، وسَارَ ومُفْلِحٌ في اتِّبَاعِه وتَوَغَّلَ في الجِبَال والمَضَائق، وشَقَّ على العَسْكر، فرجعوا

(أ) ساقطة من ظ. (ب) النسخ: زهر، والتصويب من الكامل. (ج) النسخ: بابكياك.

(1) الكامل في التاريخ 7: 226.

(2) المصدر نفسه 7: 249.

عنه، فرَجَعَ مُسَاوِرٌ في اتِّبَاعِهِم يتخَطَّفُ مِن أعقَابِهِم ويُقَاتِلُهم حتى وَصَلَ الحَدِيثَة، [244 أ] /فأقامَ بها أيَّامًا، ثم سَارَ إلى بَغْدَاد في رَمَضَان سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِين، فرَجَعَ مُسَاوِرٌ إلى الحَدِيثَة واسْتَوْلَى على البِلاد، واشْتَدَّت شَوْكَتُه، ثم أوْقَعَ به مَسْرُورٌ البَلْخِيُّ سَنَةَ ثَمانٍ وخَمْسين، وجَمَّرَ العَسْكَرَ بالحَدِيثَة مَعَ جعْلانَ، من قُوَّادِ التُّرْك، ثم قَتَلَ سَنَةَ إحْدى وستينَ يحيى بنَ جَعْفَرٍ من وُلاةِ خُرَاسَان، وسَارَ مَسْرُورٌ في طَلَبِه وتَبِعَه المُوَفَّقُ فلم يُدْرِكاه.

مَقْتَلُ وَصِيفٍ ثُمَّ بُغَا

وفي سنَةِ ثَلاثٍ وخَمْسين أيَّامَ المُعْتَزِّ اجْتَمَعَ الجُنْدُ من الأَتْرَاكِ والفَرَاغِنَة والأَشْروسَنِيَّةِ فطَلَبُوا أرزَاقَهم لأربعةِ أشهرٍ وشَغَبُوا، فخَرَجَ إليهم بُغَا ووَصِيفٌ وسيما الطَّوِيلُ، وكَلَّمَهم وَصِيفٌ واعْتَذَرَ بعَدَمِ المالِ، وقال: خُذُوا الزَّابَ في أرْزَاقِكم. ونَزَلُوا بدَارِ أشْنَاسَ يَتناظَرُونَ في ذلك، ومَضَى بُغَا وسيما إلى المُعْتَزِّ يَسْألانِهِ في أمْرِهِم، وبَقِيَ وَصِيفٌ في أيْدِيهم، فوَثَبَ عليه بعضُهم فقَتَلَه وقَطَعُوا رَأْسَه ونَصَبُوه، وأهْدَرَ لهم ذلك، ثم انقادوا، وجَعَلَ المُعْتَزُّ لبُغَا الشَّرَابِيِّ ما كان لوَصِيف، وألْبَسَه التَّاجَ والوِشَاحَين، ثم تَغَيَّرَ له المُعْتَزُّ لما كان عليه من الاسْتِبْدَاد على الدَّوْلَة، وخَشِيَ غَائِلَته ومَالَ باطِنًا على باكْبَاك(أ) ودَاخَلَهُ في أمْرِه واعْتَدَّا لذلك(1).

(أ) النسخ: بابلياك.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 178-179؛ ويقارن مع تجارب الأمم 4: 374.

ثم زَوَّجَ بُغَا بنتَهُ آمِنَةَ من صَالِح بنِ وَصِيفٍ وشُغِلَ بجَهَازِها، فرَكِبَ المُعْتَزُّ في تلك الغَفْلَة ومَعَه حَمْدَانُ بنُ إسرائيلَ إلى باكُبَاكَ(أ) في كَرْخِ سَامَرَّاء، وكانت بينه وبينَ بُغَا وَحْشَةٌ شَدِيدَةٌ، وبَلَغَ ذلك بُغَا فرَكِبَ في خَمسِ مائةٍ من غِلْمَانِه ووَلَدِه وقُوَّادِه، وكان أكثَرُهم مُنْحَرِفِينَ عنه، ولَحِقَ بالسِّنِّ، وأقَامَ المُعْتَزُّ على وَجَلٍ لا يَنَامُ إلَّا بسِلاحِه، ثم تَعَلَّلَ أصْحَابُ بُغَا عليه فانْحَبَسَ عنهم ورَكِبَ البَحْرَ رَاجِعًا إلى بَغْدَاد، وجَاءَ الجَسْرَ ليلًا، ففَطِنَ له المُوَكَّلُونَ هُنالِكَ، وبَعَثُوا إلى المُعْتَزِّ بخَبَرِه، فأمَرَ بقَتْلِه وحُمِلَ إليه رَأسُه، ونُصِبَ بسَامَرَّاءَ وأحْرَقَتِ المَغَارِبَةُ شِلْوَهُ، وكان قَصَدَ دَارَ صَالِح ابنِ وَصِيفٍ ليَثِبُوا على المُعْتَزِّ(1).

ابتداءُ دَوْلَة الصَّفَّار(2)

/ كان يَعْقُوبُ بنُ اللَّيث وأخوه عَمْرو يَعملانِ الصُّفْرَ بسِجِسْتَان، وكان [244 ب]
صَالِحُ بنُ النَّضر الكِنَانِيُّ، من أهْلِ بُسْت، قد ظَهَرَ بتلك النَّاحِيَة وقَامَ بقِتالِ

(أ) النسخ: بابلياك.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 186-187، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 376-378.

(2) الدولة الصَّفَّارية . أسْرَة حاكمة حكمت في شَرْق بلاد فارس في إقليم سِجِسْتَان، بين سنتي 247-393هـ/861-1003م. يراجع في أخبارها إضافة إلى تواريخ الطبري والمسعودي ترجمة مؤسسها يعقوب الصَّفَّار في وفيات الأعيان 6: 402-432، وكذلك تاريخ سستان المجهول المؤلف الذي نشره محمد صالح بهار في طهران سنة 1314هـ/1935م، ومن الدراسات الحديثة C.H. BOSWORTH, The History of the Saffarids of Sistan and the Maliks of Nimruz, (247/861-949/1542-3), New York 1994 ، ومقاله في دائرة المعارف الإسلامية C.E. BOSWORTH, *EI*² art. *Saffârides* VIII, pp. 822-25

الخَوارِج، وسَمّى أصْحابه المُتطوِّعَة، حتى قيلَ له: صَالِحٌ المُطوِّعِيّ، وصَحِبَه جَماعَةٌ، منهم: دِرْهَمُ بنُ الحَسَن، ويَعْقوبُ بنُ اللَّيْثِ هذا، وغَلَبُوا على سِجِسْتان، ثم أخْرَجَهُم عنها طَاهِرُ بنُ عبدِ الله أميرُ خُرَاسَان. وهلَكَ صَالِحٌ إثْرَ ذلك، وقَامَ بأمْرِه في المُتطوِّعَة[أ] دِرْهَمُ بنُ الحَسَنِ فكَثُرَ أتْبَاعُه، وكان يَعْقُوبُ بنُ اللَّيْثِ قَائِدَه، وكان دِرْهَمٌ مضعّفًا، واختَال صَاحِبُ خُرَاسَانَ حتى ظَفِرَ به وحُبِسَ ببَغْدَاد، فاجتَمع المتطوِّعَةُ على يَعْقُوبَ بنِ اللَّيْث، وقَامَ بقِتَالِ الشُّرَاة وأُتِيحَ له الظَّفَرُ عليهم، فأثْخَن فيهم وخَرَّب قُرَاهُم، وكانت له سِيرةٌ في أصْحَابِه لم تكن لأحدٍ قبْلَه، فَحَسُنَت طَاعَتُهم له وعَظُمَ أمْرُه، وملَكَ سِجِسْتَانَ مُظهِرًا طَاعَةَ الخَليفَة، وكاتَبه وقَلَّده حَرْبَ الشُّرَاة، فأحْسَنَ الغَنَاء فيه وتَجاوَزَه إلى سَائِرِ أبْوَابِ الأمْر بالمَعْروف والنَّهْي عن المُنْكَر[1].

ثم سَارَ من سِجِسْتَانَ إلى نَوَاحِي [هَرَاةَ من][ب] خُرَاسَان، وعليها يومئذٍ مُحَمَّدُ ابنُ طَاهِرِ بنِ عبدِ الله بن طَاهِر، وعلى هَرَاةَ من قِبَلِه مُحَمَّدُ بنُ أوْسٍ الأنْبَارِيُّ، فَجَمَعَ لمُحَارَبَة يَعْقُوبَ وسَارَ إليهم في التَّعْبِئَة، فاقْتَتَلُوا، وانْهَزَم ابنُ أوْس، وملَكَ يَعْقُوبُ هَرَاةَ وبُوشَنْج، وعَظُمَ أمْرُه وهَابَه صَاحِبُ خُرَاسَانَ وغيرِها من الأطْرَاف[2].

وكان المُعْتَزّ قد كَتَبَ له بوِلايَة سِجِسْتَان، فكَتَب له الآنَ بولايَة كَرْمَان. وكان يومئذٍ على فَارِسَ عليُّ بنُ الحُسَيْن بن مُنيل، وأبْطأ بحَمْلِ الخَرَاج واعْتَذَر، فكَتَبَ

(أ) ص: قام بأمر المتطوعة. (ب) إضافة من الكامل.

(1) الكامل في التاريخ 7: 181-185.

(2) المصدر نفسه 7: 185.

له[أ] المُعْتَزّ بِولايةِ كَرْمان يُريدُ إغْراءَ كلٍّ منهما بصَاحِبِه، لأنَّ طاعَتَهما كانت مُمْرَضَة، فأرْسَلَ عليُّ بنُ الحُسَيْن من فارسَ طَوْق بنَ المُغَلِّس خَلِيفَةً على كَرْمان، وسَارَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ من سِجِسْتَانَ، فسَبَقه طَوْقٌ واسْتَوْلَى عليها، وأقَامَ يَعْقُوبُ بمكانِه قَريبًا منها يتَرَقَّبُ خُرُوجَ طَوْقٍ إليه[1].

وبعد شَهْرَين ارْتَحَل إلى سِجِسْتَان، فوَضَعَ طَوْقٌ أوْزَارَ الحَرْب وأقْبَلَ على /اللَّهْو، واتَّصَلَ ذلك بيَعْقُوبَ في طَرِيقِه، فكَرَّ رَاجِعًا وأغَذَّ السيرَ، فصَابَحَهُ بعدَ يومينِ، [245 أ] ورَكِبَ أصْحَابُه وقد أُحِيطَ بهم ففَرُّوا ناجِينَ بأنْفُسِهم، ومَلَكَ يَعْقُوبُ كَرْمَانَ وحَبَسَ طَوْقًا، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى عليِّ بن الحُسَيْن وهُو على شِيرَاز، فَجَمَعَ جَيْشَه ونَزَلَ مَضِيقَ[ب] شِيرَاز، وأقْبَلَ عليه[ج] يَعْقُوبُ حتى نَزَلَ قُبالَتَه، والمَضِيقُ مُتوَعِّرٌ بين جَبَلٍ ونَهْرٍ ضَيِّقِ المَسْلَكِ بينَهما، فاقْتَحَمَ يَعْقُوبُ النَّهْرَ بأصْحَابِه وأجَازَ إلى عليِّ بن الحُسَيْن وأصْحَابِه فانْهَزَمُوا، وأخِذ عليٌّ أسِيرًا، واسْتَوْلى على جَميع عَسْكرِه، ودَخَلَ شِيرَازَ ومَلَكَها، وجَبَى الخَرَاجَ ورَجَعَ إلى سِجِسْتَان، *وذلك سَنَة خَمْسٍ وخَمْسِين*[د][2].

ويُقَالُ: بل وَقَعَ بينَهما بعدَ عُبُور النَّهْر حَرْبٌ شَدِيدةٌ[هـ] انْهَزَمَ آخِرَها عليٌّ، وكان عَسْكَرُه نحوًا من خَمْسَةَ عَشَرَ ألفًا من المَوَالي والأكْرَاد، ورَجَعُوا مُنْهَزِمينَ إلى شِيرَاز آخِرَ يومِهم وازْدَحَمُوا في الأبْوَاب، وافْتَرَقُوا في نَوَاحِي فارِسَ وانْتَهَوا إلى

(أ) ظ: إليه. (ب) في الكامل: مضيقًا خارج شيراز. (ج) ح: إليه. (د) سقط من ح. (هـ) ظ: شديد.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 191.
(2) المصدر نفسه 7: 194.

الأَهْوَاز، وبَلَغَ القَتْلَى منهم خَمْسَةَ آلاف، ولمَّا دَخَلَ يَعْقُوبُ شِيرَازَ ومَلَكَ فَارِسَ امْتُحِنَ عليٌّ، وأُخِذَ منه ألفُ بَدْرَة، ومِنَ الفَرْشِ والسِّلاح والآلَة ما لا يُحَدُّ، وكَتَبَ إلى الخَلِيفَةِ بطَاعَتِه، وأَهْدَى هَدِيَّةً جَليلَةً يُقَالُ: منها عَشر بُزاةٍ بِيض وبازٌ أَبْلَقُ صِينيٌّ ومائَةُ نافِجَةٍ من المِسْكِ وغيرُ ذلك من الطُّرَف، ورَجَعَ إلى سِجِسْتان ومعَهُ عليٌّ وطَوْقٌ في اعْتِقَالِه، ثم اسْتَعَادَ الخَليفَةُ بعد ذلك فارِسَ وبَعَثَ عُمَّالَه إليها(ب)[1].

ابْتِداءُ دَوْلَةِ ابنِ طُولُونَ بِمِصْر

كان باكْباكُ(أ) من أكابِرِ قُوَّادِ الأتْراك مع بُغَا ووَصِيف وسِيما الطَّوِيلِ، ولمَّا حَدَثَت هذه الفِتَنُ وتغَلَّبُوا على الخُلَفَاءِ أخَذُوا الأعْمَالَ والنَّوَاحِيَ في إقْطَاعَاتِهم، فأقْطَعَ المُعْتَزُّ باكْبَاكَ(أ) هذا أعْمَالَ مصرَ وبها يومَئِذٍ ابنُ مُدَبِّر، وكان باكْبَاكُ مُقيمًا بالحَضْرَة، [245 ب] فنظَر فيمن يَسْتَخْلِفُه عليها، وكان أحمدُ بنُ طُولُونَ من أبْنَاءِ/ الأتْراك وأبوه من سَبْي فَرْغانَة ورُبِّيَ في دَارِ الخُلَفَاء، ونَشَأَ ابنُه أحمدُ بها على طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَة، فوصَفَ لبَاكْبَاكَ حَالَه، وأُشِيرَ عليه بتَوْلِيَتِه، فبَعَثَه إلى مصْرَ فاسْتَوْلَى عليها أوَّلًا دون أعْمالِها والإسْكَنْدَرية، ثم قَتَلَ المُهْتَدِي باكْبَاكَ وصَارَت مصْرُ في إقْطَاع يَازْجُوجِ التُّرْكيِّ، وكانت بينَه وبينَ أحمدَ بنِ طُولُونَ مَوَدَّةٌ مُتَأكِّدَة، فكَتَبَ إليه واسْتَخْلَفَه على مصرَ

(أ) النسخ: باكباك. (ب) ح: عليها.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 194-195.

جَمِيعِها، ورَسَخَت قَدَمُه فيها وأَصَارَها تُراثًا لبَنِيه، فكانت لهم فيها الدَّوْلَةُ المَعْرُوفَة[1].

اسْتِقْدامُ سُلَيْمانَ بنِ طَاهِرٍ لوِلايَةِ بَغْدَاد

قد تقَدَّمَ لنا أنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ الله بن طَاهِرِ بن الحُسَيْن كان على العِرَاقِ والسَّوَاد، وكانت له الشُّرْطَةُ وغيرُها، وكان مُقِيمًا ببَغْدَاد، وكان له في المُدَافَعَة عن المُسْتَعِين لمَّا لجأَ إليه، ثم في صُلْحِ ما بَيْنَه وبينَ المُعْتَزِّ، واسْتِقْلالِ المُعْتَزِّ بالخِلافَة، الآثارُ المَذْكُورَة، ثم هَلَكَ آخِرَ سَنَة ثلاثٍ وخمسينَ أيَّامَ المُعْتَزِّ، وفَوَّضَ ما كان بيدِه من الوِلايَة إلى أخِيه عُبَيْدِ الله، ونازَعَه ابنُه طَاهِرٌ في الصَّلاةِ عليه، ومَالَتِ العَامَّةُ مع أَصْحَاب طَاهِرٍ، والقُوَّادُ مع عُبَيْدِ الله لوَصِيَّة أخِيه، ثم أَمْضَى المُعْتَزُّ عَهْدَ أخِيه وخَلَعَ عليه، وبذَلَ لحامِلي الخِلَع خَمْسِينَ ألْفَ دِرْهَم.

ثم بَعَثَ المُعْتَزُّ عن سُلَيْمانَ بنِ عبدِ الله بن طَاهِرٍ من خُرَاسَان، ووَلَّاه على العِرَاقِ والشُّرْطَة وغيرِها مَكانَ أخيه محمَّد، وعَزَلَ أخَاهُما عُبَيْدَ الله، فلمَّا عَلِمَ عُبَيْدُ الله بقُدُومِ[ا] سُلَيْمانَ أخَذَ ما في بَيْتِ المَال وانْتَقَلَ إلى غَرْبِيِّ دِجْلَة، وجَاءَ سُلَيْمانُ وقَائِدُه محمَّدُ بنُ أَوْس ومعَه جُنْدٌ من خُرَاسَان، فأساءوا السِّيرَةَ في أَهْلِ بَغْدَاد، فخَنِقَ النَّاسُ عليهم وأعْطَى أرْزَاقَهم ممَّا بَقِيَ في بَيْتِ المَال، وقَدَّمَهم على جُنْدِ

(ا) ص: تقدم.

(1) الكامل في التاريخ 7: 187-188، وينظر عن الدَّوْلَة الطُّولونية التي حكمت مصر بين سنتي 254-292هـ، المقريزي: المواعظ والاعتبار 2: 83-112 وما ذكر من مراجع في 2 : 83 الحاشية 1.

بَغْدَادَ وشاكريّتِها، فاتَّفَقَ الجُنْدُ على الثَّوْرَة وفَتَقُوا السُّجُونَ، وعَبَرَ ابنُ أوْس إلى الجَزِيرَة واتَّبَعَه الجُنْدُ والعَامَّةُ، فَحَارَبَهم وانْهَزَمَ، وأخْرَجُوه من بَابِ [246 أ] الشَّمَّاسِيَّة، ونُهِبَ من مَنْزِله [قيمةُ][أ] ألْفَيْ ألْفِ/ دِرْهم، ومن الأمْتِعَة ما لا يُحْصَر، ونُهِبَت مَنَازِلُ جُنْدِه[1].

ورَأى سُلَيْمانُ أن يُسَكِّنَ الثَّائِرَةَ فأمَرَه بالخُرُوج إلى خُرَاسَان، فأقَامَ بالنَّهْرَوَان يَنْهَبُ ويُفْسِد، وكَتَبَ له بَاكْبَاكُ بولايَةِ طَرِيقِ خُرَاسَان، ثم كانتِ الفِتْنَةُ في خَلْعِ المُعْتَزّ ووِلايَةِ المُهْتَدِي كما نَذْكُره، وبَعَثَ المُهْتَدي سَلْخَ رَجَبٍ من سَنَة خَمْسٍ وخَمْسينَ إلى سُلَيْمانَ بأخذِ البَيْعَة له ببَغْدَاد، وكان أبو أحمَدَ بنُ المُتَوَكِّل ببَغْدَادَ قد بعَثَه إليها المُعْتَزّ، فنقَلَه سُلَيْمانُ إلى دَارِه، ووثَبَ الجُنْدُ والعَامَّةُ لذلك واجْتَمَعُوا ببَابِ سُلَيْمان، وقاتَلَهم أصْحَابُه مَلِيًّا، ثم انْصَرَفُوا وخُطِبَ من الغَدِ للمُعْتَزّ فسَكَنُوا، ثم ثَارُوا ودَعَوْا إلى بَيْعَةِ أبي أحمد، وطَلَبُوا رُؤْيَته فأظْهَرَهُ لهم ووَعَدَهُم بما طَلَبُوا، فافْتَرَقُوا، ووَكَّلَ بحِفْظِ أبي أحمد، ثم بايَعَ للمُهْتَدِي في شَعْبَانَ من تلك السَّنَة[2].

(أ) من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 201-202.

(2) المصدر نفسه 2: 202-203.

خَبَرُ كَرَج[أ](1) أصْبَهَانَ وأبي دُلَف

قد تقدَّمَ لنا شأنُ أبي دُلَف أيَّامَ المأمون، وأنَّه كان مُقيمًا بكَرَجِه[أ]، وأنَّ المأمونَ عَفَا *له عمَّا*[ب] وقَعَ منه في القُعُود [عن نَصْرِه، وأقَامَ بتلك النَّاحِيَة وهَلَكَ، فقَامَ ابنُه عبدُ العَزيز مَكانَه. ولمَّا كانت][ج] أيَّامُ الفِتْنَة تَمسَّك بطَاعَة المُسْتَعِين، [ووَلِيَ وَصِيفٌ على الجَبَلِ وأصْبَهَان، فكَتَبَ إلى عبدِ العَزيز باسْتِخْلافِه عليها وبَعَث إليه بالخِلَع][د]، وعقَدَ المُعْتَزُّ لمُوسَى بنِ بُغَا الكَبير في شَهْرِ رَجَبٍ من سَنَةِ ثَلاثٍ وخَمْسين على الجَبَل وأصْبَهَان، فسَارَ لذلك، وفي مُقَدِّمَتِه مُفْلِح، فلَقِيه عبدُ العزيز بنُ أبي دُلَف في عِشْرِينَ ألْفًا خَـارِجَ هَمَذَان، فتَحَارَبا وانْهَزَم عبدُ العَزيز *وقُتِلَ أصْحَابُه، وسَارَ مُفْلِحٌ إلى الكَرَج، فَخَرَجَ إليه عبدُ العَزيز*[هـ] وقَاتَلَه ثَانِيَةً، فانْهَزَمَ واسْتَوْلَى مُفْلِحٌ على الكَرَج[و]، ومَضَى عبدُ العَزيز إلى قَلْعَةِ لَهَاوُون، فتَحصَّنَ بها، وأخَذَ مُفْلِحٌ أهْلَهُ وأمَّه(2).

(أ) وردت في الأصول محملة. (ب) ساقطة من ح. (ج) من ح، وفي ظ : في القعود أيام النينه (محملة). (د) من ح، وسقطت من ظ . (هـ) سقط من ح. (و) ح: الكرخ.

(1) الكَرَج. مَدِينَةٌ بين هَمَذان وأصْبَهَان في نِصْف الطَّريق وإلى هَمَذَان أقرب. أوَّلُ من مَصَّرَها أبو دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ وجَعَلَها وطَنَه (ياقوت: معجم البلدان 4: 446) .

(2) الكامل في التاريخ 7: 178.

ثم عَقَدَ له وَصِيفٌ سَنَةَ ثنتينِ وخَمسينَ على أعْمالِ الجبَلِ[1]، ثم عَقَدَ لمُوسَى ابنِ بُغَا، فسَارَ و[أ] في مُقَدِّمَتِه مُفلِحٌ، فقَاتَلَه عبدُ العَزيز فانْهَزم، وملَكَ مُفْلِحٌ الكَرَجَ وأخَذَ مَالَه وعِيَالَه. ثم هَلَكَ عبدُ العَزيز وقَام مَكانَه ابنُه دُلَف، وقَاتَلَه[ب] القَاسِمُ بنُ مَهاه من أهَالي أصْبَهَان، ثم قَتَلَ القَاسِمُ أصْحَابَ دُلَف ووَلَّوا أخَاه / أحمَدَ بنَ عبدِ العَزيز سَنَةَ خَمسٍ وسِتِّين[2]، ووَلَّاهُ عَمْرٌو الصَّفَّارُ من قِبَلِه على أصْبَهَان عندما وَلَّاه عليها المُعْتَمِدُ سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّين، وحَارَبَه ابنُ كَيْغَلَغ التُّركيُّ سَنَةَ سَبع وسِتِّين، فغَلَبَه أحمَدُ وأخْرَجَه إلى الصَّيمَرَة، وبعَثَ إليه عَمْرٌو سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّينَ في المَالِ فبَعَثَ به إليه. ثم سَارَ المُوَفَّقُ سَنَةَ ستٍّ وسَبْعين يُريدُ أحمَدَ بأصْبَهَان، فتَنَحَّى له أحمَدُ عن البَلَد وتَرَكَ دَارَه بفَرْشِها لنُزلِ المُوَفَّق، ثم مَاتَ أحمَدُ سَنَةَ ثَمانين، ووَلِيَ أخوه عَمْرٌو، وأخوه بَكْرٌ يُرَادِفُه[ج]، وقَاتَلُوا رَافِعَ بنَ اللَّيث بأمْرِ المُعْتَضِد فهَزَمَهُما كما يأتي ذِكْرُه. ثم قَلَّدَ المُعْتَضِدُ أصْبَهَانَ ونَهاوَنْدَ والكَرَجَ[د] عُمَرَ بنَ عبدِ العَزيز سَنَةَ إحْدَى وثَمانين، وانْتَقَضا سنةَ ثلاثٍ وثمانين، ثم رَاجَعا الطَّاعَةَ[3]. 246 ب]

خَلْعُ المُعْتَزِ ومَوْتُه، وبَيْعَةُ المُهْتَدِي

كان صَالِحُ بنُ وَصِيفٍ مُتَغَلِّبًا على المُعْتَزِّ، وكان كاتِبَه ووَزِيرَه أحمَدُ بنُ

(أ) سقط حرف العطف من ح. (ب) ح: وقتله. (ج) في ح: براذفعه. (د) ح: الكرخ ومهملة في ظ.

(1) الكامل في التاريخ 7: 176.

(2) المصدر نفسه 7: 327.

(3) المصدر نفسه 7: 361-362، 436، 461، 467.

إسْرائيل، وأمُّه قَبِيحة، ووَزِيرُها الحَسَنُ بنُ مَخْلد. وكان أبو نُوح عِيَسى بنُ إبراهيمَ من كِبَارِ الكُتَّاب وجُبَاةِ الأمْوَال، وطَلَبَ الأتْرَاكُ أرزَاقَهم وشَغَبُوا، فقال صَالِحٌ للمُعْتَزِّ: هذه الأمْوَالُ قد ذَهَب بها الكُتَّابُ والوُزَراءُ، وليس في بَيْتِ المال شيءٌ، فرَدَّ عليه أحمدُ بنُ إسْرائيل وأفحَشَ في رَدِّه، وتَقَاوَضَا في الكَلام فسَقَط صَالِحٌ مَغْشِيًّا عليه، وتبادَرَ أصْحَابُه بالبَاب فدَخَلُوا مُنتَضِينَ سُيُوفَهم فدَخَل إلى قَصْرِه، وأمَرَ صَالِحٌ بالوُزَراءِ الثَّلاثَة فقُيِّدُوا، وشَفَعَ المُعْتَزُّ في أحْمَدَ وَزِيرِه فلم يَقْبَلْ شَفَاعَتَه، وصادَرَهُم على مالٍ جَليلٍ حَمَلُوه فلم يُجْدِ شيئًا. ولمَّا فَعَلُوا بالكُتَّابِ ما فَعَلُوه من المُصَادَرَة اتَّهَمَ الجُنْدَ والأتْرَاكَ أنَّهم حَصَلُوا على مَالٍ ولم يكنْ ذلك، فشَغَبُوا في طَلَبِ أرْزَاقِهم وضَمِنُوا للمُعْتَزِّ قَتْلَ صَالح بنِ وَصِيف على خَمْسِينَ ألْفًا يَبْذُلُها لهم، وسَألَها من أمِّه فاعْتَذَرَت، فاتَّفَقَت كَلِمَتُهم على خَلْعِه.

ودَخَلَ إليه صَالِحُ بنُ وَصِيف ومحمَّدُ بنُ بُغَا المعروفُ بأبي نَصْرٍ وباكْبَاكُ (أ)، وطَلَبُوه في الخُرُوج إليهم، فاعْتَذَر بالدَّوَاء، وأذِنَ لبَعْضِهم في الدُّخُول، فَدَخلُوا، وجَرُّوه إلى البَابِ وضَرَبُوه، وأقامُوا في الشَّمْس في صَحْنِ / الدَّار، وكلَّما مَرَّ به أحَدٌ [247أ] منهم لَطَمَه، ثم أحْضَرُوا القَاضِيَ ابنَ أبي الشَّوَارِب في جَمَاعَةٍ فأشْهَدَهُم على خَلْعِه، وعلى صَالح بنِ وَصِيف بأمَانِه وأمَانِ أمِّه وأخْتِه ووَلَدِه، وفَرَّت أمُّهُ قَبيحَةُ من سَرَبٍ كانت اتَّخذَتْه بالدَّار، ثم عَذَّبُوا المُعْتَزَّ، ثم جَعَلُوهُ في سِرْدابٍ وطَمُّوا عليه، وأشْهَدُوا على مَوْتِه بني هَاشِمٍ والقُوَّادَ، وذلك آخِرَ رَجَبٍ من سَنَة خَمْسٍ وخَمْسِين، وبايَعُوا لمحَمَّدِ ابن عَمِّه الوَاثِق، ولَقَّبُوه المُهْتَدِيَ بالله عندما خَلَعَ المُعْتَزُّ نَفْسَه وأقَرَّ بالعَجْزِ

(أ) النسخ: باكياك.

والرَّغبَة في تَسليمِها إلى المُهتَدِي، فبَايَعه الخَاصَّةُ والعَامَّةُ[1].

وكانت قَبِيحَةُ أمُّ المُعتَزِّ لمَّا فَعَلَ صَالحٌ بالكُتَّاب ما فَعَلَ قد واطأَتْ نَفَرًا منهم على الفَتْكِ بصَالِح، ونَمَا ذلك إليه، فجَمَعَ الأتْرَاكَ على الثَّوْرَة، وأيقَنَت قَبِيحَة بالهَلاكِ فأوْدَعَت ما في الخَزَائِن من الأمْوَالِ والجَوَاهِر، وحَفَرَت سَرَبًا في حُجْرَتِها خَرَجَت منه عندما أُحِيطَ بالمُعتَزِّ، ولمَّا قُتِلَ خَشِيَتْ على نَفْسِها فبَعَثَت إلى صَالِح تَسْتَأمِنُه فأحْضَرَها في رَمَضَانَ وظَفِرَ منها بخَمْسِمائة أَلْفِ دِينار، وعَثَرَ لها على خَزَائِنَ تحت الأرْض فيها أَلْفُ أَلْفِ دِينَار وثَلاثُ مائةِ أَلْفِ دِينار، ومِقْدَارُ مَكّوكٍ من الزُّمُرّدِ لم يُرَ مِثْلُه، ومِقْدَارُ مَكّوكٍ آخرَ من اللُّؤْلُؤِ العَظِيم، ومِلْءُ جِرابٍ من اليَاقُوتِ الأحْمَر القَليلِ النَّظِير. وذَمَّهَا النَّاسُ بأنَّها عَرَّضَت ابنَها للقَتْلِ في خَمْسِينَ أَلْفَ دِينارٍ ومَعَها هذا المَالُ، ثم سَارَت إلى مَكَّة فأقَامَت هُنَالِك[2].

وقبَضَ صَالحٌ على أحْمَدَ بنِ إسْرائيلَ وَزِيرِ المُعتَزِّ وعَذَّبه وصَادَرَه، ثم قَبَضَ على أبي نُوح وفَعَلَ به مِثْلَه، وقَبَضَ على الحَسَنِ بن مَخْلَدٍ كذلك ولم يَمُتْ، وبلَغَ المُهتَدِي ذلك فنَكَرَه وقال: كان الحَبْسُ كافِيًا في العُقُوبَة[3].

ولأوَّل ولايَة المُهتَدِي أخْرَجَ القِيَانَ والمُغَنِّينَ من سَامَرَّاءَ ونَفَاهُم عنها، وأمَرَ بقَتْلِ السِّبَاع التي كانت في دَارِ السُّلْطان، وطَرْد الكِلابِ، ورَدَّ المَظَالِمَ وجَلَسَ للعَامَّة، وكانت الفِتَنُ قائِمَةً، والدَّوْلَةُ مُضْطَرِبة، فشَمَّرَ لإصْلاحِها، لو أُمْهِل، واسْتَوْزَر

(1) الكامل في التاريخ 7: 195-196.

(2) المصدر نفسه 7: 199-200.

(3) المصدر نفسه 7: 201.

سُلَيمانَ بنَ وَهْبٍ، وغَلَب على أمْرِه صَالحُ بنُ وَصِيف وقَامَ بالدَّوْلَة(1).

مَسيرُ مُوسَى بنِ / بُغَا إلى سَامَرَّاء، ومَقْتَلُ صَالحِ بنِ وَصِيفٍ [247 ب]

كان مُوسَى بنُ بُغَا غَائِبًا بنَوَاحِي الرَّيِّ وأصْبَهانَ منذُ وَلَّاهُ المُعْتزُّ عليها سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمْسين، ومَعَه مُفْلحٌ غُلامُ أبي السَّاج، وكانت قَبيحَةُ أمُّ المُعْتزِّ لمَّا رَأَتِ اضطِرَابَ أمُورِه كتبَت إلى مُوسَى تَستقْدِمُه قبْلَ أنْ يَفُوتَ في المُعْتزِّ أمرٌ، فجَاءَه كِتابُها وقد بَعَثَ مُفْلِحًا لحَرْبِ الحَسَن بن زَيْدٍ العَلَوِيِّ بطَبَرِسْتَان، فغَلَبَه وأحْرَقَ قُصُورَهُ بآمُلَ وخَرَجَ في اتِّبَاعِه إلى الدَّيْلَم، فكتَبَ إليه مُوسَى بالرُّجُوع لِمَا أهَمَّه من شَأنِ المُعْتزِّ، فرَجَع، وبينَا هو في استِقْدَامِه وانتِظَارِه قُتِلَ المُعْتزُّ وبُويعَ المُهْتَدِي، وبَلَغَ أصْحَابَه ما حَوَاهُ صَالحٌ من أمْوَال المُعْتزِّ وكُتَّابِه وأُمِّه، فشَرِهُوا إلى مِثْلِ ذلك، وأغْرَوا مُوسَى بالمَسِير إلى سَامَرَّاء.

ورَجَعَ مُفْلِحٌ من بلادِ الدَّيْلَم إليه وهو بالرَّيِّ، فسَارَ نحو سَامَرَّاء، وسَمِعَ المُهْتَدِي بذلك فكتَب إليه بالمُقَام بالرَّيِّ ويُحَذِّرُهُ على ما ورَاءَه من العَلَوِيِّين، فلم يُصْغِ لذلك، وأفحَشَ أصْحَابُه في الإسَاءَة على الرُّسُل الوَاصِلين بالكِتَاب، فكتَبَ بالاعْتِذَارِ واحْتَجَّ بما عايَنَه الرُّسُلُ، وأنَّه يَخْشَى أنْ يَقتُلَه أصْحَابُه إن عَادَ إلى الرَّيِّ، وصَالحُ بنُ وَصِيف في خِلالِ ذلك يُغْري به المُهْتَدِيَ ويَنْسُبُه إلى المَعْصِية والخِلاف، إلى أنْ قَدِمَ في المحرَّم سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسينَ ودَخَل في التَّعْبِئَة، فاخْتَفَى صَالحُ بنُ وَصِيف،

(1) الكامل في التاريخ 7: 203، ويقارن مع تجارب الأمم 4: 386-388.

ومَضَى مُوسَى إلى الجَوْسَقِ والمُهْتَدِي جَالِسٌ للمَظَالِم، فأعْرَضَ عن الإذْنِ له سَاعَةً ارْتَابَ فيها هو وأصْحَابه، وظَنُّوا أنَّه يَنْتَظِرُ حُضُورَ صَالح بالعَسَاكِرِ، ثم أذِنَ لهم فدَخَلُوا وقَبَضُوا على المُهْتَدِي وأوْدَعُوه دَارَ ياجُور، وانْتَهَبُوا ما كان في الجَوْسَق[1].

واسْتَغَاثَ المُهْتَدِي بمُوسَى فعَطَفَ عليه؛ ثم أخَذَ عليه العُهُودَ والأيْمان أنْ لا يُوالِيَ صالحًا، وأنَّ باطِنَه وظَاهِرَه في مُوَالاتِهم سَوَاءٌ. فَجَدَّدُوا له البَيْعَة، واسْتَبَدَّ مُوسَى بالأمر، وبعَثَ إلى صَالِحٍ لِمُطَالَبَةٍ بما احْتَجَنَه من الأمْوَالِ فلم يُوقَفْ له على أثَر، وأخَذُوا في البَحْثِ عنه.

[248 أ] وفي آخر المُحَرَّم أحْضَرَ المُهْتَدِي كِتَابًا رفَعَه إليه سِيما الشَّرابِيُّ، زَعَمَ / أنَّ امرَأَةً دفَعَتْه إليه وغَابَت فلم يرها، وحضَرَ نَفَرٌ، وقَرَأه سُلَيْمانُ بنُ وَهْب عليهم وهو بخَطِّ صَالِحٍ يَذْكُر ما صَارَ إليه من الأمْوَال، وأنَّه إنَّما[(أ)] اسْتَتَرَ خَشْيَةً على نَفْسِه وحَسْمًا للفِتْنَة وإبْقَاءً على المَوَالي. ولمَّا قُرِيءَ الكِتَابُ حَثَّهم المُهْتَدِي على الصُّلح والاتِّفَاق، فاتَّهمه الأتْرَاكُ بالمَيْلِ إلى صَالِح، وأنَّه مُطَّلِعٌ على مَكَانِه، ووَاجَهُوه بذلك.

ثم اجْتَمَعُوا من الغَدِ بدَارِ مُوسَى بنِ بُغَا دَاخِلَ الجَوْسَق واتَّفَقُوا على خَلْعِ المُهْتَدِي إلَّا أخَا باكْبَاك، فإنَّه أبَى من ذلك وتَهَدَّدَهُم بأنَّه مُفَارِقُهم إلى خُرَاسَان. واتَّصَلَ الخَبَرُ بالمُهْتَدِي فاسْتَدْعَاهُ إليه، وقد نَظَّفَ ثِيَابه وتَطَيَّبَ وتَقَلَّدَ سَيْفَه، فأرْعَدَ وأبْرَقَ، وتَهَدَّدَهُم بالاسْتِمَاتَة، ثم حَلَفَ أنَّه لا يَعْلَمُ مكانَ صَالِح، وقال لمحمَّدِ بن بُغَا وباكْبَاك: قد

(أ) ط: لمَّا.

(1) الكامل في التاريخ 7: 218.

حَضَرْتُمَا مع صَالِح في أمْرِ المُعْتَزّ وأمْوَالِ الكُتَّاب، وأنتم شُرَكَاؤه في ذلك كلِّه[1].

وانْتَشَر الخَبَرُ في العَامَّة بأنَّهم أزهَقُوه وأرَادُوا خَلْعَه، فطَفِقُوا يَجْأرُونَ بالدُّعَاء في المَسَاجِدِ والطُّرُقاتِ ويَنْعَوْنَ على القُوَّادِ بَغْيَهم على الخَلِيفة، ويَرْمُونَ الرِّقَاعَ بذلك في الطُّرُقات. ثم إنَّ المَوَاليَ بالكَرْخِ والدُّورِ دَسُّوا إلى المُهْتَدِي أنْ يَبْعَثَ إليهم أخَاهُ ابنَ القَاسِمِ عبدَ الله بعدَ أنْ رَكِبُوا وتحرَّكُوا، فقالوا لأبي القَاسِمِ: بَلَغَنا ما عليه مُوسَى وباكْبَاكُ وأصْحَابُهما ونحن شِيعَةٌ للخَليفَة فيما يُرِيدُه، وشَكَوْا مع ذلك تأخُّرَ أرْزَاقِهم وما صَارَ مِنَ الإقْطَاعِ والزِّيَادَاتِ إلى قُوَّادِهم وما أخَذَه النِّسَاءُ والدُّخَلاءُ، حتى أجْحَفَ ذلك كلُّه بالخَرَاجِ والضِّياع، وكَتَبُوا بذلك إلى المُهْتَدِي، فأجَابَهم بالثَّنَاءِ على التَّشَيُّعِ له والطَّاعَة، والوَعْدِ الجَمِيلِ في الرِّزْق، والنَّظَرِ الجَميل في شَأنِ الإقْطَاعاتِ للقُوَّاد والنِّسَاء، فأفَاضُوا في الدُّعَاء وأجْمَعُوا على مَنْعِ الخَلِيفَة من الحَجْر والاسْتِبْدَاد عليه، وأنْ تَرجِعَ الرُّسُومُ إلى عَادَتِها أيَّامَ المُسْتَعِين، على كلِّ عَشَرةٍ(ا) عَرِيفٌ، وعلى كلِّ خَمْسِينَ خَليفَةٌ، وعلى كلِّ/ مائةٍ قائِدٌ، وأنْ يُسقِطَ النِّسَاءَ والزِّيَادَة في الإقْطَاع، ويُوضَعَ العَطَاءُ في كلِّ شَهْرين، [248 ب] وكتَبُوا بذلك إلى المُهْتَدِي وأنَّهم صَائِرُونَ إلى بَابِه لِيَقْضِيَ حَوَائِجَهم، وإنْ أحَدٌ اعْتَرَضَ عليه أخَذُوا رَأسَه، وإنْ تَعرَّضَ له أحَدٌ قَتَلُوا مُوسَى بنَ بُغَا وباكْبَاكَ وماجُور[2].

وجَاءَ أبو القَاسِمِ بالكِتَاب وقد قَعَدَ المُهْتَدِي للمَظَالِم وعندَه الفُقَهاءُ والقُضَاة، والقُوَّادُ قائمونَ في مَرَاتِبِهم، فقَرَأ كِتَابَهم على القُوَّادِ فاضْطَرَبُوا وكَتَبُوا جَوَابَهم بما سَألُوا،

(ا) الكامل: كل تسعة.

(1) الكامل في التاريخ 7: 219-220.

(2) المصدر نفسه 7: 221-222.

وطلب أبو القَاسِم من القُوَّادِ أن يَبعَثُوا معه رَسُولًا بالعُذْرِ عنهم ففعَلُوا، ومضَى أبو القَاسِم إليهم بكِتابِ الكُتَّاب وبِرُسُلِ القُوَّاد وأعْذَارِهم، فكَتبُوا إلى المُهْتَدِي يَطْلُبُونَ التَّوْقيعَاتِ بحَطِّ الزِّيَادَات وردِّ الإقطاعاتِ وإخراج المَوَالي البرَّانيِّينَ من الخَاصَّة، وردِّ الرُّسُوم إلى عَادَتِها أيَّامَ المُسْتَعِين، ومُحاسَبَةِ مُوسَى بن بُغَا وصَالِح بنِ وَصِيف على ما عندَهم من الأمْوَال، ووَضْعِ العَطَاءِ في كلِّ شَهْرَيْن، وصَرْفِ النَّظَر في الجَيْش إلى بَعْض إخْوَتِه أو قَرَابَتِه وإخْرَاجِه عن المَوَالي، وكَتَبُوا بذلك إلى المُهْتَدِي والقُوَّاد، فأجَابَهم إلى جَميع ما سَألُوه.

وكتَبَ إليهم مُوسَى بنُ بُغَا بالإجَابَة في شَأن صَالِح والإذْنِ في ظُهُورِه، فقَرأوا الكِتابَيْنِ ووَعَدُوا بالجَوَابِ في غدٍ، فرَكِبَ إليهم أبو القَاسِم واتَّبَعَه مُوسَى في ألْفٍ وخَمْس مائة فوَقَفَ في طَرِيقهم، وجَاءَهم أبو القَاسِم [واتَّبعَهُ](أ)، فاضطَربُوا في الجَوَاب ولم يَتَّفِقُوا، [فرَجَعَ](ب) وردَّ مُوسَى بنُ بُغَا [فأمَرَهُم المُهْتَدي بالرُّجوع، وأن يتقدَّم إليهم محمَّد بنُ بُغا](ج) مَعَ أبي القَاسِم، ويَدْفَعوا إليهم كِتابَ الأمَان لصَالح بن وَصِيف، وقد كان من طَلِبَتِهم أن يكونَ مُوسَى في مَرْتَبَة أبِيه، وصَالِحٌ كذلك، والجَيْشُ في يَدِه، وأنْ يَظهَرَ في(هـ) الأمَان، فأُجِيبُوا إلى ذلك.

وافتَرَق النَّاسُ إلى الكَرْخ والدُّورِ وسَامَرَّاء، فلمَّا كان من الغَدِ، رَكِبَ بنو وَصِيفٍ في جَمَاعةٍ وقد لَبِسُوا السِّلاحَ، فنَهَبُوا دَوَابَّ العَامَّة وعَسْكَروا بسَامَرَّاء، وتعلَّقوا بأبي القَاسِم يَطْلُبُونَ صالِحًا، فأنكَرَ المُهْتَدِي أنْ يكونَ عَلِمَ بمكَانِه، وقال: إنْ كان عندَهم فليُظْهِرُوه. ثم رَكِبَ مُوسَى في القُوَّادِ ومعَه أربعةُ آلافِ فَارِس وعَسْكَرَ(و)، وافتَرَق / [249أ]

(أ) من ح. (ب) من ح، وفي ظ: فرجعوا. (ج) من ح. (د) ظ: ابنه. (هـ) ح: على. (و) ح: فعسكر.

الأتراكُ ولم يَظْهَرْ للكَرْخِيِّينَ ولا لأهْلِ الدُّورِ في هذا اليوم حَرَكَة، وجَدَّ مُوسَى في طَلَبِ صَالِح ونادَى عليه، وعَثَرَ عليه[أ] بَعْضُ الغَوْغَاء فَجَاءَ به إلى الجَوْسَق والعَامَّةُ في اتِّبَاعِه، فضَرَبَه بعضُ أَصْحَابِ مُفْلِح فقَتَلَه، وطِيفَ برَأسِه على قَناةٍ[1].

وخرَجَ مُوسَى بن بُغَا لِقِتَالِ الشُّرَاةِ بنَاحِيَةِ السِّنِّ.

الصَّوائِفُ مُنْذُ وِلايَةِ المُنْتَصِرِ إلى آخِرِ أيَّامِ المُهْتَدِي

في سَنَة ثَمانٍ وأرْبَعين أيَّامَ المُسْتَعِين، خرَجَ بنَاحِيَة المَوْصِل مُحَمَّدُ بنُ عُمَر الشَّارِيُّ وحَكَّمَ، فسَرَّحَ إليه المُنْتَصِرُ إسْحَاق بنَ ثَابتِ الفَرْغَانيَّ فأسَرَهُ في عِدَّةٍ من أَصْحَابه وقُتِلُوا وصُلِبُوا.

وفي هذه السَّنَة غَزَا بالصَّائِفَة وَصِيفٌ، وأمَرَهُ المُنْتَصِرُ بالمُقَام بمَلَطْيَةَ أرْبَعَ سِنِينَ، يَغْزُو في أوْقاتِ الغَزْو إلى أنْ يَأتِيَه رَأيُه، وكان مُقِيمًا بالثَّغْرِ الشَّامِيّ، فدَخَلَ بِلادَ الرُّوم وافْتَتَحَ حِصْنَ فَرُورِيَّة[2].

وفي سَنَة تِسْعٍ وأرْبَعينَ غَزَا بالصَّائِفَة جَعْفَرُ بنُ دِينار، فافْتَتَحَ مَطَامِيرَ، واسْتَأذَنَه عَمْرُو بنُ عبدِ الله الأقْطَعُ في الدُّخُولِ إلى بلادِ الرُّوم فأذِنَ له، فدَخَلَ في جُمُوعٍ من أهْلِ مَلَطْيَةَ ولَقِيَ مَلِكَ الرُّوم بمَرْجِ الأسْقُفِ في خَمْسِينَ ألفًا فأحَاطُوا به،

(أ) ح: به.

(1) الكامل في التاريخ 7: 219-225.

(2) المصدر نفسه 7: 119.

وقِيلَ: في ألْفَيْنِ من المُسْلِمين، وخَرَجَ الرُّومُ إلى الثُّغُورِ الجَزَرِيّة فاسْتَبَاحُوها، وبلَغَ ذلك عليَّ بنَ يحيى الأَرْمَنيَّ وكان قد صُرِفَ عن الثُّغُورِ الشَّامِيّة وعُقِدَ له على أرْمِينيَّةَ وأَذْرَبِيجان، فلمَّا سَمِعَ بخبرِهم نفرَ إليهم وقاتَلَهم فانْهَزَمَ وقُتِلَ في أربَعِ مائة منَ المُسْلمين[1].

وفي سَنَة ثَلاثٍ وخَمْسِينَ أيّام المُعْتَزّ، غَزَا محمَّدُ بنُ مُعَاذٍ من نَاحِيَة مَلَطْيَة فانْهَزَمَ وأُسِرَ[2].

الوِلايَـــات

لمَّا وَلِيَ المُنتَصِرُ اسْتَوْزَرَ أَحْمَدَ بنَ الخَصيب، ووَلَّى على المَظَالِم أبا عَمْرَةَ أحمدَ ابنَ سَعِيدٍ مَوْلى بني هَاشِم. ثم وَلِيَ المُسْتَعِينُ ومَاتَ طَاهِرُ بنُ عبدِ الله بخُرَاسَان، فوَلَّى المُسْتَعِينُ مَكانَه ابنَه محمَّدًا، ووَلَّى أخاه محمَّدَ بنَ عبدِ الله على العِرَاق، وجعَلَ /إليه الحَرَمَيْنِ والشُّرْطَة ومعَاوِنَ السَّوَاد، فاسْتَخْلَفَ أخَاه سُلَيْمانَ بنَ عبدِ الله على طَبَرِسْتَان[3]. [249 ب]

وتُوفِّي بُغَا الكَبيرُ، فَوَلِيَ ابنُه مُوسَى على أعْمَالِه، وأضَافَ إليه دِيوَانَ البَرِيد[4].

(1) الكامل في التاريخ 7: 121.
(2) المصدر نفسه 7: 183.
(3) المصدر نفسه 7: 118.
(4) المصدر نفسه 7: 118.

وشَغَبَ أهْلُ حِمْص على عَامِلِهِم وأخْرَجُوه، فبَعَثَ إليهم المُسْتَعِينُ الفَضْلَ بنَ قَارِن، أخَا مَازيَار، فقَتَلَ منهم خَلقًا وحَمَلَ مائةً من أعْيَانِهِم إلى سَامَرَّاء[1].

واسْتَوْزَرَ المُسْتَعِينُ أتَامِش بعدَ أن عَزَلَ أحمدَ بنَ الخَصِيب، واسْتُصْفِيَ ونُفِيَ إلى إقْرِيطش، وعقَدَ لأتَامِش على مِصْرَ والمَغْرِب، ولبُغَا الشَّرابِيِّ على حُلْوَان ومَاسَبَذَان ومِهْرِجَان قَذَق[2].

ثم قُتِلَ أتَامِش، فاسْتَوْزَرَ المُسْتَعِينُ مَكانَه أبا صَالِح عبدَ الله بنَ محمَّدِ بن يَزْدَاد[أ]، وعَزَلَ الفَضْلَ بنَ مَرْوَان عن دِيوَان الخَرَاج وولَّاه عيسَى بنَ فَرْخَانْشَاه، ووَلَّى وصِيفًا على الأهْوَازِ، وبُغَا الصَّغِيرَ على فِلَسْطِين. ثم غَضِبَ بُغَا على أبي صالِح ففَرَّ إلى بَغْدَاد، واسْتَوْزَرَ المُسْتَعِينُ مكانَه محمَّدَ بنَ الفَضْل الجَرْجَرائِيَّ[ب]، ووَلَّى على ديوَانِ الرَّسَائِل سَعِيدَ بنَ حُمَيْد، وعَزَلَ جَعْفَر بنَ عبدِ الوَاحِد عن القَضَاءِ ونفَاهُ إلى البَصْرَة، ووَلَّى جَعْفَر بنَ محمَّدِ بن عَمَّارِ البُرْجُمِيَّ[3].

وفي سَنَة خَمْسينَ عُقِدَ لجَعْفَرِ بنِ الفَضْل بن عِيسَى بن مُوسَى، المعروفِ بشَاشَات[ج]، على مَكَّة[4].

(أ) النسخ: داود، والتصويب من المصادر. (ب) النسخ: الجرجاني. (ج) النسخ: بساسان. والمثبت من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 119.

(2) المصدر نفسه 7: 119-120، معجم البلدان 5: 233.

(3) المصدر نفسه 7: 123-124.

(4) المصدر نفسه 7: 134.

ووثَبَ أهْلُ حِمْصَ على عَامِلِهم الفضلِ بنِ قَارِنٍ فقتَلُوه، فسَرَّحَ إليهمُ المُسْتَعِينُ مُوسَى بنَ بُغَا، وحَارَبُوه فهَزَمَهُم، وافْتَتَحَ حِمْصَ وأثْخَنَ فيهم وأحْرَقَها[1].

وفيها وَثَبَتِ الشَّاكِرِيَّةُ والجُنْدُ بفَارِسَ بعَبْدِ الله بنِ إسْحَاق بن إبراهيمَ فانْتَهَبُوا مَنْزِلَه، وقتَلُوا محَمَّدَ بنَ الحَسَن بن قَارِنٍ، وهَرَبَ عبدُ الله بنُ إسْحَاق[2].

وفيها كان ظُهُورُ العلويَّةِ بنَوَاحي طَبَرِسْتَان[3].

وفي سَنَة إحْدَى وخَمْسِينَ عقَدَ المُعْتَزُّ لبُغَا ووَصِيفٍ على أعْمَالِها، ورَدَّ البَريدَ إلى مُوسَى بنِ بُغَا الكَبِير، وعقَدَ محمَّدُ بنُ طَاهِرٍ لأبي السَّاج ديود بنِ ديودست[أ] على مَعَاونِ [ما سَقى][ب] الفُرَاتُ من السَّوَاد، فبَعَثَ نُوَّابَه لطَرْدِ الأتْرَاكِ والمَغَارِبَة عنها، [ثم سَارَ أبو السَّاج][ب] إلى الكوفة[4]، وكان قد ظَهَرَ بها أبو أحمَدَ الطَّالبِيُّ وقدَّم بينَ يديهِ خَليفتَه عبدَ الرحمن، وقد كان أبو أحمَدَ / الطَّالبِيُّ ظَهَرَ قبْلَ ذلك، فبَعَثَ المُعْتَزُّ مُزَاحِمَ [250 أ] ابنَ خَاقَان لِقتَالِه، فهَزَمَه أبو أحمد، ووَلَّاه المُعْتَزُّ الكُوفَةَ، فعَاثَ في النَّاسِ. ثم انْتَقَضَ ثانيًا، فبَعَثُوا إليه أبا السَّاج، وقَدَّمَ بين يَدَيْه عبدَ الرَّحْمَنِ كما قُلْنَا، وأظْهَرَ أنَّه إنَّما جاءَ لحَرْبِ الأعْرَابِ، وتلَطَّفَ لأبي أحمَدَ حتى خالَطَهُ، ثم قَيَّدَهُ وبَعَثَ به إلى بغداد[5].

(أ) كذا في ظ، ح، ص، وفي الكامل: ديوداذ بن ديوردست.

(ب) إضافة من الكامل لابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 134-135.

(2) المصدر نفسه 7: 135.

(3) المصدر نفسه 7: 130.

(4) المصدر نفسه 7: 168، تجارب الأمم 4: 347.

(5) المصدر نفسه 7: 164-165، 175-176.

وفي سنة ثِنْتَيْنِ وخَمْسِينَ وَلَّى المُعْتَزُّ الحُسَيْنَ بنَ أبي الشَّوَارِب على القَضَاء، وبعَثَ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الله بن طَاهرٍ أبا السَّاج على طَرِيق مكَّة.

وعقَدَ المُعْتَزُّ لعِيسَى بنِ الشَّيْخ بن السَّليل الشَّيْبَانِيِّ، من وَلَدِ جَسَّاسِ بن مُرَّةَ، على الرَّمْلَة، فاسْتَوْلَى على فِلَسْطِينَ وعلى دِمَشْقَ وأعْمَالِها، وقطَعَ ما كان يُحْمَلُ من الشَّام[(1)].

وكان إبراهيمُ بنُ المُدَبِّر على مِصْر، فبَعَثَ إلى بَغْدادَ من المَالِ سَبْعَ مائةِ ألْفِ دِينار، فاعْتَرَضها عِيسَى وأخَذَهَا، وطُولِبَ بالمالِ فقال: أنْفَقْتُه على الجُنْد. فوَلَّاه المُعْتَمِدُ على أرْمِينيَّةَ يُقيمُ بها دَعْوَاه.

وبعَثَ المُعْتَمِدُ إلى الشَّام أمَاجُورَ على دِمَشْقَ وأعْمَالِها، وبلَغَ الخَبَرُ إلى عِيسى فبعَثَ ابنَه مَنْصورًا في عِشْرينَ ألْفَ مُقَاتِلٍ فانْهَزَمَ وقُتِلَ، وسَارَ عيسَى إلى أرْمِينيَّةَ على طَرِيقِ السَّاحِل.

وفيها عقَدَ وَصِيفٌ لعَبْدِ العَزِيز بنِ أبي دُلَفَ العِجْلِيِّ على أعْمَالِ الجَبَل[(2)].

وفي سنَة ثلاثٍ وخَمْسِينَ عُقِدَ لمُوسَى بن بُغَا على الجَبَل، فسَارَ وفي مُقَدِّمَته مُفْلِحٌ مَوْلَى أبي السَّاج، وقَاتَلَه عبدُ العَزيز بنُ أبي دُلَف فانْهَزَمَ ولَجَأ إلى قَلْعَةِ زَرّ[(أ)]، وملَكَ مُفْلِحٌ [الكَرَجَ][(ب)] وأخَذَ أهْلَه وعِيَالَه[(3)].

(أ) في ظ: قلعة لها در، وفي ح: لهاون. والمثبت من الكامل. (ب) ظ ح: الكرخ.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 176.
(2) المصدر نفسه 7: 176.
(3) المصدر نفسه 7: 178.

وفيها مات محمَّدُ بنُ عبدِ الله بن طَاهِر ببَغْداد، ووَلِيَ أخُوه عُبيدُ الله بعَهْدِه[1].

ثم بعَثَ المُعْتَزُّ عن أخِيه سُلَيْمانَ من طَبَرِسْتَانَ فوَلَّاه مكانَه، وكان على المَوْصِل سُلَيْمانُ بنُ عِمْرَانَ الأزدِيُّ، وكانت بينَه وبينَ الأزدِ حُرُوبٌ بنواحِي المَوْصِل[2].

وفيها مَاتَ مُزاحِمُ بنُ خَاقَانَ بِمصر[3].

وفيها مَلَكَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ سِجِسْتَانَ وفَارِسَ وهَرَاةَ، وكان ابْتِدَاءُ دَوْلَتِه[4].

ووَلَّى باكُبَاكُ[أ] أحمدَ بنَ طُولونَ على مِصْرَ من قِبَلِه، فكان ابْتِدَاءُ دَوْلَتِه. ثم اقْتَطَعها المُعْتَمدُ سنةَ سَبْعٍ وخَمْسين ليازجُوج، فوَلَّى عليها أحمدَ بنَ طُولُونَ من قِبَلِه[5].

[250 ب] /وفي سَنَة خَمْسٍ وخَمْسين – أيَّامَ المُهْتَدِي - اسْتَوْلى مُسَاوِرٌ الخَارِجِيُّ على المَوْصِل[6].

وفيها ظَهَرَ صَاحِبُ الزَّنْج وكان ابْتِدَاءُ فِتْنَتِه[7].

(أ) النسخ: بابكياك.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 180.

(2) المصدر نفسه 7: 181.

(3) المصدر نفسه 7: 183.

(4) المصدر نفسه 7: 184.

(5) المصدر نفسه 7: 187.

(6) المصدر نفسه 7: 188.

(7) المصدر نفسه 7: 205.

۞أَخْبَارُ صَاحِبِ الزَّنْجِ وابْتِدَاءُ فِتْنَتِه[1]

كان أكثَرُ دُعاة العَلَوِيّة الخارِجينَ بالعِرَاق أيّامَ المُعْتَصِمِ وما بعدَه، أكثرُهم من الزَّيْدِيّة، وكان من أئمّتِهم عليُّ بنُ محمَّدِ بن أحمَدَ بن عِيسَى بن زَيْدٍ الشَّهِيدُ، وكان نَازِلًا بالبَصْرة، ولمَّا وقَعَ البَحْثُ عليه من الخُلَفاء ظَفِرُوا بابنِ عَمِّه عليِّ بنِ محمَّد بن الحُسَيْن، فقُتِلَ بفَدَك، ولأيّامٍ من قَتْلِه خرَجَ رَجُلٌ بالرَّيِّ يَدَّعي أنَّه عليُّ بنُ محمَّدِ بن أحمَدَ بن عِيسَى المَطْلُوبُ، وذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسينَ ومائتينِ أيّامَ المُهْتَدِي، ولمَّا ملَكَ البَصْرَةَ لَقِيَ عليًّا هذا حيًّا مَعْرُوفَ النَّسَب، فرَجَعَ عن ذلك وانْتَسَبَ إلى يَحْيَى بنِ زَيْد قَتِيلِ الجُوزْجَان أخِي عِيسَى المذكُور.

ونسَبَهُ المَسْعُودِيُّ[2] إلى طاهِرِ بنِ الحُسَيْن، وأظُنُّه الحُسَيْنَ بنَ طَاهِر بن يحيى المُحدِّثِ ابنِ الحَسَن بن جَعْفَرِ بن عُبَيدِ الله بن الحُسَيْن بن عليٍّ؛ لأنَّ ابنَ حَـزْمٍ[3] قال في الحُسَيْنِ السِّبْط: إنّه لا عقِبَ له إلَّا من عليِّ بنِ الحُسَيْن، وقال فيه: عليُّ بنُ محمَّدِ بن جَعْفَرِ بن الحُسَيْنِ بن طاهِر. وقال الطَّبريُّ وابنُ حَزْمٍ وغَيْرُهما[أ] من

(أ) الأصول: وغيرهم.

---

(1) شَغَلَت هذه الثَّوْرَة الخلافة العَبّاسية أربع عشرة سنة (من رمضان سنة 255هـ إلى صفر سنة 270هـ). راجع عنها تاريخ الطبري 9: 431-653؛ مروج الذهب للمسعودي 5: 103-104؛ تجارب الأمم لمسكويه 4: 397-479؛ نهاية الأرب للنويري 25: 104-186 (وهو ينقل، مثل ابن خلدون، عن ابن الأثير)؛ Popovic, A., "Quelques renseignements inédits concernant le "Maitre de Zang" 'Alī b. Muhammad", *Arabica* XII (1965), pp. 175-87; id., *La révolte des esclaves en Iraq au III°/IX° siècle*, Paris 1976.

(2) مروج الذهب 5: 103-104.

(3) جمهرة أنساب العرب 52.

المُحقِّقين: إنَّه من عَبْدِ القَيْس، واسْمُهُ: عليُّ بنُ عَبْدِ الرَّحيم، من قَرْيَةٍ من قُرَى الرَّيِّ اسْمُها وَرْزَنِين[1]، رأى كثْرَةَ خُـروج الزَّيْدية، فَحَدَّثَتْهُ نفْسُه بالتَّوثُّب، فانْتَحَلَ هذا النَّسَب[2]، ويَشْهَدُ لذلك أنَّه كان على رَأْيِ الأزَارِقَة من الخَوَارِج، ولا يكونُ ذلك من أهْلِ البَيْت.

وسِيَاقَةُ خَبَرِه، أنَّه كان اتَّصَلَ بجَماعَةٍ من حَاشِيَة المُنْتَصِر ومدَحَهُم. ثم شَخَصَ من سَامَرَّاءَ إلى البَحْرَيْن سنَةَ تِسْعٍ وأرْبَعين، فادَّعَى[أ] أنَّه من[ب] وَلَدِ العَبَّاس بن عليِّ بنِ أبي طَالب، ثم مِن ولَدِ الحَسَن بنِ عُبيدِ الله بن العَبَّاس، ودَعَا النَّاسَ إلى طَاعَتِه، فاتَّبَعَهُ كَثيرٌ من أهْلِ هَجَر وغيرِها، وقَاتَلُوا أصْحَابَ السُّلْطان بسببِه. وعَظُمَت فِتْنَتُه، فتحَوَّلَ عنهم إلى الأحْسَاءِ ونزَلَ على بني الشَّمَّاس من سَعْدِ بن تَميم، وصَحِبَه جَماعَةٌ من البَحْرَين، منهم يحيى بنُ محمَّد الأزْرَق وسُلَيْمانُ بنُ جَامِع، فكانا / قَائِدَيْنِ [251أ] له، وقاتَلَ أهْلَ البَحْرَيْنِ فانْهَزَمَ وافْتَرَقَتِ العَرَبُ عنه، واتَّبَعَه عليُّ بنُ أبَان، وسَارَ إلى البَصْرَة ونزَلَ في بني ضُبَيْعة، وعامِلُها يومَئذٍ محمَّدُ بنُ رَجَاء، والفِتْنَةُ فيها بينَ البِلَالِيَّةِ والسَّعْدِيَّة، وطَلَبَه ابنُ رَجَاءٍ فهَرَب، وحبَسَ ابْنَه وزَوْجَته وجَماعَةً من أصْحَابِه، فسَارَ إلى بَغْدَادَ وأقَامَ بها حَوْلًا وانْتَسَب إلى محمَّدِ بن أحمدَ بن عِيسَى كما قُلْناهُ، واسْتَمَال بها جماعَةً، منهم: جَعْفَرُ بنُ محمَّدٍ الصُّوحانيُّ من وَلَدِ زَيْدِ بنِ صُوحَان، ومَسْرُوقٌ

(أ) الأصول: ادَّعى. (ب) ساقطة من ظ.

---

(1) ذكر ياقوت أنها من أعيان قرى الريّ كالمدينة (معجم البلدان 5: 371).

(2) تاريخ الطبري 9: 410، الكامل في التاريخ 7: 206 (والنقل هنا عن ابن الأثير الذي يستشهد بالطبريّ).

ورَفِيقٌ - غُلامَانِ ليَحْيى بنِ عبد الرَّحْمن - وسَمَّى مَسْرُوقًا حَمْزَةَ وكَنَّاهُ أبا أحمد، وسَمَّى رَفِيقًا جعْفرًا وكَنَّاهُ أبا الفَضْل[1].

ثم وَثَبَ رُؤَساءُ البِلَالِيَّةِ والسَّعْدِيَّةِ بالبَصْرَة وأَخْرَجُوا العامِلَ محمَّدَ بنَ رَجَاء، فبلَغَه ذلك وهُوَ ببَغْداد، وأنَّ أهْلَه خلَصُوا، فرَجَعَ إلى البَصْرة في رمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ ومَعَهُ عليُّ بنُ أبَان و يحيى بنُ محمَّد وسُلَيْمَانُ بنُ جَامِعٍ ومَسْرُوقٌ ورَفِيقٌ، فنزَلَ بقَصْرِ القُرَشِيِّ - ودَعَا الغِلْمَانَ من الزُّنُوج ووَعَدَهُم بالعِتْق، فاجْتَمَعَ له منهم خَلْقٌ، وخَطَبَهم ووَعَدَهُم بالمُلْكِ ورَغَّبَهُم في الإحْسَان، وحلَفَ لهم، وكتَبَ في خِرْقَةٍ[أ]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ الآية [سورة التوبة، الآية 111]. واتَّخَذَها رايةً. وجَاءه[ب] مَوَالي الزُّنُوج في عَبِيدِهم، فأمَرَ كلَّ عَبْدٍ أنْ يضْرِبَ مَوْلاه، وحبَسَهم ثم أطْلَقَهم، ولم يَزَلْ هذا دَأْبُهُ والزُّنُوجُ في مُتابعَتِه والدُّخُولِ في أمْرِه وهو يَخْطُبُهم في كلِّ وقْتٍ ويُرَغِّبُهم، ثم عَبَرَ دُجَيْلًا إلى نَهْر مَيْمُون، فأَخْرَجَ عنه الحِمْيَرِيَّ وملكَه، وسَارَ إلى الأُبُلَّة[ج] وبها ابنُ أبي عَوْن، فخَرَجَ إليه في أرْبَعَةِ آلافٍ فهزَمَهم ونَالَ منهم[2].

ثم سَارَ إلى القَادِسِيَّةِ فنَهَبَها، وكَثُرَ سِلاحُهُم، وخرَجَ جماعَةٌ من أهْلِ البَصْرَة لِقتالِه، فبَعَثَ إليهم يحيى بنَ محمَّدٍ في خَمْس مائةِ رَجُلٍ، فهزَمَهم وأخَذُوا سِلاحَهُم، ثم

(أ) عند ابن الأثير: حريرة. (ب) ظ: فجاءه. (ج) ظ، ص: الأيلة.

(1) الكامل في التاريخ 7: 206-208 .

(2) المصدر نفسه 7: 209-210.

طَائِفَةٌ أخرى كذلك وأخرى، وخرَجَ قَائِدَانِ من البَصْرَة فهزَمَهُما وقتَلَ مِنهُما، وكانت مَعَهُما سُفُنٌ ألْقَتْها الرِّيحُ إلى الشَّطِّ فغَنِمُوا ما فيها وقتَلُوا، وكَثُرَ عَيْثُه وفسَادُه، وجَاءَ أبو هِلالٍ، من قُوَّادِ الأتْراك، في أرْبَعَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ، فلَقِيَه على نَهْرِ الرَّيَّانِ فهزَمَه الزَّنْجُ واستَلْحَمُوا أكثرَ/ أصْحَابِه. [251 ب]

ثم خرَجَ أبو مَنْصُور، أحَدُ مَوَالي الهَاشِمِيِّين، في عَسْكَرٍ عَظِيمٍ من المُطَّوِّعَةِ والبِلَالِيَّةِ والسَّعْدِيَّة فسَرَّحَ لِلِقَائِهِم عليَّ بنَ أبَان، فلَقِيَ طَائِفَةً منهم فهزَمَهُم، ثم أرسَلَ طَائِفَةً أخرى على مَرْفَإِ السُّفُن - وفيه نَحْوٌ من ألْفَي سفينة - فهَرَبَ عنها أهْلُها وانتَهَبُوها، ثم جاءَت عَسَاكِرُ أبي مَنْصُور وقَعَدَ الزُّنُوجُ لهم بَيْنَ النَّخل، وعليهم عليُّ بنُ أبَانٍ ومحمَّدُ ابنُ سَلْمٍ فهزَمُوا العَسْكَرَ وقتَلُوا منهم وأخَذُوا سِلاحَهُم، ثم سَارَ فنَهَبَ القُرَى حتى امْتَلأت أيْدِيهم بالنَّهْب، ثم سَارَ يُرِيدُ البَصْرَةَ ولَقِيَتْه عساكِرُها فهزَمَهم الزَّنْجُ وأثْخَنُوا فِيهم.

ثم سَارَ من الغَدِ نَحْو البَصْرَة، وخرَجَ إليه أهلُها واحْتَشَدُوا وزَحَفُوا إليه برًّا وبحرًا، فلَقِيَهُم بالسُّدِّ وانهزَمُوا هَزِيمَةً شَنْعَاءَ كَثُرَ فيها القَتْلُ، ووَهَنَ أهْلُ البَصْرَة وكتَبُوا إلى الخَلِيفَة، فبعَثَ إليهم جُعْلانَ التُّرْكِيَّ مَدَدًا، ووَلَّى على الأُبُلَّةِ أبا الأحْوَص البَاهِلِيَّ وأمَدَّه بجُنْدٍ من الأتْرَاك. وقد بَثَّ صَاحِبُ الزَّنْج أصْحَابَه يمينًا وشِمالًا للغَارَة والنَّهْب(1).

ولمَّا وَصَلَ جُعْلانُ إلى البَصْرَة نَزَلَ على فَرْسَخٍ منهم وخَنْدَقَ عليه، وأقامَ سِتَّةَ أشْهُرٍ يُسَرِّحُ لِحَرْبِهم الزَّيْنَبِيَّ مع بني هَاشِمٍ ومَن خَفَّ. ثم بَيَّتَه الزَّنْجُ فقتَلُوا جماعَةً من أصْحَابِه، وتحَوَّلَ عن مكانِه، ثم انصَرَفَ عن حَرْبِهم. وظَفِرَ صَاحِبُ الزَّنْج بعِدَّةٍ من

(1) الكامل في التاريخ 7: 210-215.

المراكب غنمَ فيها أموالاً عظيمةً وقتلَ أهلَها، وألحَّ بالغارات على الأبلَّة إلى أن دخلَها عنوةً آخرَ رجبٍ سنةَ ستٍّ وخمسين، وقتلَ عاملَها أبا الأحوص عُبيدَ الله بنَ حُميدٍ الطُّوسيَّ وخلقًا من أهلِها، واستباحَها وأحرقَها.

وبلغَ ذلك أهلَ عبّادان، فاستأمنوا له، وملكَها واستولى على ما فيها من الأموال والعبيدِ والسِّلاح. ثم سارَ إلى الأهواز، وبها إبراهيمُ بنُ المُدبِّر على الخراج، فهربَ أهلُها، ودخلَها الزَّنجُ ونهبوا وأسروا ابنَ المدبِّر، فخاف أهلُ البصرة وافترقَ كثيرٌ منهم في البُلدان[1].

وبعثَ المعتمدُ سعيدَ بنَ صالحٍ الحاجبَ لحربهم سنةَ سبعٍ وخمسين، فهزمَهم وأخذَ ما معَهم وأثخنَ فيهم، وكان ابنُ المدبِّر أسيرًا معهم في بيتِ يحيى بنِ محمّدٍ البحرانيِّ، وقد ضمِنَ لهم مالاً، ورغَّبهم ووكَّلَ به رجلَيْنِ فداخلَهما حتى حفرَ سربًا من البيتِ وخرجَ منه / ولحِقَ بأهلِه[2]. [252أ]

خلعُ المُهتدي وقتلُه، وبيعةُ المُعتمد

وفي أوَّلِ رجبٍ من سنةِ ستٍّ وخمسين شغبَ الأتراكُ من التُّرك[3] والدُّورِ بطلبِ أرزاقِهم، وبعثَ المُهتدي أخاهُ أبا القاسمِ ومعَهُ كبغا وغيرُه فسكَّنوهم وعادوا، وبلغَ الخبرَ محمَّدَ بنَ بُغا أنَّ المُهتدِيَ قال للأتراك: إنَّ الأموالَ عندَ محمَّدٍ وموسى ابنَيْ بُغا، فهربَ إلى أخيه بالسِّنِّ وهو في مُقاتلةِ مُوسى الشَّاريِّ، فأمَّنه المُهتدي ورجع

(1) الكامل في التاريخ 7: 235-237 .

(2) المصدر نفسه 7: 241-242 .

(3) يرد في صفحة 60 : أن أهل الكرخ والدّور من الأتراك .

ومعه أخوه [حَيُّون][أ] وكَيْغَلَغ، فكَتَب له المُهتَدِي بالأمَان ورَجَعَ إلى أصْحَابِه وحَبَسه، وصَادَرَهُ على خَمسَةَ عشَرَ ألفَ دِينارٍ، ثم قتَلَه وبَعَثَ باكْبَاكَ[ب] بكِتَابِه إلى مُوسَى بنِ بُغَا بأنْ يتَسَلَّمَ العَسكَرَ، وأوْصَاهُ بمُحارَبَة الشَّارِيِّ وقَتْلِ مُوسَى بنِ بُغَا ومُفلِح، فقَرَأ الكِتَابَ على مُوسَى، وتَوَاطَؤوا على أن يَرْجِعَ باكْبَاكُ[أ] فتَدبَّر على قَتْلِ المُهتَدِي، فرَجَع ومعه يازْجُوج وأسَاتكِين وسِيما الطَّوِيلُ، ودَخَلُوا دَارَ الخِلافَة مُنْتَصَفَ رَجَب، فحُبِس باكْباك[أ] من بينِهم واجْتَمَعَ أصْحَابُه ومعهم الأتْرَاكُ وشَغَبُوا[2].

وكان عند المُهتَدِي صَالِحُ بنُ عليّ بن يَعْقُوبَ بن المَنْصُور، فأشَارَ بقَتْلِه ومُناجَزَتِهم، فرَكِبَ في المَغَارِبَة والأتْرَاكِ والفَرَاغِنَةِ على التَّعْبِئَة، ومَسْرُورٌ والبَلْخِيُّ في المَيْمَنَة ويازْجُوجُ في المَيْسَرَة، ووَقَفَ هو في القَلْبِ ومعه أسَاتكِين وغيرُه من القُوَّاد، وبَعَثَ برأس باكْباك إليهم مَعَ عَتَّابِ بنِ عَتَّابٍ[ج] فقَتَلُوه، ولَحِقَ الأتْرَاكُ من صفِّه بإخْوَانِهِمُ الأتْرَاك، وانفَضَّ الباقُونَ عن المُهتَدِي ووَلَّى مُنهزِمًا يُنَادِي بالنَّاس ولا يُجِيبُه أحَدٌ.

وصَار إلى السِّجْن فأطْلَقَ المَسْجُونين[د]، ودَخَلَ دَارَ أحمَدَ بنِ جَمِيلٍ صَاحِبِ الشُّرْطَة، فاقْتَحَمُوا عليه وحَمَلُوه على بَغْلٍ إلى الجَوْسَق، وحُبِسَ عندَ أحمَدَ بنِ خَاقَان، وأرَادُوه على الخَلْع فأبَى واستَمَاتَ، فأخْرَجُوا رُقْعَةً بخَطِّه لمُوسَى بنِ بُغَا *وباكْباكَ[أ] وجَمَاعَةِ القُوَّاد*[هـ] بأنَّه لا يَغْدُرُ بهم ولا يَغْتَالُهم ولا يَهُمُّ بذلك، ومتى فعَلَ شيئًا من ذلك فقد جَعَلَ أمْرَ الخِلافَة بأيْدِيهم يُوَلُّونَ من شاءُوا، فاسْتَحلُّوا بذلك أمْرَه وقَتَلُوه[3].

(أ) في ظ: حور، وأثبتنا ما في ح، وقد أهمل منها الحرفان الأولان، وبعد الاسم فراغ لكلمتين. (ب) في الأصول: بايكباك، وسقط من ح. (ج) ح: عيّاب. (د) ح: المحبوسين. (هـ) سقط ما بين النجمين من ح.

(1) الكامل في التاريخ 7: 228-229.

(2) المصدر نفسه 7: 229-230.

وقِيلَ في سَبَبِ خَلْعِه غيرُ هذا، وهو: أنَّ أهْلَ الكَرْخِ / والدُّورِ من الأتْراكِ [252 أ] طَلَبُوا الدُّخولَ على المُهْتَدِي ليُكَلِّموه فأذِنَ لهم، وخَرَجَ محمَّدُ بنُ بُغَا إلى المُحَمَّدِيَّة[1]، ودَخَلُوا في أرْبَعةِ آلاف، فطَلَبُوا أن يَعْزِلَ عنهم قُوَّادَه ويُصَادِرَهم وكُتَّابَهم على الأمْوَال، ويَصِيرَ الأمْرُ إلى إخْوَتِه، فوَعَدَهم بالإجَابَة. وأصْبَحُوا من الغَدِ يَطْلُبُون الوَفَاءَ بما وعَدَهُم به[أ]، فاعْتَذَرَ لهم بالعَجْزِ عن ذلك إلَّا بسِيَاسَةٍ ورِفْقٍ، فأبَوْا إلَّا المُعَاجَلَةَ، فاسْتَحْلَفَهم على القِيَام معَهُ في ذلك بأيْمَانِ البَيْعَة فحَلَفُوا. ثم كَتَبُوا إلى محمدِ ابنِ بُغَا عن المُهْتَدِي وعنهم يَعْذِلُونَهُ في غَيْبَتِه عن مَجْلِسِهم مع المُهْتَدِي، وأنَّهم إنَّما جَاءُوا لشَكْوَى حَالِهم، ووَجَدُوا الدَّارَ خَالِيَةً فأقَامُوا، ورَجَعَ محمَّدُ بنُ بُغَا فحَبَسُوه في الأمْوَال، وكَتَبُوا إلى مُوسَى بنِ بُغَا ومُفْلِح بالقُدُوم وتَسْلِيم العَسْكرِ إلى مَن ذَكَرُوه لهم، وبَعَثُوا مَن يُقَيِّدُهما إنْ لم يأتَمِرَا[ب] ذلك[2].

ولمَّا قُرِئَتِ الكُتُبُ على مُوسَى وأصْحَابِه امْتَعَضُوا لذلك وسَارُوا نحوَ سَامَرَّاء، وخَرَجَ المُهْتَدِي لِقِتَالِهم على التَّعْبِئَة، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بينَهم بطَلَبِ مُوسَى أن يُوَلِّيَه على ناحِيَةٍ فيَنْصَرِفَ إليها، وبطَلَبِ أصْحَابِ المُهْتَدِي أنْ يَحْضُرَ عندَهم فيُنَاظِرَهم على الأمْوَال إلى أنِ انفَضَّ عنهُ أصْحَابُه وسَارَ هُوَ ومُفْلِحٌ على طَرِيقِ خُرَاسَان، ورَجَعَ بَاكْبَاكُ[أ] وجَمَاعَةٌ من القُوَّادِ إلى المُهْتَدِي فقُتِلَ باكْبَاك[ج][3].

(أ) سقط من ح. (ب) الأصول: يأتمران. (ج) الأصول: بابكياك.

---

(1) اسمٌ لمواضع كثيرة، والمقصود هنا قرية من نواحي بَغْدَاد من كورة طريق خراسان (معجم البلدان 5: 64).
(2) الكامل في التاريخ 7: 230-231؛ تجارب الأمم 4: 409-416.
(3) المصدر نفسه 7: 232.

ثم أَنِفَ الأتْرَاكُ من مُساوَاة الفَرَاغِنة والمَغَارِبَة لهم، وأَرَادُوا طَرْدَهُم فأبى المُهْتَدِي ذلك، فخَرَجَ الأتْرَاكُ عن الدَّارِ بأجْمَعِهِم طَالبينَ ثأْرَ باكْباك، فرَكِبَ المُهْتَدِي على التَعْبِئَة في سِتَّةِ آلافٍ من الفَرَاغِنة والمغَارِبَة ونحوِ أَلْفٍ من الأتْرَاك أَصْحَابِ صَالحِ بنِ وَصِيف، واجْتَمَعَ الأتْرَاكُ للحَرْبِ في عَشَرَةِ آلافٍ، فانْهَزَم المُهْتَدِي، وكان مَا ذكَرْنَاه من شَأنِه[1].

ثم أُحْضِرَ أبو العَبَّاس أحمدُ بنُ المُتوَكِّل - وكان مَحْبُوسًا بالجَوْسَق – فبَايَعَه النَّاس، وكتَبَ الأتْرَاكُ إلى مُوسَى بنِ بُغَا وهو بخَانِقِينَ[2] فحَضَرَ، وكَمُلَتِ البَيْعَةُ لأحمدَ بنِ المُتوَكِّل، ولُقِّبَ: المُعْتَمِدَ على الله، واسْتَوْزَرَ عُبَيْدَ الله[أ] بنَ يحيى بن خاقَان[3].

وأَصْبَحَ المُهْتَدِي ثانيَ يوم البَيْعَة مَيِّتًا مُنْتَصَفَ رَجَبٍ من سَنَة سِتٍّ وخمسين [53أ] /على رَأْس سَنَةٍ من وِلايَتِه. ولم يَزَلِ ابنُ خَاقَانَ في وِزَارَتِه إلى أن هَلَكَ سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ من سَقْطَةٍ بالمَيْدَانِ سَالَ منها[ب] دِمَاغُه من مِنْخَرَيْه، فاسْتُوزِرَ الحَسَنُ بنُ مَخْلَد، ثم سَخِطَ عليه مُوسَى بنُ بُغَا فاخْتَلَفَ فاسْتَوْزَرَ مَكانَه سُلَيْمانَ بنَ وَهْبٍ، ثم عَزَلَه وحَبَسَه ووَلَّى الحَسَنَ بنَ مَخْلَد، وغَضِبَ المُوَفَّقُ لحَبْسِه ابنَ وَهْب[ج]، وعَسْكَرَ

(أ) ظ: عبد الله. (ب) ص: فيها. (ج) ظ: يومئذ.

(1) الكامل في التاريخ 7: 232-233.

(2) المصدر نفسه 7: 235.

(3) خَانِقِين. بَلْدَةٌ من نواحي السَّواد في طريق هَمَذان من بغداد، بها قنطرَةٌ عليها جادَّةُ خراسان إلى بغداد، وتنتهي إلى قصر شيرين (معجم البلدان 2: 340-341).

بالجَانِب الغَرْبِيّ، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بينَهما فاتَّفَقا وأَطْلَقَه، وذلك سَنَةَ أَرْبَعٍ وسِتِّين[1].

ظُهُورُ العَلَوِيَّة بِمِصْرَ والكُوفَة

وفي سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسِينَ ظَهَرَ بمِصرَ إبراهيمُ بنُ مُحَمَّدِ بن يحيى بن عبدِ الله بن مُحَمَّدِ بن الحَنَفِيَّة، ويُعْرَفُ بالصُّوفيّ، يَدْعُو إلى الرِّضَا من آلِ مُحَمَّد، ومَلَكَ إسْنَا[أ]: من بلادِ الصَّعِيد. وجَاءَه عَسْكَرُ أَحْمَدَ بنِ طُولُونَ مِن مصرَ فهَزَمَهم وقَتَلَ قائِدَهُم، فَجَاءَه جَيْشٌ آخَرُ فانْهَزَمَ أَمَامَهم إلى الوَاحَات، وجَمَعَ هُنَالِك جُمُوعًا وسَارَ إلى الأُشْمُونَيْن، فلقيَه هُنَالِك أبو عبدِ الرَّحْمن العُمَرِيُّ، وهُو عبدُ الحَمِيد بنُ عبدِ العَزِيز ابنِ عبدِ الله بنِ عُمَر، كان قد أَخَذَ نَفْسَه بحَرْبِ البُجَاة وغَزْوِ بِلادِهم لِمَا كان منهم من غَزْوِ بِلادِ المُسلمين، فاشْتَدَّ أَمْرُهُ في تلك النَّاحِيَة وكَثُرَ أَتْبَاعُه. وبعَثَ إليه ابنُ طُولُونَ عَسْكَرًا فقال لقَائِدِه: إنَّما أَقَمْتُ هُنا[ب] لدَفْعِ الأَعْدَاءِ عن بِلادِ المسلمين، فشَاوِرْ أحمدَ بنَ طُولُون في أَمْرِي، فأَبَى القَائِدُ إلَّا مُنَاجَزَته فهَزَمَه العُمَرِيّ.

ولَمَّا سَمِعَ ابنُ طُولُون خَبَرَه أَنْكَرَ عليهم أَنْ لا يَكُونوا تَرَكُوه، فبَقِيَ على حَالِه من الغَارَاتِ على البُجَاة حتى أَدَّوُا الجِزْيَة. فلَمَّا جَاءَ الصُّوفِيُّ من الأُشْمُونَيْن لَقِيَه العُمَرِيُّ فهَزَمَه، وعَادَ الصُّوفِيُّ إلى أُسْوَانَ واشْتَدَّ عَيْثُهُ، فبَعَثَ إليه ابنُ طُولُونَ

(أ) ص: أشياء. (ب) ص: إنما ألبث هنا.

---

(1) الكامل في التاريخ 3: 310، 316؛ تجارب الأمم 4: 416-421.

العَسَاكِر فهَرَبَ إلى عَيْذَاب وأجَازَ البَحْرَ إلى مَكَّةَ وافْتَرَقَ أصْحَابُه، وقَبَضَ عليه والي مَكَّة وبعَثَ به إلى ابنِ طُولُون فحَبَسه مُدَّةً ثم أطْلَقَه، فرَجَعَ إلى المَدِينَة ومَاتَ بها(1).

وظَهَرَ بالكُوفَة في هذه السَّنَة عليُّ بنُ زَيْدٍ العَلَوِيُّ ومَلَكها وأخْرَجَ عنها العَامِل، وجاءَه الشَّاه / بنُ مِيكَال(أ) من قِبَلِ المُعْتَمِد في جَيْشٍ كَثِيفٍ، فهَزَمَه وأثْخَنَ [253 ب] في أصْحَابِه. فسَرَّحَ المُعْتَمِدُ إلى حَرْبِه كَيْجُور التُّرْكي، فخَرَجَ عليٌّ عن الكُوفَة إلى القَادِسِيَّة وملَكَ كَيْجُورُ الكُوفَةَ أوَّلَ شَوَّال، وأقَامَ عليُّ بنُ زَيْدٍ ببلادِ بني أسَد. ثم غزاه كَيْجُور آخِرَ ذي الحِجَّة فأوْقَعَ به وقَتَلَ وأسَرَ من أصْحَابِه ورَجَعَ إلى الكُوفَة، ثم إلى سُرَّ مَن رَأى، وبَقِيَ عليٌّ هُنَالك إلى أنْ بَعَثَ المُعْتَمِدُ سَنَةَ تِسْعٍ عَسْكرًا فقتلوه بعُكْبَرا وانْقَطَعَ أمْرُه. وقِيلَ: سَارَ إلى صَاحِبِ الزَّنْج فقَتَله سَنَةَ سِتِّين(2).

وفي هذه السَّنَة غَلَبَ الحُسَيْنُ بنُ زَيْدٍ الطَّالِبِيُّ على الرَّيِّ، وسَارَ مُوسَى بنُ بُغَا إليه(3).

بَقِيَّةُ أخْبَارِ الزَّنْج

قد تقَدَّمَ لنا أنَّ المُعْتَمِدَ بعَثَ سَعِيدَ بنَ صَالِح الحَاجِبَ لحَرْبِهم فأوْقَعَ بهم، ثم عاوَدُوه فأوْقَعُوا به وقتَلُوا من أصْحَابِه وأحْرَقُوا عسْكَرَه، ورَجَعَ إلى سامَرَّاء فعَقَدَ

(أ) ح: ميكا.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 238-239، 263-265 وراجع عن أخبار أبي عبد الرحمن العمري، البلوي: سيرة أحمد ابن طولون 64-67؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار 1: 534-535، 4: 881 ؛ المقفى الكبير 4: 403-415.

(2) المصدر نفسه 7: 239-240.

(3) المصدر نفسه 7: 240.

المُعْتَمِدُ على حَرْبِهم [المَنصورِ بنِ جَعْفَرِ الخَيَّاطِ][(أ)]، فقَطَعَ عنهم مِيرَةَ السُّفُنِ، ثم سَارَ إليهم في البَحْرِ فهزَمُوه إلى البَحْرَيْن، ثم بَعَثَ الخَبِيثُ عليَّ بنَ أبَانٍ، من قُوَّادِه، إلى إزْبِلَ لقَطْعِ قَنْطَرَتِها[(ب)]، فلَقِيَ إبْرَاهيمَ بنَ سِيمَا مُنْصَرِفًا من فَارِس، فأوقَعَ به إبراهيمُ وجُرِحَ عليُّ بنُ أبَان، وسَارَ إبراهيمُ إلى نَهْرِ جَيّ، وأمَرَ كاتِبَه شَاهِينَ بنَ بِسْطام باتِّباعِه. وجَاءَ الخَبَرُ إلى عليِّ بنِ أبَانٍ بإقْبَالِ شَاهِين، فسَارَ ولَقِيَه وهَزَمَه وقَتَلَه، ثم سَارَ إلى إبراهيمَ فهزَمَه أشَدَّ من الأولى، وانْصَرَفَ إلى نَهْرِ جَيّ.

وكان مَنْصُورُ بنُ جَعْفَرِ الخَيَّاطُ منذ انْهَزَمَ في البَحْرِ لم يَعُدْ لقِتَالِ الزَّنْجِ، واقْتَصَر على حَفْرِ الخَنادِقِ وإصْلاحِ السُّفُن، فزَحَفَ عليُّ بنُ أبَانٍ لحِصَارِه بالبَصْرَة، وضَيَّقَ على أهْلِ البَلَدِ وأشْرَفَ على دُخُولِها وبعَثَ لاحْتِشَادِ العَرَب، فوَافَاهُ منهم خَلْقٌ فدَفَعَهم لقِتَالِ أهْلِ البَصْرَة وفرَّقَهم على نَوَاحِيها فقاتَلَهم كذلك يومَيْنِ، ثم اقْتَحَمَها عليُّ بنُ أبَانٍ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ وأفْحَشَ في القَتْلِ والتَّخْرِيبِ ورَجَعَ، ثم غادَاهُم ثانيةً وثالثةً حتى طَلَبُوا الأمَانَ فأمَّنَهم وأحْصَرَهُم في بَعْضِ دُورِ الإمَارَة فقَتَلَهم أجْمَعِين. وحَرَّقَ عليُّ بنُ أبَانٍ الجَامِعَ / ومَوَاضِعَ من البَصْرَة، واتَّسَعَ الحَرِيقُ من الجَبَلِ إلى الجَبَل، وعَمَّ النَّهْبُ، وأقَامَ كذلك أيَّامًا، ثم نادَى بالأمَانِ فلم يَظْهَرْ أحَدٌ، وانْتَهَى الخَبَرُ إلى الخَبِيثِ فصَرَفَ عليَّ بنَ أبَانٍ ووَلَّى عليها يحيى بنَ محمَّدٍ البَحْرَانِيّ[(1)]. [254أ]

(أ) الأصول: لجعفر بن منصور الخيّاط. والتصويب مما يلي ومن الكامل 7: 243 وغيره وتاريخ الطبري 9: 476-. (ب) الكامل: قنطرة أزنك، والخبر من تاريخ الطبري 9: 479.

(1) الكامل في التاريخ 7: 242-246، تاريخ الطبري 9: 481-.

مَسيرُ المُوَلَّدِ لِحَرْبِهِم

[لمَّا دَخَلَ الزَّنْجُ البَصْرَةَ][ا] وخَرَّبُوها، أَمَرَ المُعْتَمِدُ مُحَمَّدًا، المعروف بالمُوَلَّد، بالمَسيرِ إلى البَصْرَة، فسَارَ إلى الأُبُلَّةِ ثم نزَلَ البَصْرَةَ واجْتَمعَ إليه أهْلُها، وأخْرَجَ الزَّنْجَ عنها إلى نَهْرِ مَعْقِل. ثم بعَثَ الخبيثُ قائِدَه يحيى بنَ محمَّد لحَرْبِ المُوَلَّد فقَاتَلَه عَشَرَةَ أيَّام، ووَطَّنَ المُوَلَّدُ نفْسَه على المُقَام، وبعَثَ الخَبِيثُ إلى يحيى بنِ محمَّدٍ أبا اللَّيْث الأَصْبَهَانِيَّ مَددًا، وأمَرَهُم بتَبْييتِ المُوَلَّد، فبيَّتُوه وقَاتَلُوه تلك اللَّيْلَةَ والغَدَ إلى المساء، ثم هَزَمُوه، وغَنِمَ الزَّنْجُ عَسْكَرَه، واتَّبَعَه البَحْرَانِيُّ إلى الجَامِدَة، وأوْقَعَ بأهْلِها ونَهَبَ تلك القُرَى أجْمَع، وعَاثَ فيها ورَجَع إلى نَهْرِ مَعْقِل[1].

مَقْتَلُ مَنْصُورٍ الخَيَّاط

كان الزَّنْجُ لمَّا فَرَغُوا من البَصْرَة سَارَ عليُّ بنُ أبَانٍ إلى جَيٍّ، وعلى الأَهْوَازِ[ب] يومَئذٍ مَنْصُورُ[ج] بنُ جَعْفَرٍ الخَيَّاطُ قد ولَّاه عليها المُعْتَمِدُ بعدَ مُواقَعَتِه الزَّنْجَ بالبَحْرَيْن، فسَارَ إلى الأهْوَازِ ونَزَل جَيَّ، وسَارَ عليُّ بنُ أبَانٍ قائِدُ الزَّنْج لحَرْبِه. وجَاءَ أبو اللَّيْث الأَصْبَهَانِيُّ[د] في البَحْر مدَدًا له، وتقَدَّمَ إلى مَنْصُورٍ من غَيْرِ أمْرِ عليّ[هـ]،

(ا) ساقطة من ظ. واستكملت من ص، ح. (ب) أمامه في حاشية ح: على أصبهان. (ج) ح: جعفر بن منصور الخياط.
(د) ح: الأصفهاني. (هـ) سقط من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 246-247.

فظَفِرَ به مَنْصُورٌ وقتَلَ الكثيرَ ممَّن معه وأفلَتَ مُنْهَزِمًا إلى الخبيث. ثم تواقَعَ عليُّ بنُ أبَانٍ معَ مَنْصُور فهزَمَه واتَّبَعَه الزَّنْج، فحَمَلَ عليهم وألْقَى نفسَه في النَّهْر ليَعْبُرَ إليهم فغَرِقَ. وقيل: تقدَّمَ إليه بعضُ الزَّنْج لَمَّا رَآه فقتَلَه في الماء. ثم قُتِلَ أخُوه خَلَفٌ وغيرُه من العَسْكر، ووَلَّى يازجُوجَ على عَمَلِ مَنصورٍ إصْطِيخُورَ، من قُوَّادِ الأتْرَاك[1].

مَسِيرُ المُوفَّقِ لحَرْبِ الزَّنْج

كان أبو أحمدَ المُوَفَّق، وهو أخُو المُعْتَمد، بمكَّة، وكان المُعْتَمِدُ قدِ اسْتَقْدَمَه عندما اشْتَدَّ أمْرُ الزَّنْج وعقَدَ له على الكُوفَة والحَرَمَيْنِ وطَريق مَكَّةَ واليَمَن، ثم عقَدَ له على / بَغْدَادَ والسَّوَادِ ووَاسِطَ وكُوَرِ [ا]دِجْلَةَ والبَصْرةِ والأهْوَاز [وفَارِسَ][ب]، [254 ب] وأمَرَه أنْ يَعْقِدَ ليازجوجَ على البَصْرَة وكُورِ دِجْلَة[ا] واليَمَامَة والبَحْرَيْن مَكانَ سَعيدِ بنِ صَالح، ولمَّا انهَزَمَ سَعيدُ بنُ صالح، عَقَدَ يازْجُوجُ لمَنصُورِ بنِ جَعْفَرٍ مَكَانَه على البَصْرَةِ وكُورِ دِجْلَة والأهْوَاز[2].

ثم قتَلَه الزَّنْجُ كما قُلْنَاه، فعقَدَ المُعْتَمِدُ لأخِيه أبي أحمدَ المُوَفَّقِ على مِصرَ وقِنَّسْرِينَ والعَوَاصِم وخَلَعَ على مُفْلِح، وذلك في رَبيعِ سَنَةَ ثمانٍ وخَمْسين، وسَيَّرَهما لحَرْبِ الزَّنْج فساروا في عُدَّةٍ كامِلَة[3].

(ا – ا) هذه العبارة ساقطة من ح، انتقال نظر.

(ب) إضافة من الكامل في التاريخ.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 251-252.

(2) المصدر نفسه 7: 241 .

(3) المصدر نفسه 7: 252.

وخَرَجَ المُعْتَمِدُ يُشَيِّعُ أخَاه، وكان عليُّ بنُ أبَانٍ بجَيّ، ويحيى بنُ محمدٍ البَحْرَانِيُّ بنَهْرِ العَبَّاس، والخَبيثُ في قِلَّةٍ من النَّاس، وأَصْحَابُه مُتَرَدِّدُونَ إلى البَصْرَة لنَقْل ما نَهَبُوه.

فلمَّا نزَلَ المُوَفَّقُ نَهْرَ مَعْقِل أقْفَلَ الزَّنْج إلى صَاحِبِهم مُرْتَاعِين، فأمَرَ عليَّ بنَ أبَانٍ بالمَسِيرِ إليهم، ولَقِيَ مُفْلِحًا في مُقَدِّمَةِ المُوَفَّق فاقْتَتَلوا، وبينَما هم يَقْتَتِلُونَ إذْ أصَابَ مُفْلِحًا سَهْمٌ غَرْبٌ فقُتِلَ، وانْهَزَمَ أصْحَابُه وأُسِرَ الكَثيرُ منهم، ثم رَحَلَ المُوَفَّقُ نحوَ الأُبُلَّةِ ليَجْمَعَ العَسَاكِرَ، ونَزَلَ نَهْرَ أبي الأسَدِ ووَقَعَ المَوَتَانُ في عَسْكَرِه فرَجَعَ إلى باذَوَرْد، وأقَامَ لتَجْهيزِ الآلَة وإزَاحَة العِلَلِ وإصْلاحِ السُّفُن. ثم عَادَ إلى عَسْكَرِ الخَبيث فالْتَقَوْا، واشْتَدَّ الحَرْبُ بينَهم على نَهْرِ أبي الخَصِيب، وقتل جماعَةً من الزَّنْج واستَنقذ كثيرًا من النِّسَاءِ المَسْبِيَّات، ورَجَعَ إلى عَسْكَرِه بباذَوَرْد، فوَقَعَ الحَريقُ في عَسْكَرِه، ورَحَلَ إلى وَاسِطَ، وافْتَرَقَ أصْحَابُه، فرَجَعَ إلى سَامَرَّاءِ واسْتَخْلَفَ على وَاسِط[1].

مَقْتَلُ البَحْرَانِيِّ قَائِدِ الزَّنْج

كان إصْطِيخُور[أ]، لمَّا وَلِيَ الأهْوَازَ بعدَ مَنْصُورٍ الخَيَّاطِ، بَلَغَهُ مَسِيرُ يحيى بنِ محمَّد قائدِ الزَّنْج إلى نَهْرِ العَبَّاس عندَ مَسِيرِ المُوَفَّقِ إليهم، فخَرَجَ إليه إصْطِيخُور وقَاتَلَه، وعَبَرَ يحيى النَّهْرَ، وغَنِمَ سُفُنَ المِيرَة التي كانت تَمُدُّ إصْطِيخُور، وبَعَثَ طَلائِعَه

(أ) في النسخ بدون نقط، وعند ابن الأثير: اصعجور.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 252-253.

إلى دِجلَة فلَقوا جَيْشَ المُوَفَّقِ فرَجعُوا هَارِبِينَ وطَلائِعُ المُوَفَّق في اتِّبَاعِهِم، وعَبَرُوا النَّهرَ مُنهَزِمِين. وبقِيَ يحيى فقَاتَلَ وانهَزَمَ، ودَخَلَ في بَعْضِ السُّفُنِ جَرِيحًا، وغَنِمَ طَلائِعُ /المُوَفَّق غَنائِمَهم والسُّفُنَ، وأحْرَقُوا بَعْضَها، وعَثَرَ المَلَّاحُونَ على يحيى فأنْزلُوه من سُفُنِهم خَشْيَةً على أنفُسِهم، فسَعَى به طَبِيبٌ كان معه يُدَاوِي جِرَاحَه، وقُبِضَ عليه وحُمِلَ إلى سَامَرَّاءَ وقُطِعَ، ثم قُتِلَ[1]. [1255أ]

ثم أنفَذَ الخَبِيثُ عَلِيَّ بنَ أبَانٍ وسُلَيْمَانَ بنَ مُوسَى الشَّعْرَانِيَّ، من قُوَّادِه، إلى الأهْوَاز، وضَمَّ إليهما الجَيْشَ الذي كان معَ يحيى بنِ محمَّد البَحْرَانِيّ، وذلك سَنَةَ تِسْعٍ وخَمْسِين؛ فلَقِيَهما إصْطِيخُورُ بدَسْتَمَيْسَان وانهَزَمَ أمَامَهما وغَرِقَ، وهَلَكَ من أصْحَابِه خَلْقٌ، وأسِرَ الحَسَنُ *بنُ هَرْثَمَةَ والحَسَنُ*[أ] بنُ جَعْفَرٍ وغيرُهما وحُبِسُوا، ودَخَلَ الزَّنْجُ الأهْوَازَ فأقَامُوا يُفسِدُونَ في نَوَاحِيها ويَعِيثُونَ إلى أنْ قَدِمَ مُوسَى بنُ بُغَا[2].

مَسِيرُ ابنِ بُغَا لحَرْبِ الزَّنْج

ولمَّا مَلَكَ الزَّنْجُ الأهْوَازَ، سَنَةَ تِسْعٍ وخَمْسِين، سَرَّحَ المُعْتَمِدُ لحَرْبِهم مُوسَى بنَ بُغَا وعَقَدَ له على الأهْوَاز، فبَعَثَ إلى الأهْوَازِ عبدَ الرَّحْمَن بنَ مُفْلِحٍ، وإلى البَصْرَةِ إسْحَاقَ بنَ كُنْدَاجِق، وإلى بَاذَوَرْدَ إبراهيمَ بنَ سِيمَا، وأمَرَهُم بمُحَارَبَةِ الزَّنْج. فسَارَ

(أ) ساقطة من ح.

(1) الكامل في التاريخ 7: 254-255.
(2) المصدر نفسه 7: 259.

عبدُ الرَّحْمَنِ إلى عليِّ بنِ أَبَانٍ فهزَمَه أوَّلًا، ثم كانت لعبدِ الرَّحْمَن الكَرَّةُ ثانِيًا فأثْخَن فيهم، ورَجَعُوا إلى الخَبِيث، وجَاءَ عبدُ الرَّحْمَن إلى حِصْنِ مَهْدِيٍّ فعَسْكَرَ به، وزَحَفَ إليه عليُّ بنُ أبانٍ فامْتَنَعَ عليه، فسَارَ إلى إبراهِيمَ بنِ سِيمَا ببَاذَوَرْدَ فواقَعَه، فانْهَزَمَ أوَّلًا إبراهيمُ ثم كانت له الكَرَّةُ ثانيًا. وسَارَ ابنُ أبانٍ في الغِيَاضِ والآجَامِ إلى نَهْرِ يحيى، وبَعَثَ إليه عبدُ الرَّحْمَن جُنْدًا فامْتَنَعَ عليهم في الغِيَاضِ فأضْرَمُوها عليهم نارًا ففَرُّوا هَارِبِين، وأُسِرَ منهم جَمَاعَةٌ.

وسَارَ عبدُ الرَّحْمَن إلى عليِّ بنِ أبَان، وجَاءَه المَدَدُ من الخَبِيث في البَحْرِ، وبَيْنَما عبدُ الرَّحْمَن في حَرْبِه بَعَثَ عليٌّ جَمَاعَةً من خَلْفِه، وشَعَرَ بهم، فرَجَعَ بهم القَهْقَرَى ولم يُصَبْ منه شيءٌ إلَّا بعضَ السُّفُنِ البَحْرِيَّة. ثم رَاجَعَ حَرْبَ عليِّ بنِ أبَان وفي مُقَدِّمَتِه طَاشْتَمُر، فأوْقَعُوا بعليِّ بنِ أبَانٍ ولَحِقَ بالخَبِيثِ صَاحِبِ الزَّنْج، وأقَامَ عبدُ الرَّحْمَن[ا] بنُ مُفْلِح وإبراهيمُ بنُ سِيمَا يَتَنَاوَبَانِ حَرْبَ الخَبِيثِ ويُوقِعَان به، وإسْحَاقُ بنُ كُنْدَاجِق بالبَصْرَة يَقْطَعُ عنه المَدَدَ، وهو يَبْعَثُ لكلٍّ منهما طَائِفَةً يُقَاتِلونَهم، وأقَامُوا على ذلك سَبْعَةَ عَشَرَ [255 ب] /شَهْرًا إلى أن صُرِفَ مُوسَى بنُ بُغَا عن حَرْبِهم، وَوَلِيَها مَسْرُورٌ البَلْخِيُّ كما نَذْكُر[1].

اسْتِيلاءُ الصَّفَّارِ على فَارِسَ[ب]

قد كان تَقَدَّمَ لنا اسْتِيلاءُ يَعْقُوبَ بنِ اللَّيْث الصَّفَّارِ على فَارِس أيَّامَ المُعْتَزِّ من

(ا) ح: علي. (ب) ص: على فارس وطبرستان.

(1) الكامل في التاريخ 7: 259-261.

يَدِ عليِّ بنِ الحُسَيْن بن مُنيل. ثم عَادَت فَارِسُ إلى الخُلَفاء، ووَلِيَهَا الحَارِثُ بنُ سِيما، وكان بها من رِجَالِ العَرَبِ[أ] محمدُ بنُ وَاصِلِ بن إبراهيمَ التَّمِيمِيُّ، فـاتَّفَق مَعَ أحمَدَ بنِ اللَّيْث - من الأكْراد الذين بنَوَاحِيها - ووَثَبُوا بالحَارِثِ بنِ سِيما فقَتَلُوه، واسْتَوْلَى ابنُ وَاصِلٍ على فَارِسَ سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِين، وقَامَ بدَعْوَةِ المُعْتَمِدِ. وبَعَثَ عليها المُعْتَمِدُ الحَسَنَ بنَ الفَيَّاض، فسَارَ إليه يَعْقُوبُ بنُ اللَّيْثِ سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِين. وبَلَغَ ذلك المُعْتَمِدَ، فكَتَبَ إليه بالنَّكِير، وبعَثَ إليه المُوَفَّقُ بوِلاية بَلْخٍ وطَخَارِسْتَانَ، من أعْمَالِه، زِيَادَةً على سِجِسْتَانَ والسِّنْد، فقَبِلَ ورَجَعَ عن فَارِسَ، وسَارَ إلى بَلْخٍ وطَخارِسْتَانَ فملكهما، وسَارَ إلى كابُلَ فملكها وقَبَضَ على رُتْبِيل[ب]، وبَعَثَ إلى المُعْتَمِدِ برُسُلِهِ وهَدَايَاه، ثم رَجَعَ إلى بُسْت، فاعْتَزَمَ على العَوْدِ إلى سِجِسْتَانَ، فعَجَّلَ بعضُ قُوَّادِه الرَّحِيلَ قَبْلَه، فغَضِبَ وأقَامَ سَنَةً ثم رَجَعَ إلى سِجِسْتَانَ[1].

اسْتِيلاءُ الحَسَنِ بنِ زَيْدٍ على جُرْجَان

ولَمَّا هَرَبَ الحَسَنُ بنُ زَيْدٍ أَمَامَ مُفْلِحٍ عن طَبَرِسْتَان، ورَجَعَ مُفْلِحٌ، اعْتَزَمَ الحَسَنُ على الرُّجُوعِ إلى جُرْجَان، فبَعَثَ محمدُ بنُ طَاهِرٍ إليها العَسَاكِرَ لِحِفْظِها فلم يُغْنُوا عنها. وجَاءَ الحَسَنُ فملكها، وضَعُفَ أمْرُ ابنِ طَاهِرٍ في خُرَاسَانَ وانْتَقَضَ عليه كثيرٌ من أعْمَالِها، وظَهَرَ المُتَغَلِّبُون في نَوَاحِيها، وعَاثَ الشُّرَاةُ، من الخَوَارِجِ، في

(أ) ص: العراق. (ب) ابن الأثير: زنبيل.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 247.

أعْمَالِها، ولم يَقْدِرْ على دَفْعِهم، وآلَ ذلك إلى تَغَلُّبِ الصَّفَّارِ على ابنِ طَاهِرٍ وانْتِزَاعِ خُرَاسَانَ من يَدِهِ كما سَنَذْكُرُ[1].

اسْتِيلاءُ الصَّفَّارِ على خُرَاسَان، وانْقِرَاضُ أمْرِ بني طَاهِرٍ منها ثُمَّ اسْتِيلاؤهُ على طَبَرِسْتَان

ثم جَاءَ يَعْقُوبُ إلى هَرَاةَ وحَاصَرَ مَدِينَةَ نَيْسابُورَ حتى مَلَكها، ثم سَارَ إلى بُوشَنْجَ وقَبَضَ على الحُسَيْنِ بن عليٍّ بنِ طَاهِرِ بن الحُسَيْن، وبَعَثَ إليه محمَّدَ بنَ طَاهِرِ بن عبدِ الله شَـافِعًا/ فيه، فـأبَى من إطْلاقِه، ثم وَلَّى على هَـرَاةَ وبُوشَـنْجَ [256أ] وبَاذَغِيسَ ورَجَعَ إلى سِجِسْتَان، وكان بها عبدُ الله السِّجْزِيُّ يُنَازِعُه. فلمَّا قَوِيَ عليه يَعْقُوبُ فَرَّ منه إلى خُرَاسَانَ وحَاصَرَ محمَّدَ بنَ طَاهِرٍ في نَيْسَابُور، وخَرَجَ إليه الفُقَهَاءُ فأصْلَحُوا بَيْنَه وبينَ محمَّد، ووَلَّاه الطَّبَسَيْنِ[2] وقُهُسْتَانَ، وأرْسَلَ يَعْقُوبُ في طَلَبِه فأجَارَه محمَّدٌ فسَارَ يَعْقُوبُ إليه بنَيْسَابُورَ فلم يُطِقْ لِقَاءَه، ونَزَلَ يَعْقُوبُ بظَاهِرِها، فبَعَثَ محمَّدٌ بعُمُومَتِه وأهْلِ بَيْتِه فتَلَقَّوْه. ثم خَرَجَ إليه فوَبَّخَه على التَّفْرِيطِ في عَمَلِه، وقَبَضَ عليه وعلى أهْلِ بَيْتِه. ودَخَلَ نَيْسَابُورَ واسْتَعْمَلَ عليها، وأرْسَلَ إلى الخَلِيفَة بأنَّ أهْلَ خُرَاسَانَ اسْتَدْعَوْه لتَفْرِيطِ ابنِ طَاهِرٍ في أمْرِه وغَلَبَةِ العَلَوِيِّ على

(1) الكامل في التاريخ 7: 248. ويجيء مَوضع هذه الفقرة في نسخة ص بعد الفقرة التالية .

(2) مثنى طَبَس. انظر معجم البلدان 4: 20، وهما طَبَسُ العنّاب، وطَبَسُ التمر.

طَبَرِسْتَان، فبَعَثَ إليه المُعْتَمِدُ بالنَّكِيرِ والاقْتِصَارِ على ما بيَدِه، وإلَّا سَلَكَ به سَبِيلَ المُخَالِفِين، وذلك سَنَةَ تِسْعٍ وخَمْسِين[1].

وقيلَ في مُلْكِه نَيْسَابُورَ غيرُ ذلك، وهُوَ: أنَّ مُحَمَّدَ بنَ طَاهِرٍ أصَابَ دَوْلَتَه العَجْزُ والإدْبَارُ، فكَاتَبَ بَعْضُ قَرَابَتِه يَعْقُوبَ بنَ الصَّفَّارِ واسْتَدْعَوْه، فكَتَبَ يَعْقُوبُ إلى مُحَمَّدِ بن طَاهِرٍ بمَجِيئِه إلى نَاحِيَتِه مُورِيًا بقَصْدِ الحَسَنِ بنِ زَيْد في طَبَرِسْتَان، وأنَّ المُعْتَمِدَ أمَرَهُ بذلك، وأنَّه لا يَعْرِضُ لشيءٍ من أعْمَالِ خُرَاسَان. وبَعَثَ بَعْضَ قُوَّادِه عَيْنًا عليه يَمْنَعُهُ من البَرَاحِ عن نَيْسَابُور، وجَاءَ بَعْدَه. وقَدَّمَ أخَاهُ عُمَرَ إلى مُحَمَّدِ بنِ طَاهِرٍ فقَبَضَ عليه وعَنَّفَه على الإهْمَالِ والعَجْزِ، وقَبَضَ على جَمِيعِ أهْلِ بَيْتِه نحوًا من مائة وسِتِّينَ رَجُلًا، وحَمَلَهُم جَمِيعًا إلى سِجِسْتَان، واسْتَوْلَى على خُرَاسَان، ورَتَّبَ نُوَّابَه في سَائِرِ أعْمَالِها، وذلك لإحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وشهرينِ من وِلَايَةِ مُحَمَّد[2].

ولَمَّا قَبَضَ يَعْقُوبُ على ابنِ طَاهِرٍ واسْتَوْلَى على خُرَاسَان، هَرَبَ مُنَازِعُه عبدُ اللهِ السِّجْزِيُّ إلى الحَسَنِ بنِ زَيْد صَاحِبِ طَبَرِسْتَان، فبَعَثَ إليه فيه فأجَارَه. وسَارَ به إلى يَعْقُوبَ سَنَةَ سِتِّين، وحَارَبَه فانْهَزَمَ الحَسَنُ إلى أرْضِ الدَّيْلَمِ، ومَلَكَ يَعْقُوبُ سَارِيَةَ وآمُلَ، ومَضَى في إثْرِ الحَسَنِ واعْتَصَمَ بجِبَالِ طَبَرِسْتَان فسَارَ فيها، وأصَابَتْه الأمْطَارُ واعْتَرَضَتْه الأوْعَارُ وفَقَدَ من عَسْكَرِه نحوًا من أرْبَعِينَ ألفًا من الرَّجْلِ والظَّهْر، ونَجَا بعدَ مَشَقَّةٍ شَدِيدَة، وكَتَبَ إلى المُعْتَمِدِ بذلك.

(1) الكامل في التاريخ 7: 261-262.

(2) المصدر نفسه 7: 262-263.

وكان عبدُ الله السِّجزيُّ قد هَرَبَ بعد هَزيمَةِ الحَسَن العَلَويِّ إلى الرَّيِّ، فسَارَ/ يَعْقُوبُ في طَلَبِه، وكَتَبَ إلى عَامِلِ الرَّيِّ يُؤذِنُه بالحَرْب إن لم يَدْفَعه إليه، فبَعَثَ به إليه وقَتَلَه ورَجَعَ إلى سِجِسْتَان[أ] . [256 ب]

[ب][أنسابُ بني طَاهِرٍ أمراءِ خُرَاسَانَ لِعَهْدِ بني العَبَّاس، وأخْبَارُهم

هو طاهِرُ بنُ الحسَيْنِ بنِ مُصْعَبِ بنِ رُزَيْقٍ[ج] بنِ ماهانَ[1] ، ويُقالُ رُزَيْقُ ابن أسْعَدَ بنِ دادَوَيْه، وقِيلَ ابن زادانَ، وقِيلَ مصْعَبُ بنُ طَلْحةَ بنِ رُزَيْق بن ماهانَ، ورُزَيْقٌ مَوْلَى طَلْحَةَ الطَّلْحاتِ، وكان من قُوَّادِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ، وابنُه طَلْحَةَ من نُقَباءِ الدَّعْوَةِ، وكان ابنُهُ مُصْعَبٌ كاتِبًا لسليمانَ بنِ كَثيرٍ الخُزاعِيِّ كبيرِ دُعاةِ بني العبَّاسِ، فورِثَ بذلِك نِقابَةَ الدَّعْوَةِ. وكان الحسينُ بنُ مُصْعَبٍ من عُظَماءِ القُوَّادِ بخُراسانَ، وأغْلَظَ له يومًا عليُّ بن عيسَى بنِ ماهانَ وأفْحَشَ في سَبِّه وإهانَتِه، فلَحِقَ بالرَّشيدِ شاكِيًا، وامْتَعَضَ له، فكانتْ من أسبابِ نَكْبَةِ ابنِ ماهانَ[2] .

(أ) تركت بقيّة الصفحة بياضًا في نسخة الأصل ظ.

(ب) هذا الفَصْل، حتى نهاية صفحة 79، ساقط من جَميع النُسَخ وورَد فقط في نسخة ح.

(ج) كذا في الأصل ح رُزيق (بضم الراء) وعند الصفدي في الوافي 16: 394-395 : وفي ما بعد مُصْعَب اختلاف، وأورد ابن خلكان هذه الاختلافات في أوّل ترجمته (وفيات الأعيان 5: 517).

(1) يراجع في ترجمته : العيون والحدائق لمجهول 332-463، مروج الذهب 4: 274، وفيات الأعيان 2: 517-522، الوافي بالوفيات 16: 394-399.

(2) الكامل في التاريخ 6: 203-204، 308.

ووُلِد طاهِرٌ في بُوشَنج من قُرى هَرَاةَ، ونشأ بها أيّامَ كانَ جَدُّه مصعبٌ والِيًا على هَرَاةَ. وحالُه مع المأمونِ وقَتْلُه للأمينِ قد تَقَدَّم [1].

ثم بعَثَ المأمونُ الحسَنَ بنَ سَهْلٍ قبلَ قُدومِه من خراسانَ على ما افتتحه طاهِرٌ، وعلى فارِسَ والأهْوازِ والحجازِ واليمنِ، فوَلّى طاهِرًا على الجزيرةِ والموْصِلِ والشّامِ والمغربِ، وبعثَه لقتالِ نَصْرِ بنِ شَبَثَ العُقَيْليِّ وحصارِه بحصْنِ كَيْسُوم في جبالِ حَلَبَ [2]، ثم قدِمَ المأمونُ من خُراسانَ فولّاه الشُّرْطةَ ببَغْدَاد والسَّوادِ والجزيرةِ، فأقامَ ببغدادَ [3]، وبعَثَ المأمونُ ابنَه عبدَ اللهِ على الجزيرةِ، وكتَبَ طاهرٌ إليه كتابَه المشهورَ بالوَصِيَّةِ [4]، ثم اسْترابَ طاهِرٌ بمكانِه من المأمون، وحاوَل في المسيرِ إلى خُراسانَ، فولّاه عليها بوَساطَةِ أحمدَ بنِ خَالدٍ الوزيرِ، وبعَثَ ابنَه عبدَ اللهِ على عَمَلِه، وأمَرَه بقتالِ نَصْرِ بنِ شَبَثَ العُقَيْليِّ، فسار إلى عَمَلِه، ونزَل بالرَّقَّةِ، وأضافَ إليه وِلايةَ مِصْرَ والسِّنْدِ، ووَلّى مَكانَه على الشُّرْطَةِ ابنَ عمِّه إسْحاقَ بنَ إبراهيمَ بنِ الحسينِ بنِ مُصْعَبٍ، وحاصَر عبدُ اللهِ حصْنَ كَيْسُوم، واسْتَنْزَل نَصْرًا بالأمانِ، وخَرَّبَ الحصْنَ لخمسِ سنينَ من حصارِه، وسارَ طاهِرٌ إلى خُراسانَ فانتقَضَ وماتَ من يومِه سنةَ تسعٍ ومائتين [5]، واستخلَفَ ابنَه طَلْحةَ، فولّى المأمونُ ابنَه عبدَ اللهِ مكانَه واستقدَمَه إلى بغدادَ، فقَدِم سنةَ إحْدَى عَشْرَةَ، واستخلف

(1) العبر 5: 583، 585 .
(2) الكامل في التاريخ 6: 297-298.
(3) المصدر نفسه 6: 360.
(4) تقدم نص الكتاب في العبر 1: 521-524، وانظر تاريخ الطبري 8: 582-591.
(5) الكامل في التاريخ 6: 389-390.

أخاه طَلْحةَ بخُراسانَ. ثم مات طَلْحةُ سنةَ ثِنْتَيْ عَشْرةَ، فسارَ عبدُ اللهِ إلى خُراسانَ ونَزَل نَيسابورَ وأَصْلَحَ أُمورَها وأقام في ولايتِها ومعَها كَرْمانُ وطَبَرِسْتانُ والرَّيُّ، وكانت له الشُّرْطةُ ببغدادَ، والحَرْبُ، وولايةُ السَّوادِ، إلى أنْ تُوفِّيَ سنةَ ثلاثينَ ومائتَيْنِ أيامَ الواثِقِ[1]، فولَّى مكانَه على تلك الأعمالِ ابنَه طاهرًا، واستخْلَف على الشُّرْطَةِ ببغدادَ ابنَ عَمِّه إسْحاقَ بنَ إبراهيمَ، كما كان لأبيه منذُ أيّامِ المأمونِ.

وكان أخوه محمدُ بنُ إبراهيمَ على بلادِ فارِسَ، فبَلَغَه سنةَ خمسٍ وثلاثينَ أنَّ أخاه إسحاقَ توفِّي ووَلَّى المتوكِّلُ ابنَه محمدًا مكانَه، وعَظُم محَلُّه عندَه، فتَذكَّر للخليفةِ، فولَّى محمدَ بنَ إسحاقَ على بلادِ فارِسَ مكانَ عَمِّه محمدِ بنِ إبراهيمَ، فسارَ إليه وعَزَله وقَتَلَه، وولّى مكانَه ابنَ عمِّه الحسَيْنَ بنَ إسماعيلَ بنِ مُصْعَبٍ.

ثم قدِمَ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ من خُراسان فولّاه الشُّرْطةَ والسَّوادَ، وأقام ببغدادَ، وبعثَه المنتصِرُ بنُ المتوكِّلِ في العساكرِ إلى ثَغْرِ مَلَطْيَةَ، وهلَك طاهرُ ابنُ عبدِ اللهِ بخُراسانَ، وعمُّه الحسَيْنُ بنُ طاهرٍ بمَرْوَ سنة ثَمانٍ وأربعينَ، فولَّى المستَعِينُ ابنَه محمَّدَ بنَ طاهرٍ مكانَ أبيه، وعقد[(أ)] لعمِّه محمدِ بنِ عبد اللهِ بن طاهرٍ على الشُّرْطةِ والسَّوادِ والحرَمَيْن[2]، وولَّى محمدُ بنُ طاهرٍ عمَّه طَلْحَةَ على نَيسابُورَ، وابنَه منصورَ بنَ طلحةَ على مَرْوَ وسَرْخَسَ وخُوارِزْمَ، وعمَّه الحسَيْنَ بنَ عبدِ اللهِ

(أ) بعد ذلك في ح: لابنه، مُضَبنا عليها.

---

(1) الكامل في التاريخ 6: 414، 7: 13-14.

(2) المصدر نفسه 7: 118.

على هَراةَ وأعمالِها، وعمَّه سليمانَ بنَ عبدِ اللهِ على طَبَرِسْتانَ، والعبَّاسَ ابنَ عمِّه محمد عَلَى الجُوزجَانِ والطَّالَقانِ، وخرَج بالطَّالَقانِ يَحْيَى بنُ عُمرَ بنِ الحسَيْنِ بن زَيْدٍ الشهيدِ وقَصَد الكُوفةَ، فسرَّح محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بن طاهرٍ لمحاربتِه الحسَيْنَ بنَ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسَيْنِ بنِ مصعَبٍ، فحارَبَه وقتَله بالكوفةِ سنةَ خمسينَ[1].

ثمَّ ظهرَ الحُسَنُ بن زَيْدِ بنِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بن الحسَنِ بنِ زيدِ بنِ الحسَنِ السِّبْطِ بطَبَرِسْتانَ، وأخرجَ منها سليمانَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ، فسار إلى جُرْجَانَ، ثم رجَع إلى طَبَرِسْتانَ ومَلَكَها، وحاربَ الحُسَنَ بن زيْدٍ بعد أنْ جاءه المَدَدُ، فغَلَبَه[2].

وبايَعَ الأتْراكُ بسَامَرَّاءَ للمُعْتَزِّ، وغَلَبُوا المستعينَ، فجاء إلى بغدادَ ونزَل عَلَى محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ وحاصَرَه المعتزُّ والأتراكُ، وطالَتِ الحربُ بينهما[3].

ثم داخَلَ عبدُ اللهِ بن يَحْيَى بنِ خاقانَ وزيرُ المعتزِّ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ، وخَذَّله[أ] عن المستعينِ، ففعَل وتمَّ ذلك، وخَلَع المستعينُ نفسَه وقُتِل سنةَ ثِنْتَيْن وخمسين[4].

وثارَ يَعْقُوبُ الصَّفّارُ في هذه السَّنَةِ وعلَى خُراسانَ محمدُ بنُ طاهرِ بنِ بنِ

(أ) الأصل: بدون نقط.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 126.
(2) المصدر نفسه 7: 130.
(3) المصدر نفسه 7: 141-143.
(4) المصدر نفسه 7: 167، 172.

عبد اللهِ، فقَصَده يَعْقُوبُ وغَلَبه على هَراةَ وبوشَنْج، ثم رجَع ومَلَك فارِسَ سنةَ خمسٍ وخمسينَ[1].

وهَلَكَ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طاهِرٍ ببغدادَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ، وعَهِد بأمْرِه إلى أخِيه عُبَيْدِ اللهِ، وأمضَى المعتزُّ عَهْدَهُ بذلك بعدَ أنْ نازَعه ابنُه طاهِرٌ فلَمْ يَتِمَّ أمْرُه[2]. ثم بعَثَ عن سليمانَ بنِ عبدِ اللهِ من خُراسانَ ووَلَّاه العراقَ والشُّرْطَةَ مكانَ أخِيه محمدٍ، وعَزَلَ عُبَيْدَ اللهِ فانتقَل إلى غربيِّ دجْلَةَ، وأساءَ أهْلُ خُراسانَ مع سليمانَ السِّيرةَ في بغدادَ، فثارَتْ بهم العامَّةُ وأخرَجُوا سليمان فولَّاه طريقَ خُراسانَ، إلى أنْ كانتْ ثَورةُ المُهْتَدِي، فبعَثَه لأخْذِ البَيْعَةِ له ببغدادَ فأخذها، وخُطِبَ له سنةَ خمسٍ وخمسينَ[3].

ثم كَثُرَ الخوارجُ على أحمدَ بنِ طاهرٍ بخُوارِزمَ، وانتقَضَ أهْلُ طَبَرِسْتانَ، ومَلَكها الحسَنُ بن زيْدٍ العَلَويُّ.

ثُمَّ سار يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ بعدَ أنْ مَلَكَ فارِسَ إلى خُراسانَ، وانتزَعَها من يدِ محمدِ ابنِ طاهِرٍ سنةَ تسعٍ وخمسينَ أيَّامَ المعتمِدِ، وبعَث إليه بأنَّه إنَّما فعَل ذلك باستدعاءِ أهْلِ خُراسانَ، فكتَبَ إليه المعتمِدُ بالنَّكيرِ، وأنْ لا يَعْتَرِضَ لشيءٍ مِن ذلك. وولَّى على

(1) الكامل في التاريخ 7: 185.

(2) المصدر نفسه 7: 180-181.

(3) المصدر نفسه 7: 198-199، 201-202.

خُراسانَ مكانَ ابنِ طاهِرٍ نَصرَ بنَ أحمدَ بنِ أسَدِ بنِ سامانَ، وكان يلي لبني طاهِرٍ إلى أنِ انقرَضُوا، فولّاه المعتمِدُ سنة إحْدَى وستِّينَ، وحارَب الصَّفارَ.

وولّى نصرٌ أخاه إسماعيلَ على بُخارَى، وهو كان ابتداءُ دولةِ بني سامانَ هنالك.

وقامَ رَافِعُ بنُ هَرْثَمَةَ بدَوْلَةِ بني طاهرٍ فانتزَعَ خُراسانَ من يدِ الصَّفّارِ، ثمَّ نازَعَه الخُجُسْتانيُّ من أتْباعهم، وبعَثُوا عن الحُسَيْنِ بنِ طاهِرِ بنِ عبدِ اللهِ بن طاهِرٍ ليُقيموا دَعْوتَه، فلمّا وصَل إلى نيسابُورَ أبَى من ولايته عليهم، وأقاموا كلُّهم في فتنةٍ وحربٍ، وعلى خُوارزْمَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ طاهرٍ، وبمَرْوَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ طَلْحَةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ، فقَبَض على الخُجُسْتانيِّ، ثم مَلَكَها الحُسَيْنُ بنُ طاهرٍ من يَدِه، وأحْسَنَ السِّيرَةَ فيهم[1].

ثم ولّى المعتمِدُ عمرَو بنَ اللَّيْثِ الصَّفّار عندما كتَبَ بطاعتِه على الشُّرْطَةِ ببغدادَ، فاستَخلَفَ بها عُبَيْدَ اللهِ بنَ عبدِ اللهِ بنِ طَاهرٍ.

ثم قلَّد المعتمِدُ أعمالَ خُراسانَ سنةَ إحْدَى وسبعين لمحمدِ بنِ طاهرٍ، وهو ببغدادَ، واستخلَفَ رافعَ بنَ هَرْثمةَ الثّائرَ على الخُجُسْتانيِّ، وأقَرَّ نَصْرَ بن أحمد على ما وَرَاء النَّهرِ[2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 367-368.

(2) المصدر نفسه 7: 414.

ثم حبَس المعتمِدُ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ بإغراءِ عَمْرِو بنِ اللَّيثِ؛ لأنَّه اتَّهمه بمُمالَأةِ أخيه الحسَنِ بنِ طاهرٍ وأحمد الخُجُسْتانيِّ أعْدائهم بخُراسانَ، وأزال الخُجُسْتانيُّ سنةَ سَبْعٍ وستِّينَ ذِكْرَ محمدِ بنِ طاهرٍ مِن المَنابِرِ، ودعَا لنفْسِه بعدَ المُعْتَمِدِ[1].

وكان على الشُّرْطَة ببغداد عُبَيْدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ وابنُه محمدٌ بعدَه إلى أيَّامِ المعْتَضِدِ، فولَّى على الشُّرْطَةِ بَدْرًا مَوْلاه، وانقرَضَ أمْرُ بني طاهرٍ، والمُلْكُ للهِ][أ].

(أ) آخر النص الذي انفردت به ح.

(1) الكامل في التاريخ 7: 361.

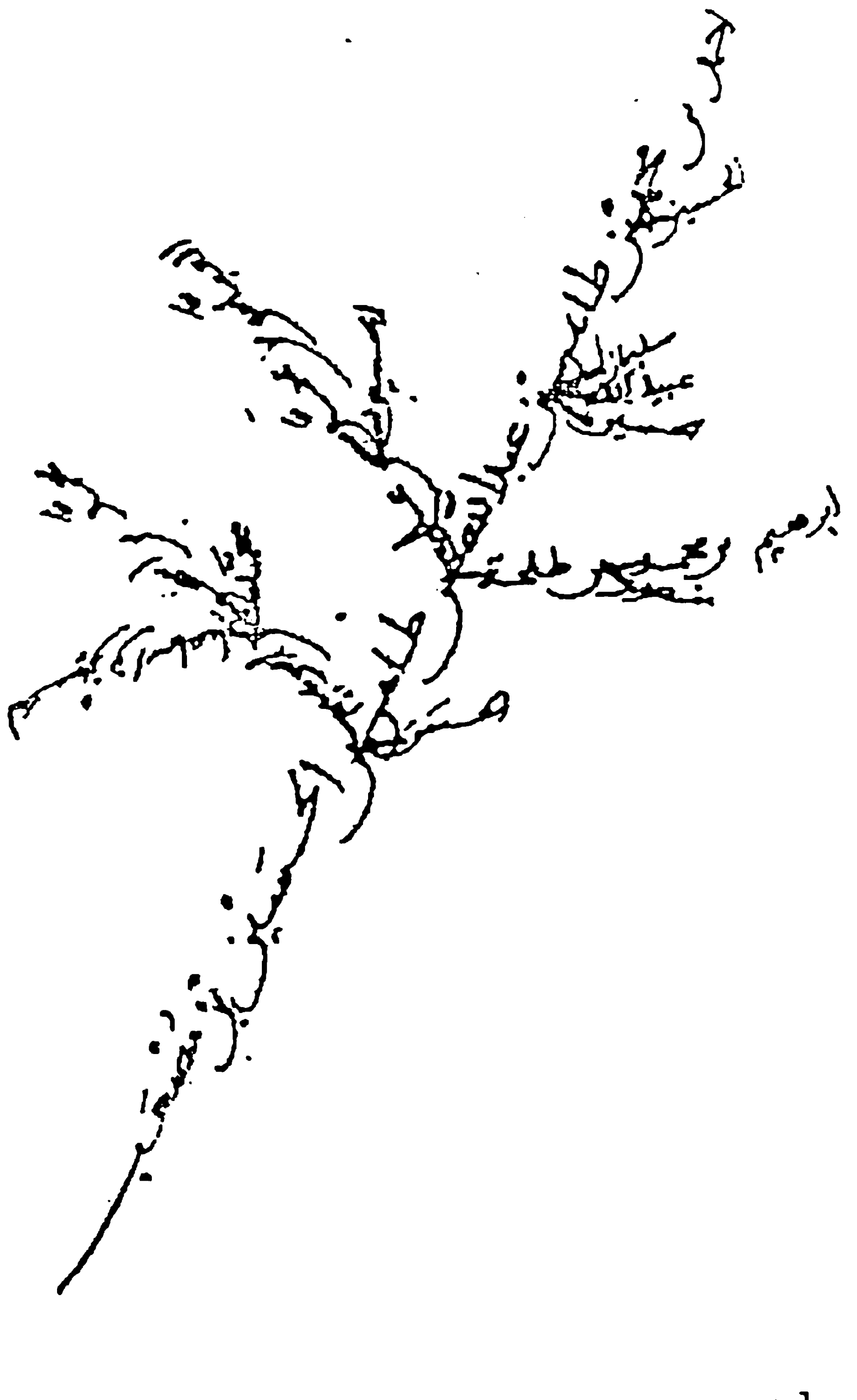

[نسب بني طاهر بن الحسين] (وانفردتْ به نسخة ح)

/فِتْنَةُ المَوْصِلِ

[257 أ]

كان المُعْتَمِدُ قد وَلَّى على المَوْصِل أَسَاتِكين، من قُوَّادِ الأَتْرَاك، فبَعَثَ هُوَ عليها ابنَه أذكَرتَكين[أ]، وسَارَ إليها في جُمَادَى سَنَةَ تِسْعٍ وخَمْسِين، فأَسَاءَ السِّيرَةَ وأَظْهَرَ المُنكَرَ وعَسَفَ بالنَّاسِ في طَلَبِ الخَرَاجِ[ب]، وتَعَرَّضَ بَعْضَ الأَيَّامِ رَجُلٌ من حَاشِيَتِه إلى امْرَأَةٍ في الطَّرِيق، وتَخَلَّصَها من يَدِه بَعْضُ الصَّالِحِين، فأَحْضَرَه أذكَرتَكينُ وضَرَبَه ضَرْبًا شَدِيدًا، فاجْتَمَعَ وُجُوهُ البَلَدِ وتَآمَرُوا في رَفْعِ أَمْرِهِم إلى المُعْتَمِد، فرَكِبَ إليهم لِيُوقِعَ بهم فقَاتَلُوه وأَخْرَجُوه، واجْتَمَعُوا على يحيى بنِ سُلَيْمانَ ووَلَّوْه أَمْرَهم[1].

ولما كانت سَنَةُ إِحْدَى وسِتِّين ولَّى أَسَاتكين عليها الهَيْثَمَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ المَعْمَرِ التَّغْلِبِيَّ العَدَوِيَّ، وأَمَرَه أن يَزْحَفَ لحَرْبِهم ففَعَلَ، وقَاتَلُوه أَيَّامًا وكَثُرَتِ القَتْلَى بينَهم، ورَجَعَ عنهم الهَيْثَمُ، ووَلَّى أَسَاتكين مَكَانَه إسْحَاقَ بنَ أَيُّوبَ التَّغْلِبِيَّ، فزَحَفَ إليها في عشرينَ ألفًا ومعَه حَمْدَانُ بنُ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيُّ جَدُّ بني حَمْدَانَ وغَيْرُه، وحَاصَرَها مُدَّةً، ومَرِضَ يحيى بنُ سُلَيْمان الأميرُ في أَثْنائِها، فطَمِعَ إسْحَاقُ في البَلَد وجَدَّ في الحِصَار، واقْتَحَمَها من بَعْضِ الجِهَاتِ فأَخْرَجُوه، وحَمَلُوا يحيى بنَ سُلَيْمانَ في

(أ) عند ابن الأثير: أذكوتكين. (ب) ص: الخوارج.

(1) الكامل في التاريخ 7: 269-270.

قُبَّةٍ وألقَوْه أمامَ الصَّفّ واشْتَدّ القِتالُ، ولم يَزَلْ إسْحاقُ يُراسِلُهم ويَعِدُهُم حُسْنَ السِّيرَةِ إلى أنْ أجابُوه على أنْ يُقِيمَ بالرَّبَضِ فأقَامَ أسْبُوعًا، ثم حَدَثَت مِمَّن بايَعَهُ بَعْضُ الفَعْلات فوَثَبُوا به وأخْرَجُوه، واسْتَقَرَّ يحيى بنُ سُلَيْمانَ بالمَوْصِل [1].

حُرُوبُ ابنِ واصِلٍ بفارِس

قد تَقَدَّمَ لنا وُثُوبُ محمَّدِ بنِ وَاصِل بنِ إبراهيمَ التَّمِيمِيِّ بالحارِثِ بن سِيَما عَامِلِ فَارِسَ وتَغَلُّبُهُ عليها سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِين، فلمَّا بَلَغَ ذلك إلى المُعْتَمِد أضَافَ فَارِسَ والأهْوَازَ والبَصْرَةَ والبَحْرَيْنِ واليَمَامَةَ إلى مُوسى بنِ بُغَا مع ما كان بيدِه، فوَلَّى من قِبَلِه على فَارِسَ عبدَ الرَّحْمَن بنَ مُفْلِح وبَعَثَه إلى الأهْوَازِ وأمَدَّه بطَاشْتَمُر، وزَحَفُوا من الأهْوَاز إلى ابنِ وَاصِل سَنَةَ إحْدَى وسِتِّين، فسَارَ إليهم من فَارِسَ ومَعَه أبو دَاوُدَ الصُّعْلُوك، ولَقِيَهم برَامَهُرْمُزَ فهَزَمَهم، وقَتَلَ طَاشْتَمُر وأَسَرَ ابنَ مُفْلِح وغَنِمَ عَسْكَرَهم [2].

وبَعَثَ إليه المُعْتَمِدُ/ في إطْلاقِ ابنِ مُفْلِح، فقَتَلَه خُفْيَةً، وسَارَ لحَرْبِ مُوسَى ابنِ بُغَا بوَاسِطَ، وانْتَهَى إلى الأهْوَاز، وبها إبراهيمُ بنُ سِيَما في جُمُوعٍ كَثِيرَة. ولمَّا رَأى مُوسَى بنُ بُغَا اضْطِرَابَ هذه النَّاحِية اسْتَعْفَى المُعْتَمِدَ من وِلايَتِها فأعْفَاه، وكان عندَ [257 ب]

(1) الكامل في التاريخ 7: 270-271.
(2) المصدر نفسه 7: 275.

انصِرَافِ ابنِ مُفْلِح عن الأهْوَازِ إلى فَارِسَ قد وَلَّى مَكَانَه أبَا السَّاج وأمَرَه بمُحارَبَة الزَّنْج، فبَعَثَ صِهْرَه عبدَ الرَّحْمَن لذلك، فلَقِيَه عليُّ بنُ أبَانٍ قائِدُ الزَّنْج، فَهزَمَه عليٌّ وقَتَلَه، وانْحَازَ أبو السَّاج إلى عَسْكَرِ مُكْرَم، ومَلَكَ الزَّنْجُ الأهْوَازَ فعَاثُوا فيها[1]. ثم عُزِلَ أبو السَّاج عن ذلك ووُلِّي مَكَانَه إبراهيمُ بنُ سِيَما، فلم يَزَل بها حتى انصَرَفَ مُوسَى بنُ بُغَا عن الأعْمَال كلِّها.

ولمَّا هَزَمَ ابنُ وَاصِل عبدَ الرَّحْمَن بنَ مُفْلِح وقَتَلَه، طَمِعَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ في مُلْكِ فَارِس، فسَارَ من سِجِسْتَانَ مُجِدًّا، ورَجَعَ ابنُ وَاصِل من الأهْوَازِ إليه، وتَرَكَ مُحَارَبَةَ ابنِ سِيَما، وأرْسَلَ خَالَه أبَا بِلالٍ مِرْدَاسًا إلى الصَّفَّار، ورَاجَعَه بالكُتُبِ والرُّسُل فحَبَسَ ابنُ وَاصِلٍ رُسُلَه، ورَحَلَ يُغِذُّ السَّيْرَ ليَفْجَأَهُ على بَغْتَةٍ، وشَعَرَ به الصَّفَّارُ فقال لخَالِهِ مِرْدَاس: إنَّ صَاحِبَك قد غَدَرَ بنا وسَارَ إليهم، وقد أعْيَوْا[أ] وتَعِبُوا من شِدَّةِ السَّيْر، ومَاتَ أكْثَرُهم عَطَشًا. فلما تراءَى الجَمْعَانِ انْهَزَمَ ابنُ وَاصِلٍ دونَ قِتَال، وغَنِمَ الصَّفَّارُ ما في عَسْكَرِه وما كان أصَابَ لابنِ مُفْلح، واسْتَوْلَى على بِلادِ فَارِسَ ورَتَّبَ بها العُمَّالَ، وأوْقَعَ بأهْلِ زَمَّ لإعَانَتِهم ابنَ وَاصِل، وطَمِعَ في الاسْتِيلاءِ على الأهْوَازِ وغَيْرِها[2].

(أ) ظ: لعبوا.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 275، 276.

(2) المصدر نفسه 7: 276-277.

مُبْتَدأُ دَوْلَة بني سَامَانَ وَرَاءَ النَّهْرِ (1)

كان جَدُّهم أَسَدُ بنُ سَامَان من أهْلِ خُرَاسَانَ وبُيُوتِها، ويَنْتَسِبُون في الفُرْسِ تَارَةً وإلى سَامَةَ بنِ لُؤيِّ بنِ غَالِبٍ أُخْرَى. وكان لأسَدٍ أرْبَعَةٌ من الوُلْدِ: نُوحٌ وأحْمَدُ ويحيى وإلْيَاس، وتَقَدَّمُوا عندَ المأمُون أيّامَ وِلايَتِه خُرَاسَانَ واسْتَعْمَلَهُم، ولمَّا انْصَرَفَ المأمُونُ إلى العِرَاق وَلَّى على خُرَاسَان غَسَّانَ بنَ عَبَّاد ـ من قَرَابَة الفَضْلِ بنِ سَهْلٍ ـ فوَلَّى نُوحًا منهم على سَمَرْقَنْد، وأحْمَدَ على فَرْغَانَة، ويحيى على الشَّاشِ وأُشْرُوسَنَة، وإلْيَاسَ على هَرَاة.

فلمَّا وَلِيَ طَاهِرُ بنُ الحُسَيْن بعدَه أقَرَّهم/ على أعْمَالِهم، ثم مَاتَ نُوحُ بنُ أسَد، [258أ] فأقَرَّ أخَوَيْه يحيى وأحمدَ على عَمَلِه، وكان حَسَنَ السِّيرَة. ومَاتَ إلْيَاس بهَرَاة، فوَلَّى عبدُ الله بنُ طاهر مَكَانَه ابنَه أبا إسْحَاق محمَّدَ بنَ إلْيَاس، وكان لأحمدَ بنِ أسَدٍ من البَنِينَ سَبْعَةٌ: نَصْرٌ و[أبو يُوسُف] (أ) يَعْقُوب و[أبو زكريّا] (أ) يحيى وإسْمَاعِيلُ وإسْحَاقُ وأسَد، وكُنْيَتُه أبو الأشْعَث، وحُمَيْدٌ، وكُنْيَتُه أبو غَانِم. فلمَّا تُوُفِّي أحمدُ اسْتَخْلَفَ ابنَه نَصْرًا على أعْمَالِه بسَمَرْقَنْدَ وما إليها، وأَقَامَ إلى انْقِرَاضِ أيَّام بني طَاهِرٍ وبَعْدَهم، وكان

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الدَّوْلَة السَّامانية. أسرةٌ فارسيةٌ حكمت فيما وراء النهر في خُرَاسان، بدأت أوّلًا تابعة للطاهريين، ثم استقلوا عنهم فيما بين سنتي 204-395هـ/819-1005م، وتوجد أخبارها في كتب التاريخ العامة إضافة إلى كتاب "تاريخ بخارى" للنَّرْشَخِيّ، القاهرة ؛ وانظر كذلك مقال بوزورث في دائرة المعارف الإسلامية C.E. Bosworth, *EI*² art *Sâmânides* VIII, 1060-64.

يَلِي أعْمَالَه من قِبَلِ وُلَاةِ خُرَاسَانَ إلى حين انقَرَضَ أمرُ[أ] بني طَاهِر.

واسْتَوْلَى الصَّفَّارُ على خُرَاسَان، فعَقَدَ المُعْتَمِدُ لنَصْرٍ هذا على أعْمَالِه من قِبَلِه سَنَةَ إحْدَى وستِّين. ولمَّا مَلَكَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ خُرَاسَان ـ كما قُلْنا ـ بَعَثَ نَصْرٌ جُيُوشَه إلى شَطِّ جَيْحُون مَسْلَحَةً من عُبُورِ الصَّفَّار، فقَتَلُوا مُقَدَّمَه[ب] ورَجَعُوا إلى بُخَارَى، وخَشِيَهُم وَالِيها على نَفْسِه ففَرَّ عنها، فوَلَّوْا عليهم ثم عَزَلوا ثم وَلَّوْا ثم عَزَلُوا، فبَعَثَ نَصْرٌ أخَاهُ إسْمَاعِيلَ لضَبْطِ بُخَارَى[1].

ثم وَلِيَ خُرَاسَانَ من بعدِ ذلك رَافِعُ بنُ هَرْثَمَةَ بدَعْوَة بني طَاهِر، وغَلَبَ الصَّفَّارُ عليها، وحَصَلَت بينَه وبينَ إسْمَاعيلَ صَاحِبِ بُخَارَى مُوَالاةٌ اتَّفَقَا فيها على التَّعَاوُنِ والتَّعَاضُد، وطَلَبَ منه إسماعيلُ أعْمَالَ خُوَارِزْم، فوَلَّاهُ إيَّاها، وفَسَدَ ما بينَ إسْمَاعيلَ وأخِيه نَصْر. وزَحَفَ نَصْرٌ إليه سَنَةَ ثنتَينِ وسَبْعِين، واسْتَجَاش إسْمَاعيلُ برَافِعِ بنِ هَرْثَمَة، فسَارَ إليه بنَفْسِه مَدَدًا، ووَصَلَ إلى بُخَارَى، ثم أوْقَعَ الصُّلحَ بَيْنَه وبينَ أخِيه خَوْفًا على نَفْسِه، وانْصَرَفَ رَافِعٌ. ثمّ انْتَقَضَ ما بينَهما وتَحَارَبَا سَنَةَ خَمْسٍ وسَبْعِين، فظَفِرَ[ج] إسْمَاعيلُ بنَصْر، ولمَّا أُحْضِرَ عندَه تَرَجَّلَ له إسْمَاعيلُ وقَبَّلَ يَدَهُ ورَدَّهُ إلى كُرْسِيِّ إمَارَتِه بسَمَرْقَنْد، وأقَامَ نَائِبًا عنه ببُخَارَى، وكان إسماعيلُ خيرًا مُكْرِمًا لأهْلِ العِلْم والدِّين[2].

(أ) ص: انقراض أيّام. (ب) ح: مقدّمهم. (ج) ص: وظفر.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 279-281.

(2) المصدر نفسه 7: 281-282.

مَسِيرُ المُوَفَّق إلى البَصْرَة لحَرْبِ الزَّنْج ووِلَايَةِ العَهْد

ولمَّا اسْتَعْفَى مُوسَى بن بُغَا من وِلَايَة النَّاحِيَة الشَّرْقِيَّة، اعْتَزَمَ المُعْتَمِدُ على تَجْهِيزِ أخِيه أبي أحمدَ المُوفَّق، فجَلَسَ في دَارِ العَامَّة وأحْضَرَ النَّاسَ على طَبَقَاتِهم، وذلك في شَوَّالٍ من سَنَة إحْدَى وسِتِّين، وعَقَدَ لابنِه جَعْفَرٍ العَهْدَ من بَعْدِه، ولَقَّبَه: [المُفَوَّضَ إلى الله، وضَمَّ إليه مُوسَى بنَ بُغَا، ووَلَّاهُ إفْرِيقِيَّةَ ومصرَ والشَّامَ والجَزِيرَةَ والمَوْصِلَ وأرْمِينِيَّةَ وطريقَ خُرَاسَانَ ومِهْرِجان قَذَق[أ]، وعَقَدَ لأخيه أبي أحمدَ العَهْدَ بَعْدَه ولَقَّبَهُ][ب]: /النَّاصِرَ لدينِ الله المُوَفَّق، ووَلَّاه المَشْرِقَ وبَغْدَادَ وسَوَادَ الكُوفَة وطَرِيقَ مَكَّةَ واليَمَنَ [258 ب] وكَسْكَرَ وكُوَرَ دِجْلَة والأهْوَازَ وفَارِسَ وأصْبَهَانَ والكَرَجَ والدِّينَوَرَ والرَّيَّ وزَنْجَانَ والسِّنْد. وعَقَدَ لكلِّ وَاحِدٍ منهما لِوَاءَيْن: أبيَضَ وأسْوَد، وشَرَطَ أنَّه إنْ مَاتَ وجَعْفَرٌ لم يَبْلُغ فيُقَدَّمُ المُوَفَّقُ عليه، ويكونُ هُوَ بَعْدَه. وأُخِذَتِ البَيْعَةُ بذلك على النَّاس[1].

وعَقَدَ جَعْفَرٌ لمُوسَى بنِ بُغَا على أعْمَالِ المَغْرِب، واسْتَوْزَرَ صَاعِدَ بنَ مَخْلَدٍ، ثم نَكَبَه سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ واسْتَصْفَاه[ج]، [واسْتَكْتَب][د] مَكَانَهُ أبا الصَّقْر *إسْمَاعِيلَ ابنَ بُلْبُل، وأمَرَ المُعْتَمِدُ أخَاهُ المُوَفَّقَ بالمَسِيرِ لحَرْبِ الزَّنْج، فبَعَثَ في مَقدِّمَتِه*[هـ] واعْتَزَمَ على المَسِير بَعْدَه[2].

(أ) في ح: نهر لعدف مهملة، وتقدمت في صفحة 11. (ب) من ح، وسقط من ظ. (ج) سقط من ح. (د) من ح، وفي ظ: واستركب. (هـ) ما بين النجمين سقط من ح.

(1) الكامل في التاريخ 7: 277-278.
(2) المصدر نفسه 7: 278.

وَقْعَةُ الصَّفَّارِ والمُوفَّق

كان يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ لمَّا مَلَكَ فَارِسَ من يَدِ ابنِ وَاصِل، وخُرَاسَانَ من يَدِ ابنِ طَاهِر، وقَبَضَ عليه، صَرَّحَ المُعْتَمِدُ بأنَّه لم يُوَلِّه ولا فَعَلَ ما فَعَلَ بإذْنِه، وبَعَثَ ذلك مَعَ حَاجِّ خُرَاسَانَ وطَبَرِسْتان، سار إلى الأهْوَاز يُرِيدُ لِقَاءَ المُعْتَمِد - وذلك سَنَةَ ثنتَين وستّين - فأرْسَلَ إليه المُعْتَمِدُ إسْحَاقَ بنَ إبْراهيم وبَغْرَاج، من قُوَّادِ الأتْرَاك، ليَرُدُّوه عن ذلك، وبَعَثَ معَهما بمَن كان في حَبْسِه من أصْحَابِ الصَّفَّارِ الذين حُبِسُوا عندما قُبِضَ على محمَّدِ بنِ طَاهِر، وعَادَ إسْمَاعِيلُ من عندِ الصَّفَّارِ بعَزْمِه على الوُصُول، فتأخَّرَ المُوَفَّقُ لذلك عن المَسِيرِ لحَرْبِ الزَّنْج، ووَصَلَ مَعَ إسْمَاعِيلَ من عندِ الصَّفَّارِ حَاجِبُه دِرْهَمٌ يَطْلُبُ وِلَايَةَ طَبَرِسْتَانَ وخُرَاسَانَ وجُرْجَانَ والرَّيِّ وفَارِسَ والشُّرْطَةِ ببَغْدَاد، فوَلَّاه المُعْتَمِدُ ذلك كلَّه مُضَافًا إلى ما بيَدِه من سِجِسْتَانَ وكَرْمان، وأعَادَ حَاجِبَه إليه بذلك ومَعَه عُمَرُ بنُ سِيما. فكَتَبَ يقول: لا بُدَّ من الحُضُورِ ببَابِ المُعْتَمِد. وارْتَحَلَ من عَسْكَرِ مُكْرَمٍ جَائِيًا، وسَارَ إليه أبو السَّاج من الأهْوَاز لدُخُولِه تحتَ وِلايَتِه، فأكْرَمَه ووَصَلَه وسَارَ إلى بَغْدَاد.

ونَهَضَ المُعْتَمِدُ من بَغْدَادَ فعَسْكَرَ بالزَّعْفَرَانِيَّةِ، ووَافَاه مَسْرُورٌ البَلْخِيُّ من مَكَانِه في مُوَاجَهَةِ الزَّنْج، وجَاءَ يَعْقُوبُ إلى وَاسِطَ فمَلَكَها، ثم سَارَ منها إلى دَيْرِ العَاقُول، وبَعَثَ المُعْتَمِدُ أخَاه المُوَفَّقَ لمُحَارَبَتِه وعلى مَيْمَنَتِه مُوسَى بنُ بُغَا، وعلى مَيْسَرَتِه مَسْرُورٌ / البَلْخِيُّ، فقَاتَلَه مُنْتَصَفَ رَجَب، وانْهَزَمَت مَيْسَرَةُ المُوَفَّقِ وقُتِلَ [259 أ]

فيها إبراهيمُ بنُ سِيما وغيرُه من القُوّاد[1].

ثم تَراجَعُوا واشتَدَّتِ الحَرْبُ، وجَاءَ إلى المُوَفَّق محمدُ بنُ أوْس والدّارَانيُّ مَدَدًا من المُعْتمِد، وفَشِلَ أصْحَابُ الصَّفَّارِ لمَّا رَأَوْا مَدَدَ الخَليفَة فانْهَزَمُوا، وجُرِحَ الصَّفَّارُ، واتَّبَعَهم أصْحَابُ المُوَفَّقِ وغنِمُوا من عَسْكَرِه نحوًا من عَشَرَةِ آلافٍ من الظَّهْر، ومن الأمْوَالِ والمِسْكِ ما يؤُودُ حَمْلُه، وكان محمَّدُ بنُ طَاهِر مُعْتَقَلًا معَهُ في العَسْكَرِ منذُ قُبِضَ عليه بخُرَاسَان، فتَخَلَّصَ ذلك اليَوْمَ، وجَاءَ إلى المُوَفَّقِ وخَلَعَ عليه ووَلَّاه الشُّرْطَةَ ببَغْدَاد.

وسَارَ الصَّفَّارُ إلى خُوزِسْتَانَ فنَزَلَ جُنْدَيْسَابُور، ورَاسَلَه صَاحِبُ الزَّنْج يَحُثُّه على الرُّجُوعِ ويَعِدُه المُسَاعَدَة، فكَتَبَ إليه: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[2] [سورة الكافرون الآيتان 1، 2].

وكان ابنُ وَاصِل قد خَالَفَ الصَّفَّارَ إلى فَارِس ومَلَكَها، فكَتَبَ إليه المُعْتَمِدُ بوِلايَتِها، وبَعَثَ الصَّفَّارُ إليها جَيْشًا مع عُمَرَ بنِ السَّرِيّ، من قُوَّادِه، فأخْرَجَه عنها ووَلَّى على الأهْوَازِ محمَّدَ بنَ عُبيدِ الله بن هَزَارمَرْد الكُرْدِيَّ. ثم رَجَعَ المُعْتَمِدُ إلى سَامَرَّاءَ والمُوَفَّقُ إلى وَاسِط. واعْتَزَمَ المُوَفَّقُ على اتِّبَاعِ الصَّفَّار، فقَعَدَ به المَرَضُ عن ذلك، وعَادَ إلى بَغْدَادَ ومعَهُ مَسْرُورٌ البَلْخِيُّ، وأقْطَعَهُ ما لأبي السَّاج من الضِّيَاع والمَنَازِل، وقَدِمَ معَهُ محمَّدُ بنُ طَاهِر فقَامَ بوِلَايَةِ الشُّرْطَة ببَغْدَاد[3].

(1) الكامل في التاريخ 7: 290-291.
(2) المصدر نفسه 7: 291-292.
(3) المصدر نفسه 7: 292.

سِيَاقَةُ أَخْبَارِ الزَّنْج

قد ذكَرْنَا أنَّ مَسْرُورًا البَلْخِيَّ سَارَ بعد مُوسَى بنِ بُغَا لحَرْبِ الزَّنْجِ، ثم سَارَ مَسْرُورٌ لِلِقاءِ المُعْتَمِد وحَضَرَ مَعَ المُوَفَّقِ حَرْبَ الصَّفَّار، وبَلَغَ صَاحِبَ الزَّنْجِ خُلُوُّ تِلْكَ النَّوَاحِي من العَسَاكِر، فَبَثَّ سَرَايَاهُ فيها للنَّهْبِ والحَرْقِ والتَّخْرِيب، فبَعَثَ سُلَيْمَانَ بنَ جَامِعٍ إلى البَطِيحَةِ، وسُلَيْمَانَ بنَ مُوسَى إلى القَادِسِيَّةِ. وجَاءَ أبو [بَكْر][أ] التُّرْكِيُّ في السُّفُنِ يُرِيدُ عَسْكَرَ الزَّنْجِ، فأخَذَ عليه سُلَيْمَانُ بنُ مُوسَى الطُّرُقَ وقَاتَلَه شَهْرًا حتى تَخَلَّصَ وانْحَازَ إلى سُلَيْمَانَ بن جَامِعٍ، وبَعَثَ إليهما الخَبِيثُ بالمَدَدِ، وكان مَسْرُورٌ قد بَعَثَ قَبْلَ مَسِيرِه من وَاسِطَ جُنْدًا في البَحْرِ إلى سُلَيْمَانَ فهَزَمَهُم / [259 ب] وظَفِرَ بهم وقَتَلَ أسْرَاهُم، ونَزَلَ بقَرْيَة مَرْوَانَ قَرِيبًا من بَعْقُوبَا[ب] مُتَحَصِّنًا بالغِيَاض والأوْعَار. وزَحَفَ إليه قَائِدَانِ من بَغْدَاد، وهما: أغَرْتَمَش و[خُشَيْشٌ][ج]، في العَسَاكِرِ بَرًّا وبَحْرًا، وأمَرَ سُلَيْمَانُ أصْحَابَه بالاخْتِفَاءِ في تلك الغِيَاض حتى يَسْمَعُوا أصْوَاتَ الطُّبُول[1].

وأقْبَلَ أغَرْتَمَش، ونَهَضَ شِرْذِمَةٌ من الزَّنْجِ فوَاقَعُوا أصْحَابَه وشَاغَلُوهم، وصَارَ سُلَيْمَانُ من خَلْفِهم وضَرَبَ طُبُولَه وعَبَرُوا إليهم في المَاء، فانْهَزَمَ أصْحَابُ أغَرْتَمَش وظَهَرَ ما كان مُخْتَفِيًا من الزَّنْج، وقُتِلَ خُشَيْشٌ[د] واتَّبَعُوهم إلى العَسْكَر وغَنِمُوا منه، وأخَذُوا من القِطَعِ البَحْرِيَّة، ثم اسْتَرَدَّها أغَرْتَمَش من أيْدِيهم، وعَادَ سُلَيْمَانُ ظَافِرًا وبَعَثَ برأس

(أ) من ح، وفي الكامل 7: 293: وقدم ابن التركي.. وفي نسخة منه C.P : ابو . (ب) كذا في النُّسَخ، وفي الكامل: بالجانب الشرقي من نهر طَهِثا. (ج) في النسخ: حسسا مهملة ومنصوبة، والتصويب عن الطبري 9: 524. (د) ورد مهملًا كلما ذكر.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 292-293.

خُشَيْشٍ إلى الخَبِيثِ صَاحِبِه، فبَعَثَ به إلى عليِّ بنِ أبانٍ في نَوَاحِي الأهْوَاز[1].

وكان مَسْرُورٌ البَلْخِيُّ قد بَعَثَ إلى كُوَرِ الأهْوَاز أحمدَ بنَ لَيْثُونَه[أ]، فنَزَلَ السُّوسَ، وكان صَاحِبُ الأهْوَاز من قِبَلِ الصَّفَّار يُكاتِبُ صَاحِبَ الزَّنْج ويُدَارِيه، ويَطْلُبُ له الوِلَايَةَ عنهُ، فشَرَطَ عليه أن يكونَ خَلِيفَةً لابنِ أبَان، فقَبِلَ، فلمَّا نَزَلَ ابنُ لَيْثُونَةَ السُّوسَ، بَعَثَ عليُّ بنُ أبَان إليه جَيْشًا، معهم مَدَدُ محمَّدِ بنِ هَزَارْمَرْد صَاحِبِ الأهْوَاز، فقاتَلَهم أحمدُ بنُ لَيْثُونةَ[أ] فهَزَمَهم، وسَارَ فنَزَلَ سَابُورَ، وجَاءَ عليُّ ابنُ أبَانٍ لإنْجَاده، واجْتَمَعَا بتُسْتَرَ.

ولَمَّا رَأَى أحمدُ تَظَافُرَهما رَجَعَ إلى السُّوس، وكان عليُّ بنُ أبَانٍ يَرُومُ خُطْبَةَ محمَّدٍ له بعَمَلِه، فلمَّا اجْتَمَعَا بتُسْتَرَ خَطَبَ للمُعْتَضِدِ والصَّفَّارِ ولم يَذْكُرِ الخَبِيثَ، فغَضِبَ عليٌّ وسَارَ إلى الأهْوَاز. وجَاءَ أحمدُ بنُ لَيْثُونةَ إلى تُسْتَرَ، فأوْقَعَ بمحمدِ بنِ عبدِ الله وتَحَصَّنَ منهُ بتُسْتَرَ. وأقبَلَ عليُّ بنُ أبَانٍ إليه، فاقْتَتَلا واشْتَدَّ القِتَالُ بينَهما، وانْهَزَمَ عليُّ بنُ أبَان، وقُتِلَ جَمَاعَةٌ من أصْحَابِه، ونَجَا بنفسِه جَرِيحًا في السُّمَارِيَّات بالنَّهْر. وعَادَ إلى الأهْوَاز، وسَارَ منها إلى عَسْكَرِ الخَبِيث، واسْتَخْلَفَ على عَسْكَرِه بالأهْوَازِ حتى دَاوَى جِرَاحَهُ ورَجَعَ. ثم بَعَثَ أخَاهُ الخَلِيلَ إلى أحمدَ بنِ لَيْثُونَةَ بعَسْكَرِ مُكْرَم فقاتَلَهُ، وقد أكْمَنَ لهم فانْهَزَمُوا، وقُتِلَ منَ الزَّنْجِ خَلْقٌ، ورَجَعَ المُنْهَزِمُون إلى عليِّ ابنِ أبَان، وبَعَثَ مَسْلَحَةً إلى المَسْرُقَانِ فاعْتَرَضَهم جَيْشٌ من أعْيَانِ فَارِسَ أصْحَابِ أحمدَ بنِ لَيْثُونَه، وقَتَلَهُمُ/ الزَّنْجَ جَمِيعًا[2].
[260أ]

(أ) ص: كيتونة، ابن الأثير وتاريخ الطبري: ليثويه.

---

(1) المصدر نفسه 7: 293، 294.

(2) الكامل في التاريخ 7: 294-295، 307.

انْتِقاضُ الخُجُسْتانيِّ بخُراسَانَ على الصَّفَّار، وقِيَامُهُ بدَعْوَةِ بني طَاهِر، ومَقْتَلُه

كان من أصْحَابِ محمَّدِ بنِ طَاهِرٍ ورِجَالاتِه أحمدُ بنُ عبدِ الله من خُجُسْتَان، وهِيَ من جِبَالِ هَرَاةَ من أعْمَالِ بَاذغِيس، *فلمَّا اسْتَوْلَى الصَّفَّارُ على نَيسابُور وخُرَاسَان، ضَمّ أحمدَ هذا إلى أخِيه عليِّ بنِ اللَّيْث، [وكان شركب الحَمَّال[أ] قد تَغَلَّبَ على مَرْوَ ونَوَاحِيها سنة تسعٍ وخمسينَ ومائتَيْن، وغَلَبَ أخوه سنةَ ثَلاثٍ وستّينَ على نَيْسابورَ وأخْرَجَ منها الحُسَيْنَ بنَ طَاهِرٍ إلى مَرْو][ب]، وكان لشركب ثلاثةٌ من الوَلَد: إبْرَاهيمُ وهو أسَنُّهم، وأبو حَفْصٍ يَعْمُر، وأبو طَلْحَةَ مَنْصُور، وكان إبراهيمُ قد أبْلَى في وَاقِعَةِ الصَّفَّارِ معَ الحَسَنِ بنِ زَيْد بجُرجَانَ، فقَدَّمَهُ الصَّفَّارُ، وحَسَدَهُ أحمدُ الخُجُسْتانِيّ، فخَوَّفَه غَدْرَ الصَّفَّار وزَيَّنَ له الهَرَبَ وهُو معَه، وكان يَعْمُرُ - أخو إبراهيم - مُحَاصِرًا لبَعْض بِلادِ بَلْخ ومعَه نَحْوٌ من خَمْسَةِ آلافِ رَاجِل، فاسْتَعَدَّا في الخُرُوج إليهم، وسَبَقَه إبراهيمُ إليهم فلم يَلْقَه، فسَارَ نحو سَرْخَس، وسَعَى الخُجُسْتانيُّ بأمْرِه إلى الصَّفَّارِ*[ج] فحَظِيَ عنده بذلك وبَعَثَ في أثَرِ إبراهيمَ مَن قَتَلَه في سَرْخَس(1).

ولمَّا أَرَادَ الصَّفَّارُ العَوْدَ إلى سِجِسْتَانَ وَلَّى على نَيْسَابُور عَزِيزَ بنَ السَّرِيّ، وعلى هَرَاةَ أخَاهُ عَمْرِو بنِ اللَّيْث، فاسْتَخْلَفَ عَمْرٌو عليها طَاهِرَ بنَ حَفْصٍ البَاذَغِيسيَّ

(أ) في الكامل 7: 266: شركب الحمار، وفي مخطوطة B منه: الحمال. وفي تاريخ الطبري: الجمال. (ب) الفقرة ساقطة من ظ وأثبتها من حاشية نسخة ح، وهي ملحقة بخط ابن خلدون. (ج) ما بين النجمين سقط من نسخة ص.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 296.

وسَارَ إلى سِجِسْتَان سَنَةَ إحْدَى وسِتِّين، فَجَاءَ الخُجُسْتَانِيُّ إلى أخِيه عليّ، وزَيَّنَ له أن يُقِيمَ نَائِبًا عنه في أمُورِه بخُرَاسَان، وطَلَبَ ذلك من أخِيه يَعْقُوبَ فأذِنَ له. فلمَّا ارْتَحَلُوا جَمَعَ جَمْعًا وحَارَبَ عَلِيًّا فأخْرَجَه منْ بَلَدِه، ثم غَلَبَ عزيزُ بنُ السَّرِيِّ على نَيْسَابُورَ ومَلَكَها أوَّلَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّين، وقَامَ بدَعْوَةِ بني طَاهِر، واسْتَقْدَم رَافِعَ بنَ هَرْثَمَةَ، من رِجَالاتِهم، فجَعَلَه صَاحِبَ جَيْشِه، وكَتَبَ إلى يَعْمُرَ بنِ شركب وهو يُحَاصِرُ بَلْخَ يَسْتَقْدِمُه فلم يَثِقْ إليه، وسَارَ إلى هَرَاةَ فَمَلَكَها من يَدِ طَاهِرِ بن حَفْصٍ وقَتَلَه، وزَحَفَ إليه أحمدُ وكانت بينهما مُنَاوَشَات.

ثم دَاخَل بَعْضَ قُوَّادِ يَعْمُرَ أحمدَ الخُجُسْتَانِيَّ في الغَدْرِ بيَعْمُر، على أن يمكِّنَهُ من أخِيه أبي طَلْحَة، لكَلَفِ ذلك القَائِدِ به، فتَمَّ ذلك، وكَبَسَهم أحمدُ وقَبَضَ على يَعْمُرَ وبَعَثَه إلى نَائِبِه بنَيْسَابُورَ فقتَلَه، وقَتَلَ أبا طَلْحَةَ القَائِدَ الذي غَدَرَ بأخِيه، وسَارَ إلى نَيْسَابُورَ في جَمَاعَةٍ، فلَقِيَ بها الحُسَيْنَ بنَ طَاهِرٍ قد وَرَدَ من أصْبَهَانَ طَمَعًا أنْ يَدْعُوَ له أحمدُ الخُجُسْتَانِيُّ كما كان يَزْعُم، حتى إذا وَرَدَ لم يَخْطُبْ له، فخَطَبَ له أبو طَلْحَةَ وأقَامَ معَه/ بنَيْسَابُور، فسارَ إليهما الخُجُسْتَانِيُّ من هَرَاةَ في اثْنَي عَشَرَ ألفًا[1]، [260 ب]
وقَدَّمَ أخَاهُ العَبَّاس، فخَرَجَ إليه أبو طَلْحَةَ وهَزَمَه وقتَلَه، فرَجَعَ أحمدُ إلى هَرَاةَ ولم يَقِفْ على خَبَرِ أخِيه، وانْتَدَبَ رَافِعَ بنَ هَرْثَمَةَ إلى اسْتِعْلام خَبَرِه، واسْتَأمَنَ إلى أبي طَلْحَةَ فأمَّنَه ووَثِقَ إليه. وبَعَثَ رَافِعٌ إلى أحمدَ بخَبَرِ أخِيه العَبَّاس، ثم أنْفَذَهُ ابنُ طَاهِرٍ إلى بَيْهَقَ لجِبَايَةِ مَالِها، وضَمَّ معَهُ قَائِدَيْنِ لذلك، فجَبَى المَالَ وقَبَضَ على القَائِدَيْنِ

(1) الكامل في التاريخ 7: 297، 298.

وانتقض. وسَارَ إلى الخُجُستانيِّ ونزَلَ في طَريقِه بقَرْيَةٍ [من قرى خَوَاف][أ](1) وبها عَليٌّ[ب] بنُ يحيى الخَارِجيُّ، فنزَلَ نَاحيَةً عنه. ورَكِبَ ابنُ طَاهِرٍ في اتبَّاعِه، فأدْرَكَهُ بتلك القَرْيَة، فأوْقَعَ بالخَارِجيِّ - يَظُنُّه رَافِعًا - ونَجَا رَافِعٌ إلى الخُجُستَانيِّ(2).

وبَعَثَ ابنُ طَاهِرٍ إسْحَاقَ الشَّارِيَّ إلى جُرْجَانَ لمُحَارَبَةِ الحَسَنِ بنِ زَيْد والدَّيْلَم مُنتَصَفَ ثَلاثٍ وستِّين، فأثْخَنَ في الدَّيْلَم، ثم انتَقَضَ على ابنِ طَاهِرٍ، فسَارَ إليه وكَبَسَه إسْحَاقُ في طَريقِه فانْهزَمَ إلى نَيْسَابُور، واستَضْعَفَهُ أهْلُها فأخْرَجُوه، فأقامَ على فَرْسَخٍ منها، وجَمَعَ جَمْعًا وحَارَبَهم، ثم كَتَبَ عَنْ أهْل نَيْسَابُورَ إلى إسْحَاق باسْتِدْعَائِه ومسَاعَدَتِه على ابنِ طَاهِرٍ وأبي طَلْحَة، وكَتَبَ إلى أهْلِ نَيْسَابُورَ عن إسْحَاق بالمُوَاعَدَة. وسَارَ إسْحَاقُ مُجِدًّا في قِلَّةٍ من الجُنْد، فاعْتَرَضَه أبو طَلْحة وقَتَلَهُ وحَاصَرَ نَيسَابُور، فاسْتَقْدَمُوا الخُجُستَانِيَّ من هَرَاةَ وأدْخَلُوه(3).

وسَارَ أبو طَلْحَةَ إلى الحَسَنِ بنِ زَيْدٍ مُسْتَنْجِدًا، فأنْجَدَهُ ولم يَظْفَر، وعَادَ إلى بَلْخ وحَاصَرَها سَنَةَ خَمْسٍ وسِتِّينَ، وخَرَجَ الخُجُستانيُّ من نَيْسَابُور، وحَارَبَ الحَسَنَ ابنَ زَيْدٍ لمُسَاعَدَتِه أبا طَلْحَة. وجَاءَ أهْلُ جُرْجَانَ مَددًا للحَسَن، فهَزَمَهُم الخُجُستَانيُّ وأغْرَمَهُم أرْبَعَةَ آلافِ ألْفِ دِرْهَم.

ثم جَاءَ عَمْرُو بنُ اللَّيث إلى هَرَاة بعدَ وَفَاةِ أخِيه يَعْقُوبَ الصَّفَّار، وعَادَ

(أ) إضافة من الكامل. (ب) في الكامل 7: 298: خلي.

---

(1) خَوَاف: قَصَبَة كبيرة من أعمال نَيْسَابور بخُراسان، يتَّصل أحدُ جانبيها ببُوشَنج من أعمال هَرَاة.

(2) الكامل في التاريخ 7: 298-299.

(3) المصدر نفسه 7: 299.

الخُجُستَانِيُّ من جُرجَانَ إلى نَيْسَابُور، وسَارَ إليه عَمْرٌو من هَرَاةَ فاقْتَتَلا، وانهَزَمَ عَمْرٌو ورَجَعَ إلى هَرَاةَ، وأقَامَ أحمدُ بنَيْسَابُور[1].

وكان الفُقَهاءُ بنَيْسَابُورَ يَمِيلُونَ إلى عَمْرٍو لتَوْلِيَةِ السُّلْطانِ إيَّاه، فأَوْقَعَ الخُجُستَانِيُّ بينَهمُ الفِتْنَةَ ليَشْغَلَهم بها، ثم سَارَ إلى هَرَاةَ سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّين وحَاصَرَ عَمْرَو بنَ اللَّيث فلم يَظْفَرْ منه بشيءٍ، فسَارَ نحو سِجِسْتَانَ وتَرَكَ نَائِبَه بنَيْسَابُورَ فأسَاءَ السِّيرةَ وقَوَّى أهْلَ الفَسَاد، فوَثَبَ به/ أهْلُ نَيْسَابُورَ واسْتَعَانُوا بعَمْرِو بنِ
[1261أ] اللَّيثِ وبَعثَ إليهم جُنْدًا يَقْبِضُ على نَائِبِ الخُجُستَانِيِّ وأقَامُوا بها، ورَجَعَ من سِجِسْتَانَ فأخْرَجَهُم ومَلَكَها وأقَامَ إلى تَمام سَبْعٍ وسِتِّين[2].

وكاتَبَ عَمْرٌو أبا طَلْحَةَ وهو يُحَاصِرُ بَلْخ، فقَدِمَ عليه وأعْطَاه أمْوالاً واسْتَخْلَفَه بخُرَاسَان، وسَارَ إلى سِجِسْتَان، وسَارَ أحمدُ إلى سَرْخَس، ولَقِيَهُ أبو طَلْحة فهَزَمَه أحمدُ ولَحِقَ بسِجِسْتَان، وأقَامَ أحمدُ بطَخَارِسْتَان. ثم جَاءَ أبو طَلْحةَ إلى نَيْسَابورَ فقَبَضَ على أهْلِ الخُجُستانِيِّ وعِيَالِه، وجَاءَ أحمدُ من طَخَارِسْتَانَ إلى نَيْسَابورَ وأقَامَ بها. ثم تبَيَّنَ لبني طَاهِرٍ أنَّ الخُجُستَانِيَّ إنَّما يَرُومُ لنَفْسِه، وليس على ما يَدَّعِيه من القِيَام بأمْرِهِم.

وكان على خُوَارِزْمَ أحمدُ بنُ محمَّدِ بن طَاهِر، فبَعَثَ قَائِدَه أبا العَبَّاس النَّوْفَلِيَّ إلى نَيْسَابُورَ في خَمْسَةِ آلافِ مُقَاتِل، وخَرَجَ أحمدُ أمَامَهُم وأقَامَ قَرِيبًا منهم، وبَعَثَ إليه الخُجُستَانِيُّ فنهاهُ عن مثلِ ذلك، فضَرَبَ الرُّسُلَ، وأفْحَشَ النَّوْفَلِيُّ في القَتْلِ والضَّرْبِ والتَّشْوِيه، فلَحِقَ أهْلُ نَيْسَابُورَ بالخُجُستَانِيِّ، واسْتَدْعَوْه وجَاءوا به وقَبَضَ على النَّوْفَلِيِّ وقَتَلَه.

(1) الكامل في التاريخ 7: 300.

(2) المصدر نفسه 7: 301.

ثم بَلَغَهُ أنّ إبراهيمَ بنَ محمّد بنَ طَلْحَةَ بن عبدِ الله بنَ طَاهِر بمَرْو، فسَارَ إليه من أبِيوَرْدَ في يومٍ ولَيْلَةٍ وقَبَضَ عليه، ووَلّى عليها مُوسَى البَلْخِيّ، ثم وَافَاها الحُسَيْنُ ابنُ طَاهِرٍ فأفحَشَ فيهِمُ السِّيرةَ، ووَصَلَ إليه نحوُ عِشْرِينَ ألْف دِرْهَم[(1)].

وكان الخُجُسْتَانِيُّ لمّا بَلَغَه أخْذُ وَالِدَتِه من نَيْسَابُورَ وهو بطَخَارِسْتَان سَارَ مُجِدًّا، فلمّا بَلَغَ هَرَاةَ أتَاهُ غُلامٌ لأبي طَلْحَةَ مُسْتَأمِنًا فأمَّنَه وقَرَّبَه، وغَصَّ به غُلامُه الخَالِصَةُ عندَه رامَجُور، وطَلَبَ الفُرْصَةَ في قَتْلِ الخُجُسْتَانِيّ، وكان قد غَوَّرَ سَاقِيَةَ قُطْلُغ، فاتّفقَا على قَتْلِه فقَتَلاه في شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وسِتِّين. وأنْفَذَ رَامَجُورُ خاتَمَهُ إلى الإسْطَبْلِ مع جَمَاعَةٍ، فرَكِبُوا الدَّوَابَّ وسَارُوا بالخَبَرِ إلى أبي طَلْحَةَ ليَسْتَقْدِمُوه، وأبْطأ ظُهُورُه على القُوّاد، فدَخَلُوا فوَجَدُوه قَتِيلًا، وأخْبَرَهُم صَاحِبُ الإسْطَبْل خَبَرَ الخَاتَمِ والدَّوَاب، وطَلَبُوا رَامَجُورَ فلم يَجِدُوه، ثم عَثَرُوا عليه بَعْدَ أيّامٍ فقَتَلُوه، واجْتَمَعُوا بعدَ مَقْتَلِ أحمَدَ على رَافِعِ بنِ هَرْثَمَةَ، وكان من خَبَرِه ما يُذْكَرُ[(2)].

اسْتِيلاءُ الصَّفَّارِ على الأهْوَازِ

[261 ب] /ثم سَارَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ من فَارِسَ إلى الأهْوَاز، وأحمدُ بنُ لَيْثُونَة[(أ)]، قَائِدُ مَسْرُورٍ البَلْخِيِّ على الأهْوَاز، مُقِيمٌ على تُسْتَر، فرَحَلَ عنها ونَزَلَ يَعْقُوبُ

(أ) ص: ابن كيتونه، وتقدم أنّه عند الطبري وابن الأثير: ليثويه.

(1) الكامل في التاريخ 7: 302.

(2) المصدر نفسه 7: 303.

[جُنديسَابُور][أ]، ففَرَّ كُلُّ مَن كان في تلك النَّوَاحِي من عَسَاكِرِ السُّلْطان، وبَعَثَ إلى الأهْوَاز مِن أصْحَابِه الخَضِر بنَ العَنْبَر[ب]، فأخْرَجَ[ج] عنها عليَّ بنَ أبَانٍ والزَّنْج، ونَزَلُوا نَهْرَ السِّدْرَة، ودَخَلَ خَضِرٌ الأهْوَازَ، وأقَامَ أصْحَابُ الخَضِر، وابنُ أبَانٍ يُغِيرُ بعضُهم على بَعْض. ثم قَوِيَ ابنُ أبَانٍ وسَارَ إلى الأهْوَاز فأوْقَعَ بالخَضِر وفَتَكَ في أصْحَابِه وغَنِمَ، ولَحِقَ الخَضِرُ بعَسْكَرِ مُكْرَم، واسْتَخْرَجَ ابنُ أبَان ما كان بالأهْوَاز ورَجَعَ إلى نَهْرِ السِّدْرَة. وبَعَثَ يَعْقُوبُ إلى الخَضِرِ مَدَدًا وأمَرَهُ بالكَفِّ عن قِتَالِ الزَّنْج والمُقَام بالأهْوَاز، فأبَى ابنُ أبَانٍ من ذلك إلَّا أنْ يَنقُلَ طَعَامًا كان هُنَاك فنَقَلَه وتَوَادَعُوا[1].

اسْتِيلاءُ الزَّنْج على واسِط

قد تَقَدَّمَ لنا وَاقِعَةُ أغَرْتَمِش مع سُلَيْمَانَ بنِ جَامِع، وظَفَرُ سُلَيْمَانَ به، فلمَّا انقَضَى أمْرُه سَارَ سُلَيْمَانُ إلى صَاحِبِه الخَبِيث، ومَرَّ في طَرِيقِه بعَسْكَرِ تَكِين البُخَارِيِّ وهو بِبَرْدُود، فلمَّا حَاذَاه قَرِيبًا أشَارَ عليه الجَنَّابِيّ[د] أنْ يُغِيرَ على العَسْكَرِ في البَحْر ويَسْتَطْرِدَ لهم ليَنْتَهِزُوا منهم الفُرْصَة، ففَعَل، وجَاءَ مُسْتَطْرِدًا وقد أكْمَنُوا لهم الكُمَنَاءَ، حتى إذَا جَاوَزُوا مَوَاضِعَ الكَمَائِنِ رَكِبَ سُلَيْمَانُ إليهم وعَطَفَ الجَنَّابِيّ على مَن في النَّهْر[ه]، وخَرَجَتِ الكَمَائِنُ من خَلْفِهم فأثْخَنُوا فيهم إلى مُعَسْكَرِهِم، ثم بَيَّتُوهُم لَيْلًا

(ا) في ظ : جندسابور. (ب) الأصول : العير، والتصويب من المصادر. (ج) ح: فأفرج. (د) كذا في ظ ح وفي تاريخ الطبري: الجبائي، (9: 524)، وفي الكامل: الحباتي (7: 313-). (ه) سماه الطبري: نهر طهيثا، وفصّل القول عن هذه المعركة.

(1) الكامل في التاريخ 7: 307-308.

فنالُوا منهم، وانكَشَفَ سُلَيْمانُ قَلِيلًا، ثم عَبَّأَ أَصْحابَه وأَتاهُم من وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ بَرًّا وبَحْرًا، فانْهَزَمَ تَكِينُ وغَنِمَ الزَّنْجُ عَسْكَرَه. ثم اسْتَخْلَفَ سُلَيْمانُ على عَسْكَرِه الجَنَّابِيَّ، وسَارَ إلى صَاحِبِه الخَبِيثِ سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّين. ومَضَى الجَنَّابِيّ بالعَسْكَرِ لطَلَبِ المِيرَة، فاعْتَرَضَه جَعْلان، من قُوَّادِ السُّلْطان، وهَزَمَه وأَخَذَ سُفُنَه[1].

ثم زَحَفَ مَنْجُورُ ومُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن حَبِيبٍ من القُوَّاد، وبَلَغَا الحَجَّاجِيَّة، فرَجَعَ سُلَيْمانُ مُغِذًّا إلى طَهْثَا يُرِيدُ جَعْلانَ وفي مُقَدِّمَتِه الجَنَّابِيّ. ثم كَرَّ إلى ابنِ خَبِيث فهَزَمَه وقَتَلَ أَخَاهُ وغَنِمَ ما مَعَه. ثم سَارَ في شَعْبَانَ إلى قَرْيَةِ حَسَّان فأَوْقَعَ بالقَائِد هُنَاكَ جَيْشِ بنِ خُمَارْتَكِين[أ] وهَزَمَه ونَهَبَ القَرْيَةَ وأَحْرَقَها. ثم بَثَّ/ العَسَاكِرَ في [262أ] الجِهَاتِ للنَّهْبِ بَرًّا وبَحْرًا، واعْتَرَضَ جَعْلان بَعْضَهم فأَوْقَعَ بهم، ثم سَارَ سُلَيْمانُ إلى الرُّصَافَة فأَوْقَعَ بالقَائِدِ بها واسْتَبَاحَها وغَنِمَ ما فيها ورَجَعَ إلى مَنْزِلِه بمَدِينَةِ الخَبِيث. وجَاءَ مَطَرٌ إلى الحَجَّاجِيَّة فعَاثَ فيها وأَسَرَ جَمَاعَةً منها، كان منهم القَاضِي سُلَيْمان، فحَمَلَه إلى وَاسِط. ثم سَارَ إلى طَهْثَا، وكَتَبَ الجَنَّابِيّ بذلك إلى سُلَيْمان، فوَافَاهُ للَيْلَتَيْنِ من ذي الحِجَّة، وجَاءَ أحمدُ بنُ لَيْثُونَه[ب] بعدَ أن كان سَارَ إلى الكُوفَة وجُنْبُل، فعَادَ إلى البَدِيدِيَّة[2] وصَرَفَ جَعْلانَ وضَبَطَ تلك الأعْمالَ، وأَوْقَعَ تَكِينُ بسُلَيْمانَ وقَتَلَ جَمَاعَةً من قُوَّادِه[3].

(أ) ابن الأثير: حسن بن خمارتكين، وتتفق إحدى نسخه مع ما جاء عند ابن خلدون. (ب) ص: كيتونه.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 312-314.

(2) كذا في النسخ، وعند ابن الأثير والطبري والنويري: الشَّديدية، ولم يذكرها ياقوت في معجمه .

(3) الكامل في التاريخ 7: 314-315.

ثم وَلّى المُوَفَّقُ على مَدِينَةِ وَاسِطَ محمَّدَ بنَ المُوَلَّد، وجَاءَ في العَسَاكِرِ، واسْتَمَدَّ سُلَيمانُ صَاحِبَه فأمَدَّهُ بالخَلِيلِ بنِ أبَانٍ في ألْفٍ وخَمْس مائَةِ مُقَاتِل، فزَحَفَ إلى ابنِ المُوَلِّد وهَزَمَه واقْتَحَمَ وَاسِطَ وبها مَنكَجُورُ البُخَارِيُّ فقَاتَلَه عامَّةَ يَوْمِه، ثم قَتَلَ ونَهَبَ البَلَدَ وأحْرَقَها، وانصَرَفَ سُلَيمانُ إلى جُنْبُلاء[أ][1]، واشْتَدَّ عَيْثُه في نَوَاحِيها تِسعينَ لَيْلَةً[2].

اسْتيلاءُ ابنِ طُولُونَ على الشَّام

كان على دِمَشْقَ أيَّامَ المُعْتَمِدِ: أمَاجُورُ، من قُوَّادِ الأتْرَاك، فتُوفِّي سَنَةَ أرْبَعٍ وسِتِّين، وقَامَ ابنُهُ عليٌّ مَكانَه. وتَجَهَّزَ أحمدُ بنُ طُولُونَ من مِصْرَ إلى دِمَشْق، وكَتَبَ إلى ابنِ أمَاجُورَ بأنَّ المُعْتَمِدَ أقْطَعَهُ الشَّامَ والثُّغُورَ فأجَابَ بالطَّاعَة. وسَارَ أحمدُ، واسْتَخْلَفَ على مِصْرَ ابْنَهُ العَبَّاس، ولَقِيَه ابنُ أمَاجُورَ بالرَّمْلَةِ فوَلاَّهُ عليها، وسَارَ إلى دِمَشْقَ فمَلَكَها وأقَرَّ القُوَّادَ على إقْطَاعِهِم. ثم سَارَ إلى حِمْص فمَلَكَها ثم حَمَاةَ ثم حَلَب، وكان على أنْطَاكِيَة وطَرَسُوسَ سِيمَا الطَّوِيلُ من قُوَّادِ الأتْرَاك، فبَعَثَ إليه ابنُ طُولُون بالطَّاعَة، وأنْ يُقِرَّهُ على وِلايَتِه فامْتَنَعَ، فسَارَ إليه ودَلُّوهُ على عَوْرَةٍ في سُورِ البَلَد نَصَبَ عليها المَجَانِيق، وقَاتَلَهُ فمَلَكَها عَنْوَةً، وقُتِلَ سِيما في الحَرْب، فسَاءَ ابنَ طولونَ [قَتْلُهُ][ب].

(أ) في النسخ مهملة بدون نقط. (ب) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) جُنبلاء. مَنْزِلٌ بين وَاسِط والكوفة (معجم البلدان 2: 168) .
(2) الكامل في التاريخ 7: 315.

ثم قَصدَ طَرَسُوسَ فدَخَلَها واعْتَزَمَ على المُقَام بها وتَرْدِيدِ الغَزْو. وشَكَا أهلُها من غَلَاءِ السِّعْر وسَألُوه في الرَّحِيلِ، فرَحَلَ عنهم إلى الشَّام، ومَضَى إلى حَرَّانَ، وبها محمَّدُ بنُ أتَامِش، فَحَارَبَهُ وهَزَمَهُ واسْتَوْلَى عليها[1].

[262 ب] ثم جَاءَه الخَبَرُ بانْتِقَاضِ ابْنِه العَبَّاسِ بمصر، وأنَّه/ أخَذَ الأمْوَالَ وسَارَ إلى بَرْقَة، فلم يَكْتَرِثْ لذلك، وأصْلَحَ أحْوَالَ الشَّام، وأنْزَلَ بحَرَّانَ عَسْكَرًا، ووَلَّى مَوْلَاهُ لُؤْلُؤًا على الرَّقَّةِ وأنْزَلَ معَهُ عَسْكَرًا. وبَلَغَ مُوسَى بنَ أتَامِش خَبَرُ أخِيه محمَّد، فَجَمَعَ العَسَاكِرَ وسَارَ نَحْوَ جُرْجَانَ وبها أحمَدُ بنُ جَيْغَوَيْه[أ]، من قُوَّادِ ابنِ طُولُون، فأهَمَّهُ مَسِيرُه، وقال له بعضُ الأعْرَاب - واسْمُهُ أبو الأغَرّ -: لا يُهِمُّكَ أمْرُهُ، فإنَّه طَيَّاشٌ قَلِقٌ، وأنا آتِيك به أسِيرًا ! فقال: افْعَلْ، وزَادَه عِشْرِينَ رَجُلًا. وسَارَ إلى عَسْكَرِ مُوسَى ابنِ أتَامِش، فأكْمَنَ بَعْضَ أصْحَابِه ودَخَلَ العَسْكَرَ بالبَاقي على زِيِّ الأعْرَاب، وقَصَدَ الخَيْلَ المُرْتَبطة عندَ خِيَام مُوسَى فأطْلَقَها وصَاحُوا فيها فنَفَرَت، واهْتَاجَ العَسْكَرُ ورَكِبُوا، واسْتَطْرَدَ لهم أبو الأغَرّ حتَّى جَاوَزُوا الكَمِينَ ومُوسَى في أوَائِلِهم، فَخَرَجَ الكَمِينُ وانْهَزَمَ أصْحَابُ مُوسَى من وَرَائِه، وعَطَفَ عليه أبو الأغَرّ فأخَذَهُ أسِيرًا وجَاءَ به إلى ابنِ جَيْغَوَيْه[أ]؛ وبَعَثَ به إلى ابنِ طُولُونَ فاعْتَقَلَهُ وعَادَ إلى مِصْر، وذلك سَنَةَ سِتٍّ وسِتِّين[2].

(أ) في ظ ، ح : حيعونة .

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 316-317.

(2) المصدر نفسه 7: 317-318، وقارن مع البلوي: سيرة أحمد بن طولون 101-106.

ومن أخبارِ الزَّنْج

أنَّ سُلَيْمانَ احْتَفَرَ نَهرًا يَمُدُّ إلى سَوادِ الكُوفَة ليتهيَّأَ له الغَارَةُ على تلك النَّوَاحِي، وكان أحمدُ بنُ لَيْثونةَ(ا) بجُبَيْل، فكَبَسَهُم وهم يَعْمَلُون، وقد جَمَّرُوا(1) عَساكِرَهم لذلك، فأوْقَعَ بهم وقَتَلَ منهم نحْوًا من أرْبَعِينَ قَائِدًا وأحْرَقَ سُفُنَهُم، ورَجَعَ سُلَيْمانُ مَهْزُومًا إلى طَهْثَا. ثم غزَت عَساكِرُ الزَّنْج النُّعْمَانِيَّةَ واسْتَبَاحُوهَا، وصَارَ أهْلُهَا إلى جَرْجَرايَا، وأجْفَلَ أهْلُ السَّوَادِ إلى بَغْدَاد، وزَحَفَ عليُّ بنُ أبَانٍ بعَسْكرِ الزَّنْج إلى تُسْتَرَ فحَاصَرَهَا وأشْرَفَ على أخْذِها(2).

وكان المُوَفَّقُ اسْتَعْمَلَ على كُوَرِ الأهْوَاز مَسْرُورًا البَلْخِيّ، فوَلَّى عليها تَكِينَ البُخَارِيَّ فسَارَ إليها، ووَافَاها أهْلُ تُسْتَرَ في تلك الحَال فأغْزَى عليَّ بنَ أبَانٍ وهَزَمَه، وقَتَلَ من الزَّنْجِ خَلْقًا ونَزَلَ تُسْتَرَ.

وبَعَثَ ابنُ أبَانٍ جَمَاعَةً من قُوَّادِ الزَّنْج ليُقِيمُوا بقَنْطَرَةِ فَارِس، وجَاءَ عَيْنٌ بخَبَرِهِم إلى تَكِينَ فكَبَسَهُم وهَزَمَهُم وقَتَلَ منهم جَمَاعَةً. وسَارَ ابنُ أبَانٍ فانْهَزَمَ أمَامَه، وكَتَبَ ابنُ أبَانٍ إلى تَكِينَ يَسْأَلُهُ المُوَادَعَة فوَادَعَهُ بعضَ الشَّيْء، واتَّهَمَهُ مَسْرُورٌ فسَارَ وقَبَضَ عليه وحَبَسَه عندَ إبراهيمَ بنِ جَعْلان، وفَرَّ أصْحَابُه؛ /فطَائِفَةٌ إلى الزَّنْج وطَائِفَةٌ [263أ] إلى محمَّدِ بنِ عبدِ الله الكُرْدِيّ، ثم أمَّنَ البَاقِينَ فرَجَعُوا إليه(3).

(ا) ص: ابن كيتونة. (ب) كذا في ظ: جبيل، وفي ح: جبيل.

---

(1) أي أطال حَبْسَهم بالثّغر ولم يأذن لهم في القَفْل إلى أهلهم (لسان العرب) .

(2) الكامل في التاريخ 7: 322.

(3) المصدر نفسه 7: 323.

مَوْتُ يَعْقُوبَ الصَّفَّارِ، ووِلايَةُ عَمْرٍو أخيه

وفي سَنَةِ خَمْسٍ وسِتِّينَ وأُخْرَيَاتِ شَوَّالٍ منها، مَاتَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ، وقد كان افْتَتَحَ الرُّخَّجَ[1] وقَتَلَ مَلِكَهَا وأَسْلَمَ أَهْلُها على يَدِه، وكانت مملكةً وَاسِعَةَ الحُدُود. وافْتَتَحَ زَابُلِسْتَانَ، وهي غَزْنَةُ، وكان المُعْتَمِدُ قدِ اسْتَمَالَه وقَلَّدَه أَعْمَالَ فَارِس. ولمَّا مَاتَ قَامَ مَكانَه أخوهُ عَمْرُو بنُ اللَّيْث، وكَتَبَ إلى المُعْتَمِدِ بطَاعَتِه ، فوَلَّاهُ المُوَفَّقُ من قِبَلِهِ ممَّا كان له من الأَعْمَال: خُرَاسَانَ وأَصْبَهَانَ وسِجِسْتَان والسِّنْد وكَرْمَان، وأَشْهَدَ بذلك، وبَعَثَ إليه بالخِلَع، فوَلَّى عَمْرُو بنُ اللَّيْث على الشُّرْطَة ببَغْدَاد وسُرَّ مَنْ رَأى مِن قِبَلِهِ عُبَيْدَ الله بنَ عبدِ الله بن طَاهِر، وخَلَعَ عليه المُوَفَّقُ وعَمْرُو بنُ اللَّيْثِ، ووَلَّى على أَصْبَهَانَ من قِبَلِهِ أَحْمَدَ بنَ عبدِ العَزِيزِ أبي دُلَف، ووَلَّى على طَريق مَكَّةَ والحَرَمَيْنِ مُحَمَّدَ بنَ أبي السَّاج[2] .

أَخْبَارُ الزَّنْج مع أَغَرْتَمُش

قد كان تَقَدَّمَ لنا إيقَاعُ سُلَيْمَانَ بنِ جَامِع بأغَرْتَمُش، وحَرْبُه بعدَ ذلك مع تَكِينَ وجَغْلانَ ومَطَرِ بنِ جَامِع وأحمدَ بنِ لَيْثُونَه، واسْتِيلاؤه على مَدِينَةِ وَاسِط.

ثم وَلِيَ أَغَرْتَمُش ما كان تَكِينُ البُخَارِيُّ يَتَوَلَّاه من أَعْمَالِ الأَهْوَاز، فدَخَلَ

(1) الرُّخَّج. كورة ومدينة من نواحي كابُل (معجم البلدان 3: 38) .

(2) الكامل في التاريخ 7: 325-326.

تُسْتَرَ في رَمَضَانَ ومعه مَطَرُ بنُ جَامع، وقتَلَ جَمَاعَةً من أَصْحَابِ ابنِ أبَانٍ كانوا مَأسُورِينَ بها. ثم سَارَ إلى عَسْكَرِ مُكْرَم، ووَافَاهُ هُنَالِكَ عليُّ بنُ أبَانٍ والزَّنج، فاقْتَتَلُوا ثم تَحَاجَزُوا لكَثْرَةِ الزَّنج، ورَجَعَ عليٌّ إلى الأهْوَاز وسَارَ أَغرْتَمَش إلى الخَلِيلِ ابنِ أبَان ليَعْبُرُوا إليه من قَنطَرَةِ إِرْبِل، وجَاءَه أخُوهُ عليٌّ مُمِدًّا، وخَافَ أَصْحَابُه المُخَلَّفُونَ بالأَهْوَاز فارْتَحَلُوا إلى نَهْرِ السِّدْرَة، وتَحَارَب عليٌّ وأغرْتَمُش يَوْمًا ثم رَجَعَ عليٌّ إلى الأهْوَاز ولم يَجِدْ أَصْحَابَه، فبَعَثَ مَن يَرُدُّهم إليه فلم يَرْجِعُوا. وجَاءَ أغرْتَمُش إلى عَسْكَرِ مُكْرَم، وزَحَفَ إليه الخَلِيلُ بنُ أبَان وكَمَنَ عليٌّ، فلمَّا اقْتَتَلُوا خَرَجَ الكَمِينُ فانهَزَمَ أغرْتَمُش وقُتِلَ مَطَرُ بنُ جَامِعٍ في عِدَّةٍ من القُوَّاد، وجَاءَ المَدَدُ لابنِ أبَانٍ من /صَاحِبِه الخَبِيثِ، فوَادَعَه أغرْتَمُش وتَرَكَه[1]. [263 ب]

ثم بَعَثَ محمَّدُ بنُ عُبيدِ الله بن هَزَارمَرْد الكُرْدِيّ، وكان على رَامَهُرْمُز، وكان بينَه وبينَ ابنِ أبَانٍ من المُنَافَرَة ما ذكرناه، فكَتَبَ محمدُ بنُ عُبَيْدِ الله إلى أنْكلاي بنِ الخبيثِ في أن يَرْفَعَ عنه يَدَ ابنِ أبَان، فـزادَ ذلك في غَيْظِه، وبَعَثَ يُطَالِبُ محمدًا بالخَرَاج، ودَافعَه فسَارَ إليه، وهَرَبَ محمَّدٌ من رَامَهُرْمُز إلى أقْصَى مَعَاقِلِه، ودَخَلَ عليٌّ والزَّنج رَامَهُرْمُز وغَنِمُوا ما فيها. ثم صَالَحَهُ محمَّدٌ على مائتَيْ أَلْفِ دِرْهَم، وتَرَكَ أعْمَالَه. ثم اسْتَنْجَدَه محمَّدٌ بعدَ ذلك على الأكْرَاد، على أنَّ لعَلِيٍّ غَنَائِمَهم، فاسْتَحْلَفَهُ عليٌّ عَلَى ذلك فحَلَف، وطَلَبَ منه الرَّهْنَ فمَطَلَ وبعَثَ إليه الجَيْش فزَحَفَ بهم إلى الأكْرَاد. فلمَّا نَشِبَ القِتَالُ انهَزَمَ أَصْحَابُ محمَّد، فانهَزَمَ الزَّنجُ وأثْخَنَ الأكْرَادُ فيهم، وبَعَثَ عليٌّ

(1) الكامل في التاريخ 7: 329-330.

من يَعْتَرِضُهم فاسْتَلَبُوهُم، وكَتَبَ عليٌّ إلى محمَّد يَتَهَدَّدُهُ، فاعْتَذَرَ ورَدَّ عليهم كثيرًا من أسْلابِهِم، وخَشِيَ من الخَبِيث وبَعَثَ إلى أصْحَابِه مالًا لِيَسْأَلُوه في الرِّضَا عنه، فأجَابَهم إلى ذلك على أنْ يُقِيمَ دَعْوَتَه في أعْمَالِه، ففَعَلَ كذلك. ثم سَارَ ابنُ أبَان لِحِصَار مَتُّوث[1]، واسْتَكْثَرَ من آلاتِ الحِصَار، وعَلِمَ بذلك مَسْرُورٌ البَلْخِيُّ وهو بكُوَرِ الأهْوَاز، فسَارَ إليه ووَافَاهُ عليها، فانْهَزَمَ ابنُ أبانٍ وتَرَكَ جَمِيعَ ما كان حَمَلَه هناك، وقُتِلَ من الزَّنْج خَلْقٌ، وجَاءَ الخَبَرُ بمَسِيرِ المُوفَّقِ إليهم[2].

اسْتِرْجَاعُ ابنِ المُوفَّق ما غَلَبَ عليه الزَّنْجُ من أعْمَالِ دِجْلَة

لمَّا دَخَلَ الزَّنْجُ وَاسِطَ وعَاثُوا فيها كما ذَكَرْنَاه؛ بَعَثَ المُوَفَّقُ ابنَه أبا العَبَّاسِ، وهُوَ الذي وَلِيَ الخِلافَةَ بعدَ المُعْتَمِدِ ولُقِّبَ المُعْتَضِد، فبَعَثَه أبوه بين يَدَيْه في رَبِيعٍ سَنَةَ سِتٍّ وستينَ في عَشَرَةِ آلافٍ من الخَيْلِ والرَّجْل، ورَكِبَ لتَشْيِيعِهِ، وبَعَثَ معه السُّفُنَ في النَّهْر، عليها أبو حَمْزَة نُصَيْرٌ، فسَارَ حتى وَافَى دَيْرَ العَاقُول، وجَاءه كِتَابُ نُصَيْرٍ بأنَّ سُليمانَ بنَ جَامِع قد وَافَى في الخيلِ والرَّجْل والسُّفُنِ النَّهْرِيَّة وعلى مُقَدِّمَتِه الجَنَّابِيّ، وأنَّهم نَزَلُوا الجَزِيرَةَ قَرِيبًا من بَرْدَرُويا[3]، وجَاءَهُم سُلَيْمَانُ بنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ مَدَدًا بمثلِ ذلك، وأنَّ الزَّنْجَ اخْتَلَفُوا في الاحْتِشَاد، ونَزَلُوا من الصِّلْح إلى أسْفَلِ

(1) مَتُّوث: قَلْعَةٌ حَصِينة بين الأهْوَاز ووَاسِط (معجم البلدان 5: 53).

(2) الكامل في التاريخ 7: 330-332.

(3) ذكرها ياقوت بالألف بدل الواو: بَرْدَرَايا، يظن أنها بالنهروان من أعمال بغداد. معجم البلدان 1: 377، وفي ظ: بزدروبا.

واسِطَ يَنتهِزُونَ الفُرْصَةَ في ابنِ المُوَفَّق لِما يَظُنُّونَ/ من قِلَّةِ درايَتِهِ بالحَرْب. فرَكِبَ أبو العَبَّاسِ لاسْتِعْلامِ أمْرِهِم، ووَافَى نُصَيرًا، فلَقِيَهم جَماعَةٌ من الزَّنج فاسْتَطْرَدَ لهم أوَّلًا، ثم كَرَّ في وُجُوهِهِم وصَاحَ بنُصَيرٍ فرَجَعَ، ورَكِبَ أبو العَبَّاس السُّفُنَ النَّهْرِيَّةَ فهَزَمَ الزَّنجَ وأثْخَنَ فيهم واتَّبَعَهم سِتَّةَ فَرَاسِخَ، وغَنِمَ من سُفُنِهِم، وكان ذلك أوَّلَ الفَتْح[1]. [1264]

ورَجَعَ سُلَيمانُ بنُ جَامِعٍ إلى نَهْرِ الأمِير، وسُلَيمَانُ بنُ مُوسَى الشَّعْرانِيُّ إلى سُوقِ الخَمِيس، وأقامَ العَبَّاسُ على فَرْسَخٍ من وَاسِطَ يُغَادِيهِمُ القِتالَ ويُراوِحُهُم. ثم احْتَشَدَ سُلَيمانُ وجاءَ من ثَلاثَةِ وُجُوهٍ، ورَكِبَ في السُّفُنِ النَّهْرِية، وبَرَزَ إليه نُصَيرٌ في سُفُنِه، ورَكِبَ معَهُ أبو العَبَّاس في خَاصَّتِه وأمَرَ الجُنْدَ بمُحَاذاتِه من الشَّطِّ، ونَشِبَت الحَرْبُ فوَقَعَتِ الهَزِيمَةُ على الزَّنج وغُنِمَت سُفُنُهُم، وأفلَتَ سُلَيمانُ والجنابِيُّ من الهَلَكَة، وبَلَغُوا طَهْثا، ورَجَعَ أبو العَبَّاس إلى مُعَسْكَرِه، وأمَرَ بإصْلاحِ السُّفُن المَغْنُومَة. وحَفَرَ الزَّنجُ في طَرِيقِ الجَبَل الآبَارَ وغَطَّوها، فوَقَعَ بعضُ الفُرْسَان فيها، فعَدَلَ جُنْدُ السُّلْطان عن ذلك الطَّرِيق. وأمَدَّ الخَبِيثُ أصْحابَه بالسُّفُنِ في النَّهْر وأغَارُوا على سُفُنِ أبي العَبَّاس، وغَنِمُوا بَعْضَها ورَكِبَ في اتِّباعِهِم واسْتَنْقَذَ سُفُنَهم، وغَنِمَ من سُفُنِهِم نحوًا من ثَلاثِين، وجَدَّ في قِتَالِهِم وتَحَصَّنَ ابنُ جَامِعٍ بطَهْثا، وسَمَّى مَدِينَتَه المَنْصُورةَ. والشَّعْرانِيُّ بسُوقِ الخَمِيس، وسَمَّى مَدِينَتَه المَنِيعةَ[2].

وكان أبو العَبَّاس يُغِيرُ على المِيرَةِ التي تَأْتِيهم من سَائِرِ النَّوَاحِي، ورَكِبَ في بَعْضِ الأيَّام إلى مَدِينَةِ الشَّعْرانِيِّ التي سَمَّاها المَنِيعةَ، وأرْكَبَ نُصَيرًا في النَّهْر، وافْتَرَقُوا

(1) الكامل في التاريخ 7: 338-339.

(2) المصدر نفسه 7: 339-340.

في مَسيرِهم، واعتَرَضَت أبا العَبَّاس جَماعَةٌ من الزَّنْج فَمنَعُوه من طَريقِ المَدِينَة وقَاتَلوه صَدْرَ نَهارِه، وأشَاعُوا قَتْلَ نُصَيْرٍ، وخَالَفَهم نُصَيرٌ إلى المَدِينَة فأثْخَنَ فيها وأضْرَمُوا النَّارَ في بُيُوتِها. وجَاءَ الخَبَرُ بذلك إلى أبي العَبَّاس فسُرَّ به. ثم جاءَه نُصَيرٌ ومعَهُ أسْرَى كثيرُونَ، فقَاتَلُوا الزَّنْجَ وهَزَمُوهُم، ورَجَعَ أبو العَبَّاس إلى عَسْكَرِه، وبَعَثَ الخَبِيثُ إلى ابنِ أبَانٍ وابنِ جَامِعٍ يأمُرُهما بالإجْمَاع على حَرْبِ أبي العَبَّاس[1].

وُصُولُ المُوَفَّقِ لِحَرْبِ الزَّنْج، وفَتْحُ المَنِيعَةِ والمَنْصُورَة

[264ب] /كان المُوَفَّقُ لمَّا بَعَثَ ابنَه أبا العَبَّاس لحَرْبِ الزَّنْج تأخَّرَ لإمْدَادِه بالحُشُود والعُدَدِ وإزاحَةِ عِلَلِه ومُشَارَفَةِ أحْوالِه، فلمَّا بَلَغَه اجْتِماعُ ابنِ أبَان وابنِ جَامِعٍ لحَرْبِه سَارَ من بَغْدَاد إليه، فوَصَلَ إلى وَاسِطَ في رَبيعِ الأوَّل من سَنَة سَبْعٍ وستِّين، ولَقِيَه ابنُه وأخْبَرَه بالأحْوَال، ورَجَعَ إلى عَسْكَرِه. ونَزَلَ المُوَفَّقُ على نَهرِ شَدَّاد، ونَزَلَ ابنُه شَرْقِيَّ دِجْلَةَ على فُوَّهَةِ نَهرِ[(أ)] مُسَاوِر، فأقَامَ يومينِ ثم رَحَلَ إلى المَنِيعَة بسُوقِ الخَمِيس سَارَ إليها في النَّهْر، ونَادَى بالمُقَامَة ولَقِيَه الزَّنْجُ فَحارَبُوه. ثم جاءَ المُوَفَّقُ فانْهَزَمُوا، واتَّبَعَهم أصْحَابُ أبي العَبَّاس فاقْتَحمُوا عليهم المَنِيعَةَ وقَتَلُوا خَلْقًا وأسَرُوا آخَرِينَ، وهَرَبَ الشَّعْرَانِيُّ، [إلى البَطائِح وأصْحَابُ المُوَفَّقِ في اتِّباعِه، فغَرِقَ من الزَّنْج خَلْقٌ][(ب)] واخْتَفَى في الآجَام آخَرُون ، ورَجَعَ المُوَفَّقُ إلى عَسْكَرِه وقدِ اسْتَنْقَذَ من

(أ) ظ، ص: بر، ح: ابن. (ب) من ح، وساقطة من ظ، وص.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 342.

المُسْلِمَاتِ نحوَ خَمْسَةِ آلافِ امْرَأةٍ، ثم غَدَا على المَنِيعَة فأمَرَ بنَهْبِها وهَدْمِ سُورِها وطَمِّ خَنْدَقِها وإحْرَاقِ ما بَقِي من السُّفُنِ فيها، وبِيعَتِ الأقْوَاتُ التي أُخِذَت فكانت لا حَدَّ لها فصُرِفَت في الجُنْد[1].

وكَتَبَ الخَبِيثُ إلى ابنِ جَامِعٍ يحذِّرُهُ مثلَ ما نَزَلَ بالشَّعْرَانِيّ، وجَاءَتِ العُيُونُ إلى المُوَفَّق أنَّ ابنَ جَامِعٍ بالحَوَانِيت، فسَارَ إلى الصَّبِيبَة وأمَرَ ابنَه بالمَسِير في النَّهْر إلى الحَوَانِيتِ فلم يَلْقَ ابنَ جَامِعٍ بها، ووَجَدَ قَائِدَيْنِ من الزَّنْج اسْتَخلَفَهم عليها لِحِفْظِ الغَلَّات، ولَحِقَ بمَدِينَتِه المَنْصُورَة بطَهْثَا فقابَلَ ذلك الجُنْدَ ورَجَعَ إلى ابْنِه بالخَبَرِ، فأمَرَه بالمَسِير إليه، وسَارَ على أثَرِه بَرًّا وبَحْرًا حتى نَزَلُوا على مِيلَيْنِ من طَهْثَا، ورَكِبَ ليَسَوِّيَ مَقَاعِدَ القِتَالِ على المَنْصُورَة، فلَقِيَه الزَّنْجُ وقَاتَلُوه وأسَرُوا جَمَاعَةً من غِلْمَانِه.

ورَمَى أبو العَبَّاس بنُ المُوَفَّق أحمدَ بنَ مَهْدي الجَنَّابيّ فمَاتَ، وأوْهَنَ موتُه منهم، ثم رَكِبَ يومَ السَّبْت آخِرَ رَبِيعٍ من سَنَة سَبْعٍ وعبَّأَ عَسْكَرَه، وبَعَثَ السُّفُنَ في النَّهْر الذي يَصِلُ إلى المَنْصُورَة، ثم وَصَلَ وابْتَهَلَ بالدُّعَاءِ وقَدَّمَ ابْنَه أبا العَبَّاس إلى السُّور، واعْتَرَضَه الخَنْدَقُ، فقَاتَلَهم عليه واقْتَحَمَه ووَلَّوا مُنْهَزِمِينَ إلى الخَنَادِق وَرَاءَه فقَاتَلُوا عِنْدَها، واقْتَحَمَها عليهم كُلَّها، ودَخَلَت السُّفُنُ المَدِينَةَ من النَّهْر فقَتَلُوا وأسَرُوا، وأجْلَوْهُم/ عن المَدِينَةِ وما اتَّصَلَ بها، وهو مِقْدَارُ فَرْسَخٍ، ومَلَكَه المُوَفَّقُ. [265أ]

وأفْلَتَ ابنُ جَامِعٍ في نَفَرٍ من أصْحَابِه، وبَلَغَ الطِّلَابُ في أثَرِه إلى دِجْلَة، وكَثُرَ القَتْلُ في الزَّنْج والأسْر، واسْتَنْقَذَ أبو العَبَّاس من نِسَاءِ الكُوفَة ووَاسِطَ وصِبْيانِهم أكْثَرَ من عَشَرَةِ آلاف، وأعْطَى ما وَجَدَ في المَنْصُورَة من الذَّخَائِرِ والأمْوَالِ للأجْنَاد،

(1) الكامل في التاريخ 7: 343، 344.

وأَسَرَ من نِسَاءِ سُلَيْمان وأوْلادِه عِدَّةً. ولَجَأَ جماعَةٌ من الزَّنْج إلى الآجَام فاخْتَفَوْا فيها، وأمَرَ بطَلَبِهم وهَدْمِ سُورِ المَدِينَة وطَمِّ خنَادقِها، وأقامَ سَبْعَةَ عَشَرَ يومًا في ذلك ثم زَحفُوا إلى وَاسِطَ[(1)].

استيلاءُ المُوفَّقِ على الأهْوَازِ وإجْلاءُ الزَّنْجِ عنها

لمَّا فرَغَ المُوفَّقُ من أمْرِ المَنْصُورَة سَارَ نحوَ الأهْوَاز لإجْلاءِ الزَّنْجِ عنها، وبَعَثَ في مُقَدِّمتِه ابنَه أبا العَبَّاس، واسْتَخْلَفَ على مَن تَرَكَ من الجُنْدِ بوَاسطَ ابنَه هَارُون، ولَحِقَه زَيْرَكُ مَوْلاه، فأخْبَرَه بعَوْدِ أهْلِ طَهْثَا إلى بَلَدِهم، فأمَرَه المُوَفَّقُ بالانْحدَارِ في النَّهْر، نَهْرِ أبي الخَصِيب، معَ نُصَيْرٍ، للإيقَاع بمن يَظْفَرُونَ به منَ الزَّنْج، حتى يَنْتَهُوا إلى مَدِينَةِ الخَبِيث. وارْتَحَلَ من وَاسِطَ أوَّلَ جُمَادَى الآخِرَة، فانْتَهَى إلى السُّوس، واسْتَقْدَمَ مَسْرُورًا البَلْخِيَّ وهُو على تلك النَّوَاحِي فقَدِمَ، واسْتَقْدَمَ الخَبِيثُ عليَّ بنَ أبَانٍ من الأهْوَاز، فسَارَ إليه في ثلاثينَ ألْفًا، وتَرَكَ ما كان عندَه من طَعَامٍ وظَهْرٍ وحَلْوبَةٍ وغيرِ ذلك، واسْتَخْلَفَ محمَّدَ يحيى الكَرْمانيَّ فلم يَقدِرْ على المُقَام ولَحِقَ به، وبَعَثَ أصْحَابُه المُخَلَّفُونَ بالأهْوَاز يَسْتَأمِنونَ المُوَفَّقَ فأمَّنَهم، وقَدِمُوا عليه وأجْرَى لهم الأرْزَاق، وسَارَ عن السُّوس إلى جُنْدَيْسَابُورَ وتُسْتَر، وجَبَى الأمْوَالَ، وبَعَثَ إلى محمدِ بنِ عبدِ الله الكُرْدِيِّ، وكان خَائِفًا منهُ، فأمَّنَه، ثم سَارَ إلى عَسْكَرِ مُكْرَم ووَافَى الأهْوَاز، ثم رَحَلَ إلى نَهْرِ المُبَارَك من فُرَاتِ البَصْرَة، وكَتَبَ إلى ابنِه هَارُونَ أن

(1) الكامل في التاريخ 7: 345-347.

يُوَافِيَه بمن معَهُ من الجُنْدِ فوَافاه بالمُبَارَك.

وكان زَيْرَكُ ونُصَيرٌ لمَّا بعَثَهما المُوَفَّقُ لاتِّباع الزَّنْج انْحَدَرَا في النَّهر إلى الأُبُلَّة، وجاءَهما الخَبَرُ بأنَّ الخَبِيثَ أنْفَذَ عَدَدًا من السُّفُنِ إلى دِجْلَةَ ليَمْنَعَ عنها مَن يُرِيدُها ويَقْصِدُوا عَسْكَرَ نُصَيْرٍ، فرجَعَ/ نُصَيرٌ من الأُبُلَّةِ ولقِيَهم في طَرِيقِهم فانْهَزَموا وقَتَلَ منهم [265 ب] جماعةً وأسَرَ جَمَاعَة، وكان ممَّن أسَرَه: أبو عيسى محمَّدُ بنُ إبراهيمَ البَصْرِيُّ، من أكابرِ قُوَّادِهم، وغَنِمَ ثلاثينَ من السُّفُنِ النَّهرِيَّة، واسْتَأمَنَ إليه نحوٌ من أَلْفَيْ رَجُلٍ منهم، فأمَرَه المُوَفَّقُ بقَبُولِهم، وأمَرَ ابنَه أبا العَبَّاس بالمَسِير لحَرْبِ الخَبِيثِ بنَهْرِ أبي الخَصِيبِ فسَارَ إليه، واستَأمَنَ إليه قائِدٌ من أكابرِ قُوَّادِ الخَبِيثِ ومعَهُ جَمَاعَةٌ، وكَسَرَ ذلك من الخَبِيثِ، وكَتَبَ إليه المُوَفَّقُ بالدَّعْوَةِ والإعْذَار، ثم زَحَفَ لِحِصارِه[1].

حِصارُ مَدينَةِ الخَبيثِ المُختارَةِ وفَتْحُها

ثم إنَّ المُوَفَّقَ عَرَضَ عَسَاكِرَه وأزَاحَ عِلَلَهُم، وسَارَ ومَعَه ابنُه أبو العَبَّاس إلى مَدينَةِ الخَبِيث، فأشْرَفَ عليها، ورَأى – مِن حَصَانَتِها بالأسْوَارِ والخَنَادِقِ ووَعْرِ الطُّرُق، وما أعَدَّ مِنَ الآلاتِ للحِصَار، ومِن كَثْرَةِ المُقَاتِلَة - ما اسْتَعْظَمَه. ولمَّا عَايَنَ الزَّنْجُ عَسَاكِرَ المُوَفَّق دَهِشُوا. وقَدَّمَ ابنَه أبا العَبَّاس في السُّفُن حتى أَلْصَقَها بالأسْوَارِ فرَمَوْه بالحِجَارَةِ بالمَجَانِيقِ والمَقَالِيعِ والأيْدي، ورَأَوا من صَبْرِه وأصْحَابِه ما لم يَحْتَسِبُوه. ثم رَجَعُوا، وتَبِعَهم مُسْتَأمِنَةٌ من المُقَاتِلَة والمَلَّاحِينَ نَزَعُوا إلى المُوَفَّقِ فقَبِلَهم وأحْسَنَ

(1) الكامل في التاريخ 7: 348-350.

إليهم، فتتابَعَ المُستأمِنُونَ في النَّهر، فوَكَّلَ الخَبِيثُ بفُوَّهَة النَّهر مَن منَعَهم، وتَعَبَّأَ أهلُ السُّفُن للحربِ معَ بَهْبُودَ قائدِ الخَبِيث، فزَحَفَ إليه أبو العَبَّاس في السُّفُن وهَزَمَه وقَتَلَ الكثِيرَ من أصْحَابِه ورَجَعَ، فاستَأمَنَ إليه بَعْضُ تلك السُّفُنِ النَّهريَّة وكثِيرٌ من المُقَاتِلَةِ فأمَّنَهُم وأقامَ شَهْرًا لم يُقَاتِلْهم[(1)].

ثم عَبَّأَ عَسَاكِرَه مُنتَصَفَ شَعْبَانَ في البَرِّ والبَحْر، وكانوا نَحْوًا من خَمْسِينَ ألفًا، وكان الزَّنْجُ في نحوِ ثلاثمائةِ ألفِ مُقَاتِلٍ، فأشْرَفَ عليهمُ المُوَفَّقُ ونادَى بالأمَانِ إلَّا للخَبِيث، ورَمَى بالرِّقَاع في السِّهَام بالأمَان والإحْسَان، فجَاءَ كَثيرٌ منهم ولم يكنْ [ذلك اليَوْمَ][(أ)] حَرْبٌ.

ثم رَحَلَ من مَكَانِه ونَزَلَ قَرِيبًا من المختارة، ورَتَّبَ المَنَازِلَ للحِصَار، وتَبَوَّأَ المَقَاعِدَ للقِتَال، وكَتَبَ إلى النَّوَاحِي بقَطْعِ المِيرَة، وبَعَثَ إلى البِلاد في الاسْتِكْثَارِ من إنْشَاءِ السُّفُنِ. وشَرَعَ في اخْتِطَاط مَدِينَةٍ لنُزُلِه سَمَّاها المُوَفَّقِيَّة، /فأكْمَلَ بِنَاءَهَا وشَيَّدَ [266أ] جَامِعَها، وكَتَبَ بحَمْلِ الأمْوَالِ والمِيرَة إليها، وأعَدَّ الحَرْبَ شَهْرًا فتتابعَتِ المِيرَةُ إلى مَدِينَتِه، ورَحَلَ إليها التُّجَّارُ بصُنُوفِ البَضَائِع، واسْتَبْحَرَ فيها العُمْرَانُ، ونَفَقَتِ الأسْوَاقُ، وجُلِبَت صُنُوفُ الأشْيَاء[(2)].

ثم أمَرَ المُوَفَّقُ ابنَه أبا العَبَّاس بقِتَالِ مَن كان من الزَّنْج خَارِجَ المُختَارة، فقَاتَلَهم وأثْخَنَ فيهم، واستَأمَنَ إليه كثيرٌ منهم فأمَّنَهم ووَصَلَهم، وأقَامَ المُوَفَّقُ أيَّامًا يُحَاصِرُ

(أ) إضافة من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 7: 350-352.

(2) المصدر نفسه 7: 352-353.

المُحَارِبِينَ ويَصِلُ المُسْتَأمِنِين، واعترَضَ الزَّنْجُ بعضَ الرِّفاقِ الجائيةِ بالمِيرة، فأمَرَ بترتيبِ السُّفُن على مَخَارِجِ الأنهار، ووَكَّلَ ابنه أبا العَبَّاس بحِفْظِها، وجاءَ طَائِفَةٌ من الزَّنْج بعضَ الأيَّامِ إلى عَسْكَرِ نُصَيْرٍ يُرِيدُونَ الإيقَاعَ به، فأوْقَعَ بهم وظَفِرَ ببَعْضِ القُوَّادِ منهم، فقُتِلَ رَشْقًا بالسِّهَام، وتتَابَعَ المُسْتَأمِنَةُ فبلَغُوا - إلى آخِرِ رَمَضَانَ – خَمْسِينَ ألفًا[1].

ثم بعَثَ الخَبِيثُ عَسْكرًا من الزَّنْجِ مع عليِّ بنِ أبَانٍ ليأتُوا من وَرَاءِ المُوَفَّق إذا نَاشَبَهُمُ الحَرْب، ونَمَا إليه الخَبَرُ بذلك، فبَعَثَ ابنه أبا العَبَّاس فأوْقَعَ بهم، وحُمِلَتِ الأسْرَى والرُّؤوسُ في السُّفُنِ النَّهْرِية ليَرَاها الخَبِيثُ وأصْحَابُه، وظَنُّوا أنَّ ذلك تَمْوِيهٌ، فرُمِيَتِ الرُّؤوسُ في المَجَانِيق حتى عَرَفُوها، فظَهَرَ منهمُ الجَزَع، وتكَرَّرَتِ الحَرْبُ في السُّفُن بينَ أبي العَبَّاس وبينَ الزَّنْج، وهو يَظْهَرُ عليهم في جَمِيعِها حتى انْقَطَعَتِ المِيرةُ عنهم، فاشْتَدَّ الحِصَارُ عليهم وخَرَجَ كثيرٌ من وُجُوهِ أصْحَابِه مُسْتَأمِنِين، مثل: محمَّدِ بنِ الحَارِث القُمِّيِّ وأحمدَ اليَرْبُوعِيّ، وكانا من أشْجَعِ رِجَالِه، وكان القُمِّيُّ منهم مُوَكَّلًا بحِفْظِ السُّورِ، فأمَّنَهُم المُوَفَّق ووَصَلَهم[2].

وبعَثَ الخَبِيثُ قائِدَيْنِ من أصْحَابِه في عَشَرَةِ آلافٍ ليأتُوا البَطِيحةَ من ثَلاثةِ وُجُوه، فيُغِيرُوا على تلك النَّوَاحِي ويَقْطَعُوا المِيرَةَ عن المُوَفَّقِ. وبَلَغَ المُوَفَّق خَبَرُهُم فبَعَثَ إليهم عَسْكرًا مَعَ مَوْلاه زِيْرَكَ فأوْقَعَ بهم وقَتَلَ وأسَرَ، وأخَذَ منهم أربعَمائَةِ سَفِينَة.

ولمَّا تَتَابَعَ خُرُوجُ المُسْتَأمِنَة وَكَّلَ الخَبِيثُ بالطُّرُق مَن يَحْفَظُها ، وجَهَدَهُمُ الحِصَارُ، فبَعَثَ جَمَاعَةً من قُوَّادِه إلى المُوَفَّقِ يَسْتَأمِنُونَه، وأنْ يُنَاشِبَهم الحَرْبَ ليَجِدوا

(1) الكامل في التاريخ 7: 353-354.

(2) المصدر نفسه 7: 354، 355.

[266 ب] السَّبيلَ/ إليه، فأرسَلَ ابنه أبا العَبَّاس إلى النَّهْرِ الغَرْبيِّ وبه عليُّ بنُ أبان، فاشْتَدَّتِ الحَرْبُ، وظَهَرَ أبو العَبَّاس عَلى ابنِ أبان، وأمَدَّه الخَبيثُ بابنِ جَامِع، ودَامَتِ الحَرْبُ عَامَّةَ يَوْمِهم، وكان الظَّفَرُ لأبي العَبَّاس، وصَارَ إليه المُسْتَأمِنَةُ الّذين وَاعَدُوه.

وانْصَرَفَ أبو العَبَّاس، ومَرَّ بمَدِينَةِ الخَبيثِ وقَاتَلَ بَعْضَ الزَّنْج هنالك طَمَعًا فيهم لقِلَّتِهم، فتَكَاثَرُوا عليه، ثم جَاءَه المَدَدُ من قِبَلِ أبيه فظَهَرَ عليهم. وكان ابنُ جَامِعٍ قد أصْعَدَ في النَّهْر وأتَى أبا العَبَّاس مِن وَرَائِه، وخَفَقَت طُبُولُه، فانكَشَفَ أصْحَابُ أبي العَبَّاس، ورَجَعَ مُنْهَزِمَةُ الزَّنْج، فأصِيبَ جَمَاعَةٌ من غِلْمَانِ المُوَفَّق وعِدَّةٌ من أعْلامِهم، وحامَى أبو العَبَّاس عن أصْحَابِه حتَّى خَلَصُوا، وقَوِيَ الزَّنْجُ بهذه الوَاقِعَة، فأجْمَعَ المُوَفَّقُ العُبُور إلى مَدِينَتِهم بعَسْكَرِه، فعَبَّأ النَّاسَ لذلك من الغَدَاة آخِرَ ذي الحِجَّة، واسْتَكْثَرَ من المَعَابِرِ والسُّفُن، وقَصَدَ أحْصَنَ أرْكَانِ المَدِينَة[أ] وفيه أنكلاي بنُ الخَبيثِ وابنُ جَامِع وابنُ أبان، وعليه المَجَانِيقُ والآلات، فأمَرَ غِلْمَانَه بالدُّنُوِّ منه، فحَامَوا لاعْتِرَاض نَهْرِ الأتْرَاك بينَهم وبَيْنَه، فصَاح بهم فقَطَعُوا النَّهْرَ سَبْحًا وتَنَاوَلُوا الرُّكْنَ بالسِّلاح يَهْدِمُونَه، ثم صَعِدُوا عليه ومَلَكُوه ونَصَبُوا به عَلَمَ المُوَفَّق، وأحْرَقُوا ما كان عليه من الآلات، وقَتَلُوا من الزَّنْج خَلْقًا عَظِيمًا. وكان أبو العَبَّاس يُقَاتِلُهم من النَّاحِيَة الأخْرَى وابنُ أبانٍ قُبَالَتَه، فهزَمَه، ووَصَلَ أصْحَابُ أبي العَبَّاس إلى السُّورِ فثَلَمُوه ودَخَلُوا، ولَقِيَهم ابنُ جَامِعٍ فقَاتَلَهم حتى رَدَّهُم إلى مَوَاقِفِهم[1]. ثم تَوَافَى الفَعَلَةُ فثَلَمُوا السُّورَ في مَوَاضِعَ ونَصَبُوا

(أ) كذا في النسخ، وعند ابن الأثير: إلى ركن من أركان المدينة.

(1) الكامل في التاريخ 7: 357، 358.

على الخَنْدَقِ جِسْرًا عَبَرَ عليه المُقاتِلةُ، فانْهَزَمَ الزَّنْجُ عن السُّورِ واتَّبَعهم أَصْحَابُ المُوَفَّق يَقْتُلونَهم إلى دَيْرِ ابنِ سَمْعَانَ(1)، فَمَلَكَهُ أَصْحَابُ المُوَفَّق وأَحْرَقُوه، وقَاتَلَهم الزَّنْجُ هناك، ثم انهَزَموا فبَلَغُوا مَيْدَانَ الخَبِيث، فرَكِبَ من هُنالِك، وانْهَزَمَ عنهُ أَصْحَابُه.

وأَظْلَمَ اللَّيلُ، فرَجَعَ المُوَفَّقُ بالنَّاسِ، وتَأَخَّرَ أبو العَبَّاس لحَمْلِ بَعْض المُسْتَأمِنَةِ في السُّفُن، فاتَّبَعَه بعضُ الزَّنْجِ ونَالُوا من آخِرِ السُّفُن. وكان بَهْبُودُ بإزاءِ مَسْرُورٍ البَلْخيِّ فنالَ من أَصْحَابِه، واسْتَأمَنَ بعضُ المُنْهَزِمَةِ من الزَّنْجِ والأَعْرَاب، بَعَثُوا بذلك من عَبَّادانَ والبَصْرَة، وكان منهم قائِدُه / رَيْحانُ بنُ صَالِحِ المَعَرِّيُّ، فأَمَّنَهُمُ المُوَفَّقُ [1267أ] وأَحْسَنَ إليهم وضَمَّ رَيْحَانَ إلى أبي العَبَّاس(2).

وخَرَجَ، في المحرَّم، إلى المُوَفَّق من قُوَّادِ الخَبِيثِ وثِقَاتِه جَعْفَرُ بنُ إبراهيم، المعروفُ بالسَّجَّان، فأَحْسَنَ إليه المُوَفَّقُ وحَمَلَه في بعض السُّفُنِ إلى قَصْرِ الخَبِيث، فوَقَفَ وكَلَّمَ الزَّنْجَ، وأَعْلَمَهم بما وَقَفَ عليه، فاسْتَأمَنَ خَلْقٌ كثيرٌ من قُوَّادِهم، وتتَابَعَ الزَّنْجُ في ذلك.

وأَقَامَ المُوَفَّقُ أيَّامًا استَجَمَّ فيها أَصْحَابُه، فلمَّا كان مُنْتَصَفُ رَبِيعِ الآخِرِ قَصَدَ مَدِينَةَ الخَبِيثِ وفَرَّقَ القُوَّادَ على جِهَاتِها ومعَهمُ النَّقَّابُونَ للسُّور، ومن وَرَائِهم الرُّمَاةُ يَحْمُونَهم. وتَقَدَّمَ إليهم أن لا يَدْخُلُوا بعدَ الهَدْمِ إلَّا بإذْنِه، فوَصَلُوا إلى السُّورِ وثَلَمُوه وحَارَبُوا الزَّنْجَ من وَرَائِه وهَزَمُوهم، وبَلَغُوا أَبْعَدَ ممَّا وَصَلُوا إليه بالأَمْس. ثم تَرَاجَعَ الزَّنْجُ وخَرَجُوا من المكامِن، فرَجَعَ أَصْحَابُ المُوَفَّق نحوَ دِجْلَة بعدَ أن نَالَ منهمُ الزَّنْجُ، ورَجَعَ المُوَفَّقُ إلى مَدِينَتِه، ولامَ أَصْحَابَه على تَقَدُّمِهم بغَيْرِ إذْنِه.

(1) كذا في ظ، وفي ح: دير سمعان.
(2) الكامل في التاريخ 7: 358-359.

ثم بَلَغَ المُوَفَّقَ أنَّ بعضَ الأعْرَاب من بني تَمِيم يَجْلِبُونَ المِيرَةَ إلى الزَّنْج، فبَعَثَ إليهم عَسْكرًا أثْخَنُوا فيهم قَتْلًا وأسْرًا، وجيءَ بالأسْرَى فقَتَلَهم، وأوْعَزَ إلى البَصْرَة بقَطْعِ المِيرَة فانقَطَعَت عن الزَّنْج بالكُلِّيَّة. وجَهَدَهُم الحِصَارُ، وكَثُرَ المُسْتَأمِنَةُ، وافْتَرَقَ كثيرٌ من الزَّنْج في القُرَى والأمْصَارِ البَعِيدَة، وبَثَّ المُوَفَّقُ دُعَاتَه فيهم، ومَن أبَى قتَلُوه، وعَرَضَ المُسْتَأمِنينَ وأحْسَنَ إليهم ليَسْتَميلَ الزَّنْج.

وتابَعَ المُوَفَّقُ وابنُه قِتَالَ الزَّنْج، وقُتِلَ بَهْبُودُ ابنُ عبدِ الوَاحِد[ا]، من قُوَّادِ الخَبيثِ، في تلكَ الحُرُوب، فكان قَتْلُه من أعْظَمِ الفُتُوح، وكان قَتْلُه في السُّفُنِ البَحْرِيَّةِ يَنْصِبُ فيها أعْلامًا كأعْلام المُوَفَّق، ويُخَايِلُ أطْرَافَ العَسْكرِ فيُصِيبُ منهم. وأفْلَتَ في بعضِ الأيَّام من يَدِ أبي العَبَّاس بعدَ أنْ كادَ يَحْصُلُ في قَبْضَتِه. ثم تَحَيَّلَ أُخْرى لبعضِ السُّفُنِ طامِعًا فيها، فحَارَبُوه، وطَعَنَه بعضُ الغِلْمَانِ منها فسَقَطَ في الماء، وأخَذَه أصْحَابُه فماتَ بينَ أيْدِيهم، وخَلَعَ المُوَفَّقُ على الغُلام الذي طَعَنَه وعلى أهْلِ السَّفِينَة[1].

ولَمَّا هَلَكَ بَهْبُودُ قَبَضَ الخَبيثُ على أصْحَابِه وضَرَبَهم شَرَهًا إلى مَالِه، فاسْتَفْسَدَ قُلُوبَهم، وهَرَبَ كثيرٌ منهم إلى المُوَفَّق فوَصَلَهم ونَادَى/ [267 ب] بالأمَانِ لبَقِيَّتِهم.

ثمّ اعْتَزَمَ على العُبُورِ إلى الزَّنْجِ من الجانبِ الغَرْبيِّ، وكانت طُرُقُه مُلْتَفَّةً بالنَّخِيل، فأمَرَ بقَطْعِها، وأدَارَ الخَنادِقَ على مُعَسْكَرِه حَذَرًا من البَيَات. ثم صَعُبَ على المُوَفَّق القِتَالُ من الجانبِ الغَرْبيِّ لكَثْرَةِ أوْعَارِه وصُعُوبَةِ مَسَالِكِه، وما يَتَوَجَّهُ فيها على أصْحَابِه

(ا) عند ابن الأثير: عبد الوهّاب.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 365-367.

من خَيْلِ الزَّنْج لقِلَّةِ خِبْرَتِهم بها، فصَرَفَ قَصْدَهُ إلى هَدْمِ أَسْوَارِهم وتَوْسِعَةِ الطَّرِيق، فهَدَمَ طَائِفَةً من السُّور من ناحية نهرِ مَنْكِي، وبَاشَرَ الحَرْبَ بنَفْسِه.

واشْتَدَّ القِتَالُ وكَثُرَ القَتْلُ في الجانِبَيْنِ وفَشَت الجِرَاحُ، وكانت في النَّهْرِ قَنْطَرتانِ يَعْبُرُ منهما الزَّنْجُ وقتَ القِتالِ ويأتُونَ أَصْحَابَ المُوَفَّق من وَرَائِهم، فأَمَرَ بهَدْمِهما فهُدِمَتَا. ثم هَدَمَ طائِفَةً من السُّور، ودَخَلُوا المَدِينَةَ، وانْتَهَوا إلى دَارَيِ ابنِ سَمْعَانَ وابنِ جَامِع فهَدَمُوها ونَهَبُوها، وخَرَّبُوا سُوقَ الخَبيثِ المُسَمَّاةَ بالمَيْمُونِيَّة، ودَارَ الجَنَّابِيّ، ونَهَبُوا ما كان فيها من خَزَائِنِ الخَبيثِ ودَوَاوِينِه. ثم تَقَدَّمُوا إلى الجَامِع فخَرَّبُوهُ وجَاءُوا بمِنْبَرِه إلى المُوَفَّق بعدَ أنِ اسْتَمَاتَ الزَّنْجُ دُونَه فلم يُغْنُوا عنه. ثم أَكْثَرُوا من هَدْمِ السُّور، وظَهَرَت عَلَامَاتُ الفَتْح.

ثم أَصَابَ المُوَفَّقَ في ذلك اليوم سَهْمٌ في صَدْرِه، وذلك لخَمسٍ بَقِينَ من جُمَادَى سَنَةَ تِسْعٍ وستِّين، فعَادَ إلى عَسْكَرِه ثم صَابَحَ الحَرْبَ تَقْوِيَةً لقُلُوبِ النَّاس[1]، ثم لَزِمَ الفِرَاشَ. واضْطَرَبَ العَسْكَرُ، وأُشِيرَ عليه بالعَوْدِ إلى بَغْدَادَ فأَبَى، واحْتَجَبَ عن النَّاسِ ثَلاثَةَ أشهرٍ حتّى انْدَمَلَ جُرْحُه. ثم رَكِبَ إلى الحَرْبِ، فوَجَدَ الزَّنْجَ قد سَدُّوا ما سَلِمَ من الأَسْوَارِ فأَمَرَ بهَدْمِها كلِّها. واتَّصَلَ القِتَالُ مِمَّا يلي نهرَ مَنْكي كما كان، والزَّنْجُ يَظُنُّونَ أنَّهم لا يُؤْتَوْنَ إلَّا منها، فرَكِبَ يومًا لقِتَالِهم، وبَعَثَ السُّفُنَ أَسْفَلَ نَهْرِ أبي الخَصِيب، فانْتَهَوا إلى قَصْرٍ من قُصُور الزَّنْج فأَحْرَقُوه وانْتَهَبُوا ما فيه، واسْتَنْقَذُوا كثيرًا من النِّسَاءِ كُنَّ فيه.

ورَجَعَ المُوَفَّقُ آخِرَ يَوْمِه ظَافِرًا. ثم رَكِبَ لحَرْبِهم، فوَصَلَتِ المُقَدِّماتُ دارَ أنكلاي بنِ الخَبيث وهي مُتَّصِلَةٌ بدَارِ أبيه، وأَشَارَ ابنُ أَبَانٍ بإجْرَاءِ المِيَاه على السَّاج

(1) الكامل في التاريخ 7: 374-377 .

وحَفرِ الخَنادِقِ بينَ يَدَي العَساكِر، وأمَرَ المُوَفَّقُ بطَمِّ الخَنادِقِ والأنْهار، ورَامَ إحْرَاقَ قَصْرِه وقَصَدَه/ من دِجْلَة، فَمنَعَ مِن ذلك كَثْرَةُ الحُماةِ عنه، فأمَرَ أنْ تُسَقَّفَ السُّفُنُ [268 أ] بالأخْشاب وتُطْلَى بالأدْوِيَةِ المانِعَة من الإحْرَاق. ورَتَّبَ فيها أنْجادَ أصْحَابِه، وبَاتُوا على أُهْبَة الزَّحْفِ من الغَدِ. وجَاءَ كاتِبُ الخَبِيث، وهو محمَّدُ بنُ سَمْعَان، عَشِيَّ ذلك اليَوْم مُسْتأمِنًا، وبَكَّرُوا إلى الحَرْب، وأَمَرَ المُوَفَّقُ ابنَه أبا العَبَّاس بإحْرَاق مَنازِلِ القُوَّادِ المُتَّصِلَةِ بقَصْرِ الخَبِيثِ ليَشْغَلَهم عن حِمَايَتِه. وقَصَدَتِ السُّفُنُ المُطَلِيَّةُ قَصْرَ الخَبِيث فأحْرَقُوا الرَّوَاشِنَ والأبْنِيَةَ الخَارِجَة، وعَلَتِ النَّارُ فيه ورَمَوْا بالنَّارِ على السُّفُن فلم تُؤثِّر فيها. ثم حَسَرَ الماءُ من النَّهْرِ فرَجَعَتِ السُّفُنُ، فلمَّا جَاءَ المَدُّ عادَت إلى القَصْرِ، فأحْرَقُوا بُيُوتًا كانت تَشْرَعُ على دِجْلَة، واشْتَعَلَتِ النَّارُ فيها وقَوِيَت، وهَرَبَ الخَبِيثُ وأصْحَابُه وتَرَكُوها وما فيها. واسْتَوْلَى أصْحَابُ المُوَفَّقِ على ذَلِكَ كُلِّه واسْتَنْقَذوا جَماعَةً من النِّسَاء، وحُرِقَ قَصْرُ أنكِلاي ابنِه، وجُرِحَ(أ).

وعَادَ المُوَفَّقُ عَشِيَّ يَوْمِه مُظَفَّرًا. ثم بَكَّر من الغَدِ للقِتَال، وأمَرَ نُصَيْرًا قَائِدَ السُّفُن بقَصْدِ القَنْطَرَة التي كان الخَبِيثُ عَمِلَها في نَهْرِ أبي الخَصِيبِ دونَ القَنْطَرَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كان اتَّخَذَهما، وفَرَّقَ العَسَاكِرَ في الجِهَات، فدَخَلَ نُصَيْرٌ في أوَّلِ المَدِّ ولَصِقَ بالقَنْطَرَة، واتَّصَلَتِ السُّفُنُ من وَرَائِه بغيرِ رأيِه فلم يَقْدِرْ على الرُّجُوع حتى حَسَرَ الماءُ عنها. وفَطِنَ لها الزَّنْجُ فقَصَدُوها، فألْقَى المَلَّاحُونَ أنْفُسَهم في الماءِ، ومَلَكَ الزَّنْجُ تلك السُّفُنَ فقَتَلوا وغَرَّقُوا أكْثَرَها. وألْقَى نُصَيْرٌ نفسَهُ في الماء، وقاتَلَ ابنُ جَامِعٍ ذلك اليَوْمَ أشَدَّ قِتَال، ثم انْهَزَمَ وسَقَطَ في الحَرِيقِ فاحْتَرَقَ، ثم خَلَصَ بعدَ الجَهْد(1).

(أ) في ظ : خرجا ، وفي ح : جُرِحَا .

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 377-381 .

وانصَرَفَ المُوَفَّقُ سَالِمًا، وأصَابَه مَرَضُ المَفَاصِلِ فاتَّصَلَ به إلى شَوَّالٍ من سَنَتِه، فأمْسَكَ في هذه المُدَّة عن الحَرْبِ حتى أبَلّ، فأعَادَ الخَبِيثُ القَنْطَرَةَ التي غَرِقَ عندَها نُصَيْرٌ، وزَادَ فيها وأحْكَمَها، وجَعَلَ أمَامَها سَكْرًا[1] من الحِجَارَة لِيَضِيقَ المَدْخَلُ على السُّفُن، فبَعَثَ المُوَفَّقُ طَائِفَةً من شَرْقِ نَهْرِ أبي الخَصِيب وطَائِفَةً من غَرْبِه ومعَهم الفَعَلَةُ لقَطْعِ القَنْطَرَة؛ وجَعَلَ أمامَها سُفُنًا مملوءَةً من القَصَبِ لتُصِيبَها النَّارُ بالنَّفْط فيَحْتَرِقَ / الجِسْرُ، وفَرَّقَ جُنْدَه على القِتَال. وسَارُوا لما أمَرَهُم به عاشِرَ شَوَّال، وتَقَدَّمُوا إلى الجِسْر، ولَقِيَهم أنْكِلاي بنُ الخَبِيث وابنُ أبَانٍ وابنُ جَامِع، وحَامَوا عن القَنْطَرَة لِعِلْمِهم بما في قَطْعِها من المَضَرَّةِ عليهم. [268 ب]

ودَامَتِ الحَرْبُ عليها إلى العَشِيّ، ثم غَلَبَهم أصْحَابُ المُوَفَّق عليها، ونَقَضَها النَّجَّارُونَ ونَقَضُوا الأثْقَالَ التي دُونَها، وأدْخَلُوا السُّفُنَ بالقَصَبِ والنَّفْطِ وأضْرَمُوها نَارًا، ووَافَتِ القَنْطَرَةَ فأحْرَقَتْها، ووَصَلَ النَّجَّارُونَ بذلك إلى ما أرَادُوا. وسَهُلَ سَبِيلُ السُّفُنِ في النَّهْر، وقُتِلَ من الزَّنْجِ خَلْقٌ واسْتَأمَنَ آخَرُون[2].

وانْتَقَلَ الخَبِيثُ بعدَ حَرْقِ قُصُورِه ومَسَاكِنِ أصْحَابِه إلى الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ من نَهْرِ أبي الخَصِيب، ونَقَلَ أسْوَاقَه إليه، وتَبَيَّن ضَعْفُه، فانْقَطَعَت عنه المِيرَةُ وفُقِدَتِ الأقْوَاتُ وغَلَتْ وأكَلَ بَعْضُهم بَعْضًا. وأجْمَعَ المُوَفَّقُ أنْ يُخَرِّبَ الجانِبَ الشَّرْقِيَّ كما خَرَّبَ الغَرْبِيَّ، فقَصَدَ دَارَ الهَمَذَانِيّ، وكان حَصِينًا وعليه الآلاتُ، فلمَّا انْتَهَى إليها تَعَذَّرَ الصُّعُودُ لعُلُوِّ السُّور، فرَمَوْا بالكَلالِيبِ ونَشِبَت في أعْلام الخَبِيث، وجَذَبُوها، فتَسَاقَطَت فانْهَزَمَ المُقَاتِلَة، وصَعِدَ النَّفَّاطُونَ فأحْرَقُوا ما كان عليها من الآلَة، ونَهَبُوا الأثَاثَ والمَتَاعَ. واتَّصَلَ الحَرِيقُ بما حَوْلَها من الدُّور، واسْتَأمَنَ للمُوَفَّقِ جَمَاعَةٌ من

(1) أي أقامَ سدًّا ، وسكَرَ النَّهْرَ سَدَّ فاهُ .

(2) الكامل في التاريخ 7: 381-383 .

خاصَّةِ الخَبيث فأمَّنَهم، ودلُّوه على سُوقٍ عَظِيمَةٍ مُتَّصِلَةٍ بالجِسْرِ الأوَّلِ تُسمّى المُبارَكَة، وبها التُّجّارُ الذين بهم قَوامُهم، فقَصَدَها لإحْراقِها، وحارَبَه الزَّنْجُ عندها، وأضْرَمَ أصْحابُه النّارَ فيها فاتَّصَلَت، وبَقِيَتِ الحَرْبُ عامَّةَ اليَوْم[1]، ثُمَّ رَجَعَ المُوَفَّق، وانْتَقَلَ التُّجّارُ بأمْتِعَتِهم وأمْوالِهم إلى أعْلى المَدِينَة.

ثُمَّ فَعَلَ الخَبيثُ في الجانبِ الشَّرْقِيِّ بعدَ هذه الوَقْعَة من حَفْرِ الخَنادِقِ وتغويرِ الطُّرُقِ مثلَ ما كان فَعَلَ في الجانبِ الغَرْبيّ، واحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَرِيضًا حَصَّنَ به مَنازِلَ أصْحابِه على النَّهْرِ الغَرْبيّ. ثم خَرَّبَ الموفَّقُ باقِيَ السُّورِ إلى النهرِ الغربيّ بعدَ حَرْبٍ شَدِيدَةٍ كانت عليه. وكان للخَبيث جَمْعٌ من الزَّنْج، وهم أشْجَعُ أصْحابِه، قد تَحَصَّنُوا بحِصْنٍ مَنِيعٍ يَخْرُجونَ على أصْحابِ المُوَفَّقِ عندَ الحَرْبِ فيَعوقُونَهم، فأجْمَعَ على [269أ] /تَخْرِيبِه، وجَمَعَ المُقاتِلَةَ عليه بَرًّا وبَحْرًا، وفَرَّقَهم على سائِرِ جِهاتِه وجِهاتِ الخَبيث. وأمَدَّ الخَبيثُ أصْحابَ الحِصْن بالمُهَلَّبِيِّ وابنِ جامِعٍ فلم يُغْنُوا عنه، وانْهَزَمُوا وتَرَكُوا الحِصْنَ في يَدَيْ أصْحابِ المُوَفَّق فهَدَمُوه وقَتَلُوا من الزَّنْج خَلْقًا، وخَلَّصُوا من الحِصْنِ كثيرًا من النِّساءِ والصِّبْيان، ورَجَعَ المُوَفَّقُ إلى عَسْكَرِه ظافِرًا[2].

اسْتِيلاءُ المُوَفَّقِ على الجِهَةِ الغَرْبِيَّة

ولمَّا هَدَمَ المُوَفَّقُ سُورَ دارِ الخَبيثِ[أ] أمَرَ بتَوْسِعَةِ الطُّرُقِ للحَرْب، وأحْرَقَ الجِسْرَ الأوَّلَ الّذي على نَهْرِ أبي الخَصِيب ليَمْنَعَ من مَدَدِ بَعْضِهم بَعْضًا، فكان في

(أ) ابن الأثير: الموفق دور الخبيث. ويتفق ما وَرَد عند ابن خلدون مع إحدى نسخ الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 383-384.

(2) المصدر نفسه 7: 384-386.

إحْرَاقِه حَرْبٌ عَظِيمَةٌ. وأُعِدَّت لذلك سَفِينَةٌ مُلِئَت قَصَبًا وجُعِلَ فيها النَّفْطُ، وأرْسِلَت في قُوَّةِ المَدَد، فتَبَادَر الزَّنجُ إليها وغَرَّقُوها. فرَكِبَ المُوَفَّقُ إلى فُوَّهَةِ نَهْرِ أبي الخَصِيب وقَصَدَهم من غَرْبِيِّ النَّهْرِ وشَرْقِيِّه إلى أنِ انْتَهَوا إلى الجَسْرِ من غَرْبِيِّه وعليه أنْكلاي ابنُ الخَبيثِ وابنُ جَامِعٍ فأحْرَقُوه، وفَعَلَ مثلَ ذلك من الجَانبِ الشَّرْقِيّ، فاحْتَرَقَ الجَسْرُ والحَظِيرَةُ الّتي كانت إزاءه لإنْشَاءِ السُّفُنِ وسِجْنٌ كان هُنَالك للخَبِيث. وانْحَاز هو وأصْحَابُه من الجانبِ الغَرْبِيّ، واسْتَأْمَنَ كثيرٌ من قُوَّادِه فأمَّنَهم، وخَرَجُوا أرْسَالًا، وخَرَجَ قَاضِيه هَارِبًا، ووَكَّلَ بالجَسْرِ الثَّاني من يَحْفَظُه. وأمَرَ المُوَفَّقُ بإحْرَاقِ ما كان عندَه من السُّفُنِ فأُحْرِقَت، فاشْتَدَّ حَذَرُه. وأمَرَ المُوَفَّقُ ابنَه أبا العَبَّاس بأنْ يَتَجَهَّزَ لإحْرَاقِه، فزَحَفَ في أنْجَادِ غِلْمَانِه ومعَه الفَعَلَةُ والآلات[1].

وكان في الجَانبِ الغَرْبِيِّ قُبَالَةَ أبي العَبَّاس: أنْكلاي وابنُ جَامِعٍ، وفي الجَانبِ الشَّرْقِيِّ قُبَالَةَ أسَدٍ مَوْلى المُوَفَّق: الخَبيثُ نَفْسُه والمُهَلَّبِيُّ.

وجَاءَتِ السُّفُنُ في النَّهْر، وقَاتَلُوا حَامِيَةَ الجَسْر، فانْهَزَمَ ابنُ جَامِعٍ وأنْكلاي، وأضْرَمَ النَّارَ في الجَسْر، ولمَّا وَافَيَاه وهو مُضْطَرِمٌ نَارًا، ألْقَيَا أنْفُسَهما في النَّهْر فخَلَصَا بعدَ أنْ غَرِقَ من أصْحَابِهما خَلْقٌ، واحْتَرَقَ الجَسْرُ، واتَّصَلَ الحَرِيقُ بدُورِهم وقُصُورِهم وأسْوَاقِهم، وافْتَرَقَ الجَيْشُ في الجَانِبَيْن، ونُهِبَت دَارُ الخَبِيثِ وهَرَبَ، واسْتُنْقِذَ مَن كان في حَبْسِه من النِّسْوَةِ والرِّجَال. وأُخْرِجَ ما كان في نَهْرِ أبي الخَصِيب من أصْنَافِ السُّفُن إلى دِجْلَة،/ ونَهَبَهَا أصْحَابُ المُوَفَّق. واسْتَأْمَنَ أنْكلاي بنُ الخَبِيث، وعَلِمَ أبُوه [269 ب] فثَنَاهُ عن ذلك، واسْتَأْمَنَ سُلَيْمَانُ بنُ مُوسَى الشَّعْرَانِيُّ، من رُؤَسَاءِ قُوَّادِه، فأُجِيبَ بعدَ تَوَقُّفٍ. ولمَّا خَرَجَ تَبِعَه أصْحَابُ الخَبيثِ فقَاتَلَهم ووَصَلَ إلى المُوَفَّق فأحْسَنَ إليه،

(1) الكامل في التاريخ 7: 386-387.

واقْتَفَى أثَرَه في ذلك شِبْلُ بنُ سَالِم من قُوَّادِه، وعَظُمَ على الخَبيثِ وأوْلِيائِه اسْتِئْمانُ هؤلاء، وصَارَ شِبْلُ بنُ سَالِمٍ يَخرُجُ في السَّرَايَا إلى عَسْكَرِ الخَبيثِ ويُكْثِرُ النِّكَايَةَ فيهم[1].

اسْتيلاءُ المُوفَّق على الجِهَةِ الشَّرْقِيَّة

وفي خِلالِ هذه الحُرُوب واتِّصَالِها مَرَنَ أَصْحَابُ المُوفَّقِ على تَخَلُّلِ تلك المَسَالِكِ والشِّعَاب مع تَضَايُقِها ووَعَرِها، وأجْمَعَ المُوَفَّقُ على قَصْدِ الجَانبِ الشَّرْقِيِّ في نَهْرِ أبي الخَصِيب، ونَدَبَ لذلك قُوَّادَ المُسْتَأْمِنَةِ لِخِبْرَتِهم بذلك دُونَ غَيْرِهم، ووَعَدَهُمْ الإحْسَانَ والزِّيَادَة فأجَابُوا، وسَألوه الانْفِرَادَ لِيتَمَيَّزَ مُنَاصَحَتُهم. وجَمَعَ سُفُنَ دِجْلَةَ من كلِّ جَانِب، وكان فيها عَشَرَةُ آلافِ مَلَّاح من المُرْتَزِقَة، وأمَرَ ابنَه أبا العَبَّاس بقَصْدِ مَدِينَةِ الخَبيثِ الشَّرْقِيَّةِ من جِهَاتِها، فسَارَ إلى دَارِ المُهَلَّبِيِّ وهو في مائةٍ وخَمسينَ قِطْعَةً من السُّفُنِ قد شَحَنَها بأنْجَادِ غِلْمَانِه، وانْتَخَبَ عَشَرَةَ آلافِ مُقَاتِلٍ وأمَرَهُم بالمَسِيرِ حَفًّا في النَّهْرِ لِيُشَارِفَ أحْوالَهم. وبَكَّرَ المُوَفَّقُ لثَمَانٍ خَلَوْنَ من ذي القَعْدَة زَاحِفًا للحَرْب، فاقْتَتَلُوا مَلِيًّا وصَبَرُوا، ثم انْهَزَمَ الزَّنْجُ وقُتِلَ منهم خَلْقٌ وأُسِرَ آخَرُونَ فقُتِلُوا.

وقَصَدَ المُوَفَّقُ بجَمْعِه دَارَ الخَبِيث، وقد جَمَعَ الخَبِيثُ أصْحَابَه للمُدَافَعَةِ فلم يُغْنُوا عنه وانْهَزَمُوا وأسْلَمُوها، فنَهَبَها أصْحَابُ المُوَفَّقِ وسَبَوا حُرَمَه وبَنِيه وكانوا عِشْرين. ونَجَا إلى دَارِ المُهَلَّبِيّ، وبَعَثَ المُوَفَّقُ بِسَبْيِهِم إلى بَغْدَاد، وقد كان أبو العَبَّاس أيضًا غَلَبَ على دَارِ المُهَلَّبِيِّ ونَهَبَها، واشْتَغَلَ أصْحَابُهم جَمِيعًا ينقُلُونَ الغَنَائِمَ إلى السُّفُن،

(1) الكامل في التاريخ 7: 388-389.

فأطْمَعَ ذلكَ الزَّنْجَ فيهم، وتَراجَعوا ورَدُّوا النَّاسَ إلى مَوَاقِفِهم. ثم صَدَقَ المُوَفَّقُ الحَمْلَةَ عشيَّ النَّهارِ فهزَمَ الزَّنْجَ إلى دَارِ الخَبِيث ورَجَعَ بالنَّاسِ إلى عَسْكَرِه، ووَصَلَه كِتَابُ لُؤلُؤٍ غُلامِ ابنِ طُولُون يَسْتَأْذِنُه في القُدُوم عليه فأُخِّرَ القِتَالُ إلى حُضُورِه (1).

مَقْتَلُ صَاحِبِ الزَّنْج

ولمَّا وَصَلَ لؤلؤٌ غُلامُ/ ابنِ طُولُونَ في ثالثِ المحرَّم من سَنَةِ سبعين، جاء في [270أ] جَيْشٍ عَظِيمٍ، فأحْسَنَ إليهم المُوَفَّقُ وأجْرَى لهم الأرْزاقَ على مَراتِبِهم، وأمَرَه بالتَّأهُّبِ لقِتَالِ الخَبِيث. وقد كان لمَّا غَلَبَ على نَهْرِ أبي الخَصِيب وقُطِعَتِ القَنَاطِرُ والجُسُورُ التي عليه، أحْدَثَ فيه سَكْرًا وضَيَّقَ جَرْيَةَ الماءِ ليَمْنَعَ السُّفُنَ من دُخُولِه إذا حَسَرَ، ويَتَعَذَّرَ خُرُوجُها إذا مَدّ. وبقي جَرْيُه لا يَتَهَيَّأُ إلَّا بإزالَةِ ذلك السَّكْر. فحَاوَلَ ذلك مُدَّةً والزَّنْجُ يُدافِعُونَ عنه. ودَفَعَ المُوَفَّقُ لذلك لؤلُؤًا في أصْحَابِه ليَتَمَرَّنُوا على حَرْبِ الزَّنْجِ في تلك المَسالِكِ والطُّرُق، فأحْسَنُوا البَلاءَ فيها ووَصَلَهم، وألَحَّ على العَسْكر، وهو كلَّ يوم يَقْتُلُ مُقاتِلَتَهم ويَحْرِقُ مَسَاكِنَهم ويَقْبَلُ المُسْتَأْمِنَةَ منهم. وقد كان بَقِيَ بالجِهَةِ الغربيَّة بَقِيَّةٌ من أبنيةٍ ومَزَارِعَ، وبها جَمَاعَةٌ يَحْفَظُونَها، فسَارَ إليهم أبو العَبَّاس وأوْقَعَ بهم، ولم يَسْلَمْ منهم إلَّا الشَّريدُ.

ثم غَلَبَهم على السَّكْرِ وأحْرَقَه، واعْتَزَمَ على لِقَاءِ الخَبِيث، وقَدَّمَ ابنَه أبا العَبَّاس إلى دَارِ المُهَلَّبِيّ، وأضَافَ المُسْتَأْمِنَةَ إلى شِبْلِ بنِ سَالِمٍ، وأمَرَهُم أن يَنْتَظِروا بالقِتَالِ

(1) الكامل في التاريخ 7: 390-392.

نَفَخَ البُوقِ، ونَصَبَ عَلَمَه الأسودَ على دَارِ الكَرَمَانِيِّ. ثم صَمَدَ إليهم، وزَحَفَ النَّاسُ في البَرِّ والنَّهْرِ، ونُفِخَتِ الأبْوَاقُ، وذلك لثَلاثٍ بَقِينَ من المُحَرَّم سَنَةَ سبعين، واشْتَدَّ القِتَالُ، وانْهَزَمَ الزَّنْجُ ومَاتَ منهم قَتْلَى وغَرْقَى ما لا يُحصَى، واسْتَوْلَى المُوَفَّقُ على المَدِينَة واسْتَنْقَذُوا الأسْرَى، وأُسِرَ الخَلِيلُ ومُحَمَّدٌ ابنا أَبَانٍ وأوْلادُهما وعِيَالُ عليٍّ أخيهما.

ومَضَى الخَبِيثُ ومعَه ابنُه أنْكلاي وابْنُ جَامِعٍ وقُوّادٌ من الزَّنْجِ إلى مَوْضِعٍ بنَهْرِ السُّفْيَانِيِّ كانوا أعَدُّوه مَلْجَأً إذا غُلِبَ على المَدِينَة، واتّبَعه المُوَفَّقُ في السُّفُنِ ولُؤْلُؤٌ في البَرِّ. ثم اقْتَحَم النَّهْرَ بفَرَسِه واتَّبَعَه أصْحَابُهُ فأوْقَعُوا بالخَبِيث ومَن معَهُ حتى عَبَرُوا نَهرَ السُّفْيانِيِّ واعْتَصَمُوا بجَبَلٍ وَرَاءَه، ورَجَعَ لُؤْلُؤٌ عنهم، وشَكَرَ له المُوَفَّقُ، ورَفَعَ مَنْزِلَتَه، واسْتَبْشَرَ النَّاسُ بالفَتْح.

وجَمَعَ المُوَفَّقُ أصْحَابَه، فوَبَّخَهُم على انْقِطَاعِهِم عنه، فاعْتَذَرُوا بأنَّهم ظَنُّوا انْصِرَافَه. ثم تَحَالَفُوا على الإقْدَام والثَّبَاتِ حتى يَظْفَرُوا، وسَألوا أنْ تُرَدَّ المَعَابِرُ التي يَعْبُرونَ فيها ليَسْتَمِيتَ النَّاسُ في حَرْبِ عَدُوِّهم، فوَعَدَهم بذلك. وأصْبَحَ ثَالِثَ صَفَرٍ فعَبَّأَ المَرَاكِبَ/ وبَعَثَهم إلى المَرَاكِزِ ورَدَّ المَعَابِرَ التي عَبَرُوا فيها. [270 ب]

وتقدَّم سُرْعَانُ العَسْكَرِ، فأوْقَعُوا بالخَبِيثِ وأصْحَابِه، ففَضُّوا جَمْعَه وأثْخَنُوا فيهم قَتْلًا وأسْرًا وافْتَرَقُوا كلَّ نَاحِيَة. وثَبَتَ مع الخَبِيث لُمَّةٌ من أصْحَابِه فيهم المُهَلَّبِيُّ، وذَهَبَ ابنُه أنْكِلاي وابنُ جَامِعٍ، واتَّبَعَ كُلًّا منهم طائفةٌ من العَسْكَر، وكان أبو العَبَّاس بنُ المُوَفَّق تَقَدَّم فلَحِقَ بالمُنْهَزِمينَ فأثْخَنَ فيهم، وأسَرُوا ابنَ جَامِعٍ وجَاءُوا به إلى المُوَفَّق، ثم أُسِرَ بَعْدَه إبراهيمُ بنُ جَعْفَرٍ الهَمْدَانيّ فاسْتَوْثَقُوا منهما.

ثم كَرَّ الخَبِيثُ والمُنْهَزِمُونَ معَهُ على مَنِ اتَّبَعَهم من أهْلِ العَسْكَرِ فأزَالُوهم عن مَوَاقِفِهم. ثم رَجَعُوا. ومَضَى المُوَفَّقُ في اتِّبَاع الخَبيثِ إلى آخرِ نَهْرِ أبي الخَصِيب، فلَقِيَه غُلامٌ من أصْحَابِ لُؤْلُؤٍ برَأس الخَبِيث.

وسَارَ أنكِلاي نَحْوَ الدِّيناريِّ ومعه المُهَلَّبيُّ. وبَثَّ المُوَفَّقُ أصْحَابَه في طَلَبِهم فظَفِرُوا بهم وبِمَن معَهم، وكانوا زُهَاءَ خمسةِ آلافٍ، فاسْتَوْثَقَ منهم، ثم اسْتَأمَنَ إليه دَرْمُونَه، وكان – عندَ البَطِيحَة[1] – قدِ اعْتَصَمَ بمَغَايِضَ وآجَامٍ هنالك يُخِيفُ السَّابِلَةَ ويُغيرُ على تلك النَّوَاحي وعلى الوَارِدِينَ إلى مَدِينَةِ المُوَفَّق. فلمَّا عَلِمَ بمَوْتِ الخَبِيث سُقِطَ في يدِه وبَعَثَ يَسْتَأمِنُ، فأمَّنَه المُوَفَّقُ فحَسُنَت تَوْبَتُه ورَدَّ الغُصُوباتِ إلى أهْلِها ظَاهِرًا.

وأمَرَ المُوَفَّقُ بالنِّدَاءِ برُجُوعِ الزَّنْجِ إلى مَوْطِنِهم فرَجَعُوا، وأقامَ المُوَفَّقُ بمَدِينتِهِ المُوَفَّقِيَّةِ ليَأمَنَ النَّاسُ بمُقَامِه، ووَلَّى على البَصْرَةِ والأُبُلَّةِ وكُوَرِ دِجْلَةَ محمَّدَ بنَ حَمَّاد، وقَدَّمَ ابنَه أبا العَبَّاس إلى بَغْدَاد فدَخَلَها مُنْتَصَفَ جُمادَى من سَنَة سَبْعِين، وكان خُرُوجُ صَاحبِ الزَّنْج آخرَ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسين، ومَقْتَلُه أوَّلَ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعين لأرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وأرْبَعَةَ أشْهُرٍ من دَوْلَتِه[2].

وِلايَةُ ابنِ كُنْدَاجَ[أ] على المَوْصِل

لمَّا سَارَ أحمدُ بنُ مُوسَى بنِ بُغَا إلى الجَزِيرَة، وَلَّى مُوسَى بنَ أتَامِش على دِيَارِ

(أ) ابن الأثير: كنداجيق، ويتفق ما ورد عند ابن خلدون مع إحدى نسخ الكامل.

(1) ينظر عن البَطِيحَة فيما يلي 370.

(2) الكامل في التاريخ 7: 399-405، وتجارب الأمم 4: 478-480.

رَبيعَةَ، فتغَيَّرَ لذلك إسْحَاقُ بنُ كُنْدَاج، وفَارَقَ عَسْكَرَهُ وأوْقَعَ بالأكْرَادِ اليَعْقُوبيَّةِ وانتَهَبَ أمْوَالَهُم. ثم لَقيَ ابنَ مُسَاوِرٍ الخَارِجِيَّ فقَتَلَه وسَارَ إلى المَوْصِل، فقَاطَعَ أهْلَها على مَالٍ، وكَان عليهم عليُّ بنُ دَاودَ قَائِدًا، فَدَافَعَه، وسَارَ ابنُ كُنْدَاجَ إليه، فَخَرَجَ عليُّ بنُ دَاودَ واجْتَمَعَ مَعَ حَمْدَانَ بنِ حَمْدُونَ التَّغْلِبِيِّ وإسْحَاقَ بنِ أيُّوبَ بن عُمَرَ بن الخَطَّاب التَّغْلِبِيِّ العَدَوِيِّ،/ فكانوا خَمْسَة عَشَرَ ألفًا، وجَاءَهُم عليُّ بنُ دَاوُد فلَقِيَهُمْ [271 أ] إسْحَاقُ في ثَلاثَةِ آلافٍ فهَزَمَهم بدَسِيسَةٍ من أهْلِ مَيْسَرَتِهِم.

وسَارَ حَمْدَانُ وعليُّ بنُ دَاود إلى نَيْسَابُور، وابنُ أيُّوبَ إلى نَصِيبِينَ وابنُ كُنْدَاجَ في اتِّبَاعِه، فسَارَ عنها واسْتَجَارَ بعِيسى ابنِ الشَّيْخِ الشَّيْبَانِيِّ وهو بآمِد، وبأبي المعِزِّ مُوسَى بنِ زُرَارَةَ وهُوَ عَامِلُ أرْزَنَ، فأنْجَدَاه، وبَعَثَ المُعْتَمِدُ إلى إسْحَاقَ بنِ كُنْدَاجَ بولايَةِ المَوْصِل، فدَخَلَها، وأرْسَلَ إليه ابنُ الشَّيْخِ وابنُ زُرَارَةَ مائَتَيْ ألْفِ دِينَار على أنْ يُقِرَّهم على أعْمَالِهِم، فأبَى، فاجْتَمَعُوا على حَرْبِه فَرَجَعَ إلى إجَابَتِهِم[1].

ثم حَارَبُوه سَنَةَ سَبْعٍ وسِتِّين، واجْتَمَعَ لحَرْبِه إسْحَاقُ بنُ أيُّوبَ وعِيسى ابنُ الشَّيْخ وأبو المُعِزِّ وحَمْدَانُ بنُ حَمْدُونَ في رَبِيعَةَ وتَغْلِبَ وبَكْرٍ واليَمَن، فهَزَمَهُمُ ابنُ كُنْدَاجَ إلى نَصِيبِينَ ثم إلى آمِدَ، وجَمَّرَ عَسْكَرًا لحِصَارِ ابنِ الشَّيْخ بآمِد، وكَانت بينَهم حُرُوبٌ[2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 333-334.

(2) الكامل في التاريخ 7: 362.

حَرْبُ الخَوارِجِ بالمَوْصِلِ

كان مُساوِرٌ الخَارِجِيُّ قد هَلَكَ في حُرُوبِه معَ العَساكِر سَنَةَ ثَلاثٍ وسِتِّين بالبَوَازِيجِ، وأرَادَ أصْحَابُه وِلايَةَ محمَّدِ بن خَرْدَاد بشَهْرَزُورَ، فامْتَنَعَ، وبَايَعُوا أيُّوبَ بنَ حَيَّانَ المعروفَ بالغُلام، فقُتِلَ، فبَايَعُوا هَارُونَ بنَ عبدِ الله البَجَلِيَّ، وكَثُر أتبَاعُه، واسْتَوْلَى على بَلَدِ المَوْصِل، وخَرَجَ عليه من أصْحَابِه محمَّدُ بنُ خَرْدَاد، وكان كَثِيرَ العِبادَة والزُّهْدِ، يجلِسُ على الأرْض ويَلْبَسُ الصُّوفَ الغَلِيظَ ويَرْكَبُ البَقَرَ لئلَّا يَفِرَّ في الحَرْب. فنزَلَ وَاسِطَ، وجَاءَ وُجُوهُ أهْلِ المَوْصِل، فسَارَ إليهم وهَارُونُ غَائِبٌ عنها في الاحْتِشَاد، فبَادَرَ إليه واقْتَتَلا، وانْهَزَمَ هَارُونُ وقُتِلَ من أصْحَابِه نحوٌ من مائتَين. وقَصَد بني تَغْلِبَ مُسْتَنْجِدًا بهم فأنْجَدُوه، وسَارَ معه حَمْدانُ بنُ حَمْدُون، ودَخَلَ معَهُ المَوْصِل، ورَجَعَ ابنُ خَرْدَاد واسْتَمَالَ هَارُونُ أصْحَابَه، ورَجَعَ إلى الحَدِيثَةِ، ولم يبْقَ معَ ابنِ خَرْدَادَ إلَّا قَلِيلٌ من الأكْرَاد، فمالُوا إلى هَارُونَ بالمَوْصِل، فخَرَجَ وأوْقَعَ بابنِ خَرْدَاد فقَتَلَهُ وأوْقَعَ بالأكْرَادِ الجَلالِيَّةِ، وكَثُرَ أتبَاعُه وغَلَبَ على القُرَى والرَّسَاتِيقِ، وجَعَلَ على دِجْلَةَ مَن يأخُذُ الزَّكَاةَ من الأمْوَال: المُصْعِدةِ والمُنْحَدِرة، ووَضَعَ في الرَّسَاتِيق مَن يَقْبِضُ أعْشَارَ الغَلَّاتِ، واسْتَقَامَ أمْرُه[1].

ثم جاءَ/ بنو شَيْبانَ لقِتَالِه سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِين، واسْتَنْجَدَ بحَمْدَانَ بنِ حَمْدُون فجَاءَه بنَفْسِه وسَارُوا إلى نَهْرِ الخَازِنِ، وانْهَزَمت طَلِيعَتُهم وانْهَزَمُوا بانْهِزَامِها، وجَاءَ بنو [271 ب]

(1) الكامل في التاريخ 7: 359-360.

شَيْبَان إلى نِينَوى فانْجَفَلَ أَهْلُها وأَقَام هَارُونُ وأَصْحَابه بالحَدِيثَة[1].

أَخْبَارُ رَافِعِ بنِ هَرْثَمة مِن بَعْدِ الخُجُسْتَانيّ

لمَّا قُتِلَ أحمدُ الخُجُسْتَانيُّ سَنَةَ ثَمانٍ وسِتِّين - كما قدَّمْناه - اجْتَمَعَ أَصْحَابُه على رَافِعِ بنِ هَرْثَمَةَ من قُوَّادِ محمَّدِ بن طَاهِر، وكان رَافِعٌ هذا لمَّا اسْتَوْلى يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ على نَيْسَابُورَ وأزَالَ بني طَاهِرٍ، صَارَ رَافِعٌ في جُمْلَتِه وصَحِبَهُ إلى سِجِسْتَانَ. ثم أَقْصَاهُ عن خِدْمَتِه وعَادَ إلى مَنْزِلِه بنَوَاحِي باذَغِيس، حتَّى اسْتَخْدَمَه الخُجُسْتَانيُّ وجَعَلَه صَاحِبَ جَيْشِه.

فلمَّا قُتِلَ الخُجُسْتَانيُّ اجْتَمَعَ الجَيْشُ عليه بهَرَاةَ وأَمَّرُوه، وسَارَ إلى نَيْسَابُورَ فحَاصَرَ بها أبا طَلْحَةَ بنَ شِرْكب، وقد كان وَصَلَ إليها من جُرْجَان، فضَيَّقَ عليه ففَارَقَها أبو طَلْحَةَ إلى مَرْوَ، ووَلَّى على هَرَاةَ محمَّدَ بنَ مَهْدِي، وخَطَبَ لمحمَّدِ المُخَنَّق، ابنِ طَاهِرٍ بِمَرْوَ وهَرَاةَ، وزَحَفَ إليه عَمْرُو بنُ اللَّيْث فهَزَمَه وغَلَبَه على ما بيدِه. واسْتَخْلَفَ على مَرْوَ محمَّدَ بنَ سَهْلِ بن هَاشِم، وخَرَجَ أبو طَلْحَةَ إلى بَيْكَنْده[2]، واسْتَعَانَ بإسْمَاعِيلَ بنِ أحمدَ السَّامَانِيّ، فأَمَدَّهُ بعَسْكرٍ وأخْرَجَ محمَّدَ بنَ سَهْل من مَرْو، وخَطَبَ بها لعَمْرِو بنِ اللَّيْث سَنَةَ إِحْدَى وسبعين[3].

(1) الكامل في التاريخ 7: 419.
(2) بَيْكَنْده . من قرى طَبَرِسْتَان على طرف نهر باول (معجم البلدان 1: 533).
(3) الكامل في التاريخ 7: 367-368.

ثم قَلَّدَ المُوَفَّقُ تلكَ السَّنَةَ أعْمَالَ خُرَاسَانَ لمحمَّدِ بنِ طَاهِرٍ وهو بِبَغْدَاد، فاسْتَخْلَفَ عليها رَافِعَ بنَ هَرْثَمَةَ، وأقَرَّ على ما وَرَاءَ النَّهْرِ نَصْرَ بنَ أحمد. ووَرَدَت كُتُبُ المُوَفَّقِ بعَزْلِ عَمْرِو بنِ اللَّيْث ولَعْنِه، فسَارَ رَافِعٌ إلى هَرَاةَ وقد كان بها مُحَمَّدُ بنُ مَهْدِيٍّ خَلِيفَةُ أبي طَلْحَة، فثَارَ عليه يُوسُفُ بنُ مَعْبَد. فلمَّا جَاءَ رَافِعٌ اسْتَأمَنَ إليه فأمَّنَهُ، واسْتَعْمَلَ على هَرَاةَ مَهْدِيَّ بنَ مُحْسِن.

ثم سَارَ رَافِعٌ إلى أبي طَلْحَة بمَرْو بعدَ أنِ اسْتَمَدَّ إسْمَاعِيلَ بنَ أحمد وأمَدَّه بنَفْسِه في أرْبَعَةِ آلافِ فَارِسٍ، واسْتَقْدَمَ عليَّ بنَ الحُسَيْنِ المَرْوَروذِيَّ، فقَدِمَ عليه في عَسْكَرِه، وسَارُوا جَمِيعًا إلى أبي طَلْحَة بمَرْو سَنَةَ ثنتَيْنِ وسَبْعِينَ /فهَزَمُوه، وعَادَ [1272] إسْمَاعِيلُ إلى بُخَارَى، ولَحِقَ أبو طَلْحَةَ بهَرَاةَ وبها مَهْدِيّ، فاجْتَمَعَ معه على مُخَالَفَةِ رَافِعٍ فهَزَمَهُما رَافِعٌ، ولَحِقَ أبو طَلْحَة بعَمْرِو بنِ اللَّيْث. وقَبَضَ على مَهْدِيٍّ سَنَةَ ثنتينِ وسَبْعِينَ ثم خَلَّى سَبِيلَه، وسَارَ رَافِعٌ إلى خُوَارِزْمَ فجَبَى أمْوَالَهَا ورَجَعَ إلى نَيْسَابُور[1].

مُغاضَبَةُ المُعْتَمد للمُوَفَّق، ومَسِيرُهُ إلى ابنِ طُولُونَ وما نَشَأَ من الفِتْنَةِ لأجْلِ ذلك

كان المُوَفَّقُ قد حَدَثَت بينَه وبَيْنَ ابنِ طُولُون وَحْشَةٌ وأرَادَ عَزْلَه، وبَعَثَ مُوسَى بنَ بُغَا في العَسَاكِرِ إليه سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وستِّين فأقَامَ بالرَّقَّةِ عَشَرَةَ أشْهُر، واخْتَلَفَ عليه العَسْكَرُ فرَجَعَ[2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 368-369.

(2) المصدر نفسه 7: 305.

وكان المُوَفَّقُ مُسْتَبِدًّا على أخِيه المُعْتَمِد منذ قِيَامِه بأمْرِ دَوْلَتِه، معَ ما كان له منَ الكِفايَةِ والغَناء، إلا أنَّ المُعْتَمِدَ كان (أ) يَتأفَّفُ من الحَجْرِ. وكَتَبَ إلى أحمدَ بنِ طُولُونَ في السِّرِّ بشَكْوَى ذلك، فأشَارَ عليه باللَّحَاق به بِمِصْرَ لِيَنْصُرَه. وبَعَثَ عَسْكرًا إلى الرَّقَّةِ في انتِظَارِه، وكان المُوَفَّقُ مَشْغُولًا بحَرْبِ الزَّنْجِ، فسَارَ المُعْتَمِدُ مُنْتَصَفَ سَنَةِ تِسْعٍ وستِّينَ في القُوَّادِ مُظْهِرًا أنه يتَصَيَّد. ثم سَارَ إلى أعْمَالِ المَوْصِل وعليها يومَئذٍ وعلى سَائرِ الجَزِيرَة إسحاقُ بنُ كُنْدَاج.

وكَتَبَ صَاعِدُ بنُ مَخْلَدٍ وَزِيرُ المُوَفَّقِ عنِ المُوَفَّق إلى إسْحَاقَ يَرُدُّه عن طَرِيقِه والقَبْض على مَن مَعَه من القُوَّاد. فلمَّا وَصَلَ المُعْتَمِدُ إلى عَمَلِه أظْهَرَ إسْحَاقُ طاعَتَه وارْتَحَلَ في خِدْمَتِه إلى أوَّلِ عَمَلِ ابنِ طُولُونَ. ثم اجْتَمَعَ بالمُعْتَمِدِ والقُوَّادِ وفيهم نَيْزَكُ وأحمدُ بنُ خَاقَانَ وغيرُهم، فَعَذَلَهم في المَسِير إلى ابنِ طُولُون والمُقَامِ تحتَ يَدِه، وطَالَ الكلامُ بينَهم مَلِيًّا. ثمّ دَعَاهُم إلى خَيْمَتِه للمُنَاظَرَة في ذلك أدبًا معَ المُعْتَمِد، وقَيَّدَهم، وجَاءَ إلى المُعْتَمِدِ فعَذَلَه في المَسِيرِ عن دَارِ خِلافَتِه ومُغَاضَبَةِ أخِيه وهُوَ في دِفَاعِ عَدُوِّه ومَن يُرِيدُ خَرَابَ مُلْكِه، وحَمَلَ الجَمِيعَ إلى سَامَرَّاء (1).

وقَطَعَ ابنُ طُولُونَ الدُّعَاءَ للمُوفَّقِ على مَنَابِرِه وأسْقَطَ اسْمَه من الطُّرُزِ، وغَضِبَ المُوَفَّقُ بسَبَبِ ذلك على أحمدَ بنِ طُولُون، وحَمَلَ المُعْتَمِدَ على أنْ يُشَادَ بلَعْنِه على المَنَابِر، / ووَلَّى إسْحَاقَ بنَ كُنْدَاجَ على أعْمَالِه، وفَوَّضَ إليه من بابِ [272 ب]

(أ) كذا في ظ، ح، وفي ص: إلّا أنّه كان المعتمد.

(1) الكامل في التاريخ 7: 394-395.

الشَّمَّاسيَّة إلى إفْرِيقِيَّة. وكان لُؤلُؤٌ مَوْلَى ابنِ طُولُونَ عامِلًا له على حِمْصَ وحَلَبَ وقِنَّسْرِينَ ودِيَارِ مُضَرَ من الجَزِيرَة، وكان مَنْزِلُه بالرَّقَّةِ، فانْتَقَضَ عليه في هذه السَّنَة وسَارَ إلى بالِسَ فنَهَبَها، وكَتَبَ إلى المُوَفَّقِ بطاعتِه على شُرُوطٍ اشْتَرَطَها، فأجَابَه. وسَارَ من الرَّقَّة إلى الموفَّقِ فمَرَّ بقَرْقِيسِيَا وبها ابنُ صَفْوَانَ العُقَيْلِيُّ، فحَارَبَه وغَلَبَه عليها وسَلَّمَها إلى أحمدَ بنِ مَالِك بن طَوْقٍ. ووَصَلَ إلى المُوَفَّق في عَسْكَرٍ عَظِيمٍ وهُوَ يُقَاتِلُ صَاحِبَ الزَّنْج، فأكْرَمَه المُوَفَّقُ، وأحْسَنَ هُوَ الغَنَاءَ في تلك الحَرْب(1).

ثم بَعَثَ ابنُ طُولُونَ في تلك السَّنَة جَيْشَه إلى مَكَّةَ لإقَامَةِ المَوْسِم، وعَامِلُ مَكَّةَ هَارُونُ بنُ محمَّدٍ، ففَارَقَها خَوْفًا منهم، وبَعَثَ المُوَفَّقُ جَعْفَرًا في عَسْكَرٍ، فقَوِيَ بهم هَارُونُ، ولَقُوا أصْحَابَ ابن طُولُونَ فهَزَمُوهُم وصَادَرُوا القَائِدَ على مائتَيْ ألفِ دِينَارٍ. وقُرِئَ الكِتَابُ في المَسْجِدِ بلَعْنِ ابنِ طُولُونَ، وانْقَلَبَ أهْلُ مِصْرَ إلى بَلَدِهم آمِنِين. ولم يَزَلْ لُؤْلُؤٌ في خِدْمَةِ المُوَفَّقِ إلى أنْ قَبَضَ عليه سَنَةَ ثَلاثٍ وسَبْعين، وصَادَرَه على أربع مائةِ ألفِ دينار، وأدْبَرَ أمْرُهُ، ثُمَّ عَادَ إلى مِصْرَ آخرَ أيامِ هَارُونَ بنِ خُمَارَوَيْه(2).

وَفَاةُ ابنِ طُولُونَ، ومَسِيرُ ابنِ كُنْدَاجَ إلى الشَّام

وفي سَنَة سَبْعين، انْتَقَضَ على ابنِ طُولُون بازْمَارُ الخَادِمُ بطَرَسُوسَ وقَبَضَ على نائِبِه، وسَارَ إليه أحمدُ بنُ طُولُونَ في العَسَاكِرِ وحاصَرَه فامْتَنَعَ عليه، فرَجَعَ إلى

(1) الكامل في التاريخ 7: 393.
(2) المصدر نفسه 7: 395.

أنطاكِيَةَ فمَرِضَ هُنالِكَ ومَاتَ لِستٍّ وعِشرينَ سَنَةً من وِلايتِه على مِصْرَ، ووَلِيَ بَعْدَه ابنُه خُمارَوَيْه، وانتَقَضَت عليه دِمَشْقُ، فبَعَثَ إليها العَسَاكِرَ وعَادَت إلى طَاعَتِه[1].

وكان يومَئذٍ بالمَوْصِلِ والجَزِيرَةِ إسْحَاقُ بنُ كُنْدَاجَ، وعلى الأنبَارِ والرَّحْبَةِ وطَرِيقِ الفُرَاتِ محمَّدُ بنُ أبي السَّاجِ، فكاتَبَا المُوَفَّقَ في المَسِيرِ إلى الشَّامِ واسْتَمَدَّاه، فأذِنَ لهما ووَعَدَهُما بالمَدَدِ، فسَارَا ومَلَكَا ما يُجَاوِرُهما من بِلادِه، واسْتَوْلَى إسْحَاقُ على أنطاكِيَةَ وحَلَبَ وحِمْصَ، وكَاتَبَه نَائِبُ دِمَشْقَ، وأجْمَعَ الخِلافَ على خُمارَوَيْه، فسَارَ إليه فهَرَبَ إلى شَيْزَرَ وهيَ في طَاعَةِ/ خُمارَوَيْه، ومَلَكَ خُمارَوَيْه دِمشْقَ. [273أ]

وجَاءَ أبو العَبَّاس بنُ المُوَفَّقِ ـ وهو المُعْتَضِدُ ـ من بَغْدادَ في العساكِرِ فكَبَسَ شَيْزَرَ، وقتَلَ مِن جُنْدِ ابنِ طُولُونَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، ولَحِقَ فَلُّهُم بدِمَشْقَ وأبو العَبَّاس في اتِّبَاعِهِم، فجَلَوْا عنها ومَلَكَها في شَعْبَانَ سَنَةَ إحْدَى وسَبْعِين[2]. ورَجَعَت عَسَاكِرُ خُمارَوَيْه إلى الرَّمْلَةِ فأقَامُوا بها.

وزَحَفَ إسْحَاقُ بنُ كُنْدَاجَ إلى الرَّقَّةِ وعليها وعلى الثُّغُورِ والعَوَاصِمِ ابنُ دَعَّاسٍ من قِبَلِ خُمارَوَيْه، فقَاتَلَه، وكان الظهورُ لإسْحاق[3].

ثم زَحَفَ أبو العَبَّاس المُعْتَضِدُ من دِمَشْقَ إلى الرَّمْلَةِ، وسَارَ خُمارَوَيْه من مِصْرَ، واجْتَمَعَ بعَسَاكِرِه في الرَّمْلَةِ على مَاءِ الطَّوَاحِين. وكان المُعْتَضِدُ قدِ اسْتَفْسَدَ لابنِ كُنْدَاجَ وابنِ أبي السَّاجِ، ونَسَبَهُما إلى الجُبْنِ في انتظارِهما إيَّاه في مُحَارَبَةِ خُمارَوَيْه.

(1) الكامل في التاريخ 7: 408، 409.

(2) المصدر نفسه 7: 409، 410.

(3) المصدر نفسه 7: 411.

وعبَّأَ المُعْتَضِدُ عَسَاكِرَهُ ولَقِيَ خُمارَوَيْه وقد أَكْمَنَ له، فانْهَزَمَ خُمارَوَيْه أَوَّلًا، ومَلَكَ المُعْتَضِدُ خِيَامَه، وشُغِلَ أَصْحَابُه بالنَّهْبِ، فَخَرَجَ عليهم الكَمِينُ فانْهَزَمَ المُعْتَضِدُ إلى دِمَشْقَ فلم يَفْتَحْ له أهلُها، فَرَاحَ إلى طَرَسُوسَ، وأَقَامَ العَسْكَرَانِ يَقْتَتِلانِ دُونَ أميرٍ، وأقَامَ أَصْحَابُ خُمارَوَيْه عليهم أخَاه سَعْدًا مَكانَه، وذَهَبُوا إلى الشَّام فَملَكُوه أَجْمَعَ وأَذْهَبُوا منه دَعْوَةَ المُوَفَّقِ وابنِه. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى خُمارَوَيْه، فسُرَّ وأَطْلَقَ الأَسْرَى الذين كانُوا معَه. ثم ثَارَ أهلُ طَرَسُوسَ بأبي العَبَّاس فأَخْرَجُوه، وسَارَ إلى بَغْدَاد، ووَلَّوْا عليهم بَازْمَارَ فاستبدَّ بها. ثم دَعَا لِخُمارَوَيْهِ بعد أنْ وَصَلَه بمالٍ جَلِيلٍ، يُقَالُ: أَنْفَذَ إليه ثَلاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وخَمْسَ مائةِ ثَوْبٍ وخَمْسَ مائةِ مِطْرَفٍ وسِلاحًا كثِيرًا، فدَعَا له، ثم بَعَثَ إليه بخَمْسِينَ أَلْفَ دينار[(1)].

وفاةُ صاحبِ طَبَرِسْتانَ وولايةُ أخيه

ثم تُوفِّي الحسنُ بنُ زَيْدٍ العَلَوِيُّ صَاحِبُ طَبَرِسْتَان، في رَجَبِ سَنَةَ سَبْعِين، لعِشْرِينَ سَنَةً من وِلايَتِه، ووَلِيَ مَكَانَه أخُوهُ[(2)]، وكان على قَزْوِينَ أَتْكُوتَكِين، فسَارَ إلى الرَّيِّ في أرْبَعَةِ آلافِ فَارِس، وسَارَ إليه مُحَمَّدُ بنُ زَيْد في عَالَمٍ كَثِيرٍ من الدَّيْلَمِ والخُرَاسَانِيَّة. والتقَوْا، فانْهَزَمَ مُحَمَّدُ بنُ زَيْد وقُتِلَ من عَسْكَرِه/ نحوٌ من سِتةِ آلافٍ [273 ب] وأُسِرَ أَلفان، وغنِمَ أَتْكُوتَكِينُ عَسْكَرَهُم ومَلَكَ الرَّيَّ وأَغْرَمَ أهلَها مائةَ أَلفِ دينارٍ،

(1) الكامل في التاريخ 7: 411.
(2) المصدر نفسه 7: 407.

وفرّق عُمّالَه عليها، وسَارَ محمّدُ بنُ زَيْدٍ إلى جُرْجَان[1].

ثم عَزَلَ المُعْتَمِدُ عَمْرو بنَ اللَّيْثِ عن خُرَاسَان، ووَلّى عليها محمّدَ بنَ طَاهِر، واستَخْلَفَ محمّدَ بنَ رَافِع بن هَرْثَمَة، وسَارَ سَنَةَ خَمْسٍ وسَبْعِينَ إلى جُرْجَان، وهَرَبَ عنها ليلًا إلى أسْتَراباذ، فحاصَرَه رَافِعٌ فيها سنتَيْنِ حتّى أجْهَدَه الحِصَارُ، ففَرَّ عنها لَيْلًا إلى سَارِيَة، فاتّبَعَه، فهَرَبَ عن طَبَرِسْتانَ سَنَةَ سَبْعٍ وسَبْعين، واسْتَأمَنَ رُسْتُمُ بنُ قارِنَ إلى رَافِعٍ بطَبَرِسْتَانَ فأمَّنَه، وبَعَثَ إلى سَالُوسَ محمّدَ بنَ هَارُون نائبًا عنه، وأتَاهُ بها عليُّ بنُ كاني مُسْتأمِنًا، ثم جاءَه محمّدٌ، وحَاصَرَهُما بسَالُوس، وانقَطَعَت أخبَارُهما عن رَافِع. ثم جاءَه الخَبَرُ بحِصَارِهما فسَارَ إليهما، فارْتَحَلَ محمّدُ بنُ زَيْدٍ إلى أرْضِ الدَّيْلَم، فدَخَلَ رَافِعٌ خَلْفَه وأثْخَنَ فيها نَهْبًا وتَخْرِيبًا إلى حُدُودِ قَزْوِين، وعَادَ إلى الرَّيِّ إلى أنْ تُوفِّي المُعْتَمِدُ سَنَةَ تِسعٍ وسَبْعين[2].

فِتْنَةُ ابنِ كُنْداجَ وابنِ أبي السَّاجِ وابنِ طُولُونَ

كان ابنُ أبي السَّاج في أعْمالِه بقِنَّسْرِينَ والفُرَات والرَّحْبَة يُنافِسُ إسْحاقَ وهُوَ على الجَزِيرَة، ويُرِيدُ التَّقَدُّمَ عليه، فحَدَثَت لذلك بينَهما فِتْنَةٌ. فخَطَبَ ابنُ أبي السَّاجِ لخُمارَوَيْه بنِ طُولُون، وبَعَثَ ابنه ديوداذَ رهينةً إليه، فبَعَثَ إليه خُمارَوَيْه أمْوالًا جَمَّةً وسَارَ إلى الشَّام واجْتَمَعَ بابنِ أبي السَّاج ببَالِس. ثمّ عَبَرَ ابنُ أبي السَّاج الفُرَاتَ إلى

(1) الكامل في التاريخ 7: 418.

(2) المصدر نفسه 7: 434.

الرَّقَّة وهَزَمَ إسْحَاقَ بنَ كُنْدَاجَ واسْتَوْلَى على أعْمالِه، وعَبَرَ خُمارَوَيْه ونَزَلَ الرَّقَّة. ومَضَى إسْحَاقُ إلى قَلْعَةِ مَارِدِينَ، وحَاصَرَه ابنُ أبي السَّاج بها، ثم أفْرَجَ عنها وسَارَ إلى سِنْجَارَ لقِتالِ بعض الأعْرَاب، فسَار ابْنُ كُنْداجَ من مَارِدِينَ إلى المَوْصِل، فاعْتَرَضَه ابنُ أبي السَّاج وهَزَمَه، فعَادَ إلى مَارِدِين. واسْتَوْلَى ابنُ أبي السَّاج على الجَزِيرَةِ والمَوْصِلِ، وخَطَبَ فيها لخُمَارَوَيْه ثم لنَفْسِهِ بعدَه، وبَعَثَ غُلامَه فَتْحًا إلى أعْمَالِ المَوْصِلِ لجِبَايَةِ الخَرَاج[1].

[274أ] وكان/ اليَعْقُوبِيَّةُ، من الشُّرَاة، قَرِيبًا منه فهَادَنَهم، ثم غَدَرَ بهم فكَبَسَهم، وجَاءَهم أصْحَابُهم من غيرِ شُعُورٍ بالوَاقِعَةِ، فحَمَلُوا على أصْحَابِ فَتْحٍ فاسْتَلْحَمُوهم. ثم انْتَقَضَ ابنُ أبي السَّاج *على خُمارَوَيْه، فزَحَفَ إليه من مِصْرَ ولَقِيَه قريبًا من دِمَشْق، فانْهَزَمَ ابنُ أبي السَّاج*[أ] واسْتُبِيحَ عَسْكَرُه. وكان له بحِمْصَ مُخَلَّفٌ من أثْقَالِه، فقَدَّمَ خُمارَوَيْهِ طَائِفَةً من العَسْكَرِ إليها فاسْتَوْلَوْا على ما فيها ومَنَعُوا ابنَ أبي السَّاج من دُخُولِها، فسَارَ إلى حَلَبَ ثم إلى الرَّقَّةِ وخُمارَوَيْهِ في اتِّبَاعِه، فعَبَرَ الفُرَاتَ إلى المَوْصِل. وجَاءَ خُمارَوَيْهِ إلى بَلَد وأقَامَ بها، وسَارَ ابنُ أبي السَّاج إلى الحَدِيثَة. وكان إسْحَاقُ بنُ كُنْداجَ قد لَحِقَ بخُمارَوَيْهِ من مَارِدِين، فبَعَثَ معَهُ جَيْشًا وجَمَاعَةً من القُوَّاد، وسَارَ في طَلَبِ ابنِ أبي السَّاجِ وقد عَبَرَ دِجْلَةَ، فجَمَعَ ابنُ كُنْداجَ السُّفُنَ ليوطِّئَ جِسْرًا للعُبُور.

(أ) سقط ما بين النجمين من ص.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 409-410.

وبينَما هُوَ في ذلك، أَسْرَى ابنُ أبي السَّاج من تَكْرِيتَ إلى المَوْصِل، فوَصَلَها لرابِعِه، وسَارَ ابنُ كُنْدَاجَ في اتِّبَاعِه. فاقْتَتَلُوا بظَاهِرِ المَوْصِل وابنُ أبي السَّاج في أَلْفَيْن، فصبَرَ واشْتَدَّ القِتَالُ، وانْهَزَمَ ابنُ كُنْدَاجَ وهُوَ في عِشْرِينَ ألفًا. فخَلَصَ إلى الرَّقَّة ومحمَّدُ بنُ أبي السَّاجِ في اتِّبَاعِه. وكَتَبَ إلى المُوَفَّقِ يَسْتَأْذِنُه في عُبُورِ الفُرَاتِ إلى بلادِ خُمَارَوَيْهِ بالشَّام، فأَمَرَه بالتَّوَقُّفِ إلى وُصُولِ المَدَدِ من عندِه، ومَضَى ابنُ كُنْدَاج إلى خُمَارَوَيْه، فجَاءَ بجُيُوشِه إلى الفُرَات، وتَوَاقَفَ معَ ابنِ أبي السَّاج والفُرَاتُ بينَهما. ثمّ عَبَرَت طائِفَةٌ من عَسْكَرِ ابنِ أبي السَّاج فأَوْقَعُوا بطَائِفَةٍ من عَسْكَرِ ابنِ كُنْدَاجَ[أ] فانْهَزَمُوا إلى الرَّقَّة، وسَارَ ابنُ أبي السَّاج عنِ الرَّقَّة إلى بَغْدَادَ سَنَةَ سِتٍّ وتِسعينَ في رَبيعٍ منها، فأَكْرَمَه المُوفَّقُ ووَصَلَه. واسْتَوْلَى ابنُ كُنْدَاجَ على دِيَارِ ربيعةَ، من أَعْمَالِ الجَزِيرَة وأَقَامَ بها، ووَلَّى المُوَفَّقُ محمَّدَ بنَ أبي السَّاج على أَذْرَبِيجان، وسَارَ إليها فخَرَجَ إليه عبدُ الله بنُ الحُسَيْنِ الهَمَذَانِيُّ عامِلُ مَرَاغَةَ ليَصُدَّه، فهَزَمَه ابنُ أبي السَّاج وحَاصَرَه، وأَخَذَ منه مَرَاغَةَ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعينَ وقَتَلَه، واسْتَقَرَّ ابنُ أبي السَّاج في عَمَلِه بأَذْرَبِيجان[1].

أَخْبَارُ عَمْرِو بنِ اللَّيْث

كان عَمْرُو بنُ اللَّيْث بعدَ مَهْلِكِ أخيه يَعْقُوبَ قد وَلَّاه المُوَفَّقُ خُرَاسَانَ وأَصْبَهَانَ/ وسِجِسْتَانَ والسِّنْدَ وكَرْمانَ والشُّرْطَةَ ببَغْدادَ، كما كان أخُوه، وقد ذَكَرْنا [274 ب]

(أ) النسخ: ابن أبي السّاج، والتصويب من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 7: 422-423، 424.

ذلك قبلُ. وكان عامِلُه على فارِس محمَّدَ بنَ اللَّيْث، فانْتَقَضَ عليه سَنَةَ ثمانٍ وستِّين، فسارَ عَمْرٌو لحَرْبِه، فهزَمَه واسْتَبَاح عَسْكَرَه ونَهَبَ إصْطَخْرَ، ثمّ ظَفِرَت جُيُوشُه بمحمَّدٍ وأَسَرَه وحَبَسَه بكَرْمَان، ودخَلَ شيرازَ فأقامَ بها[1]. ثم بَعَثَ إلى أحمَدَ بنِ عبدِ العَزيز بن أبي دُلَف وهُوَ بأَصْبَهَانَ يطلبُه بالمال، فبَعَثَ إليه بالأمْوَالِ، وبَعَثَ عَمْرٌو إلى المُوَفَّقِ بثلاثِ مائةِ ألفِ دينارٍ، وبخمسينَ مَنًّا مِن المِسْكِ ومثلِها من العَنْبَرِ، ومائتَيْ مَنٍّ من العُود، وثلاثِ مائةِ ثَوْبٍ من الوَشْي، ومِن آنيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والدَّوَابِّ والغِلْمان قِيمَةَ مائتَيْ ألْفِ دِينار. واسْتَأْذَنَه في غَزْوِ محمَّدِ بنِ عُبَيْدٍ الكُرْدِيِّ رَامَهُرْمُزَ فأذِنَ له، فبَعَثَ قائِدًا من جَيْشِه إليه فأسَرَه وجَاءَ به إلى عَمْرو[2].

ثم عَزَلَ المُعْتَمِدُ سَنَةَ إحْدى وسَبْعِينَ عَمْرَو بنَ اللَّيْث عمّا كان قَلَّدَه من الأعْمَال، وأدْخَلَ إليه الحاجَّ، من أهْلِها، عندَ مُنْصَرَفِهم من مَكَّةَ، فأعْلَمَهم بعَزْلِه وأنَّه قد ولَّى على خُرَاسَان محمَّدَ بنَ طَاهِر، وأمَرَ بلَعْنِ عَمْرٍو على المَنَابِر. وجَهَّزَ مَخْلَدَ بنَ صَاعِدٍ إلى فارِسَ لحَرْب عمرٍو. واسْتَخْلَفَ محمَّدُ بنُ طاهرٍ على خُرَاسَان رَافِعَ بنَ هَرْثَمَةَ[3]. وكَتَبَ المُعْتَمِدُ إلى أحمَدَ بنِ عبدِ العَزيز بنِ أبي دُلَف يأمُرُه بقِتالِه، وبَعَثَ إليه الجُيُوشَ فاقْتَتَلُوا مع عَمْرٍو، وكان في خَمْسَةَ عشَرَ ألفَ مُقَاتِل، فانْهَزَمَ عَمْرٌو، وخَرَجَ قائِدُه الدَّيْلَمِيُّ وقَتَلَ مائةً من أعْيَانِهم وأسَرَ ثَلاثَةَ آلاف، فاسْتَأْمَنَ منهم ألْفٌ، وغَنِمُوا من عَسْكَرِه ما لا يُحْصَى[4].

(1) الكامل في التاريخ 7: 370.
(2) المصدر نفسه 7: 371.
(3) المصدر نفسه 7: 414.
(4) المصدر نفسه 7: 416.

ثم زَحَفَ المُوَفَّقُ سَنَةَ أربَعٍ وسَبْعين إلى فَارِسَ لحَرْبِ عَمْرو، فأنفَذَ عَمْرٌو ابنَه محمَّدًا إلى أرَّجَانَ في العَسَاكِرِ، وعلى مُقَدِّمَتِه أبو طَلْحَةَ بنُ شركَبَ وعَبَّاسُ بنُ إسْحَاق إلى سِيرَاف، واسْتَأمَنَ أبو طَلْحَةَ إلى المُوَفَّقِ ففتَّ ذلك في عَضُدِ عَمرٍو، وعَادَ إلى كَرْمان، واسْتَرَابَ المُوَفَّقُ بأبي طَلْحَة فقَبَضَ عليه قَرِيبًا من شِيرَاز، وجَعَلَ مَالَه لابنِه أبي العَبَّاس المُعْتَضِد، وسَارَ في طَلَبِ عَمْرٍو فخَرَجَ من كَرْمَان إلى سِجِسْتَان[(1)]. ومَاتَ ابنُه محمَّدٌ بالمَفَازَة، ورَجَعَ عنه المُوَفَّق. وسَارَ رَافِعُ بنُ اللَّيث من خُرَاسَانَ إلى جُرْجَان، وغَلَبَ محمَّدُ بنُ/ زَيْدٍ على طَبَرِسْتَان كما قَدَّمْنَاه، وقَدِمَ عليه هُنَالِك عليُّ بنُ اللَّيثِ هُوَ وابْنَاهُ: المُعَدَّلُ واللَّيْثُ من حَبْسِ أخيه عَليٍّ بكَرْمان، ثم قَتَلَه رَافِعٌ سَنَة ثَمَانٍ وسَبْعين. [275أ]

مَسِيرُ المُوَفَّقِ إلى أصْبَهَانَ والجَبَل

كان كَاتِبُ أتْكُوتَكِينَ أنْهَى إلى المُعْتَمِد أنَّ له مَالًا عَظِيمًا بِبِلادِ الجَبَلِ، فتَوَجَّه لذلك فلم يَجِدْ شَيْئًا. ثم سَارَ إلى الكَرَج ثم إلى أصْبَهَانَ يُرِيدُ أحمدَ بنَ عبدِ العَزِيز بن أبي دُلَف، فتَنَحَّى أحمدُ عن البلدِ بعَسَاكِره، وتَرَكَ دَارَه بفُرُشِها لنُزُلِ المُوَفَّقِ عندَ قُدُومِه، ثم رَجَعَ المُوَفَّقُ إلى بَغْدَاد[(2)].

(1) الكامل في التاريخ 7: 426.

(2) المصدر نفسه 7: 436.

قَبْضُ المُوفَّقِ على ابْنِهِ أبي العَبَّاس المُعْتَضِد ثـم وَفَاتُه، وقِيَامُ ابْنِهِ أبي العَبَّاس بالأَمْرِ بَعْدَه

كان المُوَفَّق بعدَ رُجُوعِه من أَصْبَهَانَ نَـزَلَ وَاسِـطَ، ثم عَادَ إلى بَغْـداد، وتَـرَكَ المُعْتَمِدَ بالمَدَائِنِ، وأمَرَ ابْنَه أبا العَبَّاس - وهو المُعْتَضِدُ - بالمَسِيرِ إلى بَعْضِ الوُجُوه فأبَى، فأمَرَ بحَبْسِه ووَكَّلَ به. ورَكِبَ القُوَّادُ من أَصْحَابِه، واضْطَرَبَت بَغْدَادُ، فرَكِبَ المُوَفَّقُ إلى المَيْدَانِ وسَكَّنَ النَّاسَ، وقالَ: إنِّي احْتَجْتُ إلى تَقْويمِ ابني فقَوَّمتُه. فانْصَرَفَ النَّاسُ، وذلك سَنَةَ سِتٍّ وسَبْعين[1]. وكان عندَ مُنْصَرَفِه من الجَبَلِ قدِ اشْتَدَّ به وَجَعُ النِّقْرِس، ولم يَقْدِرْ على الرُّكوبِ، فكان يُحْمَلُ في المِحَفَّةِ، ووَصَلَ إلى دَارِه في صَفرٍ من سَنَةِ سَبْعٍ، وطَالَ مَرَضُه، وبَعَثَ كاتِبَه أبا الصَّقرِ بنَ بُلْبُلٍ إلى المَدَائِنِ، فجاءَ بالمُعْتَمِدِ وأوْلادِه وأنْزَلَه بدَارِه، ولم يأتِ دَارَ المُوفَّق، فارْتابَ الأَوْلِياءُ لذلك، وعَمَدَ غِلْمَانُ أبي العَبَّاس فكَسَرُوا الأَقْفَالَ المُغْلَقَةَ عليه، وأخْرَجُوه وأقْعَدُوه عندَ رأسِ أبيه وهُوَ يجُودُ بنفسِه، فلمَّا فتَحَ عَيْنَيْه قَرَّبَه وأدْنَاه، وجَمَعَ أبو الصَّقرِ عندَه القُوَّادَ والجُنْد[2].

ثم تَسَامَعَ النَّاسُ أنَّ المُوَفَّق حَيّ، فتَسَلَّلوا عن أبي الصَّقْر، وأوَّلُهم محمَّدُ بنُ أبي السَّاج، فلم يَسَعْ أبا الصَّقْر إلَّا الحُضورُ بدَارِ المُوَفَّقِ، فحَضَرَ هُوَ وابنُه. وأشَاعَ أعْدَاءُ أبي الصَّقْر أنَّه تقَرَّبَ بمَالِ المُوفَّقِ إلى المُعْتَمِد، فنَهَبُوا دَارَه، وخَرَجَ نِسَاؤه حُفَاةً عُرَاةً، ونُهِبَ ما يُجَاوِرُه من الدُّور، وفُتِقَتِ السُّجُون، ثم خَلَعَ المُوَفَّقُ على ابْنِه أبي العَبَّاسِ

(1) الكامل في التاريخ 7: 433.

(2) المصدر نفسه 7: 441-442.

وأبي الصَّقر، ورَكِبَا إلى مَنْزِلِها، ووَلَّى أبو العَبَّاس غُلامَه بَدْرًا الشُّرْطَةَ.

[275 ب] ثم مَاتَ المُوَفَّقُ لثَمانٍ بَقِينَ من صَفرٍ سَنَةَ ثَمانٍ/ وسَبْعِين، ودُفِنَ بالرُّصَافَة. واجْتَمَعَ القُوَّادُ، فبَايَعُوا ابنَه أبا العَبَّاس بولَايَةِ العَهْد بعدَ المُفَوَّض إلى الله بن المُعْتَمِدِ، ولُقِّبَ المُعْتَضِدَ بالله، واجْتَمَعَ عليه أَصْحَابُ أبِيه، ثم قَبَضَ المُعْتَضِدُ على أبي الصَّقر ابنِ بُلْبُلٍ وأَصْحَابِه، وانْتُهِبَت مَنَازِلُهم، ووَلَّى عبدَ الله بنَ سُليمانَ بن وَهْب الوِزَارَة، وبَعَثَ محمدَ بنَ أبي السَّاج إلى وَاسِطَ ليَرُدَّ غُلامَه وَصِيفًا إلى بَغْدَاد، فأبَى وَصِيفٌ وسَارَ إلى السُّوسِ فأقَامَ بها[1].

ابتداءُ أمرِ القَرامِطَة[2]

كان ابتِدَاءُ أمْرِهِم – فيما زَعَمُوا – أنَّ رَجُلًا ظَهَرَ بسَوَادِ الكُوفَة سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعِينَ ومائتَيْنِ يَتَنَمَّسُ بالزُّهْد، وكان يُدْعَى قَرْمَط – يُقَالُ: لرُكُوبِه على ثَوْرٍ كان صَاحِبُه يُسَمَّى قَرْمَطَيْهِ فعُرِّب، وقيل: بلِ اسْمُه حَمْدَانُ ولَقَبُه قَرْمَط - وزَعَمَ أنَّه دَاعِيَةٌ لأهْلِ البَيْت وللْمُنْتَظَرِ منهم. واتَّبعه النَّاسُ، وقَبَضَ عليه الهَيْصَمُ عَامِلُ الكُوفَة وحَبَسَه، ففَرَّ من حَبْسِه وزَعَمَ أن الأغْلاقَ لا تَمْنَعُه.

ثم زَعَمَ أنَّه الذي بَشَّرَ به أحْمَدُ ابنُ محمَّدِ ابنِ الحَنَفِيَّة[3] وجَاءَ بكِتَابٍ تَنَاقَلَه القَرَامِطَةُ، فيه بعد البَسْمَلَة: يَقُولُ الفَرَج بنُ عُثْمَانَ، من قَرْيَة نَصْرَانَة: إنَّه دَاعِيَةُ

(1) الكامل في التاريخ 7: 442، 443، 444.

(2) يراجع عن القرامطة W. MADELUNG, EI^2 art. *Karmati* III, pp. 687-92. وما ذكر من مراجع.

(3) الكامل في التاريخ 7: 444-446.

المَسِيح وهو عِيسَى، وهو الكَلِمَة، وهو المَهْدِيُّ، وهو أَحْمَدُ بنُ محمَّدِ ابنِ الحَنَفِيَّة، وهو جِبْرِيل. وإنَّ المَسِيحَ تَصَوَّرَ له في جِسْمِ إِنْسَانٍ فقال له: إِنَّكَ الدَّاعِيَةُ، وإِنَّكَ الحُجَّةُ، وإِنَّكَ النَّاقَةُ، وإِنَّكَ الدَّابَّةُ، وإِنَّكَ يحيى بنُ زَكَرِيَّاء وإِنَّكَ رُوحُ القُدُس. وعَرَّفَه أَنَّ الصَّلاةَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ: رَكْعَتَانِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْس، ورَكْعَتَانِ قَبْلَ غُرُوبِها، وأَنَّ الأَذَانَ بالتَّكْبِيرِ في افْتِتَاحِه أَرْبَعًا، وشَهَادَةَ التَّوْحِيدِ مَرَّتَيْن، ثمّ الشَّهَادَة بالرِّسَالَة لآدَمَ ثمّ نُوحٍ ثمّ إبْرَاهِيمَ ثمّ عِيسى ثمّ محمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ عليهم أَجْمَعِين، ثمّ لأَحمَدَ بنِ محمَّدِ ابن الحَنَفِيَّة. ويَقْرَأُ الاسْتِفْتَاحَ في كلِّ رَكْعَة. وهو من المُنَزَّلِ على أَحْمَد بنِ محمَّد ابنِ الحَنَفِيَّة، والقِبْلَةُ بَيْتُ المَقْدِس، والجُمُعَةُ يومُ الاثْنَين، ولا يُعْمَلُ فيه شيء[(1)]. والسُّورَةُ التي تُقْرَأُ، نَصُّها: الحَمْدُ لله بكَلِمَتِه وتَعَالى باسْمِهِ المُنْجِدِ لأَوْلِيائِه بأَوْلِيائِه، قُلْ: إِنَّ الأَهِلَّةَ مَوَاقِيتُ للنَّاسِ، ظَاهِرُها لِيُعْلَمَ[(أ)] عَدَدُ السِّنِينَ والحِسَاب والشُّهُورِ والأَيَّام، وبَاطِنُها أَوْلِيَائي الذين عَرَّفُوا عِبَادِي سَبِيلي. اتَّقُوني يا/ أُولي الأَلْبَاب، وأَنا الذي لا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وأَنا العَلِيمُ الحَكِيم، وأَنا الَّذي أَبْلُو عِبَادِي وأَمْتَحِنُ خَلْقِي، فَمَن صَبَرَ على بَلائِي ومِحْنَتِي واخْتِيَارِي أَلْقَيْتُه في جَنَّتِي وأَخْلَدْتُهُ في نِعْمَتِي، ومَن زَالَ عن أَمْرِي وكَذَّبَ رُسُلِي أَخْلَدْتُهُ مُهَانًا في عَذَابِي، وأَتْمَمْتُ أَجَلِي وأَظْهَرْتُ على أَلْسِنَة رُسُلِي. فأنا الذي لم يَعْلُ جَبَّارٌ إلَّا وَضَعْتُه ولا عَزِيزٌ إلَّا أَذْلَلْتُه، فليس الَّذي أَصَرَّ على أَمْرِه، ودَامَ على جَهَالَتِه وقال: لن نَبْرَحَ عليه عاكِفِينَ [حتَّى يرجِعَ إلينا موسى][(ب)] وبه [276أ]

(أ) ح: لتعلموا. (ب) من ح.

(1) الكامل في التاريخ 7: 447-448.

مُوقِنِين، أُولَئِك هُمُ الكافِرُون. ثم يَرْكَع ويَقُولُ في رُكُوعِه مَرَّتَين: سُبْحَانَ رَبِّي ورَبِّ العِزَّة وتَعَالى عمَّا يَصِفُ الظَّالِمُون، وفي سُجُودِه: اللهُ أعْلَى، مَرَّتَيْنِ، اللهُ أعْظَم، مَرَّةً[1].

والصَّومُ مَشْرُوعٌ يومَ[أ] المِهْرَجانِ والنَّورُوز. والنَّبِيذُ حَرَامٌ، والخَمْرُ حَلالٌ، والغُسْلُ من الجَنَابَةِ كالوُضُوء. ولا يُؤْكَلُ ذُو نَابٍ ولا ذُو مِخْلَب. ومَنْ خَالَفهم وحَارَبَ وَجَبَ قَتْلُه، وإنْ لم يُحَارِبْ أُخِذَت منه الجِزْيَة، انْتَهَى. إلى غيرِ ذلك من دَعَاوٍ شَنِيعَة مُتَعَارِضَة يَهْدِمُ بَعْضُها بَعْضًا وتَشْهَدُ عليهم بالكَذِب[2].

وهذا الفَرَجُ بنُ يحيى الذي ذَكَرَ أوّلَ هذا الكِتَابِ أنّه دَاعِيَةُ القَرَامِطَةِ يُلَقَّبُ عندَهم زِكْرَوَيْهِ بنَ مَهْرَوَيْه. ويُقَال: إنَّ ظُهُورَ هذا الرَّجُل كان قَبْلَ مَقْتَلِ صَاحِبِ الزَّنْج، وإنَّه سَارَ إليه على الأمَانِ وقال له: إنَّ وَرَائي مائةَ ألْفِ سَيْف، فتَعَالَ[ب] نَتَنَاظَرْ، فلَعَلَّنا نَتَّفِقُ ونَتَعَاوَن. ثم تَنَاظَرَا فاخْتَلَفَا، وانْصَرَفَ قَرْمَطُ عنه، وكان يُسَمِّي نفسَه القَائِمَ بالحَقّ. وزَعَمَ بعضُ النَّاسِ أنّه كان يَرَى رَأيَ الأزَارِقَةِ من الخَوَارِج.

فِتْنَةُ طَرَسُوس

قد تَقَدَّمَ لنا انْتِقَاضُ بازْمَارَ بطَرَسُوسَ على مَوْلاه أحمدَ بنِ طُولُون، وأنَّه حَاصَرَه فامْتَنَعَ عليه، وأنَّه رَاجَعَ بعدَه طَاعَةَ ابْنِه خُمَارَوَيْهِ بِما حَمَلَ إليه من الأمْوالِ والأمْتِعَة والسِّلاح، فاسْتَقَامَ أمْرُهُ بطَرَسُوسَ مُدَّةً، وغَزَا سَنَةَ ثَمَانٍ وسَبْعِينَ بالصَّائِفَة

(أ) ح: أيام. (ب) ح: فقال.

(1) الكامل في التاريخ 7: 447-448.

(2) المصدر نفسه 7: 448-449.

مع أحمدَ الجُعْفيّ، وحاصَرُوا إسكَندرا[أ] فأُصِيبَ بحجَرِ مَنْجَنيق، فرَجَعَ وهَلَكَ في طَرِيقِه، ودُفِنَ بطَرَسُوس. وكان استَخْلَفَ ابنَ عُجَيف فأقرَّه خُمَارَوَيْهِ وأمَدَّهُ بالخَيْل والسِّلاح والمَال. ثم عَزَلَه واستَعْمَلَ عليها ابنَ عَمِّه مُحمَّدَ بنَ مُوسَى بن طُولُون.

ولمَّا تُوفِّي المُوَفَّق نَزَعَ خَادِمٌ من خواصِّه، اسْمُه رَاغِبٌ إلى/ التَّنَسُّك، وطَلَبَ [276ب] المُقَامَ بالثَّغرِ للجِهَاد، فأذِنَ له المُعْتَضِدُ. فسَارَ إلى طَرَسُوسَ وحَطَّ أثقَالَه بها وسَارَ إلى لِقَاءِ خُمَارَوَيْهِ بدِمَشْق فأكرَمه واستَجْلَب أُنْسَهُ، فطَالَ مُقَامُه. واتَّهمَهُ أصْحَابُه بطَرَسُوسَ أنَّه قَبَضَ عليه، وفَاوَضُوا أهْلَ البَلَدِ في ذلك، فوَثَبُوا بأميرِهم مُحمَّدِ بنِ مُوسَى [وقَبَضُوا عليه][ب] حتى يُطْلِقَ لهم [خُمَارَوَيْهِ][ب] راغبًا. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى خُمَارَوَيْهِ فأطْلَقَه، فجَاءَ إليهم ووَبَّخَهم على فِعْلِهِم، فأطْلَقُوا مُحمَّدَ بنَ مُوسَى، وسَارَ عنهم إلى بَيْتِ المَقْدِس فأعَادُوا ابنَ عُجَيْفٍ إلى وِلايَتِه[1].

فِتنَةُ أهْلِ المَوْصِلِ مع الخَوارِج

قد تَقَدَّمَ لنا أنَّ هَارُونَ بنَ سُلَيْمان كان على الشُّرَاةِ من الخَوارِج، وكان بَنُو شَيْبانَ يُقَاتِلُونهم ويُغيرُونَ على المَوْصِل. فلمَّا كانت سَنَة تِسْعٍ وسَبْعِينَ جَاءَ بنو شَيْبَان لذلك وأغَارُوا على نِينَوَى وغَيرِها من الأعْمَال، فاجْتَمَعَ هَارُونُ الشَّارِيُّ وحَمْدَانُ بنُ حَمْدُون التَّغلَبيُّ على مُدَافعَتِهم. وكان مع بني شَيْبانَ هَارُونُ بنُ سُلَيْمان مَوْلى أحمدَ بنِ

(أ) كذا ويعني الإسكندرونة . (ب) إضافةٌ من ابن الأثير لتوضيح المعنى .

(1) الكامل في التاريخ 7: 450.

عِيسَى بنِ الشَّيْخ الشَّيْبَانِيّ، بَعَثَه مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاق بنِ كُنْدَاج وَالِيًا على المَوْصِلِ عندما مَاتَ أبوه إِسْحَاق، ووَلِيَ مَكَانَه على أَعْمَالِه بالمَوْصِلِ ودِيَارِ رَبِيعَةَ، فلم يَرْضَهُ أَهْلُ المَوْصِل وطَرَدُوه، فسَارَ إلى بني شَيْبَانَ مُسْتَنْجِدًا بهم، فلمَّا الْتَقَى الجَمْعَانِ انْهَزَمَ بنو شَيْبَانَ أَوَّلًا، واشْتَغَلَ أَصْحَابُ ابنِ حَمْدَانَ والخَوَارِجُ بالنَّهْب، فكَرَّ عليهم بنو شَيْبَان وظَفِرُوا بهم. وكَتَبَ هَارُونُ بنُ سِيمَا إلى مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاق بن كُنْدَاجَ يَسْتَمِدُّه، فسَارَ بنَفْسِه، وخَشِيَهُ أَهْلُ المَوْصِل، فسَارَ بعضُهم إلى بَغْدَاد يَطْلُبُونَ عَامِلًا يَكْفِيهم أَمْرَ ابنِ كُنْدَاج، ومَرُّوا في طَرِيقِهم بمحمَّدِ بن يحيى المَجْرُوح، المُوَكَّلِ بحِفْظِ الطَّرِيق، فألفَوْه وقد وَصَلَ إليه العَهْدُ من المُعْتَضِدِ بولايَة المَوْصِل، فبَادَرَ ومَلَكَها، وتَوَقَّفَ ابنُ كُنْدَاج في مَكَانِه، وبَعَثَ إلى خُمَارَوَيْهِ بالهَدَايَا، ويَسْأَلُ إِمَارَةَ المَوْصِل كما كان من قَبْلُ، فلم يُجِبْه إلى ذلك، ثم عَزَلَ المَجْرُوحَ ووَلَّى بَعْدَه عليَّ بنَ دَاوُدَ الكُرْدِي(1).

الصَّوَائِفُ أَيَّامَ المُعْتَمِد

وَصَلَ الخَبَرُ في سَنَة سَبْعٍ وخَمْسِينَ بأَنَّ مَلِكَ الرُّوم بالقُسْطَنْطِينِيَّةِ، مِيخَائِيلَ ابنَ روفيل، وَثَبَ عليه قَرِيبُه بَسِيل، ويُعْرَفُ بالصِّقِلِّيّ، فقَتَلَه لأَرْبَعٍ وعشرينَ سَنَةً من مُلْكِه،/ [277أ] ومَلَكَ مَكَانَه. وفي سَنَة تِسْعٍ وخَمْسِينَ خَرَجَت عَسَاكِرُ الرُّومِ فنَازَلُوا سُمَيْسَاط، ثم نَازَلُوا مَلَطْيَةَ، وقَاتَلَهم أَهْلُها فانْهَزَمُوا، وقُتِلَ بِطْرِيقٌ من بَطَارِقَتِهم.

وفي سَنَةِ ثَلاثٍ وسِتِّينَ اسْتَوَلَى الرُّومُ على قَلْعَة الصَّقَالِبَةِ، وكانت ثَغْرًا

(1) الكامل في التاريخ 7: 453، 454.

لطَرَسُوسَ، وتُسَمَّى قَلْعَةَ كَزكَرَةَ، فرَدَّ المُعْتَمِدُ[أ] وِلايَةَ ثَغْرِ طَرَسُوس لابن طُولُون. وكان أحمدُ بنُ طُولُون قد خَطَبَ وِلايَتَها من المُوَفَّق يَرُومُ أنْ يَجْعَلَهَا رِكابًا لجِهادِه، لخِبْرَتِه بأحْوَالِها مُنذ كان يُرَدِّد الغَزْوَ من طَرَسُوسَ إلى بِلادِ الرُّوم قَبْلَ ولايتِه مِصْرَ، فلم يُجِبْه المُوَفَّقُ، ووَلَّى عليها مُحَمَّدَ بنَ هَارُون التَّغْلَبِيَّ، واعْتَرَضَه الشُّرَاةُ أَصْحَابُ مُسَاوِرٍ وهو مُسَافِرٌ في دِجْلَةَ فقَتَلُوه، فوَلَّى مَكانَه مُحَمَّدَ بنَ عليٍّ الأَرْمَنِيَّ، وأضَافَ إليه أنْطَاكِيَة، فوَثَبَ عليه أهْلُ طَرَسُوسَ وقَتَلُوه، فوَلَّى مَكانَه أمَاجُورَ[ب] بنَ أَوْلغ بن طُرْخَانَ من التُّرْكِ، فسَارَ إليها - وكان غِرًّا جَاهِلًا - فأسَاءَ السِّيرَة ومَنَعَ أرْزَاقَ أهْلِ كَزكَرَةَ ومِيرَتَهم، وكَتَبُوا إلى أهْلِ طَرَسُوسَ يَشْكُون، فجَمَعُوا لهم خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفَ دِينَارًا، فأخَذَها أمَاجُورُ لنَفْسِهِ، وأبْطَأَ على أهْلِ القَلْعَةِ شَأْنَها. فنَزَلُوا عنها وأعْطَوْها للرُّوم، وكَثُرَ أسَفُ أهْلِ طَرَسُوسَ لِمَا كانت ثَغْرَهُم وعَيْنًا لهم على العَدُوِّ[1].

وبَلَغَ ذلك المُعْتَمِدَ، فكَتَبَ لأحمدَ بنِ طُولُون بوِلايَتِها، وفَوَّضَ إليه أمْرَ الثُّغُورِ فوَلِيَها، واسْتَعْمَلَ فيها من يَحْفَظُ الثَّغْرَ ويُقِيمُ الجِهَاد، وقَارَنَ ذلك وَفَاةَ أَمَاجُورَ عَامِلِ دِمَشْق، ومُلْكَ ابنِ طُولُونَ الشَّامَ جميعًا[ج] كما ذَكَرْناه قَبْلُ.

وفي سَنَةِ أرْبَعٍ وسِتِّينَ غَزَا بالصَّائِفَة عبدُ الله بنُ رَشِيد بن كاوُس في أرْبَعِينَ ألْفًا من أهْلِ الثُّغُورِ الشَّامِيَّة، فأثْخَنَ [فيهم][د] وغَنِمَ ورَجَعَ. فلمَّا رَحَلَ عن البَدَنْدُون[هـ]

(أ) ظ: المعتضد. (ب) وكذا في الكامل 7: 238، 316، وفي ح: أوجز تصحيف. (ج) ص: جميعها. (د) سقط من ظ: ح. (هـ) مهملة في ظ، وفي ح: البذبذون.

(1) الكامل في التاريخ 7: 308-309.

خَرَجَ عليه بِطرِيق سَلوقِيَة وقُرَّه كَوْكَب وخَرْشَنَةُ وأحَاطُوا بالمُسلمين، فاسْتَماتَ المُسْلِمُونَ واسْتَلْحَمَهمُ الرُّومُ بالقَتْل، ونَجَا قَلُّهم إلى الثغر، وأُسِرَ عبدُ الله بنُ كاوُس وحُمِلَ إلى القُسْطَنطِينِيَّة[1].

وفي سَنَةِ خَمْسٍ وسِتِّينَ خَرَجَ خَمْسَةٌ من بَطَارِقَةِ الرُّوم إلى أَذَنَة، فقَتَلُوا وأَسَرُوا واليَ الثُّغُور أوجُورَ فعُزِلَ عنها وأقَامَ مُرَابِطًا. وبَعَثَ مَلِكُ الرُّوم بعبدِ الله بنِ كاوُس ومَن معَهُ من الأسْرَى إلى أحمدَ بنِ طُولُون، وأهْدَى إليه عِدَّةَ/ مَصَاحِفَ[2]. [277 ب]

وفي سَنَة سِتٍّ وسِتِّينَ لَقِيَ أسْطُولُ المُسْلِمين أسْطُولَ الرُّوم عندَ صِقِلِّيَّة فظَفِرَ الرُّومُ بهم ولَحِقَ مَن سَلِمَ منهم [إلى مَدِينَةِ بَلَرْم][أ] بصِقِلِّيَّة[3].

وفيها خَرَجَتِ الرُّومُ على دِيَارِ رَبِيعَةَ واسْتُنْفِرَ النَّاسُ فنَفَرُوا، ولم يُطِيقُوا دُخُولَ الدَّرْب لشِدَّة البَرْد[4].

وفيها غَزَا سِيمَا عَامِلُ ابنِ طُولُونَ على الثُّغُورِ الشَّامِيَّة في ثلاثِ مائةٍ من أهْلِ طَرَسُوسَ، واعْتَرَضَهم أرْبَعَةُ آلافٍ من الرُّوم من بِلادِ هِرَقْل، فنَالَ المُسْلمونَ منهم أعْظَمَ النَّيْل[5].

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 312.

(2) المصدر نفسه 7: 327.

(3) المصدر نفسه 7: 334.

(4) المصدر نفسه 7: 336.

(5) المصدر نفسه 7: 336.

وفي سَنَةِ ثَمانٍ وسِتِّينَ خَرَجَ مَلِكُ الرُّوم ابنُ الصَّقْلَبِيَّة فنَازلَ مَلَطْيَةَ، واستَمدُّوا أهْلَ مَرْعَش والحَدَثِ فأمَدُّوهم، وانْهزَمَ مَلِكُ الرُّوم[1].

وفيها غَزَا بالصَّائِفَة خَلَفٌ الفَرْغَانيُّ، عَامِلُ ابنِ طُولُونَ على الثُّغُورِ الشَّامِيَّة، فأثْخَنَ ورَجَعَ[2].

وفي سَنَةِ سَبْعِينَ زَحفَت الرُّومُ في مائةِ ألف، ونَازَلُوا قَلَمْيَةَ: على سِتَّةِ أمْيَالٍ من طَرَسُوسَ، فَخَرجَ إليهم بَازْمَارُ فهزَمَهُم وقتَلَ منهم سَبْعينَ ألفًا وجَمَاعَةً من البَطَارِقَة، وقَتَلَ مُقَدَّمَهم بِطْرِيقَ البَطَارِقَة، وغَنِمَ منهم سَبْعةَ صُلْبَانٍ ذَهَبًا وفِضَّةً، وكان أعْظَمُها مُكَلَّلًا بالجَوَاهِر. وغَنِمَ خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفَ دَابَّةٍ، ومن السُّرُوج والسُّيُوف مِثْلَ ذلك، وأربعَ كَرَاسِيَ من ذَهَبٍ ومائتَيْنِ من فِضَّة، وعشرينَ عَلَمًا من الدِّيبَاج، وآنِيَةً كثيرة[3].

وفي سَنَةِ ثنتينِ وسَبْعِينَ غَزَا بالصَّائفة بازمَارُ فأثْخَنَ ورَجَع[4].

وفي سَنَةِ ثلاثٍ وسبعينَ وَثَبَ على مَلِكِ الرُّوم ابنِ الصَّقْلَبِيَّة أوْلادُه فقَتَلُوه، ووَلِيَ وَاحِدٌ منهم مَكَانَه[5].

وفي سَنَةِ أرْبَعٍ وسَبْعينَ غَزَا بالصَّائِفَة بازمَارُ وتَوَغَّلَ في أرْضِ الرُّوم وقَتَلَ وغَنِمَ وأسَرَ وسَبَى، وعَادَ إلى طَرَسُوسَ[6].

(1) الكامل في التاريخ 7: 372.

(2) المصدر نفسه 7: 373.

(3) المصدر نفسه 7: 406-407.

(4) المصدر نفسه 7: 420.

(5) المصدر نفسه 7: 424.

(6) المصدر نفسه 7: 427.

وفي سَنَةِ ثَمانٍ وسَبْعينَ دَخَلَ أحمدُ الجُعْفِيُّ طَرَسُوسَ، وغَزَا معَ بازْمَارَ بالصَّائِفَة، ونَازَلُوا [إسكَنْدَرا][(أ)] ، فأُصِيبَ بازْمَارُ عليها بحَجَرِ مَنْجَنِيقٍ فرَجَعَ ومَاتَ في طَرِيقِه ودُفِنَ بطَرَسُوسَ .

الولاياتُ بالنَّواحي أيامَ المُعْتَمد

كانتِ الفِتْنَةُ قد مَلأت نَوَاحِيَ الدَّوْلَة من أطْرَافِها وأوْسَاطِها، واسْتَوْلَى بنو سَامَان على ما وَرَاءَ النَّهر، والصَّفَّارُ على سِجِسْتَانَ وكَرْمَان، ومَلَكَ فَارِسَ من يدِ عُمَّالِ الخَليفَة، وانْتَزَعَ خُرَاسَانَ من يدِ بني طَاهِر، وكلُّهم معَ ذلك مُقِيمُون لدَعْوَةِ الخَليفَة./ وغَلَبَ الحَسَنُ بنُ زَيْدٍ على طَبَرِسْتَانَ وجُرْجَان مُنَازِعًا بالدَّعْوَة ومُحَارِبًا بالدَّيْلَم لابنِ سَامَانَ والصَّفَّارِ وعَسَاكِرِ الخَليفَةِ بأصْبَهَان. واسْتَوْلَى صَاحِبُ الزَّنْج على البَصْرَةِ والأُبُلَّة إلى وَاسِطَ وكُورِ دِجْلَة، مُنَازِعًا للدَّعْوَة ومُشَاقِقًا، وأضْرَمَ تلكَ النَّوَاحِيَ فِتْنَةً، ولم يَزَلِ المُوَفَّقُ في محاربتِه حتى حَسَمَ عِلَّتَه وقَطَعَ أثَرَه. واضْطَرَمَت بِلادُ المَوْصِل والجَزِيرَة فِتْنَةً بخَوَارِجِ الشُّرَاةِ، بالعَرَبِ من بني شَيْبَانَ وتَغْلِبَ وبالأكْرَاد، واسْتَوْلَى ابنُ طُولُون على مِصْرَ والشَّام مُقِيمًا لدَعْوَة الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّة، وابنُ الأغْلَب بإفْرِيقِيَّةَ كذلك. [278 أ]

وأمَّا المَغْربُ الأقْصَى والأنْدَلُس فاقْتُطِعَا عن المملكةِ العَبَّاسِيَّة منذ أزْمَانٍ، كما قُلْنا.

ولم يكن للمُعْتَمِدِ مُدَّةَ خلافَتِه كلِّها حُكْمٌ ولا أمْرٌ ونَهْي، إنَّما كان مُغَلَّبًا لأخيه المُوفَّقِ وتحت اسْتِبْدَادِه، ولم يكنْ لهما جَمِيعًا كبيرُ وِلايَةٍ في النَّوَاحي باسْتِيلاءِ منِ

(أ) في ظ ، ح : إسكندا، ورجحنا ما أثبتناه وقد تقدّم، ويعني الإسكندرونة، وهي قريةٌ من منطقة الأحداث لطرسوس.

اسْتَوْلَى عليها ممَّن ذكَرْنَاهُ إلَّا من بَعْضِ الأحَايِين[1]. فلنَذْكُرْ ما وَصَلَ إلينا من هذه الوِلايَاتِ أيَّامَ المُعْتَمِد.

فلأَوَّلِ وِلايَتِه اسْتَوْزَرَ عُبَيْدَ الله بنَ يحيى بن خَاقَان، وبَعَثَ جَعْلانَ لحَرْبِ الزَّنْج بالبَصْرَة، فكان أمْرُه معهم كما مَرَّ. ثم وَلَّى عيسى بنَ الشَّيْخ، من بني شَيْبَانَ، على دِمَشْق، فاسْتَأثَر بها ومَنَعَ الخَرَاجَ، وجَاءَه حُسَيْنٌ الخادِمُ من بَغْدَاد لطَلَبِ المالِ فاعْتَذَرَ بأنَّه أنْفَقَهُ على الجُنْد، فكَتَبَ له المُعْتَمِدُ عَهْدَه على أرْمِينِيَّةَ لِيُقيمَ بها دَعْوَتَه، وقَلَّدَ أمَاجُورَ دِمَشْقَ وأعْمَالَها فسَارَ إليها. وأنْفَذَ عيسى بنُ الشَّيْخ ابنَه مَنْصُورًا لقِتَالِ أمَاجُورَ في عشرينَ ألفًا، فانْهَزَمُوا وقُتِلَ مَنْصُورٌ، وسَارَ عيسى إلى أرْمِينِيَّةَ على طَرِيقِ السَّاحِل، ودَخَلَ أمَاجُورُ دِمَشْقَ[2].

وفي سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسِينَ سَارَ مُوسَى بنُ بُغَا لحَرْبِ مُسَاوِرٍ الخَارِجِي، فلَقِيَهم بنَاحِيَةِ خَانِقِين، فنَالَ الخَوَارِجُ من أصْحَابِ مُوسَى[3].

وفيها كان وُثُوبُ محمَّدِ بنِ وَاصِل بن إبراهِيمَ التَّمِيمِيِّ على الحارِثِ بن سِيَما، عَامِلِ فَارِس، فقَتَلَه وغَلَبَ عليها، كما مرَّ[4].

(1) الكامل في التاريخ 7: 394.
(2) المصدر نفسه 7: 238.
(3) المصدر نفسه 7: 240.
(4) المصدر نفسه 7: 240.

وفيها غَلَبَ الحَسَنُ بنُ زَيْد الطَّالِبِيُّ على الرَّيِّ، فسَارَ إليها مُوسَى بنُ بُغَا وغَلَب عَسَاكِرَ الحَسَنِ[1]، وظَهَرَ عَلَى ابنِ زَيْدٍ بالكُوفَة ومَلَكَها، وبَعَثَ المُعْتَمِدُ /لمُحَارَبَتِه كَيْجُورَ التُّرْكِيَّ، فخَرَجَ عنها على القَادِسِيَّة، ثم جاء إلى خَفَّان، ثم إلى بلادِ بني أَسَد. وغَزَاه كَيْجُورُ من الكُوفَةِ فأوْقَعَ به وعَادَ إلى الكُوفَة، ثم إلى سُرَّ مَن رأى. [278 ب]

وفي سَنَةِ سَبْعٍ وخَمْسِينَ عَقَدَ المُعْتَمِدُ لأخِيه المُوَفَّق على الكُوفَة والحَرَمَيْنِ واليَمَن، ثم على بَغْدَادَ والسَّوَادِ إلى البَصْرَةِ والأَهْوَاز، وأَمَرَهُ أن يَعْقِدَ ليَازْجُوجَ على البَصْرَةِ وكُوَرِ دِجْلَةَ واليَمَامَة والبَحْرَيْنِ مَكَانَ سَعِيدٍ الحَاجِب. وعَقَدَ يازجوجُ على ذلك لمَنْصُورِ بنِ جَعْفَرٍ الخَيَّاط، ونَزَلَ الأَهْوَازَ. ثم عَقَدَ المُعْتَمِدُ على حَرْبِ الزَّنْج بالبَصْرَة لأحمدَ بنِ المُوَلَّد، فسَارَ إليها وقَاتَلَ الزَّنْجَ. وكان بالبَطَائِح سَعِيدُ بنُ أحمدَ البَاهِلِيُّ مُتَغَلِّبًا عليها، فأخَذَه ابنُ المُوَلَّد وبَعَثَ به إلى سَامَرَّاء. وفيها تَغَلَّبَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ على فَارِسَ وبَعْضِ أعْمَالِ خُرَاسَان، ووَلَّاه المُعْتَمِدُ على ما غَلَبَ عليها[2].

وفيها غَلَبَ الحَسَنُ بنُ زَيْدٍ على جُرْجَانَ، وانْتَقَضَتْ عَلَى ابنِ طَاهِرٍ أعْمَالُ خُرَاسَان[3].

وفيها أَقْطَعَ المُعْتَمِدُ مِصْرَ وأعْمَالَها ليَازْجُوجَ التُّرْكِيِّ، فوَلَّى عليها أحمدَ بنَ طولونَ، ومَاتَ يازْجُوجُ لسَنَةٍ بَعْدَها، فاسْتَبَدَّ ابنُ طُولُونَ بها[4].

(1) الكامل في التاريخ 7: 240.
(2) المصدر نفسه 7: 241-246.
(3) المصدر نفسه 7: 248.
(4) المصدر نفسه 7: 249.

وكان عَبْدُ العَزيز بنُ أبي دُلَف على الرَّيّ، فخَرجَ عنها خوفًا من جيُوش الحَسَنِ بنِ زَيْد صَاحِبِ طَبَرِسْتَان، فبَعَثَ الحَسَنُ مِن قَرَابَتِه القَاسِمَ بنَ عليٍّ بن القَاسِم، فأسَاءَ فيها السِّيرَةَ[1].

وفي سَنَةِ ثمانٍ وخَمْسين قُتِلَ مَنْصُورُ بنُ جعْفَرٍ الخَيَّاطُ في حَرْبِ الزَّنج، ووليَ يازْجوجُ على أعْمَالِ مَنْصُور، فوَلّى عليها إصْطِيخُور، وهَلَكَ في حَرْبِ الزَّنج.

وعَقَدَ المُعْتَمِدُ للمُوَفَّقِ على دِيَارِ مُضَرَ وقِنَّسْرِينَ والعَوَاصِم، وبَعَثَه لحَرْبِ الزَّنْج ومعَه مُفْلِحٌ، فهَلَكَ مُفْلِحٌ في تلك الحَرْب[2].

وعَقَدَ المُعْتَمِدُ ـ على المَوْصِلِ والجَزيرَةِ ـ لَمسْرُورٍ البَلْخِيّ، فكانت بينَه وبينَ مُسَاوِرِ الشَّاريِّ حُرُوبٌ، وكذلك بينَ الأكْرادِ واليَعْقُوبيَّة، وأوْقَعَ بهم كما مَرَّ[3].

وفيها رَجَعَ أحمدُ بنُ وَاصِلٍ إلى طَاعةِ السُّلْطان، وسَلَّمَ فَارِسَ للحَسَنِ بنِ الفَيَّاض[4].

وفي سَنَة تِسْعٍ وخَمْسين كان مَهْلِكُ إصْطِيخُورَ بالأهْوَاز، فأمَرَ المُعْتَمِدُ مُوسَى ابنَ بُغَا بالمَسِيرِ لحَرْبِ الزَّنج كما مَرَّ[5].

(1) الكامل في التاريخ 7: 249.

(2) المصدر نفسه 7: 251، 252.

(3) المصدر نفسه 7: 257.

(4) المصدر نفسه 7: 257.

(5) المصدر نفسه 7: 259.

[279 أ] وفيها مَلَكَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ خُرَاسَانَ وقَبَضَ على محمَّدِ/ بنِ طَاهِرٍ، وكان كَيْجُورُ على الكُوفَة، فسَارَ عنها إلى سَامَرَّاءَ بغيرِ إِذْنٍ، وأُمِرَ بالرُّجُوعِ فأبَى، فبَعَثَ المُعْتَمِدُ عِدَّةً من القُوَّادِ فلَقُوه بعُكْبَرَا فقَتَلُوه وحَمَلُوا رَأْسَه(1).

وفيها غَلَبَ الحَسَنُ بنُ زَيْدٍ على قُومِسَ ومَلَكَها، وكانت وَقْعَةٌ بينَ محمَّدِ بنِ الفَضْل بن نَيْسان وبينَ دَهْشُوذانَ بنِ حَسَّانَ الدَّيْلَمِيّ، فهَزَمَه محمَّد(2).

وفيها غَلَبَ شِرْكَبُ الحَمَّالُ(أ) على مَرْوَ ونَوَاحِيها(3).

وفي سَنَةِ ستِّينَ وَاقَعَ يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ الحَسَنَ بنَ زَيْدٍ فهَزَمَه ومَلَكَ طَبَرِسْتَانَ كما مَرَّ(4).

وأخْرَجَ أهْلُ المَوْصِلِ عَامِلَهم أتْكُوتَكِينَ بنَ أسَاتَكِين، فبَعَثَ عليهم أسَاتَكِينُ إسْحاقَ بنَ أيُّوبَ في عِشرينَ ألْفًا ومعَه حَمْدَانُ بنُ حَمْدُون التَّغْلَبي، فامْتَنَعَ أهْلُ المَوْصِل منهم وولَّوْا عليهم يحيى بنَ سُلَيْمان، فاسْتَولى عليها(5).

وفيها قَتَلَت الأعْرَابُ مَنْجُورَ وَالِيَ حِمْص، فوَلِيَ مَكَانَه بَكْتَمُر. ووَلَّى [الخَلِيفَةُ](ب) على أذْرَبِيجان أبا الرُّدَيْنيّ عُمَرَ بنَ عليٍّ لمَّا بَلَغَه أنَّ عَامِلَها العَلاءَ بنَ

(أ) ابن الأثير: الحمار، وما عند ابن خلدون يتفق مع إحدى نسخ الكامل. (ب) إضافة من ابن الأثير اقتضاها السياق.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 266.
(2) المصدر نفسه 7: 266، 267.
(3) المصدر نفسه 7: 266.
(4) المصدر نفسه 7: 268.
(5) المصدر نفسه 7: 269.

أحمدَ الأزدِيَّ فَلِجَ. فلما جاءَ أبو الرَّدَيْنيِّ حارَبه العَلاءُ فانْهَزَمَ وقُتِلَ، واستَوْلَى أبو الرُّدَيْنيِّ على مُخلَّفِهِ، قَرِيبًا من ألفيْ ألْفٍ وسَبْعمائةِ ألفِ دِرْهم[1].

وفيها سَارَ عليُّ بنُ زَيْدٍ[أ]، الثَّائرُ بالكُوفَةِ، إلى صَاحِبِ الزَّنْج فقَتَلَه[2].

وفي سَنَةِ إحْدَى وستِّينَ عَقَدَ المُعْتَمِدُ لمُوسَى بنِ بُغَا على الأهْوَازِ والبَصْرَة والبَحْرَيْنِ واليَمَامَة، مُضَافًا لما بيَدِه. فوَلَّاها مُوسَى عبدَ الرَّحْمَن بنَ مُفْلِح وبَعَثَه لحَرْبِ ابنِ وَاصِل، فهَزَمَه ابنُ وَاصِل وأسَرَهُ كما مَرَّ. ورَأى مُوسَى بنُ بُغَا اضْطِرابَ تلك النَّاحِيَةِ فاسْتَعْفَى منها، ووَلِيَها أبو السَّاج، ومَلَكَ الزَّنْجُ الأهْوَازَ من يَدِه، فصُرِفَ عن وِلايَتِها، ووَلِيَها إبراهيمُ بنُ سِيمَا، ووَلِيَ محمَّدُ بنُ أوْسٍ البَلْخيُّ طَرِيقَ خُرَاسَان. ثم جَاءَ الصَّفَّارُ إلى فَارِسَ فغَلَبَ عليها ابنَ وَاصِل كما مَرَّ، فجَهَّزَ المُعْتَمِدُ أخَاه المُوَفَّقَ إلى البَصْرَةِ بعدَ أن وَلَّاهُ المُعْتَمِدُ عَهْدَه بعدَ ابنِهِ جَعْفَر – كما ذَكَرْناه – وبَعَثَ المُوَفَّقُ ابْنَه أبا العبَّاس لحَرْبِ الزَّنْج مُتَقَدِّمًا بينَ يَدَيْه.

وفيها فَارَقَ محمَّدُ بنُ زَيْد وِلايَةَ يَعْقُوبَ الصَّفَّار، وسَارَ إلى أبي السَّاج في الأهْوَاز، وطَلَبَ أن يُوَجِّهَ الحُسَيْنُ بنُ طَاهِرِ بنِ عبد الله بن طَاهِرٍ إلى خُرَاسَان.

وفيها اسْتَبَدَّ نَصْرُ بنُ أحمَدَ بنِ سَامَانَ بسَمَرْقَنْدَ وما وَرَاءَ النَّهْر، ووَلَّى أخَاه / إسْمَاعِيلَ بُخَارَى.

[279 ب]

(أ) ابن الأثير، يزيد، وما عند ابن خلدون يتفق مع إحدى نسخ الكامل.

(1) الكامل في التاريخ 7: 272.
(2) المصدر نفسه 7: 273.

وفيها ولّى المُعتمِدُ على المَوْصِل الخِضْرَ بنَ أحمد بن عُمَرَ بنِ الخَطّاب[1].

وفيها رَجَعَ الحَسَنُ بنُ زَيْدٍ إلى طَبَرِسْتانَ وأخْرَجَ منها أصْحابَ الصَّفّارِ، وأحْرَقَ سَالُوسَ لمالأةِ أهْلِها الصَّفّارَ، وأقْطَعَ ضِيَاعَهم للدَّيْلَم[2].

وفيها نادَى المُعْتَمِدُ في حَاجِّ خُرَاسَانَ والرَّيِّ وطَبَرِسْتَانَ وجُرْجَانَ بالنَّكِيرِ على ما فَعَلَه الصَّفّارُ في خُرَاسَانَ وابنُ طَاهِر، وأنَّه لم يكنْ عن أمْرِه ولا ولّاه[3].

وفيها قَتَلَ مُسَاوِرٌ الشَّارِيُّ يحيى بنَ جَعْفَرٍ، من وُلاةِ خُرَاسَان، فسَارَ مَسْرُورٌ البَلْخيُّ في طَلَبِه والمُوَفَّقُ مِن وَرَائِه[4].

وفي سَنَةِ ثنتَيْنِ وستِّينَ كانتِ الحَرْبُ بينَ المُوَفَّقِ والصَّفّار، واسْتَوْلَى الزَّنْجُ على البَطِيحَة ودَسْتُمِيسان وعلى الأهْوازِ كما ذَكَرْنا، وبَعَثَ مَسْرُورٌ البَلْخيُّ أحمدَ بنَ لَيْثُونَة لحَرْبِهم كما مَرّ[5].

وفيها ثَارَ أحمدُ بنُ عبدِ الله الخُجُسْتانيُّ في خُرَاسَانَ بدَعْوَةِ بني طَاهِر، وغَلَبَ عليها الصَّفّارُ إلى أنْ قُتِلَ كما مَرَّ ذِكْرُه[6].

(1) الكامل في التاريخ 7: 288.

(2) المصدر نفسه 7: 288.

(3) المصدر نفسه 7: 288.

(4) المصدر نفسه 7: 288.

(5) المصدر نفسه 7: 290.

(6) المصدر نفسه 7: 296.

وفيها وَقعَت مُغاضَبَةٌ بينَ المُوَفَّقِ وابنِ طُولُون، فبَعَثَ إليه المُوَفَّقُ مُوسَى بنَ بُغَا فأقامَ بالرَّقَّةِ حَوْلاً، وعَجَز عنِ المَسِير لِقِلَّةِ الأمْوَال، فرَجَعَ إلى العِرَاق(1).

وفيها انْصَرَفَ عَامِلُ المَوْصِل، وهو القَطَّانُ صَاحِبُ مُفْلِح، فقَتَلَه الأعْرَابُ بالبَرِّيَّة(أ)(2).

وفي سَنَةِ ثَلاثٍ وستِّينَ اسْتَوْلى الصَّفَّارُ على الأهْوَاز(3). ومَاتَ مُسَاوِرٌ الشَّارِيُّ وهو قاصِدٌ لِقَاءَ العَسَاكِرِ السُّلْطانِيَّة بالبَوَازِيج، فوَلَّى الخَوَارِجُ مَكانَه هارُونَ ابنَ عبدِ الله البَجَلِيَّ فاسْتَوْلَى على المَوْصِل(4).

وفيها هُزِمَ ابنُ أوْسٍ من طَرِيق خُرَاسَانَ وعَادَ إلى المَوْصِل.

وفيها ظَفِرَ أصْحَابُ الصَّفَّارِ بابنِ وَاصِلٍ وأسَرُوه(5).

ومَاتَ عُبَيْدُ الله بنُ يحيى بن خَاقَانَ وَزِيرُ المُعْتَمِدِ، فاسْتَوْزَرَ مكانَه الحَسَنَ بنَ مَخْلَدٍ، وكان مُوسَى بنُ بُغَا غَائِبًا في غَزْوِ العَرَب، فلمَّا قَدِمَ خَافَه الحَسَنُ وتَغَيَّبَ، فاسْتَوْزَرَ مَكانَه سُلَيْمَانَ بنَ وَهْب(6).

(أ) ابن الأثير: بالرَّقَّة.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 305.
(2) المصدر نفسه 7: 306.
(3) المصدر نفسه 7: 307.
(4) المصدر نفسه 7: 309.
(5) المصدر نفسه 7: 310.
(6) المصدر نفسه 7: 310.

وفيها غَلَبَ أخو شَرْكَبَ الحَمَّالِ على نَيْسَابُور، وخَرَجَ عنها الحُسَيْنُ بنُ طَاهِر إلى مَرْو، وبها خُوَارِزْم شَاه يَدْعُو لأخِيه محمَّد[1].

[وفي سَنَةِ أربَعٍ وستينَ][أ] مَلَكَ الزَّنْجُ مَدِينَةَ وَاسِطَ، وقَاتَلَه دونَها محمَّدُ بنُ المُوَلَّد، فهَزَمَه ودَخَلَها واسْتَبَاحَها[2].

وفيها قَبَضَ المُعْتَمِدُ على وَزِيرِه سُلَيْمَانَ بنِ وَهْبٍ، ووَلَّى مَكانَه الحَسَنَ بنَ مَخْلَد، وجَاءَ المُوَفَّقُ معَ عبدِ الله بنِ سُلَيْمانَ شَفِيعًا/ فلم يُشَفِّعْهُ، فتَحَوَّلَ إلى الجَانِب [280 أ] الغَرْبِيِّ مُغَاضِبًا، واخْتَلَفَتِ الرُّسُلُ بينَه وبينَ المُعْتَمِد، وكان معَ المُوَفَّق: مَسْرُورٌ وكَيْغَلَغ وأحمدُ بنُ مُوسَى بن بُغَا. ثم أطْلَقَ سُلَيْمانَ وعَادَ إلى الجَوْسَق، وهَرَبَ محمَّدُ بنُ صَالِح ابن شِيرزَاد والقُوَّادُ الذين كانُوا بسَامَرَّاءَ معَ المُعْتَمِد خَوْفًا من المُوَفَّق، فوَصَلُوا إلى المَوْصِلِ. وكَتَبَ المُوَفَّقُ لأحمدَ بنِ أبي الأصْبَغ في قَبْضِ أمْوَالِهم[3].

وفيها مَاتَ أمَاجُورُ عَامِلُ دِمَشْق، ومَلَكَ ابنُ طُولُونَ الشَّامَ وطَرَسُوس، وقَتَلَ عَامِلَها سِيمَا[4].

وفي سَنَةِ خَمْسٍ وستِّين وُلِّي مَسْرُورٌ البَلْخِيُّ على الأهْوَازِ وهَزَمَ الزَّنْج[5].

(أ) النُّسَخ: وفيها، والصوابُ ما أثبته.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 310.

(2) المصدر نفسه 7: 312-315.

(3) المصدر نفسه 7: 316.

(4) المصدر نفسه 7: 316.

(5) المصدر نفسه 7: 323.

وفيها مَاتَ يَعْقُوبُ الصَّفَّار، وقَامَ بأمْرِه أخُوهُ عَمْرو، ووَلَّاه المُوفَّق مَكانَ أخِيه بخُرَاسَانَ وأصْبَهَانَ وسِجِسْتَانَ والسِّنْدِ وكَرْمَان، والشُّرْطَةَ بِبَغْدَاد[1].

وفيها وَثَبَ القَاسِمُ بنُ مَهَات بدُلَف بنِ عبد العَزِيز بن أبي دُلَف بأصْبَهَانَ فقَتَلَه، فوَثَبَ جَمَاعَةٌ من أصْحَابِ دُلَف بالقَاسِمِ فقَتَلُوه، فولِيَ أصْبَهَانَ أحمدُ بنُ عبدِ العَزيز أخو دُلَف[2].

وفيها لَحِقَ مُحَمَّدُ بنُ المُوَلَّدِ بيَعْقُوبَ الصَّفَّارِ وقُبِضَت أمْوَالُه وعَقَارُه ببَغْدَاد[3].

وفيها حَبَسَ المُوَفَّقُ سُلَيْمَانَ بنَ وَهْبٍ وابنَه عبدَ الله، وصَادَرَهُما على تِسْعِ مائةِ ألْفِ دِينَار[4].

وفيها ذَهَبَ مُوسَى بنُ أتَامِش وإسْحَاقُ بنُ كُنْدَاجِق والفَضْلُ بنُ مُوسَى بن بُغَا مُغَاضِبِين، فبَعَثَ المُوَفَّقُ في أثَرِهم صَاعِدَ بنَ مَخْلَدٍ فرَدَّهم من صَرْصَر[5].

وفيها اسْتَوْزَرَ المُوَفَّقُ أبا الصَّقْر إسْمَاعِيلَ بنَ بُلْبُل[6].

وفي سَنَةِ سِتٍّ وسِتِّينَ مَلَكَ الزَّنْجُ رَامَهُرْمُز، وغَلَبَ أسَاتْكِينُ على الرَّيِّ وأخْرَجَ عنها عَامِلَهَا قَطَلْقَتْمُر، ثم مَضَى إلى قَزْوِينَ وبها أخو كَيْغَلَغ، فصَالَحَه ومَلَكَهَا[7].

(1) الكامل في التاريخ 7: 325.
(2) المصدر نفسه 7: 327.
(3) المصدر نفسه 7: 327.
(4) المصدر نفسه 7: 327.
(5) المصدر نفسه 7: 327.
(6) المصدر نفسه 7: 330، 331.
(7) المصدر نفسه 7: 332.

وفيها وَلّى عليُّ بنُ اللَّيثِ على الشُّرْطَة ببَغْدَادَ عُبيدَ الله بنَ عبدِ الله بن طَاهِر[1]، وعلى أصْبَهَانَ أحمدَ بنَ عَبْدِ العَزِيز بن أبي دُلَف، وعلى الحَرَمَيْنِ وطَرِيقِ مَكَّةَ محمَّدَ بنَ أبي السَّاج[2]. ووَلّى المُوَفَّقُ على الجَزِيرَة أحمدَ بنَ مُوسَى بن بُغَا، فولّى من قِبَلِه على دِيَارِ رَبِيعَةَ مُوسَى بنَ أَتَامِش، فغَضِب لذلك إسْحَاقُ بنُ كُنْدَاجِق، وفَارَقَ عَسْكَرَ مُوسَى، وسَارَ إلى بَلَدَ[3] وأوْقَعَ بالأكْرادِ اليَعْقُوبيَّةِ، ثم لَقِيَ ابنَ مُسَاوِر الخَارِجيَّ فقَتَلَه. وسَارَ إلى المَوْصِلِ وطَلَبَ من أهْلِها المالَ، وخَرَجَ عليُّ بنُ دَاوُد لقِتَالِه مع إسْحَاقَ بنِ أيُّوب/ وحَمْدَانَ بنِ حَمْدُون وكانت بينَهم حُرُوبٌ أخَّرَها المُعْتَمِدُ لإسْحَاقَ بنِ كُنْدَاجِق على المَوْصِل، وقد مَرَّ ذلك من قَبْلُ. [280 ب]

وفيها قَتَلَ أهْلُ حِمْص عَامِلَهُم عِيسى الكَرْخِيَّ.

وفيها كانت بينَ لُؤْلُؤ، غُلام ابنِ طُولُونَ، وبينَ مُوسَى بنِ أَتَامِش وَقْعَةٌ برَأْسِ عَيْنٍ، وأَسَرَه لُؤْلُؤٌ وبَعَثَ به إلى الرَّقَّة. ثم لَقِيَه أحمدُ بنُ مُوسَى فاقْتَتَلُوا، وغَلَبَ أحمدُ أوَّلاً، ثم كَرَّ لُؤْلُؤٌ فغَلَبَهم وانتَهَوْا إلى قَرْقِيسِيا، ثم سَارُوا إلى بَغْدَاد وسَامَرَّاء.

وفيها أوْقَعَ أحمدُ بنُ عبدِ العَزِيز ببَكْتَمُر فانْهَزَمَ ولَحِقَ ببَغْدَاد[4].

(1) الكامل في التاريخ 7: 333.

(2) المصدر نفسه 7: 335.

(3) بَلَد بالتَّحْرِيك: مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ على دِجْلَة فوق المَوْصِل (معجم البلدان 1: 480).

(4) الكامل في التاريخ 7: 335.

وأوقعَ الخُجُسْتَانيُّ بالحَسَنِ بن زَيْد بجُرجَان فلَحِق بآمُلَ، ومَلَكَ الخُجُسْتَانِيُّ جُرْجَانَ وقِطْعَةً من طَبَرِسْتَان، واسْتَخْلَفَ على سَارِيَةَ الحَسَنَ بنَ محمَّدِ بنِ جعْفرِ بن عبد الله العَقِيقيِّ بن الحَسَن الأصْغرِ بن زَيْنِ العَابِدين. فلمَّا انْهَزَمَ الحَسَنُ بنُ زَيْدٍ أظْهَرَ الحَسَنُ بنُ محمَّدٍ أنَّه قُتِلَ ودَعَا لنَفْسِه، وحَارَبَه الحَسَنُ بنُ زَيْدٍ فظَفِرَ به وقَتَلَه[1].

وفيها مَلَكَ الخُجُسْتَانِيُّ نَيْسَابُورَ من يَدِ عَامِلِ عَمْرِو بنِ اللَّيْث[2].

وفيها في صَفَرٍ زَحَفَ المُوَفَّقُ لقِتَالِ صَاحِبِ الزَّنْجِ، فلم يَزَلْ يُحَاصِرُه حتى اقْتَحَمَ عليه مَدِينَتَه وقَتَلَه منتصفَ سَنَةِ سَبْعِين.

وفيها كانتِ الحَرْبُ بالمَدِينَة بينَ بني حَسَنٍ وبني جَعْفَرٍ[3].

وفي سَنَةِ سَبْعٍ وسِتِّينَ كانتِ الفِتْنَةُ بالمَوْصِلِ بينَ الخَوَارِجِ[4].

وفيها حَبَسَ السُّلْطَانُ محمَّدَ بنَ عبدِ الله بن طَاهِر وجَمَاعَةً من أهْلِ بَيْتِه، اتَّهَمَهُ عَمْرُو بنُ اللَّيْث بمُمالأةِ الخُجُسْتَانِيِّ والحَسَنِ بنِ طَاهِرٍ أخِيه، فكَتَبَ إلى المُعْتَمِدِ وحَبَسَه[5].

وفيها كانت بينَ كَيْغَلَغَ التُّرْكِيِّ وأحمدَ بنِ عبدِ العَزِيز بن أبي دُلَف [وَاقعةٌ](ا)، وانْهَزَمَ أحمدُ ومَلَكَ كَيْغَلَغُ هَمَذَان، فزَحَفَ إليهِ أحمدُ بنُ عبدِ العَزِيزِ فهَزَمَه ومَلَكَ

(ا) من ح .

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 335.

(2) المصدر نفسه 7: 335.

(3) المصدر نفسه 7: 335.

(4) المصدر نفسه 7: 359.

(5) المصدر نفسه 7: 361.

هَمَذان، وسَارَ كَيْغَلَغُ إلى الصَّيمَرَة[1].

وفيها أزَالَ الخُجُسْتَانِيُّ ذِكْرَ مُحمَّدِ بنِ طَاهرٍ من المَنَابِرِ ودَعَا لنفْسِه بعدَ المُعْتَمِد، وضَرَبَ السِّكَّةَ باسْمِه، وجَاءَ يُرِيدُ العِرَاقَ فانْتَهى إلى الرَّيّ، ثم رَجَعَ[2].

وفيها أوْقَعَ أصْحَابُ أبي السَّاج بالهَيْصَم العِجْليِّ، صَاحِبِ الكُوفَة، وغَنِمُوا عَسْكَرَه[3].

وفيها أوْقَع أبو العَبَّاس بنُ المُوَفَّق بالأعْرَابِ الذين كانوا يجلِبونَ المِيرَةَ للزَّنْجِ من بني تَمِيمٍ وغيرِهم[أ][4].

وفي سَنَةِ ثَمَانٍ وسِتِّين كان مَقْتَلُ الخُجُسْتَانِيّ واجْتِمَاعُ أصْحَابِه بَعْدَه على رَافعِ ابنِ هَرْثَمَةَ، من قُوَّادِ بني طَاهِر، ومَلَكَ بِلادَ/ خُرَاسَانَ وخُوَارِزْم[5]. [281أ]

وفيها انْتَقَضَ مُحمَّدُ بنُ اللَّيْث بفَارِسَ على أخِيه عَمْرو، فسَارَ إليه وهَزَمَه واسْتَبَاحَ عَسْكَرَهُ، ومَلَكَ إصْطَخْرَ وشِيرَازَ، وظَفِرَ بهِ فحَبَسَه كما مرَّ.

وفيها كانت وَقْعَةٌ بينَ أَتْكوتَكِينَ بنِ أَسَاتَكِين وبينَ أحمَدَ بنِ عبدِ العَزِيز بن أبي دُلَف، فهَزَمَه أَتْكوتَكِينُ وغَلَبَه على قُمّ.

(أ) الصواب أنَّ ذلك كان في السنة التالية، سنة ثمان وستين.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 361-362.

(2) المصدر نفسه 7: 362.

(3) المصدر نفسه 7: 362.

(4) المصدر نفسه 7: 365.

(5) المصدر نفسه 7: 372، تاريخ الطبري 9: 621.

وفيها بَعَثَ عَمْرو بنُ اللَّيْثِ عَسْكرًا إلى محمَّدِ بنِ عبدِ الله الكُرْدِيّ.

وفيها انْتَقَضَ لُؤْلُؤٌ على مَوْلاه أحمدَ بنِ طُولُون، وسَارَ إلى المُوَفَّقِ وقَاتَلَ معَهُ الزَّنْج.

وفيها سَارَ المُعْتَمِدُ إلى ابنِ طُولُونَ بمِصْرَ مُغَاضِبًا لأخيه المُوَفَّق. وكَتَبَ المُوَفَّقُ إلى إسْحَاقَ بنِ كُنْدَاجَ بالمَوْصِلِ بردِّه، فسَارَ معَه إلى آخِرِ عَمَلِه، ثم قَبَضَ على القُوَّادِ الذين معَه ورَدَّه إلى سَامَرَّاء[1].

وفيها وثَبَتِ العَامَّةُ ببَغْدَادَ بأميرِهم الخَلَنْجِيّ، وكان نَائِبَ عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بن طَاهِر. وقَتَلَ غُلامٌ له امْرَأةً بسَهْمٍ فلم يُعْدِهم عليه، فوَثَبُوا به وقَتَلُوا مِن أصْحَابِه ونَهَبُوا مَنْزِلَه وخَرَجَ هارِبًا، فرَكِبَ محمَّدُ بنُ عُبَيْدِ الله واسْتَرَدَّ من العَامَّة ما نَهَبُوه[2].

وفيها وَثَبَ بطَرَسُوسَ خَلَفٌ، من أصْحَابِ ابنِ طُولُونَ وعَامِلِه على الثُّغُورِ الشَّامِيَّة، ببَازْمَارَ الخَادِمِ مَوْلَى مُفْلِحِ بنِ خَاقَان وحَبَسَه، فاسْتَنْقَذَه أهْلُ طَرَسُوسَ من يَدِه، وزَحَفَ إليهمُ ابنُ طُولُونَ فامْتَنَعُوا عليه، ورَجَعَ إلى حِمْصَ ثم إلى دِمَشْق[3].

وفيها كانت وَقْعَةٌ بينَ العَلَوِيِّينَ والجَعْفَرِيِّين بالحِجَاز، فقُتِلَ ثمانيةٌ من الجَعْفَرِيِّينَ وخلَّصُوا عَاملَ المَدِينَة من أيْديهم.

(1) الكامل في التاريخ 7: 393، 394.
(2) المصدر نفسه 7: 393.
(3) المصدر نفسه 7: 396.

وفيها عَقَدَ هَارُونُ بنُ المُوَفَّق لأبي السَّاج على الأنبَار والرَّحْبَةِ وطَريقِ الفُرَات. وولَّى محمَّدَ بنَ أحمدَ على الكُوفةِ وسَوَادها، ودَافَعَه عنها محمَّدُ بنُ الهَيْصَم، فهَزَمَه محمَّدٌ ودَخَلَها.

وفيها مَاتَ عيسى بنُ الشَّيْخ الشَّيْبَانِيُّ عَامِلُ أَرْمِينيَّةَ ودِيَارِ بَكْر.

وفيها عَظُمَتِ الفِتْنَةُ بينَ المُوَفَّق وابنِ طُولُون، فَحَمَلَ المُعْتَمِدَ على لَعْنِه وعَزْلِه، وولَّى إسْحَاق بنَ كُنْدَاجَ على أعْمَالِه إلى إفْرِيقِيَّةَ وعلى شُرْطَتِه الخَاصَّة، وقَطَعَ ابنُ طُولُونَ الخُطْبَةَ للمُوَفَّقِ واسْمَه منَ الطِّرَاز (1).

وفيها مَلَكَ ابنُ أبي السَّاج الرَّحْبَةَ بعد أنْ قَاتَلَه أهْلُها فقَتَلَهم، وهَرَبَ أحمدُ بنُ مَالِكِ بن طَوْق إلى الشَّام. ثم سَارَ إلى ابنِ الشَّمَّاخ بقَرْقِيسِيا (2).

[281 ب] وفي سَنَةِ سَبْعِينَ/ كان مَقْتَلُ صَاحِبِ الزَّنْج وانْقِرَاضُ دَعْوَتِه، ووَفَاةُ الحَسَنِ ابنِ زَيْدٍ العَلَوِيِّ صَاحبِ طَبَرِسْتَانَ وقِيَامُ أخِيه محمَّدٍ بأمْرِه، ووَفَاةُ أحمدَ بنِ طُولُون صَاحبِ مِصْرَ ووِلايَةُ ابنِه خُمَارَوَيْه، ومَسيرُ إسْحَاقَ بن كُنْدَاجَ وابن أبي السَّاج من أعمالِهما إلى الشَّام ثمّ [مَسيرُ] أبي العَبَّاس بنِ المُوَفَّق بعدَهما واسْتِيلاؤُهم على الشَّام.

وفيها أوْقَعَ إسْحَاقُ بنُ كُنْدَاجَ بابنِ دَعَّاس عَامِلِ الرَّقَّة والثُّغورِ والعَوَاصِم لابنِ طُولُون.

(1) الكامل في التاريخ 7: 397.

(2) المصدر نفسه 7: 398.

وفي سَنَةِ إحْدَى وسبعينَ ثَارَ بالمَدِينَة مُحَمَّدٌ وعليٌّ ابنا الحَسَنِ بنِ جَعْفَرِ بن موسَى الكاظِمِ وقَتَلَا جَمَاعَةً من أهْلِها ونَهَبَا أمْوَالَ النَّاس وفَتَكَا، ومَنَعَا الجُمُعَةَ بمَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ شَهْرًا[1].

وفيها عَزَلَ المُعْتَمِدُ عَمْرو بنَ اللَّيْث عن خُرَاسَان، فقَاتَلَه أحمدُ بنُ عبدِ العَزِيز ابنِ أبي دُلَف بأصْبَهَانَ وهَزَمَه.

وفيها اسْتَعَادَ خُمَارَوَيْهِ الشَّامَ من يدِ أبي العَبَّاس بنِ الموفَّق، وفرَّ إلى طَرَسُوسَ كما تَقَدَّم.

وفيها عَقَدَ المُعْتَمِدُ [لأحمدَ][أ] بنِ محمَّدٍ الطَّائيِّ على المَدِينَةِ وطَرِيق مَكَّة، وكان يُوسُفُ بنُ أبي السَّاج وَالِيَ مَكَّة، وجَاءَ بَدْرٌ غُلَامُ الطَّائيِّ أميرًا على الحاجِّ، فحَارَبَه يُوسُفُ على بابِ المَسْجِدِ الحَرَام وأسَرَه، فسَارَ الجُنْدُ والحاجُّ بيُوسُفَ وأطْلَقُوا بَدْرًا من يَدِه، وحَمَلُوا يُوسُفَ أسِيرًا إلى بَغْدَاد[2].

وفي مُنْتَصَفِ سَنَة ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ غَلَبَ أتْكُوتَكِينُ على الرَّيِّ من يَدِ محمَّدِ بن زَيْدٍ العَلَوِيّ، سَارَ هو من قَزْوِينَ في أربعةِ آلافٍ ومحمَّدُ بنُ زَيْدٍ من طَبَرِسْتَانَ في الدَّيْلَمِ وأهْلِ خُرَاسَان، فانْهَزَمُوا وقُتِلَ منهم سِتَّةُ آلاف[3].

(أ) من ح وصحفت في ظ: "الأخيه" ولا معنى له، وانظره في الكامل 7: 417.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 413.

(2) المصدر نفسه 7: 417.

(3) المصدر نفسه 7: 418 (وفيه أن ذلك كان في منتصف جمادى الأولى).

وفيها ثَار أهْلُ طَرَسُوسَ بأبي العَبَّاس بنِ المُوَفَّق وأخْرَجُوه إلى بَغْدَاد، ووَلَّوْا عليهم بازْمَار.

وفيها تُوفِّي سُلَيْمانُ بنُ وَهْبٍ في حَبْسِ المُوَفَّق.

وفيها دَخَلَ حَمْدَانُ بنُ حَمْدونَ وهَارُونُ الشَّارِيُّ مَدِينَةَ المَوْصِل.

وفيها قَدِمَ صَاعِدُ بنُ مَخْلَدٍ الوَزِيرُ من فَارِس، وقد كان بَعَثَه المُوَفَّقُ إليها لحَرْب [عمرو بن اللَّيْث بن الصفَّار][أ]، فرَجَعَ إلى وَاسِط، ورَكِبَ القُوَّادُ لاسْتِقْبالِه فترجَّلُوا له وقَبَّلُوا يَدَهُ ولم يُكَلِّمْهم. ثم قَبَضَ الموفَّقُ عليه وعلى جَمِيع أصحابِه وأهْلِه ونُهِبَت مَنَازِلُهم، وكَتَبَ إلى بَغْدَادَ بقَبْضِ ابْنَيْه أبي عيسى وصَالح وأخيه عَبْدُون، [282 أ] واسْتَكْتَبَ مَكانَه أبا الصَّقْر إسْمَاعِيلَ بنَ بُلْبُل، واقْتَصَرَ/ بهِ على الكِتَابَة.

وفيها جَاءَ بنو شَيْبَانَ إلى المَوْصِلِ فعَاثُوا في نَوَاحِيها، وأَجْمَعَ هَارُونُ الشَّارِيُّ وأصْحَابُه على قَصْدِهِم، وكَتَبَ إلى حَمْدَانَ بنِ حَمْدُون التَّغْلَبِيّ فَجَاءه، وسَارُوا إلى المَوْصِلِ وعَبَرُوا الجانِبَ الشَّرْقِيَّ من دِجْلَة، ثم سَارُوا إلى نَهْرِ الخَاذِر، فلمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ انْهَزَمَ هَارُونُ وأصْحَابُه وانْجَلى أهْلُ نِينَوَى عنها[1].

وفي سَنَةِ ثلاثٍ وسَبْعينَ وَقَعَتِ الفِتْنَةُ بينَ ابنِ كُنْدَاج وبينَ ابنِ أبي السَّاج، وصَارَ ابنُ أبي السَّاج إلى ابنِ طُولُون، واسْتَوْلى على الجَزِيرَة والمَوْصِل، وخُطِبَ له فيها، وقَاتَلَ الشُّرَاةَ كما ذَكَرْنا[2].

(أ) في جميع النسخ بياض مقدار كلمتين. والتكملة من المنتظم، حوادث 271هـ.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 419.

(2) المصدر نفسه 7: 422.

وفيها قَبَضَ المُوفَّقُ على لُؤْلُؤٍ غلامِ ابنِ طُولُونَ وصَادَرَه على أربعِ مائةِ ألفِ دِينَار. وبقي في إدْبَارٍ إلى أن عَادَ إلى مِصرَ أيَّامَ هَارُونَ بنِ خُمارَوَيْه(1).

وفي سَنَة أربَعٍ وسَبْعين سَارَ المُوَفَّقُ إلى فَارِس، فاسْتَوْلى عليها من يَدِ عَمْرِو ابنِ اللَّيث، ورَجَعَ عَمْرٌو إلى كَرْمانَ وسِجِسْتان، وعَادَ المُوَفَّقُ إلى بَغْدَاد(2).

وفي سَنَةِ خَمْسٍ وسَبْعينَ نَقَضَ ابنُ أبي السَّاج طَاعَةَ خُمارَوَيْه، وقاتَلَه خُمارَوَيْهِ فهزَمَه وملَكَ الشَّامَ من يَدِه، وسَارَ إلى المَوْصِل وخُمارَوَيْهِ في اتِّبَاعِه إلى بَلَدَ، ولَحِقَ ابنُ أبي السَّاج بالحَدِيثَةِ فأقَامَ بها إلى أنْ رَجَعَ خُمارَوَيْه. وكان إسْحَاقُ بنُ كُنْدَاج قد جَاءَ إلى خُمارَوَيْهِ فبَعَثَ معه جَيْشًا وقُوَّادًا في طَلَبِ ابنِ أبي السَّاج، واشْتَغَلَ بعَمَلِ السُّفُنِ للعُبُور إليه بتَكْرِيت، فسَارَ ابنُ أبي السَّاج عنها إلى المَوْصِل، واتَّبَعَه ابنُ كُنْدَاج، واقْتَتَلُوا بالعُرَيْق، فانْهَزَمَ ابنُ كُنْدَاجَ وسَارَ إلى الرَّقَّة، فاتَّبَعَه ابنُ أبي السَّاج، وكَتَبَ إلى المُوَفَّق يَسْتأذِنُه في اتِّبَاعِه إلى الشَّام فنَهَاهُ. وجَاءَ ابنُ كُنْدَاجَ بالعَسَاكِرِ من عندِ خُمارَوَيْهِ وأقَامَ على حُدُودِ الشَّام، ثم هَزَم ابنَ أبي السَّاجِ فسَارَ إلى المُوَفَّق، ومَلَكَ ابنُ كُنْدَاجَ دِيَارَ رَبِيعَةَ ودِيَارَ مُضَرَ، وقد تَقَدَّم ذِكْرُ ذلك.

وفيها خَرَجَ محمدُ بنُ أحمدَ الطَّائيُّ من الكُوفَة لحَرْبِ فَارِسَ العَبْدِيِّ، كان يُخِيفُ السَّابِلَةَ، فهَزَمَه العَبْدِيُّ، وكان الطَّائيُّ على الكُوفَة وسَوَادِها وطَرِيقِ خُرَاسَان وسَامَرَّاءَ وشُرْطَةِ بَغْدَاد، وخَرَاجِ بادَرُويَا(3) وقُطْرَبُّل(4).

(1) الكامل في التاريخ 7: 425.

(2) المصدر نفسه 7: 426.

(3) كذا جاءت مهملة في ظ، وضبطت بالحركات في ح، وفي معجم ياقوت 1: 317 بادُورَيا مضبوطة بالحركات، وعرَّفها.

(4) الكامل في التاريخ 7: 432، معجم البلدان 4: 371.

وفيها قَبَضَ المُوَفَّقُ على ابنِه أبي العَبَّاس وحَبَسَه.

وفيها مَلَكَ رَافِعُ بنُ هَرْثَمَةَ جُرْجَانَ من يَدِ مُحمَّدِ بن زَيْدٍ وحَاصَرَه في أسْتَرَاباذ نحوًا من سنتَيْنِ ثم فَارَقَها، وبَعَثَ رَافِعٌ الجَيْشَ لحَرْبِه/ [282 ب] فسَارَ عن سَارِيَةَ وعن طَبَرِسْتَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وسَبْعين. واسْتَأمَنَ رُسْتُمُ بنُ قَارِنَ إلى رَافِع، وقَدِمَ عليه عليُّ بنُ اللَّيْثِ من حَبْسِ أخِيه بكَرْمَانَ هـو وابْنَـاه: المُعَدَّلُ واللَّيْث. وبَعَثَ رَافِعٌ على شَالُوسَ محمَّدَ بنَ هَارُون، وجَاءَهُ بها عليُّ بنُ كَاني مُسْتَأمِنًا فحَصَرَهما محمَّدُ بن زَيْد، وسَارَ إليه رَافِعٌ ففَرَّ إلى أرْضِ الدَّيْلَم ورَافِعٌ في اتِّبَاعِه إلى حُدُودِ قَزْوِين، فعَاثَ فيها وأحْرَقَها وعَادَ إلى الرَّيِّ[1].

وفي سَنَةِ سِتٍّ وسَبْعِينَ رَضِيَ المُعْتَمِدُ على عَمْرِو بنِ اللَّيْث وولَّاهُ وكَتَبَ اسْمَه على الأعْلام، ووَلَّى على الشُّرْطَة ببَغْدَاد مِن قِبَلِه عُبَيْدَ الله بنَ عبدِ الله بن طَاهِر. ثم انْتَقَضَ فأُزِيلَ ذلك.

وفيها كان مَسِيرُ المُوَفَّقِ إلى بِلادِ الجَبَلِ لمالِ لأَتْكُوتَكِينَ ومُحَارَبَةِ أحمدَ بنِ عبدِ العَزِيز بن أبي دُلَف، وقد تَقَدَّم ذلك.

وفيها وَلَّى المُوَفَّقُ ابنَ أبي السَّاج على أذْرَبيجان فسَارَ إليها، ودَافَعَه عبدُ الله ابنُ حَسَنٍ الهَمَذَانِيِّ، صَاحِبُ مَرَاغَة، فهَزَمَه ابنُ أبي السَّاج واسْتَقَرَّ في عَمَلِه.

وفيها زَحَفَ هَارُونُ الشَّارِيُّ من الحَدِيثَةِ إلى المَوْصِل يُرِيدُ حَرْبَها، ثم صَانَعَه أهْلُ المَوْصِلِ ورَحَلَ عنهم[2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 434.

(2) المصدر نفسه 7: 436، 437.

وفي سَنَة سبعٍ وسبعينَ دَعَا مازْمَارُ بطَرَسُوسَ لِخُمَارَوَيْهِ بنِ أحمدَ بن طُولُون، وكان أنْفَذَ إليه ثلاثينَ ألفَ دينارٍ وخمسَ مائةِ ثَوْبٍ وخمسَ مائةِ مِطْرَفٍ وسِلاحًا كثيرًا، وبَعَثَ إليه بعدَ الدُّعَاءِ بخمسينَ ألفَ دِينَارٍ [1].

وفي سَنَة ثَمانٍ وسَبْعِين كانت وَفاةُ المُوَفَّق، وَبَيْعَةُ المُعْتَضِد بالعَهْدِ كما مَرَّ.

وفيها كان ابتِدَاءُ أمرِ القَرَامِطَةِ وقد تَقَدَّم.

وفي سَنَة تسعٍ وسَبْعِينَ خُلِعَ جَعْفَرُ بنُ المُعْتَمِد منَ العَهْد، وقُدِّمَ عليه المُعْتَضِدُ.

وكانتِ الحَرْبُ بينَ الخَوارِج وأهْلِ المَوْصِل، وبينَ بني شَيْبَان، وعلَى بني شَيْبَان هَارُونُ بنُ سِيَما من قِبَلِ محمَّدِ بن إسْحَاق بن كُنْداج؛ وَلَّاهُ عليها فطَرَدَه أهْلُها، فزَحَفَ إليهم معَ بني شَيْبَان، ودَافَعَ عن أهْلِ المَوْصِل هَارُونُ الشَّارِيُّ وحَمْدَانُ بنُ حَمْدُون، فهَزَمَهُم بنو شَيْبَان، وخَافَ أهْلُ المَوْصِل منَ ابنِ سِيَما وبَعَثُوا إلى بَغْدَاد يَطْلُبون وَالِيًا، فوَلَّى المُعْتَمِدُ عليهم محمَّدَ بنَ يحيى المَجْرُوحَ، المُوَكَّلَ بحِفْظِ الطَّرِيق، وكان يَنْزِلُ الحَدِيثَةَ، فأقامَ بها أيَّامًا ثم اسْتُبْدِلَ منه بعَلِيِّ بنِ دَاوُدَ الكُرْدِيِّ [2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 439.

(2) المصدر نفسه 7: 453-455.

وَفَاةُ المُعْتَمِد وبَيْعةُ المُعْتَضِد

تُوفِّي المُعْتَمِدُ على الله: أبو العَبَّاس أحمدُ بنُ المُتَوَكِّل لعَشْرٍ[أ] بقِينَ من رَجَبٍ [283 أ] سَنَةَ تِسعٍ وسَبْعينَ ومائتَيْن، لثلاثٍ/ وعشرينَ سَنَةً من وِلايتِه، ودُفِنَ بسَامَرَّاء، وهُوَ أوَّلُ منِ انْتَقَل إلى بَغْداد، وكان في خِلافتِه مُغَلَّبًا عَاجزًا، وكان أخُوهُ المُوَفَّقُ مُسْتَبِدًّا عليه، ولم يكنْ له معَه حُكْمٌ في شيءٍ[1].

ولمَّا ماتَ المُوَفَّقُ سَنَةَ ثمانٍ وسبعين ـ كما قدَّمْنَاه ـ قامَ مَكانَه ابنُه أبو العَبَّاس أحمدُ المُعْتَضِد، وحَجَرَ المُعْتَمِدَ كما كان أبوه يَحْجُرُه، ووَلَّاه عَهْدَهُ كما كان أبُوه. ثم قَدَّمَه في العَهْدِ على ابنهِ جَعْفر، ثم هَلَكَ فبَايَعَ النَّاسُ للمُعْتَضِد بالخِلافَة صَبِيحَةَ مَوْتِه، فولَّى غُلامَه بَدْرًا الشُّرْطَةَ، وعُبَيْدَ الله بنَ سُلَيْمانَ بنِ وَهْب الوِزَارَةَ، ومُحَمَّدَ بنَ الشَّارِيِّ بن مَالِك الحَرَسَ. ووَفَدَ عليه لأوَّلِ خِلافتِه رَسُولُ عمرِو بنِ اللَّيْثِ بالهَدَايا، وسَأَلَ وِلايَةَ خُرَاسَان فعَقَدَ له عليها، وبَعَثَ إليه بالخِلَع واللِّواء.

ولأوَّل خِلافَتِه مَاتَ نَصْرُ بنُ أحمد السَّامَانِيُّ مَلِكُ ما وَرَاء النَّهر، وقَامَ مَكانَه أخوه إسْمَاعِيل[2].

(أ) في الكامل: لإحدى عشرة بقيت.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 455. ويراجع مروج الذهب 5: 135-136، وتجارب الأمم 4: 423-491.

(2) المصدر نفسه 7: 456. وتراجع أخبار المعتضد في مروج الذهب 5: 137-192 وتجارب الأمم 4: 493-506، 5: 1-22.

مَقْتَلُ رَافِعِ بنِ [هَرْثَمة][أ]

كان رَافِعُ بنُ هَرْثَمَةَ[أ] قد وَضَعَ يَدَهُ على قُرَى السُّلْطانِ بالرَّيِّ، وكَتَبَ إليه المُعْتَضِدُ بِرَفْعِ يَدِه عنها، فكَتَبَ إلى أحمدَ بنِ عبدِ العَزيز بن أبي دُلَف بإخْرَاجِه عن الرَّيّ، فقَاتَلَه وأخْرَجَه وصَارَ إلى جُرجَان، وعَقَدَ المُعْتَضِدُ لعَمْرِو بنِ اللَّيْثِ على خُرَاسَانَ، ثم إنَّ أحمدَ بن عبدِ العَزيز هَلَكَ سَنَةَ ثَمانينَ، ووَلِيَ مَكانَه أخُوه عُمر، فزَحَفَ رَافِعٌ إلى الرَّيّ، فلَقِيَه بكرٌ وعَمْرُو بنُ اللَّيْثِ فهَزَمَها، فصَار إلى أصْبَهَان، ومَلَكَ هو الرَّيَّ واسْتَوْلَى عليها وعلى جُرجَان. ثم عَقَدَ مَعَ بَكْرِ بنِ عبدِ العَزيز مُهَادَنَةً، وسَارَ إلى طَبَرِسْتَان فرَاسَلَ محمدَ بنَ زَيْدٍ عندَ الدَّيْلَمِ وخَطَب له بطَبَرِسْتَانَ وجُرْجَان سنةَ ثِنتَيْنِ وثَمانين، وشَرَطَ على محمدِ بنِ زيْد المَدَدَ. وكَتَبَ عَمْرُو بنُ اللَّيْثِ إلى محمدٍ يُحَذِّرُه أمْرَ رَافِعٍ، ثم سَارَ رَافِعٌ إلى خُرَاسَان ودَخَلَ نَيْسابُور سَنَةَ ثَلاثٍ وثمانين، فوَقَعَت بينَه وبينَ عَمْرٍو حَرْبٌ، وانْهَزَمَ رَافِعٌ إلى أبِيوَرْد، وتَخَلَّص عَمْرٌو وابْنا أخيه من حَبْسِه، وهما: المُعَدَّلُ واللَّيْثُ ابنا عليِّ بنِ اللَّيْث، وقد تَقَدَّم خَبَرُهما. ثم سَارَ رَافِعٌ إلى هَرَاةَ ورَصَدَه عَمْرٌو بسَرْخَس، فشَعَرَ به، ورَجَعَ إلى نَيْسابُورَ في مَسَالِكَ صَعْبَةٍ وطُرُقٍ ضَيِّقَة، واتَّبَعَه عَمْرٌو فحَاصَرَه في نَيْسابُور. ثم تلاقيا وهَرَبَ عن رَافِعٍ بعضُ قُوَّادِه إلى عَمْرٍو فانْهَزَمَ رَافِعٌ، وبَعَثَ أخَاهُ محمَّدَ بنَ هَرْثَمَةَ إلى محمَّدِ بنِ/ زَيْد [283 ب] يَسْتَمِدُّه كما شَرَطَ له فلم يَفْعَلْ.

(أ) في الأصول: رافع بن الليث، خطأ مصدره إحدى نسخ الكامل. والتصويب من تاريخ الطبري، والكامل، وما يلي من النصّ وما تقدم 134. (ب) ص: رافع. (ج) رافع، ساقطة من ظ.

وافترَق عن رَافِعٍ أصْحَابُه وغِلْمَانُه، وفارَقَه مُحمَّدُ بنُ هَارُون إلى أحمدَ بنِ إسْمَاعيلَ بِبُخَارَى، ولَحِقَ رَافِعٌ بِخُوارِزْمَ في فَلٍّ من العَسْكر ومعَه بَقِيَّةُ أمْوَالِه وآلَتِه، ومَرَّ في طَرِيقِه بأبي سَعِيدٍ الدَّرْغَانيِّ بِبَلَدَ فاسْتَقَلَّه وغَدَرَ به، وحَمَلَ رَأسَه إلى عَمْرِو بنِ اللَّيْث بنَيْسابُور، وذلك في شَوَّالٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَمانِين[1].

خَبَرُ الخَوَارِجِ بالمَوْصِلِ

قد تَقَدَّم لَنَا أنَّ خَوَارِجَ المَوْصِلِ من الشُّرَاة، اسْتَقَرَّ عليهم بعدَ مُسَاوِرٍ هَارُونُ الشَّارِيُّ، وذَكَرْنا شَيئًا مِن أخْبَارِهم. ثم خَرَجَ عليه سَنَةَ ثَمانِينَ مُحمَّدُ بنُ عُبَادَة، ويُعْرَفُ بأبي حَوْزَة[أ] من بني زُهَيْرٍ[ب] من البَقْعَاء، وكان فَقِيرًا ومَعَاشُه ومَعَاشُ بَنِيه في الْتِقَاطِ الكَمْأَة وغيرِها وأمْثَالِ ذلك، وكان يَتَدَيَّنُ ويُظْهِرُ الزُّهْدَ، ثم جَمَعَ الجُمُوعَ وحَكَمَ، واجْتَمَعَ إليه الأعْرَابُ من تلك النَّوَاحِي، وقَبَضَ الزَّكَوَاتِ والأعْشَارَ من تلك الأعْمَال، وبَنَى عندَ سِنْجَارَ حِصْنًا ووَضَعَ فيه أمْتِعَتَه ومَاعُونَه، وأنْزَلَ به ابْنَه أبا هِلالٍ في مائةٍ وخمسين، فَجَمَعَ هَارُونُ الشَّارِيُّ أصْحَابَه وبَدَأَ بِحِصَارِ الحِصْن، فأحَاطَ به ومُحمَّدُ بنُ عُبَادَةَ في قَبْرَاثَا. وجَدَّ في حِصَارِه حتى أشْرَفَ على فَتْحِه، وقَتَلَ أبا هِلالٍ ابنَه ونَفَرًا معه. وبَعَثَ بنو تَغْلِبَ - وهم معَ هَارُون - إلى مَن كان بالحِصْنِ من بني زُهَيْرٍ فأمَّنُوهم، ومَلَكَ هَارُونُ الحِصْنَ. ثم سَارُوا إلى مُحمدٍ فلَقِيَهم وهَزَمَهم أوَّلاً، ثم

(أ) عند ابن الأثير: أبي جوزة. (ب) ص: بني زهر.

(1) الكامل في التاريخ 7: 457-459، ومروج الذهب 5: 161.

كَرُّوا عليه مُستَمِيتِينَ فهزَمُوه، وقَتَلُوا من أصْحَابِه ألفًا وأربَعَ مائة. وقَسَمَ هَارُونُ مَالَه، ولَحِقَ محمَّدٌ بآمِدَ، فحَارَبَه صَاحِبُها أحمدُ بنُ عِيسى بن الشَّيْخ، فظَفِرَ به وبَعَثَه إلى المُعْتَضِدِ فسَلَخَه حَيًّا[1].

إيقاعُ المُعْتَضِد بَنِي شَـيْبان، واسْتيلاؤه على مَارِدِين

وفي سَنَةِ ثمانينَ سَارَ المُعْتَضِدُ إلى بني شَـيْبَانَ بأرضِ الجَزِيرَة، ففَرُّوا أمَامَه، وأغارَ على طَوائفَ من العَرَبِ عندَ السِّنّ، فاسْتَبَاحَهم وسَارَ إلى المَوْصِل، فجَاءَه بنو شَيْبَانَ وأعطَوْه رَهْنَهم على الطَّاعَة، فقَبِلَهم وعَادَ إلى بَغْدَاد. وبَعَثَ إلى/ أحمدَ بنِ [284أ] عيسى بن الشَّيْخ في أمْوَالِ ابنِ كُنداجَ التي أخذَها بآمِدَ، فبَعَثَ بها وبهَدَايا كثيرةٍ معَها[2]. ثم بَلَغَه أنَّ حَمْدَانَ بنَ حَمْدُونَ يُمَالِئُ لهَارُونَ الشَّارِيِّ ودَاخِلٌ في دَعْوتِه، فسَارَ المُعْتَضدُ إليه سَنَةَ إحدَى وثمانين، واجتَمَعَ الأعْرَابُ من بني تَغْلِبَ وغيرِهم للِقائِه، فأوقَعَ بهم وقَتَلَ منهم، وغَرَّقَ في الزَّابِ كثيرًا، وسَارَ إلى المَوْصِل.

ثم بَلَغَه أنَّ حَمْدَانَ هَرَبَ عن مَارِدِين، وخَلَّفَ بها ابنَه، فسَارَ المُعْتَضِدُ إليه ونَازَلَه وقَاتَلَه يَوْمًا، ثم صَعِدَ من الغَدِ إلى بَابِ القَلْعَة، وصَاحَ بابنِ حَمْدَانَ واسْتَفْتَحَ البَابَ ففَتَحَ له دَهَشًا، وأمَرَ بنَقْلِ ما في القَلْعَة وهَدْمِها، وبَعَثَ في طَلَبِ حَمْدَان وأَخذِ أمْوَالِه[3].

(1) الكامل في التاريخ 7: 462-464، ومروج الذهب 5: 157-158.

(2) المصدر نفسه 7: 462.

(3) المصدر نفسه 7: 466.

الوِلاَيَةُ على الجَبَلِ وأَصْبَهَان

عَقَدَ المُعْتَضِدُ سَنَةَ إحْدَى وثمانِينَ لابنِه عليٍّ ـ وهو المُكْتَفِي ـ على الرَّيِّ وقَزْوِينَ وزَنْجَانَ وأَبْهَرَ وقُمَّ وهَمَذَانَ والدِّينَوَر، فاسْتَأْمَنَ إليه عَامِلُ الرَّيِّ لرافعِ بنِ اللَّيْث، وهو الحَسَنُ بنُ عليّ كُورَه، فأمَّنَه وبَعَثَ به إلى أبِيه[1].

عَوْدُ حَمْدَانَ إلى الطَّاعَة

وفي سَنَةِ اثنتينِ وثمانِينَ سَارَ المُعْتَضِدُ إلى المَوْصِل واسْتَقْدَمَ إسْحَاقَ بنَ أيُّوب وحَمْدَانَ بنَ حَمْدُون، فبَادَرَ إسْحَاقُ وتَحَصَّنَ حَمْدَانُ بِقِلاعِه، وأَوْدَعَ حُرَمَه وأمْوَالَه، فبَعَثَ إليه المُعْتَضِدُ العَسَاكِرَ معَ وَصِيف ونَصْرٍ القَشُورِيّ، فمَرُّوا بدَيْرِ الزَّعْفَرانِ من أرْضِ المَوْصِل، وبه الحَسَنُ بن عليّ كُورَه، ومعَه الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَان. فاسْتَأْمَنَ الحُسَيْنُ وبَعَثُوا به إلى المُعْتَضِد فأمَرَ بهَدْمِ القَلْعَة.

وسَارَ وَصِيفٌ في اتِّبَاعِ حَمْدَانَ، فوَاقَعَه وهَزَمَه وعَبَرَ إلى الجَانِبِ الغَرْبِيِّ من دِجْلَة، وسَارَ في دِيَارِ رَبِيعَةَ، وعَبَرَتْ إليه العَسَاكِرُ وكَبَسُوه فأخَذُوا مَالَه، وهَرَبَ وضَاقَتْ عليه الأرْضُ، فقَصَدَ خَيْمَةَ إسْحَاق بن أيُّوب في عَسْكَرِ المُعْتَضِدِ مُسْتَجِيرًا به، فأحْضَرَهُ عندَ المُعْتَضِدِ فوَكَّلَ بهِ وحَبَسَه[2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 467.

(2) المصدر نفسه 7: 469-470، ومروج الذهب 5: 151.

هَزِيمَةُ هَارُونَ الشَّارِيِّ وَمَهْلِكُهُ

كان المُعْتَضِدُ قد تَرَكَ بالمَوْصِل نَصْرًا القَسْوَرِيَّ لإعانَةِ العُمَّالِ على الجِبَايَة، /وخَرَجَ بَعْضُ العُمَّالِ لذلك(أ)، فأغَارَت عليهم طَائِفَةٌ من أصْحَابِ هَارُونَ الشَّارِيِّ [284 ب] وقُتِلَ بَعْضُهم، فكَثُرَ عَيْثُ الخَوَارِجِ. وكَتَبَ نَصْرٌ القَسْوَرِيُّ إلى هَارُون يَتَهَدَّدُه، فأجَابَه وأسَاءَ في الرَّدِّ وعَرَّضَ بذِكْرِ الخَلِيفَة، فبَعَثَ نَصْرٌ بالكِتَابِ إلى المُعْتَضِد، فأمَرَهُ بالجِدِّ في طَلَبِ هارُون، وكان على المَوْصِل بَكْتَمُرُ بنُ طَاشْتَمُرَ من مَوَالِيهم، فقَبَضَ عليه وقَيَّدَه ووَلَّى على المَوْصِلِ الحَسَنَ كُوره، وأمَرَ وُلاةَ الأعْمَالِ بطَاعَتِه، فجَمَعَهم وعَسْكَرَ بالمَوْصِلِ، وخَنْدَقَ على عَسْكَرِه إلى أن رَفَعَ النَّاسُ غَلَّاتِهم. ثم سَارَ إلى الخَوَارِجِ وعَبَرَ الزَّابَ إليهم وقَاتَلَهم قِتَالًا شَدِيدًا، فهَزَمَهم وقَتَلَ منهم خَلْقًا وافْتَرَقُوا، وسَارَ الكَثِيرُ منهم إلى أَذْرَبِيجان، ودَخَلَ هَارُونُ البَرِّيَّةَ واسْتَأْمَنَ وُجُوهُ أصْحَابِه إلى المُعْتَضِدِ فأمَّنَهُم(ب)(1).

ثم سَارَ المُعْتَضِدُ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَمانِينَ في طَلَبِ هَارُون، فانْتَهَى إلى تَكْرِيتَ، وبَعَثَ الحُسَيْنَ بنَ حَمْدُون في عَسْكَرٍ من ثلاثِ مائةِ فَارِس، واشْتَرَطَ إنْ جَاءَ به إطْلاقَ ابنِه حَمْدَان، وسَارَ معه وَصِيفٌ وانْتَهَى إلى بَعْضِ مَخَائِضِ دِجْلَةَ فأَرْصَدَ بها وَصِيفًا وقال: لا تُفَارِقُوها حتى تَرَوْني! ومَضَى في طَلَبِه، فَوَاقَعَه وهَزَمَه، وقَتَلَ مِن

(أ) ظ: كذلك. (ب) ظ: فأمنه.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 471-472.

أَصْحَابِه. وأقَامَ وَصِيفٌ ثَلاثَةَ أيّام وأبطأَ عليه الأمْرُ، فسَارَ في اتّبَاع ابنِ حَمْدَان.

وجَاءَ هَارُونُ مُنْهَزِمًا إلى تِلكَ المَخَاضَة فعَبَرَ، وابنُ حَمْدَان في أثَرِه إلى حَيٍّ من أحْيَاءِ العَرَب قدِ اجْتَازَ بهم هَارُون، [فدَلُّوا ابنَ حَمْدَان عليه، فلَحِقَه وأسَرَه وجَاءَ به إلى المُعْتَضِد. فرَجَعَ المُعْتَضِدُ إلى بغدادَ آخِرَ رَبِيعٍ الأوَّل، وخَلَعَ على الحُسَيْن وإخْوَتِه وطَوَّقَه، وأدْخَلَ هَارُونَ][أ] على الفِيلِ وهو يُنَادِي: لا حُكْمَ إلا لله ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكُون؛ وكان صُفْرِيًّا.

ثم أَمَرَ المُعْتَضِدُ بحَلِّ القُيُود عن حَمْدَانَ بنِ حَمْدُون والإحْسَان إليه ووَعَدَ بإطْلاقِه[1].

أخبارُ أبي دُلَفَ وبَنِيه[ب] [وإمارتِهم بأصْبَهَانَ إلى انْقِرَاضِ أمْرِهِم][ج]

وهو من بني عِجْل، واسْمُهُ القَاسِمُ بنُ عيسى بن إدْرِيس، وأخُوهُ عيسى بنُ مَعْقِل، وعَمُّهما عَاصِمُ بنُ يُونُس من دُعاةِ بني العَبَّاس، ومَسْكَنُهم بالكَرَج من نَوَاحي أصْبَهَانَ وبلادِ الجَبَلِ[2]، وحَبَسَهم يُوسُفُ بنُ عُمَرٍو صَاحِبُ العِرَاق لمَّا نَمَى إليه خَبَرُهم ومكثوا في السِّجْن مُدَّةً. وقد ذَكَرْنَا في أوَّلِيَّةِ أبي مُسْلِم صَاحِبِ الدَّعْوَة:/ أنَّهم[د] مَرَّ [285 أ]

(أ) ساقط من ظ، انتقال نظر. (ب) ساقطة من ح. (ج) من ح وسقط من ظ. (د) ح: أنّ.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 476-477، مروج الذهب 5: 157-158.

(2) يراجع عنهم مروج الذهب 4: 300-302، 360-361.

بهم نُقَبَاءَ الشِّيعَة مُتَوَجِّهِينَ إلى إبراهيمَ الإمَام بمكّة فزَارُوهم في مَحْبِسِهم، وكان أبو مُسْلمٍ يَخْدِمُهم[أ] هناك، وقِيلَ: كان عَبْدًا لهم، فأعْجَبَ النُّقَبَاءَ واشْتَرَوْه منهم، ولمَّا قَدِمُوا على إبراهيمَ الإمَامِ حَلِيَ بعَيْنِه وأخَذَه منهم.

وكان لبني عِجْلٍ[ب] هؤلاء مَحَلٌّ من الدَّوْلَة ومكَانٌ بَيْنَ النُّقَبَاء، وأَنْجَبُوا وتَقَلَّدوا الولاياتِ في الدَّوْلَة.

وكان أبو دُلَف القاسمُ بنُ عيسى عَظِيمَ الغَنَاءِ في الوِلَايَة والمَوَاقِف، وله مَحَلٌّ من الشَّجَاعَة ومَنْزِلَةٌ عندَ الخُلَفَاء، وله في جَوْدَةِ الشِّعْرِ مَقَامٌ ليس لنُظَرائِه، وكانت له مَعَ الأميرين صُحْبَةٌ واخْتِصَاصٌ، وبَعَثَه مَعَ عيسى بنِ هَامَان لحَرْبِ طَاهِرِ بنِ الحُسَيْن. ولمَّا قُتِل، عَادَ أبو دُلَف إلى هَمَذَانَ ـ [مُسْتَقَرِّ الرِّياسَة][ج] ـ واسْتَمَالَه طَاهِرٌ إلى بَيْعَةِ المأمُون، فأبَى من إخْفَارِ ذِمَّة[د] الأمِين وقَعَدَ عن الفَرِيقَيْنِ وتَرَكَه طَاهِرٌ لشَأنِه، فلمَّا سَارَ المأمُونُ من خُرَاسَانَ إلى بَغْدَاد وانْتَهَى إلى الرَّيِّ، اسْتَدْعَى أبَا دُلَف، فجَاءَه خَائِفًا وَجِلاً بعدَ أنْ عَذَلَه قَوْمُه وثَبَّطُوهُ[هـ] عن المَسِير، فأبَى، وقَدِمَ على المأمُونِ فأكْرَمَه وأعْلَى مَنْزِلَتَه. وحَضَرَ أيَّامَ المُعْتَصِم مَعَ الأفْشِينِ حَيْدَرَ بنِ كاوس حُرُوبَ بَابَك بالبَذّ، وسَخِطَه الأفْشِينُ بعضَ الأيَّام وبَعَثَ عنه ليَقْتُلَه، وطَارَ الخَبَرُ إلى المُعْتَصِم، فبَعَثَ ابنَ أبي دَاوُد[و] [بكتابِه إليه][ز] ليَسْتَخْلِفَهُ[ح]، فتَلَطَّفَ للأفْشِين في ذلك، فلمَّا لَجَّ في أمْرِه أظهرَ كِتَابَ المُعْتَصِم واسْتَنْقَذَه من يدِه وجَاءَ به إلى

(أ) صِيغَت هذه الفقرة في نسخة ح كما يلي: أنّ نقباء الشيعة توجهوا إلى إبراهيم الإمام بمكّة فمرّوا بهم وزاروهم في محبسهم وكان ابو مسلم يتولّى خدمتهم. (ب) ح: لبني مَعْقِل. (ج) من حاشية ح. (د) في ح: نكث عَهْدِ. (هـ) ح: نشّطوه. (و) ح: دواد. (ز) ح: ليستخلصهُ. (ح) ساقطة من ظ.

المُعْتَصِم. ونَقَلَ صَاحِبُ الأغاني[1] أنَّه كان يُغَنِّي للوَاثِق، وأنَّ المُعْتَصِم حَضَرَ عندَ ابنِه الوَاثِقِ يومًا وسَمِعَه فأعْجَبَه، وحَمَلَه وصَيَّرَه من نُدَمَائِه، ثمّ عَلا محلُّه بعد ذلك وكان يسكن بالكَرَج في عَشِيرِه وأَهْلِه وكان أَحَدَ الكُرَمَاءِ، وله يقولُ عليُّ بنُ جَبَلَة:

[من المديد]

إنَّما الدُّنيَا أبو دُلَفٍ بين بَادِيه ومُحْتَضَرِهْ
فإذَا وَلَّى أبو دُلَفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا على أَثَرِهْ

ويُقَالُ: إنَّ المَأمُونَ قال له يومًا: يا أبا دُلَف، أنت الذي يَقولُ فيك عليُّ بنُ جَبَلَة كذا، وأنْشَدَه البَيْتَيْن؟ فقال: يا أميرَ المُؤْمنين لم أَسْمَعْ هذا، وإنَّما قال: [من الطويل]

أَبَا دُلَفٍ يَا أكْذَبَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سِوَايَ، فإنِّي في مَدِيحِكَ أكْذَبُ[2]

فضَحِكَ المَأمُونُ وسُرِّيَ عنه[أ].

ولم يَزَلْ مُقِيمًا بالكَرَج[ب] [ثم قَدِمَ بَغْدَاد وتُوفي بها][ج] سنةَ ثَلاثٍ وعشرينَ ومائتَيْن. وخَلَّفَ ابنَيْه: /عبدَ العَزِيز وهَاشِمًا، فقامَ عبدُ العَزِيز مَكانَه في قَوْمِه[د]، [285 ب] ووَلِيَ على الجِبَال وأصْبَهان والكَرَج، فلمَّا وَلِيَ المعتزُّ وغَلَبَ عليه صالحُ بن وَصِيف ولّاه الجِبَال سنةَ ثِنْتَين [وثمانين][د]، فاسْتَبَدَّ ومنعَ الحَمْلَ، فوَلّى المعتزُّ موسى بنَ بُغَا

(أ) في ح: فضحك المأمون وعرف له حقّ سياسته. (ب) ح: الكرخ. (ج) من ح، وفي ظ: وتوفّي ببغداد. (د) من ظ، ومثبتة في ح ومشطوبة. وما بين الحاصرتين فراغ في ظ.

---

(1) الأغاني 8: 254، وانظر الورقة لابن الجراح 115، الشعر والشعراء 2: 864، الحماسة البصرية 2: 454-455، ديوانه 65-70؛ وأحمد نصيف الجنّابيّ: شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوّك 130-137.

(2) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري 260؛ شعر عليّ بن جبلة 101.

في رَجَب سَنَةَ ثلاثٍ وخمسين وبعثه لحَرْبه، فسار على مقدَّمتِه مُفْلِحٌ في نحوِ ألفٍ ومائتي فارسٍ، ولقِيَه عبدُ العزيز في نحو عشرين ألف فارس قريبًا من هَمَذَان. فانْهزمَ عبد العزيز فلجَأَ إلى قَلْعَةٍ لهم بجبل الكَرَجِ فتحصَّنَ بها، واستولى مُفْلحٌ على الكَرَج وعلى أمّه وأهلِه وأولادِه، وبَعَثَ بتسعين جِمْلًا من رؤوس الأَسْرَى من الهَزِيمَة إلى سُرَّ من رأى.

ثم رَاجَعَ عبدُ العزيز الطَّاعَةَ فوَلَّاهُ، وأقام [متقلّبًا][أ] بين الطَّاعَة والانْقِياد مرةً، والخَلْع والاسْتِبْداد أُخْرى، إلى أن هَلَكَ سنةَ ستّين ومائتين، وخَلَّفَ سَبْعَةً من الوَلَد، وهم: دُلَفُ وأحْمد وعُمَر وبَكْر و[الهَطَّال][ب] وأبو لَيْلَى والقاسم. فقامَ ابنُه دُلَفُ مقامَهُ، ومَلَكَ الكرجَ[ج] وقِلاعَه. وولّى المعتمدُ على الدِّيْنَوَر ابنَ الدَّيْرانيِّ فزَحَفَ إليه دُلَفُ ومعَهُ ابن عِياضٍ فانْهَزَم واستُبيحَ مُعسْكَرُهُ، وبَقِيَ دُلَفُ على ما كان لأبيه إلى أن وَثَبَ عليه بأصْبَهَان القاسمُ بن مَهاةَ سنةَ خمسٍ وستّين، فقتلَهُ واستبدَّ. ثم وَثَبَ عليه أصحابُ دُلَفٍ فقتَلوهُ وولَّوْا أخاه أحمدَ، فتغلَّبَ على بلاد الجَبَل أجْمعَ، وجهّز الموفَّقُ العساكر لحَرْبه مع مولاه بكْتَمُر فهزَمَهُ أحمدُ، وكان مُظَفَّرًا في حُروبه. ثمّ شَخَصَ الموفّقُ سنةَ ستٍّ وسبْعينَ إلى أصْبَهان والجبال لاسْتِرْجاع البلاد من يَدِهِ، فصَعِدَ إلى قَلْعَته بأمْواله وعِيالِه وغِلْمانِه، وتَرَكَ دارَهُ بفَرْشِها لنُزُل الموفَّقِ، وبعثَ بطاعَتِه فتقبَّلَها ورجَع عنه(1).

(أ) في ظ: مستقبلا. (ب) من ح، وفي ظ: المطال ويرد الاسم بعد الهطال. (ج) مهملة في ظ.

(1) هذا سياق رواية ظ، وقد أعاد ابن خلدون تحرير هذه الفقرة في نسخة ح كما يلي:
وتمسَّك بطاعة المستعين أيامَ الفِتْنة فاستخْلفَهُ وصيفٌ أيامَ المستَعين على الجبَلِ وأصبهان وكانت في ولايته، وبعث [153ب] إليه بالخلْع سنة ثنتيْن وخمسين. ثم عقدَ المعتزُّ لموسى بن بُغا الكبير في رجب=

وكان رَافِعُ بنُ هَرْثَمَة، القائمُ بخُرَاسَانَ بعدَ الخُجُسْتَانيِّ بدَعْوَةِ بني طَاهِر، قد تَغَلَّبَ على الرَّيّ، فأوْعَزَ المُعْتَضِدُ إلى أحمدَ [بنِ عَبْدِ العَزِيز](أ) بانتِزَاعِها منه، فسارَ إليه وهَزَمَه ومَلَكَ الرَّيَّ [من يَدِه](أ). ثم تُوفِّيَ أحمدُ سَنَةَ ثمانٍ وسبعينَ لخَمسَ عشْرةَ سَنَةً من تَغَلُّبِه، وتَنَازَعَ أخَوَاهُ: عُمَرُ وبَكْر، الوِلايَةَ، ثم اتَّفَقَ أصْحَابُهم على عُمَر، فولَّاهُ المُعْتَضِدُ لَمَّا(ب) شَخَصَ إلى الجِبَالِ سَنَةَ إحدى وثمانينَ على أصْبهَانَ ونَهَاوَنْد والكَرَج، [وجَعَلَ أخَاهُ بَكْرًا رَدِيفًا له](أ)، وعَادَ [المُعْتَضِدُ](أ) إلى بَغْدَاد، فامْتَنَعَ عُمَرُ من الحَمْل، وأشْخَصَ المُعْتَضِدُ لحَرْبِه/ وَزِيرَه عُبيدَ الله بنَ سُليمانَ وغُلامَه بَدْرًا المعتضديّ(ج) [286أ] الكبيرَ منتصفَ ثَلاثٍ وثمانين، فاسْتَأْمَنَ إليهما بكرٌ ووَلَّيَاه [مكانَ عُمَر](د)، ثم اسْتَأْمَنَ عُمَرُ إلى عليِّ بنِ المُعْتَضِد بالرَّيِّ فأمَّنَه ورَجع إلى(هـ) الطَّاعَة، [واعْتَذَرَ

(أ) من ح. (ب) ح: عندما. (ج) سقط من ح. (د) من س، وفي ظ: مكانه. (هـ) ح: وراجع.

= سنة ثلاثٍ وخمسين على الجبال وأَصْبهان، فسار إليها وعلى مقدّمته مُفْلِحٌ، فلقيه عبد العزيز وانهزم إلى قلعة لهاوون من جبال الكَرَجِ واستولى مفلحٌ على الكَرَجِ واستَوْلَى على أمْواله وعِياله. ثم راجعَ عبدُ العزيز الطاعةَ وأقام متقلّبًا بين الانقِياد مرّةً والخَلْع والاستبداد أُخرى، إلى أن هلك سنةً ستين ومائتين، وخلّفَ سبعةً من الولد، وهم: دُلَف وأحمد وعمر وبكر والهطّال وأبو لَيْلى والقاسم، فقام ابنُه خَلَفٌ مَقامَه وملك الكرج وقلاعَهُ. ثم ولّى المعتمد على الدّينَورِ ابن الدّيْراني، فزحَفَ إليه أبو دُلَف ومعه ابن عياض، فانهزم واسْتبيحَ معَسْكَرهُ، وأقام دُلَفٌ مستبدًّا بأصْبهان إلى أن وَثَبَ عليه من أَهْلها القاسمُ بن مَهَات سنةَ خمسٍ وستّين فقتلَهُ واستبدَّ مكانَه، ثم وَثب به أصحابُ دُلَف فقَتلوهُ وولّوْا أخاهُ أحمدَ مكانَه، واستَخْلَفَهُ عمر بن اللّيث على أصبهان عندما ولّاهُ عليها المعتمِد سنةَ ستٍّ وستّين، فقام بها وحارَبَهُ كيغَلَغ التُّركيّ سنةَ سبْعٍ بعدَها فغلَبَهُ أحمدُ وهزَمَه إلى الصَّيْمرة وبَعث بالمالِ إلى عمرو بن اللّيث وتغلّب على بلاد الجبالِ أجْمع، وجهّز الموفّقُ العساكِر لحَرْبه مع مَولاهُ بَكتَمُرَ فهزمَهُ أحمدُ، وكان مُظَفَّرًا في حُروبِه. ثم سار الموفّقُ سنة ستٍّ وسبْعين لاستِرْجاع بلاد الجبال وأصبهان من يَده، فصعِدَ إلى قلْعته بأموالِه وعِياله وغِلمانِه وترك دارَهُ بفَرْشها لنُزُل الموفّق وبعث بطاعته فتقبَّلَها ورجع عنه.

الوَزِيرُ وبَدْرٌ، لبكرٍ أخيه بأنَّ الوِلايَةَ لعُمَرَ][أ]، وإنَّما وَلَّيْنَاك وأخوكَ[ب] عَاصٍ، فامْضِيا إلى أميرِ المؤمنين المُعْتَضِد[1].

ووَلِيَ عيسى النُّوشَرِيُّ على أصْبَهَانَ من قِبَلِ عمرَ، وهَرَبَ بَكْرٌ إلى الأهْوَاز، وسَارَ عُبَيْدُ الله بنُ سُلَيْمَان الوَزِيرُ إلى عليِّ بنِ المُعْتَضِد بالرَّيّ. ولـمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إلى المُعْتَضِد بَعَثَ وَصِيفَ [بن][ج] مُوشكين إلى بَكْرِ بنِ عبدِ العَزِيزِ بالأهْوَاز، فلَحِقَه بحُدُودِ فَارِسَ. فمَضَى بَكْرٌ إلى أصْبَهَان لَيْلاً، ورَجَعَ وَصِيفٌ إلى بَغْدَاد، وكَتَبَ المُعْتَضِدُ إلى بَدْرٍ مَوْلاه بطَلَبِ بَكْرِ بنِ عبدِ العَزِيزِ وحَرْبِه. فأمَرَ بذلك عيسى النُّوشَرِيَّ، فقَامَ به ولقي بَكْرًا بنَوَاحي أصْبَهَان، فهَزَمَه بَكْرٌ، ثم عَادَ النُّوشَرِيُّ لِقتَالِه سَنَةَ أرْبَعٍ وثَمانين، فهَزَمَه بنَوَاحي أصْبَهَانَ واسْتَبَاح عَسْكَرَهُ[2].

ونَحَا بَكْرٌ إلى محمَّدِ بنِ زَيْد العَلَوِيِّ بطَبَرِسْتَان ، وهَلَكَ بها سَنَةَ خَمْسٍ وثمانين. وكان عُمَرُ - لمَّا مَاتَ - أبوهُ قَبَضَ على أخيه الحَارِث، ويُكْنَى أبا لَيْلَى، وحَبَسَه في قَلْعَةِ زَرّ، ووَكَّلَ به شَفِيعًا الخَادِمَ. فلمَّا جَاءَ المُعْتَضِدُ وأسْتَأمَنَ عُمَرُ وهَرَبَ بَكْرٌ بَقِيَتِ القَلْعَةُ بيَدِ شَفِيعٍ بأمْوَالِها، فرَغِبَ إليه الحَارِثُ في إطْلاقِه فلم يَفْعَلْ، وكان شَفِيعٌ يُسَامِرُه كلَّ لَيْلَةٍ ويَنْصَرِف، فحَادَثَه لَيْلَةً ونَادَمَه، وقَامَ شَفِيعٌ لبَعْض حَاجَتِه، فجَعَلَ الحَارِثُ في فِرَاشِه تِمثالاً وغَطَّاه، وقالَ لجَارِيَتِه: قولي لشَفِيعٍ إذا عَادَ: هو نَائِمٌ،

(أ) من س، وفي ظ: وقال الوزيرُ وبَدْرٌ لبكر. (ب) ح: وهو. (ج) سقط من ظ ، ح .

(1) الكامل في التاريخ 7: 479.

(2) المصدر نفسه 7: 480.

ومَضَى فاختَفَى في الدَّار، وقد فَكَّ القَيْدَ عن رِجْلِهِ بِبُرْدٍ أُدْخِلَ إليه وبَرَدَ به مِسْمَارَه. ولمَّا أُخْبِرَ شَفيعٌ بنَوْمِه مَضَى إلى مَرْقَدِه، وقَصَدَه أبو لَيْلَى فقَتَلَه على فِرَاشِه وأَمَّنَ أَهْلَ الدَّارِ، واجْتَمَعَ عليه النَّاسُ، فاسْتَحْلَفَهُم ووَعَدَهُم، وجَمَعَ الأكْرَادَ وغَيْرَهم وخَرَجَ من القَلْعَة نَاقِضًا للطَّاعَة، فسَارَ إليه عيسى النُّوشَرِيُّ وحَارَبَه، فأَصَابَ أبا لَيْلَى سَهْمٌ فَمَاتَ، وحُمِلَ رَأْسُهُ إلى أَصْبَهَان ثم إلى بَغْدَاد. وكان عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيز لمَّا بَعَثَه الوَزيرُ إلى المُعْتَضِدِ حَضَرَ ببَغْدَاد ولَقِيَه القَاسِمُ بنُ الوَزير، وأُفِيضَت عليه الخِلَعُ وعلى أخِيه الهَطَّالِ وابن أخيه أحمد./ [286 ب] وأَقَامُوا ببَغْدَاد جَمِيعًا إلى أنْ قُبِضَ عليهم سَنَةَ سِتٍّ وثمانِينَ وحُبِسُوا، وانْقَرَضَ أَمْرُهم بأَصْبَهَان، واللهُ غَالِبٌ على أمْرِه[1].

خَبَرُ ابنِ الشَّيْخ بآمِدَ

وفي سَنَةِ خَمْسٍ وثمانين تُوفِّي أحمدُ بنُ عيسى بن الشَّيْخ، وقَامَ بأمْرِه في آمِدَ وأعْمَالِها ابنُه محمَّدٌ، فسَارَ المُعْتَضِدُ إليه في العَسَاكِر ومعَه ابنُه أبو محمَّدٍ عليٌّ المُكْتَفي، ومَرَّ بالمَوْصِل وحَاصَرَ آمِدَ إلى رَبيعِ الآخِرِ من سَنَة سِتٍّ وثمانين، ونَصَبَ عليها المَجَانِيقَ حتى اسْتَأْمَنَ لنَفْسِه ولأَهْلِ آمِد. وخَرَجَ إلى المُعْتَضِد فخَلَعَ عليه، وهَدَمَ سُورَها. ثم بَلَغَه أنَّه يَرُومُ الهَرَبَ، فقَبَضَ عليه وعلى أَهْلِه[2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 487-488.

(2) المصدر نفسه 7: 491، ومروج الذهب 5: 145.

خَبَرُ ابنِ أبي السَّاج

قد تَقَدَّمَ لنا وِلايَةُ محمَّدِ بن أبي السَّاج على أَذْرَبيجان، ومُدَافَعَةُ الحُسَيْنِ إيَّاه عن مَرَاغَةَ ثم فَتْحُها، واسْتِيلاؤه على أعْمَالِ أَذْرَبيجان. وبَعَثَ المُعْتَضِدُ سَنَةَ ثِنتَينِ وثمانِينَ أخَاهُ يُوسُفَ بنَ أبي السَّاج إلى الصَّيمَرَة مَدَدًا لفَتْح القَلانِسيِّ غُلامِ المُوفَّق، فهَرَبَ يُوسُفُ فيمن أطَاعَه إلى أخيه محمدٍ بمَراغَة، وأخَذَ المُعْتَضِدُ أمْوَالَه[1]. ثم انْتَقَضَ محمَّدٌ سَنَةَ أرْبَعٍ وثمانِينَ وعَاوَدَ الطَّاعَة، فوَلَّاهُ المُعْتَضِدُ على أعْمَالِه، وبَعَثَ إليه بالخِلَعِ، وأعْطَاهُ الرَّهْنَ بما ضَمِنَ من الطَّاعَةِ والمُنَاصَحَة، وبَعَثَ بالهَدَايا.

ابْتِدَاءُ أمْرِ القَرَامِطَة بالبَحْرَيْنِ وبالشَّام

كان في سَنَةِ إحْدَى وثمانِينَ قد جَاءَ إلى القَطِيفِ من البَحْرَيْنِ رَجُلٌ تَسَمَّى بيَحيى بنِ المَهْدِيّ، وزَعَمَ أنَّه رَسُولٌ من المَهْدِيّ، وأنَّه قد قَرُبَ خُرُوجُه، وقَصَدَ من أهْلِ القَطِيف عليَّ بنَ المُعَلَّى بن حَمْدَان الدَّبادِيبيَّ - وكان مُتَغَالِيًا في التَّشَيُّع - فجَمَعَ الشِّيعَةَ وأقْرَأَهُم كِتَابَ المَهْدِيّ، وشِيعَ الخَبَرُ في سَائِرِ قُرَى البَحْرَيْن، فأجَابُوا كلُّهم وفيهم أبو سَعِيدٍ الجَنَّابيّ وكان من عُظَمائِهم. ثم غَابَ عنهم يحيى بنُ المَهْدِيّ مُدَّةً ورَجَعَ بكِتَابِ المَهْدِيِّ يَشْكُرُهم على إجابَتِهم، ويأمُرُهم أن يَدْفَعُوا ليحيى سِتَّةَ دَنَانِيرَ وثُلُثَيْنِ عن كلِّ رَجُلٍ منهم، ففَعَلُوا. ثم غَابَ وجَاءَ بكِتَابٍ آخَرَ بأنْ يَدْفَعُوا إليه خُمْسَ

(1) الكامل في التاريخ 7: 473.

أمْوَالِهم فدَفعُوا، وأقَامَ يتَرَدَّدُ في قَبَائِلِ قَيْس[1].

ثم أظْهَرَ أبو سَعِيدٍ الجَنَّابيّ الدَّعْوَةَ بالبَحْرَيْن سَنَةَ سِتٍّ وثَمانين، واجْتَمَعَ إليه القَرَامِطَةُ / والأعْرَاب، وقَتَلَ واسْتَبَاحَ، وسَارَ إلى القَطِيف طَالِبًا البَصْرَة، وكان عليها أحمدُ بنُ محمَّدِ بن يحيى الوَاثِقِيّ، فكَتَبَ إلى المُعْتَمِدِ بذلك فأمَرَه بإدَارَة سُورٍ على البَصْرَة بَلَغَتِ النَّفَقَةُ فيه أرْبَعَةَ عَشَرَ ألفَ دِينَار. [287 أ]

ثم قَرُبَ أبو سَعِيدٍ من نَوَاحِي البَصْرَة، وبَعَثَ المُعْتَضِدُ إليهم المَدَدَ مع عَبَّاس ابنِ عُمَرَ[أ] الغَنَوِيّ، عَزَلَه عن فَارِس وأقْطَعَه اليَمَامَةَ والبَحْرَيْن، وضَمّ إليه ألفَيْنِ من المُقَاتِلَة، وسَارَ إلى البَصْرَة وأكْثَرَ من الحَشْدِ جُنْدًا ومُتَطَوِّعَةً. وسَارَ، فلَقِيَ أبَا سَعِيدٍ الجَنَّابيّ، ورَجَعَ مَنْ كان معَهُ من بني ضَبَّةَ إلى البَصْرَة. ثم كان اللِّقَاء، فهَزَمَه الجَنَّابيّ وأسَرَهُ واحْتَوَى على مُعَسْكَرِه، وحَرَقَ الأسْرى بالنَّار، وذلك في شَعْبَانَ من هذه السَّنَة. وسَارَ إلى هَجَر فمَلَكَها وأمَّنَ أهْلَهَا، ورَجَعَ الفَلُّ إلى البَصْرَة، وبَعَثُوا إليهم بالرَّوَاحِلِ عليها الطَّعَامُ والمَاءُ، فاعْتَرَضَهم بنو أسَدٍ وأخَذُوا الرَّوَاحِلَ وقَتَلُوا الفَلَّ، واضْطَرَبَتِ البَصْرَةُ وتَشَوَّفَ أهلُها إلى الانْتِقَال، فمَنَعَهمُ الوَاثِقِيّ، [ثُمَّ][ب] أطْلَقَ الجَنَّابيّ العَبَّاسَ الغَنَوِيَّ، فرَكِبَ البحرَ إلى الأُبُلَّة وسَارَ منها إلى بَغْدَاد، فخَلَعَ عليه المُعْتَضِد.

وأمَّا ظُهُورُهُم بالشَّام فإنَّ داعِيَتَهم زَكْرَوَيْهِ بنَ مَهْرَوَيْهِ، الَّذي جَاءَ بكِتَابِ المَهْدِيّ إلى العِرَاق، لمَّا رأى الجُيُوش مُتَتَابِعَةً إلى القَرَامِطَة بالسَّوَاد، وأبادَهُم الفَلَّ،

(أ) س: عمرو. (ب) من ح، وفي ظ: من.

(1) المصدر نفسه 7: 493-494.

لَحِقَ بأعْرَابِ أسَدٍ وطيِّئ، فلم يُجِبْهُ أحدٌ، فبَعَثَ أوْلادَه في كَلْبِ بن وَبَرَة فلم يُجِبْه منهم إلاّ بنو العُلَيْص[1] بن ضَمْضَم بن عَدِيِّ بن جَنَاب، فبَايَعوا زَكْرَوَيْه، وتَسَمَّى بيَحيى وتَكَنَّى بأبي القَاسِم، ولَقَّبُوه الشَّيْخَ، وأنَّه من وَلَدِ إسْمَاعِيلَ الإمَام بنِ جَعْفَرٍ الصَّادِق، وأنَّه يحيى بنُ عبدِ الله بن محمَّدِ بن إسْمَاعِيل. وزَعَمَ أنَّ له مائةَ أَلْفِ تَابِع، وأنَّ نَاقَتَه التي يَرْكَبُها مأمُورَةٌ، فمَنْ تَبِعَها كان مَنْصُورًا.

فقَصَدَهُم شِبْلٌ مَوْلَى المُعْتَضِدِ في العَسَاكِرِ من نَاحِيَةِ الرُّصَافَةِ فقَتَلُوه. فسَارَ إليهم شِبْلٌ مَوْلى أحمدَ بنِ محمَّدٍ الطَّائيِّ فأوْقَعَ بهم، وجَاءَ ببعض رُؤسَائهم أسِيرًا، فأحْضَرَه المُعْتَضِدُ وقال له: هل تزْعُمونَ أنَّ رُوحَ اللهِ وأنْبِيائِه تَحُلُّ في أجْسَادِكم فتَعْصِمَكم منَ الزَّلَل، وتُوفِّقَكم لصَالِح العَمَل؟ فقال له: يا هذا، أَرأيْتَ إنْ حَلَّت رُوحُ/ [إبليسَ](ا) فما يَنْفَعُك؟ فاتْرُكْ ما لا يَعْنِيكَ إلى ما يَعْنِيك. قال له: فقل فيما يَعْنيني؟ [287 ب] فقال له: قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأبُوكُم العَبَّاسُ حَيٌّ، فلم يَطْلُبِ الأمْرَ ولا بَايَعَه أحَدٌ. ثم مَاتَ أبو بَكْرٍ واسْتُخْلِفَ عُمَرُ وهو يَرَى العَبَّاسَ ولم يَعْهَدْ إليه عُمَرُ ولا جَعَلَه من أهْلِ الشُّورَى، وكانوا سِتَّةً، وفيهمُ الأقْرَبُ والأبْعَدُ، وهذا إجْمَاعٌ منهم على دَفْعِ جَدِّك عنها، فبماذا تَسْتَحِقُّونَ أنتمُ الخِلافَةَ؟ فأمَرَ به المُعْتَضِدُ فعُذِّبَ وخُلِعَتْ عِظَامُه، ثم قُطِّعَ مَرَّتين، ثم قُتِل.

(ا) من ح، وسقطت من ظ.

(1) كذا ضبطه محقق الجمهرة لابن حزم، وجاء في ظ مهملًا غير مشكول، وفي ح: الغُلَيّص.

ولمَّا أوْقَعَ شِبْلٌ بالقَرَامِطَة بسَوَادِ الكُوفَة سَارُوا إلى الشَّام فانْتَهَوا إلى دِمَشْق، وعليها طُغْجُ بنُ جُفّ مولى أحمدَ بنِ طُولُون من قِبَلِ ابنِه هَارُون، وخَرَجَ إليهم فقَاتَلَهم مِرَارًا، فهَزَمُوه في كلِّها(1).

هذه أخْبَارُ بدايتِهم، ونَقْبِضُ العَنَانَ عنها إلى أن نَذْكُرَ سِيَاقَتَها عندما نَذْكُرُ أخْبَارَهم على شَرِيطَتِنا في هذا الكِتَاب كما تَقَدَّم.

(1) الكامل في التاريخ 7: 511-513، ويراجع كذلك عن القرامطة اتعاظ الحنفا للمقريزي 1: 151-165.

اسْتيلاءُ ابنِ سَامَانَ على خُرَاسَانَ من يَدِ عَمْرِو بنِ اللَّيْث، وأَسْرُهُ ثُمّ مَقْتَلُه

لمَّا تَغَلَّبَ عَمْرُو بنُ اللَّيْثِ الصَّفَّارُ على خُرَاسَانَ من يَدِ رَافِعِ بنِ اللَّيْث، وقَتَلَه وبعَثَ برَأسِه إلى المُعْتَضِد، وطَلَبَ منه أن يُوَلِّيَه ما وَرَاءَ النَّهْرِ مُضَافًا إلى وِلايَة خُرَاسَان، فكَتَبَ إليه بذلك، فجَهَّزَ الجُيُوشَ لمُحَارَبَةِ إسْمَاعيلَ بنِ أحمدَ صَاحِبِ مَا وَرَاءَ النَّهْر، وجَعَلَ عليهم محمَّدَ بنَ بَشِيرٍ، من أخَصِّ أصْحَابِه. وبعَثَ معَهُ القُوَّاد، فانْتَهَوا إلى آمِدَ من شَطِّ جَيْحُون. وعَبَرَ إليهم إسْمَاعيلُ فهزَمَهم، وقَتَلَ محمد بنَ بَشِيرٍ في ستَّةِ آلاف، ولَحِقَ الفَلُّ بعَمْرٍو في نَيْسابور، فتَجَهَّزَ وسَارَ إلى بَلْخ، وكَتَبَ إليه إسْمَاعيلُ يَسْتَعْطِفُه ويقول: أنا في ثَغْرٍ وأنت في دُنْيَا عَرِيضَة، فاتْرُكْني واسْتَأْلِفْني، فأبَى. وصَعُبَ على أصْحَابِه عُبُورُ النَّهْر لشِدَّتِه، فعَبَرَ إسْمَاعيلُ وأخَذَ الطُّرُقَ على بَلْخ، وصَارَ عَمْرٌو مَحْصُورًا. ثم اقْتَتَلُوا فانْهَزَمَ عَمْرٌو وتسرَّبَ من بعضِ المَسَالِكِ عن أصْحَابِه، فوَحَلَ في أجَمَةٍ وأُخِذَ أسِيرًا، فبَعَثَ به إسْمَاعيلُ إلى سَمَرْقَنْد، ومن هناك إلى المُعْتَضِدِ سَنَةَ ثَمانٍ وثمانين، فحَبَسَه إلى أنْ مَاتَ المُعْتَضِدُ سَنَةَ تِسْعٍ بَعْدَها، فقَتَلَه ابنه المُكْتَفي، وعُقِدَ لإسْمَاعيلَ على خُرَاسَان كما كانت لعَمْرٍو.

وكان عَمْرٌو عَظِيمَ السِّيَاسَة، وكان يَسْتَكْثِرُ من المماليكِ ويُجْري عليهمُ الأرْزَاق ويفَرِّقُهم / على قُوَّادِه ليُطالِعُوهُ بأخْبَارِهم. وكان شَدِيدَ الهَيْبَة، ولم يكُنْ أحَدٌ يتَجَاسَرُ [288أ]

أن يُعَاقِبَ غُلامًا ولا خَادِمًا إلَّا أنْ يَرْفَعه إلى حُجَّابِه[1].

استيلاءُ ابنِ سَامَانَ على طَبَرِسْتَانَ من يَدِ العَلَويِّ ومَقْتَلُه

ولمَّا بَلَغَ مُحَمَّدَ بنَ زَيْدٍ العَلَوِيَّ صَاحِبَ طَبَرِسْتَانَ والدَّيْلَم ما وَقَعَ بعَمْرِو بنِ اللَّيْثِ وأنَّه أُسِر، طَمِعَ هو في خُرَاسَان، وظَنَّ أنَّ إسْمَاعِيلَ لا يَتَجَاوَزُ عَمَلَه. فسَارَ إلى جُرْجَان، وبَعَثَ إليه إسْمَاعِيلُ بالكَفِّ، فأبَى. فجَهَّزَ لحَرْبِه مُحَمَّدَ بنَ هَارُون، وكان من قُوَّادِ رَافِعِ بنِ اللَّيْث. واسْتَأْمَن إلى عَمْرٍو ثُمّ إلى إسْمَاعيلَ فنَظَمَهُ في قُوَّادِه ونَدَبَه الآنَ لحَرْبِ مُحَمَّدِ بن زَيْد، فسَارَ لذلك. ولَقِيَه على بابِ جُرْجَانَ فاقْتَتَلُوا قِتالاً شَدِيدًا، وانْهَزَمَ مُحمدُ بنُ هَارُونَ أوّلاً، وافْتَرَقَت عَسَاكِرُ مُحَمَّدِ بنِ زَيْدٍ على النَّهْب، ثم رَجَعَ هو وأصْحَابُه، وانْهَزَمَ مُحَمَّدُ بنُ زَيْدٍ وجُرِحَ جِرَاحَاتٍ فَاحِشَةً هَلَكَ منها لأيَّامٍ، وأُسِرَ ابنُه زَيْدٌ، وبَعَثَ به إسْمَاعِيلُ إلى بُخَارى وأَجْرَى[2] عليه. وغَنِمَ ابنُ هَارُونَ مُعَسْكَرَهم، ثم سَارَ إلى طَبَرِسْتَان فَمَلَكَها[3]، ووَلَّاهُ إسْمَاعيلُ عليها، وصَارَت خُرَاسَانُ وطَبَرِسْتَانُ لبني سَامَان، واتَّصَلَت لهم دَوْلَةٌ نَذْكُرُ سِيَاقَةَ أخْبَارِهَا عندَ إفْرَادِ دَوْلَتِهم بالذِّكْرِ كما شَرَطْنَاه في تَأْلِيفِنَا.

(أ) ساقطة من ص.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 500-502.

(2) في الكامل: وحُمل زيد بن محمد إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه ووسع في الإنزال عليه وأنزله بخارى 7: 504.

(3) الكامل في التاريخ 7: 504.

ولايةُ عليِّ بنِ المُعْتَضِد على الجَزِيرَةِ والثُغُور

ولمَّا مَلَكَ المُعْتَضِدُ آمِدَ من يَدِ ابنِ الشَّيْخِ -كما قَدَّمْناه- سَارَ إلى الرَّقَّة وتَسَلَّمَ قِنَّسْرِينَ والعَوَاصِمَ من يدِ عُمَّالِ هَارُونَ بنِ خُمَارَوَيْه، لأنَّه كان كَتَبَ إليه أن يُقَاطِعَه على الشَّام ومِصرَ ويُسَلِّمَ إليه أعْمَالَ قِنَّسْرِين، ويحمِلَ كلَّ سَنَةٍ أربعَ مائةِ ألفِ دِينَارٍ وخَمسِينَ ألْفًا. فأجَابَه المُعْتَضِدُ وسَارَ من آمِدَ إلى الرَّقَّة فأنْزَلَ بها ابنَه عليًّا ـ الذي لَقَّبَهُ بعدَ ذلك بالمُكْتَفِي ـ وعَقَدَ له على الجَزِيرَة وقِنَّسْرِينَ والعَوَاصِم سَنَةَ ستٍّ وثمانين. واسْتَكْتَبَ له الحَسَنَ بنَ عَمْرٍو(أ) النَّصْرَانِيَّ، واسْتَقْدَمَ وهُوَ بالرَّقَّة رَاغِبًا مَوْلَى المُوَفَّق من طَرَسُوسَ، فقَدِمَ عليه وحَبَسَه وحَبَسَ مَكْنُونًا غُلامَه واسْتَصْفَى أمْوَالَها. ومَاتَ رَاغِبٌ لأيَّامٍ من حَبْسِه، وقد كان رَاغِبٌ اسْتَبَدَّ بطَرَسُوسَ وتَرَكَ الدُّعاءَ لهارُونَ بنِ خُمارَوَيْه،/ ودَعَا لبَدْرٍ مَوْلَى المُعْتَضِد. ولمَّا جاءَ أحمدُ بنُ طُغَانَ للفِدَاءِ سَنَةَ ثَلاثٍ وثمانين تَنَازَعَ معَه رَاغِبٌ، فرَكِبَ أحمدُ البَحْرَ في رُجُوعِه ولم يُعَرِّجْ على طَرَسُوس، وتَرَكَ بها دُمْيَانَةَ غُلامَ بازمَار وأمَدَّه، فقَوِيَ وأنْكَرَ على رَاغِبٍ أفعَالَه فحُمِلَ دُمْيَانَةُ إلى بَغْدَاد، واسْتَبَدَّ رَاغِبٌ إلى أنِ اسْتَدْعَاهُ المُعْتَضِدُ ونَكَبَه كما قُلْنَاه، ووَلَّى ابنَ الأخْشَاد على طَرَسُوسَ فمَاتَ السَنَةَ. واسْتَخْلَفَ أبا ثَابِتٍ وخَرَجَ سَنَةَ سَبْعٍ وثَمانِينَ غَازِيًا فأُسِرَ، ووَلَّى النَّاسُ عليهم مَكانَه عليَّ بنَ الأعْرَابِيِّ. [288 ب]

ولَحِقَ بمَلَطْيَةَ في هذه السَّنَة وَصِيفٌ مَوْلَى محمَّدِ بنِ أبي السَّاج من بَرْذَعَة،

(أ) الكامل: الحسين بن عمرو.

وكَتبَ إلى المُعْتَضِد يَسْأله وِلايَةَ الثُّغور وقد وَاطَأَ صَاحِبَه أنْ يَسِيرَ إليه إذا وَلِيَها فيَقْصِدَانِ ابنَ طُولُونَ ويَمْلِكانِ مِصْرَ من يَدِه. وظَهَرَ المُعْتَضِدُ على ذلك فسَارَ لاعْتِرَاضِه، وقَدَّمَ العَسَاكِرَ بينَ يَدَيْه، فأخَذُوه بعَيْنِ زَرْبَى وجاءوا به إلى المُعْتَضِدِ فحَبَسَه، وأمَّنَ عَسْكَرَه، ورَحَلَ إلى قُرْبِ طَرَسُوسَ واسْتَدْعَى رُؤسَاءَها وقَبَضَ عليهم بمُكاتَبَتِهم وَصِيفًا، وأمَرَ بإحْرَاقِ مَرَاكِبِ طَرَسُوسَ بإشَارَةِ دُمْيَانَة، واسْتَعْمَلَ على أهْلِ الثُّغور الحَسَنَ بنَ عليّ كُورَه وسَارَ إلى أنْطَاكِيَة وحَلَبَ، ورَجَعَ منها إلى بَغْدَادَ، وقَتَلَ وَصِيفًا وصَلَبَه.

واسْتَقْدَمَ المُكْتَفي بعدَ وَفَاةِ المُعْتَضِد الحَسَنَ بنَ عليّ، ووَلَّى على الثُّغُورِ مُظَفَّرَ ابنَ حَاج. ثم شَكَا أهْـلُ الثَّغْرِ منه فعُزِلَ ووُلِّيَ أبُو العَشَائِرِ أحمدُ بنُ نَصْرٍ سَنَةَ تِسْعين[1].

خَبَرُ الأعْرَاب

وفي سَنَةِ سِتٍّ وثمانين اعْتَرَضَت طيِّئٌ رَكْبَ الحَاجِّ بالأُجَيْفِر[2]، وقَاتَلُوه فظَفِرَ بهم ونَهَبُوا أمْوَالَ التُّجَّار ما قِيمَتُه ألْفَا ألْفِ دِينَار، ثم اعْتَرَضُوا الحَاجَّ كذلك سَنَةَ سبعٍ وثمانِينَ بالمَعْدِنِ فهَزَمَهُم الحَاجُّ وسَلِمُوا[3].

(1) الكامل في التاريخ 7: 495، 497، 498، مروج الذهب 5: 170-171.
(2) الأُجَيْفِر. مَوْضِعٌ في أسْفَل السَّبُعَان من بلاد قَيْس، هو لبني أسد. (معجم البلدان 1: 106).
(3) الكامل في التاريخ 7: 495-496، 508.

تَغَلُّبُ ابنِ اللَّيْث على فَارِسَ وإخْرَاجُ بَدْرٍ إيَّاه

وفي فَاتِحِ ثَمانٍ وثَمانِينَ جاءَ طَاهِرُ بنُ محمَّدِ بنِ عَمْرِو بن اللَّيْث في العَسَاكِرِ إلى بِلادِ فَارِس، وأخْرَجَ منها عامِلَ المُعْتَضِد، وهو عِيسى النُّوشَرِيُّ، كان على أَصْبَهَان، فوَلَّاه المُعْتَضِدُ فَارِسَ وسَارَ إليها، فَجَاءَه طَاهِرٌ ومَلَكَها. وكَتَبَ إليه إسْمَاعِيلُ صَاحِبُ ما وَرَاء النَّهْرِ بأنَّ/ المُعْتَضِدَ وَلَّاهُ سِجِسْتَان، وأنَّه على المَسِيرِ إليها، فسَارَ إلى سِجِسْتَانَ لذلك، وعَقَدَ المُعْتَضِدُ لبَدْرٍ مَوْلاه على فَارِسَ، وأمَرَه بالمَسِيرِ إليها، فسَارَ وهَرَبَ عُمَّالُ طَاهِرٍ عنها ومَلَكَها بَدْرٌ وجَبَى خَرَاجَها[1]. [289أ]

ثم مَاتَ المُعْتَضِدُ وسَارَ بَدْرٌ عن فَارِسَ، فقُتِلَ بوَاسِطَ، وقَاطَعَ طَاهِرٌ بِلادَ فَارِسَ على مَالٍ يحمِلُه، فقَلَّدَه المُكْتَفِي وِلايَتَها سَنَةَ تِسْعِين[2].

الوِلاياتُ في النَّواحِي

كان أكثَرُ النَّوَاحِي في دَوْلَةِ المُعْتَضِدِ مُتَغَلَّبًا عليها، كخُرَاسَانَ وما وَرَاءَ النَّهْرِ لابنِ سَامَان، والبَحْرَيْنِ لِلقَرَامِطَة، ومِصرَ لابنِ طُولُون، وإفْرِيقِيَّةَ لابنِ الأغْلَب، وقد ذكَرْنا مَن وَلِيَ المَوْصِلَ.

(1) الكامل في التاريخ 7: 509.

(2) المصدر نفسه 7: 528.

وفي سَنَة خَمْسٍ وثمانينَ وَلّى المُعْتَضِدُ عليها وعلى الجزيرة والثُّغُورِ الشّامِيَّة فاتِكًا مَوْلاه. ثم مَلَكَ آمِدَ من يَدِ ابنِ الشَّيْخ وجَعَلَها لابنِه عليّ المُكْتَفي وأنْزَلَه الرَّقَّة ـ كما ذكرنا ـ وعَقَدَ له على الثُّغُور. ثم عَقَدَ بَعْدَه للحَسَنِ بنِ عليّ كُورَه، ووَلّى على فارِسَ بَدْرًا مَوْلاه.

ومَاتَ إسْحَاقُ بنُ أيُّوب بن عُمَر بنِ الخَطّاب التغْلَبيُّ العَدويُّ أميرُ دِيَار رَبيعَة، فوَلّى المُعْتَضِدُ مَكانَه عبدَ الله بنَ الهَيْثَم بنِ عبدِ الله بن المُعَمَّر[ا].

وفي سَنَةِ ثَمانٍ وثمانين ظَهَر باليَمَن بَعْضُ العَلَوِيِّينَ وتَغَلَّبَ على صَنْعَاء، فَجَمَعَ له بنو يُعْفِرَ وقَاتَلُوه فهَزَمُوه وأسَرُوا ابنَه، ونَجَا في نَحوِ خَمْسينَ فارِسًا، ومَلَكَ بنو يُعْفِرَ صَنْعَاءَ وخَطَبُوا فيها للمُعْتَضِد[1].

وهَلَكَ مُحَمَّدُ بنُ أبي السّاج في هذه السَّنَة، فولّى أصْحَابُه ابنه دُيُوداد. ونازَعَه عَمُّه يُوسُف وأوْقَع بابنِ أخيه وهَزَمَه، ومَضَى إلى بَغْدَادَ على طَريق المَوْصِل، واسْتَقَلَّ يُوسُف بمُلْكِ أذْرَبيجان، وعَرَضَ على ابنِ أخِيه المُقَام عنده فأبَى[2].

(ا) كذا ضبطت في ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 501.
ويُعْفِر، بضمّ الياء وكسْر الفاء، ليست إلاّ في قحطان والعماليق ومَنْ كان من العَرَب العاربة، أمّا في سائر العرب فيَعْفُر مثل يَشْكُر ويَذْكُر (الإكليل للهمداني 2: 71-72)، أسْرَةٌ سُنِّيَة حكمت اليمن بين سنتي 213-393هـ/828-1002م (راجع عنهم: R. DAGHFOUS, "Une dynastie yémenite autonome: Les Yu'fûrides (213-393/828-1002)", Les Cahiers de Tunisie XXX (1982), pp. 43-125; G. REX SMITH, *EI^2* art. *Yu'fûrides* XI, pp. 371-72).

(2) الكامل في التاريخ 7: 509.

وقلّد المُعتَضِدُ لأوّلِ خِلافتِه دِيوانَ المَشرِق لمحمّدِ بن دَاوُدَ بن الجَرَّاح، عِوَضا من أحمدَ بنِ محمَّدِ بن الفُرات، ودِيوانَ المغرب عليَّ بنَ عِيسَى بن دَاوُد بن الجَرَّاح، ومَاتَ وَزِيرُه عُبَيْدُ الله بنُ سُلَيمان بنِ وَهْبٍ فولّى ابنه أبا القَاسِم مَكانَه.

الصَّـوائِفُ

في سَنَة خَمْسٍ وثمانين غزَا رَاغِبٌ، مَوْلَى المُوَفَّق، من طَرَسُوسَ في البَحْر، فغَنِمَ مَرَاكِبَ للرُّوم[أ] قَتَلَ فيها نحوًا من ثَلاثَةِ آلافٍ وأحْرَقَها. وخَرَجَ الرُّومُ سَنَةَ سَبْعٍ وثَمانِينَ ونَازَلُوا طَرَسُوسَ، فقَاتَلَهُم أمِيرُها واتَّبَعَهُم إلى نَهَرِ الرِّحال[ب] فأسَرُوه[1].

[289ب] / وفي سَنَة ثَمَانٍ وثمانِينَ بَعَثَ الحَسَنُ بنُ عليّ كُورَه، صَاحِبَ الثُّغور، بالصَّائِفَة، فغَزَا وفَتَحَ حُصُونًا كَثِيرَةً وعَادَ بالأسْرَى، فخَرَجَ الرُّومُ في أثَرِه برًّا وبَحْرًا إلى كَيْسُومَ من نَوَاحِي حَلَب، فأسَرُوا نحوًا من خَمْسَةَ عَشَرَ ألفًا ورَجَعُوا[2].

(أ) ص: الروم. (ب) ح: الرجال.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 491، 497.
(2) المصدر نفسه 7: 510.

وَفَاةُ المُعْتَضِد وبَيْعَةُ ابنِه المُكْتَفِي

وفي سَنَة تِسْعٍ وثمانين، في رَبِيعٍ منها، تُوفِّي المُعْتَضِدُ بالله أبو العَبَّاس أحمدُ بنُ المُوفَّق بن المُتوكِّل، في ربيعٍ الآخِرِ سَنَةَ تِسعٍ وثمانين، واجْتَمعَ القُوَّاد: مُؤنِسٌ الخَادِمُ وبُوشْتَكِينُ وغيرُهما إلى الوَزيرِ القَاسِمِ بنِ عُبَيْدِ الله، وأحْضَرُوا القُضَاة: يُوسُفَ بنَ يَعْقُوب، وأبا عُمَرَ محمدَ بنَ يُوسُفَ المالِكِيّ، وتَوَلَّى غُسْلَه أبو عُمَر، وصلَّى عليه الوَزيرُ، ودَفَنَه في دَارِ محمَّدِ بن طاهرٍ لعَشْرِ سنينَ من وِلايتِه، وكَتَبُوا إلى ابنِه عليٍّ وهو بالرَّقَّة، فأخَذَ البَيْعَةَ على من كان هنالك، ووَضَعَ العَطَاءَ وسَارَ إلى بَغْدَاد، وبَعَثَ إلى النَّوَاحي بديارِ رَبِيعَة ومُضَرَ و*نَوَاحي العَـرَب*(أ) مَن يَضْبِطُها، وصار إلى بَغْدَاد فأمَرَ بهَدْمِ المَطَامِيرِ التي كان المُعْتَضِدُ اتَّخَذَها للعُقُوبات، وأخْرَجَ عَمْرَو بنَ اللَّيْثِ من مَحْبِسِه فقَتَلَه، ويُقَالُ: بَلْ أرَادَ الإحْسَانَ إليه، فوَضَعَ الوَزيرُ عليه مَنْ قَتَلَه[1].

مَقْتَلُ بَدْرٍ مَوْلَى المُعْتَضِد

كان بَدْرٌ مَوْلَى المُعْتَضِد عَظِيمَ دَوْلَتِه، وكان القَاسِمُ بنُ عُبَيْدِ الله الوَزيرُ يَرُومُ نَقْلَ الخِلافَة في غيرِ بني المُعْتَضِد، وفَاوَضَ في ذلك بَدْرًا أيَّامَ المُعْتَضِد فأبَى، ولم

(أ) النسخ: المغرب، والمثبت من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 513-514، 516، وينظر عن خلافة المكتفي، تجارب الأمم 5: 23-50.

يُمكن القَاسِمَ مُخالَفتَه. فلمَّا مَاتَ المُعْتَضِدُ كان بَدْرٌ بفَارِس، بَعَثَه إليها المُعْتَضِدُ لمَّا بَلَغه أنَّ طَاهِرَ بنَ محمَّدِ بن عَمرِو بن اللَّيْثِ غَلَبَ عليها، فبَعَثَ بَدْرًا ووَلَّاه. فلمَّا مَاتَ عَقَدَ الوَزِيرُ البَيْعَةَ لابنِه المُكْتَفِي، وخَشِيَ من بَدْرٍ فيما اطَّلَعَ عليه منه، فأعْمَلَ الحِيلَةَ في أمْرِه. وكان المُكْتَفِي أيضًا يَحْقِدُ لبَدْرٍ كثيرًا من مَنَازِعِهِ معه أيَّامَ أبِيه، فدَسَّ الوَزِيرُ إلى القُوَّادِ الَّذين مع بَدْرٍ بمُفَارَقَتِه، ففَارَقَه العَبَّاسُ بنُ عَمرِو الغَنَوِيُّ، ومحمَّدُ بنُ إسْحَاقَ ابنِ كُنْدَاج، وخَاقَانُ المُفْلِحِيُّ، وغيرُهم، فأحْسَنَ المُكْتَفِي إليهم.

وسَارَ بَدْرٌ إلى وَاسِطَ، فوَكَّلَ المُكْتَفِي بدَارِه وقَبَضَ على أصْحَابِه وأمَرَ بمَحْوِ اسْمِه من التِّرَاس والأعْلَام. وبَعَثَ حُسَيْنَ بنَ عليّ كُورَه في جَيْشٍ إلى وَاسِط، وعَرَضَ/ على بَدْر ما شَاءَ من النَّوَاحي، فقال: لابُدَّ لي أنْ أشَافِهَ مَوْلايَ بالقَوْل، [290أ] فخَوَّفَ الوَزِيرُ المُكْتَفِيَ غَائِلَتَه ومَنَعَه من ذلك، وشَعَرَ أنَّ بَدْرًا بَعَثَ عنِ ابنهِ هِلالٍ فوَكَّلَ به. ثم بَعَثَ الوَزِيرُ عن القَاضي أبي عُمَرَ المَالِكِيِّ وحَمَّلَه الأمَانَ إلى بَدْر، فجاء بأمَانِه، وبَعَثَ الوَزِيرُ مَنِ اعْتَرَضَه بالطَّرِيق فقَتَلَه لسِتٍّ خَلَوْنَ من رَمَضَان، وحَمَلَ أهْلُه شِلْوَه إلى مَكَّةَ فدُفِنَ بها لوَصِيَّتِه بذلك، وحَزِنَ القَاضِي أبو عُمَرَ لإخْفَارِ ذِمَّتِه(1).

اسْتِيلاءُ محمَّدِ بنِ هَارُونَ على الرَّيِّ، ثمَّ أسْرُه ومَقْتَلُه

قد تَقَدَّم لنا ذِكْرُ محمَّدِ بن هَارُونَ، وأنَّه كان من قُوَّادِ رَافِعِ بن هَرْثَمَةَ، ونَظَمَه إسْمَاعيلُ بنُ أحمد، صَاحِبُ ما وَرَاءَ النَّهْر، في قُوَّادِه وبَعَثَه لحَرْبِ محمَّدِ بنِ زَيْدٍ فهَزَمَه

(1) الكامل في التاريخ 7: 518.

واسْتَوْلَى على طَبَرِسْتَان، ووَلَّاه إسْمَاعيلُ عليها. ثم انْتَقَضَ ودَعَا بدَعْوَةِ العَلَوِيَّة وبَيَّضَ[1]، وسَاعَدَه ابنُ حسَّان الدَّيْلَمِيّ. وبَعَثَ إسْمَاعيلُ العَسَاكِرَ لِقِتَالِ ابنِ حَسَّان فهَزَمُوه. وكان على الرَّيِّ من قِبَلِ المُكْتَفي أغْرَتَمُش التُّرْكي، فأسَاءَ السِّيرَةَ، فبَعَثَ أهلُ الرَّيِّ إلى مُحَمَّدِ بنِ هَارُون أن يَسِيرَ إليهم ويُوَلُّوه، فسَارَ وحَارَبَ أغْرَتَمُش فهَزَمَهُ وقَتَلَهُ وقَتَلَ ابْنَيْه وأخَاهُ كَيْغَلَغ، منَ القُوَّاد، واسْتَوْلَى على الرَّيِّ. وبَعَثَ المُكْتَفي مَوْلاه خَاقَانَ المُفْلِحِيَّ لوِلايَةِ الرَّيِّ في جَيْشٍ كَثِيفٍ فلم يَصِلْ إليها.

وبَعَثَ المُكْتَفي إلى إسْمَاعيلَ بوِلَايَةِ الرَّيِّ ومُحَارَبَةِ مُحَمَّدِ بن هَارُون، فسَارَ إسْمَاعيلُ إليه وهَزَمَه، فخَرَجَ عنِ الرَّيِّ إلى قَزْوِينَ وزَنْجَان، ثم لَحِقَ بطَبَرِسْتَان، واسْتَقَرَّ مَعَ ابنِ حَسَّان الدَّيْلَمِيِّ مستجيرًا به، ولمَّا مَلَكَ إسْمَاعيلُ الرَّيَّ وَلَّى على جُرْجَانَ مَوْلاه فارِسًا الكَبِيرَ، وألْزَمَه إحْضَارَ مُحَمَّدِ بنِ هَارُون، فكاتَبَه فارِسٌ وضَمِنَ له صَلاحَ الحَال، فقَبِلَ وانْصَرَفَ عن الدَّيْلَم إلى بُخَارَى، فبَعَثَ إسْمَاعيلُ منِ اعْتَرَضَه فقَيَّدَه وحُمِلَ إلى بُخَارَى مُقَيَّدًا فمَاتَ في الحَبْس بعدَ شَهْرَيْن، وذَلك في شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعين[2].

اسْتِيلاءُ المُكْتَفي على مِصْر، وانْقِرَاضُ دَوْلَةِ بني طُولُون

كان مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمان من قُوَّادِ بني طُولُونَ وكَاتِبَ جَيْشِهم، واسْتَوْحَشَ منهم فلَحِقَ بالمُعْتَضِدِ وصَرَّفُوه في الخِدَم،/ وكان القَرَامِطَةُ قد عاثُوا في بِلادِ الشَّام [290 ب]

(1) أي اتَّخذ البَيَاض شِعَار العَلَويين.

(2) الكامل في التاريخ 7: 527، ومروج الذهب 5: 167، 173.

وحَاصَرُوا عَامِلَ بني طُولُونَ بدِمَشْق، وهـو طُغج بنُ جُف، وقَتَلُوا قُـوَّادَه. وسَـارَ المُكْتفِي إليهم فنَزَلَ الرَّقَّة، وبَعَثَ محمدَ بنَ سُـلَيْمان لحَرْبِهم ومعَـهُ الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَان والعَسَاكِرُ وبنو شَيْبَان، فلَقِيهم قُرْبَ حَمَاةَ فهَزَمَهم واتَّبَعَهم إلى الكُوفَة. وقَبَضَ في طَرِيقه على أميرِهم صَاحبِ الشَّامَةِ فبَعَثَ به إلى المُكْتَفِي ، فرَجَعَ إلى بَغْدَاد. وخَلَّفَ محمَّدَ بنَ سُلَيْمانَ في العَسَاكِر، فتَتَبَّعَهم وأَسَرَ جَمَاعَةً منهم. وبينَما هـو يَرُومُ العَوْدَ إلى بَغْدَاد، جَاءَه كِتَابُ بَدْرٍ الحَمَّامِيّ، مَوْلى هَارُونَ بنِ خُمَارَوَيْه، ومحمَّدٍ فَائِقٍ صَاحِبِ دِمَشْق، يَسْتَقْدِمَانِه إلى البِلاد لعَجْزِ هَارُونَ عنها، فأنْهَى ذلك محمَّدُ بنُ سُلَيْمانَ عندَ عَوْدِهِ إلى المُكْتَفِي، فأعَادَه وأمَدَّه بالجُنُودِ والأَمْـوَال، وبَعَثَ دُمْيَانَةَ غُلامَ بازْمَارَ في الأسْطُولِ ليَدْخُلَ من فُوَّهَةِ النِّيل ويُحَاصِرَ مِصر، ولمَّا دَنَا من مِصْرَ كاتَبَ القُوَّادَ، وخَرَجَ إليه رَئِيسُهم بَدْرٌ الحَمَّامِيُّ وتَتَابَعَ منهم جَمَاعَةٌ، وبَرَزَ هَارُونُ لقِتَالِه فحَارَبَه أيَّامًا، ثم وَقَعَتْ بَعْضَ الأيَّام في مُعَسْكَرِهِ هَيْعَةٌ رَكِبَ إليها ليُسَكِّنَها، فأصَابَته حَرْبَةٌ مَاتَ منها، واجْتَمَعَ أَصْحَابُه على عَمِّه شَيْبَانَ وبَذَلَ الأَمْوَالَ فقَاتَلُوا معه. ثم جَاءَتْهُم كُتُبُ محمَّدِ بن سُلَيْمَانَ بالأمَانِ فأجَابُوه.

وخَالَفَ شَيْبَانُ إلى مِصرَ فاسْتَوْلَى عليها، وأسْتَأْمَنَ إليه شَيْبَانُ سِرًّا فأَمَّنَه ولَحِقَ به. ثم تَقَبَّضَ على بني طُولُونَ وحَبَسَهم واسْتَصْفَى أَمْوَالَهم، وذلك في صَفَرِ سَنَةَ ثنتَيْنِ وتِسْعين، وأمَرَهُ المُكْتَفِي بإشْخَاصِ آلِ طُولُونَ وأشْيَاعِهم من مِصرَ والشَّام ففَعَلَ، وسَارَ بهم إلى بَغْدَاد.

ووَلَّى المُكتَفِي على مصرَ عِيسى النُّوشَرِيّ، وخَرَجَ عليه إبراهيمُ الخَلَنْجِيُّ من قُوَّادِ بني طُولُون تَخَلَّفَ عن محمَّدِ بن سُلَيْمان، وكَثُرَ جَمْعُه، وسَارَ النُّوشَرِيُّ إلى الإسْكَنْدَرِيَّة عَجْزًا عن مُدَافَعَتِه، واسْتَوْلَى الخَلَنْجِيُّ على مصرَ. وبَعَثَ المُكْتَفِي بالجُنُود

مع فَاتِكٍ مَوْلى المُعْتَضِد وأحمدَ بنِ كَيْغَلَغ وبَدْرٍ الحَمَّاميِّ من قُوَّادِ بني طُولُون، فوَصَلُوا سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعين، وتَقَدَّم أحمدُ بنُ كَيْغَلَغ وجَمَاعَةٌ من القُوَّاد، فلَقِيَهم الخَلَنْجِيُّ قُرْبَ العَرِيش فهَزَمَهُم وقَوِيَ أَمْرُهُ. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى المُكْتَفي، فعَسْكَرَ ظاهِرَ بَغْدَاد، وانْتَهَت مُقَدِّمَتُهُ إلى تَكْرِيت، فلَقِيَه كِتَابُ فَاتِكٍ في شَعْبَانَ يذكُرُ أَنَّهم هَزَمُوا/ [291أ] الخَلَنْجيَّ بعدَ حُرُوبٍ مُتَّصِلَة، وغَنِمُوا عَسْكَرَه. ثم هَرَبَ واخْتَفَى بفُسْطَاطِ مصرَ، وجَاءَ مَن دَلَّ عليه فحُبِس، وكَتَبَ المُكْتَفي بحَمْلِهِ ومَن معَهُ إلى بَغْدَادَ فبَعَثُوا بهم وحُبِسُوا[1].

ابْتِداءُ دَوْلَةِ بني حَمْدَان[2]

وفي سَنَةِ اثنَتَيْنِ وتِسْعينَ عَقَدَ المُكْتَفي على المَوْصِلِ وأَعْمَالِها لأبي الهَيْجَاءِ عبدِ الله بنِ حَمْدَانَ بن حَمْدُونَ العَدَوِيِّ التَّغْلِبِيّ، فقَدِمَها أَوَّلَ المحرَّم. وجَاءَهُ الصَّرِيخُ من نِينَوَى بأنَّ الأَكْرَادَ الهَذْبَانِيَّة، ومُقَدَّمُهم محمَّدُ بنُ سَلال، قد أَغَارُوا على البِلادِ وعَاثُوا، فخَرَجَ في العَسَاكِرِ وعَبَرَ الجِسْرَ إلى الجانبِ الشَّرْقِيّ. ولَقِيَهم على الخَازِر[3] فقَاتَلَهم، وقُتِلَ مِن قُوَّادِهِ سِيَما الحَمْدَانِيُّ ورَجَعَ عنهم، وبَعَثَ إلى الخَلِيفَةِ يَسْتَمِدُّه

(1) الكامل في التاريخ 7: 535-536.

(2) الدَّوْلَةُ الحَمْدَانِيَّة . أسْرَةٌ حاكمةٌ من أصلٍ عربي يرجع إلى قبيلة تَغْلِب، حكمت في المَوْصِل وحَلَب بين سنتي 317-394هـ/929-1003م، وتُعَدّ مؤلفات كمال الدّين ابن العديم، المتوفى سنة 660هـ/1261م: "بُغْيَة الطَّلَب" و"زُبْدَة الحَلَب" من أهم مصادر هذه الحِقْبَة إضافة إلى "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر. ويراجع كذلك نهاية الأرب للنويري 26: 123-162؛ M. CANARD, *Histoire des Hamdanides de Jazira et de Syrie*, Alger 1951; ID., *EI*^{2} art. *Hamdanides* III, pp.128-33 ؛ فيصل السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، 1-2، بغداد 1973.

(3) الخَازِر : نهرٌ بين إزبل والموصل ثم بين الزَّاب الأعلى والموصل (معجم البلدان 2: 337).

فأبطأ عليه المَدَدُ إلى رَبيعٍ من سَنَة أرْبَعٍ؛ فلمَّا جاءَه المَدَدُ سَارَ إلى الهَذْبَانِيَّة وهم مُجْتَمِعُونَ في خَمسةِ آلافِ بَيْتٍ، فارْتَحَلُوا أمَامَه واعْتَصَمُوا بجَبَلِ السَّلَقِ المُشْرِفِ على الزَّاب، فحَاصَرَهم وفرَّقُوا، فخَذَلَه أميرُهُم محمَّدُ بنُ سَلالٍ بالمُرَاسَلة في الطَّاعَة والرَّهْن، وحَثَّ أصْحابَه خِلالَ ذلك في المَسِير إلى أذْرَبيجان، واتَّبَعُهم أبو الهَيْجَاء، فلَحِقَهم صَاعِدين إلى جَبَل القِنْدِيل فنَالَ منهم، وامْتَنَعُوا بذِرْوَتِه، ورَجَعَ أبو الهَيْجَاء عنهم فلَحِقُوا بأذْرَبيجان.

ووَفَدَ أبو الهَيْجَاءِ على المُكْتَفِي فأنْجَدَهُ بالعَسَاكِر، وعَادَ إلى المَوْصِل. ثم سَارَ إلى الأكْرَاد بجَبَلِ السَّلَق فدَخَلَه وحَاصَرَهم بقُنَّتِهِ، وطَالَ حِصَارُهم واشْتَدَّ البَرْدُ وعُدِمَتِ الأقْوَاتُ، وطَلَبَ محمَّدُ بنُ سلالٍ النَّجَاةَ بأهْلِه ووَلَدِه، فنَجَا، واسْتَوْلَى ابنُ حَمْدَانَ على أمْوالِهم وأهْلِيهم وأمَّنَهُم. ثم اسْتَأمَنَ محمَّدُ بنُ سلالٍ فأمَّنَه، وحَضَرَ عندَه وأقَامَ بالمَوْصِل، وتَتَابَعَ الأكْرَادُ الحَمِيديَّةُ مُسْتَأمِنِين، واسْتَقَامَ أمْرُ أبي الهَيْجَاءِ بالمَوْصِل.

ثم انْتَقَضَ سَنَةَ إحْدَى وثلاثِ مائة، فبَعَثَ إليه المُقْتَدِرُ مُؤْنسًا الخَادِمَ، فجَاءَه بنَفْسِه مُسْتَأمِنًا، ورَجَعَ به إلى بَغْدَاد، فقَبِلَه المُقْتَدِرُ وأكْرَمَه، وبَقِي ببَغْدَادَ إلى أنِ انْتَقَضَ أخُوهُ الحُسَيْنُ بدِيَارِ رَبِيعَةَ سَنَةَ ثَلاثٍ وثلاث مائة، وسَارَت إليه العَسَاكِرُ فجَاءُوا به أسِيرًا. [فَحَبَسَ][(أ)] المُقْتَدِرُ عند ذلك أبا الهَيْجَاءِ وأوْلادَه وجَمِيعَ إخْوَتِه بدَارِه، ثم أطْلَقَهم سَنَةَ خَمْسٍ وثلاثِ مائة[(1)].

(أ) ظ: حسن.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 538-540؛ نهاية الأرب 26: 123-125.

أخبار ابن اللَّيث بفارس

[291 ب] / قد تقدَّمَ لنا استِقْلالُ طَاهِرِ بن محمَّدِ بن عَمْرِو بن اللَّيثِ بِبِلادِ فَارِسَ، وأنَّ المُكْتَفِيَ عَقَدَ له عليها سَنَةَ تِسْعين، ثم إنَّه تَشَاغَلَ باللَّهْوِ والصَّيْد، وأعْرَضَ عن أمُورِ مُلْكِه. ومَضَى في بعض الأيَّام إلى سِجِسْتَانَ فوَثَبَ على فَارِسَ اللَّيْثُ بنُ عليِّ بن اللَّيث، وسُبْكري مَوْلَى عَمْرِو بنِ اللَّيث، فاسْتَوْحَشَ منهما بعضُ قُوَّادِهم يُعْرَفُ بأبي قَابُوسَ، وفَارَقَهُما إلى بَغْدَاد. وأحْسَنَ المُكْتَفِي إليه. ثم كَتَبَ إليه طَاهِرٌ في رَدِّ أبي قَابُوسَ إليه، أو يحتسبُ له ما معَهُ من أمْوَالِ الجِبَايةِ، فأعْرَضَ الخَلِيفَةُ عن ذلك[1].

الصَّوائفُ

وفي سَنَةِ إحْدَى وتِسْعِين خَرَجَ الرُّومُ إلى الثُّغُورِ في مائةِ ألْفٍ، وقَصَدَ جَمَاعَةٌ منهم الحَدَثَ. ثم غَزَا بالصَّائِفَة من طَرَسُوسَ القَائِدُ المعروفُ غُلامَ زرافة، ففَتَحَ مَدِينَةَ أَنْطَالِيَة واقْتَحَمَها عَنْوَةً فقَتَل خمسةَ آلافٍ من مُقَاتِلَتِهم وأَسَرَ مِثْلَهَا. واسْتَنْقَذَ من أسْرَى المُسْلِمِينَ مِثْلَها، وغَنِمَ ستّينَ من مَرَاكِبِ الرُّوم بما فيها من المَالِ والمَتَاع والرَّقِيق، فقَسَمَها معَ غَنَائِمِ أَنْطَالِيَة، فكان السَّهْمُ ألفَ دِينَار[2].

(1) الكامل في التاريخ 7: 546.

(2) المصدر نفسه 7: 533.

وفي سَنَةِ اثنَتَينِ وتِسعِين أغَارَ الرُّومُ على مَرْعَش ونَوَاحِيها، فخَرَجَ أهلُ المِصِّيصَة وأهلُ طَرَسُوسَ، فأُصِيبَ منهم جَمَاعَةٌ، فعَزَلَ المُكْتَفِي أبا العَشَائِرِ عن الثُّغُور، ووَلَّى رُسْتُمَ بنَ بُردوا، فكان على يَدَيْه الفِدَاءُ، وفُودِيَ أَلْفٌ من المُسْلِمِين[1].

ثم أغَارَتِ الرُّومُ سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسعِين على قُورُس: من أعْمَالِ حَلَب، وقاتَلَهُم أهلُها فانهَزَمُوا وقُتِلَ منهم خَلْقٌ، ودَخَلَها الرُّومُ فأحْرَقُوا جَامِعَها وأخَذُوا من بَقِيَ فيها[2].

وفي سَنَة أربع وتِسْعِينَ غَزَا ابنُ كَيْغَلَغ [الرُّومَ](أ) من طَرَسُوس فأصَابَ من الرُّوم أربعةَ آلافِ سَبْيًا، واستَأمَنَ بِطْرِيقٌ من الرُّوم فأسْلَمَ. ثم عَاوَدَ ابنُ كَيْغَلَغ الغَزْوَ، وبَلَغَ شَكَنْد وافتَتَحَها، وسَارَ إلى اللَّيْس فغَنِمَ خَمْسِينَ أَلْفَ رَأس، وقَتَلَ من الرُّوم خَلْقًا.

ثم اسْتَأمَنَ البِطْرِيقُ[3] المُتَوَلِّي الثُّغُورَ من جِهَة الرُّوم إلى المُكْتَفِي، وخَرَجَ بمائتَيْ أسِيرٍ من المُسْلِمِين، وكان مَلِكُ الرُّوم قد شَعَرَ بأمْرِه وبَعَثَ من يَقْبِضُ عليه، فقَتَلَه الأَسْرَى المُسْلِمُونَ ومَن جَاءَ للقَبْضِ عليه وغَنِمُوا عَسْكَرَهُم. واجْتَمَعَ الرُّومُ على مُحَارَبَةِ البِطْرِيق أنْدُوقَس، وزَحَفَ المُسْلِمُونَ لخَلاصِه وخَلاصِ مَن معَهُ من الأَسْرَى فبَلَغُوا قُونِيَة/ وخَرَّبُوها، وانْصَرَفَ الرُّومُ، ومَرَّ المُسْلِمُونَ في طَرِيقِهم بِحِصْنِ أنْدُوقَس، فخَرَجَ معَهم بأهْلِه، وسَارَ إلى بَغْدَاد[4]. [292أ]

(أ) زيادة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 7: 537.

(2) المصدر نفسه 7: 546-547.

(3) اسمه : أندرونِقُس.

(4) الكامل في التاريخ 7: 552.

وفي سَنَة إحْدَى وتِسْعين خَرَجَ التُّرْكُ إلى ما وَرَاءَ النَّهْر في خَلْقٍ لا يُحْصَوْن، فبَعَثَ إليهم إسْمَاعيلُ عَسْكرًا عَظِيمًا من الجُنْدِ والمُتَطَوِّعَة فكَبَسُوهم واسْتَبَاحُوهُم[1].

وفي سَنَةِ ثَلاثٍ وتِسْعِين افْتَتَحَ إسْمَاعِيلُ مَدائنَ كثيرةً من بِلادِ التُّرْكِ والدَّيْلَم[2].

الوِلايَاتُ في النَّـوَاحِي

قد ذَكَرْنا وِلاياتِ خَاقَانَ المُفْلِحيِّ على الرَّيّ، ثم إسْمَاعيلَ بنِ أحمدَ بنِ سَامَانَ بَعْدَه، ووِلايَةَ عِيسى النُوشَرِيِّ على مِصْرَ بعدَ انْتِزَاعِها من بني طُولُون، ووِلايَةَ أبي العَشَائِرِ أحمدَ بنِ نَصْرٍ على طَرَسُوسَ، وعَزْلَ مُظَفَّرِ بن حَاجٍّ عنها سَنَةَ تِسْعين، ثمّ عَزْلَ أبي العَشَائِرِ ووِلايَةَ رُسْتُمَ بنِ بَرْدُوا سَنَةَ ثنتَيْنِ وتِسْعين، وانْتِزَاعَ اللَّيْثِ بن عليٍّ ابنِ اللَّيْث بِلادَ فَارِسَ من يَدِ طَـاهِرِ بنِ محمَّدٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعين بعدَ أنْ كان المُكْتَفي عَقَدَ له عليها سَـنَةَ تِسْعين، ووِلَايَةَ أبي الهَيْجَاءِ عبدِ الله بنِ حَمْدَان على المَوْصِلِ سَنَةَ ثَلاثٍ وتِسْعين.

وفي هذه السَّنَة سارَ[أ] دَاعِيَةُ القَرَامِطَةِ باليَمَن إلى صَنْعَاءَ فَمَلَكَها واسْتَبَاحَها، وتَغَلَّبَ على الكَثِيرِ من مُدُنِ اليَمَن. ثم اجْتَمَعَ أهْلُ اليَمَنِ فَحَارَبُوه فهَزَمُوه، وانْحَازَ إلى

(أ) في ح : صار .

(1) الكامل في التاريخ 7: 533.

(2) المصدر نفسه 7: 547.

أطْرَافِ اليَمَن، وبَعَثَ المُكْتَفي المُظَفَّرَ بنَ الحاجِّ في شَوَّالٍ من هذه السَّنَة إلى عَمَلِه باليَمَنِ فأقَامَ به[1].

وفي سَنَةِ إحْدَى وتِسْعينَ تُوفِّي الوَزِيرُ القَاسِمُ بنُ عُبيدِ الله، واسْتُوزِرَ مَكانَه العَبَّاسُ بنُ الحَسَن[2].

وَفَاةُ المُكْتَفي وبَيْعَةُ المُقْتَدِر

ثم تُوفِّي المُكْتَفي بالله: أبو محمَّدٍ عليُّ بنُ المُعْتَضِد، في شَهْرِ [ذي القَعْدَة][أ] سَنَةَ خَمْسٍ وتِسْعين، لِستٍّ سِنِينَ ونِصْفٍ من وِلايَتِه، ودُفِنَ بدَارِ محمَّدِ بنِ طَاهِر من بَغْدَادَ بعدَ أنْ عَهِدَ بالأمْرِ إلى أخِيه جَعْفَر[3].

وكان الوَزِيرُ العَبَّاسُ بنُ الحَسَن قدِ اسْتَشَار أصْحَابَه فيمن يُوَلِّيه، فأشَارَ محمَّدُ ابنُ دَاوُدَ بن الجَرَّاح بعَبْدِ الله بن المُعْتَزّ، ووَصَفَه بالعَقْل والرَّأي والأدَبِ، وأشَارَ أبو الحَسَن بنُ محمَّدِ بن الفُرَات بجَعْفَرِ بن المُعْتَضِد بعدَ أنْ أطَالَ في مُفَاوَضَتِه، وقال له: اتَّقِ الله ولا تُوَلِّ إلَّا مَن خَبَرْتَه، ولا تُوَلِّ البَخِيلَ فيُضَيِّقَ على النَّاس في الأرْزَاق، ولا الطَّمَّاعَ فيَشْرَهَ إلى أمْوَالِ النَّاس، ولا المُتَهَاوِنَ بالدِّين فلا يَجْتَنِبَ المآثِمَ ولا

(أ) بياض في النسخ، والمثبت من ابن الأثير.

---

(1) وهو المعروف بعَليّ بن الفَضْل القَرْمَطِيّ، الكامل في التاريخ 7: 546.
(2) الكامل في التاريخ 7: 533.
(3) المصدر نفسه 8: 8.

[292 ب] يَطْلُبَ الثَّوَاب، ولا تُوَلِّ مَن خَبَرَ النَّاسَ وعَامَلَهم/ واطَّلَعَ على أحْوَالِهم، فيَسْتَكْثِرَ على النَّاسِ نِعْمَةً. وأصْلَحُ المَوْجُودِينَ مع ذلك جَعْفَرُ بنُ المُعْتَضِد. قال: وَيْحَكَ! هو صَبِيٌّ، فقال: وما حَاجَتُنا بمَن لا يَحْتَاجُ إلَيْنَا ويَسْتَبِدُّ عَلَيْنا؟! ثم اسْتَشَارَ عليَّ بنَ عِيسَى فقال: اتَّقِ الله وانْظُرْ مَن يَصْلُح. فمالَت نَفْسُ الوَزِير إلى جَعْفَرٍ كما أشَارَ ابنُ الفُرَات، وكما أوْصَى أخُوهُ. فبَعَثَ صَافِيًا الحُرَمِيّ فأتَى به من دَارِه بالجَانبِ الغَرْبِي، ثم خَشِيَ عَلَيْه غَائِلَةَ الوَزِير فتَرَكَه في الحَرَّاقَة. وجَاءَ إلى دَارِ الخِلافَة، فأخَذَ له البَيْعَةَ على الحَاشِيَةِ، ثم جَاءَ به مِنَ الحَرَّاقَةِ وأقْعَدَه على الأرِيكَة. وجَاءَ الوَزِيرُ والقُوَّادُ فبَايَعُوه، ولُقِّبَ المُقْتَدِرَ بالله، وأَطْلَقَ يَدَ الوَزِيرِ في المَالِ، وكان خَمْسَةَ عشَرَ ألفَ ألفِ دِينَار، فأخْرَجَ منه حَقَّ البَيْعَة واسْتَقَام الأمْرُ[1].

خَلْعُ المُقْتَدِرِ بابْنِ المُعْتَزِّ وإعَادَتُه

ولمَّا بُويِعَ المُقْتَدِرُ - وكان عُمُرُه ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً - اسْتَصْغَرَهُ النَّاسُ، وأجْمَعَ الوَزِيرُ خَلْعَهُ والبَيْعَةَ لأبي عبدِ الله مُحَمَّدِ بن المُعْتَمِد، ورَاسَلَه في ذلك فأجَابَ، وانْتَظَرَ قُدُومَ فَارِسٍ حَاجِبِ إسْمَاعِيلَ بن سَامَانَ، كان قدِ انْتَقَضَ على مَوْلاه وسَارَ عنه، فاسْتَأذَنَ في القُدُوم إلى بَغْدَادَ فأُذِنَ له، وقَصَدَ الاسْتِعَانَةَ به على مَوَالي المُعْتَضِد. وأبطأ فَارِسٌ عليه، وهَلَكَ أبو عبدِ الله بنُ المُعْتَمِد خِلالَ ذلك، فصَرَفَ الوَزِيرُ وَجْهَهُ لأبي الحُسَيْنِ بنِ المُتَوَكِّل فمَاتَ، فأقَرَّ المُقْتَدِرَ، ثم بَدَا له وأجْمَعَ عَزْلَه،

(1) الكامل في التاريخ 8: 8-10، وينظر كذلك تجارب الأمم 5: 51-326.

واجتَمَعَ على ذلك معَهُ القُوَّادُ والقُضاةُ والكُتَّاب، وراسَلُوا عبدَ الله بنَ المُعْتَزّ فأجَابَهم، على أنْ لا يكُون قِتالٌ. فأخْبَرُوه باتّفَاقِهم، وأنْ لا مُنَازِعَ لهم. وكان المُتَولُّون لذلك: الوَزِيرَ العَبَّاسَ بنَ الحَسَن ومحمَّدَ بنَ دَاوُدَ بن الجَرَّاح وأبا المُثَنَّى أحمدَ بنَ يَعْقُوبَ القَاضِي، ومن القُوَّاد: الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَان وبَدْرٌ الأعْجَمِيُّ ووَصِيفُ بنُ صَوارْتَكِين.

ثم رأى الوَزِيرُ أمْرَه صَالِحًا مع المُقْتَدِر، فبَدَا له في ذلك، فأجْمَعَ الآخَرُون أمْرَهُم، واعْتَرَضَه الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَان وبَدْرٌ الأعْجَمِيُّ ووَصِيفٌ في طَرِيقِ بُسْتَانِه، فقَتَلُوه لعَشْرٍ بقِينَ من رَبِيعٍ الأوَّل سَنَةَ سِتٍّ وتِسْعِين، وخَلَعُوا المُقْتَدِرَ من الغدِ وبَايَعُوا لابنِ المُعْتَزّ.

وكان المُقْتَدِرُ في الحَلْبَة يَلْعَبُ الأُكْرَةَ، فلمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ الوَزِير، دَخَلَ الدَّار وأغْلَقَ الأبْوَابَ،/ وجاءَ الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَانَ إلى الحَلْبَة ليَفْتِكَ بهِ فلم يَجِدْه، فنَدِمَ. [293أ] وأحْضَروا ابْنَ المُعْتَزّ فبَايَعُوه، وحَضَرَ النَّاسُ والقُوَّادُ وأرْبَابُ الدَّوَاوِين، سِوى أبي الحَسَن بنِ الفُرَات وخَوَاصِّ المُقْتَدِرِ فلم يَحْضُرُوا.

ولُقِّبَ ابنُ المُعْتَزّ المُرْتَضِيَ بالله، واسْتَوْزَر محمَّدَ بنَ دَاوُدَ بن الجَرَّاح، وقلَّدَ عليَّ ابنَ مُوسَى الدَّواوِين، وبَعَثَ إلى المُقْتَدِرِ بالخُرُوج من دَارِ الخِلافَة، فطَلَبَ الإمْهَالَ إلى اللَّيل. وقال مُؤْنِسٌ الخَادِم، ومُؤْنِسٌ الخَازِن، وعَرِيبٌ الخَالُ وسَائِرُ الحَاشِيَة: لابُدّ أنْ نُبْلِيَ عُذْرًا فيما أصَابَنا.

وبَاكَرَ الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَان من الغدِ دَارَ الخِلافَة، فقَاتَلَه الغِلْمَانُ والخَدَمَةُ من وَرَاءِ السُّورِ وانْصَرَف. فلمَّا جَنَّ اللَّيلُ سَارَ إلى المَوْصِلِ بأهْلِه، وأجْمَعَ رأيُ أصْحَابِ المُقْتَدِرِ على قَصْدِ ابنِ المُعْتَزّ في دَارِه، فتَسَلَّحُوا ورَكِبُوا في دِجْلَة، فلمَّا رآهُم أصْحَابُ

ابنِ المُعتزّ اضطَرَبُوا وهَرَبُوا، واتّهَمُوا الحُسَيْنَ بنَ حَمْدان أنّه قد واطَأَ المُقتدِرَ عليهم، ورَكِبَ ابنُ المُعتزّ ووَزِيرُه محمّدُ بنُ دَاوُدَ بن الجَرَّاح وخَرَجُوا إلى الصَّحْرَاءِ ظَنًّا منهم أنّ الجُنْدَ الذين بايَعُوهم يَخْرُجُونَ معهم، وأنّهم يَلْحَقُونَ بسَامَرَّاءَ فيَمْتَنِعُونَ بها، فلمّا تَفَرَّدُوا بالصَّحْرَاء رَجَعُوا إلى البَلَد وتَسَرَّبُوا في الدُّور، واختَفَى ابنُ الجَرَّاح في دَارِه، ودَخَلَ ابنُ المُعتزّ ومَوْلاه دارَ أبي عبدِ الله بنِ الجَصّاص مُسْتَجِيرًا به.

وثَارَ العَيَّارُونَ والسَّفِلُ يَنْتَهِبُون، وفَشَا القَتْلُ، ورَكِبَ ابنُ عَمْرَوَيْهِ صَاحِبُ الشُّرْطَة، وكان مِمّن بَايَعَ ابنَ المُعتزّ، فنَادَى بشِعَارِ المُقتدِر مُغَالِطًا، فقَاتَلَه العَامَّةُ فهَرَبَ واستَتَرَ، وأمَرَ المُقتدِرُ مُؤْنِسًا الخَازِنَ فزَحَفَ في العَسْكَرِ وقَبَضَ على وَصِيفِ بنِ صُوارْتَكِين فقَتَلَه، وقَبَضَ على القَاضي أبي عَمْرٍو عليِّ بنِ عِيسى، والقَاضِي محمّدِ بن خَلَف ثم أطْلَقَهُم، وقَبَضَ على القَاضي أبي المُثَنَّى أحمدَ بن يَعْقُوب، وقال له: بَايِعِ المُقتدِرَ! قال: هو صَبِيٌّ، فقَتَلَه. وبَعَثَ المُقتدِرُ إلى أبي الحَسَنِ بن الفُرَات - وكان مُخْتَفِيًا - فأحْضَرَه واستَوْزَرَه. وجَاءَ سَوْسَنٌ خَادِمُ ابنِ الجَصَّاص فأخبَرَ صَافِيًا الخُرَّمِيّ مَوْلَى المُقتدِر بمَكَانِه عندَهم، فكُبِسَتِ الدَّارُ/ وأُخِذَ ابنُ المُعتزّ وحُبِسَ إلى [293 ب] اللَّيْلِ، ثم عُصِرَت خُصْيَتاه فمَاتَ وسُلِّمَ إلى أهْلِه، وصُودِرَ الجَصَّاصُ على مَالٍ كثيرٍ، وأُخِذَ محمّدُ بنُ دَاوُدَ وَزِيرُ ابن المُعتزّ – وكان مُسْتَتِرًا – فقُتِلَ.

ونُفِيَ عليُّ بنُ عِيسَى إلى وَاسِطَ، واستَأْذَنَ مِنِ ابنِ الفُرَات في المَسِيرِ إلى مَكَّةَ، فسَارَ إليها على طَرِيقِ البَصْرَة وأقَامَ بها، وصُودِرَ القاضي أبو عُمَرَ على مائةِ ألفِ دِينَار، وسُيِّرَتِ العَسَاكِرُ في طَلَبِ الحُسَيْنِ بن حَمْدَانَ إلى المَوْصِل فلم يَظْفَرُوا

به، وشَفَعَ الوَزِيرُ ابنُ الفُرَاتِ في ابنِ عَمْرَوَيْه صَاحِبِ الشُّرْطَة وإبراهيمَ بنِ كَيْغَلَغ وغيرهم. وبَسَطَ ابنُ الفُرَاتِ الإحْسَانَ وأدَرَّ الأرزَاقَ للعَبَّاسِيِّينَ والطَّالِبيِّينَ، وأرضَى القُوَّادَ بالأمْوَال، ففرَّقَ مُعْظَمَ ما كان في بَيْتِ المالِ، وبَعَثَ المُقْتَدِرُ القَاسِمَ بنَ سِيمَا وجَمَاعَةً من القُوَّادِ في طَلَبِ الحُسَيْنِ بن حَمْدَان، فبَلَغُوا قَرْقِيسِيا والرَّحْبَةَ ولم يَظْفَرُوا به، وكَتَبَ المُقْتَدِرُ إلى أخِيه أبي الهَيْجَاء، وهُوَ عَامِلُ المَوْصِلِ، بطَلَبِه، فسَارَ مَعَ القَاسِمِ بنِ سِيَما والقُوَّادِ ولَقُوه عندَ تَكْرِيتَ فهَزَمُوه، وبَعَثَ مع أخِيه إبراهيمَ يَسْتَأمِنُ فأمَّنُوه وجَاءُوا به إلى بَغْدَاد، فَخَلَعَ عليه المُقْتَدِرُ وعَقَدَ له على قُمَّ وقَاشَان، وعَزَلَ عنها العَبَّاسَ بنَ عُمَر الغَنَوِيَّ فسَارَ إليها الحُسَيْنُ، ووَصَلَ فَارِسٌ مَوْلَى إسْمَاعِيلَ بنِ سَامَان فقَلَّدَه المُقْتَدِرُ دِيَارَ رَبِيعَة[1].

ابْتِدَاءُ دَوْلَةِ العُبَيْدِيِّين من الشِّيعَةِ بإفْرِيقِيَّة

نِسْبَةُ هؤلاءِ العُبَيْدِيِّينَ إلى أوَّلِ خُلَفَائِهِم، وهو عُبَيْدُ الله المَهْدِيُّ بنُ محمَّدٍ الحَبِيبِ بنِ جَعْفَرٍ المُصَدِّقِ بن محمَّدٍ المَكْتُوم بن إسْمَاعِيلَ الإمَام بن جَعْفَرٍ الصَّادِق. ولا يُلْتَفَتُ إلى إنْكَارِ هذا النَّسَبِ، فكِتَابُ المُعْتَضِدِ إلى ابنِ الأغْلَبِ بالقَيْرَاوَن وابنِ مِدْرَارٍ بسِجِلْمَاسَةَ يُغْرِيهم بالقَبْضِ عليه لَمَّا سَارَ إلى المَغْرِب، شَاهِدٌ بصِحَّةِ نَسَبِهم، وشِعْرُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ في قَوْلِه:

[من الخفيف]

(1) الكامل في التاريخ 8: 14-19؛ تجارب الأمم 5: 55-59.

ألبَسُ الذُّلَّ في بِلادِ الأعَادِي وبمصْـرَ الخَليـفَةُ العَلَوِيُّ
مَن أبُوهُ أبي وَمَـولاهُ مَولا يَ إذَا ضَامَني البَعِيدُ القَصِيُّ
لَفَّ عِرقي بِعِرْقِه سَيِّدَا النَّا سِ جَمِيعًا مُحمَّـدٌ وَعَلِـيٌّ[1]

[294 أ] / وأمَّا المَحْضَرُ الذي ثَبَتَ ببَغْدَادَ أيَّامَ القَادِرِ بالقَدْحِ في نَسَبِهِم، وشَهِدَ فيه أعْلامُ الأئِمَّة مثلَ: القُدُوريِّ والصَّيْمَرِيِّ، وأبي العَبَّاس الأبِيوَرْدِيّ، وأبي حَامِد الأسْفَرايينيِّ، وأبي الفَضْلِ النَّسَوِيِّ، وأبي جَعْفَرٍ النَّسَفِيِّ، ومن العَلَوِيَّةِ: المُرْتَضِي وابنُ البَطْحاوِي، وابنُ الأزْرَق، وزَعِيمُ الشِّيعَة أبو عَبْدِ الله بنُ النُّعْمان، فهِيَ شَهَادَةٌ على السَّمَاع. وكان ذلك القَدْحُ مُتَّصِلًا في دَوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ منذ مائتَيْنِ من السِّنِينَ فاشِيًا في أمْصَارِهِم وأعْصَارِهِم. والشَّهَادَةُ على السَّمَاعِ في مِثْلِه جَائِزَةٌ على أنَّها شَهَادَةُ نَفْيٍ، ولا تُعَارِضُ ما ثَبَتَ في كِتَابِ المُعْتَضِد، معَ أنَّ طَبِيعَةَ الوُجُودِ في الانْقِيَادِ لهم، وظُهُور كَلِمَتِهِم أدَلُّ شيءٍ على صِدْقِ نَسَبِهِم[2].

وأمَّا مَن يَجْعَلُ نَسَبَهُم في اليَهُودِيَّةِ أوِ النَّصْرانِيَّة، كَمَيْمُونِ القَدَّاح وغَيْرِه، فكَفَاهُ إثْمًا تَعَرُّضُه لذلك. وأمَّا دَعْوَتُهُم التي كانوا يَدْعُونَ لها فقد تَقَدَّمَ ذِكْرُها في مَذَاهِبِ الشِّيعَة من مُقَدِّمَةِ الكِتَاب[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 24-25، وقارن مع اتعاظ الحنفا للمقريزي 1: 32-33، 36.
ولمزيد من التفصيل تراجع دراسة فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، بيروت – دار الغرب الإسلامي 1994. وحسين الهمداني : في نسب الخلفاء الفاطميين ، القاهرة – الجامعة الأمريكية 1958.

(2) انظر رأي ابن خلدون كذلك فيما تقدم العبر 1: 32-36، واتعاظ الحنفا للمقريزي 1: 44-50.

(3) العبر لابن خلدون : 1: 352، 353.

وانقَسَمَت مَذاهِبُ الشِّيعَة مَعَ اتّفاقِهِم على تَفضيلِ عَلِيٍّ عَلَى جَميعِ الصَّحابَة إلى: الزَّيدِيَّةِ القائِلينَ بِصِحَّةِ إمامَةِ الشَيخَيْنِ مَعَ فَضْلِ عَلِيٍّ، ويُجَوِّزُونَ إمَامَةَ المَفْضُول، وهو مَذهَبُ زَيْدٍ الشَّهيدِ وأتْبَاعِه، وإلى الرَّافِضَةِ ويُدْعَونَ بالإمَامِيَّة(أ) المُتَبَرِّئِينَ من الشَّيخَيْن، بإهمالِهِما وَصِيَّةَ النَّبِيِّ(ب) ﷺ بخِلافَةِ عَلِيٍّ. مَعَ أنَّ هذه الوَصِيَّةَ لم تُنْقَلْ من طَرِيقٍ صَحيحٍ، ولا قال بها أحَدٌ منَ السَّلَفِ الّذين يُقْتَدَى بهم، وإنَّما هي من أوْضَاعِ الرَّافِضَةِ.

وانقَسَمَ الرَّافِضَةُ بعدَ ذلك إلى: الاثْنَيْ عَشْرِيَّة، نَقَلُوا الخِلافَةَ من جَعْفَرٍ الصَّادِق بعدَ الحَسَنِ والحُسَيْنِ وعليٍّ زَيْنِ العَابِدِينَ ومُحَمَّدٍ البَاقِرِ وجَعْفَرٍ الصَّادِق، إلى ابْنِه مُوسَى الكاظِم ووَلَدِه، على سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ إلى تَمَامِ الاثْنَي عَشَر، وهو مُحَمَّد المَهْدِي، وزَعَمُوا أنَّه دَخَلَ سِرْدَابًا، وهم في انتِظَارِه إلى الآن. وإلى: الإسْمَاعِيلِيَّة، نَقَلُوا الخِلافَةَ من جَعْفَرٍ الصَّادِق إلى ابنِه إسْمَاعِيل، ثم سَاقُوهَا في عَقِبِه، فَمِنهم مَن انتَهَى بها إلى عُبَيْدِ الله هذا المَهْدِيّ، وهُمُ العُبَيْدِيُّون، ومنهم من سَاقَهَا إلى يَحيى بنِ عبدِ الله بن مُحَمَّدٍ المكْتُوم، وهؤلاءِ طَائِفَةٌ من القَرَامِطَة. وهِيَ من كَذِباتِهِم، ولا يُعْرَف لمحَمَّدِ بنِ إسْمَاعِيلَ وَلَدٌ اسْمُه عَبْدُ الله.

وكان/ شِيعَةُ هؤلاءِ العُبَيْدِيِّينَ بالمَشْرِقِ واليَمَن وإفْرِيقِيَّة. وسَارَ بها إلى إفْرِيقِيَّةَ [294 ب] رَجُلانِ يُعْرَفُ أحَدُهُما بالحُلْوَانِيِّ والآخَرُ بأبي سُفْيَان، أنْفَذَهُما الشِّيعَةُ إلى هُنَالِك وقالوا لهما: إنَّ المَغْرِبَ أرْضٌ بُورٌ فاذْهَبا واحْرُثاهَا حتّى يَجِيءَ صَاحِبُ البَذْر، وسَارَا لذلك ونَزَلا أرْضَ كُتَامَة، أحَدُهُما بِبَلَدٍ تُسَمَّى مَرْمَجَنَّة، والآخَرُ بِبَلَدٍ تُسَمَّى سُوف جمَار(1).

(أ) ح : الإمامية. (ب) ح: رسول الله .

(1) الكامل في التاريخ 8: 24-31. ومَصْدَرُ هذا النّقل هو كتاب افتتاح الدعوة 73 ونقله كذلك المقريزي في الاتعاظ 1: 55-57 ، والمواعظ والاعتبار 2: 176-177، 3: 31. هكذا ورد هذا الاسم في ظ، ح.

وفَشَتْ هذه الدَّعْوَةُ منها في أهْلِ تلك النَّوَاحِي من البَرْبَر، وخُصُوصًا في كُتَامَة.

وكانـوا يَزْعُمـونَ أنَّ النَّـبِيَّ ﷺ أوْصَى إلى علـيٍّ بالخِلافَـة بالنُّصُوص الجَلِيَّـةِ، وعَدَلَ عنها الصَّحَابَةُ إلى غَيْرِه، فوَجَبَتِ البَرَاءَةُ ممَّن عَدَلَ عَنْهَا. ثم أوْصَى عليٌّ إلى ابنِه الحَسَن، ثم الحَسَنُ إلى أخِيه الحُسَيْنِ، ثم الحُسَيْنُ إلى ابنِه عليٍّ زَيْنِ العابِدِين، ثم زَيْنُ العَابِدِينَ إلى ابنِه محمَّدٍ البَاقِر، ثم محمَّدٌ البَاقِرُ إلى ابنِه جَعْفَرٍ الصَّادِق، ثم جَعْفَرٌ الصَّادِقُ إلى ابنِه إسْمَاعِيلَ الإمَام ـ وإنْ كان قد مَاتَ قَبْلَ أبِيه ـ فإنَّما أوْصَى له وعيَّن اسْمَه لتَنْسَاقَ الخِلافَةُ في عَقِبِه، ثم إسْمَاعِيلُ الإمَام إلى ابنِه محمَّد، ويُسَمُّونَه المَكْتُومَ؛ لأنَّهم كانوا يَكْتُمُونَ اسْمَه حَذَرًا عليه، ثم أوْصَى محمَّدٌ المَكْتُومُ إلى ابنِه جَعْفَرٍ المُصَدَّق، وجَعْفَرٌ المُصَدَّقُ إلى ابنِه محمَّدٍ الحَبِيب، ومحمَّدٌ الحَبِيبُ إلى ابنِه عُبَيْدِ الله المَهْدِيِّ الّذي دَعَا له أبو عبدِ الله الشِّيعِيُّ.

وكانت شِيعَتُهم مُنْتَشِرِينَ في الأرْض: من اليَمَن إلى الحِجَاز والبَحْرَيْن والعِرَاق والشَّام وخُرَاسَانَ والكُوفَة والبَصْرَة والطَّالَقَان. وكان محمَّدٌ الحَبِيبُ يَنْزِلُ سَلَمْيَةَ من أرْضِ حِمْص[1]، وكان دُعَاتُهم في كلِّ نَاحِيَةٍ يَدْعُونَ للرِّضَا من آلِ محمَّد، ويَرُومُون إظْهَارَ الدَّعْوَة بحَسَبِ ما يُمْكِنُهم. وكان الشِّيعَةُ من النَّوَاحِي يُعْمِلُونَ مَطِيَّهم في أكْثَرِ الأوْقَات لزِيَارَة قَبْرِ الحُسَيْن، ثم يُعَرِّجُونَ على سَلَمْيَةَ لزِيَارَة الأئِمَّة من وَلَدِ إسْمَاعِيل.

سوق حماد، والصواب
= ووَرَد محرَّفًا في المصادر فهو عند ابن الأثير 8: 31 : سوق حمار وفي الاتعاظ: ما أُثْبِت، وقد تدمج فيقال سُوجْمار. وهي سوف الحالية جنوب شرقي الجزائر. ومَرْمَاجَنَّة . قريةٌ بإفريقية لقبيلة هَوَّارة البربرية. بينها وبين الأرْبُس مرحلة (معجم البلدان 5: 109) .
(1) سَلَمْيَة (سَلَمِيَّة). بُلَيْدَة من أعمال حماة، كانت تُعَدُّ من أعمال حِمْص بالشَّام. يراجع عن أهمية هذه المدينة H. HALM, "Les Fatimides a Salamya", *REI* LIV (1986), pp. 133-44; في تاريخ الحركة الإسماعيلية F. DAFTARY, *EI*^{2} art. *Salamiyya* VIII, pp. 952-55.

وكان باليَمَنِ من شِيعَتِهم، ثم بعَدَنَ لاعَة، قَوْمٌ يُعْرَفُون ببَني مُوسَى، ورَجُلٌ آخَرُ يُعْرَف بمحمَّدِ بنِ الفَضْل أصْلُهُ من الجَنَد. وجَاءَ محمَّدٌ إلى زِيَارَةِ الإمَام محمَّدٍ الحَبِيب، فبَعَثَ معَه أصْحَابَه رُسْتُم بن الحَسَن بن حَوْشَب بن زَادَان النَّجَّار، وهو كُوفِيُّ الأصل[1]، وأمَرَهُ بإقَامَةِ الدَّعْوَة، وأنَّ المَهْدِيَّ خَارِجٌ في هذا الوَقْت، فسَارَ إلى اليَمَن/ ونَزَلَ على بني مُوسَى، وأظْهَرَ الدَّعْوَةَ هُنَالِكَ للمَهْديِّ من آلِ محمَّدٍ الّذي [1295] يَنْعَتُونَه بالنُّعُوتِ المَعْرُوفَةِ عندَهم، فاتَّبَعَه واسْتَوْلَى على كَثِيرٍ من نَوَاحِي اليَمَن.

وكان أبو عبدِ الله الحَسَنُ بنُ أحمدَ بن محمَّدِ بن زَكَرِيَّا، المعروف بالمُحْتَسِب، وكان مُحْتَسِبًا بالبَصْرَةِ، وقيل: إنَّما المُحْتَسِبُ أخُوه أبو العَبَّاس المَخْطُوم، وأبو عبدِ الله يُعْرَف بالمُعَلِّمِ لأنَّه كان يُعَلِّمُ مَذْهَبَ الإمَامِيَّة البَاطِنِيَّة، فاتَّصَلَ بالإمَام محمَّدٍ الحَبِيب وخَبَرَ أهْلِيَّتَه، فأرْسَلَه إلى ابنِ حَوْشَبٍ صَاحِبِ اليَمَن ليَأْخُذَ عنه ثم يَذْهَبَ إلى المَغْرِب ويَقْصِدَ بَلَدَ كُتَامَة، فسَارَ إلى ابنِ حَوْشَبٍ ولَزِمَ مَجَالِسَه وأفَادَ عِلْمَه. ثمّ بَعَثَه مع حَاجِّ اليَمَنِ إلى مَكَّة، وبَعَثَ معه عبدَ الله بنَ أبي مُلاحِف، فأتَى المَوْسِمَ ولَقِيَ به رِجَالاتِ كُتَامَة مِثْلَ: حُرَيْثِ الجِيْمَلِيّ ومُوسَى بنِ مَكَاد، فاخْتَلَطَ بهم، وعَكَفُوا عليه لِمَا رَأَوْا عندَه من العِبَادَةِ والزُّهْد، ووَجَدَ عندَهم بَذْرًا من ذلك المَذْهَب، فاغْتَبَطَ واغْتَبَطُوا، وارْتَحَلَ مَعَهُم إلى بَلَدِهم ونَزَلَ بها مُنْتَصَفَ رَبِيعٍ سَنَة ثَمَانٍ وثَمَانين، وعَيَّنَ لهم مَكَانَ مَنْزِله بفَجِّ الأخْيَار، وأنَّ النَّصَّ عندَه من المَهْدِيِّ بذلك، وبهِجْرَةِ المَهْدِي، وأنَّ أنْصَارَهُ الأخْيَارَ من أهْلِ زَمَانِه، وأنَّ اسْمَ أنْصَارِه مُشْتَقٌّ

(1) هو المعروف بـ "مَنصور اليَمَن" يراجع عنه رسالة افتتاح الدعوة 32-54، 59-62، 149-150؛ W. MADELUNG, *EI*² art. *Mansur al-Yaman* VI, pp. 420-25.

مِنَ الكِتْمانِ ولم يُعَيِّنْه، واجْتَمَعَ لمُنَاظَرَتِه كثيرٌ من أهْلِ كُتَامَةَ[1] فأبَى، ثم أطاعُوه بعدَ فِتَنٍ وحُرُوب. واجْتَمَعُوا على دَعْوَتِه وكانوا يُسَمُّونَه أبا عبدِ الله المَشْرِقيَّ والشِّيعيَّ.

ولمَّا اخْتَلَفَت كُتَامَةُ عليه واجْتَمَعَ كثيرٌ منهم على قَتْلِه، قَامَ بنُصْرَتِه الحَسَنُ بنُ هَارُون، وسَارَ به إلى جَبَلِ إيكْجَان، وأنْزَلَه مدينةَ تاصَـرُوت[أ] من بَلَدِ زَوَاوَة، وقَاتَلَ مَن لم يَتْبَعْه بمن تَبِعَه حتى اسْتَقَامُوا جَمِيعًا على طَاعَتِه. وبَلَغَ خَبَرُه إبراهيمَ بنَ أحمدَ بنِ الأغْلَبِ عَامِلَ إفْرِيقِيَّةَ بالقَيْرَوان، فأرْسَلَ إلى عَامِلِ مِيلَة يَسْأله عن أمْرِه، فحَقَّرَه وذَكَرَ أنَّه رَجُلٌ يَلْبَسُ الخَشِنَ، ويَأمُرُ بالعِبَادَةِ والخَيْر، فأعْرَضَ عنه، حتى إذا اجْتَمَعَ لأبي عبدِ الله أمْرُه زَحَفَ في قَبَائِلِ كُتَامَةَ إلى بَلَدِ مِيلَة فمَلَكَها على الأمَانِ بعد الحِصَار، فبَعَثَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ الأغْلَبِ ابنَه الأحْوَلَ في عَسْكَرٍ ضَخْم يجاوزُ عِشْرِينَ ألفًا، فهَزَمَ كُتَامَةَ، وامْتَنَعَ أبو عبدِ الله بجَبَلِ إيكْجَان، وأحْرَقَ الأحْوَلُ مَدِينَةَ تاصَرُوت ومَدِينَة/ مِيلَة، وعَادَ إلى إفْرِيقِيَّة، وبنى أبو عبد الله بجَبَلِ إيكْجَان مدينَةً [295 ب] سَمَّاهـا دَارَ الهِجْـرَة. ثم تُـوفِّي إبـراهيمُ بـنُ الأغْلَـب، صَـاحِبُ إفْرِيقِيَّـة، ووَلِيَ ابْنُـه أبـو العَبَّـاس وقُتِـلَ، واسْتَقَرَّ الأمْرُ لزِيَادَةِ الله، وكان الأحْوَلُ قد جَمَّـرَ العساكر لحصارِه، فاستقدَمَه زِيَادَةُ الله وقَتَلَه[2].

(أ) في ح رسمت الصاد وبداخلها زاي، لإشمام الحرف بين الحرفين الصاد والزاي.

---

(1) كُتَامَة. قَبِيلَةٌ بربريةٌ نَاصَرت الفاطميين في دعوتهم وقيامهم، وكانوا عَصَبِيَّة الدَّوْلَة. يراجع عن دورهم في نُصْرَة الفاطميين لِقُبال محمد موسى: دور قبيلة كتامة في قيام الخلافة الفاطمية، الجزائر 1979؛ R. BASSET EI^2 art. *Kutâma* V, pp. 544-45.

(2) الكامل في التاريخ 8: 31-35؛ اتعاظ الحنفا 1: 50-52؛ افتتاح الدعوة 63، 71-73.

خُرُوجُ عُبَيْدِ اللهِ المَهْدِيِّ إلى المَغْرِبِ، واعْتِقَالُه بسِجِلْمَاسَةَ[1]

ولمَّا توفِّي محمَّدٌ الحبِيبُ وأوْصَى لابنِه عُبَيْدِ اللهِ، وقال له: أنتَ المَهْدِيُّ، وتُهاجِرُ بَعْدي هِجْرَةً بَعِيدَةً، وتلْقَى مِحَنًا شَدِيدَةً. فقَامَ عُبَيْدُ اللهِ بالأمْرِ وانْتَشَرَت دَعْوَتُه، وأرْسَلَ إليه أبو عبدِ اللهِ الشِّيعيُّ رِجَالًا من كُتَامَةَ يُخْبِرونَه بما فَتَحَ اللهُ عليهم، وأنَّهم في انتِظَارِه، وشَاعَ خَبَرُهُ، فطَلَبَهُ المُكْتَفي فهَرَبَ هو ووَلَدُه أبو القاسِمِ محمَّدٌ[أ] الذي وَلِيَ بَعْدَه، وتَلَقَّبَ بالقائِم، وخَرَجَ معَه خَاصَّتُه ومَوَالِيه يُرِيدُ المَغْرِبَ، وانْتَهَى إلى مِصْرَ وعليها يَوْمَئِذٍ عيسى النُّوشَرِيُّ، فلَبِسَ عُبَيْدُ اللهِ زِيَّ التُّجَّارِ يَتَسَتَّرُ به.

وجَاءَ كِتَابُ المُكْتَفي إلى النُّوشَرِيِّ بالقَبْض عليه، وفيه صِفَتُه وحِلْيَتُه، فبَثَّ العُيُونَ في طَلَبِه. ونَمَى الخَبَرُ بذلك إلى عُبَيْدِ اللهِ من بَعْض خَوَاصِّ النُّوشَرِيِّ فخَرَجَ في رُفْقَةٍ، ورَآه النُّوشَرِيُّ وأحْضَرَه ودَعَاهُ للمُؤَاكَلَة، فاعْتَذَرَ بالصَّوْم، ثم امْتَحَنَه فلم

(أ) في النُّسخ وعند ابن الأثير، مصدر النقل: وولده أبو القاسم نِزَار، وهو وهْمٌ من ابن الأثير فصوابُ اسم أبي القاسم هو محمد.

---

(1) اهتمت المصادرُ الإسماعيليةُ برواية رحلة المَهْدِي من سَلَمِيَّة بالشَّام حتى وصوله إلى إفريقية مرورًا بمصر ثم انتقاله إلى سِجِلْمَاسَة، وهي تشتمل على تفصيلات لا توجد في المصادر السُّنِّيَّة أو جاءت مخالفةً لها في الترتيب . وأهمّ هذه المصادر هي : محمد بن محمد اليماني: "سيرة الحاجب جعفر بن عليّ وخروج المهدي صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رَقَّادَة"، تحقيق إيفانوف، مجلة كلية الآداب – الجامعة المصرية 4 (1936)، 107-133؛ القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، بيروت – دار الثقافة 1970؛ وتحقيق فرحات الدشراوي، تونس – الشركة التونسية للتوزيع 1975. وجَمَعَ جميع هذه الروايات مضافا إليها تاريخ الدولة الفاطمية، الداعي عماد الدين إدريس في كتابه "عيون الأخبار وفنون الآثار"، نشر ما يتعلق منه بالفاطميين في المغرب محمد اليعلاوي، وما يتعلق بالفاطميين في مصر واليمن، أيمن فؤاد سيد، بيروت 1985، لندن 2000.

تَشْهَدُ له أحْوَالُهُ بشيءٍ ممَّا ذُكِرَ له عنه، وقَارَن ذلك رُجُوعُ ابنِه أبي القَاسِمِ يَسْأَلُ عن كَلْبٍ للصَّيْد ضَاعَ له، فلمَّا رَآه النُّوشَرِيُّ وأُخْبِرَ أنَّه وَلَدُ عُبَيْدِ الله، عَلِمَ أنَّ هذه الدَّالَّةَ في طَلَبِ الضَّائِع مُنَافِيَةٌ للرِّقْبَةِ والخَوْف، فخَلَّى سَبِيلَه[1].

وجَدَّ المَهْدِيُّ في السَّيْر، وكان له كُتُبٌ في المَلَاحِم - وَرِثَها - مَنْقُولةٌ عن آبائِه سُرِقَت من رَحْلِه في تلك الطَّرِيق. ويُقَالُ: إنَّ ابنَه أبا القَاسِمِ لمَّا زَحَفَ إلى مِصرَ أخَذَها من بِلادِ بَرْقَة. ولمَّا انْتَهى المَهْدِيُّ وابْنُه إلى طَرَابُلُس وفَارَقَه التُّجَّارُ أهْلُ الرُّفْقَة، قَدَّمَ أبا العَبَّاس أخَا أبي عبدِ الله الشِّيعِيِّ إلى أخِيه بكُتَامَةَ، ومَرَّ بالقَيْرَوان، وقد سَبَقَ خَبَرُهُم إلى زِيَادَةِ الله وهو يُسَائِلُ عنهم، فقَبَضَ على أبي العَبَّاس وسَأَلَه فأنْكَرَ فحَبَسَه، وكَتَبَ إلى عَامِلِ طَرَابُلُس بالقَبْض على المَهْدِيِّ ففَاتَه وسَارَ إلى قَسْطِيلِيَة، فعَدَلَ عنها خَشْيَةً على أبي العَبَّاس/ أخِي الشِّيعِيِّ المُعْتَقَلِ بالقَيْرَوان، [296 أ] وذَهَبَ إلى سِجِلْمَاسَةَ وبها اليَسَعُ بنُ مِدْرارٍ فأكْرَمَه[2].

ثم جَاءَه كِتَابُ زِيَادَةِ الله، ويُقَالُ: كِتَابُ المُكْتَفِي، بأنَّه المَهْدِيُّ الذي دَاعِيهِ في كُتَامَة، فحَبَسَه، وبَعَثَ زِيَادَةُ الله العَسَاكِرَ إلى كُتَامَةَ مَعَ قَرِيبِه إبراهيمَ بن [حبشيّ][3]، وكانوا أرْبَعينَ ألْفًا، فانْتَهى إلى قَسْطِيلِيَة فأقَامَ بها وهم مُتَحَصِّنُونَ بجَبَلِهم سِتَّةَ أشْهُر.

(أ) النُّسخ وابن الأثير: قسنطينة، والتصويب من رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 37-38، ويراجع تفصيل هذه الرحلة عند القاضي النعمان وسيرة الحاجب جعفر اللتين لا ندري إن كانتا من مصادر ابن الأثير أو قد اطَّلَعَ عليها ابن خلدون.

(2) المصدر نفسه 8: 38-39. وقَسْطِيلِيَة . مدينةٌ وكورةٌ كبيرةٌ من بلاد الجَرِيد من تونس قاعدتها تَوْزَر (نزهة المشتاق 1: 277، معجم البلدان 4: 348) .

(3) في الأصول حنيش، والتصويب من البيان المغرب 1: 138، 142.

ثم زَحَفَ إليهم ووَاقَعَهُم عند مَدِينَة بَلَزْمَة، فانْهَزَم إلى القَيْرَوَان. وكَتَبَ أبو عبدِ الله بالفَتْح إلى المَهْدِيِّ وهو في مَحْبِسِه. ثم زَحَفَ إلى مَدِينَةِ طُبْنَة فَحَاصَرَها ومَلَكَها بالأمَان، ثم إلى مَدِينَة بَلَزْمَةَ فَمَلَكَها عَنْوَةً، فبَعَثَ زِيَادَةُ الله العَسَاكِرَ مع هَارُون الطُّبْنِيِّ فانتَهَوْا إلى مَدِينَة دَارِ مَلُّول، وكانوا قد أطَاعُوا الشِّيعِيّ فهَدَمَها هَارُون وقَتَلَ أهْلَهَا، وسَارَ إلى الشِّيعِيِّ فانْهَزَمَ من غير قِتَالٍ وقُتِلَ.

وفَتَحَ الشِّيعِيُّ مَدِينَةَ تِيَجَس[1]، فزَحَفَ زِيَادَةُ الله في العَسَاكِر سَنَةَ خَمْسٍ وتسعين، ونَزَلَ الأُرْبُس، ثم أشَارَ عليه أصْحَابُه بالرُّجُوع إلى القَيْرَوَان ليكون رِدْءًا للعَسَاكِر، فبَعَثَ الجُيُوشَ مَعَ إبراهيمَ بنِ أبي الأغْلَبِ من قَرَابَتِه ورَجَعَ، وزَحَفَ أبو عبدِ الله إلى بَاغَايَة فهَرَبَ عَامِلُها ومَلَكَها، ثم بَعَثَ إلى مَدِينَة مَرْمَاجَنَّةَ فافْتَتَحَها عَنْوَةً وقَتَلَ عَامِلَها، ثمّ إلى مَدِينَةِ تِيفَاش[2]، فَمَلَكَها على الأمَان، واسْتَأمَنَ إليه القَبَائِلُ من كلِّ جِهَة، فأمَّنَهم وسَارَ بنَفْسِه إلى مِسْكِيَانَة[3]، ثم إلى تِبِسّي(أ)[4]، ثم إلى مَجَّانَة

(أ) ح: تبِتّه.

---

(1) تَيَجَس: مدينةٌ قديمة بالجزائر من عمل بَاغَايَة، بينها وبين بَاغَايَة ثلاث مراحل، حَلَّت محلَّها اليوم عَيْن البُرج الواقعة على بُعد 16 كيلومترًا من برج ابن زكري (رسالة افتتاح الدعوة 168هـ) . ويسميها الإدريسي تينجس، النزهة 1: 292.

(2) تِيفَاش: مدينةٌ قديمة شمال شرق الجزائر تَبعُد نحو 55 ميلاً إلى الجنوب من بُونَة (المصدر نفسه 188هـ[2]). ويذكر ابن فرحون: أن تيفاش قرية من قرى قفصة. (الديباج 75).

(3) مِسكِيَانَة. بَلْدَةٌ في شرق الجزائر تقع على بُعد 94 ميلاً إلى الجنوب الشرقي من العَيْن البيضاء (المصدر نفسه 191هـ). النزهة 1: 295.

(4) تِبِسّي (تِبِسّة). مدينةٌ قديمة بالجزائر تَبعُد خمسة وخمسين ميلاً جنوب رق العين البيضاء واثني عشر ميلاً غربي الحدود التونسية (المصدر نفسه 186هـ[2]). ياقوت: معجم البلدان 2: 13.

ففتَحَها على الأمَان. ثم سَارَ إلى القَصْرين من قَمُّودَة[1] وأمَّنَ أهْلَهَا، وسَارَ يُرِيدُ رَقَّادَة.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى إبراهيمَ بنِ أبي الأغْلَب وهُوَ بالأُرْبُس أمِيرًا على الجَيْش، فخَشِي على زِيَادَةِ الله برَقَّادَةَ لقِلَّةِ عَسْكَره، وارْتَحَلَ ذَاهِبًا إليه، وسَارَ أبو عبدِ الله إلى قَسْطِيلِيَةَ فحَاصَرَها وافْتَتَحَها على الأمَان، ورَجَعَ إلى بَاغَايَة فأنْزَلَ بها عَسْكَرًا، وعَادَ إلى إيكْجَان، فسَارَ إبراهيمُ بنُ أبي الأغْلَب إلى بَاغَايَة وحَاصَر أصْحَابَ أبي عبد الله بها، فبَعَثَ أبو عبدِ الله عَسَاكِرَه إلى فَجِّ العَرْعَار فألْفَوْا إبراهيمَ قد عَادَ عنها إلى الأُرْبُس.

ثمَّ زَحَفَ أبو عبدِ الله إلى إبْراهيمَ سَنَةَ سِتٍّ وتِسْعين في مائتَيْ ألْفِ مُقَاتِلٍ، وبَعَثَ/ من عَسْكَرِه من يَأتي إبراهيمَ من خَلْفِه، وسَارَ إليه فانْهَزَمَ، وأثْخَنَ فيهم أبو [296 ب] عبدِ الله بالقَتْلِ والأسْرِ، وغَنِمَ أمْوَالَهُم وخَيْلَهُم وظَهْرَهُم، ودَخَلَ الأُرْبُس فاسْتَبَاحَها، ثم سَارَ فنَزَلَ قَمُّودَة، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى زِيَادَة الله، فهَرَبَ إلى مِصْر. وافْتَرَق أهْلُ مَدِينَة رَقَّادَة إلى القَيْرَوَان وسُوسَة، ونُهِبَت قُصُورُ بني الأغْلَب. ووَصَلَ إبراهيمُ بن أبي الأغْلَب إلى القَيْرَوَان، فنَزَلَ قَصْرَ الإمَارَة وجَمَعَ النَّاسَ ووَعَدَهُم الحِمَايَة، وطَلَبَ المُسَاعَدَةَ بطَاعَتِهم وأمْوَالِهم، فاعْتَذَرُوا وخَرَجُوا إلى النَّاس فأخْبَرُوهُم، فثَارُوا به وأخْرَجُوه[2].

وبَلَغَ أبا عبدِ الله الشِّيعِيَّ هَرَبُ زِيَادَةِ الله وهُوَ بسبِيبَة[3]، فرَحَلَ إلى رَقَّادَةَ

(1) القَصْرِين. مدينةٌ في غرب تونس تقع إلى الجنوب الشرقي من تِبِسّة وإلى الشمال من قَفْصَة. وقَمُّودَه. إقليمٌ بتونس يقع إلى الشمال الشرقي من جبل سيدي عيش، تقَع قَفْصَة على حدوده (المصدر نفسه 192هـ 3، 4).

(2) تنظر هذه الرّواية بتفصيل أكثر في افتتاح الدعوة 191-205.

(3) سبيبة Sbiba : مدينة بتونس على الطريق بين الكاف وسبيطلة على بُعد نحو 22 ميلًا إلى الشمال من سبيطلة (صورة الأرض لابن حَوقل 84، معجم البلدان 3: 186).

وقدَّمَ بين يَدَيْه عَرُوبَةَ بنَ يُوسُفَ وحَسَنَ بنَ أبي خِنْزِير، فسَارُوا وأَمَّنُوا النَّاس. وخَرَجَ أهْلُ القَيْرَوان لِلِقَاءِ أبي عبدِ الله فأَمَّنَهم وأَكْرَمَهُم، ودَخَلَ رَقَّادَةُ في رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وتسعين، ونَزَلَ قُصُورَها، وفَرَّقَ دُورَها على كُتَامَة، ونادَى بالأَمَان. وتَرَاجَعَ النَّاسُ فأَخْرَجَ العُمَّالَ، وطَلَبَ أهْلَ الشَّرِّ فهَرَبُوا، وجَمَعَ أمْوَالَ زِيَادَةِ الله وسِلاحَه وأمَرَ بحِفْظِها وبحِفْظِ جَوَارِيه، واسْتَأْذَنَه الخُطَبَاءُ لمن يَخْطُبُون فلم يُعَيِّنْ لهم أحدًا، ونَقَشَ على السِّكَّة مِن أحَدِ الوَجْهَيْن: بَلَغَتْ حُجَّةُ الله، ومِن الآخَر: تَفَرَّقَ أعْدَاءُ الله، وعلى السِّلاح: عُدَّةٌ في سَبِيلِ الله، ووَسَمَ أفْخَاذَ الخَيْلِ بالمُلْكُ لله[1].

بَيْعَةُ المَهْدِيِّ بسجِلْمَاسَة

ولمَّا مَلَكَ أبو عبدِ الله إفْرِيقِيَّةَ لَقِيَه أخُوهُ أبو العَبَّاس مُنْطَلِقًا من اعْتِقَالِه، فاسْتَخْلَفَه عليها وتَرَكَ معه أبا زاكي تَمَّامَ بن مُعَارِك من قُوَّادِ كُتَامَة، وسَارَ إلى المَغْرِب ففَرَّتِ القَبَائِلُ من طَرِيقِه، وخَافَتْهُ زَنَاتَةُ فدَخَلُوا في طَاعَتِه، ولمَّا قَرُبَ من سِجِلْمَاسَة بَعَثَ اليَسَعُ إلى المَهْدِيِّ بمَحْبِسِه يَسْأَلُه عن حَالِه فأَنْكَر، ثم سَأَلَ وَلَدَه كذلك فأَنْكَر، وضَرَبَ رِجَالَه فأَنْكَرُوا، ونَمَى الخَبَرُ إلى أبي عبدِ الله فخَشِيَ عليهم، وأرْسَلَ إلى اليَسَع يَتَلَطَّفُه فقَتَلَ الرُّسُلَ فأَغَذَّ أبو عبدِ الله السَّيْرَ وحَاصَرَه يَوْمًا، وهَرَبَ اليَسَعُ من اللَّيْلِ هو/ وأَصْحَابُه وبنو عَمِّه، وخَرَجَ أهْلُ البَلَد من الغدِ إلى أبي عبدِ الله، فجَاءَ [297أ]
إلى مَحْبِسِ المَهْدِيِّ فأَخْرَجَه وابنَه أبا القَاسِم وأَرْكَبَهُما ومَشَى مع رُؤَسَاءِ القَبَائِلِ بينَ

(1) الكامل في التاريخ 8: 40-47. وقارن مع افتتاح الدعوة 212-214، والبيان المغرب لابن عذارى 1: 149-150.

يَدَيْهَا وهو يَقُولُ: هذا مَوْلاكُم، ويَبْكي من شِدَّة الفَرَح، حتى أنزَلَه بالمُخَيَّم وبَعَثَ في أثَرِ اليَسَع فجِيء به فجُلِدَ ثم قُتِلَ، وأقَامَ بسِجِلْمَاسَةَ أربعينَ يَوْمًا ورَجَعَ إلى إفرِيقِيَّة، ووَصَلَ إلى رَقَّادَةَ في رَبِيعٍ من سَنَة سَبْعٍ وتسعين.

وجُدِّدَتِ البَيْعَةُ للمَهْدِيّ واستَوْلى على مُلْكِ بني الأغْلَب بإفرِيقِيَّة، ومُلْكِ بني مِدْرَارٍ بسِجِلْمَاسَة، ونَزَلَ برَقَّادَة، وتَلَقَّبَ بالمَهْدِيِّ أمِيرِ المُؤمِنين. وبَثَّ دُعَاتَه في النَّاسِ ليَحمِلُوهم على مَذْهَبِهم، فأجَابُوا إلَّا قَلِيلًا عَرَضَ عليهم السَّيْفَ، وقَسَّمَ الأمْوَالَ والجَوَارِيَ في رِجَالِ كُتَامَة، وأقْطَعَهم الأعْمَالَ، ودَوَّنَ الدَّوَاوِينَ وجَبَى الأمْوَال، وبَعَثَ العُمَّالَ على البِلادِ. فبَعَثَ على صِقِلِّيَّةَ الحَسَنَ بنَ أحمدَ بن أبي خِنْزِير، فوَصَلَ إلى مَازَرَ في عيدِ الأضْحَى من سَنَة سَبْعٍ وتِسْعين، فاسْتَقْضَى بها إسْحَاقَ بن المِنْهَال. وأجَازَ البَحْرَ سَنَةَ ثَمانٍ وتِسْعينَ إلى بَسِيطِ قَلُّورِيَّة، فأثْخَنَ فيها وعَادَ. وثَارَ به أهْلُ صِقِلِّيَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعين فحَبَسُوه واعْتَذَرُوا إلى المَهْدِيِّ لسوءِ سِيرَتِه، فعَذَرَهُم ووَلَّى عليهم عليَّ بنَ عُمَرَ البَلَوِيَّ، فوَصَلَ خَاتِمَةَ السَّنَة[(1)].

أخْبَارُ ابنِ اللَّيْثِ بفَارِس

قد ذَكَرْنا من قَبْلُ اسْتِيلاءَ اللَّيْثِ بن عليِّ بن اللَّيْث، وسُبْكَرِيٍّ[(أ)] مَوْلَى عَمْرِو بنِ اللَّيْثِ على فَارِسَ من يَدِ طَاهِرِ بن محمَّد. ثم أخْرَجَ سُبْكَرِيٌّ بعدَ ذلك اللَّيْثَ وانفَرَدَ بها، وسَارَ إليه طَاهِرُ بنُ محمَّدِ بن عَمْرٍو فوَاقَعَهُ، وانهَزَمَ طَاهِرٌ وأسَرَهُ

(أ) ح: سكري.

(1) الكامل في التاريخ 8: 47-50. ويقارن مع البيان المغرب 1: 152-153.

سُبكَرِيٌّ وأسَرَ أخَاهُ يَعْقوب، وبَعَثَ بهما إلى المُقْتَدِر مَعَ كاتِبِه عبدِ الرَّحْمَن بنِ جَعْفَرٍ الشِّيرَازِيّ، وقَرَّرَ أمْرَهُ على ما يَحْمِلُه، وذلكَ سَنَةَ سِتٍّ وتسعين، ثم سَارَ إليه اللَّيْثُ ابنُ عليٍّ من سِجِسْتَان سَنَةَ سَبْعٍ وتِسْعين، فغَلَبَه ومَلَكَ فَارِس، وهَرَبَ سُبْكَرِيٌّ إلى أرَّجَان، وأمَدَّهُ المُقْتَدِرُ بمُؤنِسٍ الخَادِمِ في العَسَاكِر، فَجَاءَ إلى أرَّجَان، وجَاءَ الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَان من قُمَّ إلى البَيْضَاءِ في إعَانَتِه، فسَارَ لمُلاقَاتِه/ وأضَلَّ الطَّرِيقَ إلى مَسَالِكَ [297ب] صَعْبَةٍ [حتّى][أ] أشْرَفَ على عَسْكَرِ مُؤنس. وكان سُبْكَرِيٌّ قد بَعَثَ أخَاهُ إلى شِيرَازَ ليَحْفَظَها، فلمَّا أشْرَفَ على العَسْكَرِ ظَنَّه عَسْكَرَ أخِيه، فثَارُوا إليه واقْتَتَلُوا، وانْهَزَمَ عَسْكَرُ اللَّيْث وأُخِذَ أسِيرًا. وأشَارَ عليه أصْحَابُه أنْ يَقْبِضَ على سُبْكَرِيّ ويَطْلُبَ من المُقْتَدِرِ وِلَايَةَ فَارِسَ مَكَانَه، فوَافَقَهُم طَاهِرٌ ودَسَّ إليه، فلَحِقَ بشِيرَازَ، وعَادَ مُؤنِسٌ إلى بَغْدَادَ باللَّيْثِ أسِيرًا والحُسَيْنُ بنُ حَمْدَانَ إلى عَمَلِه بقُمَّ.

ثم إنَّ عبدَ الرَّحْمَن بنَ جَعْفَر كاتِبَ سُبْكَرِيّ اسْتَوْلَى على أمْرِه، وحَسَدَه أصْحَابُه وأكْثَرُوا السِّعَايَةَ فيه عندَ سُبْكَرِيّ، فحَبَسَه واسْتَكْتَبَ مَكَانَه إسْمَاعيلَ بنَ إبْراهيمَ اليَمَنِيّ، فحَمَلَه على العِصْيَان، ومَنَعَ الحَمْلَ ودَسَّ عبدَ الرَّحمن بنَ جَعْفَرٍ مِن مَحْبِسِه إلى الوَزِير ابنِ الفُرَاتِ بذلك، فكَتَبَ إلى مُؤنِس وهُوَ بوَاسِطَ يأمُرُهُ بالعَوْدِ إلى فَارِس، فسَار. ورَاسَلَه سُبْكَرِيٌّ وأنَّسَه وسَألَ منهُ الوَسَاطَةَ في أمْرِه، وشَعَرَ ابنُ الفُرَات بمَيْلِ مُؤنِسٍ إليه، فأنْفَذَ جَمَاعَةً من القُوَّادِ مَعَ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرٍ لفَتْحِ فَارِس، ورَجَعَ مُؤنِسٌ إلى بَغْدَاد، وسَارَ مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَر فهَزَمَ سُبْكَرِيَّ على شِيرَاز، فخَلَصَ إلى بَمَّ وتَحَصَّنَ بها، وحَاصَرَه مُحَمَّد. ثم خَرَجَ إليه فهَزَمَه ثَانِيَةً، ودَخَلَ مَفَازَةَ خُرَاسَان

(أ) زيادة يقتضيها السياق.

فلَقِيَتْه عَسَاكِرُ إسْمَاعيلَ بنِ سامانَ فأَسَرُوه ومحمدَ بْنَ عليِّ بنِ اللَّيْثِ معه، وبَعَثَ بهما إسْماعيلُ إلى بَغْدَاد، فحُبِسَا هُنالِكَ. واسْتَوْلى محمَّدُ بنُ جعْفَر، من القُوَّاد، على فَارِس، ووَلَّى عليها قَبِيجا خَادِمَ الأفشِين. ثم صَارَت وِلايَتُهُمَا لبَدْرِ بن عبدِ الله الحَمَّامِيِّ (1).

نَكْبَةُ ابنِ الفُرَاتِ، ووِزارَةُ الخَاقَانيِّ

وفي آخِرِ سَنَة تِسْعٍ وتِسْعينَ ومائتَيْن، قَبَضَ المُقْتَدِرُ على وَزيرِه أبي الحَسَن ابنِ الفُرَات ونَهَب دَارَه ودُورَ أَصْحَابِه وما يتعلَّقُ به، وهُتِكَتْ حُرَمُه، وقَامَتِ الهَيْعَةُ ببَغْدَادَ ثَلاثَةَ أيّام ثُم سَكَنَت، وذلك لـثَلاثِ سِنِينَ وثَلاثَةِ أَشْهُرٍ من وِزَارَتِه. واسْتَوْزَرَ مَكَانَه أبا عليٍّ محمَّدَ بنَ يحيى بنِ عُبَيْدِ الله/ بن يحيى، فرَتَّبَ الأُمُورَ ووَلَّى على الدَّوَاوِين. ثم سَاءَ تَصرُّفُه لِضِيقِ صَدْرِه وطَيْشِه وعُدُولِه عن مَذَاهِبِ الرِّيَاسَةِ إلى الوَضَاعَة، ومُرَاجَعَةِ أَصْحَابِ الحَاجَاتِ والحُقُوق إلى ما يُرِيدُ قَضَاءَه منها، وكَثْرَةِ التَّوْلِيَة والعَزْل، وتَحَكَّمَ أَصْحَابُهُ عليه في إطْلاقِ الأمْوَالِ وانْبِسَاط الجَاه بإفْسَادِ الأحْوَال. واعْتَزَمَ المُقْتَدِرُ على عَزْلِه بأبي الحَسَن بنِ أبي البَغْل، فاسْتَدْعَاهُ من أَصْبَهَان، ثم قَبَضَ عليه وعلى أخيه أبي الحَسَن ببَغْدَاد، وأَهْمَلَ رأيَ الوُزَرَاءِ وصَارَ يَرْجِعُ إلى قَوْلِ النِّسَاء والخَدَم، فطَمِعَ العُمَّالُ في الأطْرَاف، ثم أخرجَ ابنَ الفُرَاتِ من مَحْبِسِه وجَعَلَه في بَعْضِ الحُجَر، وأَحْسَنَ إليه وصَارَ يَعْرِضُ عليه مُطَالَعَاتِ العُمَّال، وأَرَادَ أنْ يَسْتَوْزِرَه، ثم بَدَا له واسْتَدْعَى عليَّ بنَ عيسى من مَكَّةَ فاسْتَوْزَرَه لأوَّلِ [298أ]

(1) الكامل في التاريخ 8: 56-58.

سَنَةَ إحْدَى وثلاثِ مائة، وقَبَضَ على الخَاقَانِيِّ وحَبَسَهُ مُوَسَّعًا عليه. وقَامَ عليٌّ بنُ عِيسَى بالوِزَارَة، وأصْلَحَ ما أفْسَدَه الخَاقَانِيُّ واسْتَقَامَتِ الأمُور(1).

قِيَامُ أهْلِ صِقِلّيَةَ بدَعْوَةِ المُقْتَدِرِ، ثُمَّ رُجُوعُهُم إلى طَاعَةِ المَهْدِيِّ

قد ذَكَرْنا وِلَايَةَ عليِّ بن عُمَرَ على صِقِلِّيَةَ من قِبَلِ عُبَيْدِ الله المَهْدِيِّ سَنَةَ تِسْعٍ وتسعين، ثم إنَّ أهْلَ صِقِلِّيَةَ انْتَقَضُوا عليه ووَلَّوْا عليهم أحمَدَ بنَ قُرْهُب، ثُمَّ انْتَقَضُوا عليه وأرَادُوا قَتْلَه، فدَعَا إلى طَاعَةِ المُقْتَدِرِ، وخَطَبَ له بصِقِلِّيَة، وقَطَعَ خُطْبَةَ المَهْدِيِّ، وبَعَثَ أُسْطُولاً إلى سَاحِلِ إفْرِيقِيَة، فلَقُوا أسْطُولَ المَهْدِيِّ وعليه الحَسَنُ بنُ أبي خِنْزِير، فأحْرَقُوه وقَتَلُوا الحَسَن، ووَصَلَت خِلَعُ السَّوَاد وألْوِيَتُه لابنِ قُرْهُب من بَغْدَاد. ثم جاءَت أسَاطِيلُ المَهْدِيِّ في البَحْر، وفَسَدَ أمْرُ ابنِ قُرْهُب، ثم ثَارَ به أهْلُ صِقِلِّيَة به سَنَةَ ثلاثِ مائة، وأسَرُوه وبَعَثُوا به إلى المَهْدِيِّ مع جَمَاعَةٍ من أصْحَابِه فأمَرَ بقَتْلِهم على قَبْرِ ابنِ أبي خِنْزِير(2).

وِلَايَةُ العَهْد

وفي سَنَةِ إحْدَى وثلاثِ مائة وَلَّى المُقْتَدِرُ ابنَه أبا العَبَّاس العَهْدَ، وهُوَ الذي وَلِيَ الخِلافَةَ بعدَ القَاهِر، وسُمِّي / بالرَّاضِي، فوَلَّاه أبُوهُ المُقْتَدِرُ العَهْدَ وهُوَ ابنُ أرْبَعِ [298 ب]

(1) الكامل في التاريخ 8: 63-65.

(2) المصدر نفسه 8: 71-73.

سِنِينَ وقَلَّدَه مِصْرَ والمَغْرِب، واسْتَخْلَفَ له عليها مُؤْنِسًا الخَادِم، ووَلَّى ابْنَه الآخَرَ عَلِيًّا على الرَّيِّ ودُنْبَاوَنْد وقَزْوِينَ وزَنْجَانَ وأَبْهَر [1].

ظُهُورُ الأُطْرُوشِ ومُلْكُهُ طَبَرِسْتَانَ

كان هذا الأُطْرُوشُ من وَلَدِ عُمَرَ بنِ عليٍّ زَيْنِ العَابِدين، وهُوَ الحَسَنُ بنُ عليِّ ابنِ الحَسَنِ بن عليِّ بن عُمَر، وكان قد دَخَلَ إلى الدَّيْلَم بعدَ قَتْلِ مُحَمَّدِ بن زَيْد، ولَبِثَ فيهم ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَدْعُوهُم إلى الإسْلام، ويأخُذُ منهمُ العُشْرَ ويُدَافِعُ عنهم مَلِكَهُمُ ابنَ حَسَّان، فأَسْلَمَ على يَدَيْه منهم خَلْقٌ كثيرٌ، وبَنَى لهمُ المَسَاجِدَ، وزَحَفَ بهم إلى ثُغُورِ المُسْلِمينَ إزاءَهم مثلَ: قَزْوِينَ وشالُوس، فأطَاعُوه، وهَدَمَ حِصْنَ سَالُوس. ثم دَعَاهُم إلى غَزْوِ طَبَرِسْتَانَ وهِيَ في طَاعَة ابنِ سَامَان، وكان إسْمَاعيلُ بنُ أحمدَ لمَّا انْتَقَضَ بها مُحَمَّدُ بنُ هَارُونَ وقَبَضَ عليه، اسْتَعْمَلَ عليها أبا العَبَّاس عبدَ الله بنَ مُحَمَّدِ ابن نُوح، فأَحْسَنَ السِّيرَةَ وأَظْهَرَ العَدْلَ، وبَالَغَ في الإحْسَانِ إلى العَلَوِيَّة الّذين بها، واسْتَمَالَ الدَّيْلَمَ بالمُهَادَاةِ والإحْسَان، فاشْتَمَلَ النَّاسُ عليه.

فلمَّا دَعَاهُم الحَسَنُ إلى غَزْوِ طَبَرِسْتَانَ لم يُجِيبُوه من أجلِ ابنِ نُوح، ثُم إنَّ أحمدَ بنَ إسْماعيلَ عَزَلَ ابنَ نُوحٍ عنها، ووَلَّى عليها سَلامًا فأَسَاءَ السِّيرَةَ ولم يُحْسِنْ سِيَاسَةَ الدَّيْلَم، فهَاجُوا عليه فقَاتَلَهُم وهَزَمَهُم، واسْتَعْفَى من وِلايَتِها، فعَادَ إليها ابنُ نُوح

(1) الكامل في التاريخ 8: 76.

وصَلَحَت الحَالُ كما كانت إلى أنْ مَاتَ، فوَلَّى عليها محمَّدَ بنَ إبراهِيمَ صُعْلوكًا، فأسَاءَ السِّيرَةَ وتَنَكَّرَ للدَّيْلَم، فصَادَفَ الحَسَنُ منها الغِرَّةَ ودَعَاهُم إلى غَزْوِ طَبَرِسْتَانَ فأجَابُوه، وسَارَ إليه ابْنُ صُعْلُوكٍ على مَرْحَلَةٍ من شَالُوسَ بشَاطِئِ البَحْر، فانْهَزَمَ وقُتِلَ مِن أَصْحَابِه أربعةُ آلاف، ولَجَأَ البَاقُونَ إلى شَالُوس، فَحَاصَرَهُم الأُطْرُوشُ حتى اسْتَأْمَنُوا، ورَجَعَ عنهم إلى آمُل.

ثم جَاءَ الحَسَنُ بنُ القَاسِم العَلَوِيُّ، الدَّاعِي صِهْرُ الأُطْرُوش، إلى أُولَئِك المُسْتَأْمِنِينَ فقَتَلَهم، واسْتَوْلَى الأُطْرُوشُ على طَبَرِسْتَان ، ولَحِقَ ابنُ صُعْلُوكٍ بالرَّيِّ [299أ] /سَنَةَ إحْدَى وثلاثِ مائة، وسَارَ منها إلى بَغْدَاد.

وكان الأُطْرُوشُ زَيْدِيَّ المَذْهَب، وجَمِيعُ الذين أسْلَمُوا على يَدِه فيما وَرَاءَ أسْفِيذْرُوذ إلى آمُلَ، كلُّهم على مَذَاهِبِ الشِّيعَة. ثم إنَّ الأُطْرُوشَ العَلَوِيَّ تنَحَّى عن آمُلَ إلى شالُوسَ بعدَ أن غَلَبَ عليها، فبَعَثَ إليه صُعْلُوكٌ – قَائِدُ الرَّيِّ من قِبَلِ ابنِ سَامَان - جَيْشًا فهَزَمَهُم وعَادَ إلى آمُل. ثم زَحَفَت إليه عَسَاكِرُ السَّعِيد نَصْرٍ صَاحِبِ خُرَاسَانَ سَنَةَ أرْبَعٍ وثلاثِ مائةٍ فقَتَلُوه. وكان هذا الأُطْرُوشُ عَادِلاً حَسَنَ السِّيرَة، لم يُرَ مِثْلُه في أيَّامِه، وأَصَابه الصَّمَمُ مِن ضَرْبَةٍ في رأسِه بالسَّيْفِ في الحَرْب(1).

وقَال ابنُ مِسْكَوَيْهِ في كِتَاب تَجَارِبِ الأُمَم، ويُقَالُ فيه: الحَسَنُ بنُ عليٍّ الدَّاعي، ولَيْسَ به، وإنَّما الدَّاعي الحَسَنُ بنُ القَاسم صِهْرُه(2)، وسَنَذْكُرُه فيما بَعْدُ.

(1) الكامل في التاريخ 8: 81-83.

(2) تجارب الأمم 5: 89 ، وهذا النَّقْل عن الكامل لابن الأثير (8: 86) الذي رجع إلى تجارب الأمم لمسكويه.

وكان له من الوَلَد: أبو الحَسَن، وأبو القَاسِم، وأبو الحُسَيْن، وكان قُوَّادُه منَ الدَّيْلَم جَماعَةً منهم: لَيْلَى بنُ النُّعْمان وكانت إليه وِلَايَةُ جُرْجَان، وماكان بنُ كاكي، وكان على أَسْتَرَاباذَ وبَغْرا. ثم كان من قُوَّادِ وَلَدِه الدَّيْلَم جَماعَةٌ آخرونَ منهم: إِسْفَارُ بنُ شِيرْوَيْهِ من أَصْحَابِ ماكانَ بنِ كاكي، ومَرْدَاويجُ بنُ زِيَادٍ من أَصْحَابِ إسْفَار، وسُبُكَرِيٌّ من أَصْحَابِه أيضًا، وبَنُو بُوَيْهِ مِن أَصْحَابِ مَرْدَاوِيج، وسيأتي الخَبَرُ عن جَميعِهِم.

غَلَبُ المَهْدِيِّ على الإِسْكَنْدَرِيَّة، ومَسِيرُ مُؤْنِسٍ إلى مِصْر

وفي سَنَة ثِنْتَينِ وثلاثِ مائةٍ بَعَثَ عُبَيْدُ الله المَهْدِيُّ عَسَاكِرَه من إفْرِيقِيَّةَ إلى الإسْكَنْدَرِيَّة مع قَائِده حُبَاسَةَ الكُتَامِيِّ، فغَلَبَ عليها وسَارَ إلى مِصْر، وبَلَغَ المُقْتَدِرَ فبَعَثَ مُؤْنِسًا الخَادِمَ في العَسَاكِرِ لمحارَبَتِه، وأَمَدَّه بالأَمْوَالِ والسِّلاح. وسَارَ إليهم وقَاتَلَهُم فهَزَمَهُم بعدَ وَقَائِعَ مُتَعَدِّدَةٍ قُتِلَ فيها من الفَرِيقَيْنِ خلقٌ، وبَلَغَ القَتْلَى والأَسْرَى منَ المَغَارِبَة سَبْعَةَ آلاف، ورَجَعوا إلى المَغْرِب[1].

(1) الكامل في التاريخ 8: 84-85، 89. وجاءت هذه الفقرة في نسخة ح، بعد انتقاض الحسين بن عليّ.

انتِقاضُ الحُسَيْنِ على ابنِ حَمْدَانَ بديَارِ ربِيعَة، وأَسْرُه

كان الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَانَ والِيًا على دِيَارِ رَبِيعَة، وطَالَبه الوَزيرُ عليُّ بنُ عيسى بالمَال، فدَافعَه/ وأمَرَه بتَسْليمِ البِلادِ إلى عُمَّالِ السُّلْطَانِ، فامْتَنَع، وكان مُؤْنِسٌ الخَادِمُ بمِصرَ في مُحَارَبَةِ عَسَاكِرِ المَهْدِيِّ صَاحِبِ إفريقِيَّة، فجَهَّزَ الوَزِيرُ إلى ابنِ حَمْدَانَ رَائِقًا الكَبِيرَ في عَسْكَرٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وثلاثِ مائة، وكَتَبَ إلى مُؤْنِسٍ أن يَسِيرَ إلى الجزيرَةِ لِقِتَالِه بعدَ فَرَاغِه مِن أَصْحَابِ العَلَوِيِّ بمِصر، فسَارَ رَائِقٌ أوَّلاً، وهزَمَه الحُسَيْنُ ولَحِقَ بمُؤْنس، فأمَرَه بالمُقَام بالمَوْصِل، وسَارَ نحوَ الحُسَيْن، ومعَهُ أحمدُ بنُ كَيْغَلَغ، وانتَهَى إلى جَزيرَةِ ابنِ عُمَر، ولَحِقَ الحُسَيْنُ بأَرْمِينِيَّة، ورَجَعَ الكثيرُ من عَسْكَرِه إلى مُؤْنس. [299 ب]

ثم بَعَثَ مُؤْنِسٌ عَسْكرًا في أثَرِه عليهم بليق ومعَهُ سِيَما الجَزَرِيُّ وجِنِّي الصَّفْوَانِيُّ، واتَّبَعُوه فأدْرَكُوه، وقَاتَلُوه فهَزَمُوه، وجَاؤوا بـه أسِيرًا ومعَـهُ ابنُـه عبدُ الوَهَّاب وأهْلُه وكثيرٌ مِن أصْحَابِه، وعَادَ مُؤْنِسٌ به إلى بَغْدَادَ على المَوْصِل، فحَبَسه المُقْتَدِرُ، وهَرَبَ بَعْضُ أوْلادِه إلى آمِد، فأَوْقَعَ به عامِلُها وبَعَثَ برَأسِه إلى بَغْدَاد. ثم قَبَضَ المُقْتَدِرُ على أبي الهَيْجَاء بنِ حَمْدَان وجَميع إخْوَتِه وحَبَسَهم، ثم أطْلَقَ أبا الهَيْجَاءِ سَنَةَ خَمْسٍ، وقتَلَ الحُسَيْنَ سَنَةَ سِتٍّ بَعْدَها كما نَذْكُر [1].

(1) الكامل في التاريخ 8: 92-94، 107؛ وتجارب الأمم 5: 90-92.

وِزارةُ ابنِ الفُراتِ الثّانيةُ

كان الوَزِيرُ أبو الحَسَن بنُ الفُرات مَحْبُوسًا كما ذكَرْنا، وكان المُقْتَدِرُ يشاوِرُه ويَرْجِعُ إلى رَأْيِه، وسَعَى بعضُ أصْحَابِ المُقْتَدِرِ في إعادَتِه، وبلَغَ ذلكَ الوَزِيرَ عليَّ بنَ عيسى فاسْتَعْفَى ومَنَعَه المُقْتَدِر، فسَكَنَ. ثُمَّ جاءَت في بعضِ الأيّام قَهْرَمانَةُ القَصْرِ تُناظِرُه في نَفَقاتِ الحُرَم والحاشِية وكِسوتِهم، فألْفَتْه نائِمًا فلم يُوقِظْه لها أحَدٌ. فرَجَعَت وشَكَت إلى المُقْتَدِرِ وأُمِّه، فقَبَضَ عليه في ذي القَعْدَة من سَنَة أرْبَعٍ وثلاثِ مائة، وأعَادَ ابنَ الفُرَات، على أن يَحْمِلَ إلى بَيْتِ المَال ألْفَ دِينارٍ وخمسَ مائة دِينارٍ في كلِّ يَوم. وقَبَضَ على الوَزيرَيْنِ قَبْلَه: عليِّ بنِ عيسى والخاقانيِّ وأصْحابِهما، وصادَرَهُم أبو عليِّ بنُ مُقْلَةَ، وكان مُخْتَفِيًا منذ قُبِضَ على ابنِ الفُرَات، فقَدَّمَه الآنَ واسْتَخْلَصَه[1].

خَبَرُ ابنِ أبي السّاجِ بأذْرَبِيجان

[30أ] /قد ذكَرْنا اسْتِقْرارَ يُوسُفَ بنِ أبي السَّاج على أرْمِينِيَّة وأذْرَبِيجان منذُ مَهلِكِ أخيه محمدٍ سَنَةَ ثَمانٍ وثَمانِينَ ومائتَيْن، وكان على الحَرْبِ والصَّلاةِ والأحْكام، وعليه مَالٌ يؤَدِّيه، فلمَّا وَلِيَ الخاقانيُّ وعليُّ بنُ عِيسَى الوِزَارَةَ، والْتاثَتْ أمُورُها، طَمِعَ

(1) الكامل في التاريخ 8: 98-99؛ وتجارب الأمم 96-99.

يُوسُفُ في الاسْتِبْدَاد، وأخَّرَ بَعْضَ المَالِ، واجْتَمَعَ له ما يُرِيدُه لذلك، وبَلَغَتْه نَكْبَةُ الوَزِيرِ عليِّ بن عِيسَى، فأظْهَرَ أنَّ العَهْدَ وَصَلَ إليه بوِلاَيَةِ الرَّيِّ على يَدِ عليِّ بن عِيسَى. وكان أحمدُ بنُ صُعْلُوك - من قُوَّادِ نَصْرِ بن سَامَان - قد تغَلَّبَ على الرَّيِّ وما يَلِيها، وقَاطَعَ عليها بمالٍ يَحْمِلُه، فسَارَ إليه يُوسُفُ سَنَةَ أرْبَعٍ وثلاثِ مائة، فهَرَبَ إلى خُرَاسَان، واسْتَوْلَى يُوسُفُ على الرَّيِّ وقَـزْوِينَ وزَنْجَان، وكَتَبَ إلى الوَزِيرِ ابنِ الفُرَاتِ بالفَتْح ويَعْتَدُّ بأنَّه طَرَدَ المُتَغَلِّبِين، ويَذْكُرُ كَثْرَةَ ما أنْفَقَ في ذلك، وأنَّه كان بأمْرِ الوَزِير عليِّ بنِ عِيسَى وعَهْدِهِ إليه بذَلك، فاسْتَعْظَمَ المُقْتَدِرُ ذلك، وسُئِلَ عَليُّ ابنَ عِيسَى فأنْكَرَ، وقال: سَلُوا الكُتَّابَ والحَاشِيَةَ، والعَهْد واللِّوَاءُ لا يَسِيرُ بهما إلَّا بعض القُوَّادِ أوِ الخَدَم.

فكَتَبَ ابنُ الفُرَات بالنَّكِيرِ على يُوسُف، وجَهَّزَ العَسَاكِرَ لحَرْبِه مع خَاقَانَ المُفْلِحِيّ، ومعَهُ أحمدُ بنُ مَسْرُورٍ البَلْخِيُّ، وسِيَما الجَزَرِيُّ، ونِحْرِيرٌ الصَّغِير. وسَارُوا سَنَةَ خَمْسٍ وثلاثِ مائة، فهَزَمَهُم يُوسُفُ وأسَرَ منهم جَمَاعَةً، فبَعَثَ المُقْتَدِرُ مُؤْنِسًا الخَادِمَ في جَيْشٍ كَثِيفٍ لمُحَارَبَتِه، وعَزَلَ خَاقَانَ المُفْلِحِيَّ عن أعْمَالِ الجَبَل، ووَلَّاها نِحْرِيرًا الصَّغِير، وسَارَ مُؤْنِسٌ، واسْتَأمَنَ لهُ أحمدُ بنُ عليٍّ أخو صُعْلُوكٍ فأمَّنه وأكْرَمَه، وبعَثَ ابنَ أبي السَّاج في المُقَاطَعَة على أعْمَالِ الرَّيِّ بسبع مائةِ ألْفِ دِينَارٍ سِوى أرْزَاقِ الجُنْدِ والخَدَم، فأبَى له المُقْتَدِرُ من ذلك عُقُوبَةً على ما أقْدَمَ عليه، ووَلَّى على ذلك العَمَل وَصِيفًا البَكْتَمُرِيَّ، وطَلَبَ ابنَ أبي السَّاج أن يُقَاطِعَ على ما كان بيَدِه قبلَ الرَّيِّ من أذْرَبِيجان وأرْمِينِيَّة، فأبَى المُقْتَدِرُ إلَّا أن يَحْضُرَ في خِدْمَتِه.

فلمَّا يَئِسَ ابنُ أبي السَّاج زَحَفَ إلى مُؤْنِسٍ وقَاتَلَه، فانْهَزَمَ مُؤْنِسٌ إلى زَنْجَانَ، وقُتِلَ من قُوَّادِه جَمَاعَةٌ، وأُسِرَ هِلالُ بنُ بَدْرٍ وغيرُه، فحَبَسَهم يُوسُفُ في أرْدَبِيل،

[300 ب] وأقام/ مُؤْنِسٌ بزَنْجَانَ يَجْمَعُ العَسَاكِرَ، ويَسْتَمِدُّ المُقْتَدِرَ، وابنُ أبي السَّاجِ يُراسِلُهُ في الصُّلْحِ، والمُقْتَدِرُ لا يُجِيبُ إلى ذلكَ. ثم قَاتَلَه مُؤْنِسٌ في فَاتِحِ سَنَةِ سَبْعٍ وثلاثِ مائةٍ عندَ أَرْدَبِيلَ، فهزَمَه وأسَرَه وعَادَ به إلى بَغْدَادَ أسِيرًا، فَحَبَسَه المُقْتَدِرُ.

ووَلَّى مُؤْنِسٌ على الرَّيِّ ودُنْبَاوَنْدَ وقَزْوِينَ وأَبْهَرَ وزَنْجَانَ عليَّ بنَ وَهْشُوذَانَ، وجَعَلَ أموالَهَا لرِجالِه، ووَلَّى مُؤْنِسٌ على أصْبَهَانَ وقُمَّ وقَاشَانَ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ صُعْلُوكٍ، وسَارَ عن أَذْرَبِيجان، فوَثَبَ سُبُكٌ مَوْلَى يُوسُفَ بنِ أبي السَّاجِ عليها فَملَكَهَا، واجْتَمَعَ إليه عَسْكَرٌ، فوَلَّى مُؤْنِسٌ بنَ مُحَمَّدِ بن عُبَيدِ الله الفَارِقِي، وسَارَ لمُحَارَبَةِ سُبُك، فانْهَزَمَ وعَادَ إلى بَغْدَاد.

وتمكَّن سُبُكٌ في أَذْرَبِيجان، وسأل المُقَاطَعَةَ على مائتَيْ أَلفٍ وعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ في كلِّ سَنَةٍ، فأُجِيبَ وعُقِدَ له عليها، ثم وَثَبَ أحمدُ بنُ مُسَافِرٍ صَاحِبُ الطَّرْمِ على ابنِ أخيه عليِّ بنِ وَهْشُوذَانَ صَاحِبِ الرَّيِّ وأعْمَالِها، وكان مُقِيمًا بقَزْوِين، فقَتَلَه على فِرَاشِه، ولَحِقَ ببَلَدِه، فوَلَّى المُقْتَدِرُ وَصِيفًا البَكْتَمُرِيَّ مَكانَه على أعْمَالِ الرَّيِّ، ووَلَّى مُحَمَّدَ بنَ سُلَيْمَانَ صَاحِبَ الجَيْشِ على الخَرَاجِ بها، ثمّ وَثَبَ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ صُعْلُوكٍ صَاحِبُ أصْبَهَانَ وقُمَّ على الرَّيِّ فملَكَها، وكَتَبَ إليه المُقْتَدِرُ بالنَّكِيرِ، وأنْ يَعُودَ إلى قُمَّ، فعَادَ، ثم أظْهَرَ الخِلافَ وأجْمَعَ المَسِيرَ إلى الرَّيِّ، وسَارَ وَصِيفٌ البَكْتَمُرِيُّ لحَرْبِه. وأُمِرَ عَزِيزٌ الصَّغِيرُ أن يُسَيِّرَ مَدَدًا لبَكْتَمُر، فسَبَقَهُم أحمدُ بنُ صُعْلُوكٍ إلى الرَّيِّ ومَلَكَها، وقَتَلَ مُحَمَّدَ بنَ سُلَيْمَانَ صَاحِبَ الخَرَاجِ، وبَعَثَ إلى نَصْرٍ الحَاجِبِ ليُصْلِحَ أمْرَه بالمُقَاطَعَةِ على أعْمَالِ الرَّيِّ بمائةٍ وستينَ ألفَ دِينَار، ويَنْزِلَ عن قُمَّ، فكَتَبَ لهُ بذلكَ ووَلَّى غَيْرَه على قُمَّ[1].

(1) الكامل في التاريخ 8: 99-104.

خَبَرُ سِجِسْتَانَ وكَرْمَانَ

كانت/ سِجِسْتَانُ قد صَارَت لابنِ سَامَانَ منذُ سَنَةِ ثَمانٍ وتِسْعين ومائتَيْن، ثُمَّ [1301] تَغَلَّبَ عليها كُثَيِّرُ بنُ أحمدَ بن شَهفُورَ من يَدِه، فكَتَبَ المُقْتَدِرُ إلى عَامِلِ فَارِس، وهُوَ بَدْرُ بنُ عبدِ الله الحَمَّاميُّ، أنْ يُرْسِلَ العَسَاكِرَ لمُحَارَبَتِه، ويُؤَمِّرَ عليهم دَرَكًا، ويَجْعَلَ على الخَرَاجِ بها زَيْدَ بنَ إبراهيم. فسَارَتِ العَسَاكِرُ وحَارَبُوا أهْلَ سِجِسْتَانَ فهَزَمُوهُم وأَسَرُوا زَيْدَ بنَ إبْراهيم، وكَتَبَ كُثَيِّرٌ إلى المُقْتَدِرِ بالبَرَاءَة مِن ذلك وتَطْوِيقِه أهْلَ سِجِسْتَان. وأرسَلَ المُقْتَدِرُ أنْ يَسِيرَ لِقِتَالِه بنفْسِه، فخَافَ كُثَيِّرٌ وطَلَبَ المُقَاطَعَةَ على خَمْسِ مائةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ في كلِّ سَنَةٍ، فأُجِيبَ وقُرِّرَتِ البِلادُ عليه، وذلك سَنَةَ أرْبَعٍ وثلاثِ مائة(1).

وانْتَقَضَ في هذه السَّنَة بكَرْمَانَ صَاحِبُ الخَرَاج بها أبو يَزِيدَ خَالِدُ بنُ محمد المَاذَرَائِيُّ، وسَارَ منها إلى شِيرَازَ يَرُومُ التَّغَلُّبَ على فَارِس، فسَارَ إليه بَدْرٌ الحَمَّاميُّ العَامِلُ، وحَارَبَه فقَتَلَه وحَمَلَ رَأْسَه إلى بَغْدَاد(2).

وَزَارَةُ حَامِدِ بنِ العَبَّاس

وفي سَنَةِ سِتٍّ وثلاثِ مائةٍ قَبَضَ المُقْتَدِرُ على وَزِيرِه أبي الحَسَنِ بنِ الفُرَات، بسَبَبِ شَكْوَى الجُنْدِ بمَطْلِه أرْزَاقَهم، واعْتَذَرَ بضِيقِ الأمْوَالِ للنَّفَقَة في حُرُوبِ ابنِ أبي السَّاج، ونَقْصِ الارْتِفَاع بخُرُوج الرَّيِّ عن مُلْكِه. فشَغَبَ الجُنْدُ

(1) الكامل في التاريخ 8: 104-105.

(2) المصدر نفسه 8: 106.

وَرَكِبُوا، وطَلَبَ ابنُ الفُرَاتِ من الخَلِيفَة إطْلاقَ مائتَيْ أَلْفِ دِينَار من خَاصَّتِه يَسْتعِينُ بها، فنكِرَ ذلك عليه لأنَّه كان ضَمِنَ القِيَامَ بأَرْزَاقِ الأَجْنَاد وجَمِيعِ النَّفَقاتِ الرَّاتِبَة، فاحْتَجَّ بنقْص الارْتِفَاع وبالنَّفَقَةِ في الحَرْبِ كما تَقَدَّم، فلم يَقْبَل. ويُقَالُ: سَعَى فيه عندَ المُقْتَدِرِ بأَنَّه يَرُومُ إرْسَالَ الحُسَيْنِ بنِ حَمْدَانَ إلى أبي السَّاج فيُحَارِبُه، وإذا صَارَ عنده اتَّفَقَا على المُقْتَدِر، فقَتَلَ المُقْتَدِرُ ابنَ حَمْدَانَ، وقَبَضَ على ابنِ الفُرَاتِ في جُمَادَى الآخِرَة، وكان حَامِدُ بنُ العَبَّاس على أَعْمَالِ وَاسِط، وكان مُنَافِرًا لابنِ الفُرَات، وسَعَى به عندَه بزِيَادَةِ ارْتِفَاعِه على ضَمَانِه، فخَشِيَه حَامِدٌ على نَفْسِه.

وكَتَبَ إلى نَصْرٍ الحَاجِبِ وإلى وَالِدِه المُقْتَدِرِ بالسَّعْي له على الوِزَارَة على مَالٍ [301 ب] أَشْرَطَهُ لهما، فذَكَرَ للمُقْتَدِر سَعَةَ نفسِه وكَثْرَةَ أَتْبَاعِه، وذلك عندَ/ اسْتِيحَاشِه من ابنِ الفُرَات. فاسْتَقْدَمَه من وَاسِط، وقَبَضَ على ابنِ الفُرَاتِ وابنِه المُحَسِّن وأَتْبَاعِهما، واسْتَوْزَرَ حَامِدًا فلم يُوَفِّ حُقُوقَ الوِزَارَة ولا سِيَاسَتَها، وتَجَاسَرَ عليه الدَّوَاوِين، فأَطْلَقَ المُقْتَدِرُ عليَّ بنَ عِيسَى وأقَامَهُ على الدَّوَاوِينِ كالنَّائِبِ عن حَامِد. فكان يُزَاحِمُه، واسْتَبَدَّ بالأُمورِ دُونَه، ولم يَبْقَ لحَامِدٍ إلَّا اسْمُ الوِزَارَة. ثمّ أَحْضَرَ ابنَ الفُرَات يَوْمًا لِيُنَاظِرَهُ على ما عندَهُ منَ الأَمْوَالِ فسَفَّه عَلَيْه، فأَجَابَه ابنُ الفُرَاتِ بأَسَفِه منه، وقال لشَفِيعٍ اللُّؤْلُؤي: قُلْ لأَمِيرِ المُؤْمِنين: إنَّ حامِدًا، إنَّما حَمَلَه على طَلَبِ الوِزَارَة أنِّي طَالَبْتُه بأَكْثَرَ مِن أَلْفَيْ أَلْفِ دِينَارٍ من فَضْلِ ضَمَانِه، فاسْتَشَاطَ حَامِدٌ وَزَادَ في السَّفَه، فأَنْفَذَ المُقْتَدِرُ مِنْ رَدَّ ابنَ الفُرَاتِ إلى مَحْبِسِه، ثم صُودِرَ وضُرِبَ ابْنُه المُحَسِّنُ وأَصْحَابُه وأُخِذَت منهُ الأَمْوَال.

ثمّ إنَّ حَامِدًا لمَّا رَأَى اسْتِطَالَةَ عليِّ بن عِيسَى عليه، وكَثْرَةَ تَصَرُّفِه في الوِزَارَة

دُونَه، ضَمِنَ للمُقْتَدِرِ أعْمَالَ الخَرَاجِ والضِّيَاعَ الخَاصَّةَ والمُسْتَحْدَثَةَ والقَرَارِيَة، بِسَوَادِ بَغْدَادَ والكُوفَةِ وَوَاسِطَ والبَصْرَةِ والأهْوَازِ وأصْبَهَان، واسْتَأْذَنَ في الانْحِدَارِ إلى وَاسِطَ لاسْتِخْرَاجِ ذلك، فانْحَدَر واسْمُ الوِزَارَةِ له، وأقَامَ عليُّ بنُ عِيسَى يُدَبِّرُ الأمُورَ، فأظْهَرَ حَامِدٌ الوَفْرَ في الأمْوَال، وبَسَطَ المُقْتَدِرُ يَدَهُ حتّى خَافَه عليُّ بنُ عِيسَى.

ثم تَحَرَّكَ السِّعْرُ بِبَغْدَاد، فشَغَبَتِ العَامَّةُ ونَهَبُوا الدَّقَّاقِين، لأنَّ حَامِدًا وغَيْرَه مِنَ القُوَّادِ كانُوا يَخْزِنُونَ الغِلالَ. وأُحْضِرَ حَامِدٌ لِمَنْعِهِم فَحَضَرَ فقَاتَلُوه، وفَتَقُوا السُّجُونَ، ونَهَبُوا دَارَ الشُّرْطَة، وأنْفَذَ المُقْتَدِرُ غَرِيبًا الخَالَ في العَسْكَر، فسَكَّنَ الفِتْنَةَ وعَاقَبَ المُتَصَدِّينَ للشَّرِّ، وأمَرَ بفَتْحِ المَخَازِنِ الّتي للحِنْطَة وبَيْعِها، فرَخُصَ السِّعْر، وسَكَنَ النَّاس.

وسَعَى عليُّ بنُ عِيسَى في حَامِدٍ عندَ المُقْتَدِرِ بأنَّ سَبَبَ الغَلاءِ ضَمانٌ تَوَصَّلَ به إلى مَنْعِ النَّاسِ مِن بَيْعِ الغِلالِ في البَيَادِرِ وخَزْنِها، فرَفَعَ الضَّمَانَ عن حَامِد، وصَرَفَ عُمَّالَه عنِ السَّوَاد، ورَدَّ ذلك لِعَلِيِّ بنِ عيسى، وسَكَنَ النَّاسُ(1).

وُصولُ أبي القَاسِمِ بنِ المَهْدِيِّ إلى مِصْر

[302أ] /وفي سَنَةِ سَبْعٍ وثلاثِ مائةٍ بَعَثَ المَهْدِيُّ - صَاحِبُ إفْرِيقِيَّة – ابْنَهُ أبا القَاسِمِ في العَسَاكِرِ إلى مِصْر، فوَصَلَ إلى الإسْكَنْدَرِيَّة في رَبِيعِ الآخِرِ ومَلَكَها، ثم سَارَ إلى مِصْرَ ونَزَلَ بالجِيزَة واسْتَوْلَى على الصَّعِيد، وكَتَبَ إلى أهْلِ مَكَّةَ بالدُّخول

(1) الكامل في التاريخ 8: 110-112.

في طاعَتِه فلم يُجيبُوا، وبعَثَ المُقْتَدِرُ مُؤنِسًا الخادِمَ إلى مِصرَ لمُدافَعَتِه، فكانت بينَهم حُرُوبٌ كَثُرَ فيها القَتْلى من الجانِبَيْنِ، وكان الظُّهُورُ لمُؤنِس، ولُقِّبَ من يومِئِذٍ بالمُظَفَّر.

ووَصَلَ من إفْرِيقِيَّةَ أسْطُولٌ من ثمانِينَ مَرْكبًا مَدَدًا للقائِم، وعليهم سُلَيمانُ الخادِمُ ويَعْقُوبُ الكُتامِيُّ. وأمَرَ المُقْتَدِرُ بأنْ يَسِيرَ إليهم أسْطُولُ طَرَسُوسَ، فسَارَ في خَمْسَةٍ وعشرِينَ مَرْكَبًا وعليهم أبو اليُمْنِ، ومعَهمُ العُدَدُ والأنْفاطُ، فغَلَبُوا أسْطُولَ إفْرِيقِيَّة وأحْرَقُوا أكثَرَ مَراكِبِه. وأسِرَ سُلَيمانُ الخادِمُ ويَعْقُوبُ الكُتامِيُّ في جَماعَةٍ قُتِلَ أكْثَرُهم، وحُبِسَ سليمانُ بمِصرَ، وحُمِلَ يَعْقُوبُ إلى بَغْداد. ثم هَرَبَ وعادَ إلى إفْرِيقِيَّة، وانْقَطَعَ المَدَدُ عن عَسْكَرِ المَغارِبَة، فوَقَعَ الغَلاءُ عندَهم، وكَثُرَ المَوَتانُ في النَّاسِ والخَيْل، فارْتَحَلُوا راجِعِينَ إلى بِلادِهم، وسارَت عَساكِرُ مِصْرَ في أثَرِهم حتى أبْعَدُوا[1].

بَقِيَّةُ خَبَرِ ابنِ أبي السَّاج

قد تَقَدَّمَ لنا أنَّ مُؤنِسًا حارَبَ يُوسُفَ بنَ أبي السَّاج عامِلَ أذْرَبِيجان، فأسَرَهُ وحَمَلَهُ إلى بَغْدادَ فحُبِسَ بها، واسْتَقَرَّ بَعْدَه في عَمَلِهِ سُبُكٌ مَوْلاه. ثم إنَّ مُؤنِسًا شَفَعَ فيه سَنَةَ عَشرٍ، فأطْلَقَه المُقْتَدِرُ وخَلَعَ عليه، ثم عَقَدَ لهُ على أذْرَبِيجان وعلى الرَّيِّ وقَزْوِينَ وأبْهَرَ وزَنْجانَ على خمسِ مائةِ ألْفِ دِينار في كلِّ سَنَةٍ سوى أرْزاقِ العَساكِر.

(1) الكامل في التاريخ 8: 113-114.

وسَارَ يُوسُفُ إلى أَذْرَبِيجان ومعَهُ وَصِيفٌ البَكْتَمُرِيُّ في العَسَاكِرِ، ومَرَّ بالمَوْصِل فنظَرَ في أعْمَالِها وأعْمَالِ دِيَارِ رَبِيعَة، وقد كان المُقْتَدِرُ تَقَدَّمَ إليه بذلك، ثُمَّ سَارَ إلى أَذْرَبِيجان وقد مَاتَ مَوْلاه سُبُك، فاسْتَوْلى عليها[1].

وسَارَ سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ إلى الرَّيِّ، وكان عليها أحمَدُ بنُ عليّ أخو صُعْلُوك، وقدِ اقْتَطَعَها كما قدَّمْنا، ثم انتَقَضَ على المُقْتَدِرِ، وهَادَنَ ماكَانَ بنَ كاكي من قُوَّادِ الدَّيْلَمِ القَائِمَ بدَعْوَةِ/ [302ب] أَوْلادِ الأُطْرُوشِ في طَبَرِسْتَانَ وجُرْجَان.

فلمَّا جَاءَ يُوسُفُ إلى الرَّيِّ حَارَبَه أحمد، فقَتَلَه يُوسُفُ وأنفَذَ رَأْسَهُ إلى بَغْدَاد، واسْتَوْلى على الرَّيِّ في ذي الحِجَّة وأقَامَ بها مُدَّةً، ثم سَارَ عنها إلى هَمَذَانَ فاتِحَ ثلاث عشرةَ، واسْتَخْلَفَ بها مَوْلاه مُفْلِحًا، وأخْرَجَه أهْلُ الرَّيِّ عنهم، فعَادَ يُوسُفُ إليهم في جُمَادَى من سَنَتِه، واسْتَوْلى عليها ثانِيَةً[2].

ثم قَلَّدَه المُقْتَدِرُ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ نَوَاحِيَ المَشْرِق، وأَذِنَ له في صَرْفِ أمْوَالِها في قُوَّادِه وأجْنَادِه، وأمَرَهُ بالمَسِيرِ إلى وَاسِط، ثم منها إلى هَجَر لمُحَارَبَةِ أبي طَاهِرٍ القَرْمَطِيِّ، فسَارَ يُوسُفُ إلى وَاسِط، وكان بها مُؤْنِسٌ المُظَفَّر، فرَجَعَ إلى بَغْدَاد وجعَلَ له أمْوَالَ الخَرَاج بنَوَاحِي هَمَذَانَ وسَاوَةَ وقُمَّ وقَاشَانَ ومَاهِ البَصْرَة ومَاهِ الكُوفَة وماسَبَذَانَ لِيُنْفِقَها في عَسْكَرِه، ويَسْتَعِينَ بها على حَرْبِ القَرَامِطَة[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 136-137.

(2) المصدر نفسه 8: 144-145.

(3) المصدر نفسه 8: 162.

ولمَّا سَارَ عن الرّيِّ كَتَبَ المُقْتَدِرُ إلى السَّعِيدِ نَصْرِ بنِ سَامَانَ بوِلايَةِ الرَّيِّ، وأمَرَه بالمَسِيرِ إليها وأخْذِها من فَاتِكٍ مَوْلى يُوسُف، فسَارَ إليها فَاتِحَ أرْبَعَ عَشْرَة، فلَمَّا انْتَهَى إلى جَبَلِ قَارِن مَنَعَه أبو نَصْرٍ الطَّبَرِيُّ مِنَ العُبُور، وبَذَلَ له ثلاثينَ ألفَ دينار، فتَرَكَ سَبِيلَه، وسَارَ إلى الرَّيِّ فَمَلَكَهَا من يَدِ فَاتِك، وأقَامَ بها شَهرَيْن، ووَلَّى عليها سِيمْجُورَ الدَّوَاتِيَّ وعَادَ إلى بُخَارَى. ثم اسْتَعْمَلَ على الرَّيِّ محمَّدَ بنَ أبي صُعْلُوك، فأقَامَ بها إلى شَعْبَانَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وأصَابَه مَرَض، وكَاتَبَ الحَسَنَ بنَ القَاسِمِ الدَّاعيَ ومَاكَانَ بن كاكي أمِيرَي الدَّيْلَمِ في تَسْلِيمِ الرَّيِّ إليهما، فقَدِمَا، وسَارَ عنها ومَاتَ في طَرِيقِه، واسْتَوْلَى الدَّاعِي والدَّيْلَمُ عليها[1].

بَقِيَّةُ الخَبَرِ عن وُزَرَاءِ المُقْتَدِر

قد تَقَدَّمَ الكلامُ في وِزَارَةِ حَامِدِ بنِ العَبَّاس، وأنَّ عليَّ بنَ عِيسَى كان مُسْتَبِدًّا عليه في وزارَتِه، وكان كثيرًا ما يَطْرَحُ جانِبَه ويُسيءُ في تَوْقيعاتِهِ على عُمَّالِه، وإذا شَكَا إليه أحَدٌ من نُوَّابِه يُوقِّعُ على القِصَّة: وإنَّما عَقْدُ الضَّمان على الحُقُوقِ الوَاجِبَة فلْيَكُفَّ الظُّلْمَ عن الرَّعِيَّة. فأَنِفَ حَامِدٌ من ذلك، واسْتَأذَنَ في المَسِيرِ إلى وَاسِطَ/ للنَّظَرِ في [303ا] ضَمَانِه، فأذِنَ له. ثم كَثُرَتِ اسْتِغَاثَةُ الحُرَم والحَاشِيَة مِن تأَخُّرِ أرْزَاقِهم وفَسَادِها، فإنَّ عليَّ بنَ عيسى كان يُؤَخِّرُها، وإذا اجْتَمَعَت عِدَّةُ شُهُورٍ أسْقَطُوا بَعْضَها، وكَثُرَتِ اسْتِغَاثَةُ العُمَّالِ وجَمِيعِ أصْحَابِ الأرْزَاقِ بأنَّه حَطَّ مِن أرْزاقِهِم شَهرَيْنِ من كلِّ سَنَة،

(1) الكامل في التاريخ 8: 166-167.

فكثُرَ الشَّغبُ على حَامد. وكان المُحَسِّنُ ابنُ الوَزِير ابنِ الفُرَات مُتَعَلِّقًا بمُفْلِح الأسْوَدِ خالصةِ المُقْتَدِر، وكان يَسْعَى بسَبَبِ ذلك لأبيه، وجَرَى بينَه وبينَ حَامِدٍ يومًا كَلامٌ، فأسَاءَ عليه حَامِدٌ وحَقَدَ له مُفْلِح.

وكَتَبَ ابنُ الفُرَات إلى المُقْتَدِر، وضَمِنَ له أمْوَالاً فأطْلَقَه واسْتَوْزَرَه، وقَبَضَ على عليِّ بنِ عيسى وحَبَسَه في مَكانِه، وذلك سَنَةَ إحْدى عَشْرَة، وجَاءَ حَامِدٌ من وَاسِط، فبعَثَ ابنُ الفُرَاتِ مَن يَقْبِضُ عليه، فهَرَبَ من طَرِيقِه واخْتَفَى ببَغْدَاد. ثمّ مَضَى إلى نَصْرٍ الحَاجِبِ سِرًّا وسَألَ إيصَالَه إلى المُقْتَدِر، وأن يكونَ مَحْبِسُه بدَارِ الخِلافَة، ولا يُمَكِّنَ ابنَ الفُرَاتِ منه. فاسْتَدْعَى نَصْرٌ الحاجِبُ مُفْلِحًا الخَادِمَ حتّى وَقَفَه على أمْرِهِ وشَفَعَ له في رَفْع المُؤَاخَذَة بما كان منه، فَمَضَى إلى المُقْتَدِر وفَاوَضَه بما أحَبَّ، وأمَرَ المُقْتَدِرُ بإسْلامِه لابنِ الفُرَات، فحَبَسَهُ ورَفَّهَ عليه، ثُم أحْضَرَهُ وأحْضَرَ له القُضَاةَ والعُمَّال، ونَاظَرَه فيما وَصَلَ إليه منَ الجِهَاتِ فأقَرَّ بنحوِ ألْفِ ألْفِ دِينَار. وضَمِنَه المُحَسِّنُ بنُ الفُرَاتِ بخَمْس مائةِ ألْفِ دِينَار فسُلِّمَ إليه وعَذَّبَه أنْوَاعًا من العَذَاب، وبَعَثَه إلى وَاسِطَ لبَيْع أمْوَالِه هُنَاك، فهَلَكَ في طَرِيقِه من إسْهَالٍ أصَابه(1).

ثم صُودِرَ عليُّ بنُ عِيسَى على ثلاثِ مائةِ ألْفِ دِينَار، وعَذَّبه المُحَسِّنُ بعدَ ذلك فلم يَسْتَخْرِجْ منه شَيْئًا، وسَيَّرَه ابنُ الفُرَاتِ إلى مَكَّةَ وأمَرَ أن يَسِيرَ إلى صَنْعَاء، وكان ابنُ مُقْلَةَ أسَاءَ إلى ابنِ الفُرَاتِ أيَّامَ عُطْلَتِه، وحَبَسَه بعدَ أنْ كان رَبَّاه وأحْسَنَ إليه، فقَبَضَ عليه مُدَّةً ثم أطْلَقَه، وقَبَضَ على ابنِ الحُوذِيِّ وسَلَّمَه إلى ابنِه المُحَسِّن، فعَذَّبَه، ثُم بَعَثَه إلى الأهْوَازِ لاسْتِخْرَاجِ الأمْوال، فضَرَبَه المُوَكَّلُ بهِ حتى مات. وقَبَضَ أيضًا على

(1) الكامل في التاريخ 8: 139-141.

الحُسَيْنِ بنِ أحمد، وكان قد تَوَلَّى مِصْرَ والشَّام، وعلى محمَّد بنِ عليٍّ الماذَرائيِّ، [3ب] وصَادَرَهما/ على أَلْفِ أَلْفٍ وسَبْعِ مائةِ أَلْفِ دِينار، وصَادَرَ جَمَاعَةً مِنَ الكُتَّابِ سِوَاهُم ونَكَبَهم. وجَاءَ مُؤْنِسٌ من غَزَاتِه فأنهَى إلى المُقْتَدِرِ أفعَالَ ابنِ الفُرَات، وما هُوَ يَعْتَمِدُه مِنَ المُصَادَرَاتِ والنَّكَبَاتِ وتَعْذيبِ ابنِه للنَّاس، فخَافَه ابنُ الفُرَاتِ وخَوَّفَ المُقْتَدِرَ منه، وأشَارَ بمَسِيرِه إلى الشَّام ليُقِيمَ هُنَالِكَ بالثَّغْر، فبَعَثَه المُقْتَدِرُ وأبْعَدَه[1].

ثم سَعَى ابنُ الفُرَات بنَصْرٍ الحَاجِبِ وأغْرَاهُ به وأطْمَعَهُ في مَالِه، وكان مُكْثِرًا؛ واسْتَجَارَ نَصْرٌ بأُمِّ المُقْتَدِر. ثم كَثُرَ الإرْجَافُ بابنِ الفُرَات، فخَافَ وكَتَبَ إلى المُقْتَدِرِ بأَنَّ النَّاسَ عَادَوْهُ لنُصْحِه للسُّلْطانِ واسْتِيفَاءِ حُقُوقِه، ورَكِبَ هُوَ وابنُهُ المُحَسِّنُ إلى المُقْتَدِرِ فأَوْصَلَهُما إليه وأنَّسَهُما، وخَرَجا من عندِه فمَنَعَهما نَصْرٌ الحَاجِبُ، ودَخَلَ مُفْلِحٌ على المُقْتَدِرِ وأشَارَ عليه بعَزْلِه، فأسَرَّ إليه وِفَاقَه على ذلك، وأمَرَ بتَخْلِيَةِ سَبِيلِهما. واخْتَفَى المُحَسِّنُ من يَوْمِه. وجَاءَ نَازُوك وبليق من الغَدِ في جَماعَةِ الجُنْدِ إلى دَارِ ابنِ الفُرَاتِ فأخْرَجُوه حَافِيًا حَاسِرًا، وحُمِلَ إلى مُؤْنِس المُظَفَّرِ ومعَهُ هِلالُ بنُ بَدْر، ثمّ سُلِّمَ إلى شَفِيعِ اللُّؤْلُؤيِّ فحُبِسَ عندَه وصُودِرَ على أَلْفِ أَلْفِ دِينار، وذلك سَنَةَ ثِنْتَي عَشْرَةَ[2].

وكان عبدُ الله بنُ محمَّدِ بن عُبَيْدِ الله بنِ يحيى بن خَاقَان، وأبو القَاسِمِ بنُ أبي عليٍّ، لمَّا تَغَيَّرَ حَالُ ابنِ الفُرات، سَعَى في الوَزَارَة وضَمِنَ في ابنِ الفُرَاتِ وأصْحَابِه أَلْفَي أَلْفِ دِينَارٍ على يَدِ مُؤْنِس الخَادِمِ وهَارُونَ بنِ غَرِيبِ الخال ونَصْرٍ الحَاجِب، فاسْتَوْزَرَه المُقْتَدِرُ على كَرَاهِيَةٍ فيه، ومَاتَ أبوه عليٌّ في وَزَارَتِه. وشَفَعَ إليه مُؤْنِسٌ الخَادِمُ في إعَادَةِ عليِّ بنِ عِيسَى من صَنْعاء، فكَتَبَ له بالعَوْدِ وبمُشَارَفَةِ أعْمَالِ مصر

(1) الكامل في التاريخ 8: 142-143.

(2) المصدر نفسه 8: 149-150.

والشّام، وأقام المُحسِّنُ بنُ الفُرات مُختَفِيًا مُدّةً. ثم جاءتِ امرأةٌ إلى دارِ المُقتَدِرِ تُنادِي بالنَّصِيحة، فأحضَرَها نَصرٌ الحاجِبُ، فدلَّت على المُحسِّن، فأحضَرَه نازُوكُ صاحِبُ الشُّرطَة، فسُلِّمَ للوزير وعُذِّب بأنواعِ العَذاب، فلم يُستَخرَجْ منهُ شيءٌ، فأمَرَ المُقتَدِرُ بحَملِه إلى أبيه بدارِ الخِلافة، وجاءَ الوَزِيرُ أبو القَاسم الخَاقَانيُّ إلى مُؤنِسٍ وهَارُونَ ونَصرٍ، فحَذَّرَهم شَأنَ ابنِ الفُرات وغَائِلتَه بدارِ الخِلَافة، وأغرَاهُم به، فوَضَعُوا القُوّادَ والجُندَ، وقالوا:/ لابُدَّ من قَتلِ ابنِ الفُراتِ ووَلَدِه. ووافَقَ هؤلاءِ على [304] ذلك، فأمَرَ نازُوكُ بقَتلِهما فذَبَحَهُما[1].

وجاءَ هَارُونُ إلى الوَزيرِ الخَاقَانِيِّ يُهَنِّؤُهُ بذَبحِهما فأُغمِيَ عليه، ثم أفَاقَ وأخَذَ منه ألفَي دِينَار، وشَفَعَ مُؤنِسٌ المُظَفَّرُ في ابنَيه: عبدِ الله وأبي نَصرٍ فأُطلِقَا ووَصَلَهُما بعِشرِينَ ألفَ دِينَار. ثم عُزِلَ الخَاقَانيُّ سَنَةَ ثَلاثَ عَشرَةَ، لأنَّه أصابَه المَرَضُ وطَالَ به. وشَغَبَ الجُندُ في طَلَبِ أرزَاقِهم، فوَقَفَت به الأحوَالُ، وعَزَلَه المُقتَدِرُ ووَلّى مَكانَه أبا العَبَّاس الخَصِيبيَّ، وكان كاتِبًا لأُمِّه، فقَامَ بالأمرِ وأقَرَّ عليَّ بنَ عيسى على الإشرَافِ على أعمَالِ مِصرَ والشَّام، فكان يَتَرَدَّدُ إليهما مِن مَكّةَ[2].

ثم إنَّ الخَصِيبيَّ اضطَرَبَت أُمورُهُ وضَاقَتِ الجِبَايَةُ، وكان مُدمِنًا للسُّكرِ مُهمِلًا للأُمور، ووَكَّلَ مَن يَقومُ عنه، فآثَرُوا مَصالِحَهم وأضاعُوا مَصلَحَته. وأشارَ مُؤنِسٌ المُظَفَّرُ بعَزلِه ووِلايَةِ عليِّ بنِ عيسى، فعَزَلَه لسَنَةٍ وشَهرَين. واستُقدِمَ عليُّ بنُ عِيسى من دِمَشق، وأُمِرَ أبو القَاسِم عبدُ الله بنُ محمدٍ الكَلْوَاذيُّ بالنِّيابَة عنهُ إلى أن يَحضُر، فحَضَر أوَّلَ سَنَة خَمسَ عَشرَةَ واستَقَلَّ بأمرِ الوَزَارَة، وطَلَبَ كَفَالاتِ المُصادَرِينَ والعُمَّال، وما ضَمِنَ منَ الأموَال بالسَّوَادِ والأهوَازِ وفَارِسَ والمَغرِب، فاستَحضَرَها

(1) الكامل في التاريخ 8: 151-153.

(2) المصدر نفسه 8: 158-159.

شيئًا بعدَ شيء، وأدرَّ الأرزَاقَ وبَسَطَ العَطَاءَ وأسْقَطَ أرزاقَ المُغنّين والمَساخِرَةِ والنَّدمانِ والصَّفَاعِنَة، وأسقَطَ من الجُنْدِ أصَاغِرَ الأوْلاد ومَن ليس له سِلاحٌ، والهَرْمَى والزَّمْنَى، وبَاشَرَ الأمُورَ بنَفْسِه، واستَعْمَلَ الكُفَاة.

وطَلَبَ أبا العَبَّاس الخَصِيبيَّ في المُنَاظَرَة، وأحْضَرَ له الفُقَهاءَ والقُضَاة والكُتَّاب، وسَألَه عن أمْوَالِ الخَرَاج والنَّوَاحي والمُصَادَرَاتِ وكَفَالاتِها، وما حَصَلَ مِن ذلك، وما الوَصْلُ والبَوَاقي؟ فقالَ: لا أعْلَم. فسألَه عنِ المالِ الذي سَلَّمه لابنِ أبي السَّاج: كَيْفَ سَلَّمَه بلا مُشْرِفٍ ولا مُنفِق، وكَيْفَ سَلَّمَ إليه أعْمَالَ المَشرق، وكَيْفَ بَعَثَه لبِلادِ الصَّحْرَاء بهَجَرَ وهُوَ وأصْحابُه مِن أهْلِ التُّلُولِ والخِصْب؟ فقال: ظَنَنْتُ منهمُ القُدْرَةَ على ذلك، وامْتَنَعَ ابنُ أبي السَّاج منَ المُنفَق، فقال: وكيفَ اسْتَجَزتَ ضَرْبَ حُرَمِ المُصَادَرين؟ فسَكَت، ثم سُئِلَ عنِ الخَرَاجِ فخَلَّطَ، فقال: أنت غَرَّرْتَ أميرَ المُؤمنين من نَفْسِك، فهَلَّا اعْتَذَرْتَ / بعَدَمِ المَعْرفَة؟ ثم أُعِيدَ إلى مَحْبِسِه، [304 ب] واستَمَرَّ عليُّ بنُ عِيسَى في وِلايَتِه.

ثمّ اضطَرَبَت عليه الأحْوالُ واختَلَّتِ الأعْمَالُ، ونَقَصَ الارْتِفَاعُ نَقْصًا فاحِشًا، وزَادَتِ النَّفَقات. وزَادَ المُقْتَدِرُ تلك الأيَّامَ في نَفَقاتِ الخَدَم والحُرَم ما لا يُحْصَى، وعَادَ الجُنْدُ منَ الأبْنَاء فزادَهُم في أرْزَاقِهم مائَتَيْنِ وأربعينَ ألْفَ دِينَار. فلمَّا رَأى ذلك عليُّ ابنُ عِيسَى ويَئِسَ منَ انقِطَاعِه أو تَوَقُّفِه، وخَشِيَ من نَصْرٍ الحَاجِب، فقد كان انْحَرَفَ عنهُ لمَيْل مُؤنِس إليه وما بينَهما منَ المُنَافَرَة في الدَّوْلَة، فاسْتَعْفَى منَ الوِزَارَة وألَحَّ في ذلك، وسَكَّنه مُؤنِسٌ فقال لهُ: أنت سَائِرٌ إلى الرَّقَّة وأخْشى على نَفْسي بَعْدَك(1).

ثم فاوَضَ المُقْتَدِرُ نَصْرًا الحاجِبَ بعدَ مَسِيرِ مُؤنس، فأشَارَ بوِزَارَةِ أبي عليٍّ

(1) الكامل في التاريخ 8: 183.

ابنِ مُقْلَة، فاستَوْزَره المُقْتَدِرُ سَنَةَ سِتَّ عشْرةَ، وقَبَضَ على عليِّ بنِ عِيسَى وأخِيه عبدِ الرَّحْمَن، وقَامَ ابنُ مُقْلَةَ بالوَزَارَة، وأعانَه فيها أبو عبدِ اللهِ البَرِيدِيُّ لَمَوَدَّةٍ بينَهما، واستَمَرَّت حَالُه على ذلك. ثم عَزَلَه المُقْتَدِرُ ونَكَبَه بعدَ سنتَيْنِ وأرْبَعَةَ أشْهرٍ حينَ اسْتَوْحَشَ من مُؤْنِسٍ كما نَذْكُره. وكان ابنُ مُقْلَةَ مُتَّهَمًا بالمَيْل إليه، فاتَّفَقَ مَغِيبُه في بَعْض الوُجُوه فقَبَضَ عليه المُقْتَدِر. فلمَّا جَاءَ مُؤْنِسٌ سَأل في إعَادَتِه فلم يُجِبْه المُقْتَدِرُ وأرَاد قَتْلَه فمَنَعَه، واسْتَوْزَرَ المُقْتَدِرُ سُلَيْمانَ بنَ الحَسَن، وأَمَرَ عليَّ بنَ عيسى بمُشارَكَتِه في الاطِّلاعِ على الدَّوَاوِين، وصُودِرَ ابنُ مُقْلَةَ على مائتَيْ ألْفِ دِينَار، وأقَامَ سُلَيْمانُ في وَزَارَتِه سَنَةً وشَهْرَين، وعليُّ بنُ عِيسَى يُشَارِكُهُ في الدَّوَاوِين، وضَاقَت عليه الأحْوالُ إضَاقَةً شَدِيدَةً، وكَثُرَتِ المُطَالَبَاتُ ووَقَفَت وَظَائِفُ السُّلْطان[1].

ثم أُفْرِدَ دِيوَانُ السَّوَادِ بالوِلايَة، فانْقَطَعَت مَوَادُّ الوَزِير؛ لأنَّه كان يُقِيمُ مِن قِبَلِه مَن يَشْتَرِي تَوْقِيعَاتِ الأرْزَاق ممَّن لا يَقْدِرُ على السَّعْيِ في تَحْصِيلِها مِنَ العُمَّالِ والفُقَهاءِ وأرْبَابِ البُيُوت، فيَشْتَرِيها بنِصْفِ المَبْلَغ، فتَعَرَّضَ بعضُ مَن كان يَنْتَمِي لمُفْلِح الخَادِمِ لتَحْصِيلِ ذلك للخَلِيفَة، وتَوَسَّطَ له مُفْلِحٌ، فدَافَعَ لذلك وجَاهَرَ في تَحْصِيلِه مِنَ العُمَّال، فاخْتَلَّتِ الأحْوالُ بذلك وفُضِحَ الدِّيوَان، ووَقَعَت أحْوالُ النَّاس لقَطْعِ مَنَافِعِ الوُزَرَاءِ والعُمَّالِ الَّتي كانوا يَرْتَفِقُونَ/ بها، وإهْمَالِهم أُمُورَ النَّاس بسَبَبِ ذلك. وعَادَ [305أ] الخَلَلُ على الدَّوْلَة، وتَحَرَّكَ المُرَشَّحُونَ للوَزَارَة في السِّعَايَة وضَمَانِ القِيَام بالوَظَائِفِ وأرْزَاقِ الجُنْد. وأشَارَ مُؤْنِسٌ بوِزَارَة أبي القَاسِمِ الكَلْوَاذي[أ]، فاسْتَوْزَره المُقْتَدِرُ في

(أ) في الكامل: الكلوذاني.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 184، 218.

رَجَبٍ من سَنَة تِسْعَ عَشْرَة، وأقَامَ في وَزَارَته شَهْرَين[1].

وكان ببَغْدَادَ رَجُلٌ من المَمَخْرِقِينَ يُسَمَّى الدَّانيَالِيّ[2]، وكان وَرَّاقًا ذَكِيًّا مُحتَالًا يَكْتُبُ الخُطُوطَ في الوَرَقِ ويُدَاوِيها حتى تَتَّسِمَ بالبِلَى، وقد أوْدَعَها ذِكْرَ مَن يَرَاهُ مِن أهْلِ الدَّوْلَة برُمُوزٍ وإشَارَات، ويَقْسِمُ له فيها من حُظُوظِ المُلْكِ والجَاهِ والتَّمَكِين قِسْمَةً مِن عَالَم الغَيْب، يُوهِمُ أنَّها مِنَ الحَدَثَانِ القَدِيم المأثُورِ عن دَانيَالَ وغيرِه، وأنَّها مِنَ المَلَاحِمِ المُتَوَارَثَةِ عن آبائِه. ففَعَلَ ذلك بمُفْلِح، وكَتَبَ له في الأوْرَاق: م م م يكونُ له كَذَا وكذا، وسَأَلَه مُفْلِحٌ عنِ الميم فقال: هو كِنَايَةٌ عنكَ، لأنَّك مُفْلِحٌ مَوْلَى مُقْتَدِر! ونَاسَبَ بَيْنَه وبينَ عَلامَاتٍ مَذْكُورَةٍ في تِلْكَ الأوْرَاق حتى طَبَّقَها عليه، فشُغِفَ بهِ مُفْلِحٌ وأغْنَاه. وكان يُدَاخِلُ الحُسَيْنَ بنَ القَاسم بنِ عُبَيْدِ الله بن وَهْب، فرَمَزَ اسْمَه في كِتَابٍ وذكَرَ بَعْضَ عَلامَاتِه المُنْطَبِقَةِ عليه، وذكَرَ أنَّه يَسْتَوْزِرُهُ الخَلِيفَةُ الثَّامِنَ عَشَرَ مِن خُلَفَاءِ بني العَبَّاس، وتَسْتَقِيمُ الأمُورُ على يَدَيْه، ويُقْهَرُ الأعَادِي وتَعْمُرُ الدُّنْيَا في أيَّامِه. وخَلَطَ ذلك في الكِتَابِ بحَدَثَانٍ كَثِيرٍ وَقَعَ بَعْضُه ولم يَقَعِ الآخَر.

وقَرَأَ الكِتَابَ على مُفْلِح فأُعْجِبَ به، وجَاءَ بالكِتَابِ إلى المُقْتَدِرِ فأُعْجِبَ به الآخَرُ، وقال لمُفْلِح: مَن تَعْلَمُ بهذه الصِّفَة؟ فقالَ: لا أرَاهُ إلَّا الحُسَيْنَ بنَ القَاسِم. فقال: صَدَقْتَ، وإنِّي لأمِيلُ إليه، وقد كان المُقْتَدِرُ أرادَ وِلايَتَه قَبْلَ ابنِ مُقْلَةَ وقبلَ الكَلْوَاذِي، فامْتَنَعَ مُؤنِس. ثم قال المُقْتَدِرُ لمُفْلِح: إنْ جَاءَتْكَ منهُ رُقْعَةٌ بالسَّعْي في الوِزَارَة فاعْرِضْها عليَّ. ثم سَأَلَ مُفْلِحٌ الدَّانيَالِيَّ: مِن أينَ لكَ الكِتَابُ؟ قَال: وِرَاثَةٌ مِن آبائي، وهُوَ مِن مَلاحِمِ دَانيَال. فأنْهَى ذلك إلى المُقْتَدِر، واغْتَبَطُوا بالحُسَيْنِ وبَلَغَ الخَبَرُ إليه، فكَتَبَ إلى مُفْلِحٍ

(1) الكامل في التاريخ 8: 225.

(2) المصدر نفسه 8: 230.

بالسَّعْيِ في الوَزَارَة، فعَرَضَ كِتَابَه على المُقْتَدِرِ فأمَرَه بإصْلاحِ مُؤْنِس.

واتَّفَقَ أنَّ الكَلْوَاذِيَّ عَمِلَ حِسَابًا بما يَحْتَاجُ إليه مِنَ النَّفَقَاتِ الزَّائِدَة على الحَاصِل، فكانت سَبْعَ مائَةِ أَلْفِ دِينَار، وكَتَبَ عليه/ [305 ب] أَهْلُ الدِّيوَانِ خُطُوطَهم، وقال: لَيسَ لهذه جِهَةٌ إلَّا ما يُطْلِقُه أميرُ المُؤمنين. فعَظُمَ ذلك على المُقْتَدِر، وكَتَبَ الحُسَيْنُ ابنُ القَاسِمِ يَضْمَنُ جَمِيعَ النَّفَقَاتِ وزِيَادَةَ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ لبَيْتِ المَال. وعَرَضَ كِتَابَه على الكَلْوَاذِيِّ فاسْتَقَال، وأُذِنَ له في وِزَارَة الحُسَيْن. ومَضَى الحُسَيْنُ إلى بليق فأَصْلَحَ له جَانِبَ مُؤْنِسٍ على مَالٍ بَذَلَه له، وعَزَلَ الكَلْوَاذِيَّ لشَهْرَيْنِ مِن وِزَارَتِه، ووَلَّى الحُسَيْنَ بنَ القَاسم، وشَرَطَ أنْ لا يُشَارِكَه عليُّ بنُ عِيسَى في شيءٍ من أُمُورِه، وأخْرَجَهُ إلى الصَّافِيَة[1].

واخْتَصَّ بهِ الحُسَيْنُ بنُ البَرِيدِيّ وابنُ الفُرَات. ولمَّا وَلِيَ واطَّلَعَ على نُقْصَانِ الارْتِفَاع وكَثْرَةِ الإنْفَاق، وضَاقَ عليه الأمْرُ فتَعَجَّلَ الجِبَايَةَ المُسْتَقْبَلَة، وصَرَفَها في المَاضِيَة. وبَلَغَ ذلك هَارُونَ بنَ غَرِيبِ الخَال، فأنْهَاهُ إلى المُقْتَدِر، فرَتَّبَ معَهُ الخَصِيبيَّ واطَّلَعَ على حِسَابِه، فألْقَى له حِسْبَةً لَيْسَ فيها [عَلَيْه وَجْهٌ][أ] ومَوَّه، فأظْهَرَ ذلكَ للمُقْتَدِرِ وجَمَعَ الكُتَّاب، واطَّلَعُوا عليها، وقَابَلُوا الوَزِيرَ بتَصْدِيقِ الخَصِيبيِّ فيما قاله، وقَبَضَ على الحُسَيْنِ بنِ القَاسِمِ في شَهْرِ رَبِيعٍ [الآخِرِ][أ] من سَنَةِ عِشْرِينَ لسَبْعَةِ أَشْهُرٍ من وِلايَتِه. واسْتَوْزَرَ أبا الفَتْحِ الفَضْلَ بنَ جَعْفَرٍ، وسَلَّمَ إليه الحُسَيْنَ فلم يُؤَاخِذه بإسَاءَتِه، ولم يَزَلْ على وِزَارَتِه، إلى أنْ قُتِلَ المُقْتَدِرُ[2].

(أ) إضافة من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 8: 230-232.

(2) المصدر نفسه 8: 238-239.

۞ أَخْبَارُ القَرَامِطَةِ في البَصْرَةِ والكُوفَةِ ومعَ الحاجِّ وفي العِرَاقِ، ومَقْتَلُ ابنِ أبي السَّاجِ

كان القَرَامِطَةُ قدِ اسْتَبَدَّ طَائِفَةٌ منهم بالبَحْرَيْنِ، وعليهم أبو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بنُ أبي سَعِيدٍ الجَنَّابيّ، وَرِثَ ذلك عن أَبِيه، واقْتَطَعُوا ذلك العَمَلَ بأَسْرِه عنِ الدَّوْلَةِ، كما يُذْكَرُ في أَخْبَارِ دَوْلَتِهِم عندَ إِفْرَادِهَا بالذِّكْرِ. فقَصَدَ أبو طَاهِرٍ البَصْرَةَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ ومائتَيْنِ، وبها سُبُكٌ مَوْلَى مُفْلِحٍ، فكَبَسَها لَيْلًا في أَلْفٍ وسَبْعِ مائةٍ، فتَسَنَّمُوا الأَسْوَارَ بالحِبَالِ، ورَكِبَ سُبُكٌ فقَتَلُوه، ووَضَعُوا السَّيْفَ في النَّاسِ، فأَفْحَشُوا في القَتْلِ، وغَرِقَ كثيرٌ في الماءِ، وأَقَامَ أبو طَاهِرٍ بها سَبْعَةَ عَشَرَ يومًا، وحَمَلَ ما قَدَرَ عليه منَ الأَمْوَالِ والأَمْتِعَةِ والنِّسَاءِ والصِّبْيَانِ وعَادَ إلى هَجَرَ[1].

ووَلَّى المُقْتَدِرُ على البَصْرَةِ محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ الفَارِقيَّ، فانْحَدَرَ إليها بعدَ انْصِرَافِهِم عنها. ثم سَارَ أبو طَاهِرٍ القَرْمَطِيُّ سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ مُعْتَرِضًا/ [306أ] للحَاجِّ في رُجُوعِهِم مِن مَكَّةَ، فاعْتَرَضَ أَوَائِلَهُم ونَهَبَهُم، وجَاءَ الخَبَرُ إلى الحاجِّ وهم بَعِيدٌ، وقد فَنِيَتْ أَزْوَادُهُم، وكان معَهم أبو الهَيْجَاءِ بنُ حَمْدَانَ صَاحِبُ طَرِيقِ الكُوفَةِ.

(1) الكامل في التاريخ 8: 143-144.

ثم أغارَ عليهم أبو طَاهرٍ فأوْقَعَ بهم، وأسَرَ أبا الهَيْجَاء وأحمدَ بنَ بَدْرٍ مِن أخْوَالِ المُقْتَدِر[أ]، ونهَبَ الأمْتِعَةَ والأمْوَال، وسَبَى النِّسَاءَ والصِّبْيَان، ورَجَعَ إلى هَجَر. وبقِيَ الحُجَّاجُ ضَاحِينَ في القَفْرِ إلى أن هَلَكُوا، ورَجَعَ كثيرٌ منَ الحُرَم إلى بَغْداد، وشَغَبُوا واجْتَمَعَ معَهم حُرَمُ المَنْكُوبِينَ أيَّامَ ابنِ الفُرَاتِ، ونَادَوا كلُّهم بالوَيْلِ والثُّبُورِ مِن قَرْمَطِيِّ البَحْرَيْنِ وقَرْمَطِيِّ بَغْدَاد، يَعْنُونَ ابنَ الفُرَات، فكان ذلكَ مِن أسْبَابِ نَكْبَتِه[1].

ثم أطلَقَ أبو طَاهِرٍ الأسْرَى الذين عِنْدَه: ابْنَ حمدان وأصْحَابَه، وأرْسَلَ إلى المُقْتَدِرِ يَطْلُبُ البَصْرَةَ والأهْوَازَ، فلم يُجِبْه، وسَارَ مِن هَجَرَ لاعْتِرَاض الحاجّ، وقد سَارَ بينَ أيْدِيهم جَعْفَرُ بنُ وَرْقَاءَ الشَّيْبَانيُّ في ألْفِ رَجُلٍ مِن قَوْمِه، وكان صَاحِبَ أعْمَالِ الكُوفَة وطَرِيقِ مكَّة، وعلى الحاجِّ: ثَمِلُ صَاحِبُ البَحْر، وجِنِّيٌّ الصَّفْوَانيُّ، وطَرِيفٌ السُّبكُرِيُّ، وغيرُهم في سِتَّةِ آلافِ رَجُلٍ. فقَاتَلَ جَعْفَرًا الشَّيْبَانيَّ أوَّلًا وهَزَمَه، ثم اتَّبَعَ الحاجَّ إلى الكُوفَة فهَزَمَ عَسْكَرَهُم وفَتَكَ فيهم، وأسَرَ جِنِّيًا الصَّفْوَانيَّ، وهَرَبَ البَاقُون. ومَلَكَ الكُوفَةَ وأقَامَ بظَاهِرِها ستَّةَ أيَّام يُقِيمُ في المَسْجِدِ إلى اللَّيْل، ويَبِيتُ في عَسْكَرِه. وحَمَلَ ما قَدَرَ عليه مِنَ الأمْوَالِ والمَتَاعِ ورَجَعَ إلى هَجَر. ووَصَلَ المُنْهَزِمُونَ إلى بَغْدَاد، فتَقَدَّمَ المُقْتَدِرُ إلى مُؤْنِسٍ بالخُرُوج إلى الكُوفَة، فسَارَ إليها بعدَ خُرُوجِهم عنها، واسْتَخْلَفَ عليها يَاقُوتًا، ومَضَى إلى وَاسِطَ ليُمَانِعَ أبا طَاهِرٍ دُونَها، ولم يَحُجَّ أحَدٌ هذه السَّنَة[2].

(أ) عند ابن الأثير: عَمّ والدة المقتدر.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 147.

(2) المصدر نفسه 8: 155-156.

وبعَثَ المُقْتَدِرُ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ عن يُوسُفَ بنِ أبي السَّاجِ من أَذْرَبِيجان، وسَيَّرَه إلى وَاسِطَ لحَرْبِ أبي طَاهِر. ورَجَعَ مُؤْنِسٌ إلى بَغْدَاد، وخَرَج أبو طَاهِرٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وقَصَدَ الكُوفَةَ. وجَاءَ الخَبَرُ إلى ابنِ أبي السَّاجِ، فَخَرَجَ من وَاسِطَ آخِرَ رَمَضَانَ يُسَابِقُ أبَا طَاهِرٍ إليها، فسَبَقَه أبو طَاهِر، وهَرَبَ العُمَّالُ عنها واسْتَوْلَى على الأَنْزَالِ والعُلُوفاتِ التي أُعِدَّتْ بها. ووَصَلَ ابنُ أبي السَّاجِ ثَامِنَ شَوَّالٍ بعدَ وُصُولِ أبي طَاهِرٍ بيَوْم، وبَعَثَ يَدْعُوه إلى الطَّاعَة للمُقْتَدِر، فقال: لا طَاعَةَ إلَّا لله، فآذَنَه بالحَرْب، وتَزَاحَفُوا يَوْمًا/ إلى اللَّيْل.

ثم انهَزَم أَصْحَابُ ابنِ أبي السَّاجِ وأُسِرَ، ووَكَّلَ أبو طَاهِرٍ بهِ طَبِيبًا يُعَالِجُ جِرَاحَتَه، ووَصَلَ المُنْهَزِمُونَ بَغْدَادَ فأَرْجَفُوا بالهَرَب. وبَرَز مُؤْنِسٌ المُظَفَّرُ لقَصْدِ الكُوفَة، وقد سَارَ القَرَامِطَةُ إلى عَيْنِ التَّمْر، فبَعَثَ مُؤْنِسٌ من بَغْدَادَ خَمْسَ مائةِ سُمَيْرِيَّةٍ ليَمْنَعَهم من عُبُورِ الفُرَات. ثم قَصَدَ القَرَامِطَةُ الأَنْبَارَ ونَزَلُوا غَرْبِيَّ الفُرَات، وجَاءوا بالسُّفُنِ منَ الحَدِيثَةِ، فأَجَازَ فيهم ثلاثَ مائةٍ منهم، وقَاتَلُوا عَسْكَرَ الخَلِيفَةِ فهَزَمُوهُم واسْتَوْلَوْا على مَدِينَةِ الأَنْبَار.

وجَاءَ الخَبَرُ إلى بَغْدَاد، فَخَرَجَ نَصْرٌ الحَاجِبُ في العَسَاكِرِ ولَحِقَ بمُؤْنِسٍ المُظَفَّرِ، واجْتَمَعُوا في نَيِّفٍ وأَرْبَعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ومعَهم أبو الهَيْجَاءِ عبدُ الله بنُ حَمْدَانَ وإخْوَتُه: ابنُ الوَلِيد وأبو السَّرَايا، وبَلَغُوا عَقَرْقُوفَ[1] على فَرْسَخَيْنِ من بَغْدَاد، وقَطَعُوا القَنْطَرَةَ هُنَالِكَ، فلم يَجِدِ القَرَامِطَةُ مَجَازًا وعَادُوا إلى الأَنْبَار. وبَعَثَ مُؤْنِسٌ حَاجِبَه بليق في ستةِ آلافِ مقاتلٍ إلى عَسْكَرِ القَرَامِطَة ليُخَلِّصُوا ابنَ أبي السَّاج، فقَاتَلَهمُ القَرَامِطَةُ وهَزَمُوهم. وكان أبو طَاهِرٍ قد نَظَرَ إلى ابنِ أبي السَّاجِ وهُوَ

(1) عَقَرْقُوف. قريةٌ من نواحي دُجَيْل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ (معجم البلدان 4: 137).

يَستَشرِفُ إلى الخَلَاصِ، وأَصحَابُه يُبَشِّرُونَه، فأحضَرَه وقَتَلَه، وقَتَلَ جَمِيعَ الأَسْرَى مِن أَصحَابِه، وكَثُرَ الهَرَجُ بِبَغدَاد، واتَّخَذُوا السُّفُنَ للانحِدَارِ إلى وَاسِطَ، ومنهم مَن نَقَلَ مَتَاعَه إلى حُلوَانَ. وكان نَازُوكُ صَاحِبَ الشُّرطَة، فأَكثَرَ التَّطوَافَ باللَّيلِ والنَّهار، وقَتَلَ بَعضَ الدُّعَّارِ فأقصَرُوا عنِ النَّهب[1].

ثم سَارَ القَرَامِطَةُ عن الأَنبَارِ فَاتِحَ سِتَّ عَشرَةَ، ورَجَعَ مُؤنِسٌ إلى بَغدَاد، وسَارَ أبو طَاهِرٍ إلى الرَّحبَةِ فَمَلَكَها واستَبَاحَها، واستَأمَنَ إليه أَهلُ قَرقِيسيَا فأَمَّنَهم، وبَعَثَ السَّرَايَا إلى الأَعرَابِ بالجَزِيرَة فنَهَبُوهم وهَرَبُوا بين يَدَيه، وقَرَّرَ عليهم الإتَاوَةَ في كلِّ سَنَةٍ يَحمِلُونَها إلى هَجَر. ثم سَارَ أبو طَاهِرٍ إلى الرَّقَّةِ وقَاتَلَها ثَلاثًا، وبَثَّ السَّرَايَا إلى رَأسِ عَيْنٍ[2] وكَفَر تُوثا[3] وسِنجَارَ فاستَأمَنُوا إليهم، وخَرَجَ مُؤنِسٌ المُظَفَّرُ مِن بَغدَادَ في العَسَاكِرِ وقَصَدَ الرَّقَّة، فسَارَ أبو طَاهِرٍ عنها إلى الرَّحبَة، ودَخَلَها مُؤنِسٌ، وسَارَ القَرَامِطَةُ إلى هِيتَ فامتَنَعَت عليهم، فسَارُوا إلى الكُوفَة. وخَرَجَ من بَغدَادَ نَصرٌ الحَاجِبُ وهَارُونُ بنُ غَرِيب وبَنِّيُّ بنُ نَفِيسٍ في العَسَاكِرِ إليها، ووَصَلَت خَيلُ / [307أ] القَرَامِطَة إلى قَصرِ ابنِ هُبَيرَة. ثم مَرِضَ نَصرٌ الحَاجِبُ، فاستَخلَفَ على عَسكَرِه أحمدَ بنَ كَيغَلَغ، وعَادَ فمَاتَ في طَرِيقِه، ووَلَّى مَكَانَه على عَسكَرِه هَارُونَ بنَ غَرِيب، ووَلَّى مَكَانَه في الحِجَبَةِ ابنَه أحمد. ثم انصَرَفَ القَرَامِطَةُ إلى بِلادِهم، ورَجَعَ هَارُونُ إلى بَغدَادَ في شَوَّالٍ منَ السَّنَة.

(1) الكامل في التاريخ 8: 162، 170-172.

(2) رأسُ عَيْن: مدينة كبيرة بين حَرَّان ونَصِيبِين ودُنَيسر، وهي إلى دُنَيسِر أقرب (معجم البلدان 3: 13-14).

(3) كفَرْ تُوثا : قرية من أعمال الجزيرة، بين دَارَا ورأس عَيْن (معجم البلدان 4: 468).

ثم اجْتَمَعَ بالسَّواد جَمَاعَاتٌ من أهْل هذا المَذْهَبِ بوَاسِطَ وعَيْن التَّمر، ووَلَّى كلُّ جَمَاعَةٍ عليهم رَجُلًا منهم، فوَلَّى جَمَاعَةُ وَاسِطَ حُرَيْثَ بن مَسْعُود، وجَمَاعَةُ عَيْنِ التَّمر عِيسَى بن مُوسَى، وسَارَ إلى الكُوفَة وصَرَفَ العُمَّالَ عن السَّوَاد، وجَبَى الخَرَاجَ. وسَارَ حُرَيْثٌ إلى أعْمَالِ المُوَفَّقِ وبَنَى بها دَارًا سَمَّاها دارَ الهِجْرَة، واسْتَوْلَى على تلك النَّاحِيَة، وكان صَاحِبُ الحَرْب بوَاسِط بَنِّيّ بْنَ نَفِيس، فهَزَمُوه، فبَعَثَ المُقْتَدِرُ إليه هَارُونَ بن غَرِيب في العَسَاكِر، وإلى قَرَامِطَة الكُوفَة صَافِيًا البَصْرِيّ، فهَزَمُوهُم من كلِّ جَانِب وجَاءوا بأعْلَامِهم بِيضًا، عليها مَكْتُوب: ﴿ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الَّذين اسْتُضْعِفُوا﴾ [سورة القصص، الآية 5]، وأُدْخِلَت إلى بَغْدَاد مَنْكُوسَةً، واضْمَحَلَّ أمْرُ القَرَامِطَة بالسَّوَادِ[1].

اسْتِيلاءُ القَرَامِطَةِ على مَكَّـةَ، وقَلْعُهُـم الحَجَرَ الأسْوَد[أ]

ثم سَارَ أبو طَاهِر القَرْمَطِيّ سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ إلى مَكَّة، وحَجَّ بالنَّاسِ مَنْصُورٌ الدَّيْلَمِيُّ، فلمَّا كان يومُ التَّرْوِيَةِ نَهَبَ أبو طَاهِر أمْوَالَ الحاجِّ، وفَتَكَ فيهم بالقَتْل حتَّى في المَسْجِد والكَعْبَة، واقْتَلَعَ الحَجَرَ الأسْوَد واحْتَمَلَه إلى هَجَر، وخَرَجَ إليه أبو مِخْلَب أميرُ مَكَّة في جَمَاعَةٍ من الأشْرَاف، وسَأَلُوه فلم يُشَفِّعْهم، وقَاتَلُوه فقَتَلَهم، وقَلَعَ بابَ البَيْت، وأصْعَدَ رَجُلًا يَقْتَلِع المِيزَابَ فسَقَطَ فماتَ، وطَرَحَ القَتْلَى في بِئْر زَمْزَم، ودَفَنَ البَاقِين في المَسْجِد حَيْثُ قُتِلُوا ولم يُغَسَّلُوا ولا صُلِّي عليهم ولا كُفِّنُوا. وقَسَمَ كِسْوَةَ البَيْت على أصْحَابِه، ونَهَبَ بُيُوتَ أهْلِ مَكَّة.

(أ) توجد هذه الفقرة هنا في ح، وفي سائر النسخ بعد مُلَخَّص الخَبَر عن بني أبي السَّاج.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 181-182.

وبَلَغَ الخَبَرُ إلى المَهْدِيِّ عُبَيْدِ الله بإفْرِيقِيَّةَ - وكانوا يُظْهِرُون الدُّعَاءَ له - فكَتَب إليه بالنَّكِير واللَّعْن، ويَتَهَدَّدُه على الحَجَر الأسْوَد، فرَدَّه وما أمْكَنَه من أمْوَالِ النَّاس، واعْتَذَرَ عَن بَقِيَّة ما أخَذُوه بافْتِرَاقِه في النَّاس (1).

مُلَخَّصُ الخَبَرِ عن بني أبي السَّاج

كان أبـو الـسَّاج، واسْمُـهُ ديُـوداد، مِـن خِيَـارِ قُـوَّادِ الأتْـرَاك، وأصْلُهُ مِـن أشْرُوسْنَة. ذكَرَ ذلك محمَّدُ بنُ صَالِح بنِ عبدِ الله بنِ مُوسَى الجَوْن العَلَوِيُّ في شِعْرٍ له يَهْجُوه. وكان قد خَرَجَ على المُتَوَكِّلِ بسُوَيْقَةَ (2) من أرْضِ / الحِجَاز، وكان ابنُ أبي [307ب] السَّاج يومَئِذٍ عامِلَ الحِجَاز، فظَفِرَ به وبجماعَةٍ مِن أهْلِه وقَتَلَ بعضَهم وقَيَّدَ البـاقِين، وخَرَّبَ سُوَيْقَةَ، مَنْزِلَ بني الحَسَن ومِن صَدَقاتِ عليٍّ، فخَرَّبَ منازلَها وعَقَرَ نَخْلَها، وحَمَلَهم إلى سُرَّ مَن رأى، ومحمَّدُ بنُ صَالِح فيهم، فحُبِسُوا ثلاثَ سنين، ثم مَدَحَ المُتَوَكِّلَ عليُّ بنُ الفَتْح بن خاقانَ فأطْلَقَه وضَمِنَهُ أنْ لا يَبْرَحَ مِن بَغْدَاد، وقِيلَ: إنَّما أخَذَهُ على الأمانِ بعدَ أنْ شكاهُ إليه عمُّه موسى بنُ عبدِ الله بأنَّه خَرَجَ لسُوَيقة، فجاءَهُ وأخَذَهُ على الأمَانِ وحَمَلَه إلى سُرَّ مَنْ رأى وحُبِسَ بها، وماتَ في مَحْبِسِه بالجُدَرِيّ، وهَجَا أبا السَّاج في مَحْبِسِه ذلك بقولِه [من الوافر]:

أَلَم يَحْـزُنْـكَ يا ذَلْـفاءُ أنِّي ... سَكَنْتُ مَسَاكِنَ الأمْوَاتِ حَيًّا

(1) الكامل في التاريخ 8: 207-208، وكنز الدرر لابن أيبك 6: 93-94.

(2) معجم البلدان 3: 286 وفيه خروج محمد بن صالح العلويّ.

وأنَّ حَمَائِلي ونِجَادَ سَيْفي عَلَوْنَ مُجَدَّعًا أشْرُوسَنِيَّا
فقَصَّرَهُنَّ لمَّا طُلْنَ حتّى اسْتَوَيْنَ عليه لا أَمْسَى سَوِيَّا

وتُوفِّي أبو السَّاج ديودَادُ عندَ عَوْدِهِ من عَسكَرِ عَمْرو الصَّفَّارِ باسْتِدْعَاءِ المُوَفَّق له بجُنْدَيسَابُورَ سنةَ سِتٍّ وستينَ ومائتَيْن، وخَلَّف منَ الوَلَدِ: محمَّدًا ويُوسُفَ، فتنَقَّلَ محمَّدٌ في جَلائلِ الأعْمالِ إلى أنْ بَعَثَهُ المُعْتَمِدُ إلى مَرَاغَةَ لِيَنتزِعَها مِن يدِ عبدِ الله بنِ الحَسَنِ المُتَغَلِّبِ عليها منَ العَلَوِيَّة، ويُقالُ: عبدُ الله بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانيُّ، فسَارَ لذلك سنة تِسعٍ وسَبْعين(1).

ثم تُوفِّي المُعْتَمِدُ، ووَلِيَ المُعْتَضِدُ، فافْتَتَحَ محمَّدٌ مَرَاغَةَ وولَّاهُ المُعْتَضِدُ أرْمِينِيَّةَ وأَذْرَبِيجان وبلادَ الجَبَلِ إلى أنْ تُوفِّي سنةَ ثمانٍ وثمانينَ لِتِسْعِ سنينَ مِن وِلايَتِه، وخَلَّفَ ابْنَيْه ديُودَادَ وأبا المُسَافِرِ الفَتْحَ، وقدَّمَ الجُنْدُ ابنَه ديُودَادَ مَكانَه، وخالَفَهم يُوسُفُ في غِلْمَانِه واقْتتلُوا، وانْهَزَمَ ديُودادُ، وخَيَّرَه عَمُّه يُوسُفُ في الوُفُودِ على الخَلِيفَة، فنَفَذَ لذلك.

ووَلِيَ يُوسُفُ بنُ أبي السَّاج أَذْرَبِيجان، وارْتَفَعَ شأنُه وطالَت مُدَّتُه إلى سنةِ خَمْسٍ وثلاثِ مائة، وانْتَزَعَ الرَّيَّ مِن يَدِ قُوَّادِ بني سَامَانَ مِن أحمَدَ بنِ صُعْلُوكٍ سنةَ أرْبَعٍ وثلاثِ مائة، واسْتَوْلَى معَها على قَزْوِينَ وزَنْجَان، وأظْهَرَ أنَّ ذلك بأمْرِ الوزير عليّ بن عيسى واعْتَذَرَ عن الحَمْل بالنَّفَقَة في ذلك وانْتَقَضَ(2).

(1) قارن مع الكامل في التاريخ 7: 333.
(2) المصدر نفسه 8: 100.

فبَعَثَ المُقْتَدِرُ خاقانَ المُفْلِحيَّ لحَرْبه في العَسَاكِر، فهَزَمَهُ ابنُ أبي السَّاج ونَجا إلى قُمّ. ونَدَبَ المُقتَدِرُ مُؤْنِسًا لحَرْبه، فخَرجَ في شَوَّالٍ/ من السَّنَة، وقَلَّدَ عبدَ الله بنَ [1308] محمَّدٍ الفارِقيَّ أعْمَالَه معَ أرْمِينيَّةَ، وعَزَلَ خَاقانَ المُفْلِحيَّ عن أعْمَالِ الجَبَلِ ووَلَّاها نِحْريرًا الصَّغِيرَ، واسْتأمَنَ له أحمدُ بنُ عليّ، أخُو صُعْلُوكٍ، قائِدُ بني سَامَان، فأمَّنَهُ.

وسَارَ مُؤْنِسٌ وقَدِمَ نافِذٌ الخَادِمُ يَعْرِضُ على أبي السَّاج الطَّاعَةَ، فأجَابَ وتَسَلَّمها نَافِذٌ. وطَلَبَ ابنُ أبي السَّاج المُقَاطَعَةَ عليها لِتِسْع مائَةِ أَلْفِ دينار، وكَتَبَ مُؤْنِسٌ بذلكَ إلى الخَليفَة فأبَى وأمَرَ بابْتياعِه وانْتِزَاعِ الأعْمَالِ مِن يدِه. فسَار مُؤْنِسٌ وفي مُقَدِّمَتِه سِيمَا الطَّويلُ، ويُوسُفُ بنُ أبي السَّاج وفي مُقَدِّمتِه عليُّ بنُ وَصِيف، والْتَقَتِ المُقَدِّمتان، وأَسِرَ سِيمَا وبَعَثَ به ابنُ وَصِيفٍ إلى سُبُكٍ غُلامِ يُوسُفَ بنِ أبي السَّاجِ فقتَلَه.

وحَمَلَ مُؤْنِسٌ حَمْلَةً مُنْكَرَةً، فانْهَزَمَ أصْحَابُ يُوسُف، ثم حَمَلَ يُوسُفُ وغُلامُ سُبُكٍ وحَمَلوا على مُؤْنِسٍ فاحْتَمَلَ أمْوَالَه وهَرَبَ، واحْتَوى يُوسُفُ على سَوَادِه ومَنَعَ مِنَ اتِّبَاعِهم وأَسِرَ بقُرْبِ ابنِ ملاكٍ في أرْدَبِيلَ ثم أطْلَقَه وحَمَلَه وأطْلَقَ جميعَ الأسْرَى.

ونَجَا مُؤْنِسٌ إلى زَنْجَانَ ومعَه صُعْلُوكٌ، وبَعَثَ إليه المُقْتَدِرُ بالعَسَاكِرِ سنةَ سَبْعٍ، وجَاءَه أحمدُ، أخو صُعْلُوكٍ، قائِدُ بني سَامَان مِن أبْهَرَ في العَسَاكِر، وأقام عليَّ ابنَ حَسْنَيَانَ وعليَّ بنَ وَهْشوذانَ على الرَّيّ وأحمَدَ أخَا صُعْلُوكٍ على أصْبَهَانَ وقُمَّ وقاشَان، ورَحَلَ على التعْبِئَة ولَقِيَ يُوسُفَ بظاهِرِ أرْدَبِيلَ فهَزَمَهُ وثَبَتَ في رَبْوَة، فحَمَلَ عليه أبو الهَيْجاءِ عبدُ الله بنُ حَمْدَان في بني تَغْلِبَ وأحَاطَ بهِ من وَرَائِه فانْهَزَمَ

واتَّبَعه أبو الهَيْجَاء، ثُم جِيءَ به أسِيرًا إلى موسى فأكرَمَه، ورَجَع مُؤنِس إلى بَغْدَادَ، وسَيَّرَ ابنَ أبي السَّاج وأحْضَرَهُ عندَ المُقْتَدِر، فوَعَدَهُ الوزيرُ حامِدُ بنُ العبَّاس وعليُّ ابنُ عيسى بالجَمِيل، ثم حُبِسَ ونَجا غُلامُه سُبُكٌ إلى أَذْرَبيجان، وسَارَ الفارِقيُّ لِحَرْبِه، فهَزَمَهُ سُبُكٌ وتمكَّن في أَذْرَبيجان، وسأل المقاطَعَةَ على مائتَيْنِ وعشرينَ ألْف دينار، فأُجِيبَ، وعُقِدَ له.

ثم شَفَعَ مُؤنِسٌ في يُوسُف وأُعيدَ إلى أعمالِه، ووَجد غُلامَه سُبُكًا تُوفِّي، فَحَزِنَ عليه، ثم سَارَ لقتالِ أخي صُعْلُوكٍ فلَقِيَه بينَ أبْهَر وزَنْجان فهزَمَه وقَتَلَهُ، واسْتَقَرَّ في مُلْكِه بأرْدَبيلَ إلى أنِ اسْتَدْعَاهُ المُقْتَدِرُ لِحَرْبِ القَرَامِطَة سنة ثلاثَ عشْرةَ. ولقيَ أبا طاهِرٍ سُليمانَ بنَ الحَسَن الجنَّابيّ صَاحِبَ هَجَر وهَلَكَ في حَرْبِه أسْرًا عندَ الهزيمة،/ ثُم قَتَلَه أبو طاهرٍ، كما ذكَرْنا في أخبارِه، وذلك لسَبْعٍ وعشرينَ سنةً مِن مُلْكِه، فولَّى المُقْتَدِرُ مكانَه الفَتْحَ ابنَ أخيه محمَّدٍ، فملَكَها وولَّى على أرْدَبيلَ غُلامَه تالِدًا، فقتَلَه وَصِيفُ الشِّرْواني مَوْلَى عَمِّه وتَغَلَّب على البلاد في شَعْبَان سنةَ سبعَ عشْرةَ وثلاثِ مائةٍ لسَنَةٍ ونِصْفٍ من مُلْكه، ثم غُلامه مُفْلِح بَعْدَه. [308 ب]

وتَرَكَ أبو المُسَافِر وَلَدًا اسْمُه أبو الفَرَج، وكان أحَدَ قُوَّاد الدَّوْلَة، وكان في صُحْبَة ابن رائِق، وانقَرَض أمْرُهم من أَذْرَبيجان (1)، والبقاء لله [وحده](أ).

(أ) من ح.

---

(1) هذه فقرةٌ مُجمَّعَةٌ تُلَخِّص خَبَرَ ابن أبي السَّاج تُوجد فقط في نُسخة الأصل (ظ).

خَلْعُ المُقْتَدِرِ وعَوْدُهُ

كان مِن أوَّلِ الأسْبَابِ الدَّاعِيَةِ لذلك، أنَّ فِتْنَةً وَقَعَت بينَ ماخُورِيَّةِ[أ] هَارُونَ الخَالِ، ونَازُوكَ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ في بَعْضِ مَذَاهِبِ الفَوَاحِش، فَحَبَسَ نَازُوكُ ماخُورِيَّةَ هَارُون، وجَاءَ أَصْحَابُه إلى مَجْلِس الشُّرْطَة، ووَثَبُوا بنَائِبِه وأخَذُوا أَصْحَابَهم من الحَبْس. ورَفَعَ نَازُوكُ الأمْرَ إلى المُقْتَدِر، فلم يُعِدْ أحَدًا منهما لمكانِهما منه، فعَادَ الأمْرُ بينَهما إلى المُقَاتَلَة. وبَعَثَ المُقْتَدِرُ إليهما بالنَّكِير فأقْصَرَا. واسْتَوْحَشَ هَارُونُ، وخَرَجَ بأَصْحَابِه ونَزَلَ البُسْتَانَ النَّجْمِيَّ، وبَعَثَ إليه المُقْتَدِرُ يَسْتَرْضِيه، فأرْجَفَ النَّاسُ بأنَّ المُقْتَدِرَ جَعَلَه أميرَ الأمَرَاء، فشَقَّ ذلك على أَصْحَابِ مُؤْنِسٍ، وكان بالرَّقَّة، فكَتَبُوا إليه فأسْرَعَ العَوْدَ إلى بَغْدَاد، ونَزَلَ بالشَّمَّاسِيَّة مُسْتَوْحِشًا من المُقْتَدِرِ ولم يَلْقَه، وبَعَثَ إليه ابنَه أبا العَبَّاس ووَزِيرَه ابنَ مُقْلَةَ لتَلَقِّيه وإينَاسِهِ فلم يَقْبَلْ، وتَمَكَّنَتِ الوَحْشَةُ، وأسْكَنَ المُقْتَدِرُ ابنَ خَالِه هَارُونَ مَعَه في دَارِه، فازْدَادَ نُفُورُ مُؤْنِس[1].

وجَاءَ أبو الهَيْجَاءِ بنُ حَمْدَانَ مِن بِلادِ الجَبَلِ في عَسْكَرٍ كَبِيرٍ، فنَزَلَ عندَ مُؤْنِس، وتَرَدَّدَ الأُمَرَاءُ بينَ المُقْتَدِرِ ومُؤْنِس، وصَارَ إليه نَازُوكُ صَاحِبُ الشُّرْطَة، وجَاءَه بَنِيُّ بنُ نَفِيس. وكان المُقْتَدِرُ قد أخَذَ منهُ الدِّينَوَر، وأعَادَها إليه مُؤْنِسٌ،

(أ) في الكامل: ساسة دواب.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 187-188.

فاشْتَمَلَ عليه. وجَمَعَ المُقْتَدِرُ في دَارِه هَارُونَ بنَ غَرِيبٍ وأحمَدَ بنَ كَيْغَلَغَ، والغِلْمَانَ الحُجَرِيَّة، والرَّجَّالَةَ المَصافِيَّة . ثم انفَضَّ أصْحَابُ المُقْتَدِرِ وجاءُوا إلى مُؤْنِس، وذلكَ في فَاتِحِ سَنَةِ سَبْعَ عشْرةَ.

وكَتَبَ مُؤْنِسٌ إلى المُقْتَدِرِ بأنَّ النَّاسَ يُنكِرُونَ سَرَفَه فيما أقْطَعَ الحُرَمَ والخَدَمَ منَ الأمْوَالِ والضِّيَاعِ، ورُجُوعَه إليهم في تَدْبِيرِ مُلْكِه، ويُطَالِبُهُ بإخْرَاجِهِم منَ الدَّار، وإخْرَاجِ هَارُونَ بنِ غَرِيبٍ معَهم، وانْتِزَاعِ ما/ في أيْدِيهم من الأمْوَال والأمْلَاك، [309 أ] فأجَابَ المُقْتَدِرُ إلى ذلك، وكَتَبَ يَسْتَعْطِفُهُ ويُذَكِّرُه البَيْعَةَ، ويُخَوِّفُه عَاقِبَةَ النَّكْث، وأخْرَجَ هَارُونَ إلى الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ والجَزَرِيَّة، فسَكَنَ مُؤْنِسٌ ودَخَلَ إلى بَغْدَادَ ومعَهُ ابنُ حَمْدَانَ ونَازُوكُ والنَّاسُ يُرْجِفُونَ بأنَّه يَخْلَعُ المُقْتَدِر.

فلمَّا كان ثَانِيَ عَشَرَ المُحَرَّمِ مِن هذه السَّنَة، رَكِبَ مُؤْنِسٌ إلى بَابِ الشَّمَّاسِيَّة وتَشَاوَرَ مع أصْحَابِه قَلِيلًا، ثم رَجَعُوا إلى دَارِ الخَلِيفَة بأسْرِهِم، وكان المُقْتَدِرُ قد صَرَفَ أحمَدَ بنَ نَصْرٍ القَسْوَرِيَّ عنِ الحِجَابَةِ وقَلَّدَها يَاقُوتًا ـ وكان على حَرْبِ فَارِس ـ فاسْتَخْلَفَ مَكَانَه ابنَه أبا الفَتْحِ المُظَفَّر. فلمَّا جاءَ مُؤْنِسٌ إلى الدَّارِ هَرَبَ المُظَفَّرُ بنُ يَاقُوتٍ وسَائِرُ الحَجَبَةِ والخَدَمِ والوَزِيرُ وكلُّ مَن بالدَّار، ودَخَلَ مُؤْنِسٌ فأخْرَجَ المُقْتَدِرَ وأُمَّه ووَلَدَه وخَوَاصَّ جَوَارِيه، فنَقَلَهم إلى دَارِه واعْتَقَلَهُم بها. وبَلَغَ الخَبَرُ هَارُونَ بنَ غَرِيب وهُوَ بقُطْرُبُّل، فدَخَلَ إلى بَغْدَادَ واسْتَتَر، ومَضَى ابنُ حَمْدَانَ إلى دَارِ ابنِ طَاهِرٍ فأحْضَرَ محمَّدَ بنَ المُعْتَضِد، وبَايَعُوه ولَقَّبُوه القَاهِرَ بالله، وأحْضَرُوا

(أ) النسخ: الصافية، والمثبت من الكامل.

القاضِيَ أبا عَمْرٍو المالِكِيَّ عندَ المُقتدِرِ للشَّهادةِ عليه بالخَلْعِ، وعندَه مُؤنِسٌ ونَازُوكُ وابنُ حَمْدانَ وابنُ نَفِيس، فأشهَدَ المُقتَدِرَ بالخَلْع، وقامَ ابنُ حَمْدان يتأفَّفُ ويَبكي ويَقولُ [للمُقتَدِرِ][أ]: كُنتُ أخشَى مِن مِثلِ هذا، ونَصَحْتُكَ فلم تَقْبَلْ، وآثَرْتَ قَوْلَ الخَدَمِ والنِّساءِ على قَوْلي، ومع هذا، فنَحْنُ عَبيدُكَ وخَدَمُكَ.

أُودِعَ كِتابُ الخَلْعِ عندَ القاضِي أبي عَمْرٍو، ولم يُظْهِرْ عليه أحَدًا حتّى سَلَّمَهُ إلى المُقتَدِرِ بَعْدَ عَوْدِه، فحَسُنَ مَوْقِعُ ذلك منه ووَلّاهُ القَضاءَ، ولما تَمَّ الخَلْعُ عَمَدَ مؤنِسٌ إلى دَارِ الخَلِيفَةِ فنَهَبَها، ومَضَى ابنُ نَفِيس إلى تُرْبَةِ أُمِّ المُقتَدِرِ فاسْتَخْرَجَ مِن بعضِ قُبورِها سِتَّ مائةِ ألفِ دِينارٍ وحَمَلَها إلى القَاهِرِ.

وأخرَجَ مُؤنِسٌ عليَّ بنَ عِيسى الوَزِيرَ مِنَ الحَبْسِ، ووَلَّى عليَّ بنَ مُقْلَةَ الوَزَارَةَ، وأضافَ إلى نَازُوكَ الحِجابَةَ معَ الشُّرْطَةِ، وأقْطَعَ ابنَ حَمْدانَ حُلْوانَ والدِّينَوَرَ وهَمَذانَ وكَرْمانَ والصَّيْمَرَةَ ونَهاوَنْدَ وشِيرازَ وماسَبَذانَ، مُضافًا لِما بيَدِه مِن أعْمالِ طَرِيقِ خُراسانَ، وكان ذلك مُنْتَصَفَ المُحَرَّمِ. ولَمّا تَقَلَّدَ نَازُوكُ الحِجابَةَ أمَرَ [المَصافِيَّةَ][ب] بتَقْوِيضِ خِيامِهم مِنَ الدَّارِ وأدالَهم بِرَجّالَةٍ/ [309 ب] مِن أصْحابِه فأسْفَهم بذلكَ، وتَقَدَّموا إلى خُلَفاءِ الحُجّابِ بأنْ يَمْنَعُوا النّاسَ مِنَ الدُّخولِ إلّا أصْحابَ المَراتِبِ، فاضْطَرَبَتِ الحُجَرِيَّةُ لذلكَ[1].

(أ) إضافة من الكامل. (ب) النسخ: الصافية، والمثبت من الكامل.

(1) الكامل في التاريخ 8: 200-203.

فلمَّا كان سَابِعَ عَشَرَ المحرَّم، وهُوَ يومُ الاثنين، بَكَّرَ النَّاسُ إلى دَارِ الخَليفَة لحُضورِ المَوْكِبِ، وامتلأتِ الرِّحَابُ وشَاطِئُ دِجْلَةَ بالنَّاس، وجَاءَ الرَّجَّالَةُ المَصَافِيَّةُ شَاكِي السِّلاح يُطَالِبُونَ بحَقِّ البَيْعَة ورِزْقِ سَنَةٍ، وقد بَلَغَ منهمُ الحَنَقُ على نَازُوكَ مَبَالِغَه. وقَعَدَ مُؤنِسٌ عنِ الحُضورِ ذلكَ اليَوْمَ، وزَعَقَ الرَّجَّالَةُ المَصَافِيَّةُ، فنَهَى نَازُوكُ أَصْحَابَه أَنْ يَعرِضُوا لهم، فزَادَ شَغَبُهم وهَجَمُوا على الصَّحْنِ التِّسْعِينِيِّ، ودَخَلَ معَهم مَن كان على الشَّطِّ منَ العَامَّةِ بالسِّلاح، والقَاهِرُ جَالِسٌ وعندَه عليُّ بنُ مُقْلَةَ الوَزِيرُ ونَازُوك، فقَالَ لنَازُوكَ: اخرُجْ إليهم فسَكِّنْهم، فخَرَجَ وهُوَ مُتَحَامِلٌ منَ الخُمَار، فتَقَدَّمَ إليه الرَّجَّالَةُ للشَّكْوَى بحَالِهم، ورَأَى السُّيُوفَ في أيدِيهم، فهَرَبَ، فحَدَثَ لهمُ الطَّمَعُ فيه وفي الدَّوْلَةِ واتَّبَعُوهُ فقَتَلُوه وخَادِمَه عَجِيبًا، ونَادَوْا بشِعَارِ المُقْتَدِر.

وهَرَبَ كلُّ مَن في الدَّارِ من سَائِرِ الطَّبَقَات، وصَلَبُوا نَازُوكَ وعَجِيبًا على شَاطِئِ دِجْلَة. ثم سَارُوا إلى دَارِ مُؤنِس يَطْلُبُونَ المُقْتَدِرَ، وأَغْلَقَ الخَدَمُ أبوَابَ دَارِ الخَلِيفَة، وكانوا كلُّهم صَنَائِعَ المُقْتَدِر. وقَصَدَ أبو الهَيْجَاءِ ابنُ حَمْدَانَ الفِرَارَ، فتَعَلَّقَ به القَاهِرُ واستَذَمَّ به، فقال له: اخرُجْ معي إلى عَشِيرَتي أُقَاتِلْ دُونَك، فوَجَدَ الأبوَابَ مُغْلَقَةً، فقال لهُ ابنُ حَمْدَان: قِفْ حتَّى أَعُودَ إليك، ونَزَعَ ثِيَابَه ولَبِسَ بَعْضَ الخِلْقَان، وجَاءَ إلى البَابِ فوَجَدَه مُغْلَقًا والنَّاسُ مِن وَرَائِه، فرَجَعَ إلى القَاهِر، وتَمَالأَ بعضُ الخَدَمِ على قَتْلِه، فقَاتَلَهم حتى كَشَفَهم ودَخَلَ في بعض مَسَارِبِ البُسْتَان، فجَاءُوه فخَرَجَ إليهم فقَتَلُوه وحَمَلُوا رَأْسَه (1).

(أ) النسخ : الصافية، والمثبت من الكامل. (ب) في الكامل : وصاحوا: يا مُقتدر يا منصور.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 203-204.

وانتهى الرَّجَّالةُ إلى دَارِ مُؤنِس يَطْلُبُونَ المُقْتَدِرَ، فسَلَّمَهُ إليهم، وحَمَلُوهُ على رِقَابِهِم إلى دَارِ الخِلافَة، فلمَّا تَوَسَّطَ الصَّحْنَ التِّسْعِينيَّ اطْمأنَّ وسَأَلَ عن أخِيه القَاهِرِ وابنِ حَمْدَان، وكَتَبَ لهما الأمانَ بخَطِّه، وبَعَثَ فيهما فقِيلَ له: إنَّ ابنَ حَمْدَانَ قد قُتِل، فعَظُمَ عليه وقال: واللهِ ما كان أحَدٌ يُسَلِّيني في هذه الأيَّام غَيْرُه! وأحْضَرَ القَاهِرَ فاسْتَدْنَاه وقَبَّلَ رَأْسَه، وقال له: لا ذَنْبَ لك، ولو لَقَّبُوكَ المَقْهُورَ لكان أوْلَى من/ القَاهِر، وهُوَ يَبْكي ويَتَطَارَحُ عليه، حتى حَلَفَ لهُ على الأمَان، فانْبَسَطَ وسَكَنَ. وطِيفَ برَأسِ نَازُوكَ وابنِ حَمْدَان. [310]

وخَرَجَ ابنُ نَفِيس هَارِبًا من مَكانِ اسْتِتَارِه إلى المَوْصِل، ثمّ إلى أرْمِينِيَّة، ولَحِقَ بالقُسْطَنْطِينِيَةِ فتَنَصَّرَ. وهَرَبَ أبو السَّرَايا، أخو أبي الهَيْجَاء، إلى المَوْصِل، وأعَادَ المُقْتَدِرُ أبا عليٍّ بْنَ مُقْلَةَ إلى الوِزَارَة، وأطْلَقَ للجُنْدِ أرْزَاقَهم وزَادَهم، وبِيعَ ما في الخَزَائِنِ بأرْخَصِ الأثْمان، وأَذِنَ في بَيْعِ الأمْلاكِ كذلكَ لتَتِمَّةِ الأُعْطِيات، وأعَادَ مُؤنسًا إلى مَحَلِّه مِن تَدْبِيرِ الدَّوْلَة والتَّعْوِيلِ عليه في أُمُورِه، ويُقَالُ: إنَّه كان مُقَاطِعًا للمُقْتَدِر، وإنَّه الَّذي دَسَّ إلى المَصَافِيَّة والحُجَرِيَّةِ بما فَعَلُوه، ولذلك قَعَدَ عنِ الحُضُورِ إلى القَاهِر. ثم إنَّ المُقْتَدِرَ حَبَسَ أخَاه القَاهِرَ عندَ أُمِّه، فبَالَغَت في الإحْسَانِ إليه والتَّوْسِعَة عليه في النَّفَقَةِ والسَّرَارِي[1].

(1) الكامل في التاريخ 8: 205-207.

أخْبَارُ قُوّادِ الدَّيْلَمِ وتَغَلُّبِهِم على أعْمَالِ الخَليفَةِ

قد تَقَدَّمَ لنا الخَبَرُ عنِ الدَّيْلَمِ في غَيْرِ مَوْضِعٍ منَ الكِتَاب، وخَبَرُ افْتِتَاحِ بِلادِهِم بالجِبَالِ والأمْصَارِ الّتي تَلِيها، مثلَ طَبَرِسْتَانَ وجُرْجَانَ وسَارِيَةَ وآمُلَ وأسْتَرَاباذَ، وخَبَرُ إسْلامِهِم على يدِ الأُطْرُوش، وأنّه جَمَعَهم ومَلَكَ بهم بلادَ طَبَرِسْتَانَ سَنَةَ إحْدَى وثلاثِ مائةٍ، ومَلَكَ مِن بَعْدِهِ أوْلادُه والحَسَنُ بنُ القَاسِمِ الدَّاعِي صِهرُه، واسْتَعْمَلَ منهمُ القُوَّادَ على ثُغُورِها. فكان منهم لَيْلَى بنُ النُّعْمان، كانت إليه وِلَايَةُ جُرْجَانَ عنِ الحَسَنِ بنِ القاسِمِ الدَّاعي سَنَةَ ثَمانٍ وثلاثِ مائةٍ. وكانت بينَ بني سَامَانَ وبينَ بني الأُطْرُوشِ والحَسَنِ بنِ القَاسِمِ الدَّاعي وقُوَّادِ الدَّيْلَم حُرُوبٌ هَلَكَ فيها لَيْلَى ابنُ النُّعْمانِ سَنَةَ تِسْعٍ وثلاثِ مائةٍ، لأنَّ أمْرَ الخِلافَةِ كان قدِ انْقَطَعَ عن خُرَاسَانَ، ووَلَّوها لبني سَامَانَ، فكانتْ بسَبَبِ ذلك بينَهم وبَيْنَ أهْلِ طَبَرِسْتَانَ منَ الحُرُوبِ ما أشَرْنَا إليه.

ثم كانت بَعدَ ذلك حَرْبٌ مع بني سَامَانَ تَوَلَّاها مِن قُوَّادِ الدَّيْلَم سَرْخَابُ بْنُ بَهْشُوذَانَ، وهُوَ ابنُ عَمِّ ماكانَ بنِ كاكي، وصَاحِبُ جَيْشِ أبي الحَسَنِ الأُطْرُوشِ، وقَاتَلَه سِيمْجُورُ صَاحِبُ جَيْشِ بني سَامَانَ فهَزَمَه، وهَلَكَ سَرْخَابُ ووَلَّى ابنُ الأُطْرُوش ماكانَ بنَ كاكي على أسْتَرَاباذ، فاجْتَمَعَ إليه الدَّيْلَمُ وقَدَّمُوه على أنْفُسِهم، واسْتَوْلَى على جُرْجَانَ، كما يُذْكَرُ ذلك كُلُّه/ [310ب] في أخْبَارِ العَلَوِيَّة. وكان مِن أصْحَابِ ماكان هذا أسْفَارُ بن شِيرَوَيْه من قُوَّاد الدَّيْلَم، ونَزَعَ عن مَاكان إلى قُوَّاد بني سَامَان.

فاتّصلَ ببَكرِ بنِ محمَّدِ بن اَلْيَسَعَ بنَيسَابُورَ، وبَعَثَه في الجُنُودِ لافتِتَاحِ جُرجَان، وبها أبو الحَسَنِ بنُ كاكي نَائِبًا عن أخِيه ماكان، وهو بطَبَرِسْتَان. فقُتِلَ أبو الحَسَن، وقَامَ بأمْرِ جُرْجَانَ عليُّ بنُ خُرْشِيد. ودَعَا أسفَارَ بنَ شِيرَوَيْه إلى حِمَايَتِها مِن ماكان، فزَحَفَ إليهم مِن طَبَرِسْتَانَ فهَزَمُوه وغَلَبُوهُ عليها ونَصبوا أبا الحُسَيْنِ بنَ الأُطْرُوش - وكان مُعْتَقَلًا بجُرْجَانَ - وهُوَ الذي قَتَلَ أبا الحَسَنِ بنَ كَاكي. ثم مَاتَ أبو الحُسَيْن، وعليُّ بنُ خَرْشِيد، فزَحَفَ ماكانُ إلى أسْفَارَ وهزَمَه وغَلَبَهُ على طَبَرِسْتَانَ، ورَجَعَ إلى بَكْرِ بنِ محمَّدِ بنِ اَلْيَسَعَ بجُرْجَانَ(1).

ثم تُوفِّي بَكْرٌ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ، فوَلَّى نَصْرُ بنُ أحمَدَ بنِ سَامَان أسْفَارَ بنَ شِيرَوَيْهِ مَكَانَه على جُرْجَانَ، وبَعَثَ أسْفَارُ عن مَرْدَاوِيجَ بنِ زِيَارِ الجِيلِيِّ وقَدَّمَه على جَيْشِه، وقَصَدُوا طَبَرِسْتَان فمَلَكُوها. وكان الحَسَنُ بنُ القَاسِمِ الدَّاعي قدِ اسْتَوْلى على الرَّيِّ وأعْمَالِها من يَدِ نَصْرِ بنِ سَامَان، ومعَهُ قَائِدُه ماكانُ بنُ كاكي. فلمَّا غَلَبَ أسْفَارُ على طَبَرِسْتَانَ زَحَفَ إليه الدَّاعي وقَائِدُه ماكانُ فانْهزَمَا، وقُتِلَ الدَّاعي، ورَجَعَ ماكانُ إلى الرَّيّ، واستَوْلَى أسفَارُ بنُ شِيرَوَيْه على طَبَرِسْتَانَ وجُرْجَانَ. ودَعَا لنَصْرِ بنِ أحمَدَ بن سَامَانَ، ونَزَلَ سَارِيَةَ واستَعْمَلَ على آمُلَ هَارُونَ بنَ بَهْرَام.

ثم سَارَ أسْفَارُ إلى الرَّيِّ فأخَذَها من يَدِ ماكانَ بنِ كاكي، وسَارَ ماكانُ إلى طَبَرِسْتَان، واستَوْلَى أسْفَارُ على سَائِرِ أعْمَالِ الرَّيّ وقَزْوِينَ وزَنْجَانَ وأبْهَرَ وقُمَّ والكَرَجِ، وعَظُمَتْ جُيُوشُه، وحَدَّثَتْه نَفْسُه بالمُلْكِ، فانْتَقَضَ على نَصْرِ بنِ سَامَانَ صَاحِبِ خُرَاسَان، واعْتَزَمَ على حَرْبِه وحَرْبِ الخَلِيفَة.

(1) الكامل في التاريخ 8: 175-176.

وبعَثَ المُقْتَدِرُ هَارُونَ بنَ غَرِيبِ الخالَ في عَسْكرٍ إلى قَزْوِين، فحَارَبَه أسْفَارُ وهَزَمَه وقَتَلَ كثيرًا مِن أصْحَابِه. ثم زَحَفَ إليه نَصْرُ بنُ سَامَانَ من بُخَارَى، فرَاسَلَه في الصُّلْح وضَمَانِ أمْوَالِ الجِبَايَة، فأجَابَه ووَلَّاه ورَجَعَ إلى بُخَارَى، فعَظُمَ أمْرُ أسْفَار وكَثُرَ عَسْفُهُ وشَتَمَه جُنْدُه، وكان قائِدُه مَرْدَاوِيجُ مِن أكْبَرِ قُوَّادِه قد بَعَثَه أسْفَارُ إلى سَلَارَ صَاحِبِ سُمَيْرَان والطَّرْم يَدْعُوهُ إلى طَاعَتِه. فاتَّفَقَ مَعَ سَلَارَ على الوُثُوبِ بأسْفَار، وقد بَاطَنَ/ [311أ] في ذلك جَمَاعَةٌ من قُوَّادِ أسْفَارَ وزِيرَهُ محمَّدَ بنَ مُطَرِّفٍ الجُرْجَانيّ. ونَمَا الخَبَرُ إلى أسْفَار، وثَار بهِ الجُنْدُ، فهَرَبَ إلى بَيْهَق. وجَاءَ مَرْدَاوِيجُ مِن قَزْوِينَ إلى الرَّيّ، وكَتَبَ إلى مَاكَانَ بنِ كَاكي يَسْتَدْعِيه مِن طَبَرِسْتَانَ لِيُظَاهِرَه على أسْفَار، فقَصَدَ ماكَانُ أسْفَارَ، فهَرَبَ أسْفَارُ إلى الرَّيِّ لِيَتَّصِلَ بأهْلِه ومَالِه، وقد كَان أنْزَلَهم بقَلْعَةِ ألَمُوت، ورَكِبَ المَفَازَةَ إليها. ونَمَا الخَبَرُ إلى مَرْدَاوِيج، فسَارَ لاعْتِرَاضِه، وقَدَّمَ بَعْضَ قُوَّادِهِ أمَامَه، فلَحِقَه القَائِدُ وجَاءَ به إلى مَرْدَاوِيج، فقَتَلَهُ ورَجَعَ إلى الرَّيِّ ثم إلى قَزْوِين، وتَمَكَّنَ في المُلْكِ، وافْتَتَحَ البِلادَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وأخَذَ هَمَذَانَ والدِّينَوَر وقُمَّ وقَاشَانَ وأصْبَهَان، وأسَاءَ السِّيرَةَ في أهْلِ أصْبَهَان، وصَنَعَ سَرِيرًا من ذَهَبٍ لجُلُوسِه. فلمَّا قَوِيَ أمْرُه نَازَعَ مَاكَانَ في طَبَرِسْتَان فغَلَبَه عليها. ثم سَارَ إلى جُرْجَانَ فملَكَهَا وعَادَ إلى أصْبَهَانَ ظَافِرًا.

وسَارَ مَاكَانُ إلى الدَّيْلَم مُسْتَنْجِدًا بأبي الفَضْلِ الثَّائِرِ بها، وسَارَ معَهُ إلى طَبَرِسْتَانَ، فقَاتَلَهم عَامِلُها من قِبَلِ مَرْدَاوِيجَ بُلْقَسم بنِ بَالْجِين (أ) وهَزَمَهم، ورَجَعَ الثَّائِرُ إلى الدَّيْلَم. وسَارَ مَاكَانُ إلى نَيْسَابُور، واسْتَمَدَّ نَصْرَ بنَ سَامَانَ فأمَدَّه بقَائِدِه، وجَاءَ إلى جُرْجَان، فقَاتَلَه بُلْقَسم وهَزَمَه، ورَجَعَ قائِدُ ابنِ سَامَانَ إلى نَيْسَابُور. وسَارَ مَاكَانُ

(أ) في الكامل : بلقاسم بن بانجين.

إلى الدَّامغَان، فصَدَّه عنها بُلْقسم فعَاد إلى خُرَاسَان. وعَظُمَ أَمْرُ مَرْدَاوِيجَ واسْتَوْلَى على بَلَدِ الرَّيِّ والجبل، واجْتَمعَ إليه الدَّيْلَم، فكَثُرت جُيُوشُه وعَظُمَ خَرْجُه، فلم يَكْفِ ما في يَدِه منَ الأعْمَال، فسَمَا إلى التَّغلُّبِ على النَّوَاحي، فبَعَثَ إلى هَمَذَانَ الجُيُوشَ مَعَ ابنِ أُخْتِه، وكانت بها عَسَاكِرُ الخَلِيفَة مع محمَّدِ بن خَلَف، فحَارَبَهم وهَزَمَهم وقَتَلَ ابنَ أُخْتِ مَرْدَاوِيجَ، فسَارَ منَ الرَّيِّ إلى هَمَذَان، وهَرَبَ عَسْكَرُ الخَلِيفَة عنها ومَلَكَها مَرْدَاوِيجُ عَنْوَةً واسْتَبَاحَها. ثم أَمَّنَ بَقِيَّتَهم.

وأَنْفَذَ المُقْتَدِرُ هَارُونَ بنَ غَرِيبٍ الخَالَ في العَسَاكِر، فلَقِيَه مَرْدَاوِيجُ وهَزَمَهم واسْتَوْلَى على بِلَادِ الجَبَلِ وما وَرَاء هَمَذَان، وبَعَثَ قائِدَه إلى الدِّينَوَرِ ففتَحَها عَنْوَةً، وانْتَهَت عَسَاكِرُه إلى حُلْوَانَ، فقَتَلَ وسَبَى. وسَارَ هَارُونُ إلى قَرْقِسِينَ فأقَامَ بها واسْتَمَدَّ المُقْتَدِرَ، وكان معَهُ اليَشْكُرِيُّ(أ) مِن قُوَّادِ أَسْفَار، وكان قدِ اسْتَأمَنَ بعدَ أَسْفَارَ إلى الخَلِيفَة،/ وسَارَ في حَمْلتِه. وجَاءَ مَعَ هَارُون في هذه الغَزَاة، فبَعَثَهُ هارونُ [311ب] إلى نَهَاوَنْدَ لحَمْلِ المَالِ إليهِ منها، فلمَّا دَخَلَها امْتَدَّت عَيْنُه إلى ثَرْوَة أَهْلِها فصَادَرَهم على ثَلَاثَةِ آلافِ أَلْفِ دِينَار، واسْتَخْرَجَها من مُدَّةِ أُسْبُوع، وجَنَّدَ بها جُنْدًا ومَضَى إلى أَصْبَهَان، وبها يومَئِذٍ أحمدُ بنُ كَيْغَلَغَ قبلَ اسْتِيلاءِ مَرْدَاوِيجَ عليها، فقَاتَلَه أحمدُ وانْهَزَمَ، ومَلَكَ اليَشْكُرِيُّ(أ) أَصْبَهَان، ودَخَلَ إليها أَصْحَابُه، وأَقَامَ بظَاهِرِها.

وسَارَ أحمدُ بنُ كَيْغَلَغَ في ثَلَاثِينَ فَارِسًا إلى بَعْضِ قُرَى أَصْبَهَان، ورَكِبَ اليَشْكُرِيُّ(أ) لِيَتَطَوَّفَ على السُّور، فنَظَرَ إليهم فسَارَ نَحْوَهم فقَاتَلُوه، وضَرَبَه أحمدُ بنُ كَيْغَلَغَ على رَأْسِه بالسَّيْفِ فقَدَّ المِغْفَرَ وتَجَاوَزَهُ إلى دِمَاغِهِ فسَقَطَ مَيِّتًا. وقَصَدَ أحمدُ المَدِينَةَ، ففَرَّ أَصْحَابُ اليَشْكُرِيِّ(أ)، ودَخَلَ أحمدُ إلى أَصْبَهَان، وذلك قَبْلَ اسْتِيلاءِ

(أ) النسخ: لشكري، والمثبت من الكامل.

مَرْدَاويجَ عليها، ثمّ عُزِلَ عنها، ووُلِّي عليها المظفَّرُ بْنُ ياقوتٍ، فبَعَثَ مَرْدَاويجُ عَسْكَرَهُ إليها، فاسْتَوْلَوا عليها وجَدَّدُوا له فيها مَسَاكِنَ أحمَدَ بنِ عبدِ العَزِيزِ بنِ أبي دُلَفَ العِجْلِيِّ وبَسَاتِينَه، وجَاءَ مَرْدَاويجُ في أربعينَ أو خَمْسينَ ألفًا، فنزَلَها وبَعَثَ جَمْعًا إلى الأهْوَازِ فاسْتَوْلَوا عليها، وإلى خُوزِسْتَانَ كذلك، وجَبَى أَمْوَالَها وقَسَمَ الكَثِيرَ منها في أصْحَابِه ودَخَرَ البَاقِيَ، وبَعَثَ إلى المُقْتَدِرِ يَطْلُبُ وِلَايَةَ هذه الأعْمَالِ وإضَافَةَ هَمَذَانَ ومَاه الكُوفَةِ إليها على مائتَيْ ألْفِ دينارٍ في كلِّ سَنَةٍ، فأجَابَه وقَاطَعَه ووَلَّاه، وذلك سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ. ثم بَعَثَ مَرْدَاويجُ سَنَةَ عشرينَ إلى أخيهِ وَشْمَكِيرَ من بِلَادِ كِيلَانَ، فَجَاءَ إليه بَدَوِيًّا حَافِيًا بما كان يُعاني مِن أحْوَالِ البَدَاوَةِ والتَّبَدُّلِ في المَعَاشِ، يُنكِرُ كلَّ ما يَرَاهُ مِن أحْوَالِ التَّرَفِ ورَفَهِ العَيْشِ وصَلَفِ اللِّبَاسِ، ثم صَارَ إلى تَرَفِ المُلْكِ وأحْوَالِ الرِّيَاسَةِ، فرَقَّت حَاشِيَتُه وعَظُمَ تَرَفُه، وأصْبَحَ مِن عُظَمَاءِ المُلُوكِ وأعْرَفِهم بالتَّدْبِيرِ والسِّيَاسَةِ[1].

ابْتِداءُ حَالِ أبي عبدِ اللهِ البَرِيدِيِّ

كان بِدَايَةُ أمْرِه عامِلًا على الأهْوازِ. وضَبَطَ ابنُ مَاكُولا هذا النَّسَبَ بالمُوَحَّدَةِ والرَّاءِ المُهْمَلَةِ، نِسْبَةً إلى البَرِيدِ. وضَبَطَه ابنُ مِسْكَوَيْه بالباءِ المُثَنَّاةِ التَّحْتَانِيَّةِ والزَّايِ، نِسْبَةً إلى يَزِيدَ بنِ مَنْصُورٍ الحِمْيَرِيِّ، كان جَدُّه يَخْدُمُه[2].

(1) الكامل في التاريخ 8: 189-197.

(2) المصدر نفسه 8: 186 والاستشهادُ بابن ماكُولا ومِسْكَوَيْه لابن الأثير لا لابن خَلْدُون. وأضاف ابنُ الأثير أنَّ قَوْلَ ابن ماكُولا هو الأصَحُّ ثم قال: وما ذكرنا قولَ ابن مِسكَوَيْه إلَّا حتّى لا يَظُنَّ ظانٌّ أنّنا لم نَقِف عليه، وأخطأنا الصَّواب.

[312أ] ولمَّا وَلِي عليُّ بنُ عِيسى الوِزارَةَ/ واستَعْمَلَ العُمَّال، وكان أبو عبدِ الله قد ضَمِنَ الخَاصَّةَ بالأهْوَاز، وأخوه أبو يُوسُفَ على سُرَّق، فأنِفَ منَ الاقْتِصار به وبأخيه على هذا. فلمَّا وَزَرَ أبو عليٍّ بنُ مُقْلَةَ بَذَلَ لهُ عشرينَ ألفَ دِينارٍ على أن يُقَلِّدَهُ أعْمالًا نَابِهَة، فقَلَّدَه الأهْوازَ جميعَها غيرَ السُّوس وجُنْدَيْسَابُورَ، وقَلَّدَ أخاه أبا الحَسَن الفُرَاتِيَّةَ، وأخاهُما أبا يُوسُفَ الخاصَّةَ والأسَافِلَ، وضَمَّنَ المَالَ أبا أيُّوبَ السِّمْسَارَ، وجعَلَ الحُسَيْنَ بنَ محمدٍ المَاذَرائيَّ مُشرِفًا على أبي عبدِ الله، فلم يَلْتَفِتْ إليه. وكَتَبَ إليه الوَزيرُ ابنُ مُقْلَةَ بالقَبْض على بَعْضِ العُمَّالِ ومُصَادَرَتِه، فأخَذَ منه عَشَرَةَ آلافِ دِينَارٍ واسْتَأْثَرَ بها على الوَزير. فلمَّا نُكِبَ ابنُ مُقْلَةَ كَتَبَ المُقْتَدِرُ بخَطِّه إلى الحَاجِبِ أحمدَ بنِ نَصْرٍ القَشُورِيِّ[أ] بالقَبْضِ على أوْلادِ البَرِيدِيِّ وأنْ لا يُطْلِقَهم إلَّا بكِتَابِه، فقَبَضَ عليهم، وجَاءَ أبو عبدِ الله بكِتَابِ المُقْتَدِرِ بخَطِّه بإطْلاقِهم. وظَهَرَ تَزْوِيرُهُ فاسْتَحْضَرَهم إلى بَغْدادَ وصُودِرُوا على أرْبَعِ مائةِ ألفِ ألفِ دِينَارٍ فأعْطَوْها[1].

الصَّوائِفُ أيامَ المُقْتَدِر

سَارَ مُؤنِسٌ المُظَفَّرُ سَنَةَ سِتٍّ وتِسْعِينَ في العَسَاكِرِ من بَغْدَادَ إلى الغَزَاة، ودَخَلَ مِن نَاحِيةِ مَلَطْيَةَ ومعَهُ أبو الأعَزّ السُّلَمِيُّ، فظَفِرَ وغَنِمَ وأسَرَ جَمَاعَةً[2].

(أ) جاءت مهملة في ظ وسقطت من ح ، وفي الكامل : العشوري .

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 185-186.

(2) المصدر نفسه 8: 54.

وفي سَنَةِ سَبْعٍ وتِسْعِينَ بَعَثَ المُقْتَدِرُ القَاسِمَ بنَ سِيَما لغَزْوِ الصَّائِفَة، فغَنِمَ ورَجَعَ، ثم غَزَا بالصَّائِفة سَنَةَ ثَمَانٍ وتسعين(1).

وفي سَنَة تِسْعٍ وتِسْعينَ غَزَا بالصَّائِفة رُسْتُمُ أميرُ الثُّغُور، ودَخَلَ من نَاحِيَةِ طَرَسُوسَ ومعَه دميانة، وحَاصَرَ حِصْنَ مَلِيحِ الأَرْمَنِيِّ ففتَحَه وأحْرَقَه(2).

وفي سَنَة ثلاثِ مائةٍ مَاتَ إسْكَنْدَرُوسُ بنُ لاوُنَ مَلِكُ الرُّوم، ومَلَكَ بَعْدَه ابنُه قُسْطَنْطِينُ [وهُوَ ا]بنُ اثنَتَيْ عشْرَةَ سنةً(3).

وفي سنةِ ثِنْتَيْنِ وثلاثِ مائةٍ سَارَ عليُّ بنُ عِيسَى الوَزيرُ في أَلْفَيْ فَارِس لغَزْوِ الصَّائِفَة مَدَدًا لبِشْرٍ الخَادِمِ وَالِي طَرَسُوسَ، ولم يَتَيَسَّرْ لهمُ الدُّخُولُ في المَصِيف، ودخَلوا شَاتِيَةً في كَلَبِ البَرْدِ وشِدَّتِه، وغَنِمُوا وسَبَوا(4).

وفي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وثلاثِ مائةٍ غَزَا بِشْرٌ الخَادمُ وَالي طَرَسُوسَ بِلادَ الرُّوم، ففتَحَ وغَنِمَ وسَبَى وأسَرَ مائةً وخمسينَ بِطْرِيقًا، وكان السَّبْيُ نحوًا مِن أَلْفَيْ رأس(5).

(1) الكامل في التاريخ 8: 58، 62.
(2) المصدر نفسه 8: 65.
(3) المصدر نفسه 8: 75 (أي الإمبراطور ألِكسَندَر بن ليو ثم ابنه قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس).
(4) المصدر نفسه 8: 86.
(5) المصدر نفسه 8: 90.

وفي سَنَةِ ثلاثٍ/ وثلاثِ مائةٍ أغَارَتِ الرُّومُ على ثُغُورِ الجَزِيرَة ونَهَبُوا حِصْنَ [312ر]
مَنْصُورٍ وسَبَوا أهْلَه لتَشَاغُلِ عَسْكَرِ الجَزِيرَة بطَلَبِ الحُسَيْنِ بن حَمْدَان مع مُؤْنِس[1]، حتى قُبِضَ عليه كما مَرَّ.

وفي هذه السَّنَة خَرَجَ الرُّومُ إلى نَاحِيَة طَرَسُوسَ والفُرَات. فعَاثُوا وقَتَلُوا نحوًا من سِتِّ مائةِ فَارِس. وجَاءَ مَلِيحٌ الأرْمَنيُّ إلى مَرْعَش، فعَاثَ في نَوَاحِيها. ولم يَكُن للمُسْلِمينَ في هذه السَّنَةِ صَائِفَةٌ[2].

وفي سَنَة أرْبَعٍ بعدَها سَارَ مُؤْنِسٌ المُظَفَّرُ بالصَّائِفَة ومَرَّ بالمَوْصِل، فقَلَّد سُبُكًا المُفْلِحيَّ بَازَبْدَي وقَرْدَي، من أعْمَالِ الفُرَات[3]، وقَلَّد عُثْمَانَ الغَنَـوِيَّ[أ] مَدِينَةَ بَلَد وسِنْجَارَ، ووَصِيفًا البَكْتَمُرِيَّ بَاقِيَ بِلادِ رَبِيعَة، وسَارَ إلى مَلَطْيَة فدَخَلَ منها، وكَتَبَ إلى أبي القَاسِمِ عليِّ بنَ أحمدَ بنِ بِسْطَام أنْ يَدْخُلَ مِن طَرَسُوسَ في أهْلِها، ففَتَحَ مُؤْنِسٌ حُصونًا كَثِيرَةً وغَنِمَ وسَبَى ورَجَعَ إلى بَغْدَاد، فأكْرَمَه المُقْتَدِرُ وخَلَعَ عليه[4].

وفي سَنَةِ خَمْسٍ وثلاثِ مائةٍ وَصَلَ رَسُولانِ من مَلِكِ الرُّوم إلى المُقْتَدِرِ في المُهَادَنَةِ والفِدَاء، فتُلُقِّيَا بالإكْرَام، وجَلَسَ لهما الوَزِيرُ في الأُبَّهَة، وصَفَّ الأجْنَادَ

(أ) عند ابن الأثير: العنزي.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 95.
(2) المصدر نفسه 8: 96.
(3) بازَبْدَى وقَرْدَى: قريتان قريبتان من جبل الجوديّ بالجزيرة، وبقربها قريةُ الثمانين قرب جزيرة ابن عُمَر (معجم البلدان 4: 322).
(4) الكامل في التاريخ 8: 106.

بالسِّلاح الشَّاك والزِّينَةِ الكامِلَة، فأدَّيا إليه الرِّسالَةَ، وأدْخَلَهُما منَ الغَدِ على المُقْتَدِرِ وقدِ احْتَفَلَ في الأُبَّهَةِ ما شَاءَ، فأجَابَهما إلى ما طَلَبَ مَلِكُهم. وبَعَثَ مُؤْنِسًا الخَادِمَ للفِدَاء، وجَعَلَهُ أمِيرًا على كلِّ بَلَدٍ يَدْخُلُه إلى أنْ يَنْصَرِفَ. وأطْلَقَ الأرْزاقَ الوَاسِعَةَ لمن سَارَ معَهُ منَ الجُنُود، وأنفَذَ معَهُ مائَةً وعشرينَ ألْفَ دِينَارٍ للفِدْيَة[1].

وفيها غَزَا بالصَّائِفَة جِنِّيٌّ الصَّفْوَانِيُّ، فغَنِمَ وسَبَى، وغَزَا ثَمَل[أ] الخادِمُ في الأسْطُولِ فغَنِم. وفي السَّنَةِ بعْدَها غَزَا ثَمَل[أ] في البَحْرِ كذلك، وجِنِّيٌّ الصَّفْوَاني، فظَفِرَ وفَتَحَ وعَادَ، وغَزَا بِشْرٌ الأفْشينيُّ بِلادَ الرُّوم، ففَتَحَ عِدَّةَ حُصُونٍ وغَنِمَ وسَبَى[2].

وفي سَنَة سَبْعٍ غَزَا ثَمَلٌ[أ] في البَحْر فلَقِيَ مَرَاكِبَ المَهْدِيِّ صَاحِبِ إفْرِيقِيَّة فغَلَبَهم وقَتَلَ جَمَاعَةً منهم، وأسَرَ خَادِمًا للمَهْدِيِّ[3].

وفي سَنَة عَشْرٍ وثَلاثِ مائةٍ غَزَا محمَّدُ بنُ نَصْرٍ الحَاجِبُ منَ المَوْصِل على قَالِيقَلَا، فأصَابَ منَ الرُّوم. وسَارَ أهْلُ طَرَسُوسَ مِن مَلَطْيَة فظَفِرُوا واسْتَبَاحُوا وعَادُوا[4].

(أ) النسخ وابن الأثير: ثمال، والتصويب مما يلي.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 107.

(2) المصدر نفسه 8: 115.

(3) المصدر نفسه 8: 121.

(4) المصدر نفسه 8: 138، والتنبيه والإشراف للمسعودي 376-387.

وفي سَنَة إحْدَى عَشْرَةَ غَزَا مُؤنِسٌ المُظَفَّرُ بِلادَ الرُّوم، فغَنِمَ وفَتَحَ حُصُونًا. وغَزَا ثَمَلٌ في البَحْر فغَنِمَ أَلْفَ رَأْسٍ من السَّبْيِ وثَمانِيَةَ آلافٍ من الظَّهْرِ ومائةَ أَلْفٍ من الغَنَم، وشَيْئًا كثيرًا مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّة[1].

وفي سَنَة ثِنْتَيْ عَشْرَةَ جاءَ رَسُولُ مَلِكِ الرُّوم بالهَدَايَا ومعَهُ أبو عُمَرَ بنُ عبدِ البَاقي يَطْلُبانِ الهُدْنَةَ وتَقْرِيرَ الفِدَاء، فأُجِيبَا إلى ذلك بعدَ الصَّائِفَة، ودَخَلَ المسلمونَ بِلادَ الرُّوم /فأثْخَنُوا ورَجَعُوا[2]. [313]

وفي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ خَرَجَتِ الرُّومُ إلى مَلَطْيَةَ ونَوَاحِيها مَعَ الدُّمُسْتُقِ ومَلِيحٍ الأرْمَنِيِّ صَاحِبِ الدُّرُوب، فَحَاصَرُوا مَلَطْيَةَ وامْتَنَعَتْ عليهم فَخَرَّبُوا القُرَى في نَوَاحِيها ورَجَعُوا، وجاءَ أهْلُ مَلَطْيَةَ إلى بَغْدَادَ واسْتَغَاثُوا فلم يُسْتَمَعُوا. وغَزَا أَهْلُ طَرَسُوسَ بالصَّائِفَة فغَنِمُوا ورَجَعُوا[3].

وفي سَنَةِ خَمْسَ عشرةَ دَخَلَتْ سَرِيَّةٌ مِن طَرَسُوسَ إلى بلادِ الرُّوم، فأَوْقَعَ بِهِمُ الرُّومُ وقَتَلُوا أَرْبَعَ مائةِ رَجُلٍ صَبْرًا، وجَاءَ الدُّمُسْتُقُ في عَسَاكِرَ مِنَ الرُّوم إلى مَدِينَة دَبِيل. وفيها نَصْرٌ السُّبْكِيُّ فَحَاصَرَها وضَيَّقَ مُخَنَّقَها واشْتَدَّ في قِتَالِها حتى نَقَبَ سُورَهَا، ودَخَلَ الرُّومُ إليها، ودَفَعَهُمُ المُسْلِمُونَ فأَخْرَجُوهم وقَتَلُوا منهم عَشَرَةَ آلاف. وفيها غَزا ثَمَلٌ وَالي طَرَسُوسَ بالصَّائِفَة، وقَاتَلَ الرُّومَ فهَزَمَهم وأَثْخَنَ فيهم وغَنِمَ ما لا يُحْصَى، وعَاثُوا في أَنْعَامِهِم، فذَبَحُوا مِنَ الغَنَم ثلاثَ مائةِ أَلْفِ رَأْسٍ وأَكَلُوها. وكان

(1) الكامل في التاريخ 8: 145.

(2) المصدر نفسه 8: 157.

(3) المصدر نفسه 8: 167.

رَجُلٌ مِن رُؤَسـاءِ الأكْرَاد يُعْرَف بالـضَّحَّاكِ في حِصْنٍ له يُعْرَف بالجَعْفَرِيِّ، فتَنَصَّرَ وخَدَمَ مَلِكَ الرُّوم، فلَقِيَه المُسْلِمُون في هذه الغَزَاةِ فأَسَرُوه وقَتَلُوا مَن مَعَه[1].

وفي سَنَة سِتَّ عَشْرَةَ[أ] وثلاثِ مائةٍ خَرَجَ الدُّمُسْتُقُ في عَساكِرِ الرُّوم، فحَاصَرَ خِلَاطَ ومَلَكَها صُلْحًا، وجَعَلَ الصَّلِيبَ في جَامِعِها، ورَحَلَ إلى تَدْنيسَ[ب] ففَعَلَ بها كذلك. وهَرَبَ أهلُ أرْزَنَ إلى بَغْدَادَ واسْتَغَاثُوا فلم يُغَاثُوا.

وفيها ظَهَرَ أهْلُ مَلَطْيَةَ على سَبعِ مائةِ رَجُل مِنَ الرُّوم والأرْمَن دَخَلُوا بَلَدَهم فَعَلَةً، وقَدَّمَهم مَلِيحٌ الأرْمَنيُّ ليكونوا له عَوْنًا إذا حَاصَرَها، فقَتَلَهم أهْلُ مَلَطْيَةَ عن آخِرِهِم[2].

وفي سَنَة سَبْعَ عَشْرَةَ بَعَثَ أهْلُ الثُّغُورِ الجَزَرِيَّة، مثلَ: مَلَطْيَةَ ومَيَّافارِقِينَ وآمِدَ وأَرْزَنَ، يَسْتَمِدُّونَ المُقْتَدِرَ في العَسَاكِرِ، وإلاَّ فيُعْطُونَ البِلادَ للرُّوم، فلم يَمُدَّهم، فصَالَحُوا الرُّومَ ومَلَّكُوهُمُ البِلاد.

وفيها دَخَلَ مُفْلِحٌ السَّاجِيُّ بِلادَ الرُّوم. ولَقِيَ الدُّمُسْتُقَ فهَزَمَه واتَّبَعَه إلى أقْصَى بِلادِ الرُّوم[3].

وفي سَنَة عِشْرِينَ غَزَا ثَمَلٌ بِلادَ الرُّوم مِن طَرَسُوس، ولَقِيَ الرُّومَ فهَزَمَهم وقَتَلَ منهم سِتَّ مائةٍ وأَسَرَ ثلاثةَ آلاف، وغَنِمَ مِنَ الفِضَّةِ والذهبِ شيئًا كثيرًا، وعَادَ

(أ) عند ابن الأثير: في سنة تسع عشرة. (ب) كذا في الأصول والأصوب بِدْليس كما في الكامل 8: 198 ومعجم البلدان 1: 358.

(1) الكامل في التاريخ 8: 177.

(2) المصدر نفسه 8: 198-199.

(3) المصدر نفسه 8: 213، 214.

بالصَّائِفَة في سَنَتِه في حَشْدٍ كَثِيرٍ، وبَلَغَ عَمُّورِيَّةَ فهَرَبَ/ عنها مَن كان تَجَمَّعَ إليها مِنَ الرُّوم، ودَخَلَها المُسْلِمُونَ فوَجَدُوا مِنَ الأمْتِعَة والأطْعِمَةِ كثيرًا، فغَنِمُوا وأحْرَقُوا، وتَوَغَّلُوا في بِلادِ الرُّوم يَقْتُلُونَ ويَكْتَسِحُونَ ويَحْرِقُونَ حتى بَلَغُوا أنْكُورِيَّةَ، التي مُعَرَّبُها أنقَرة، وعَادُوا سَالِمِين، وبَلَغَ فيه السَّبْيُ مائةَ ألفٍ وستَّةً وثلاثِينَ ألفَ دِينَار. [313ب]

وفي هذه السَّنَة رَاسَلَ ابنُ الدَّيْرَانيِّ وغيرُه مِنَ الأرْمَن في نَوَاحي أرْمِينِيَّةَ، وحَثُّوا الرُّومَ على قَصْدِ بِلادِ الإسْلام، فسَارُوا وخَرَّبُوا نَوَاحِيَ خِلَاطَ، وقَتَلُوا وأَسَرُوا، فسَارَ إليهم مُفْلِحٌ غُلامُ يُوسُفَ بنِ أبي السَّاج مِن أَذْرَبِيجان في جُمُوعٍ مِنَ الجُنْدِ والمُتَطَوِّعة، فأثْخَنَ في بِلادِ الرُّوم، حتّى يُقالُ: إنَّ القَتْلَى بَلَغُوا مائةَ ألف، وخرَّبَ بلادَ ابنِ الدَّيْرَانيِّ ومَن وَافَقَه، وقَتَلَ ونَهَب. ثم جَاءَت عساكِرُ الرُّوم إلى سُمَيْسَاطَ فحَصَرُوها، وأمَدَّهم سَعِيدُ بنُ حَمْدَان، وكان المُقْتَدِرُ وَلَّاه المَوْصِلَ ودِيَارَ رَبِيعَةَ على أنْ يَسْتَرْجِعَ مَلَطْيَةَ مِنَ الرُّوم، فلمّا جَاءَ رَسُولُ أهْلِ سُمَيْسَاطَ إليه سَارَ فأجْفَلَ الرُّومُ عنها، فسَارَ إلى مَلَطْيَةَ وبها عَسَاكِرُ الرُّوم ومَلِيحٌ الأرْمَنيُّ صَاحِبُ الثُّغُورِ الرُّومية، وبنيّ بنِ نَفِيسٍ صاحبِ المُقْتَدِرِ الذي تَنَصَّر. فلمّا أحَسُّوا بإقْبَالِ سَعِيد هَرَبُوا وتَرَكُوها خَشْيَةَ أنْ يَثِبَ بهم أهْلُها، ومَلَكَها سَعِيدٌ فاسْتَخْلَفَ عليها وعَادَ إلى المَوْصِل (1).

(1) الكامل في التاريخ 8: 233-235.

الوِلَايَاتُ بالنَّـواحِي أيَّامَ المُقْـتَدِرِ

كان بأصْبَهَانَ عبدُ الله بنُ إبْراهيم المَسْمَعِيُّ عامِلًا عليها، وخَالَفَ لأوَّلِ وِلَايَةِ المُقْتَدِر، وجَمَعَ منَ الأكْرَادِ عَشَرَةَ آلاف. وأمَرَ المُقْتَدِرُ بَدْرًا الحَمَّامِيَّ عَامِلَ أصْبَهَان بالمَسِيرِ إليه، فسَارَ إليه في خَمْسَةِ آلافٍ من الجُنْدِ، وأرْسَلَ مَن يُخَوِّفُه عاقِبَةَ المَعْصِيَة، فرَاجَعَ الطَّاعَةَ وسَارَ إلى بَغْدَاد، واسْتَخْلَفَ على أصْبَهَان. وكان على اليَمَنِ المُظَفَّرُ بنُ حَاج، ففَتَحَ ما كان غَلَبَ عليه الجارِي باليَمَن وأخَذَ الحَكِيمِيَّ، من أصْحَابِه.

وكان على المَوْصل أبو الهَيْجَاءِ بنُ حَمْدَان، وسَارَ أخُوهُ الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَان، وأوْقَعَ بأعْرَابِ كَلْبٍ وطَيِّئٍ وأسَدٍ سَنَةَ أرْبَعٍ وتِسْعين. ثم سَارَ إلى الأكْرَادِ المُتَغَلِّبِين بنَوَاحِي المَوْصِلِ سَنَةَ خَمْسٍ وتِسْعِينَ، فاسْتَبَاحَهُم وهَرَبُوا إلى رُؤوسِ الجِبَال.

وخَرَجَ بالحَاجِّ في سنة أرْبَعٍ وتِسْعِينَ وَصِيفُ/ [314أ] بنُ سُوَارْتَكِين، فحَصَرَه أعْرَابُ طَيِّئٍ بفَيْدَ، ووَاقَعَهم فهَزَمَهُم ومَضَى إلى وَجْهِه. ثم أوْقَعَ بهم بعدَ ذلكَ الحَسَنُ بنُ مُوسَى فأثْخَنَ فيهم.

وكان على فَارِسَ سَنَةَ سِتٍّ وتسعينَ سُبْكَرِيّ غُلامُ عَمْرِو بنِ اللَّيْث الصفّار، قد تَغَلَّبَ عليها، وكان على الثُّغُورِ الشَّامِيَّة أحمدُ بنُ كَيْغَلَغ. وفي سَنَة سَبْعٍ وتسعينَ مَلَكَ اللَّيْثُ فارِسَ مِن يَدِ سُبْكَرِيّ، ثم جَاءَه مُؤْنِسٌ فغَلَبَه وأسَرَهُ، ورَجَعَ لَشْكَرِيُّ إلى عَمَلِه كما مَرَّ في خَبَرِه. وفي سَنَةِ سِتٍّ وتسعينَ وَصَلَ نَارِسُ، مَوْلَى ابنِ سَامَان، وقُلِّدَ دِيَارَ رَبِيعَةَ، وقد مَرَّ ذِكْرُه.

وفيها رَجَعَ الحُسَيْنُ بنُ حَمْدَانَ من الخِلافِ، وعُقِدَ لهُ على قُمَّ وقَاسَان، فسَارَ إليها ونَزَلَ عنها العَبَّاس بنُ عَمْرٍو الغَنَوِيُّ.

وفي سَنَةِ سَبْعٍ وتِسْعِينَ تُوفِّي عِيسَى النُّوشَرِيُّ عَامِلُ مِصْر، ووَلَّى المُقْتَدِرُ مَكَانَه تَكِينَ الخَادِم.

وفي سَنَةِ ثَمانٍ وتِسْعِينَ تُوفِّي قَبِيحٌ خَادِمُ الأفْشِين وهُوَ عَامِلُ فارِس، وكان معَه مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ العَبَرْتَانيُّ فَمَاتَا مَعًا، ووَلِيَ على فَارِسَ عبدُ الله بنُ إبراهيمَ المَسْمِعي، وأُضِيفَت إليه كَرْمَانُ.

وفيها وُلِّيَت أمُّ مُوسَى الهاشِمِيَّةُ قَهْرَمَانَةُ دَارِ المُقْتَدِر، وكانت تُؤدِّي الرَّسَائِلَ عنِ المُقْتَدِرِ وأُمِّه إلى الوُزَرَاء، وعن الوُزَرَاءِ إلَيْهما.

وفي سَنَةِ تِسْعٍ وتسعينَ كان على البَصْرَةِ مُحَمَّدُ بنُ إسْحَاق بنِ كُنْداجق، وجَاءَ إليه القَرَامِطَةُ فقَاتَلَهم فهَرَبُوا.

وفي سَنَةِ ثلاثِ مائةٍ عُزِلَ إبراهيمُ بنُ عبدِ الله المَسْمِعِيُّ عن فَارِسَ وكَرْمَانَ، ونُقِلَ إليها بَدْرٌ الحَمَّامِيُّ عَامِلُ أصْبَهَان، ووُلِّيَ على أصْبَهَانَ عليُّ بنُ وَهْشُوذَان.

وفيها وَلِيَ بَشِيرٌ الأَفْشِينيُّ طَرَسُوسَ. وفيها قُلِّدَ يُونُسُ المُظَفَّرُ الحَرَمَيْنِ والثُّغُورَ.

وفيها قُلِّدَ أبو العَبَّاس بنُ المُقْتَدِرِ مِصْرَ والمَغْرِبَ وهُوَ ابنُ أرْبَعِ سِنِين، واسْتُخْلِفَ لهُ على مِصْرَ مُؤْنِسٌ المُظَفَّر. وفيها قُلِّدَ مُعِينٌ الطُّولُونيُّ المَعُونَةَ بالمَوْصِل، ثم عُزِلَ واسْتُعْمِلَ مَكانَه نِحْرِيرٌ الصَّغِير.

وفيها خَالَفَ أبو الهَيْجَاءِ عبدُ الله بنَ حَمْدَانَ بالمَوْصِل، فسَارَ إليه مُؤْنِسٌ وجَاءَ بهِ على الأمانَ. ثم قُلِّدَ المَوْصِلَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثِ مائةٍ فاسْتُخْلِفَ عليها وهُوَ

ببغداد. ثم خالف [illegible] وسَارَ إليه مؤنس وجاء بهِ أسِيرا فَحُبِسَ، وقَبَضَ المُقْتَدِرُ على أبي الهَيْجَاء وإخْوَتِه جَمِيعًا فَحُبِسُوا.

وفيها وَلِيَ الحُسَينُ بنُ/ محمَّدِ بن عَيْنُونَةَ عَامِلُ الخَراجِ والضِّيَاع بدِيَارِ رَبِيعَة بعدَ وَفَاةِ أبيه محمدٍ أبي بَكْر.

وفي سَنَة أرْبَعٍ عُزِلَ عليُّ بنُ وَهْـشُوذَانَ صَاحِبُ الحَرْبِ بأصْبَهَانَ بمُنَافَرَةٍ وَقَعَت بينَه وبينَ أحمدَ بنِ سِيَاه صَاحِبِ الخَرَاج، ووَلِيَ مَكانَه أحمدُ بنُ مَسْرُورٍ البَلْخيُّ. وأقامَ ابنُ وَهْشُوذَانَ بنَواحي الجَبَل(1).

ثم تَغَلَّبَ يُوسُفُ بنُ أبي السَّاج عليها كما مرَّ، وسَارَ إليه مُؤْنِسٌ سَنَةَ سَبْعٍ فهَزَمَهُ وأسَرَهُ، ووَلَّى على أصْبَهَانَ وقُمَّ وقَاشَانَ وسَاوَةَ أحمدَ بنَ عليِّ بن صُعْلُوك، وعلى الرَّيِّ ودُنْبَاوَنْد وقَزْوِينَ وأبْهَرَ وزَنْجَانَ عليَّ بنَ وَهْشُوذَان، اسْتَدْعَاهُ منَ الجَبَل فوَلِيَها، ووَثَبَ به عَمُّهُ أحمدُ بنُ مُسَافِر صَاحِبُ الطَّرْم فقَتَلَه بقَزْوِين. فاسْتَعْمَلَ مَكانه على الحَرْبِ وَصِيفًا البَكْتَمُرِيَّ، وعلى الخَرَاج محمَّدَ بنَ سُلَيْمَان(2).

ثم سَارَ أحْمَدُ بنُ صُعْلُوكٍ إليها، فقَتَلَ محمَّدَ بنَ سُلَيْمَانَ وطَرَدَ وَصِيفًا، ثم قَاطَعَ على الأعْمَالِ بمالٍ مَعْلُوم كما مَرّ. وكان على أعْمَالِ سِجِسْتَانَ كُثَيِّرُ بنُ أحمدَ بنِ شَهْفُور مُتَغَلِّبًا عليها، فسَارَ إليه بَدْرٌ الحَمَّاميُّ عَامِلُ فَارِس، فخَافَه كُثَيِّرٌ وقَاطَعَ على البِلادِ وعَقَدَ له عليها. وكان على كَرْمَانَ ـ سَنَةَ أرْبَعٍ وثلاثِ مائة ـ أبو يَزِيدَ خَالِدُ بنُ محمد المَاذَرَائيُّ، فانْتَقَضَ وسَارَ إلى شِيرَاز، فقَاتَلَه بَدْرٌ الحَمَّاميُّ وقَتَلَه(3).

(1) الكامل في التاريخ 8: 97.

(2) المصدر نفسه 8: 102.

(3) المصدر نفسه 8: 103.

وفي هذه السَّنَة قُلِّد مُؤنِسٌ المُظَفَّرُ عندَ مَسيرِه إلى الصَّائِفَة وانْتِهائِه إلى المَوْصِل، فوَلَّى على بَلَدِ بازَبْدَى وقَرْدَي سُبُكًا المُفْلِحِيَّ، وعلى مَدِينَة بَلَد وسِنْجار وباعْزَيَانا عُثمانَ الغَنَوِيَّ، وعلى بَقِيَّةِ بِلادِ رَبِيعَةَ وَصِيفًا البَكْتَمُرِيَّ.

وفي سَنَةِ خَمْسٍ وثلاثِ مائةٍ مَاتَ العَبَّاسُ بنُ عَمْرٍو الغَنَوِيُّ صَاحِبُ الحَرْب بدِيَارِ مُضَرَ، فوَلِيَ مَكانَه وَصِيفٌ البَكْتَمُرِيُّ، فعَجَزَ عنِ القِيَامِ بها، فعُزِلَ ووَلِيَ مكانَه جِنًا الصَّفْوَانيُّ. وكان على البَصْرَةِ في هذه السَّنَة الحَسَنُ بنُ الخَلِيل، يَتَوَلَّاها منذُ سِنِين، ووَقَعَت فِتَنٌ بينَه وبينَ العَامَّةِ مِن مُضَرَ ورَبِيعَة، واتَّصَلَت وقَتَلَ منهم خَلْقًا، ثُمَّ اضْطَرُّوه إلى اللَّحَاقِ بواسِطَ، فاسْتُعْمِلَ عليها أبو دُلَف هاشِمُ بنُ محمَّدٍ الخُزَاعِيُّ، ثُمَّ عُزِلَ لسَنَةٍ، ووَلِي سُبُكٌ المُفْلِحِيُّ نِيَابَةً عن شَفِيعٍ المُقْتَدِرِيِّ.

[وفي سَنَةِ سِتٍّ وثلاثِ مائةٍ عُزِلَ عنِ الشُّرْطَة نِزَارٌ، وجُعِلَ فيها نَجِيحٌ الطُّولُونيُّ، فأقامَ في الأرْبَاعِ فُقَهاءَ يَعْمَلُ أهْلُ الشُّرْطَة بفَتْوَاهُم، فضَعُفَتِ الهَيْبَةُ بذلك، وكَثُرَت اللُّصُوصُ والعَيَّارُون، وكُبِسَت دُورُ التُّجَّار، واخْتُطِفَت ثِيَابُ النَّاس](أ).

وفي سَنَة سَبْعٍ وثلاثِ مائةٍ وَلِيَ إبراهيمُ بنُ حَمْدَانَ دِيَارَ رَبِيعَة، ووَلِيَ بنيٌّ / [315أ] بنُ نَفِيس بِلادَ شَهْرَزُور، وامْتَنَعَت عليه، فاسْتَمَدَّ المُقْتَدِرَ وحَاصَرَها، ثُمَّ قُلِّدَ الحَرْبَ بالمَوْصِل وأعْمَالِها، وكان على المَوْصِل قبْلَه محمَّدُ بنُ إسْحَاقَ بن كُنْدَاجَ(ب)، وكان قد سَارَ لإصْلاحِ البِلادِ، فوَقَعَت فِتْنَةٌ بالمَوْصِل فرَجَعَ إليها فمَنَعُوهُ الدُّخُولَ فحَاصَرَهم. وعَزَلَه المُقْتَدِرُ سَنَةَ ثلاثٍ وثلاثِ مائةٍ، ووَلَّى مَكانَه عبدَ الله بنَ محمَّدٍ القَبَّان.

(أ - أ) فقرة انفردت بها ح. (ب) في ح: كنداجق.

وفي سَنَة ثمانٍ وثلاثِ مائةٍ وَلَّى المُقْتَدِرُ أبا الهَيْجاءِ عبدَ الله بنَ حَمْدَانَ على طَرِيقِ خُرَاسَانَ والدِّينَورِ. وفيها وُلِّي على دَقُوقَا وعُكْبَرَا وطَرِيقِ المَوْصِل بَدْرٌ الشَّرَابِيُّ.

وفي سَنَة تِسْعٍ وَلَّى المُقْتَدِرُ على حَرْبِ المَوْصِل ومَعُونَتِها محمَّدَ بنَ نَصْرٍ الحاجِبَ، فسَارَ إليها وأوْقَعَ بالمُخَالِفِينَ منَ الأكْرَادِ المادَرَانِيَّة. وفيها وُلِّي دَاوُدُ بنُ حَمْدَانَ على دِيَارِ رَبِيعَة.

وفي سَنَة عَشرٍ عُقِدَ ليُوسُفَ بنِ أبي السَّاج على الرَّيِّ وقَزْوِينَ وأَبْهَرَ وزَنْجَانَ وأَذْرَبِيجان، على تَقْرِيرِ المَعْلُوم كما مَرَّ. وفيها وُلِّي نَازُوكُ الشُّرْطَةَ ببَغْدَاد. وكان على مِصْرَ الحُسَيْنُ بنُ أحمدَ المادَرَائِيُّ. وفيها قَبَضَ المُقْتَدِرُ على أُمِّ مُوسَى القَهْرَمَانَة، لأنَّها كانت كَثِيرَةَ المَال، وزَوَّجَتْ بِنْتَ أُخْتِها من بَعْضِ وَلَدِ المُتَوَكِّل، كان مُرَشَّحًا للخِلافَة، وكان مُخَنَّثًا، فلمَّا صَاهَرَتْه أوْسَعَتْ في الشَّوَارِ والنِّثَارِ والعُرْس، وسُعِيَ بها إلى المُقْتَدِر بأنَّها استَحْلَفَتِ القُوَّادَ، فقَبَضَ عليها وصَادَرَها على أمْوَالٍ عَظِيمَة، وجَوَاهِرَ نَفِيسَة. وفيها قُتِلَ خَلِيفَةُ محمدِ بنِ نَصْرٍ الحاجِبِ بالمَوْصِل، قَتَلَتْه العَامَّةُ، فَجَهَّزَ العَسَاكِرَ من بَغْدَاد، وسَارَ إليها.

وفي سَنَةِ إحْدى عَشْرَةَ مَلَكَ يُوسُفُ بنُ أبي السَّاجِ الرَّيَّ مِن يَدِ أحْمَدَ بنِ عليِّ أخِي صُعْلُوك، وقَتَلَه، كما مَرَّ، وولَّاه المُقْتَدِر، وقد مَرَّ خَبَرُه. وفيها وَلَّى المُقْتَدِرُ بُنَيَّ بنَ نَفِيس على حَرْبِ أصْبَهَان، وولى محمَّدَ بنَ بَدْرٍ المُعْتَضِدِيَّ على فَارِس مكان ابنِهِ بَدْرٍ عندما هَلَكَ. وفي سَنَةِ ثنْتَي عَشْرَةَ وَلَّى على أصْبَهَانَ نُجَيْحًا الطُّولُونِيَّ، وعلى المَعَاوِنِ والحَرْبِ بنَهَاوَنْد سَعِيدَ بنَ حَمْدَان. وفيها تُوفِّي محمَّدُ بنُ نَصْرٍ الحَاجِبُ صَاحِبُ المَوْصِل، وتُوفِّي شَفِيعٌ اللُّؤْلُؤِيُّ صَاحِبُ البَرِيد، فوَلِيَ مَكانَه شَفِيعٌ المُقْتَدِرِيُّ.

وفي سَنَةِ ثلاث عشرة فَتَحَ إبراهيمُ المِسْمَعِيُّ، عَامِلُ فارسَ نَاحِيَةَ القَفْصِ /مِن حُدُودِ كِرْمَانَ، وأَسَرَ منهم خَمْسَةَ آلاف. وكان في هذه السَّنَةِ على المَوْصِلِ [315ب] أبو الهَيْجَاءِ عبدُ الله بنُ حَمْدَان، وابنُه نَاصِرُ الدَّوْلَة خَلِيفَتُه فيها، فأفسَدَ الأكْرَادُ والعَرَبُ بأرْضِ المَوْصِل وطَرِيقِ خُرَاسَانَ وكانت إليه، فكَتَبَ إلى ابْنِه نَاصِرِ الدَّوْلَة سَنَةَ أربَعَ عَشْرَةَ بالانْحِدَارِ إلى تَكْرِيتَ لِلِقَائِه، فجَاءَه في الحَشْدِ وأَوْقَعَ بالعَرَبِ والأكْرَادِ الجَلالِيَّة، وحَسَمَ عِلَّتَهُم. وفيها قَلَّدَ المُقْتَدِرُ يُوسُفَ بنَ أبي السَّاج أعْمَالَ المَشْرِقِ وعَزَلَه عن أَذْرَبِيجان، ووَلَّاهُ وَاسِطَ وأمَرَهُ بالمَسِيرِ إليها لحَرْبِ القَرَامِطَة، وأقْطَعَه هَمَذَانَ وسَاوَةَ وقُمَّ وقَاشَانَ ومَاه البَصْرَة ومَاه الكُوفَة ومَاسَبَذَانَ للنَّفَقَةِ في الحَرْب، وجَعَلَ على الرَّيِّ مِن أعْمَالِه لنَصْرِ بنِ سَامَان، فوَلِيَهَا وصَارَت مِن أعْمَالِهِ كما مَرَّ.

وفيها وَلِيَ أعْمَالَ الجَزِيرَة والضِّيَاع بالمَوْصِل أبو الهَيْجَاءِ عبدُ الله بنُ حَمْدَان، وأُضِيفَ إليه بَازَبْدَى وقَرْدَى وما إليهما. وفيها قُتِلَ ابنُ أبي السَّاج كما مَرَّ.

وفي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَاتَ إبراهيمُ المَسْمَعِيّ بالنُّوبَنْدَجَان، ووَلَّى المُقْتَدِرُ مَكَانَه على فَارِسَ يَاقُوتًا، وعلى كِرْمَانَ أبا طَاهِرٍ محمَّدَ بنَ عبدِ الصَّمَد[1].

وفي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ عُزِلَ أحمدُ بنُ نَصْرٍ القَسْوَرِيّ عن حَجْبَةِ الخَلِيفَة، ووَلِيَهَا يَاقُوتٌ وهُوَ على الحَرْبِ بفَارِس، فاستَخْلَفَ عليها ابنَه أبا الفَتْح المُظَفَّر[2].

وفيها وَلِيَ على المَوْصِلِ وأعْمَالِها يُونُسُ المُؤْنِسِيُّ، وكان على الحَرْبِ بالمَوْصِل الحَسَنُ بنُ عبدِ الله بنِ حَمْدَان، وهُوَ نَاصِرُ الدَّوْلَة، فوَقَعَت فيها فِتْنَةٌ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ فلم يُغْنِ فيها حتى أصْلَحَ بينَهمُ العُلَمَاءُ والصُّلَحَاءُ. وفيها خُلِعَ المُقْتَدِرُ وعَادَ إلى

(1) الكامل في التاريخ 8: 179-180.

(2) المصدر نفسه 8: 198.

الخِلافَة. وقُتِلَ في تلك الفِتْنَة نازُوك، وأبو الهَيْجاءِ عبدُ الله بنُ حَمْدَان، فقَلَّدَ المُقْتَدِرُ الشُّرْطَةَ ابنَيْ رَائِقٍ مكان نازُوك، وأَقَرَّ على أعْمَالِ قَرْدَى وبَازَبْدَى التي كانت بيدِ أبي الهَيْجاءِ ابنَه نَاصِرَ الدَّوْلَة الحَسَنَ، وعلى أعْمَالِ المَوْصِل نِحْرِيرًا الصَّغِير[1].

ثم وُلِّي عليها سَعِيدٌ ونَصْرٌ ابنَا حَمْدَان، وهما أخوا أبي الهَيْجَاء. ووَلِيَ نَاصِرُ الدَّوْلَة على دِيَارِ رَبِيعَةَ ونَصِيبِينَ وسِنْجَارَ والخَابُورِ ورأس عَيْن ومَيَّافارِقِينَ من دِيَارِ بَكْر وأَرْزَنَ على مُقَاطَعَةٍ مَعْلُومَة[2].

[316أ] وفي سَنَةِ ثَمانٍ/ عَشْرَةَ صُرِفَ ابنَا رَائِقٍ عنِ الشُّرْطَة، ووَلِيَها أبو بَكْرٍ محمَّدُ بنُ يَاقُوت[3].

وفي سَنَةِ تِسْعَ عَشْرَةَ صُرِفَ يَاقُوتٌ عنِ الحَجْبَة، وقُلِّدَ أعْمَالَ فَارِسَ وكَرْمَان، وقُلِّدَ ابنُه المُظَفَّرُ أصْبَهَان، وابنُه أبو بَكْرٍ محمدٌ سِجِسْتَان، وجُعِلَ مَكانَ يَاقُوتٍ ووَلَدِه في الحَجْبَةِ والشُّرْطَةِ إبراهيمُ ومحمَّدٌ ابنا رَائِق، فأقَامَ يَاقُوتٌ بشِيرَاز، وكان عليُّ بنُ خَلَفِ بن طَيَّابٍ على الخَرَاج، فتَعَاقَدَا على قَطْعِ الحَمْل عن المُقْتَدِرِ إلى أن مَلَكَ عليُّ ابنُ بُوَيْه بِلادَ فَارِسَ سنةَ ثَلاثٍ وعِشْرين[4].

وفي هذه السَّنَة غَلَبَ مَرْدَاويجُ على أصْبَهَانَ وهَمَذانَ والرَّيِّ إلى حُلْوَان، وقَاطَعَ عليها بمالٍ مَعْلُومٍ وصَارَت في وِلايَتِه[5].

(1) الكامل في التاريخ 8: 199، 212-214.

(2) المصدر نفسه 8: 217.

(3) المصدر نفسه 8: 218.

(4) المصدر نفسه 8: 224-225.

(5) المصدر نفسه 8: 229.

استيحَاشُ مُؤْنِسٍ منَ المُقْتَدِرِ الثَّانية، ومَسيرُهُ إلى المَوْصِل

كان الحُسَيْنُ بنُ القاسِمِ بنِ عبدِ الله بن وَهْبٍ وَزِيرًا للمُقْتَدِرِ، وكان مُؤْنِسٌ مُنْحَرِفًا عنه قَبْلَ الوِزَارَةِ حتى أَصْلَحَ بليق حَالَه عند مُؤْنِسٍ فوَزَرَ، واخْتَصَّ به بنو البَرِيدِيِّ وابنُ الفُرَات. ثم بَلَغَ مُؤْنِسًا أنَّ الحُسَيْنَ قد وَاطَأَ جَمَاعَةً منَ القُوَّادِ في التَّدْبِيرِ عليه، فتَنَكَّرَ له مُؤْنِسٌ وضَاقَتِ الدُّنْيَا على الحُسَيْنِ، وبَلَغَهُ أَنَّ مُؤْنِسًا يَكْبِسُه، فانْتَقَلَ إلى دَارِ الخِلافَة، وكَتَبَ مُؤْنِسٌ إلى المُقْتَدِرِ في عَزْلِهِ فعَزَلَهُ وأَلْزَمَهُ بَيْتَهُ مِن غيرِ مُصَادَرَةٍ، فلم يَقْنَعْ مُؤْنِسٌ بذلك، وسَعَى الحُسَيْنُ عندَ المُقْتَدِرِ بأَنَّ مُؤْنِسًا يَرُومُ الانْتِقَاضَ والمَسِيرَ إلى الشَّامِ بابنِ المُقْتَدِرِ، وهُوَ أبو العَبَّاس الرَّاضِي، فنَقَلَ المُقْتَدِرُ ابنَه إلى دَارِ الخِلافَة. وكَتَبَ الحُسَيْنُ إلى هَارُونَ بنِ غَرِيبِ الخَالِ يَسْتَقْدِمُه، وكان مُقِيمًا بدَيْرِ العَاقُولِ بعدَ انْهِزَامِه مِن مَرْدَاوِيج، وكَتَبَ إلى محمَّدِ بن يَاقُوتٍ يَسْتَقْدِمُهُ منَ الأَهْوَازِ فاسْتَوْحَشَ مُؤْنِسٌ. ثم جَمَعَ الحُسَيْنُ الرِّجَالَ والغِلْمَانَ الحُجَرِيَّةَ في دَارِ الخِلافَة، وأَنْفَقَ فيهم فعَظُمَتْ نَفْرَةُ مُؤْنِسٍ.

وقَدِمَ هَارُونُ منَ الأَهْوَازِ، فخَرَجَ مُؤْنِسٌ مُغَاضِبًا للمُقْتَدِرِ، وقَصَدَ المَوْصِلَ، وكَتَبَ الحُسَيْنُ إلى القُوَّادِ الذين مَعَهُ بالرُّجُوعِ فرَجَعَ منهم جَمَاعَةٌ، وسَارَ مُؤْنِسٌ في أَصْحَابِه ومَمَالِيكِه ومَعَه منَ السَّاجِيَّةِ ثمانِ مائةِ رَجُل، وتَقَدَّمَ الوَزِيرُ بقَبْضِ أَمْلاكِه وأَمْلاكِ/ مَن مَعَه وإقْطاعِهِم، فحَصَلَ منه مَالٌ، واغْتَبَطَ المُقْتَدِرُ به لذلك ولَقَّبَهُ عَمِيدَ [316 ب] الدَّوْلَة، ورَسَمَ اسْمَه في السِّكَّة، وأَطْلَقَ يَدَهُ في الوِلايَةِ والعَزْلِ، فوَلَّى على البَصْرَةِ وأَعْمَالِها أبا يُوسُفَ يَعْقُوبَ بنَ محمَّدٍ البَرِيدِيَّ على مَبْلَغٍ ضَمِنَه، وكَتَبَ إلى سَعْدٍ ودَاوُدَ

ابنَيْ حَمْدَانَ وابنِ أخيهما نَاصِرِ الدَّوْلَةِ الحُسَيْنِ بنِ عبدِالله بمُحَارَبَةِ مُؤنِس، فاجْتَمَعُوا على حَرْبِه إلَّا دَاوُدَ، فإنَّه تَوَقَّفَ لأجْلِ إحْسَانِ مُؤنِسٍ إليه وتَرْبِيَتِه إيَّاه، ثم غَلَبُوا عليه فوَافَقَهم على حَرْبِه.

وجَمَعَ مُؤنِسٌ في طَرِيقِه رُؤَسَاءَ العَرَب، وأوْهَمَهُم أنَّ الخَلِيفَةَ وَلَّاهُ المَوْصِلَ ودِيَارَ رَبِيعَةَ، فنَفَرَ معَهُ بَعْضُهم، واجْتَمَعَ لهُ منَ العَسْكَرِ ثمانِ مائةٍ، وزَحَفَ إليه بَنُو حَمْدانَ في ثلاثينَ ألْفًا فهَزَمَهُم، وقُتِلَ دَاوُد، ومَلَكَ مُؤنِسٌ المَوْصِلَ في صَفَرٍ من سَنَةِ عِشْرِين، وجَاءَته العَسَاكِرُ من بَغْدَادَ والشَّام ومِصرَ رَغْبَةً في إحْسَانِه. وعَادَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ بنُ حَمْدَانَ إلى خِدْمَتِه وأقَامَ معَهُ بالمَوْصِل ولَحِقَ سَعْدٌ ببَغْدَاد[1].

مَقْتَلُ المُقْتَدِرِ وبَيْعَةُ القَاهِرِ

ولمَّا مَلَكَ مُؤنِسٌ المَوْصِلَ أقَامَ بها تِسْعَةَ أشْهُرٍ، واجْتَمَعَتِ العَسَاكِرُ، فانْحَدَرَ إلى بَغْدَاد، لقِتَالِ المُقْتَدِر، وبَعَثَ المُقْتَدِرُ الجُنُودَ مع أبي بَكْرٍ محمَّدِ بن يَاقُوت وسَعْدِ ابن حَمْدَان، فرَجَعَ عنهمُ العَسْكَرُ إلى بَغْدَادَ ورَجَعُوا. وجَاءَ مُؤنِسٌ فنَزَلَ ببَابِ الشَّمَّاسِيَّة والقُوَّادُ قُبَالَته، ونَدَبَ المُقْتَدِرُ ابنَ خَالِه هَارُونَ بنَ غَرِيبٍ إلى الخُرُوج لقِتَالِه، فاعْتَذَرَ ثم خَرَجَ، وطَالَبُوا المُقْتَدِرَ بالمالِ لنَفَقَاتِ الجُنْد، فاعْتَذَرَ وأرَادَ أنْ يَنْحَدِرَ إلى وَاسِطَ ويَسْتَدْعِيَ العَسَاكِرَ منَ البَصْرَةِ والأهْوَازِ وفَارِسَ وكَرْمَان، فرَدَّه ابنُ يَاقُوتٍ عن ذلك، وأخْرَجَه للحَرْبِ وبينَ يَدَيْهِ الفُقَهَاءُ والقُرَّاءُ والمَصَاحِفُ مَشْهُورَةٌ، وعليهِ البُرْدَة، والنَّاسُ مُحْدِقُونَ به، فانْهَزَمَ أصْحَابُه، ولَقِيَه عليُّ بنُ بليق،

(1) الكامل في التاريخ 8: 232-233، 237-238.

من أَصْحَابِ مُؤْنِس، فعظَّمَه وأشَارَ إليه بالرُّجُوع، ولَحِقَه قَوْمٌ مِنَ المَغَارِبَة والبَرْبَرِ فَقَتَلُوه وحَمَلُوا رَأسَه وتَرَكُوه بالعَرَاء، فدُفِنَ هُنَالِك. ويُقَالُ: إنَّ عليَّ بنَ بليق أشَارَ إليهم بقَتْلِه.

ولمَّا رَأى مُؤنِسٌ / رَأسَهُ نَدِمَ وسُقِطَ في يَدِه، وقال: والله لَنُقْتَلَنَّ جَمِيعًا، [317أ] وتَقَدَّم إلى الشَّمَّاسِيَّة وبَعَثَ مَن يَحْتَاطُ على دَارِ الخِلافَة، وكان ذلك لخَمْس وعِشْرينَ سَنَةً من خِلافَةِ المُقْتَدِر. فاتَّسَعَ الخَرْقُ وطَمِعَ أهْلُ القَاصِيَة في الاسْتِبْدَاد، وكان مُهْمِلًا لأمُورِ خِلافَتِه، مُحَكِّمًا للنِّسَاءِ والخَدَمِ في دَوْلَته، مُبَذِّرًا لأمْوَالِه. ولمَّا قُتِلَ لَحِقَ ابنُه عبدُ الوَاحِد بالمَدَائِنِ ومعَه هَارُونُ بنُ غَرِيبِ الخَالِ ومحمَّدُ بنُ يَاقُوتٍ وإبراهيمُ ومحمَّدٌ ابْنَا رَائِق.

ثم اعْتَزَم مُؤْنِسٌ على البَيْعَةِ لوَلَدِه أبي العَبَّاس وكان صَغِيرًا، فعَدَلَهُ وَزِيرُه أبو يَعْقُوبَ إسْحَاقُ بنُ إسْمَاعِيلَ النَّوْبَخْتِيُّ في وِلَايَةِ صَغِيرٍ تَحْجُرُه أُمُّه ودَايَاتُه، وأشَارَ بأخِيه أبي مَنْصُورٍ محمَّدِ بنِ المُعْتَضِد، فأجَابَ مُؤْنِسٌ إلى ذلك على كُرْهٍ، وأُحْضِرَ وبُويِعَ آخِرَ شَوَّالٍ من سَنَة عِشْرين، ولَقَّبُوه القَاهِرَ بالله. واسْتَخْلَفَه مُؤْنِسٌ لنَفْسِهِ ولحَاجِبِه بليق وابْنِهِ عليّ، واسْتَقْدَمَ أبا عليّ بنَ مُقْلَةَ مِن فَارِسَ فاسْتَوْزَرَه، واسْتَحْجَبَ عليَّ بنَ بليق. ثم قَبَضَ على أمِّ المُقْتَدِرِ وضَرَبَها على الأمْوَال، فحَلَفَت، فأمَرَها بحَلِّ أوْقَافِها فامْتَنَعَت، فأحْضَرَ هُوَ القُضَاةَ وأشْهَدَ بحَلِّ أوْقَافِها ووَكَّلَ في بَيْعِها، فاشْتَرَاها الجُنْدُ مِن أرْزَاقِهم، وصَادَرَ جَمِيعَ حَاشِيَة المُقْتَدِر.

واشْتَدَّ في البَحْثِ عن وَلَدِه، وكَبَسَ عليهمُ المَنَازِلَ إلى أن ظَفِرَ بأبي العَبَّاس الرَّاضِي وجَمَاعَةٍ من إخْوَتِه، فصَادَرَهُم، وسَلَّمَهُم عليُّ بنُ بليق إلى كَاتِبِه الحَسَنِ بنِ

هَارُون، فأحْسَنَ صُحْبَتَهم، وقَبَضَ الوَزِيرُ ابنُ مُقْلَةَ على بني البَرِيدِيِّ وأصْحَابِه وإخْوَتِه وعَزَلَهم وصَادَرَهُم على جَمَاعَةٍ منَ العُمَّال[1].

خَبَرُ ابنِ المُقْتَدِرِ وأصْحَابِه

قد ذكَرْنا أنَّ عبدَ الوَاحِد بنَ المُقْتَدِرِ لَحِقَ بعدَ مَقْتَلِ أبِيه بالمَدَائِن، ومعَهُ هَارُونُ بنُ غَرِيبِ الخَالِ ومُفْلِحٌ ومحمَّدُ بنُ يَاقُوتٍ وابْنَا رَائِق، ثم انْحَدَرُوا منها إلى وَاسِطَ وأقَامُوا بها، وخَشِيَهمُ القَاهِرُ على أمْرِه، واسْتَأْمَنَ هَارُون بنَ غَرِيبِ الخَالِ على أنْ يَبْذُلَ ثلاثَ مائةِ ألْفِ دِينَار، وتُطْلَقَ لهُ أمْلاكُهُ، ويَنْزِلَ عنِ الأمْلاكِ التي اسْتَأْجَرَها، ويُعْطِيَ حُقُوقَ بَيْتِ المَالِ في أمْلاكِه، فأمَّنَه القَاهِرُ ومُؤْنِسٌ وكَتَبَ له /بذلك، وعَقَدَ له على أعْمَالِ مَاه الكُوفَةِ ومَاسَبَذَانَ ومِهْرِجَان قَذَق، وسَارَ إلى بَغْدَاد، وسَارَ عبدُ الوَاحِد بنُ المُقْتَدِرِ فيمَن مَعَه من وَاسِطَ إلى السُّوسِ وسُوقِ الأهْوَاز، وطَرَدُوا العُمَّالَ وجَبَوُا الأمْوَال. [317ب]

وبَعَثَ مُؤْنِسٌ إليهم بليقا في العَسَاكِر، وبَذَلَ أبو عبدِ الله البَرِيدِيُّ في وِلايَةِ الأهْوَاز خَمْسِينَ ألْفَ دِينَار فأُنْفِقَتْ في العَسَاكِر. وسَارَ معَهم، وانْتَهَوا إلى وَاسِطَ ثُم إلى السُّوس، ففَارَقَ عبدُ الوَاحِد ومَن معَهُ الأهْوَازَ إلى تُسْتَرَ، ثم فَارَقَه جَمِيعُ القُوَّاد واسْتَأْمَنُوا إلى بليق إلَّا ابنَ يَاقُوتٍ ومُفْلِحًا ومَسْرُورًا الخَادِم، وكان محمَّدُ بنُ يَاقُوتٍ مُسْتَبِدًّا على جَمِيعِهم في الأمْوالِ والتَّصرُّف، فنَفَرُوا لذلكَ واسْتَأْمَنُوا لأنْفُسِهِم ولابنِ

(1) الكامل في التاريخ 8: 241-246.

المُقْتَدِرِ إلى بليق، فأمَّنَهم بعدَ أنِ اسْتَأذَنُوا محمَّدَ بنَ يَاقُوتٍ وأذِنَ لهم. ثم اسْتَأمَنَ هُوَ إلى بليق واسْتَخْلَفَه على أمَانِ القَاهِرِ ومُؤْنِس، وسَارُوا كلُّهم إلى بَغْدَاد، فوَفَّى لهم القَاهِرُ وأطْلَقَ لعَبْدِ الوَاحِدِ أمْلاكَه، وتَرَكَ لأمِّه المُصَادَرَةَ الّتي صَادَرَها، واسْتَوْلَى أبو عبدِ الله البَرِيدِيُّ على أعْمَالِ فَارِسَ، وأعَادَ إخْوَتَه إلى أعْمَالِهم[1].

مَقْتَلُ مُؤْنِسٍ وبليق وابْنِه

لمَّا رَجَعَ محمَّدُ بنُ يَاقُوتٍ منَ الأهْوازِ، استَخْلَصَهُ القَاهِرُ واخْتَصَّه بخَلَواتِه وشُورَاهُ، وكانت بينَه وبينَ الوزيرِ أبي عليِّ بنِ مُقْلَةَ عَدَاوَةٌ، فاستوحَشَ لذلك ودَسَّ إلى مؤنِسٍ أنَّ محمدَ بْنَ ياقُوتٍ يَسْعَى بهِ عندَ القَاهِرِ، وأنَّ عِيسَى الطَّبِيبَ سَفِيرُه في ذلك، فبَعَثَ مُؤنِسٌ عليَّ بنَ بليق لإحْضَارِ عِيسَى الطَّبِيبِ، فوَجَدَهُ عندَ القَاهِرِ فحَازَبَه إلى مُؤنِسٍ فأقْصَاهُ إلى المَوْصِلِ وتَنَكَّرَ لمحَمَّدِ بنِ يَاقُوت، وتَقَدَّمَ إلى عليِّ بنِ بليق بالاحْتِيَاطِ على القَاهِرِ، فوَكَّلَ به أحمدُ بنُ زَيْرَكَ وضَيَّقَ على القَاهِرِ، وكُشِفَتْ وُجُوهُ النِّسَاءِ المُخْتَلِفَاتِ إلى القَصْرِ خَشْيَةَ إيصَالِهِنّ الرِّقَاعَ إلى القَاهِرِ، حتّى كُشِفَت أوَانِي الطَّعَامِ، ونَقَلَ بليق المَحَابِيسَ مِن دَارِ الخِلافَةِ إلى دَارِه وفِيهِم أمُّ المُقْتَدِرِ، فأكْرَمَها عليُّ بنُ بليق وأنْزَلَها عندَ أمِّهِ فماتَتْ في جُمادَى من سَنَة إحْدَى وعِشْرين.

وعَلِمَ القَاهِرُ أنَّ ذلك مِنْ مُؤْنِسٍ وابنِ مُقْلَة، فشَرَعَ في التَّدْبِيرِ عليهم. وكان طَرِيفُ السَّبكُرِيُّ[أ] وبشرى، مِن خَدَمِ مُؤْنِس، قَدِ اسْتَوْحَشَا من مُؤْنِس لتَقْدِيم

(أ) جاءت في الأصول مهملة، انظر الكامل 8: 156 وبغية الطلب .

(1) الكامل في التاريخ 8: 248-250.

بليق وابنِه عليهما. وكان اعْتِمادُ مُؤْنِسٍ على السَّاجِيَّة/ وقد جاءُوا مَعَهُ منَ المَوْصِل ولم يُوفِّ لهم فاسْتَوْحَشُوا لذلك، فدَاخَلَهم القَاهِرُ جَمِيعًا، وأغْرَاهُم بمُؤْنس وبليق، وبَعَثَ إلى أبي جَعْفَرٍ محمَّدِ بن القَاسِم بن عبدِ الله، وكان مُخْتَصًّا بابنِ مُقْلَةَ وصَاحِبَ رَأْيِه، فوَعَدَه بالوَزَارَة، فكان يُطَالِعُه بالأخْبَار. [318أ]

وشَعَرَ ابنُ مُقْلَةَ بذلك، فأبلَغَه إلى مُؤْنِسٍ وبليق، فأجْمَعُوا خَلْعَ القَاهِر، واتَّفَق بليق وابْنُه عليٌّ وابنُ مُقْلَةَ والحَسَنُ بنُ هَارُونَ على البَيْعَة لأبي أحمدَ بنِ المُكْتَفِي، فبَايَعُوه وحَلَفُوا له، وأطْلَعُوا مُؤْنِسًا على ذلك، فأشَارَ بالمَهْلِ وتَأنِيس القَاهِر حتى يَعْرِفُوا مَن وَاطَأَهُ منَ القُوَّادِ والسَّاجِيَّة والحُجَرِيَّة، فأبَوْا وهَوَّنُوا عليه الأمْرَ في اسْتِعْجَالِ خَلْعِهِ فأذِنَ لهم، فأشَاعُوا أنَّ أبا طَاهِرٍ القَرْمَطِيَّ وَرَدَ الكُوفَة، ونَدَبُوا عليَّ ابنَ بليق للمَسِيرِ إليه ليَدْخُلَ للوَدَاع ويَقْبِضَ على القَاهِر، وكَتَبَ ابنُ مُقْلَةَ إلى القَاهِرِ بذلك، ويَسْتَأْذِنُه في وَدَاعِ ابنِ بليق، فأجَابَ بالإذْنِ ولم يَقِفْ عليه ابنُ مُقْلَة، [فقد] كان نائمًا، فلمَّا اسْتَيْقَظَ أعَادَ الكِتَابَ إلى القَاهِر فاسْتَرَاب. ثم جاءَهُ طَرِيفٌ السُّبُكْرِيُّ غُلامُ مُؤْنِس في زِيِّ امْرَأةٍ مُتَنَصِّحًا، فأحْضَرَه وأطْلَعَهُ على تَدْبِيرِهم وبَيْعَتِهم لأبي أحمدَ بنِ المُكْتَفِي، فأخَذَ القاهِرُ حِذْرَهُ.

وأكْمَنَ السَّاجِيَّةُ في دَهَالِيزِ القَصْرِ ومَمَرَّاتِه، وجاءَ عليُّ بنُ بليق في خَفٍّ مِن أصْحَابه، واسْتَأذَنَ فلم يُؤْذَنْ له، وكان به خُمَار، فغَضِبَ وأفْحَشَ في القَوْل، فخَرَجَ إليه السَّاجِيَّةُ في السِّلاح وشَتَمُوه ورَدُّوه، وفَرَّ عنه أصْحَابُه، وألْقَى بنَفْسِه في الطَّيَّارَة وعَبَرَ إلى الجانِبِ الغَرْبِيِّ. واخْتَفَى الوَزِيرُ ابنُ مُقْلَةَ والحَسَنُ بنُ هَارُون، ورَكِبَ طَرِيفٌ إلى دَارِ القَاهِر.

وأنْكَرَ بليق ما جَرَى لابنِه وشَتَمَ السَّاجِيَّة وقال: لا بُدَّ أنْ أسْتَعْدِيَ الخَلِيفَةَ

عليهم، وجَاءَ إلى القَاهِرِ ومَعَه قُوَّادُ مُؤْنِس، فلم يَأْذَنْ له، وقَبَضَ عليهِ وحَبَسَهُ وعلى أحمدَ بنِ زَيْرَكَ صَاحِبِ الشُّرْطَة. وجَاءَ العَسْكَرُ مُنكِرِينَ لذلك، فاسْتَرْضَاهُم ووَعَدَهُم بالزِّيَادَة وبإطْلاق هؤلاءِ المَحْبُوسِينَ فافْتَرَقُوا، وبَعَثَ إلى مُؤْنِسٍ في الحُضُورِ عندَهُ ليُطَالِعَه برَأْيِه فأَبَى فعَزَلَه، ووَلَّى طَرِيفًا السُّبكُرِيَّ مَكانَه وأَعْطَاهُ/ خَاتَمَه، وقَالَ: قد 18] فَوَّضْتُ إلى ابْنِي عبدِ الصَّمد ما كانَ المُقْتَدِرُ فَوَّضَه إلى ابنِه مُحَمَّد، وقَلَّدْتُكَ خِلافَتَه ورِيَاسَةَ الجَيْش وإمَارَةَ الأُمَراءِ وبُيُوتَ الأمْوَالِ كما كان مُؤْنِسٌ، وامْضِ إليه واحْمِلْه إلى دَارِ الخِلافَة مُرَفَّهًا عليه لئَلَّا يَجْتَمِعَ إليه أَهْلُ الشَّرِّ ويَتَغَيَّرَ ما بَيْنَنا وبَيْنَه. فسَارَ طَرِيفٌ إلى مُؤْنِسٍ وأَخْبَرَهُ بأَمَانِ القَاهِرِ لهُ ولأَصْحَابِه، وحَمَلَه على الحُضُورِ عندَه وهَوَّنَ عليه أمْرَه، وأنَّ القَاهِرَ لا يَقْدِرُ على مَكْرُوهِه. فرَكِبَ وحَضَرَ، فقَبَضَ عليه القَاهِرُ وحَبَسَهُ قَبْلَ أنْ يَرَاه، ونَدِمَ طَرِيفٌ على ما فَعَل، واسْتَوْحَشَ.

واسْتَوْزَرَ القَاهِرُ أَبا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بنَ القَاسِمِ بنِ عُبَيْدِ الله، ووَكَّلَ بِدُورِ مُؤْنِسٍ وبليق وابنِه عليٍّ وابنِ مُقْلَةَ وابنِ زَيْرَكَ وابنِ هَارُون، ونَقَلَ ما فيها، وأُحْرِقَت دَارُ ابنِ مُقْلَة، وجَاءَ مُحَمَّدُ بنُ يَاقُوتٍ وقَامَ بالحُجْبَة، فتَنَكَّرَ لهُ طَرِيفٌ السُّبْكُرِيُّ والسَّاجِيَّةُ فاخْتَفَى ولَحِقَ بابْنِه بفَارِس، وكَتَبَ إليه القَاهِرُ بالعَتْبِ على ذَلِك، ووَلَّاهُ على الأَهْوَاز. وكان الذي دَعَا طَرِيفًا السُّبْكُرِي إلى الانْحِرَافِ عن مُؤْنِس وبليق أنْ مُؤْنِسًا رَفَعَ رُتْبَةَ بليق وابنِه عليه بعدَ أن كانَا يَخْدِمَانِه، فأَهْمَلَا جَانِبَه. ثم اعْتَزَمَ بليق على أنْ يُوَلِّيَه مِصْرَ، وفَاوَضَ في ذلكَ الوَزِيرَ ابنَ مُقْلَة، فوَافَقَ عليه، ثم أَرَادَ عليُّ بنُ بليق عَمَلَ مصرَ لنَفْسِه ومَنَعَ مِن إرْسَالِ طَرِيفٍ فتَرَبَّصَ بهم.

وأمَّا السَّاجِيَّةُ فكانوا مع مُؤْنِسٍ بالمَوْصِل، وكان يَعِدُهم ويُمَنِّيهم. ولمَّا وَلِيَ

القاهِرَ واستَبَدَّ بأمْرِه لم يَفِ لهم. وكان مِن أعْيانِهم الخَادِمُ صَندل، وكان لهُ بدَارِ القَاهِرِ خَادِمٌ اسْمُهُ مُؤتَمن، باعَهُ واتَّصَلَ بالقَاهِرِ قَبْلَ الخِلافَةِ فاسْتَخْلَصَه، فلمَّا شَرَعَ في التَّدْبِيرِ على مُؤْنِسٍ وبليق، بَعَثَ مُؤتَمَنًا هذا إلى صَندَلٍ يَمُتُّ إليه تَقْدِيمَه، ويُدَاخِلُه في أمْرِ القَاهِرِ وإزالَةِ الحَجْرِ عنه. فقَصَدَ إلى صَندَلٍ [وزَوْجتِه، وتَلَطَّفَ ووَصَفَ القاهِرَ بما شاء مِن محاسِنِ الأخلاق، وحَمَلَ زَوْجَتَه على الدُّخولِ إلى دارِ القاهِرِ، حتى شافَهتها بما أراد إبلاغَه إلى صَندَل](أ)، ودَاخَلَ صَندَلٌ في ذلك سِيَما مِن قُوَّادِ السَّاجِيَّة، واتَّفَقُوا على مُداخَلَةِ طَرِيفِ السُّبكُرِيِّ في ذلك، لعِلْمِهم باستِيحَاشِه من مُؤنِس، فأجَابَهم، على شَرِيطَةِ الإبْقاءِ على مُؤنِسٍ وبليق وابنِه، وأن لا يَزَالَ مُؤنِسٌ في مَرْتَبَتِه، وتَحَالَفُوا على ذلكَ منَ الجانِبَيْن.

[319أ] / وطَلَبَ طَرِيفٌ عَهْدَ القَاهِرِ بخَطِّه، فكَتَبَ، وزَادَ فيه أنَّه يُصَلِّي بالنَّاسِ ويَخْطُبُ لهم، ويَحُجُّ بهم، ويَغْزُو معَهم، ويَقْعُدُ لكَشْفِ المَظالِم، وغيرَ ذلك مِن حُسْنِ السِّيرَة، وكان جَماعَةٌ منَ الحُجَرِيَّة قد أبْعَدَهُم ابنُ بليق وأدَالَ منهم بأصْحَابِه، فدَاخَلَهم طَرِيفٌ في أمْرِ القَاهِرِ فأجَابُوه.

ونَمَا الخَبَرُ بذلكَ إلى ابنِ مُقْلَةَ وإلى بليق، وأرَادُوا القَبْضَ على قُوَّادِ السَّاجِيَّةِ والحُجَرِيَّة، ثُمَّ خَشُوا الفِتْنَةَ، ودَبَّرُوا على القَاهِرِ فلم يَصِلوا إليه، [لاحْتِجَابِه](ب) عنهم بالمَرَض، فوَضَعُوا أخْبَارَ القَرَامِطَة كما قَدَّمْنَاه.

ولمَّا قَبَضَ القَاهِرُ على مُؤنِسٍ، وَلَّى على الحَجَبَة سَلامَةَ الطُّولُونِيَّ، وعلى الشُّرْطَة أحمدَ بنَ خَاقَان، واسْتَوْزَرَ أبا جَعْفَرٍ محمَّدَ بنَ القَاسِمِ بنِ عبدِ الله مكانَ ابنِ

(أ) من ح وسقط من ظ. (ب) من ح وفي ظ لاحتجاجه.

مُقْلَةَ، وأمَرَ بالنِّدَاءِ على المُسْتَتِرِينَ والوَعِيدِ لمن أخْفَاهُم، وطَلَبَ أبا أحمدَ بنَ المُكْتَفِي فظَفِرَ به وبَنَى عليه حَائِطًا فمات. ثم ظَفِرَ بعليِّ بنِ بليق فقَتَلَه. ثم شَغَبَ الجُنْدُ في شَعْبَانَ ومعَهم أصْحَابُ مُؤْنِسٍ وثَارُوا ونَادَوْا بشِعَارِه، وطَلَبُوا إطْلاقَه، وأحْرَقُوا رَوْشَنَ دَارِ الوَزِيرِ أبي جَعْفَر. فعَمَدَ القَاهِرُ إلى عليِّ بنِ بليق في مَحْبِسِهِ وأمَرَ بهِ فذُبِحَ، وحُمِلَ رَأسُه إلى أبيه بليق فبَكَى وقَبَّلَه، وأمَرَ به فذُبِحَ. وحُمِلَ الرَّأسانِ إلى مُؤْنِسٍ، فلمَّا رآهما مُؤْنِسٌ اسْتَرْجَعَ ولَعَنَ قَاتِلَهما، فأُمِرَ به فذُبِحَ وطِيفَ بالرُّءوسِ ثُم أودِعَت بالخِزَانَة.

وقِيلَ: إنَّ قَتْلَ عليِّ بنِ بليق تأخَّرَ عن قَتْلِ أبيه ومُؤْنِسٍ؛ لأنَّه كان مُسْتَخْفِيًا، فلمَّا ظَفِرَ بهِ بعدَهما قَتَلَه.

ثم بَعَثَ القَاهِرُ إلى أبي يَعْقُوبَ إسْحَاقَ بنِ إسْمَاعِيلَ النَّوْبَخْتِيِّ فأخَذَهُ من مَجْلِسِ الوَزِيرِ محمَّدِ بن القَاسِمِ وحَبَسَه، وارْتَابَ النَّاسُ من شِدَّةِ القَاهِرِ، ونَدِمَ [319ب] السَّاجِيَّةُ والحُجَرِيَّةُ على مُدَاخَلَتِه في ذلك الأمْر.

ثم قَبَضَ القَاهِرُ على وَزِيرِه أبي جَعْفَرٍ وأوْلادِه وأخِيه عُبَيْدِ الله وخَدَمِه لثَلاثَةِ أشْهُرٍ ونِصْفٍ من وِلايَتِه، ومَاتَ لثَمَانِ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِن حَبْسِه، واسْتَوْزَرَ مَكانَه أبا العَبَّاس أحمدَ بنَ عُبَيْدِ الله بن سُلَيْمَانَ الخَصِيبِيّ. ثم اشْتَدَّ القَاهِرُ على طَرِيفٍ السُّبكُرِيِّ واسْتَخَفَّ به، فخَافَه وتَنَكَّرَ، ثم أحْضَرَهُ بعدَ أنْ قَبَضَ على الوَزِيرِ أبي جَعْفَرٍ فقَبَضَ عليه /وأوْدَعَه السِّجْنَ، إلى أنْ خُلِعَ القَاهِر[1].

(1) الكامل في التاريخ 8: 252-261، وتجارب الأمم 5: 348-354.

كان أبُوهُم أبو شُجَاع بُوَيْه مِن رِجَالاتِ الدَّيْلَم، وكان أوْلادُه: عليًّا، والحَسَنَ، وأحْمَد؛ فعليٌّ أبـو الحَسَنِ عِمَادُ الدَّوْلَة، والحَسَنُ أبـو عليٍّ رُكْنُ الدَّوْلَة، وأحمـدُ أبـو الحَسَن مُعِزُّ الدَّوْلَة. ونَسَبَهُمْ ابنُ مَاكُولا في السَّاسَانِيَّة إلى بَهْرَامجُورَس بنِ يَزْدَجِرْد، وابنُ مِسْكَوَيْهِ[2] إلى يَزْدَجِرْدَ بن شَهْرِيَار، وهُوَ نَسَبٌ مَدْخُولٌ، لأنَّ الرِّيَاسَةَ على قَوْمٍ لا تَكُونُ في غيرِ أهْلِ جِلْدَتِهِمْ كما ذكَرْناهُ في مُقَدِّمةِ الكِتَاب[3].

ولمَّا أسْلَمَ الدَّيْلَمُ على يدِ الأُطْرُوش، ومَلَكَ بهم طَبَرِسْتَانَ وجُرْجَان، وكان مِن قُوَّادِهِ ماكَانُ بنُ كَاكي، وليلى بنُ النُّعْمَان، وأسْفَارُ بنِ شِيرُوَيْه، ومَرْدَاوِيجُ بنُ وَزْيَار، وكانوا مُلُوكًا أعَاظِمَ، وازْدَحَمُوا في طَبَرِسْتَان، فسَارُوا لِمُلْكِ الأرْضِ عندَ اخْتِلالِ

(1) يُعَدُّ تاريخ ثَابِت بن سِنَان، الذي أكمله، هِلالُ بن المُحَسِّن الصَّابئ حتى سنة 447هـ/1056م، والذي لم يصل إلينا منه سوى قطعة عن أحْدَاث نهاية سنَة 389هـ إلى بداية سنة 393هـ، المَصْدَرَ الرئيس لتاريخ الدَّوْلَة البُوَيْهِيَّة، وقد استَخْدَم القِسْمَ الأكبر من مادَّة هذا الكتاب مِسْكَوَيْه في تَجَارِب الأُمَم، وأبو شُجَاع الرُّوذْرَواري في ذَيْل تَجَارِب الأُمَم، وكذلك ابن الأثير في الكَامِل في التَّارِيخ، وسِبْط ابن الجَوْزي في مِرْآة الزَّمَان. واعْتَمَدَ ابنُ خَلْدُون ـ كعادته في بَقِيَّة كتابه فيما يَخُصّ هذه الحقبة ـ ما أوْرَدَه ابنُ الأثير في الكامِل. وانظر منه ما يَخُصّ هذا النص 8: 264.

يراجع كذلك MUFIZULLAH KABIR, *The Buwayhid Dynasty of Bagdad*, Calcutta 1964; BUSSE, H., *Chalif und Grosskonig. Die Buyiden in Iraq (945-1055)*, Beirut-Wiesbaden 1969; CAHEN, CL., *EI*^{2} art. *Buwayhides ou Buyides* I, pp. 1390-97.

(2) تجارب الأمم 5: 365.

(3) العبر 1 : 233 (الفصل 11) . والنسب في الكامل 8: 264 – 5.

الدَّوْلَة العَبَّاسِيَّةِ وضَعْفِها، وقَصَدُوا الاستِيلاءَ على الأَعْمَالِ والأطْرَاف.

وكان بَنُو بُوَيْه مِن جُمْلَةِ قُوَّادِ ماكَانَ بنِ كاكي، فلمَّا وَقَعَ بينَه وبينَ مَرْدَاوِيجَ منَ الفِتْنَة والخِلافِ ما تَقَدَّم، وغَلَبَه مَرْدَاوِيجُ على طَبَرِسْتَانَ وجُرْجَان، ثم عَادَ لِقتَالِه فهَزَمَه وتَبَيَّنَ ضَعْفَهُ وعَجْزَه، فاسْتأذَنَه بنو بُوَيْه في الانتِقَالِ عنهُ إلى مَرْدَاوِيجَ لتَخِفَّ عنهُ مَؤُونَتُهم، على أن يَرْجِعُوا إليه إذا صَلَحَ أمْرُه، فسَارُوا إلى مَرْدَاوِيجَ، فقَبِلَهم وأكْرَمَهُم، واسْتَأمَنَ إليه جَمَاعَةٌ من قُوَّادِ ماكَانَ فقَبِلَهم ووَلَّاهُم، ووَلَّى عَلِيَّ بنَ بُوَيْه على الكَرَج وكان أكبرَ إخوَتِه. وسَارَ جَمِيعُهم إلى الرَّيِّ، وعليها وَشْمَكِيرُ بنُ وَزْيَار أخو مَرْدَاوِيج ، ومعَهُ وَزِيرُه الحُسَيْنُ بنُ محمَّدٍ الملَقَّبُ بالعَمِيد، فاتَّصَلَ به عليُّ بنُ بُوَيْه، وأهْدَى له بَغْلَةً كانت عندَه ومَتَاعًا[1].

ونَدِمَ مَرْدَاوِيجُ على وِلَايَة هؤلاءِ المُسْتَأمِنَة مِن قُوَّادِ مَاكَان، فكَتَبَ إلى أخِيه وَشْمَكِيرَ ووَزِيرِه العَمِيدِ بمَنْعِهم منَ الأعْمَال، ورَدِّهم إنْ كانوا خَرَجُوا لها، فدَسَّ العَمِيدُ إلى عليِّ بنِ بُوَيْه بالبِدَارِ إلى عَمَلِه ومَنَعَ وَشْمَكِيرُ البَاقِينَ، وأرَادَ أنْ يَبْعَثَ في إثْرِ عليِّ ابن بُوَيْه، فخَشِيَ الفِتْنَةَ وتَرَكَه.

ولمَّا وَصَلَ عليُّ بنُ بُوَيْه إلى الكَرَج اسْتَقَامَ أمْرُه، وفَتَحَ قِلاعًا للخُرَّمِيَّة ظَفِرَ منها بذَخَائِرَ كَثِيرَة، واسْتَمَالَ الرِّجَالَ وعَظُمَ أمْرُهُ/ وأحَبَّه النَّاسُ، ومَرْدَاوِيجُ يومَئذٍ [320أ] بطَبَرِسْتَان. ثم عَادَ إلى الرَّيِّ وأطْلَقَ مَالاً لجَمَاعَةٍ منَ القُوَّادِ على الكَرَج، فوَصَلُوا إلى عليِّ بنِ بُوَيْه فأحْسَنَ إليهم واسْتَمَالَهم، وبَعَثَ فيهم مَرْدَاوِيج، فدَافَعَهُ، فنَدِمَ على إطْلاقِهم، وجَبَى عليُّ بنُ بُوَيْه مَالَ الكَرَج، واسْتَأمَنَ إليه شِيرَازَاد، من أعْيَانِ قُوَّادِ

(1) الكامل في التاريخ 8: 268.

الدَّيلَم، فقويَت نَفْسُهُ. وسَارَ إلى أَصْبَهانَ وبها المُظَفَّرُ بنُ ياقُوتٍ على الحَرْبِ في عَشَرَةِ آلافِ مُقاتِل، وأبو عليِّ بنُ رُسْتُمَ على الخَرَاجِ، فأرْسَلَ عليُّ بنُ بُوَيْه إليهما يَسْتَعْطِفُهُما على الانْحِيَازِ إلى طَاعَةِ الخَلِيفَة وخِدْمَتِه والمَسِيرِ إلى الحَضْرَة، فلم يُجِيبَاه. وكان أبو عليٍّ أشَدَّ كَرَاهَةً له، فَمَاتَ تلك الأيَّام(1).

وسَارَ ابنُ يَاقُوتٍ ثلاثَةَ فَرَاسِخَ عن أَصْبَهَان، وكان في أَصْحَابِه جِيلٌ ودَيْلَمٌ، فاسْتَأمَنُوا إلى ابنِ بُوَيْه، ثم اقْتَتَلُوا فانْهَزَمَ ابنُ يَاقُوتَ، واسْتَوْلى عليُّ بنُ بُوَيْه على أَصْبَهَان، وهُوَ عِمَادُ الدَّوْلَة، وكان عَسكرُه نحوًا مِن تسع مائة، وعَسْكَرُ ابنِ ياقُوتٍ نحوًا من عَشَرَةِ آلاف. وبَلَغَ ذلك القَاهِرَ فاسْتَعْظَمَه، وبَلَغَ مَرْدَاوِيجَ فأقْلَقَه وخَافَ على ما بيَدِه(2).

وبَعَثَ إلى عِمَادِ الدَّوْلَة يُخَادِعُهُ بطَلَبِ الطَّاعَةِ منهُ ليَطْمَئِنَّ للرِّسَالَة، ويُخَالِفُها أخوه وَشْمَكِيرُ في العَسَاكِر، وسَعِدَ ابنُ بُوَيْه بذلك، فرَحَلَ عن أَصْبَهَان، وقَصَدَ أرَّجَانَ وبها أبو بكرِ بنُ ياقُوت، فانْهَزَمَ أبو بكرٍ مِن غيرِ قِتَالٍ ولَحِقَ برَامَهُرْمُز، واسْتَولى ابنُ بُوَيْه على أرَّجَان، وخَالَفَه وَشْمَكِيرُ أخو مَرْدَاوِيجَ إلى أَصْبَهَانَ فَمَلَكَها. وأرسَلَ القَاهِرُ إلى مَرْدَاوِيجَ بأنْ يُسَلِّمَ أَصْبَهَانَ لمحَمَّدِ بنِ ياقُوت، ففَعَلَ ووَلِيها محمد.

ولمَّا مَلَكَ ابنُ بُوَيْه أرَّجَانَ، وكان ياقُوتُ بشِيرَاز، فكَتَبَ أبو طَالِبٍ زَيْدُ بنُ عليٍّ النُّوبَنْدَجانيُّ عَظِيمُ شِيرَاز يَسْتَدْعِيه ويُهَوِّنُ عليه أمْرَ ياقُوتٍ ويُغْرِيه به، فخَشِيَ ابنُ بُوَيْه مِن كَثْرَةِ عَسَاكِرِ ياقُوتٍ وأمْوَالِه وما يَحْصُلُ بينَه وبينَ ابنِه بأَصْبَهَان، فتَوَقَّفَ عليه، فأعَادَ عليه أبو طَالِبٍ، وأرَاهُ أنَّ مَرْدَاوِيجَ طَلَبَ الصُّلْحَ مِن ياقُوت، وخَوَّفَه

(1) الكامل في التاريخ 8: 269.

(2) المصدر نفسه 8: 269-270.

اجتماعَها عليه، فسَارَ ابنُ بُوَيْه إلى النُّوبَنْدَجَانِ في رَبِيعِ سَنَةِ إحْدَى وعشرِين، ولَقِيَتْهم هنالكَ مُقدِّمَةُ ياقُوتِ فانهزَمَت، فزَحَفَ ياقُوتُ/ إليهم، [320 ب] وبَعَثَ عِمَادُ الدَّوْلَة أخاه رُكْنَ الدَّوْلَة الحَسَنَ إلى كازَرُون وغيرِها مِن أعْمَالِ فَارِس، فَجَبَى أمْوَالَها، ولقيَ عَسْكَرَ ياقوتِ هُنَالك فهَزَمَهُم ورَجَعَ إلى أخِيه [1].

وخَشِيَ عِمَادُ الدَّوْلَة مِنَ اتِّفَاقِ مَرْدَاوِيجَ مَعَ يَاقُوت، فسَارَ إلى إصْطَخْر، واتَّبَعَه ياقُوتُ وسَبَقَه إلى قَنْطَرَةٍ بطَرِيقِ كَرْمَانَ اضْطُرُّوا إلى الحَرْبِ عليها، فتَزَاحَفُوا هنالك، واسْتَأمَنَ بعضُ قُوَّادِهِ إلى ياقُوتِ فقَتَلَهم، فاسْتَأمَنَ أصْحَابُه وانْهَزَمَ ياقُوتُ، فاتَّبَعَه ابنُ بُوَيْه واسْتَبَاحَ مُعَسْكَرَه، وذلك في جُمَادَى سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وعشرين [2]. وأبْلَى أخُوهُ مُعِزُّ الدَّوْلَة أحمدُ في ذلكَ اليوم بَلاءً حَسَنًا، ولَحِقَ ياقُوتُ بوَاسِطَ.

وسَارَ عِمَادُ الدَّوْلَة إلى شِيرَازَ فَمَلَكَها وأمَّنَ النَّاسَ واسْتَوْلَى على بِلادِ فَارِس، وطَلَبَ الجُنْدُ أرْزَاقَهم فعَجَزَ عنها، وعَثَرَ على صَنَادِيقَ مِن مُخَلَّفِ ياقُوتِ وذَخَائِرِ بني الصَّفَّار قِيمَةَ خمسِ مائةِ ألفِ دينَار، فامْتَلأت خَزَائِنُه وثبَتَ مُلْكُه.

واسْتَقَرَّ ياقُوتُ بوَاسِط، وكاتَبَهُ أبو عبدِ اللهِ البَرِيدِيُّ حتىّ قُتِلَ مَرْدَاوِيجُ وعَادَ إلى الأهْوَاز، وكانت عَسَاكِرُ ابنِ بُوَيْه سبقَتْه، فالْتَقوا بنَوَاحي أرَّجَان فانْهَزَمَ ياقُوت، ورَاسَلَ أبو عبدِ اللهِ البَرِيدِيُّ في الصُّلحِ، فأجَابَ ابنُ بُوَيْه، واسْتَقَرَّ ياقُوتُ بالأهْوَاز ومعَهُ ابنُ البَرِيدِيّ، وابنُ بُوَيْه ببلادِ فَارِس. ثم زَحَفَ مَرْدَاوِيجُ إلى الأهْوَازِ ومَلَكَها مِن يدِ ياقُوت، ورَجَعَ إلى وَاسِط، وكَتَبَ إلى الرَّاضِي، وكان قد وَلِيَ بعدَ القَاهِر كما

(1) الكامل في التاريخ 8: 270-272.

(2) المصدر نفسه 8: 272.

تذكُره، وإلى وَزِيرِه أبي عَليٍّ بنِ مُقْلَةَ بالطَّاعَة، والمُقَاطَعَةِ على ما بيدِه منَ البِلاد بأعْمالِ فَارِسَ على ألْفِ ألْفِ دِرْهَم، فأُجِيبَ إلى ذلك، وبَعَثَ إليه باللِّواءِ والخِلَع، وعَظُمَ شَأنُه في فَارِسَ. وبَلَغَ مَرْدَاوِيجَ شَأنُه[أ] فخَافَ غَائِلَتَه، وكان أخُوهُ وَشْمَكِيرُ قد رَجَعَ إلى أصْبَهَانَ بعدَ خَلْعِ القَاهِرِ وصَرْفِ مُحَمَّدِ بن ياقُوتٍ عنها، فسَارَ إليها مَرْدَاوِيجُ للتَّدْبيرِ على عِمَادِ الدَّوْلَة، وبَعَثَ أخاهُ وَشْمَكِيرَ على الرَّيِّ[1].

خَلْعُ القَاهِرِ وبَيْعَةُ الرَّاضِي

ولمَّا قتَلَ القَاهِرُ مُؤْنِسًا وأصْحَابَه أقَامَ يَتَطَلَّبُ الوَزِيرَ أبا عليٍّ بنَ مُقْلَةَ والحَسَنَ ابنَ هَارُونَ وهما مُسْتَتِرَان، وكانا يُرَاسِلانِ قُوَّادَ السَّاجِيَّةِ والحُجَرِيَّةِ ويُغْرِيَانِهم [321أ] /بالقَاهِر، ويُخَوِّفَانِهم غَدْرَه كما فَعَلَ بأصْحَابِه قَبْلَهم. وكان ابنُ مُقْلَةَ يَجْتَمِعُ بالقُوَّادِ مُتَنَكِّرًا ويُغْرِيهم، ووَضَعُوا على سِيمَا [المَنَاخِلِيِّ][ب] مُنَجِّمًا أخْبَرَه أنَّه يَنْكُبُ القَاهِرَ ويَقْتُلُه، ودَسُّوا إلى مُعَبِّرٍ كان عندَه أمْوَالاً على أن يُحَذِّرَه منَ القَاهِرِ، فنَفَرَ واسْتَوْحَشَ، وحَفَرَ القَاهِرُ مَطَامِيرَ في دَارِه، فقِيلَ لسِيمَا [المَنَاخِلِيِّ][ب] والقُوَّاد: إنَّما صُنِعَت لكم، فازْدَادُوا نَفْرَةً[2].

وكان سِيمَا رَئِيسَ السَّاجِيَّة، فارْتَابَ بالقَاهِرِ وجَمَعَ أصْحَابَه وأعْطاهُم السِّلاحَ، وبَعَثَ إلى الحُجَرِيَّة فجَمَعَهُم عنده، وتَحَالَفُوا على خَلْعِ القَاهِر، وزَحَفُوا إلى الدَّارِ

(أ) ساقطة من ح. (ب) إضافة من أخبار الراضي والمتقي للصولي.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 277-278. ويقارن مع تجارب الأمم 5: 370-373.

(2) المصدر نفسه 8: 279. وانظر أخبار الرّاضي عند الصُّولي: كتاب الأوراق – قسم أخبار الرّاضي بالله والمُتّقي لله، 1-185.

وهَجَمُوا عليه، فثابَ منَ النَّوْم ووَجَدَ الأبْوَابَ مَشْحُونَةً بالرِّجَال، فهَرَبَ إلى بعض السُّطُوح، ودَلَّهُم عليه خَادِمٌ، فَجَاؤوهُ واسْتَدْعَوْهُ للنُّزُول فأبَى، فتَهَدَّدُوهُ بالرَّشْق بالسِّهَام، فنَزَلَ وجَاؤوا بهِ إلى مَحْبِس طَرِيفِ السَّبْكَرِيِّ، فَحَبَسُوه مَكَانَه وأطْلَقُوه حتى سُمِلَ بعدَ ذلك، وذلك لسَنَةٍ ونِصْفٍ مِن خِلافَتِه، وهَرَبَ الخَصِيبيُّ وَزِيرُه وسَلامَةُ حَاجِبُه[1].

وقد قِيلَ في خَلْعِه غيرُ هذا، وهُوَ أنَّ القَاهِرَ لمَّا تَمَكَّنَ منَ الخِلافَةِ اشْتَدَّ على السَّاجِيَّةِ والحُجَرِيَّةِ واسْتَهَانَ بهم، فتَشَاكَوا، ثم خَافَه حَاجِبُه سَلامَةُ لأنَّه كان يُطَالِبُهُ بالأمْوَال، والخَصِيبيُّ وزيرُهُ كذلك، وحَفَرَ المَطَامِيرَ في دَارِهِ فارْتَابُوا بهِ كما ذَكَرْنا. وأسَرَ جَمَاعَةً منَ القَرَامِطَةِ فَحَبَسَهُم بتلك المَطَامِير، وأرَادَ أنْ يَسْتَظْهِرَ بهم على الحُجَرِيَّةِ والسَّاجِيَّة فنَكِرُوا ذلك وقالوا فيه للوَزِيرِ والحَاجِب، فأخْرَجَهُم منَ الدَّارِ وسَلَّمَهُم لمحمَّدِ ابن ياقُوتٍ صَاحِبِ الشُّرْطَة، وأوْصَاهُ بالإحْسَانِ إليهم، فازْدَادَ السَّاجِيَّةُ والحُجَرِيَّةُ رِيبَةً. ثم تَنَكَّرَ لهمُ القَاهِرُ وصَارَ يُعْلِنُ بذَمِّهِم وكَرَاهَتِهِم، فاجْتَمَعُوا لخَلْعِه كما ذَكَرْناه[2].

ولمَّا قُبِضَ القَاهِرُ بَعَثُوا عن أبي العَبَّاس بنِ المُقْتَدِر، وكان مَحْبُوسًا مع أُمِّه، فأخْرَجُوه وبَايَعُوه في جُمَادَى سَنَةَ ثِنتَيْنِ وعشرين، وبَايَعَهُ القُوَّادُ والنَّاسُ، وأحْضَرَ عليَّ بنَ عِيسى وأخَاهُ عبدَ الرَّحْمَن وصَدَرَ عن رَأْيِهما، وأرَادَ عليَّ بنَ عِيسَى على الوِزَارَة فامْتَنَعَ واعْتَذَرَ بالكِبَر، وأشَارَ بابنِ مُقْلَةَ فأمَّنَه واسْتَوْزَرَه، وبَعَثَ القُضَاةَ إلى القَاهِرِ ليَخْلَعَ نَفْسَه، فأبَى فسُمِلَ[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 280-281.

(2) المصدر نفسه 8: 281-282.

(3) المصدر نفسه 8: 282-283.

وأمَّنَ ابنُ مُقْلَةَ الخَصِيبيَّ ووَلَّاه،/ ووَلَّى الفَضْلَ بنَ جَعْفَرِ بنِ الفُرَاتِ نَائِبًا عنهُ [321 ب] على أعْمَالِ المَوْصِلِ وباقِرْدَى وبَازَبْدَى ومَارِدِينَ ودِيَارِ الجَزِيرَة ودِيَارِ بَكْرٍ وطَرِيقِ الفُرَاتِ والثُّغُورِ الجَزَرِيَّةِ والشَّامِيَّة وأجْنَادِ الشَّام ودِيَارِ مُضَرَ، يَعْزِلُ ويُوَلِّي مَن يَرَاهُ في الخَرَاجِ والمَعَادِنِ والنَّفَقَاتِ والبَرِيدِ وغيرِ ذلك[1].

ووَلَّى الرَّاضِي على الشُّرْطَة بَدْرًا الخَرْشَنِيَّ[أ]، وأرْسَلَ إلى مُحَمَّدِ بنِ رَائِق يَستدعيهِ للحِجَابَة، وكان قدِ اسْتَوْلَى على الأَهْوَازِ وأعْمَالِها، ودَفَعَ عنها ابنَ ياقُوتٍ مِن تلك الوِلايَة إلَّا السُّوسَ وجُنْدَيْسَابُور، وقد وُلِّي على أصْبَهَانَ وهُوَ يَرُومُ المَسِيرَ إليها، فلمَّا وَلِيَ الرَّاضِي اسْتَدْعَاه للحِجَابَةِ فسَارَ إلى وَاسِط، وطَلَبَ مُحَمَّدُ بنُ ياقُوتٍ الحِجَابَةَ فأُجِيبَ إليها، فسَارَ في إثْرِ رَائِق، وبَلَغَ ابنَ رَائِقٍ الخَبَرُ، فسَارَ مِن وَاسِط مُسَابِقًا لابنِ ياقُوت، ولَقِيَه بالمَدَائِن تَوْقِيعُ الرَّاضِي بالحَرْب والمَعَاوِنِ في وَاسِط، مُضَافًا إلى ما بيَدِه منَ البَصْرَةِ وأعْمَالِها، فعَادَ مُنْحَدِرًا في دِجْلَة. ولَقِيَه ابنُ ياقُوتٍ مُصَعِّدًا، ودَخَلَ بَغْدَادَ ووَلِيَ الحَجَبَة، وصَارَت إليه رِيَاسَةُ الجَيْش، ونَظَرَ في أمْرِ الدَّوَاوِين وأمرَهُم بحُضُورِ مَجْلِسِه، وأن لا يُنْفِذُوا تَوْقِيعًا في وِلَايَةٍ أو عَزْلٍ أو إطْلَاقٍ إلَّا بخَطِّه، وصَارَ نَظَرُ الوَزِيرِ في الحَقِيقَةِ له، وابنُ مُقْلَةَ مُبَاكِرٌ مَجْلِسِه مع جُمْلَتِهم ومُتَمَيِّزٌ عنهم في الإيثَارِ والمَجْلِس فقط[2].

(أ) الأصول: الخرمي، والتصويب من أخبار الراضي والمتقي للصولي.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 283.

(2) المصدر نفسه 8: 283-284.

مَقْتَلُ هَارُون

كان هَارُونُ بن غَرِيبٍ الخَالِ على مَاهِ الكُوفَة والدِّينَوَرِ ومَاسَبَذَانَ وسَائِرِ الأَعْمَالِ التي وَلَّاهُ القَاهِرُ إيَّاها، فلمَّا خُلِعَ القَاهِرُ واسْتُخْلِفَ الرَّاضِي رَأى هَارُونُ أنَّه أحَقُّ بالدَّوْلَةِ مِن غَيْرِه لأنَّه ابنُ خَالِ المُقْتَدِرِ، فكَاتَبَ القُوَّادَ ووَعَدَهُم، وسَارَ مِنَ الدِّينَوَرِ إلى خَانِقِين، فشَكَا ابنُ مُقْلَة وابنُ ياقُوتٍ والحُجَرِيَّةُ والسَّاجِيَّةُ إلى الرَّاضِي، فأذِنَ لهم في مَنْعِه، فرَاسَلُوه أوَّلاً بالمُصَانَعَةِ والزِّيَادَةِ على ما بيَدِه مِنَ الأَعْمَال، فلم يَلْتَفِتْ إليهم، وشَرَعَ في الجِبَايَةِ وقَوِيَتْ شَوْكَتُه(1).

فسَارَ إليه محمَّدُ بنُ ياقُوتٍ في العَسَاكِر، وهَرَبَ عنه بعضُ أصْحَابِه إلى هَارُون، وكَتَبَ إلى هَارُونَ يَسْتَمِيلُه فلم يُجِبْ، وقَال: لا بُدَّ مِن دُخُولِ بَغْدَاد. ثم تَزَاحَفُوا لِستٍّ بَقِينَ مِن جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وعشرين، فانْهَزَمَ أوَّلاً أصْحَابُ ابنِ ياقُوتٍ ونُهِبَ سَوَادُهم. وسَارَ محمَّدٌ/ حتى قَطَعَ قَنْطَرَةَ نَهْرِ بِين، وسَارَ هَارُونُ مُنْفَرِدًا [322]
لاعْتِرَاضِه، فوَحَلَ في بَعْضِ المِيَاه وسَقَطَ عن فَرَسِه، ولَحِقَه غُلامٌ لمحمَّدِ بنِ ياقُوتٍ فقَطَعَ رَأْسَه، وانْهَزَمَ أصْحَابُهُ ونُهِبَ سَوَادُه وقُتِلَ قُوَّادُه وأُسِرَ بَعْضُهم، ورَجَعَ ابنُ ياقُوتٍ إلى بَغْدَادَ ظَافِرًا(2).

(1) الكامل في التاريخ 8: 288.

(2) المصدر نفسه 8: 288-289، وتجارب الأمم 5: 397-400.

نَكْبَةُ [ابْنَيْ] ياقوت

قد ذَكَرْنَا أنَّه كان نَظَرَ في أَمْرِ الدَّوَاوِين، وصَيَّرَ ابنَ مُقْلَةَ كالعَاطِل، فسَعَى بهِ عندَ الرَّاضِي وأَوْهَمَهُ خِلافَهُ حتى أَجْمَعَ القَبْضَ عليه في جُمادَى سَنَةَ ثَلاثٍ وعشرين، فجَلَسَ الخَلِيفَةُ على عَادَتِه، وحَضَرَ الوَزِيرُ وسَائِرُ النَّاسِ على طَبَقَاتِهم، يُرِيدُ تَقْلِيدَ جَماعَةٍ منَ القُوَّادِ للأَعْمال، واسْتُدْعِيَ [محمد][أ] ابنُ ياقُوتٍ للخِدْمَةِ في الحَجْبَةِ على عَادَتِه، فبَادَرَ وعَدَلَ بـه إلى حُجْرَةٍ فحُبِسَ فيها، ثم اسْتُدْعِيَ كاتِبُه أبـو إسْحَاق القَرَارِيطِيُّ فحُبِسَ في أخرى، ثم اسْتُدْعِيَ أخُوه المُظَفَّرُ [بن ياقوت][أ] من بَيْتِه فجاءوا به مَخْمورًا وحُبِسَ[1].

وبَعَثَ الوَزِيرُ ابنُ مُقْلَةَ إلى دَارِ محمَّد مَن يَحْفَظُها منَ النَّهْب، وأَطْلَقَ يَدَه في أُمُورِ الدَّوْلَةِ واسْتَبَدَّ بها، وكان ياقُوتٌ مُقِيمًا بوَاسِط، فلمَّا بَلَغَه القَبْضُ على ابْنَيْه انْحَدَرَ إلى فَارِسَ لمُحارَبَةِ ابنِ بُوَيْه، وكَتَبَ يَسْتَعْطِفُ الرَّاضِيَ ويَسْأَلُه إنْفَاذَ ابنَيْه ليُساعِدَاه على شَأنِه، ولم يَزَلْ محمَّدٌ مَحْبُوسًا إلى أنْ هَلَكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وعشرينَ في مَحْبِسِه[2].

(أ) من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 305، وتجارب الأمم 5: 410-411.

(2) المصدر نفسه 8: 305، المصدر نفسه 5: 411-412.

خَبَرُ البَرِيديّ

كان أبو عبدِ الله البَرِيدِيُّ في أيّام ياقُوتٍ ضَامِنًا للأهْوَاز، فلمّا اسْتَوْلَى عليها مَرْدَاويجُ، وانْهَزَمَ ياقُوتٌ كما مَرَّ، رَجَعَ البَرِيدِيُّ إلى البَصْرَة وصَارَ يَتَصَرَّفُ في أسَافِلِ الأهْوَاز معَ كِتَابَةِ ياقُوت. ثم سَارَ إلى ياقُوتٍ فأقَامَ معَهُ بوَاسِط.

فلمّا قُبِضَ على ابنيْ ياقُوتٍ، وكَتَبَ ابنُ مُقْلَةَ إليه وإلى ياقُوتٍ يَعْتَذِرُ عن قَبْضِ ابنيْ ياقُوتٍ ويأمرُهما بالمَسِيرِ لفَتْح فَارِس، فسَارَ ياقُوتٌ على السُّوس، والبَرِيدِيُّ على طَرِيقِ الماء حتى انتَهَيَا إلى الأهْوَاز، وكان إلى أخَوَيْه: أبي الحَسَنِ وأبي يُوسُفَ ضَمَانُ السُّوس وجُنْدَيْسابُور، وادَّعَيَا أنَّ دَخْلَ البِلادِ أخَذَه مَرْدَاويج . وبَعَثَ ابنُ مُقْلَةَ نائِبًا لتَحْقِيق ذلك، فواطَأَهم وكَتَبَ يُصَدِّقُهم، فاسْتَوْلَى ابنُ البَرِيدِيِّ ما بينَ ذلك على أرْبَعَةِ آلافِ ألْفِ دِينَار.

ثمّ أشَارَ أبو عبدِ الله/ على ياقُوتٍ بالمَسِيرِ لفَتْح فَارِس، وأقَامَ هُوَ لجِبَايَةِ الأمْوَال، فحَصَّلَ منها بُغْيَتَه. [322ب]

وسَارَ ياقُوتٌ فلَقِيَه ابنُ بُوَيْه على أرَّجَانَ فهَزَمَه، وسَارَ إلى عَسْكَرِ مُكْرَم. واتَّبَعَه ابنُ بُوَيْه إلى رَامَهُرْمُزَ وأقَامَ بها إلى أنِ اصْطَلَحَا[1].

(1) تجارب الأمم 5: 412-413، والكامل في التاريخ 8: 306-307.

مَقْتَلُ ياقُوت

قد تَقَدَّم لنَا انهِزَامُ ياقُوتٍ من فَارِسَ أَمَامَ عِمَادِ الدَّوْلَة ابنِ بُوَيْه إلى عَسْكَرِ مُكْرَم، واسْتِيلاءُ ابنِ بُوَيْه على فَارِس. وكان أبو عبدِ الله البَرِيدِيُّ بالأهْوَازِ ضَامِنَها كما تَقَدَّم، وكان معَ ذلك كاتِبًا لِيَاقُوت. وكان ياقُوتٌ يَسْتَنِيمُ إليه ويَثِقُ به، وكان مُغَفَّلاً ضَعِيفَ السِّيَاسَة، فخَادَعَه أبو عبدِ الله البَرِيدِيُّ وأشَارَ عليه بالمُقَام بعَسْكَرِ مُكْرَم، وأنْ يَبْعَثَ إليه بَعْضَ جُنْدِه الوَاصِلِينَ مِن بَغْدَادَ تَخْفِيفًا للمَؤُونَة وتَحْذِيرًا مِن شَغَبِهم. وبَعَثَ إليه أخَاه أبا يُوسُفَ ودَفَعَ لهُ مِن مَالِ الأهْوَازِ خَمْسِينَ ألْفَ دِينَار، ثم قَطَعَ عنه، فضَاقَ الحالُ عليه وعلى جُنْدِه، وكان قد نَزَعَ إليه مِن أَصْحَابِ ابنِ بُوَيْه طاهِرٌ الجِيلِيُّ وكاتِبُهُ أبو جَعْفَرٍ الصَّيمَرِيُّ، ثم انصَرَفَ عنهُ لضِيقِ حَالِه إلى غَرْبيِّ تُسْتَرَ لِيَتَغَلَّبَ على ماهِ البَصْرَة، فكَبَسَه ابنُ بُوَيْه وغَنِمَ عَسْكَرَهُ وأَسَرَ الصَّيمَرِيَّ، فشَفَعَ فيه وَزِيرُه وأطْلَقَه، فلَحِقَ بكَرْمَان، واتَّصَلَ بعدَ ذلك بمُعِزِّ الدَّوْلَة ابنِ بُوَيْهِ واسْتَكْتَبَهُ[1].

ولمَّا انصَرَفَ طاهِرٌ عن ياقوتٍ كَتَبَ إلى البَرِيدِيِّ يَشْكو ضَعْفَه واسْتِطالَةَ أَصْحَابِه، فأشَارَ عليه بإرْسَالِهم إلى الأهْوَازِ مُتَفَرِّقِينَ لقومِهم. فلمَّا وَصَلُوا إليه انْتَقَى خِيارَهُم ورَدَّ البَاقِين، وأحْسَنَ إلى مَن عِندَه. وبَعَثَ ياقُوتٌ إليه في طَلَبِ المُقَدَّر، فلم يبعَثْ إليه، فجاءه بنفسِهِ فتَلَقَّاه وتَرَجَّلَ وقَبَّلَ يَدَهُ، وأنزَلَهُ بدَارِه، وقَامَ في خِدْمَتِه أحْسَنَ مَقَام، ووَضَعَ الجُنْدَ على البَابِ يَشْغَبُونَ ويَرُومُونَ قَتْلَهُ، فأشَارَ إليه بالنَّجَاة. فعَادَ إلى عَسْكَرِ مُكْرَم، فكَتَبَ إليه يُحَذِّرُه اتِّبَاعَهم، وأنَّ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ على

(1) الكامل في التاريخ 8: 316-317.

ثمانيةِ فَرَاسِخَ منَ الأهْوَاز، والرَّأيُ أنْ يتأخَّرَ إلى تُسْتَر فيتَحَصَّنَ بها، وكَتَبَ له على عَامِلِ تُسْتَرَ بخَمْسِينَ ألْف دِينَار، وعَذَلَه خَادِمُه مُؤنِسٌ في شَأنِ ابنِ البَرِيدِيِّ وأرَاهُ خَدِيعَتَه، وأشَارَ عليه باللَّحَاقِ ببَغْدَاد، وأنَّه شَيْخُ الحُجَرِيَّة، وقد كَاتَبُوكَ/ فسِرْ إلى رِيَاسَة بَغْدَاد، وإلَّا فتُعَاجِلُ ابنَ البَرِيدِيِّ وتُخْرِجُهُ عنِ الأهْوَاز، فصَمَّ عن نَصِيحَتِه وأبَى [323أ]
مِن قَبُولِ السِّعَايَة فيه، وتَسَاتَلَ أصْحَابُه إلى ابنِ البَرِيدِيِّ حتَّى لم يَبْقَ معَهُ إلَّا نحوُ الثَّمانِ مائة(1).

وجَاءَهُ ابنُه المُظَفَّرُ ناجِيًا مِن حَبْسِ الرَّاضِي بعدَ أسْبُوعٍ، فأطْلَقَه وبَعَثَه إلى أبيه، فأشَارَ عليه بالمَسِيرِ إلى بَغْدَاد، فإنْ حَصَلَ على ما يُرِيدُ وإلَّا فإلى المَوْصِلِ ودِيَارِ رَبِيعَةَ ويَتَمَلَّكُها، فأبَى عليه أبُوهُ، ففَارَقَه إلى ابنِ البَرِيدِيِّ فأكْرَمَه ووَكَّلَ به. ثُمَّ حَذَّرَ ابنَ البَرِيدِيِّ غَائِلَةَ ياقُوت، فبَعَثَ إليه بأنَّ الخَلِيفَةَ أمَرَهُ بإزْعَاجِه منَ البِلَادِ: إمَّا إلى بَغْدَادَ وإمَّا إلى بِلَادِ الجَبَلِ ليُوَلِّيَه بَعْضَ أعْمَالِها.

فكَتَبَ يَسْتَمْهِلُه فأبَى منَ المُهْلَة، وبَعَثَ العَسَاكِرَ منَ الأهْوَاز، وسَارَ ياقُوتٌ إلى عَسْكَرِ مُكْرَم ليَكْبِسَ ابنَ البَرِيدِيِّ هُنَالِك، فصَبَّحَ البَلَدَ ولم يَجِدْهُ، وجَاءَت عَسَاكِرُ ابنِ البَرِيدِيِّ معَ قائدِه أبي جَعْفَرٍ الحَمَّال، فقَابَلَه مِن أمَامِه وأكْمَنَ آخَرِينَ من خَلْفِه، فانْهَزَمَ وافْتَرَقَ أصْحَابُه، وجَلَسَ إلى حَائِطٍ مُتَنَكِّرًا، فمَرَّ به قَوْمٌ منَ البَرْبَرِ فكَشَفُوا وَجْهَهُ وعَرَفُوه فقَتَلُوه وحَمَلُوا رَأْسَهُ إلى العَسْكَر، فدَفَنَه الحَمَّالُ، وبَعَثَ البَرِيدِيُّ إلى تُسْتَرَ فحَمَلَ ما كان لياقُوتِ هُنَالِك، وقَبَضَ على ابنِه المُظَفَّرِ وبَعَثَهُ إلى

(1) الكامل في التاريخ 8: 317-318.

بَغْداد، واستَبَدَّ بتلك الأعْمالِ، وذلك سَنَةَ أربَعٍ وعِشرين[1].

مَسيرُ ابنِ مُقْلَةَ إلى المَوْصِلِ، واسْتقْرارُهَا لابنِ حَمْدَان

كان ناصِرُ الدَّوْلَة أبو محمَّدٍ الحَسَنُ بنُ أبي الهَيْجاءِ عبدِ الله بن حَمْدَان عامِلاً على المَوْصِل، فَجاءَ عمُّه أبو العَلَاءِ سَعِيدٌ فضَمِنَ المَوْصِلَ ودِيَارَ رَبِيعَةَ سِرًّا، وسَارَ إليها يُظْهِرُ أنَّه في طَلَبِ المالِ منَ ابنِ أخِيه، وشَعَرَ ناصِرُ الدَّوْلَة بذلكَ فَخَرَجَ لتَلَقِّيه، فَخَالَفَه إلى بَيْتِه فبَعَثَ مِن قِبَلِه، واهْتَمَّ الرَّاضِي بذلك، وأمَرَ الوَزِيرَ أبا عليِّ بنَ مُقْلَةَ بالمَسِيرِ إلى المَوْصِل، فسَارَ في العَسَاكِرِ من شَعْبَانَ سَنَةَ ثلاثٍ وعشرين، فرَحَلَ عنها ناصِرُ الدَّوْلَة ودَخَلَ الزَّوْزَان[2]، واتَّبَعَه الوَزِيرُ إلى جَبَلِ السِّنّ، ثم عَادَ عنهُ إلى المَوْصِل وأقَامَ في جِبَايَتِها. وبَعَثَ ناصرُ الدَّوْلَة إلى بَغْدَادَ بعَشَرةِ آلافِ دينارٍ لابنِ الوَزِيرِ ليَسْتَحِثَّ أباه في القُدُوم، فكَتَبَ إليه بما أزْعَجَه، فسَارَ منَ المَوْصِل واسْتَعْمَلَ عليها عليَّ بنَ خَلَفِ بن طَيَّاب ومايَزْدَ/ الدَّيْلَمِيَّ منَ السَّاجِيَّة، وَدَخَلَ بغدادَ منتصفَ [323 ب] شَوَّال، وجمع ناصِرُ الدولة ولقيَ مايَزْدَ الدَّيْلَميَّ على نَصِيبِين، فهَزَمَه إلى الرَّقَّة، وانْحَدَر منها إلى بَغْدَاد، ولَحِقَه ابنُ طَيَّاب، واسْتَوْلَى ناصِرُ الدَّوْلَة ابنُ حَمْدَانَ على المَوْصِلِ وكَتَب في الرِّضَا وضَمان البِلاد، فأُجِيبَ وتَقَرَّرَتْ عليه[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 319-321، وتجارب الأمم 5: 429-440.

(2) الزَّوْزَان . كورة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذْرَبيجان ودِيَار بكر والمَوْصِل، وأهلها أزمَن وبها طوائف من الأكراد (معجم البلدان 3: 158).

(3) الكامل في التاريخ 8: 309-310، وتجارب الأمم 5: 416-422.

نَكبةُ ابنِ مُقْلَةَ وخَبَرُ الوُزَرَاءِ بَعْدَه[أ]

كان الوَزيرُ ابنُ مُقْلَةَ قد بَعَثَ سَنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرينَ إلى محمَّدِ بنِ رَائِق بواسِطَ يُطَالِبُه بارْتِفَاعِ أعْمَالِ وَاسِطَ والبَصْرَة، وكان قد قَطَعَ الحَمْلَ. فلمَّا جاءَه كِتَابُ ابنِ مُقْلَةَ كَتَبَ إليه جوَابَه يُغَالِطُه، وكَتَبَ إلى الرَّاضِي بالسَّعْيِ في الوِزَارَة، وأنَّه يَقُومُ بنَفَقَاتِ الدَّارِ وأرْزَاقِ الجُنْد[1].

فجَهَّزَ الوَزيرُ ابنَه سَنَةَ أرْبَعٍ وعِشْرينَ لقَصْدِه ووَرَّى بالأهْوَاز، وأنْفَذَ رَسُولَه إلى ابنِ رَائقٍ بهذه التَّورية يُؤْنِسُهُ بها، وباكَرَ القَصْرَ لإنْفَاذِ الرَّسُول، فقَبَضَ عليه المُظَفَّرُ ابنُ ياقُوت والحُجَرِيَّة، وكان المُظَفَّرُ قد أُطْلِقَ من مَحْبِسِهِ وأُعِيدَ إلى الحَجَبَة، فاسْتَحْسَنَ الرَّاضِي فِعْلَهُم[2].

واخْتَفَى أبو الحَسَنِ ابنُ الوزير وسَائِرُ أوْلادِه وحُرَمِه وأصْحَابِه، وأشَارَ الحُجَرِيَّةُ والسَّاجِيَّةُ بوِزَارَة عليِّ بنِ عِيسى، فامْتَنَعَ وأشَارَ بأخِيه عبدِ الرَّحْمَن[ب]، فاسْتَوْزَرَه الرَّاضِي وصَادَرَ ابنَ مُقْلَة. ثم عَجَزَ عن تَمْشِيَةِ الأمُور، وضَاقَت عليه الجِبَايَة، فاسْتَعْفَى منَ الوِزَارَة، فقَبَضَ عليه الرَّاضِي وعلى أخِيه عليٍّ لثَلاثَةِ أشْهُرٍ من وَزَارَتِه[3]. واسْتَوْزَرَ أبا جَعْفَر محمَّدَ بنَ القَاسِمِ الكَرْخِيَّ، فصَادَرَ عليَّ بنَ عِيسَى على

(أ) ساقط من ص. (ب) ح: وأشار عليه عبد الرحمن.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 313.

(2) المصدر نفسه 8: 314.

(3) المصدر نفسه 8: 314، وتجارب الأمم 5: 425-428.

مائةِ ألفِ دِينَار. ثم عَجَزَ عنِ الوِزَارَةِ وضَاقَتِ الأموالُ وانقَطَعَتِ المَوادُّ فصَادَرَ الأمْوَالَ.

وطَمِعَ أَهْلُ الأعْمَالِ فيما بأيْدِيهم، فقَطَعَ ابنُ رَائِق حَمْلَ وَاسِطَ والبَصْرَة، وقَطَعَ ابنُ البَرِيدِيّ حَمْلَ الأهْوَازِ وأعْمَالِها، وانقَطَعَ حَمْلُ فَارِس لغَلَبِ ابنِ بُوَيْه عليها، ولم يَكُنْ بَقِيَ غيرُ هذه الأعْمَال، ونِطَاقُ الدَّولةِ قد تَضَايَقَ إلى الغَايَة، وأهْلُ الدَّوْلَة مُسْتَبِدُّون على الخِلافَة، والأحْوَالُ مُتَلاشِيَة. فتحَيَّرَ أبو جَعْفَر، وكَثُرَت عليه المُطَالَبَات، وذَهَبَت هَيْبَتُه، فاختَفَى لثَلاثَةِ أشْهرٍ ونِصْفٍ مِن وَزَارتِه، واسْتَوْزَرَ الرَّاضِي مَكَانَه أبا القَاسِم سُلَيْمَانَ بنَ الحَسَن، فكان حَالُه مِثْلَ حَالِ مَنْ قَبْلَه في قِلَّةِ المَالِ ووُقُوفِ/ [324 أ] الحال[1].

اسْتِيلاءُ ابنِ رَائِقٍ على الخَلِيفَة

ولمَّا رَأى الرَّاضِي وُقُوفَ الحَالِ منَ الوُزَرَاءِ، اسْتَدْعَى أبا بَكْر محمَّد بنَ رَائِق مِن وَاسِطَ، وكاتَبَه بأنَّه قد أجَابَه إلى ما عَرَضَ منَ السَّعْي في الوِزَارَةِ على القِيَام بالنَّفَقَاتِ وأرْزَاقِ الجُنْد، فسُرَّ ابنُ رَائِقٍ بذلكَ وشَرَعَ يَتَجَهَّزُ للمَسِير. ثم أنْفَذَ إليهِ الرَّاضِي السَّاجِيَّةَ وقَلَّدَه إمَارَةَ الجَيْش، وجَعَلَه أمِيرَ الأمُـرَاء، وفَوَّضَ إليه الخَرَاجَ والدَّوَاوِينَ والمَعَاوِنَ في جَمِيع البِلاد، وأمَرَ بالخُطْبَةِ لهُ على المَنَابِر[2].

وانْحَدَرَ إليه أرْبَابُ الدَّوَاوِينِ والكُتَّابُ والحُجَّابُ، ولمَّا جَاءَه السَّاجِيَّةُ قَبَضَ عليهم بوَاسِطَ في ذي الحِجَّة من سَنَة أرْبَعٍ وعِشْرِين، ونَهَبَ رِحَالَهم ودَوَابَّهم ومَتَاعَهم

(1) الكامل في التاريخ 8: 322، وتجارب الأمم 5: 429، 442.

(2) المصدر نفسه 8: 322-323.

لِيُوَفِّر أرزاقهم على الحُجَرِيَّة، فاسْتَوْحَشُوا لذلك وخَيَّمُوا بدَارِ الخِلافَة. وأُصْعِدَ ابنُ رَائِق إلى بَغْدَادَ وفَوَّضَ الخَلِيفَةُ إليه، وأمَرَ الحُجَرِيَّةَ بتَقْوِيضِ خِيَامِهم والرُّجُوعِ إلى مَنَازِلِهم[1]، وأبْطَلَ الدَّوَاوِينَ وصَيَّرَ النَّظَرَ إليه، فلم يكُنِ الوَزِيرُ يَنْظُرُ في شيءٍ من الأمُور، وبَقِيَ ابنُ رَائِق وكَاتِبُه يَنظُرَانِ في جَمِيعِ الأمُور، فبَطَلَتِ الدَّوَاوِينُ وبُيُوتُ الأمْوَال مِن يَوْمِئذٍ، وصَارَت لأميرِ الأُمَرَاء، والأمْوَالُ تُحْمَلُ إلى خِزَانَتِه ويَتَصَرَّفُ فيها كما يُريد، ويَطْلُبُ مِنَ الخَلِيفَة ما يُريد.

وتَغَلَّبَ أصْحَابُ الأطْرَاف، وزَالَت عنهُم الطَّاعَة، ولم يَبْقَ للخَلِيفَة إلَّا بَغْدَادُ وأعْمَالُها، وابنُ رَائِقٍ مُسْتَبِدٌّ عليه[2]، وأمَّا باقي الأعْمَال، فكانتِ البَصْرَةُ في يَدِ ابنِ رَائِق، وخُوزِسْتَانُ والأهْوَازُ في يَدِ ابنِ البَرِيدِيّ، وفَارِسُ في يَدِ عِمَادِ الدَّوْلَة ابنِ بُوَيْه، وكَرْمَانُ في يَدِ أبي عليٍّ محمَّدِ بن إلْيَاس، والرَّيُّ وأصْبَهَانُ والجَبَلُ في يَدِ رُكْنِ الدَّوْلَة ابنِ بُوَيْه، ووَشْمَكِيرُ، أخو مَرْدَاوِيجَ يُنَازِعُه في هذه الأعْمَال، والمَوْصِلُ ودِيَارُ بَكْرٍ ومُضَرَ ورَبِيعَةَ في يَدِ بني حَمْدَان، ومِصْرُ والشَّامُ في يَدِ ابنِ طُغْجٍ، والمَغْربُ وإفْرِيقِيَّةُ في يَدِ العُبَيْدِيِّين، والأنْدَلُس في يَدِ عبدِ الرَّحْمَن النَّاصِر مِن وَلَدِ عبدِ الرَّحْمَن الدَّاخِل، وما وَرَاءَ النَّهْرِ في يدِ بني سَامَان، وطَبَرِسْتَانُ في يَدِ الدَّيْلَم، والبَحْرَيْنِ واليَمَامَةُ في يَدِ أبي طَاهِر القَرْمَطِيّ[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 323.

(2) المصدر نفسه 8: 323، وتجارب الأمم 5: 443-444.

(3) المصدر نفسه 8: 323-324، المصدر نفسه 5: 459-450.

ولم يبْقَ لَنَا الآنَ منَ الأخْبَارِ عنِ الدَّوْلَةِ إلّا ما يتَعَلَّقُ بالخِلافَة فقَطْ في نِطَاقِها المُتَضايِقِ أخيرًا، وإنْ كانت مُغَلَّبًا عليها. وهيَ أخْبَارُ ابنِ/ رَائِق والبَرِيديِّ، وأمَّا غيرُ ذلك منَ الأعْمالِ التي اقْتُطِعَت كما ذكَرْناه، فنذكُرُ أخبارَها مُنفَرِدَةً، ونَسُوقُ المُستَبِدِّينَ بها دُوَلًا كما شرَطْنَاه *أوَّلَ الكِتاب* [أ]. [324 ب]

ثم كتَبَ ابنُ رَائِقٍ عنِ الرَّاضِي إلى أبي الفَتْحِ الفَضْلِ بنِ جَعْفَرِ بن الفُرَاتِ يَستَدْعِيه للوِزَارَة، وكان على الخَرَاجِ بمصرَ والشَّام، وظَنَّ أنّه بوزَارَتِه يكونُ لهُ تلك الجِبَايَةُ، فوَصَلَ إلى بَغْدَادَ ووَلِيَ وِزارَةَ الرَّاضِي وابنِ رَائِقٍ جَمِيعًا[1].

وُصُولُ بَجْكَم مَعَ ابنِ رَائِق

كان بَجْكَمُ هذا - مِن جُمْلَةِ مَرْدَاوِيج - قائِدَ الدَّيلَمِ ببِلادِ الجِيل، وكان قَبْلَه في جُمْلَةِ ماكانَ بن كاكي ومِن مَوَاليه، وهَبَه له وَزِيرُهُ أبو عليٍّ العَارِض، ثم فارَقَ ماكانَ معَ مَن فارَقَه إلى مَرْدَاوِيج، وكان مَرْدَاوِيج قد ملَكَ الرَّيَّ وأصْبَهَانَ والأهْوَاز، وضَخُمَ مُلْكُه، وصَنَعَ كَرَاسِيَّ مِن ذَهَبٍ وفِضَّةٍ للجُلُوسِ عليها هُوَ وقُوَّادُه، ووَضَعَ على رَأسِه تَاجًا بصِفَةِ تَاجِ كِسْرَى، وأَمَرَ أن يُخَاطَبَ بشَاهِنْشَاه، واعْتَزَمَ على قَصْدِ العِرَاقِ والاسْتِيلاءِ عليه، وتَجْدِيدِ قُصُورِ كِسْرَى بالمَدَائِن[2].

وكان في خِدْمَتِه جَمَاعَةٌ مِنَ التُّرْكِ، ومنهم بَجْكَم، فأسَاءَ مَلَكَتَهم وعَسَفَهُم،

(أ) سقط من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 327.

(2) المصدر نفسه 8: 302.

فقتلوه سَنَةَ ثلاثٍ وعشرينَ بظاهِرِ أصْبَهَان كما نَذكُرُهُ في أخبَارِهم.

واجْتمَعَ الدَّيْلَمُ والجِيلُ بَعْدَه على أخِيه وَشْمَكِيرَ بنِ زِيار، وهُوَ وَالِدُ قَابُوس. ولمَّا قُتِلَ مَرْدَاوِيجُ افْتَرَقَ الأتْرَاكُ فِرْقَتَيْنِ: ففِرْقَةٌ سَارَت إلى عِمَادِ الدَّوْلَة بنِ بُوَيْه بفَارِس، وأخرَى - وهيَ الأكثَرُ - سَارَت نحوَ الجَبَل[أ] معَ بَجْكَم، فَجَبوا خَرَاجَ الدِّينَوَرِ وغيرِها، ثُمّ صَارُوا إلى النَّهْرَوَان، وكاتَبُوا الرَّاضِيَ في المَسِيرِ إليه، فأَذِنَ لهم. وارْتَابَ الحُجَرِيَّةُ بهم، فأمَرَهُمُ الوَزِيرُ بالرُّجُوعِ إلى بَلَدِ الجِيل، فغَضِبُوا، واسْتَدْعَاهُم ابنُ رَائِق صَاحِبُ وَاسِطَ والدَّيْلَمِ والبَصْرَةِ فَمَضوا إليه، وقَدَّمَ عليهم بَجْكَم، وكانتِ الأتْرَاكُ والدَّيْلَمُ من أَصْحَابِ مَرْدَاوِيج، فَجَاءَتْه منهم جَمَاعَاتٌ فأحْسَنَ إليهم وإلى بَجْكَم وسَمَّاهُ الرَّائِقِيَّ، نِسْبَةً إليه، وأَذِنَ له أنْ يَكْتُبَهُ في مُخَاطَبَاتِه[1].

مَسِيرُ الرَّاضِي وابنِ رَائِقٍ لحَرْبِ ابنِ البَرِيديّ

ثم اعْتَزَمَ ابنُ رَائِق سَنَةَ خَمْسٍ وعِشْرِينَ على الرَّاضِي في المَسِيرِ إلى وَاسِطَ لطَلَبِ ابنِ البَرِيدِيِّ في المال،/ ليكون أقْرَبَ لمُنَاجَزَتِه، فانْحَدَرَ في شَهْرِ مُحَرَّم، وارْتَابَ الحُجَرِيَّةُ بفِعْلِه معَ السَّاجِيَّة، فتَخَلَّفُوا، ثم تَبِعُوه، فاعْتَرَضَهُم وأسْقَطَ أكْثَرَهُم منَ الدِّيوَان، فاضْطَرَبُوا وثَارُوا، فقَاتَلَهُم وهَزَمَهُم، وقَتَلَ منهم جَمَاعَةً ونَجَا فَلُّهم إلى بَغْداد، فأوْقَعَ بهم لُؤْلُؤٌ صَاحِبُ الشُّرْطَة، ونُهِبَت دُورُهم وقُطِعَت أرْزَاقُهم وقُبِضَت أمْلاكُهم[2]. [325أ]

(أ) النسخ: الجبل.

(1) الكامل في التاريخ 8: 303، 304.

(2) المصدر نفسه 8: 329.

وقَتَلَ ابنُ رَائِقٍ مَن كان في حَبْسِه منَ السَّاجِيَّة، وسَارَ هُوَ والرَّاضِي نحو الأهْوَازِ لإجْلاءِ ابنِ البَرِيدِيِّ عنها، وقَدِمَ إليه في طَلَبِ الاسْتِقَامَة، وتَوَعَّدَه، فجَدَّدَ ضَمَانَ الأهْوَازِ بألْفِ دِينَارٍ في كلِّ يَوْمٍ، يَحْمِلُ في كلِّ شَهْرٍ قِسْطَه، وأجَابَ إلى تَسْلِيمِ الجَيْشِ لمن يَسِيرُ إلى قِتَالِ ابنِ بُوَيْه لنَفْرَتِهم عن بَغْدَاد، وعَرَضَ ذلك على الرَّاضِي، فأشَارَ الحُسَيْنُ بنُ عليٍّ النَّوْبَخْتِيُّ، وَزِيرُ ابنِ رَائِق، بأنْ لا يَقْبَلَ؛ لأنَّه خِدَاعٌ ومَكْرٌ[1]، وأشَارَ أبو بَكْرِ بنُ مُقَاتِلٍ بإجَابَتِه، وعَقَدَ الضَّمَانَ على [ابن][أ] البَرِيدِيّ، وعَادَ ابنُ رَائِقٍ والرَّاضِي إلى بَغْدَادَ فدَخَلاها أوَّلَ صَفَر.

ولم يَفِ ابنُ البَرِيدِيِّ بحَمْلِ المَال، وأنْفَذَ ابنُ رَائِقٍ جعْفَرَ بنَ وَرْقَاءَ ليَسِيرَ بالجَيْشِ إلى فَارِس، ودَسَّ إليهم ابنُ البَرِيدِيِّ أنْ يَطْلُبُوا منهُ المالَ ليَتَجَهَّزُوا به، فاعْتَذَرَ، فشَتَمُوه وتَهَدَّدُوه بالقَتْل، ولَجأَ إلى ابنِ البَرِيديِّ فأشَارَ عليه بالنَّجَاة[2].

ثم سَعَى ابنُ مُقَاتِلٍ لابنِ البَرِيدِيِّ في وِزَارَةِ ابنِ رَائِق عِوَضًا منَ الحُسَيْنِ النَّوْبَخْتِيّ، وبَذَلَ له عنهُ ثلاثينَ ألْفَ دِينَار، فاعْتَذَرَ له بسَوَابِق النَّوْبَخْتِيِّ عِنْدَه وسَعْيِهِ له، وكان مَرِيضًا، فقال له ابنُ مُقَاتِل: إنَّه هَالِكٌ، فقال ابنُ رَائِق: قد أعْلَمَني الطَّبِيبُ أنَّه نَاقِهٌ، فقال: الطَّبِيبُ يُراجِيكَ فيه بقُرْبِه منك، ولكنْ سَلِ ابنَ أخِيه عليَّ بنَ أحْمَد ـ وكان النَّوْبَخْتِيُّ قدِ اسْتَنَابَ ابنَ أخِيه في مَرَضِه ـ فأشَارَ عليه ابنُ مُقَاتِل أن يُعَرِّفَ الأميرَ إذا سَألَه بمَهْلِكِه، وأشَارَ له أنَّه يَسْتَوْزِرُه، فلمَّا سَألَه ابنُ رَائِق أيْأسَهُ منه، فقال ابنُ رَائِق عندَ ذلك لابنِ مُقَاتِل: اكْتُبْ لابنِ البَرِيدِيِّ يُرْسِلْ مَن يَنُوبُ

(أ) سقطت من الأصول .

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 329-330.

(2) المصدر نفسه 8: 330.

عنهُ في الوِزَارَة، فبَعَثَ أحمدَ بنَ الكُوفيّ واسْتَوْلَى معَ ابنِ مُقَاتِلٍ على ابنِ رَائِق، وسَعَوا لأبي يُوسُفَ بنِ / [325ب] البَرِيدِيّ في ضَمانِ البَصْرَة[1].

وكان عَامِلُ البَصْرَةِ مِن قِبَلِ ابنِ رَائِق، مُحمَّدُ بنُ يَزْدَاد، وكان شَدِيدَ الظُّلْمِ والعَسْفِ بهم، فخَادَعَه ابنُ البَرِيدِيِّ. وأنفَذَ أبو عبدِ الله مَوْلاه إقْبَالاً في أَلْفَي رَجُل، وأقَامُوا بحِصْنِ مَهْدِي قَرِيبَ البَصْرَة، فعَلِمَ ابنُ يَزْدَادَ أنَّه يَرُومُ التَّغَلُّبَ على البَصْرَة. وأقَامَا على ذلك، وبَلَغَ ابنَ رَائِقٍ شَأنُ هذا العَسْكَرِ في حِصْنِ مَهْدِي[2]، وبَلَغَه أيضًا أنَّه اسْتَخْدَمَ الحُجَرِيِّينَ الذين أذِنَ لهم في الانْسِيَاح في الأرْض، وأنَّهُمْ اتَّفَقُوا معَ عَسْكَرِه على قَطْعِ الحَمْل، وكاتَبَه بطَرْدِهم عنه فلم يَفْعَلْ، فأمَرَ ابنَ الكُوفيِّ أنْ يَكْتُبَ إلى ابنِ البَرِيدِيِّ بالعِتَابِ على ذلك، ويَأمُرَ بإعَادَةِ العَسْكَرِ مِن حِصْنِ مَهْدِي، فأجَابَ بإعْدَادِهم للقَرَامِطَة وأنَّ ابنَ يَزْدَادَ عاجِزٌ عنِ الحِمَايَة[3].

وكان القَرَامِطَةُ قد وَصَلُوا إلى الكُوفَة في رَبِيعِ الآخِر، وخَرَجَ ابنُ رَائِق في العَسَاكِرِ إلى حِصْنِ ابن هُبَيْرَة ولم يَسْتَقِرَّ بينَهم أمْرٌ، وعَادَ القَرْمَطِيُّ إلى بَلَدِه، وسَارَ ابنُ رَائِق إلى وَاسِط، فكَتَبَ ابنُ البَرِيدِيِّ إلى عَسْكَرِه بحِصْنِ مَهْدِيٍّ أن يَدْخُلُوا البَصْرَة ويَمْلِكُوها من يَدِ ابنِ يَزْدَاد، وأمَدَّهم بجَمَاعَة منَ الحُجَرِيَّة فقَصَدُوا البَصْرَةَ وقَاتَلُوا ابنَ يَزْدَادَ فهَزَمُوه، ولَحِقَ بالكُوفَة. ومَلَكَ إقْبَالٌ مَوْلى ابنِ البَرِيدِيِّ وأصْحَابُه البَصْرَةَ، وكَتَبَ ابنُ رَائِقٍ إلى ابنِ البَرِيدِيِّ يَتَهَدَّدُه ويأمُرُه بإخْرَاجِ أصْحَابِه منَ البَصْرَةِ فلم يَفْعَل[4].

(1) الكامل في التاريخ 8: 331-332.

(2) حِصْنُ مَهْدِي. بَلَدٌ من نَوَاحي خُوزِسْتان (معجم البلدان 2: 266).

(3) الكامل في التاريخ 8: 332-333.

(4) المصدر نفسه 8: 333-334.

استيلاءُ بَجْكَم على الأهْوَاز

ولمّا امْتَنَعَ ابنُ البَرِيدِيِّ منَ الإفْرَاج عنِ البَصْرَة، بَعَثَ ابنُ رَائِقٍ العَسَاكِرَ مع بَدْرٍ الخَرْشَنِيِّ وبَجْكَم مَوْلاه، وأمَرَهُم بالمُقَام بالجَامِدَة، فتَقَدَّم بَجْكَمُ عن بَدْرٍ وسَارَ إلى السُّوس، وجَاءَتْه عَسَاكِرُ [ابنِ] البَرِيدِيِّ مع غُلامِه مُحمَّدٍ الحَمَّالِ في ثَلَاثَةِ آلاف، ومعَ بَجْكَم مائتانِ وسَبْعُونَ منَ التُّرْك، فهَزَمَهُم بَجْكَم، ورَجَعَ مُحمَّدُ بنُ الحَمَّالِ إلى ابنِ البَرِيدِيِّ، فعَاقَبَهُ على انْهِزَامِه، وحَشَدَ له العَسْكَرَ، فسَارَ في سِتَّةِ آلاف، ولَقِيَهُم بَجْكَمُ عندَ نَهْرِ تُسْتَرَ فانْهَزَمُوا من غَيْرِ قِتَال. ورَكِبَ ابنُ البَرِيدِيِّ السُّفُنَ ومعَه ثلاثُ مائةِ ألْفِ دِينَار، فغَرِقَ أصْحَابُه ومَالُه ونَجَا إلى البَصْرَة،/ وأقَامَ بالأُبُلَّةِ، وبَعَثَ غُلامَه [326 أ] إقبالاً فلَقِيَ جَمَاعَةً مِن أصْحَابِ ابنِ رَائِق فهَزَمَهُم، وبَعَثَ إلى ابنِ رَائِق معَ جَمَاعَةٍ مِن أهْلِ البَصْرَة يَسْتَعْطِفُهُ فأبَى، فطَلَبُوا الأمَانَ لأهْلِ البَصْرَة، فحَلَفَ لَيَحْرِقَنَّها ويَقْتُلُ كلَّ مَن فيها، فرَجَعُوا مُسْتَبْصِرِينَ في قِتَالِه (1).

وأقَامَ ابنُ البَرِيدِيِّ بالبَصْرَة، واسْتَوْلَى بَجْكَمُ على الأهْوَاز.

ثم بَعَثَ ابنُ رَائِق جَيْشَه في البَرِّ والمَاء، فانْهَزَمَ عَسْكَرُ البَرِّ، واسْتَوْلى عَسْكَرُ المَاءِ على الكَلَّاء (2)، فهَرَبَ ابنُ البَرِيدِيِّ في السُّفُنِ إلى جَزِيرَةِ أُوَال (3)، وتَرَكَ أخَاه

(1) الكامل في التاريخ 8: 335-336.

(2) الكَلّاء: محلّة مشهورة وسُوق بالبَصْرَة (معجم البلدان 4: 472). واسمٌ لكل مكانٍ تُرفأ فيه السفن على ساحل النهر.

(3) جزيرة بناحية البَحْرَيْن (معجم البلدان 1: 274).

أبا الحُسَيْن في عَسْكرٍ بالبَصْرَة، فدفَعَ عَسْكَرَ ابنِ رَائِق عن الكَلَّاء، فسَارَ ابنُ رَائِق من وَاسِط، واسْتَدْعَى بَجْكَمَ منَ الأهْوَاز، وقَاتَلوا [أهْلَ][أ] البَصْرَة فامْتَنَعَت عليهم.

وسَارَ أبو عبدِ الله ابنُ البَرِيدِيِّ من أُوَالَ إلى عِمَادِ الدَّوْلَة بنِ بُوَيْه بفَارِس، فأطْمَعَه في العِرَاق، وبَعَثَ معَهُ أخَاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَة إلى الأهْوَاز، فسَيَّرَ إليها ابنُ رَائِقٍ مَوْلاه بَجْكَمَ على أنْ يكونَ له الحَرْبُ والخَرَاجُ، وأقَامَ ابنُ البَرِيدِيّ على البَصْرَة، وزَحفَت إليه عَسَاكِرُهُم، فأعْجَلُوه عن تَقْوِيض خِيَامِه فأحْرَقَها وسَارَ إلى الأهْوَاز مُجَرَّدًا، وسَبَقَتْه عَسَاكِرُهُ إلى وَاسِط، وأقَامَ عندَ بَجْكَم أيّامًا، وأُشِيرَ عليه بحَبْسِه فلم يَفْعَل، ورَجَعَ ابنُ رَائِقٍ إلى وَاسِط[1].

اسْتِيلاء مُعِزِّ الدَّوْلَة على الأهْوَاز

لمَّا سَارَ أبو عبدِ الله ابنُ البَرِيدِيِّ من جَزِيرَة أُوَالَ إلى عِمَادِ الدَّوْلَة ابنِ بُوَيْه بفَارِس، مُسْتَجِيرًا بهِ منَ ابنِ رَائِق وبَجْكَم ومُسْتَنْجِدًا عليهم، طَمِعَ عِمَادُ الدَّوْلَة في الاسْتِيلاءِ على العِرَاق، فسَيَّرَ معَهُ أخَاهُ مُعِزَّ الدَّوْلَة أحْمَدَ بنَ بُوَيْه في العَسَاكِر، ورَهَنَ ابنُ البَرِيدِيِّ عندَهُ وَلَدَيْه: أبا الحَسَن مُحَمَّدًا وأبا جَعْفَرٍ الفَيَّاض، وسَارَ بَجْكَمُ للِقَائِهم فلَقِيَهم بأرَّجَان، فانْهَزَمَ أمَامَهم وعَادَ إلى الأهْوَاز، وخَلَّفَ جَيْشًا بعَسْكَرِ مُكْرَم، فقَاتَلَهم مُعِزُّ الدَّوْلَة ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا ثم انفَضُّوا ولَحِقُوا بتُسْتَر، ومَلَكَ مُعِزُّ الدَّوْلَة عَسْكَرَ مُكْرَم، وذلك سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرِين[2].

(أ) إضافة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 336-337، وتجارب الأمم 5: 471-474.

(2) المصدر نفسه 8: 340.

[326 ب] وسَارَ بَجْكَمُ مِنَ الأَهْوَازِ إِلى تُسْتَر. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى ابنِ رَائِق بوَاسِط،/ فسَارَ إلى بَغْدَادَ، وجَاءَ بَجْكَمُ مِن تُسْتَرَ إلى وَاسِط، ولمَّا اسْتَوْلَى مُعِزُّ الدَّوْلَة وابنُ البَرِيدِيِّ على عَسْكَرِ مُكْرَم، لَقِيَهُم أَهْلُ الأَهْوَاز وسَارُوا معَهم إليها، فأقَامُوا شَهْرًا، ثمَّ طَلَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَة مِنَ ابنِ البَرِيدِيِّ عَسْكَرَه الّذين بالبَصْرَة ليُسَيِّرَهُم إلى أخِيه رُكْنِ الدَّوْلَة بأَصْبَهَانَ لحَرْبِ وَشْمَكِير، فأحْضَرَ منهم أَرْبَعَةَ آلاف، ثم طَلَبَ منه عَسْكَرَه الذين بحِصْنِ مَهْدِي ليُسَيِّرَهم في الماءِ إلى وَاسِط، فارْتَابَ ابنُ البَرِيدِيّ وهَرَبَ إلى البَصْرَة، وبَعَثَ إلى عَسْكَرِها الذين سَارُوا إلى أَصْبَهَان وكانوا مُتَوَقِّفِينَ بالسُّوس، فرَجَعُوا إليه، ثُمَّ كَتَبَ إلى مُعِزِّ الدَّوْلَة أنْ يُفْرِجَ لهُ عَنِ الأَهْوَازِ ليَتَمَكَّنَ مِنَ الجِبَايَة والوَفَاءِ بها لأخِيه عِمَادِ الدَّوْلَة، وكان قد ضَمِنَ له الأَهْوَازَ والبَصْرَةَ بثمانيةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَم، فرَحَلَ مُعِزُّ الدَّوْلَة إلى عَسْكَرِ مُكْرَم، وأنْفَذَ ابنُ البَرِيدِيِّ عَامِلَه إلى الأَهْوَاز، ثم بَعَثَ إلى مُعِزِّ الدَّوْلَة بأن يَتَأَخَّرَ إلى السُّوسِ فأبَى[(1)].

وعَلِمَ بَجْكَمُ بحَالِهِم، فبَعَثَ جَيْشًا اسْتَوْلَوْا على السُّوس وجُنْدَيْسَابُور، وبَقِيَتِ الأَهْوَازُ بيَدِ ابنِ البَرِيدِيِّ ومُعِزِّ الدَّوْلَة بعَسْكَرِ مُكْرَم، وقد ضَاقَت أحْوَالُ جُنْدِه، ثمّ بَعَثَ إليه أخُوه عِمَادُ الدَّوْلَة بالمَدَدِ، فسَارَ إلى الأَهْوَازِ ومَلَكَهَا، ورَجَعَ ابنُ البَرِيدِيِّ إلى البَصْرَة، وبَجْكَم في ذلك مُقِيمٌ بوَاسِط، وقد صَرَفَ هَمَّهُ إلى الاسْتِيلاءِ على رُتْبَةِ ابنِ رَائِقٍ ببَغْدَاد، وقد أنْفَذَ له ابنُ رَائِق عليَّ بنَ خَلَفِ بن طَيَّابٍ بالعَسَاكِرِ ليَسِيرُوا إلى الأَهْوَاز ويُخْرِجُوا ابنَ بُوَيْه، ويكونَ بَجْكَمُ على الحَرْبِ وابنُ خَلَفٍ على الخَرَاج، فلم يَلْتَفِتْ بَجْكَمُ لذلك، واسْتَوْزَرَ عليَّ بنَ خَلَفٍ، وبَجْكَمُ في أمْوَالِ واسط[(2)].

(1) الكامل في التاريخ 8: 341-342.

(2) المصدر نفسه 8: 342-343.

ولمَّا رَأى أبو الفَتح الوَزيرُ ببَغْدَاد إدْبَارَ الأُمُور، أطْمَعَ ابنَ رَائِق في مِصْر والشَّام، وقال: أنا أجْبيها لك، وعَقَدَ بينه وبين ابن طُغْج صِهْرًا. وسَارَ أبو الفَتْح إلى الشَّام في رَبِيعٍ الآخِرِ[1].

وشَعَرَ ابنُ رَائِق بمُحَاوَلَة بَجْكَم عليه، فبَعَثَ إلى ابن البَرِيدِيّ بالاتِّفَاق على بَجْكَم على أن يَضْمَن ابنُ البَرِيدِيّ وَاسِطَ بستّ مائة ألْف، فَنَهَضَ بَجْكَم إلى ابن البَرِيدِيّ قَبْل ابن/ رَائِق وسَارَ إلى البَصْرَة، فبَعَثَ إليه ابنُ البَرِيدِيّ أبا جَعْفَر الحَمَّال [أ 327] في عَشْرَة آلاف، فهزَمَهُم بَجْكَم، وارْتَاعَ ابنُ البَرِيدِيّ لذلك، ولم يكن قَصْدُ بَجْكَم إلَّا الأُلْفَة فقط، والتَّفَرُّغ لابن رَائِق، فبعَثَ إليه بالمُسَالَمَة وأن يُقَلِّده وَاسِطَ إذا تَمَّ أمْرُه، فاتَّفَقا على ذلك وصَرَفَ نَظَرَه إلى أمْر بَغْدَاد[2].

وَزَارَةُ ابن مُقْلَة ونَكْبَتُه

ولمَّا انْصَرَفَ أبو الفَتْح بن الفُرَات إلى الشَّام اسْتَوْزَرَ الرَّاضِي أبا عَلِيّ بن مُقْلَة على سَنَنِ مَنْ قَبْلَه، والأمْرُ لابن رَائِق، وابنُ مُقْلَة كالعَارِيَة. وكَتَبَ له في أمْوَالِه وأمْلاكِه فلم يَرُدَّها، فشَرَعَ ابنُ مُقْلَة في التَّدْبير عليه، فكَتَبَ إلى ابن رَائِق بوَاسِط ووَشْمَكِيرَ بالرَّيِّ يُطْمِع كلًّا منهما في مَكَانِه، وكَتَبَ إلى الرَّاضِي يُشِيرُ بالقَبْض على ابن رَائِق وأصْحَابِه وباسْتِدْعَاء بَجْكَم لمَكَانِه، وأنَّه يَسْتَخْرِج منهم ثَلاثَة آلاف ألْف دِينَار، فأطْمَعَه الرَّاضِي على كُرْهٍ، فكَتَبَ هو إلى بَجْكَم يَسْتَحِثُّه، وطَلَبَ من الرَّاضِي أنْ

(1) الكامل في التاريخ 8: 343.

(2) المصدر نفسه 8: 344.

يَنْتَقِلَ إلى دَارِ الخِلافَةِ حتى يَتِمَّ الأمْرُ، فأُذِنَ له، وحَضَرَ مُتَنَكِّرًا آخِرَ لَيْلَةٍ من رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرِين، فأمَرَ الرَّاضِي باعْتِقَالِه، وأطْلَعَ ابنَ رَائِق منَ الغدِ على كُتُبِه، فشَكَرَ ذلك له ابنُ رَائِق، وأمَرَ بابنِ مُقْلَةَ في مُنْتَصَفِ شَوَّالٍ فقطَعَ يَدَهُ، ثُمَّ عُولِجَ وبَرِئَ، وعَادَ إلى السَّعْيِ في الوِزَارَة والتَّظَلُّم منَ ابنِ رَائِقٍ والدُّعاءِ عليه، فأمَرَ بقَطْعِ لِسَانِه وحَبْسِه إلى أنْ مَاتَ(1).

اسْتيلاءُ بَجْكَمَ على بَغْداد

لم يَزَلْ بَجْكَمُ يُظْهِرُ التَبَعِيَّةَ لابنِ رَائِق، ويَكْتُبُ على أعْلامِه وتِرَاسِه: بَجْكَمُ الرَّائِقِيُّ، إلى أنْ وَصَلَتْهُ كُتُبُ ابنِ مُقْلَة بأنَّ الرَّاضِيَ قَلَّدَه إمْرَةَ الأُمَرَاء، فطَمِعَ وكَاشَفَ ابنَ رَائِقٍ ومَحَا نَسَبَهُ إليه مِن أعْلامِهِ وسِلاحِه، وسَارَ من وَاسِطَ إلى بَغْدَادَ في ذي القَعْدَة سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرين(2).

وكَتَبَ إليه الرَّاضِي بالرُّجُوع فأبَى، ووَصَلَ إلى نَهْرِ دِيَالَى وأصْحَابُ ابنِ رَائِق في غَرْبِيِّه، فانْهَزَمُوا وعَبَرُوا النَّهْرَ سَبْحًا، وسَارَ ابنُ رَائِق إلى عُكْبَرا، ودَخَلَ بَجْكَمُ بَغْدَادَ مُنْتَصَفَ ذي القَعْدَة، ولَقِيَ الرَّاضِيَ منَ الغَدِ،/ ووَلَّاه أمِيرَ الأُمَرَاء، وكَتَبَ عن [327 ب] الرَّاضِي إلى القُوَّادِ الذين مَعَ ابنِ رَائِق بالرُّجُوع عنهُ فرَجَعُوا، وعَادَ ابنُ رَائِق إلى بَغْدَادَ فاخْتَفَى بها لسَنَةٍ وأحَدَ عَشَرَ شَهْرًا مِن إمَارَتِه، ونَزَلَ بَجْكَمُ بدَارِ مُؤْنِسٍ واسْتَقَرَّ ببَغْدَادَ مُتَحَكِّمًا في الدَّوْلَةِ مُسْتَبِدًّا على الخَلِيفَة(3).

(1) الكامل في التاريخ 8: 345-346، وتجارب الأمم 5: 480-484.

(2) المصدر نفسه 8: 346-347، وتجارب الأمم 5: 484-485.

(3) المصدر نفسه 8: 347، 348.

دُخُولُ أَذْرَبِيجَانَ فِي طَاعَةِ وَشْمَكِير

كان مِن عُمَّالِ وَشْمَكِيرَ على أعْمَالِ الجَبَلِ والرَّيِّ لَشْكَرِي بنُ مُرْدِي، وكان مُجَاوِرًا لأعْمَالِ أَذْرَبِيجان، وعليها يَوْمَئِذٍ دَيْسَمُ بنُ إبراهيمَ الكُرْدِيُّ، مِن أَصْحَابِ ابنِ أبي السَّاج، فَحَدَّثَت لَشْكَري نَفْسُه بالتَّغَلُّبِ عليها، فَجَمَعَ وسَارَ إليها، وخَرَجَ إليه دَيْسَمُ فانْهَزَمَ، واسْتَوْلَى لَشْكَري على سَائِرِ بِلادِهِ إلَّا أَرْدَبِيلَ ــ وهِيَ كُرْسِي أَذْرَبِيجَان ــ فَحَاصَرَهَا لَشْكَرِي وضَيَّقَ حِصَارَها، فراسَلُوا دَيْسَمًا بالمجيء لِقِتَالِ لَشْكَري مِن وَرَائه، ففَعَلَ، وجَاءَهُ يومَ قِتالِهم مِن خَلْفٍ فانْهَزَم لَشْكَري إلى مُوقَان، فأعَانَه أَصْبَهْبَذُها ابنُ دَاوْله وسَارَ معَهم نحوَ دَيْسَم، فانْهَزَم دَيْسَمٌ وقَصَدَ وَشْمَكِيرَ بالرَّيِّ واسْتَمَدَّه على أنْ يَدْخُلَ في طاعَتِه ويَضْمَنَ له مالًا في كُلِّ سَنَة، فأجَابَه وبَعَثَ معَهُ العَسْكَر، وبَعَثَ أَصْحَابُ لَشْكَرِي إلى وَشْمَكِيرَ بأنَّهم على الطَّاعَة، وشَعَرَ بذلك لَشْكَرِي، فسَارَ في خَاصَّتِه إلى أرمينيَّةَ واكْتَسَحَ في نَوَاحِيها، ثم سَارَ إلى الزَّوْزَانِ مِن بلادِ الأرْمَن، فاعْتَرَضُوه وقَتَلُوه ومَن معَه، ورَجَعَ فَلُّهم وقد وَلَّوْا عليهم السِّكْرِسْتانَ ابنَ لَشْكَرِي، وقَصَدُوا بَلَدَ طِرْم الأرْمَنِيِّ لِيَثْأَروا منهم بأصْحَابِهم، فقَاتَلَهم طِرْمٌ وأَثْخَنَ فيهم، وسَارُوا إلى نَاصِرِ الدَّوْلَة بنِ حَمْدَان، وانْحَدَرَ بعضُهم إلى بَغْدَاد، وكان على المَعَاوِنِ بأَذْرَبِيجان الحُسَيْنُ بنُ سَعِيدِ بنِ حَمْدَان مِن قِبَلِ ابنِ عَمِّه نَاصِرِ الدَّوْلَة صَاحِبِ المَوْصِل، واسْتَوْلَى دَيْسَمٌ على أَذْرَبِيجان في طَاعَةِ وَشْمَكِير[1].

(1) الكامل في التاريخ 8: 349-351.

ظُهورُ ابنِ رائِق، ومَسيرُهُ إلى الشّام

[328أ] وفي سَنَة سَبْعٍ وعِشْرينَ / وثلاثِ مائةٍ سارَ بَجْكَمُ معَ الرّاضِي إلى المَوْصِل ودِيارِ رَبيعَة، بسَبَبِ أنَّ نَاصِرَ الدَّوْلَة بنَ حَمْدَانَ أخَّرَ المالَ الذي عليه مِن ضَمانِ البِلاد، فأقامَ الرَّاضِي بتَكْرِيت، وسَارَ بَجْكَمُ ولَقِيَه نَاصِرُ الدَّوْلَة على سِتَّةِ فَراسِخَ من المَوْصِل، فانْهَزَمَ، واتَّبَعَه بَجْكَمُ إلى نَصِيبِينَ ثُم إلى آمِد، وكَتَبَ إلى الرَّاضِي بالفَتْح، فسَارَ مِن تَكْرِيتَ في الماءِ إلى المَوْصِل، وفارَقَه جَمَاعَةٌ مِنَ القَرامِطَة كانُوا في عَسْكَرِه، وكَانَ ابنُ رَائِق مُكاتِبَهم من مَكَانِ اخْتِفَائِه، فلمَّا وَصَلُوا بَغْدَادَ خَرَجَ ابنُ رَائِقٍ إليهم، واسْتَوْلَى، وطَارَ الخَبَرُ إلى الرَّاضِي فأَصْعَدَ منَ الماءِ وسَارَ إلى المَوْصِل، وكَتَبَ إلى بَجْكَمَ بذلك، فرَجَعَ عن نَصِيبِينَ بعدَ أنِ اسْتَوْلَى عليها[(1)].

وشَرَعَ أهْلُ العَسْكَرِ يَتَسَلَّلُونَ إلى بَغْدَادَ فأهَمَّ ذلك بَجْكَمَ، ثم جاءَت رِسَالَةُ ابنِ حَمْدَان في الصُّلْحِ وتَعْجِيلِ خَمْسِ مائةِ ألْفِ دِرْهَمٍ، فأجَابُوه وأقَرُّوه ورَجَعُوا إلى بَغْدَاد، ولَقِيَهُم أبو جَعْفَرٍ محمدُ بنُ يحيى بن شِيرْزَاد رَسُولاً عَنِ ابنِ رَائِقٍ في الصُّلْح، على أنْ يُقَلِّدَه الرَّاضِي طَرِيقَ الفُرَاتِ ودِيَارَ مُضَر: حَرَّانَ والرُّهَا وما جَاوَرَها وجُنْدَ قِنَّسْرِينَ والعَوَاصِم. فأجَابَه الرَّاضِي وقَلَّدَه، وسَارَ إلى وِلايَتِه في رَبيعٍ الآخِر[(2)].

وكان بَجْكَمُ قدِ اسْتَنَابَ بَعْضَ قُوَّادِ الأتْرَاكِ على الأنْبَارِ واسْمُهُ بَالْبَان، وطَلَبَ تَقْلِيدَ طَرِيقِ الفُرَات، فقُلِّدَ، وسَارَ إلى الرَّحْبَة، ثم انْتَقَضَ ودَعَا لابنِ رَائِق وعَصَى

(1) الكامل في التاريخ 8: 353-354، وتجارب الأمم 6: 13-16.

(2) المصدر نفسه 8: 354.

على بَجْكَم، فسَارَ إليه غَازِيًا وكَبَسَه بالرَّحْبَة على حينِ غَفْلَةٍ لخَمْسَةِ أيَّامٍ مِن مَسِيرِه، فظَفِرَ به وأدْخَلَهُ بَغْدَادَ على جَمَلٍ وحَبَسَه، فكان آخِرَ العَهْدِ به[1].

وِزَارَةُ ابنِ البَرِيديّ

قد تَقَدَّم لنا مَسِيرُ الوَزِيرِ أبي الفَتْح الفَضْلِ بنِ جَعْفَرِ بن الفُرَاتِ إلى الشَّام، ولمَّا سَارَ اسْتَنَابَ بالحَضْرَة عبدَ الله بنَ عليّ البَصْريَّ، وكان بَجْكَمُ قد قَبَضَ على وَزِيرِه خَلَفِ بنِ طَيَّاب، واسْتَوْزَرَ أبا جَعْفَرٍ محمَّدَ بنَ يحيى بن شِيرْزَاد، فسَعَى في وِزَارَةِ ابنِ البَرِيدِيّ لبَجْكَم حتى تَمَّ ذلك، ثم ضَمِنَ ابنُ البَرِيدِيّ أعْمَالَ وَاسِطَ بستِّ مائةِ/ ألْفِ دِينَارٍ كلَّ سَنَة، ثم جَاءَ الخَبَرُ بمَوْتِ أبي الفَتْح بنِ الفُرَات بالرَّمْلَة، فسَعَى [328ب] أبو جَعْفَرٍ بنُ شِيرْزَاد في وِزَارَة أبي عبدِ الله بن البَرِيدِيّ للخَلِيفَة، فعَقَدَ له الرَّاضِي بذلك واسْتَخْلَفَ بالحَضْرَة عبدَ الله بنَ عليٍّ الصَّيْمَرِيَّ كما كان مَعَ أبي الفَتْح[2].

مَسِيرُ رُكْنِ الدَّوْلَة إلى وَاسِطَ، ورُجُوعُهُ عنها

لمَّا اسْتَقَرَّ ابنُ البَرِيدِيّ بوَاسِطَ بَعَثَ جَيْشًا إلى السُّوس، وبها أبو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ وَزِيرُ مُعِزِّ الدَّوْلَة على خَرَاجِها، [وكان مُعِزُّ الدَّوْلَة أحمدُ بنُ بُوَيْه

(1) الكامل في التاريخ 8: 355.

(2) المصدر نفسه 8: 354-355.

بالأهْوَاز][أ]، فتحَصَّنَ أبو جعفرٍ بقَلْعَةِ السُّوس، وعَاثَ الجَيْشُ في نَوَاحِيها، وكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَة إلى أخِيه رُكْنِ الدَّوْلَة وهُوَ على إصْطَخْرَ قد جَاءَ مِن أصْبَهَانَ لمَّا غَلَبَه وَشْمَكِيرُ عليها، فلمَّا جَاءَهُ كِتَابُ أخِيه مُعِزِّ الدَّوْلَة سَارَ مُجِدًّا إلى السُّوسِ وقد رَجَعَ عنه جَيْشُ ابنِ البَرِيدِيِّ، ثم سَارَ إلى وَاسِطَ يُحَاوِلُ مُلْكَها، فنَزَلَ بجَانِبِها الشَّرْقِيِّ، وابنُ البَرِيدِيِّ بالجَانِب الغَرْبِيِّ، واضْطَرَب عَسْكَرُ ابنِ بُوَيْه، واسْتَأْمَنَ جَمَاعَةٌ منهم إلى ابنِ البَرِيدِيِّ. ثم سَارَ الرَّاضِي وبَجْكَمُ مِن بَغْدَادَ إلى وَاسِطَ لإمْدَادِه، فرَجَعَ رُكْنُ الدَّوْلَة إلى الأهْوَاز ثمّ إلى رَامَهُرْمُز، وبَلَغَهُ أنَّ وَشْمَكِيرَ قد أنْفَذَ عَسْكَرَهُ مَدَدًا لمَاكَانَ بنِ كَاكِي وأنّ أصْبَهَانَ خَالِيَةٌ، فسَارَ إليها مِن رَامَهُرْمُزَ وأخْرَجَ مَن بَقِيَ فيها مِن أصْحَابِ وَشْمَكِير، ومَلَكَها واسْتَقَرَّ بها[1].

مَسِيرُ بَجْكَمَ إلى بَلَدِ الجِيل، وعَوْدُهُ إلى وَاسِطَ واسْتِيلاؤُهُ عليها

كان بَجْكَمُ قد وَاصَلَ ابنَ البَرِيدِيِّ وصَاهَرَه، واتَّفَقَا على أنْ يَسِيرَ بَجْكَمُ إلى بلادِ الجِيَلِ لفَتْحِها مِن يَدِ وَشْمَكِير، وأبو عبدِ الله بنُ البَرِيدِيِّ إلى الأهْوَازِ لأخْذِهَا مِن يَدِ مُعِزِّ الدَّوْلَة ابنِ بُوَيْه. وسار بَجْكَمُ على حُلْوَانَ، وبَعَثَ إليه ابنُ البَرِيدِيِّ بخَمْسِمائة رَجُلٍ مَدَدًا، وبَعَثَ بَجْكَمُ بعضَ أصْحَابِه إلى ابنِ البَرِيدِيِّ يَسْتَحِثُّه إلى السُّوس والأهْوَاز، فأقَامَ يُماطِلُهُ ويُدَافِعُهُ ويُبَيِّنُ له أنَّه يُرِيدُ مُخَالَفَةَ بَجْكَم إلى بَغْدَاد[2]،

(أ) النسخ: احمد بن بُوَيه ومُعِزّ الدَّوْلَة بالأهْواز، والمثبت من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 360.

(2) المصدر نفسه 8: 361-362.

فكَتَبَ إليه بذلك، فرَجَعَ عن قَصْدِه إلى بَغْداد، وعَزَلَ ابنَ البَرِيدِيِّ منَ الوِزَارَة، /ووَلَّى مَكانَه أبا القاسِمِ سُلَيْمانَ بنَ الحَسَنِ بنِ مَخْلَد، وقَبَضَ على ابنِ شِيرْزَاذَ الّذي [329] كان سَاعِيًا له، وتَجَهَّزَ إلى وَاسِط، وانْحَدَرَ في الماءِ آخِرَ ذي الحِجَّة سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرينَ، وبَعَثَ عَسْكرًا في البرِّ، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى ابنِ البَرِيدِيّ، فسَارَ عن وَاسِطَ إلى البَصْرَة واسْتَوْلَى عليها بحُكْمٍ ومَلَكَها(1).

اسْتيلاءُ ابنِ رَائِقٍ على الشّام

قد تَقَدَّمَ لنا مَسيرُ ابنِ رَائِقٍ إلى دِيَارِ مُضَرَ وثُغُورِ قِنَّسْرِينَ والعَوَاصِم، فلمَّا اسْتَقَرَّ بها حَدَّثَتْه نفسُه بمُلْكِ الشَّام، فسَارَ إلى حِمْص فمَلَكَها، ثم سَارَ إلى دِمَشْقَ وبها بَدْرُ بنُ عبدِ الله الإخْشِيدِيُّ، ويُلَقَّبُ بُدَيْرًا، فمَلَكَها مِن يَدِه، ثم سَارَ إلى الرَّمْلَةِ ومنها إلى عَرِيشِ مِصْرَ يُرِيدُ مُلْكَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّة، ولَقِيَه الإخْشِيدُ محمَّدُ بنُ طُغْج، وانْهَزَمَ أوَّلاً ومَلَكَ أصْحَابُ ابنِ رَائِقٍ خِيَامَه، ثم خَرَجَ كَمِينُ الإخْشِيدِ فانْهَزَمَ ابنُ رَائِقٍ إلى دِمَشْق.

وبَعَثَ الإخْشِيدُ في أثَرِه أخَاهُ أبا نَصْرِ بنَ طُغْج، وسَارَ إليهم ابنُ رَائِقٍ من دِمَشْقَ فهَزَمَهُم وقَتَلَ أبا نَصْر، فكَفَّنَه ابنُ رَائِق وحَمَلَه مَعَ ابْنِ مُزَاحِمٍ إلى أخِيهِ الإخْشِيدِ بمِصر، وكَتَبَ يُعَزِّيه ويَعْتَذِر، فأكْرَمَ الإخْشِيدُ مُزَاحِمًا، واصْطَلَحَ مَعَ أبيه على أن تكونَ مِصرُ للإخْشِيد مِن حَدِّ الرَّمْلَةِ ومَا وَرَاءَها منَ الشَّام لابنِ رَائِق،

(1) الكامل في التاريخ 8: 362.

ويُعْطِي الإخْشِيدُ عنِ الرَّمْلَةِ في كلِّ سَنَةٍ مائةً وأرْبَعِينَ ألف دِينَار[1].

الصَّوائفُ أيَّامَ الرَّاضِي

في سَنَةِ ثِنْتَينِ وعِشْرِينَ سَارَ الدُّمُسْتُقُ قرْقَاش في خَمْسِينَ ألْفا منَ الرُّومِ، ونَازَلَ مَلَطْيَةَ وحَاصَرَها مُدَّةً طَوِيلَةً حتّى فَتَحَها بالأمَان، وبَعَثَهم إلى مأمَنِهم مع بِطْرِيقٍ مِن بَطَارِقَتِه. وتَنَصَّرَ الكَثِيرُ منهم مَحَبَّةً في أهْلِيهم وأمْوالِهم، ثم افتَتَحُوا سُمَيْساط وخَرَّبُوا أعْمَالَها وأفْحَشُوا في القَتْلِ ومَلَكُوا أكْثَرَ البِلاد[2].

وفي سَنَة ثلاثٍ وعشرين بَعَثَ القَائِمُ العَلَوِيُّ أسْطولَه في البَحْر، فَفَتَحُوا بَلَد جَنْوَة، ومَرُّوا بسَرْدَانِيَة فأوْقَعُوا بأهْلِهَا، ثم مَرُّو بقَرْقِيسِيا مِن سَاحِلِ الشَّام فأحْرَقُوا مَرَاكِبَها وعَادُوا سَالِمين[3].

وفي سَنَة سِتٍّ وعِشْرِينَ كان الفِدَاءُ بينَ المُسْلِمِينَ والرُّوم في ذي القَعْدَةِ على يَدِ/ ابنِ وَرْقَاءَ الشَّيْبَانيّ على نَهْرِ البَدَنْدُون في سِتَّةِ آلافٍ وثُلُثِ مائةِ أسِير[4]. [329 ب]

(1) الكامل في التاريخ 8: 363-364.

(2) المصدر نفسه 8: 296.

(3) المصدر نفسه 8: 310.

(4) المصدر نفسه 8: 352.

الولاياتُ أيّامَ الرّاضي والقاهرِ قَبْلَه

قد تقدَّم لنا أنَّه لم يَبْقَ منَ الأعْمالِ في تصْريفِ الخِلافَة لهذا العَهْدِ إلَّا أعْمالَ الأهْوازِ والبَصْرَة ووَاسِطَ والجزيرَة، وذكَرْنا اسْتيلاءَ بني بُوَيْه على فَارِسَ وأصْبَهان، ووَشْمَكيرَ على بِلادِ الجِيل، وابن البَريديِّ على البَصْرَة، وابنِ رَائِق على وَاسِط، وأنَّ عِمادَ الدَّوْلَة ابنَ بُوَيْه على فَارِس، ورُكْنَ الدَّوْلَة أخاه يَتَنازَعُ معَ وَشْمَكِيرَ على أصْبَهانَ وهَمَذانَ وقُمَّ وقَاشَانَ والكَرَج والرَّيِّ وقَزْوين، ثم اسْتَوْلى مُعِزُّ الدَّوْلَة أخُوهُما على الأهْوَازِ وعلى كَرْمان، واسْتَوْلى ابنُ البَرِيدِيِّ على وَاسِط، وسَارَ ابنُ رَائِقٍ إلى الشَّامِ فاسْتَوْلَى عليها.

وفي سَنَةِ ثَلاثٍ وعِشْرينَ قَلَّدَ الرَّاضي ابْنَيْه: أبا جَعْفَرٍ وأبا الفَضْل ناحِيَتَي المَشْرِقِ والمَغْرِب[1].

وفي سَنَةِ إحْدَى وعِشْرينَ وَرَدَ الخَبَرُ بوَفَاة تَكِينَ الخَاصَّة بمِصر، وكان أمِيرًا عليها، ووَلَّى القَاهِرُ مَكانَه ابْنَه محمَّدًا، وثَارَ بهِمُ الجُنْدُ وظَفِرَ بهم[2].

وفيها وَقَعَتِ الفِتْنَةُ بينَ بني تَغْلِبَةَ وبني أسَدٍ ومعَهم طَيِّئ، ورَكِبَ نَاصِرُ الدَّوْلَة الحَسَنُ بنُ عبدِ الله بن حَمْدَانَ ومعَهُ أبو الأغَرِّ بنُ سَعْدِ بن حَمْدَانَ ليُصْلِحَ بينَهم، فوَقَعَت مُلاحَاةٌ قُتِلَ فيها أبو الأغَرِّ على يَدِ رَجُلٍ من تَغْلِبَة، فحَمَلَ عليهم نَاصِرُ الدَّوْلَة واسْتَبَاحَهم واتَّبَعَهُم إلى الحَدِيثَة، فلقِيَهُم يَانِسُ غُلامُ مُؤْنِس وَالِيًا على المَوْصِل، فانْضَمَّ إليه بنو تَغْلِبَة وبنو أسَدٍ وعَادُوا إلى دِيَارِ رَبِيعَة[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 311.

(2) المصدر نفسه 8: 273.

(3) المصدر نفسه 8: 272-273.

وفي سَنَة أربعٍ وعِشرينَ قَلَّدَ الرَّاضِي محمَّدَ بنَ طُغجٍ أعْمالَ مِصر، مُضَافًا إلى ما بيَدِه منَ الشَّام، وعَزَلَ عنها أحمدَ بنَ كَيْغَلَغ(1).

وَفَاةُ الرَّاضِي وبَيْعَةُ المُتَّقِي

وفي سَنَة تِسعٍ وعِشرينَ وثلاثِ مائة تُوفِّي الرَّاضِي أبو العَبَّاس أحْمَدُ بنُ المُقْتَدِر، في رَبِيعٍ الأوَّلِ منها لسَبْعِ سِنِينَ غيرَ شَهْرٍ مِن خِلافَتِه(2).

ولمَّا مَاتَ أحْضَرَ بَجْكَمُ نُدَمَاءَه وجُلَسَاءَه ليَنْتَفِعَ بما عِنْدَهم منَ الحِكْمَة فلم يَفْهَمْ عنهم لعُجْمَتِه، وكان آخِرَ خَلِيفَةٍ خَطَبَ على المِنْبَر، وإنْ خَطَبَ غَيْرُه فنادِرًا، وآخِرَ خَلِيفَةٍ جالَسَ السُّمَّرَ ووَصَلَ [إليه](أ) النُّدَمَاءُ، ودَوْلَتُه آخِرُ دُوَلِ الخُلَفَاءِ/ في تَرْتِيبِ النَّفَقاتِ والجَوَائِزِ والجِرَايَاتِ والخَزائِنِ والمَطَابِخِ والخَدَمِ والحُجَّاب(3).

وكان بَجْكَمُ يَوْمَ وَفَاتِه غَائِبًا بوَاسِطَ حينَ مَلَكَهَا مِن يَدِ ابنِ البَرِيدِيّ، فانْتَظَرَ بالأمورِ وُصُولَ مَرَاسِمِه، فوَرَدَ كِتَابُه مَعَ كاتِبِه أبي عبدِ الله الكُوفِيِّ يَأْمُرُ فيه باجْتِماعِ الوُزَرَاءِ وأصْحَابِ الدَّوَاوِين والقُضَاةِ والعَلَوِيِّينَ والعَبَّاسِيِّينَ ووُجُوهِ البَلَد عندَ الوَزِيرِ أبي القَاسِمِ سُلَيْمَانَ بنِ الحَسَن، ويُشَاوِرُهمُ الكُوفِيُّ فِيمن يُنَصَّبُ للخِلافَة مِمَّن يُرْتَضَى

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 328.

(2) المصدر نفسه 8: 366، وفي أخبار الراضي والمتقي للصُّولي 183: لأربع عشرة ليلة بقيت. وراجع فيه أخباره بين صفحتي 186-285.

(3) المصدر نفسه 8: 367-368.

مَذهَبُه وطَرِيقَتُه. فاجتَمَعُوا وذَكَرُوا إبراهِيمَ بنَ المُقْتَدِرِ، واتَّفَقُوا عليه وأحْضَرُوه مِنَ الغَدِ، وبَايَعُوا له آخِرَ رَبِيعِ الأوَّلِ مِن سَنَةِ تِسْعٍ وعِشْرِين، وعُرِضَت عليه الألْقَابُ فاخْتَارَ المُتَّقِيَ لله، وأقَرَّ سُلَيْمَانَ على وِزَارَتِه كما كَان، والتَّدْبِيرَ كُلَّه للكُوفِيِّ كاتِبِ بَجْكَم، ووَلَّى سَلامَةَ الطُّولُونِيَّ على الحَجْبَة[1].

مَقْتَلُ بَجْكَم

كان أبو عبدِ الله البَرِيدِيُّ بعدَ هَرَبِه إلى البَصْرَةِ من وَاسِطَ أنْفَذَ جَيْشًا إلى المَدَار، فبَعَثَ بَجْكَمُ لِلقَائِهم جَيْشًا مِن وَاسِطَ عليهم تُوزُون، فانْهَزَمُوا، وكَتَبَ تُوزُونُ إلى بَجْكَم يَسْتَمِدُّه، فسَارَ مِن وَاسِطَ إليهم، ثم إنَّ تُوزُونَ انْتَخَبَ له الكَرَّةَ، فظَفِرَ بجَيْشِ ابنِ البَرِيدِيّ، ولَقِيَ بَجْكَمُ خَبَرَهُ في الطَّرِيقِ فسُرَّ بذلك. وذَهَبَ يَتَصَيَّدُ، فبَلَغَ نَهْرَ جُور، وعَثَرَ في طَرِيقِه ببَعْضِ الأكْرَاد فشَرِهَ لغَزْوِهِم، وقَصَدَهم في خَفٍّ مِن أصْحَابِه، وهَرَبُوا بينَ يَدَيْه وهُو يَرْشُقُهم بسِهَامِه، وجَاءَه غُلامٌ منهم مِن خَلْفِه فطَعَنَهُ فقَتَلَه.

واخْتَلَفَ عَسْكَرُه، فمَضَى الدَّيْلَمُ — وكانوا ألفًا وخَمْسَ مائة — إلى ابنِ البَرِيدِيّ، وقد كان عَزَمَ على الهَرَبِ مِنَ البَصْرَةِ فبَعَثَ لقُدُومِهم وضَاعَفَ أرزَاقَهم وأدَرَّها عليهم، وذَهَبَ الأتْرَاكُ إلى وَاسِطَ وأطْلَقُوا تَكِينَكَ مِن مَحْبِسِه ووَلَّوه عليهم. فسَارَ بهم إلى بَغْدَادَ في خِدْمَةِ المُتَّقِي، وكان الوزيرُ أبو الحُسَيْنِ أحمدُ بنُ مَيْمُونٍ مُدَبِّرَ الأمُور، وأخَذَ المُتَّقِي ماكان في دَارِ بَجْكَم مِنَ الأمْوَالِ والدَّوَاوِين، فكانت ألْفَ ألْفٍ ومائتَيْ ألْفِ دِينَار، ومُدَّةُ إمَارَتِه سنتَيْنِ وثمانيةَ أشهر[2].

(1) الكامل في التاريخ 8: 369-368، ومروج الذهب 5: 243-231.

(2) المصدر نفسه 8: 372-371، وذلك في رجب سنة 329هـ (مروج الذهب 5: 243) وكذلك تجارب الأمم 6: 40-38.

إمَارَةُ البَرِيدِيّ ببَغْدَاد، وعَوْدُه إلى وَاسِط

[330 ب] / لمَّا قُتِلَ بَجْكَمُ قَدَّمَ الدَّيْلَمُ عليهم بَكِيسْوارَ(أ) بنَ مَالِكِ بن مُسَافِر، ومُسَافِرٌ هُوَ ابنُ سَلارَ صَاحِبِ الطَّرْمِ الذي مَلَكَ وَلَدُهُ بعدَ ذلكَ أَذْرَبيجان، وقَاتَلَهُمُ الأتْرَاكُ فقتَلُوه، فقَدَّمَ الدَّيْلَمُ عليهم مَكانه كُورتَكِينَ منهم، وقَدَّمَ الأتْرَاكُ عليهم تكِينكَ مَوْلَى بَجْكَم، وانحَدَرَ الدَّيْلَمُ إلى أبي عبدِ الله بنِ البَرِيدِيّ، فقَوِيَ بهم، وأَصْعَدُوا إلى وَاسِط، وأَرْسَلَ المُتَّقِي إليهم مائةً وخَمْسينَ أَلْفَ دِينَار على أنْ يَرْجِعُوا عنها. ثم قَسَمَ في الأتْرَاكِ وفي أجْنَادِ بَغْدَادَ أَرْبَعَ مائةِ أَلْفِ دِينَار مِن مَالِ بَجْكَم، وقَدَّمَ عليهم سَلامَةَ الطُّولُونيَّ، وبَرَزَ بهمُ المُتَّقِي إلى نَهْرِ دِيَالَى آخِرَ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وعِشْرين(1).

وسَارَ ابنُ البَرِيدِيِّ مِن وَاسِطَ، فافْتَرَقَ أتْرَاكُ بَجْكَم ولَحِقَ بعضُهم بابنِ البَرِيدِيّ، وسَارَ آخَرُونَ إلى المَوْصِل، منهم تُوزُونُ وجُخْجُخ(ب)، واخْتَفَى سَلامَةُ الطُّولُونيُّ وأبو عبدِ الله الكُوفيّ.

ودَخَلَ أبو عبدِ الله [ابنُ] البَرِيدِيِّ بَغْدَادَ أوَّلَ رمضان(ج)، ونَزَلَ بالشَّفِيعيّ، ولَقِيَه الوَزِيرُ أبو الحُسَيْن بنُ مَيْمُونٍ والكُتَّابُ والقُضَاةُ وأعْيَانُ النَّاس، وبَعَثَ إليه المُتَّقِي بالتَّهْنِئَةِ والطَّعَام، وكان يُخَاطَبُ بالوَزِير. ثم قَبَضَ على الوَزِير أبي الحُسَيْنِ لشَهرينِ مِن وِزَارَتِه وحَبَسَه بالبَصْرَة، وطَلَبَ مِنَ المُتَّقِي خَمْسَ مائةِ أَلْفِ دِينَار للجُنْد، وهَدَّدَه بما وَقَعَ للمُعْتَزّ والمُسْتَعِينِ والمُهْتَدِي، فبَعَثَ بها إليه، ولم يَلْقَهُ مُدَّةَ مُقَامِه ببَغْدَاد(2).

(أ) في تجارب الأمم بلسوار. (ب) كذا ضبط في ظ. (ج) عند ابن الأثير: ثاني عشر رمضان.

(1) الكامل في التاريخ 8: 372-373.

(2) المصدر نفسه 8: 373.

ولمَّا وَصلَه المالُ من المُتَّقي شَغَبَ الجُنْدُ عليه في طَلَبِه، وجَاءَ الدَّيْلَمُ إلى دارِه وأَحْرَقُوا دَارَ أخيه أبي الحُسَيْن، ثم انْضَمَّ إليهمُ التُّرْكُ وقَصَدُوا دَارَ أبي عبدِ الله، فقطَعَ الجِسْرَ، ووَثَبَ العَامَّةُ على أصْحَابِه، وهَرَبَ هُوَ وأخُوه وابنُه أبو القَاسِم وأَصْحَابُهم، وانْحَدَرُوا إلى وَاسِط، وكان [هَرَبُه](أ) سَلْخَ رَمَضَانَ لأربعةٍ وعِشْرِينَ يَوْمًا مِن قُدُومِه(1).

إمَارَةُ كُورْتَكِينَ الدَّيْلَمِيِّ

ولمَّا هَرَبَ ابنُ البَرِيدِي، اسْتَوْلى كُورْتَكِينُ على الأُمُورِ ببَغْدَاد، ودَخَلَ إلى المُتَّقي فقَلَّدَه إمَارَةَ الأُمَرَاء، وأحْضَرَ عليَّ بنَ عِيسى وأخَاه عبدَ الرَّحْمن فدَبَّرَا الأُمُورَ، ولم يُسَمِّهما بوِزَارَة. واسْتَوْزَرَ أبا إسْحَاقَ محمَّدَ بنَ أحمدَ الإسْكَافيَّ القَرَارِيطِيَّ، ووَلَّى على الحَجْبَة بَدْرًا الجواسنيَّ. ثم قَبَضَ كُورْتَكِينُ على تكينك مُقَدَّمِ الأتْرَاكِ/ خَامِسَ [331أ] شَوَّالٍ وغَرَّقَه، واقْتَتَلَ الأتْرَاكُ والدَّيْلَمُ وقُتِلَ بينهما جَمَاعَةٌ، وانْفَرَدَ كُورْتَكِينُ بالأمْر، وقَبَضَ على الوَزِيرِ أبي إسْحَاقَ القَرَارِيطيِّ لشَهْرٍ ونِصْفٍ من وِزَارَتِه، ووَلَّى مَكَانَه أبا جَعْفَرٍ محمَّدَ بنَ القَاسِمِ الكَرْخيَّ(2).

(أ) إضافة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 374، وتجارب الأمم 6: 42-47.

(2) المصدر نفسه 8: 374-375. وقال المسعودي: أتينا على خَبَر بجكم التركي وما كان من أمره مع الأكراد ... وما كان من البريديين ومُوافَاتهم الحَضْرَة وخروج المتقي عنها في كتابنا المترجم بأخبار الزَّمَان (مروج الذهب 5: 243).

عَوْدُ ابنِ رائِقٍ إلى بَغْداد

قد تَقَدَّمَ لنا أنَّ جَماعَةً مِن أتْراكِ بَجْكَم لمَّا انفَضُّوا عنِ المُتَّقِي وسَارُوا إلى المَوْصِل، ثم سَارُوا منها إلى ابنِ رَائِقٍ بالشَّام، وكان مِن قُوَّادِهم تُوزُون وجَخجَخ ونوشْتِكِينُ وصَيْغُوذ، فأطْمَعُوه في بَغْداد. ثم جاءَته كُتُبُ المُتَّقِي يَسْتَدْعِيه، فسَارَ آخِرَ رَمَضَانَ، واسْتَخْلَفَ بالشَّام أبا الحَسَنِ أحمدَ بنَ عليِّ بن مُقَاتِل، وتَنَحَّى نَاصِرُ الدَّوْلَة ابنُ حَمْدَانَ عن طَرِيقِه، ثم حَمَلَ إليهِ مائةَ ألْفِ دِينَارٍ وصَالَحه، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى أبي عبدِ الله بنِ البَرِيدِيّ، فبَعَثَ إخْوَتَه إلى وَاسِطَ وأخْرَجَ الدَّيْلَمَ عنها وخَطَبُوا له بها، وخَرَجَ كُورْتَكِينُ عن بَغْدادَ إلى عُكْبَرا، فقَاتَلَه ابنُ رَائِق أيَّامًا ثم أسْرَى لَيْلَةَ عَرَفَة، فأصْبَحَ بِبَغْدَادَ منَ الجانبِ الغَرْبِيّ، ولَقِيَ الخَلِيفَةَ ورَكِبَ معَهُ في دِجْلَة، ووَصَلَ كُورْتَكِينُ آخِرَ النَّهار، فرَكِبَ ابنُ رَائِقٍ لقِتَالِه وهُوَ وَجِل، واعْتَزَمَ على العَوْدِ إلى الشَّام، ثم قَاتَلَهُم وبَعَثَ طَائِفَةً مِن عَسْكَرِهِ ليَعْبُرُوا دِجْلَةَ ويَأْتُوا مِن وَرَائِهِم، وصَاحَتِ العَامَّةُ مَعَ ابنِ رَائِق بكُورْتَكِينَ وأصْحَابِه ورَجَمُوهُم، فانْهَزَمُوا، واسْتَأْمَنَ منهم نحوُ أرْبَع مائةٍ فقُتِلُوا وقُتِلَ قُوَّادُهم.

وخَلَعَ المُتَّقِي على ابنِ رَائِقٍ ووَلَّاه أمِيرَ الأُمَرَاء، وعَزَلَ الوَزِيرَ أبا جَعْفَرٍ الكَرْخِيَّ لشَهْرٍ مِن وِلايَتِه، ووَلَّى مَكَانَه أحمدَ الكُوفِيّ، وظَفِرَ بكُورْتَكِينَ فحَبَسَه بدَارِ الخِلافَة[أ][1].

(أ) ح: الخليفة.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 375-377، وتجارب الأمم 6: 50، 52-53.

وِزَارَةُ ابنِ البَرِيدِيِّ، ثُمّ اسْتيلاؤُه على بَغْدَاد وفِرَارُ المُتَّقي إلى المَوْصل

لمَّا استَقَرَّ ابنُ رَائِقٍ في إمَارَةِ الأُمَرَاءِ ببَغْدَاد، أخَّرَ ابنُ البَرِيدِيِّ حَمْلَ المالِ من وَاسِط، فانْحَدَرَ إليه في العَسَاكِرِ في عَاشُورَاءَ مِن سَنَةِ ثلاثِينَ، وهَرَبَ بنو البَرِيدِيِّ إلى البَصْرَة، ثم سَعَى أبو عبدِ الله الكُوفِيُّ بينَهم وبينَ ابنِ رَائِق، وضَمِنُوا وَاسِطَ بستِّ مائةِ ألْفِ دِينَار وبَقَايَاها بمائَتَيْ ألْفٍ، ورَجَعَ ابنُ رَائِقٍ إلى بَغْداد، فشَغَبَ عليهمُ الجُنْدُ/ وفيهم تُوزُون وأصْحَابُه، ثم انْفَضُّوا آخِرَ رَبِيعٍ إلى أبي عبدِ الله بوَاسِط، [331ب] فقَوِيَ بهم وذَهَبَ ابنُ رَائِقٍ إلى مُدَارَاتِه، فكاتَبَه بالوِزَارَة، واستَخْلَفَ عليها أبا عبدِ الله ابنَ شِيرْزَاد، ثم انْتَقَضَ واعْتَزَمَ على المَسِيرِ إلى بَغْداد، فعَزَلَه ابنُ رَائِق عنِ الوِزَارةِ وأعَادَ أبا إسْحَاق القَرَارِيطيَّ، فبَعَثَ أبو عبدِ الله أخَاه أبا الحُسَيْنِ إلى بَغْدَادَ في جَمِيعِ الأَتْرَاكِ والدَّيْلَم. وعَزَمَ ابنُ رَائِقٍ على التَّحَصُّنِ بدَارِ الخِلافَة، ونَصَبَ عليها المَجَانِيقَ والعَرَّادَات، وجَنَّدَ العَامَّةَ، فوَقَعَ الهَرْجُ، وخَرَجَ بالمُتَّقي إلى نَهْرِ دِيَالَى مُنْتَصَفَ جُمَادَى الآخِرَة، ووَافَاهُم أبو الحُسَيْنِ في الماءِ والبَرِّ فهَزَمَهم، ودَخَلَ دَارَ الخِلافَة، وهَرَبَ المُتَّقي وابنُه أبو مَنْصُورٍ وابنُ رَائِقٍ إلى المَوْصِلِ لِسِتَّةِ أشْهُرٍ مِن إمَارَتِه(1).

واختَفَى الوَزِيرُ القَرَارِيطيُّ، ونُهِبَت دَارُ الخِلافَة ودُورُ الحُرَمِ، وعَظُمَ الهَرْجُ، وأُخِذَ كُورْتَكِينُ مِن مَحْبِسِه فأُنْفِذَ إلى وَاسِطَ، وكان آخِرَ العَهْدِ به. ولم يَتَعَرَّضُوا للقَاهِر، وكان مَحْبُوسا، ونَزَلَ أبو الحُسَيْنِ بدَارِ مُؤْنِس، وجَعَلَ تُوزُونُ على الشُّرْطَةِ بالجَانِبِ الشَّرْقِيِّ، ونُوشْتِكِينُ بالجَانِبِ الغَرْبِيِّ، وأخَذَ رَهَائِنَ القُوَّادِ تُوزُون وغَيْرِه،

(1) الكامل في التاريخ 8: 379-380.

وبَعَثَ بِنِسَائِهم وأَوْلادِهم إلى أخِيه عبدِ الله بوَاسِط. وعَظُمَ النَّهْبُ ببَغْدَاد، وتُرِكَتْ دورُهم، وفُرِضَت المكُوسُ في الأسْوَاقِ خمسةَ دَنَانِيرَ على الكُرِّ، فغَلَتِ الأسْعَارُ، وانتَهت إلى ثلاثِ مائة دِينَارٍ الكُرُّ، وجَاءَت مِيرَةٌ منَ الكُوفَةِ وأُخِذَت، فقيل: إنَّها لعَامِلِ الكُوفَة، وأخَذَها عُمَّالُ بَغْدَاد، وكان معَه جَمَاعَةٌ منَ القَرَامِطة، فقَاتَلَهم الأتْرَاكُ وهَزَمُوهُم، فلَحِقوا بأرْضِهم، ووَقَعَتِ الحَرْبُ بينَ العَامَّةِ والدَّيْلَم، فقُتِلَ خَلْقٌ منَ العَامَّة، واخْتَفَى العُمَّالُ لمُطَالَبَةِ الجُنْدِ إيَّاهُم بما لَيسَ في الجِبَايَة، وكُبِسَتِ المَنَازِلُ لَيْلاً، وخَرَجَ الجُنْدُ إلى الطَّوَاحِينِ يَنْهَبُونَ الزَّرْعَ بِسُنْبُلِه عندَ حَصَادِه، وسَاءَت أحْوَالُ بَغْدَادَ وكَثُرَت نِقَماتُ اللهِ فيهم(1).

مَقْتَلُ ابنِ رائِق، ووِلايَةُ ابنِ حَمْدَانَ مكَانَه

كان المُتَّقي قد بَعَثَ إلى نَاصِرِ الدَّوْلَة بنِ حَمْدَانَ بالمَوْصِلِ يَسْتَمِدُّه على ابنِ البَرِيدِيِّ عندَما قَصَدَ بَغْدَاد، فأمَدَّه بعَسْكَرٍ معَ أخِيه سَيْفِ الدَّوْلَة، فلَقِيَه بتَكْرِيتَ مُنْهَزِمًا،/ ورَجَعَ معَهُ إلى المَوْصِل، وخَرَجَ نَاصِرُ الدَّوْلَة عنِ المَوْصِلِ حتَّى حَلَفَ لهُ ابنُ رَائِقٍ واتَّفَقَا، فجَاءَ ونَزَلَ شَرْقِيَّ دِجْلَة، وعَبَرَ إليه أبو مَنْصُورٍ بنُ المُتَّقي وابنُ رَائِقٍ فبَالَغَ في تَكْرِمَتِهما، فلمَّا رَكِبَ ابنُ المُتَّقي قال لابنِ رَائِق: أَقِمْ نَتَحَدَّثْ في رَأْيِنا، فذَهَبَ إلى الاعْتِذَار، وألَحَّ عليه نَاصِرُ الدَّوْلَة، فاسْتَرَابَ بهِ وجَذَبَ يَدَه وقَصَدَ الرُّكُوب، فسَقَطَ، فأمَرَ نَاصِرُ الدَّوْلَة بقَتْلِه وإلْقَائِه في دِجْلَة. [332أ]

(1) الكامل في التاريخ 8: 381-382، وتجارب الأمم 6: 54-58.

وبَعَثَ إلى المُتَّقي بالعُذْرِ فأَحْسَنَ القَبُولَ ورَكِبَ إليه، فوَلَّاه أمِيرَ الأمَرَاءِ ولَقَّبه نَاصِرَ الدَّوْلَة، وذلك مُسْتَهَلَّ شَعْبَانَ مِن سَنَةِ ثلاثين، وخَلَعَ على أخِيهِ أبي الحَسَنِ ولَقَّبه سَيْفَ الدَّوْلَة.

ولمَّا قُتِلَ ابنُ رَائِقٍ سَارَ الإخْشِيدُ مِن مِصْرَ إلى دِمَشْق، وبها محمَّدُ بنُ يَزْدَادَ مِن قِبَلِ ابنِ رَائِق، فاسْتَأمَنَ إليه، ومَلَكَ الإخْشِيدُ دِمَشْقَ وأَقَرَّ ابنَ يَزْدَادَ عليها، ثمَّ نَقَلَه إلى شُرْطَةِ مصر[1].

عَوْدُ المُتَّقي إلى بَغْدَاد، وفِرَارُ [ابنِ][أ] البَرِيديّ

لمَّا اسْتَوْلى أبو الحُسَيْن البَرِيديُّ على بَغْدَادَ وأسَاءَ السِّيرَةَ، كما مَرَّ، امْتَلأتِ القُلُوبُ منه نَفْرَةً، فلمَّا قُتِلَ ابنُ رَائِقٍ أخَذَ الجُنْدُ في الفِرَارِ عنهُ والانْتِقَاضِ عليه، ففَرَّ جُخْجُخُ إلى المُتَّقِي، واعْتَزَمَ تُوزُونُ وأنُوشْتِكِينُ والأتْرَاكُ على كَبْسِ أبي الحُسَيْنِ البَرِيديِّ، وزَحَفَ تُوزُونُ لذلكَ في الدَّيْلَم، فخَالَفَه أنُوشْتِكِينُ في الأتْرَاك، فذَهَبَ تُوزُونُ إلى المَوْصِلِ فقَوِيَ بهِمْ ابنُ حَمْدَانَ والمُتَّقي وانْحَدَرُوا إلى بَغْدَاد، ووَلَّى ابنُ حَمْدَانَ على أعْمَالِ الخَرَاجِ والضِّيَاعِ بدِيَارِ مُضَر، وهي: الرُّهَا وحَرَّانُ، والرَّقَّة، أبا الحَسَن عليَّ بنَ خَلَفِ بن طَيَّاب، وبَعَثَه منَ المَوْصِلِ إليها، وكَانَ عليها مِن قِبَلِ ابنِ رَائِقٍ أبو الحَسَن أحمدُ بنُ عليِّ بن مُقَاتِل، فاقْتَتَلُوا وقُتِلَ ابنُ مُقَاتِل، واسْتَوْلَى ابنُ طَيَّابٍ عليها.

ولمَّا وَصَلَ المُتَّقي وابنُ حَمْدَانَ إلى بَغْدَادَ هَرَبَ أبو الحُسَيْن ابنُ البَرِيدِيِّ منها

(أ) من ح وسقط من ظ.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 382-383، وتجارب الأمم 6: 58-59.

إلى وَاسِط لثَلاثَةِ أَشْهرٍ وعشرينَ يومًا مِن دُخُولِه، واضْطَرَبَتِ العَامَّةُ، وكَثُرَ النَّهبَةُ. ودَخَلَ المُتَّقِي وابنُ حَمْدَانَ في العَسَاكِرِ في شَوَّالٍ مِنَ السَّنة، وأعَادَ أبا إسْحَاقَ القَرَارِيطيَّ إلى الوِزَارَة، ووَلَّى تُوزُونَ على الشُّرْطَة(1).

ثم سَارَ إليهم أبو الحُسَيْنِ البَرِيدِيُّ، فخَرَجَ بنو حَمْدَانَ لِلِقَائِهم، وانْتَهوا إلى / المَدَائِن، فأقَامَ بها نَاصِرُ الدَّوْلَة، وبَعَثَ أخَاهُ سَيْفَ الدَّوْلَة وابنَ عَمِّه أبا عبدِ الله الحُسَيْنَ بنَ سَعِيد بن حَمْدَان، فاقْتَتَلُوا عِدَّةَ أيَّام، وانهَزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَة أوّلاً، ثم أمَدَّهُم نَاصِرُ الدَّوْلَة بالقُوَّادِ الذين كانُوا معَهُ وفيهم تُوزُونُ وجُخْجُخ، وبالأتْرَاكِ، وعَاوَدُوا القِتَالَ فانْهَزَمَ أبو الحُسَيْنِ إلى وَاسِط، وأقْصَرَ سَيْفُ الدَّوْلَة عنِ اتِّبَاعِه لِمَا أصَابَ أصْحَابَه منَ الوَهَنِ والجِرَاح، وعَادَ نَاصِرُ الدَّوْلَة إلى بَغْدَاد مُنْتَصَفَ ذي الحِجَّة، ثم سَارَ سَيْفُ الدَّوْلَة إلى وَاسِط، وهَرَبَ بنو البَرِيدِيِّ عنها إلى البَصْرَةِ فمَلَكَها وأقَامَ بها(2). [332 ب]

اسْتِيلاءُ الدَّيْلَمِ على أذْرَبِيجان

كانت أَذْرَبِيجان بيَدِ دَيْسَمِ بنِ إبراهيمَ الكُرْدِيّ، من أصْحَابِ يُوسُفَ بنِ أبي السَّاج، وكان أبوهُ مِن أصْحَابِ هَارُونَ الشَّارِيِّ منَ الخَوَارِج، ولمَّا قُتِلَ هَارُونُ لَحِقَ بأذْرَبِيجان وتَزَوَّجَ في الأكْرَاد فوُلِدَ له دَيْسَمٌ هذا. وكَبِرَ، فخَدَمَ ابنَ أبي السَّاج، وتَقَدَّمَ عنده إلى أنْ مَلَكَ بَعْدَهم أذْرَبِيجان، وجَاءَ لَشْكَرِي، خَلِيفَةُ وَشْمَكِير، في الجِيلِ سَنَةَ سِتٍّ وعِشْرِينَ وغَلَبَه على أذْرَبِيجان، ثم سَارَ هُوَ إلى وَشْمَكِيرَ وضَمِنَ له طَاعَةً ومَالاً،

(1) الكامل في التاريخ 8: 383-384.

(2) المصدر نفسه 8: 384-385.

واسْتَمَدَّه فأمَدَّهُ بعَسْكَرٍ مِنَ الدَّيْلَم وسَارُوا معَه، فغَلَبَ لشكَري وطَرَدَه ومَلَكَ البِلاد، وكان مُعْظَمُ جيُوشه الأكْرادَ، فتغَلَّبُوا على بَعْضِ قِلاعِه، فاسْتَكْثَرَ مِنَ الدَّيْلَم وفيهم صُعْلُوكُ بنُ محمَّدِ بن مُسَافِر، وعليُّ بنُ الفَضْلِ وغيرُهما، فاسْتَظْهَرَ بهم وانْتَزَعَ مِنَ الأكْرادِ ما تَغَلَّبُوا عليه، وقَبَضَ على جَمَاعَةٍ من رُؤسَائِهم[1].

وكان وَزِيرُه أبو القَاسِم عليُّ بنُ جَعْفَرٍ قدِ ارْتَابَ منهُ، فهَرَبَ إلى الطَّرْمِ وبها محمَّدُ بنُ مُسَافِر، مِن أمَرَاءِ الدَّيْلَم، وقدِ انْتَقَضَ عليه ابْنَاه وَهْشُوذَانَ والمَرْزُبَانُ، واسْتَوْلَيَا على بعضِ قِلاعِه، ثم قَبَضَا على أبيهما محمَّدٍ وانْتَزَعَا أمْوَالَه وذَخَائِرَه وتَرَكَاه في حِصْنِه سَلِيبًا فَرِيدًا، فقَصَدَ عليُّ بنُ جَعْفَرٍ المَرْزُبَانَ وأطْمَعَه في أذْرَبيجان، فقَلَّدَه المَرْزُبَانُ وِزَارَتَه، وكانت نِحْلَتُهما في التَّشَيُّعِ وَاحِدَةً، لأنَّ عليَّ بنَ جَعْفَرٍ كان مِنَ البَاطِنِيَّةِ والمَرْزُبَانُ مِنَ الدَّيْلَم، وهم شِيعَةٌ[2].

وكاتَبَ عليُّ بنُ جَعْفَرٍ أصْحَابَ دَيْسَمٍ واسْتَمَالَهم واسْتَفْسَدَهُم عليه، وخُصُوصًا الدَّيْلَم، ثم الْتَقَوا للحَرْبِ، وجَاءَ الدَّيْلَمُ/ إلى المَرْزُبَانِ واسْتَأمَنَ معَهم كثيرٌ مِنَ [333أ] الأكْراد، وهَرَبَ دَيْسَمٌ في فَلٍّ مِن أصْحَابِه إلى أرْمِينِيَّة، واسْتَجَارَ بحَاجِيقَ بنِ الدَّيْرَاني فأجَارَهُ وأكْرَمَه، ونَدِمَ على ما فَرَّطَ في إبْعَادِ الأكْراد وهُم على مَذْهَبِه في الخَارِجِيَّة.

ومَلَكَ المَرْزُبَانُ أذْرَبيجان واسْتَوْلَى عليها، ثم اسْتَوْحَشَ منهُ عليُّ بنُ جَعْفَرٍ وَزِيرُ دَيْسَمٍ وتَنَكَّرَ له أصْحَابُ المَرْزُبَان، فأطْمَعَه في المَالِ مِن تَوْرِيز[أ] وضَمَّ إليه

(أ) هي تبريز نفسها.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 385-386، وتجارب الأمم 6: 62-64.

(2) المصدر نفسه 8: 386-387.

جُنْدًا وسَارَ إليها، فاشْتَمَلَ على أهْلِها، وأَرَاهُم أنَّ المَرْزُبَانَ يَأْخُذُ أمْوَالَهم وحَمَلَهم على طَاعَةِ دَيْسَمٍ، وقَتْلِ الدَّيْلَمِ الذين عِنْدَهُم مِن جُنْدِ المَرْزُبَانِ، ففَعَلُوا. وجَاءَ دَيْسَمٌ فَمَلَكَهَا، وفَرَّ إليه مَن كان عندَ المَرْزُبَانِ مِنَ الأكْرَادِ، وسَارَ المَرْزُبَانُ إلى تَوْرِيز، ولَقِيَه دَيْسَمٌ بسَاحَتِها فانْهَزَم، وحَاصَرَه المَرْزُبانُ حتَّى اشْتَدَّ عليه الحِصَارُ، واسْتَصْلَحَ أثْنَاءَ ذلك عليَّ بنَ جَعْفَرٍ الوَزِيرَ. ثم خَرَجُوا من تَوْرِيز، ولَحِقَ دَيْسَمٌ بأرْدَبِيلَ[1]، وجَاءَ عليُّ بْنُ جَعْفَرٍ إلى المَرْزُبَانِ. ثم حَاصَرَ المَرْزُبَانُ أرْدَبِيلَ حتَّى نَزَلَ له دَيْسَمٌ عنها على الأمَانِ ومَلَكَها صُلْحًا. ومَلَكَ تَوْرِيز كذلك ووَفَّى له، ثم طَلَبَ دَيْسَمٌ أنْ يَبْعَثَه إلى قَلْعَتِه الطَّرْمِ، فبَعَثَه بأهْلِه ووَلَدِه وأقَامَ هُنَالِكَ[2].

خَبَرُ سَيْفِ الدَّوْلَة بوَاسِط

لمَّا فَرَّ بنُو البَرِيدِيِّ عن وَاسِطَ إلى البَصْرَةِ، ونَزَلَ بها سَيْفُ الدَّوْلَةَ وأرَادَ الانْحِدَارَ خَلْفَهُم لانْتِزَاعِ البَصْرَةِ منهم، واسْتَمَدَّ أخَاهُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ فأمَدَّه بمَالٍ مَعَ أبي عبدِ اللهِ الكُوفيِّ، وكان تُوزُونُ وجُخْجُخُ يَشْتَطَّانِ عليه، فأرَادَ الاسْتِئْثَارَ بالمَالِ، فرَدَّه سَيْفُ الدَّوْلَة مَعَ الكُوفِيِّ إلى أخِيه، وأذِنَ لتُوزُونَ في مَالِ الجَامِدَة، ولجُخْجُخَ

(1) أرْدَبِيل. من أشهر مُدنِ أذْرَبِيجان رآها ياقوتٌ الحموي سنة 617هـ ، وبينها وبين تَبْرِيز سبعة أيَّام (معجم البلدان 1: 145) .

(2) الكامل في التاريخ 8: 387-388.

في مَالِ المَذَارِ. وكان مِن قبْلُ يُزيِّنُ للأتْرَاكِ مُلْكَ الشَّامِ ومصرَ معَهُ فلا يُجِيبونَه.

ثم ثَارُوا عليه في شَعْبَانَ مِن سَنَةِ إحْدَى وثَلاثِينَ، فهَرَبَ من مُعَسْكَرِه ونُهِبَ سَوَادُه وقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِن أَصْحَابِه.

وكان ناصرُ الدَّوْلَةِ لمَّا أخبَرَه أبو عبدِ اللهِ الكُوفيُّ بخبرِ أخِيه مِن واسِطَ، برَزَ ليَسِيرَ إلى الموصِلِ، وركِبَ إليه المُتَّقي /يَسْتَمْهِلُه، فوَقَفَ حتَّى عادَ، وأغَذَّ السَّيْرَ [333 ب] إلى المَوْصِلِ لثلاثَةَ عشَرَ شهرًا مِن إمارتِه، فثَارَ الدَّيْلَمُ والأتْراكُ ونَهَبُوا دارَه، ودَبَّرَ الأمورَ أبو إسْحاقَ القَرارِيطيُّ مِن غيرِ لَقَبِ الوِزارةِ[1].

وعُزِلَ أبو العَبَّاسِ الأصْبهانيُّ لأحدٍ وخمسينَ يومًا مِن وِزارتِه. ثم تَنازَعَ الإمَارَةَ بواسِطَ بعدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ تُوزُونَ وجُخْجُخ، واسْتَقَرَّ الحالُ أن يكونَ تُوزُونُ أميرًا وجُخْجُخ صَاحِبَ الجَيْشِ. ثم طَمِعَ ابنُ البرِيديِّ في وَاسِطَ وأُصْعِدَ إليها، وطَلَبَ من تُوزُونَ أن يُضَمِّنَه إيَّاها، فرَدَّه ردًّا جميلاً. وكانَ قد سارَ جُخْجُخ لمدافعَتِه، فمَرَّ به الرَّسولُ في طريقِه وحادَثَه طويلاً، وسعَى إلى تُوزُونَ بأنَّه يَلْحَقُ بابْنِ البريديِّ فأسْرَى إليه وكبَسَه منتصَفَ رَمَضَانَ[2]، فقَبَضَ عليه وجاءَ به إلى واسِطَ فسَمَلَه[3].

وبَلَغ الخَبَرُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وقد كان لَحِقَ بأخِيه، فعادَ إلى بَغْدَادَ مُنْتَصَفَ رَمضَانَ، وطَلَبَ المالَ مِنَ المتَّقي لمدافعةِ تُوزُونَ، فبَعَثَ إليه أربعَ مَائةِ ألفِ

(1) الكامل في التاريخ 8: 396-397، نهاية الأرب 23: 168-169.

(2) عند ابن الأثير : ليلة الثاني عشر من رمضان .

(3) الكامل في التاريخ 8: 397-398.

دِرْهمٍ وفرَّقها في أصحابه وظَهَر له مَن كان مُستَخْفِيًا ببَغْداذ. وجاءَ تُوزُونُ من واسِطَ بعدَ أن خلَّف بها كَيْغَلَغ، فلمَّا أحَسَّ بهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ رحَلَ فيمَنِ انضَمَّ إليه مِن أجنادِ بغداذَ، وفيهم الحَسَنُ بنُ هارونَ، وسار إلى المَوْصِلِ، ولم يعاوِدْ بنو حَمْدانَ بعدَها بغداذَ[1].

إمَارَةُ تُوزُونَ، ثُمَّ وَحْشَتُه مع المُتَّقي

ولمَّا سارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ عن بَغْداذَ، دَخَلَها تُوزُونُ آخِرَ رَمَضانَ سنةَ إحْدَى وثلاثينَ، فولَّاه المُتَّقي أميرَ الأُمراءِ، وجَعَلَ النَّظَرَ في الوِزارةِ لأبي جَعْفَرٍ الكَرْخِيِّ، كما كان للكوفيِّ.

ولَمَّا سار سُودُونُ عن واسِطَ خالَفَه إليها البريديُّ فملَكَها، ثم انحَدَرَ سُودُونُ أوَّلَ ذي القَعْدةِ لقَتْلِ البريديِّ، وقد كان يُوسُفُ بنُ وَجِيهٍ صاحِبُ عُمانَ سار في المراكِبِ إلى البَصْرَةِ، وحارَبَ بني البَرِيديِّ حتَّى أشْرَفُوا على الهلاكِ. ثم احترقَتْ مَراكِبُ عُمانَ بحِيلةٍ دبَّرَها بعضُ الملاَّحِينَ، ونُهِبَ منها مالٌ عظيمٌ. ورَجَعَ يُوسُفُ بنُ وجيهٍ مَهْزومًا في المحرَّمِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ، وهرَبَ في هذه الفِتْنَةِ أبو/ [334] جَعْفَرٍ بْنُ شِيرْزَاذَ ولَحِق بتُوزُونَ فاشْتَمَلَ عليه.

وكان تُوزُونُ عندَ إصْعادِه مِن بغداذَ اسْتَخْلَفَ مكانَه محمدَ بنَ يَنالَ التَّرْجُمانَ. ثم تنَكَّرَ له، فارْتابَ محمَّدٌ، وارْتابَ الوَزِيرُ أبو الحسَيْنِ بنُ مُقْلَةَ بمكانِ ابنِ

(1) الكامل في التاريخ 8: 398، تجارب الأمم 6: 70-72.

شِيْرزادَ من تُوزُونَ، وخافا غائِلَتَه وخوَّفا المُتَّقِيَ كذلك، وأوْهَماهُ أنَّ البَرِيديَّ ضَمِنَه مِن تُوزُونَ بخمسِمائةِ ألفِ دِينارٍ التي أخَذَها مِن تَرِكَةِ بَجْكَم، وأنّ ابْنَ شيْرَزادَ جاء عنِ البَرِيديِّ ليَخْلَعَه ويَتَسلَّمَه، فانزَعَج لذلك وعزَمَ على المسيرِ إلى ابْنِ حَمْدَانَ، وكتَبُوا إليه أن يُنفِذَ عَسْكرًا يَسِيرُ صُحْبَتَه[1].

مَسِيرُ المُتَّقي إلى المَوْصِلِ

ولمَّا تَمَّتْ سِعايَةُ ابْنِ مُقْلَةَ وابْنِ يَنَالَ بتُوزُونَ معَ المُتَّقي، اتَّفَقَ وُصولُ ابنِ شِيْرزادَ إلى بَغْدادَ أوَّلَ ثِنْتَيْنِ وثلاثينَ[2] في ثلاثِ مائةِ فارِسٍ، وأقام بدَسْتِ الأمرِ والنَّهْيِ لا يُعَرِّجُ على المُتَّقي في شيءٍ. وكان المُتَّقي قد طَلَبَ مِن ناصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدانَ عَسْكرًا يَصْحَبُه إلى المَوْصِلِ، فبعَثَهم مع ابْنِ عَمِّه أبي عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدانَ، فلمَّا وَصَلُوا بغدادَ اخْتَفَى ابْنُ شِيْرَزادَ، وخَرَجَ المُتَّقي إليهم في حُرَمِه ووَلَدِه، ومعَهُ وَزيرُه وأعْيانُ دَوْلَتِه مثلَ: سلامةَ الطُّولونيِّ، وأبي زكريَّا يَحْيَى بْنِ سعيدٍ السُّوسيِّ، وأبي محمدٍ الماذَرائي[أ]، وأبي إسْحاقَ القَرارِيطيِّ، وأبي عَبْدِ اللهِ المُوسَوِيِّ، وثابتِ بْنِ سِنانِ بْنِ ثابتِ بْنِ قُرَّةَ الطَّبِيبِ، وأبي نَصْرِ بنِ محمدِ بْنِ يَنالَ التُّرْجُمانِ[3].

(أ) في الكامل 8: 406 المارداني.

---

(1) الكامل في التاريخ لابن الأثير 8: 400-401؛ تجارب الأمم 6: 76-78، 79؛ نهاية الأرب 23: 171-172.
(2) عند ابن الأثير : خامس المحرّم .
(3) الكامل في التاريخ 8: 406.

وسَارُوا إلى تَكْرِيتَ، وظَهَرَ ابْنُ شِيْرَزادَ في بَغْدادَ، وظَلَمَ النَّاسَ وصادَرَهم وبعَثَ إلى تُوزُونَ في واسِطَ بخَبَرِ المتَّقي، فعَقَدَ ضَمانَ واسِطَ على ابْنِ البَرِيديّ، وزوَّجَه ابْنَتَه، وسار إلى بَغْدادَ. وجَاءَ سَيْفُ الدَّولةِ إلى المُتَّقي بتَكْرِيتَ. ثُم بعَثَ المُتَّقي إلى ناصِرِ الدَّوْلَةِ يَسْتَحِثُّه، فوَصَلَ إليه في ربيعٍ الآخِرِ، ورَكِبَ المُتَّقي للقائِه، ثم بعَثَ المُتَّقي إلى المَوْصِلِ، وأقَامَ هُوَ بتَكْرِيتَ. وسَارَ تُوزُونُ لحربِه، فقَدِمَ إليه أخوهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ فاقْتَتَلُوا ثلاثةَ أيَّامٍ، ثم انهـزَمَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ، وغَنِمَ تُـوزُونُ والأعرابُ سَوادَهُ وسَوادَ أخِيه، ولَحِقُوا بالمَوْصِلِ وتُوزُونُ في اتِّباعِهم. ثم ساروا عنها ومعَهمُ المُتَّقي إلى نَصِيبِينَ،/ ودخل تُوزُونُ المَوْصِلَ ولَحِقَ المُتَّقي بالرَّقَّةِ، وراسَلَ تُوزُونَ بأنَّ [334ب] وَحْشَتَه لأجْلِ ابْنِ البَرِيديّ، وأنَّ رِضَاهُ في إصْلاحِ بَني حَمْدانَ، فصالَحَها تُوزُونُ وعَقَدَ الضَّمَانَ لناصِرِ الدَّوْلَةِ على ما بيَدِه منَ البلادِ لثَلاثِ سنينَ بثَلاثةِ آلافِ ألْفٍ وستِّ مائةِ ألْفِ درهمٍ لكلِّ سنةٍ، وعاد تُوزُونُ إلى بَغْدادَ، وأقام المُتَّقي وبنو حَمْدانَ بالرَّقَّةِ(1).

مَسِيرُ ابْنِ بُوَيْه إلى واسِطَ، وعَوْدُهُ عنها، ثُـمَّ اسْتيلاؤُه عليها

كان مُعِزُّ الدَّولةِ بْنُ بُوَيْه بالأهْوازِ، وكان ابْنُ البَرِيديِّ يُطْمِعُه في كلِّ وَقتٍ بمُلْكِ العراقِ، وكان قد وعَدَه أن يُمِدَّه علَى واسِطَ. فلما أُصْعِدَ تُوزُونُ إلى المَوْصِلِ

(1) الكامل في التاريخ 8: 407-408، وفيه : "وأقام المُتَّقي عند بني حَمْدان بالمَوْصِل، ثم سارُوا عنها إلى الرَّقَّة فأقاموا بها"؛ نهاية الأرب 23: 173-174.

خالَفه مُعِزُّ الدَّوْلَة إلى واسِطَ، وأخْلَفَ ابنُ البَرِيديّ وَعْدَه في المَدَدِ. وعاد تُوزُونُ من المَوْصِلِ إلى بَغْدادَ، وانْحَدَرَ منها لِلقاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مُنْتَصَفَ ذي قَعْدَةٍ من سنةِ ثِنْتَيْنِ وثَلاثِينَ، واقْتَتَلُوا بِقِبابِ حميدٍ بِضْعَةَ عَشَرَ يومًا. ثم تأخَّر تُوزُونُ إلى نهرِ دَيالَى[1] فعَبَرَه ومَنَعَ الدَّيْلَمَ مِن عُبُورِه بِمَن كان مَعَه مِنَ المقاتِلَةِ في الماء، وذَهَبَ ابْنُ بُوَيْه لِيَصْعَدَ ويَتَمَكَّنَ مِنَ الماء، فبَعَثَ تُوزُونُ بعضَ أصْحابِه فعَبَرُوا دَيالَى وكَمَنُوا له، حتَّى إذا صار مُصْعِدًا خَرَجُوا عليه على غَيْرِ أُهْبَةٍ، فانهزَمَ هُوَ ووَزِيرُه الصَّيْمَرِيُّ، وأُسِرَ منهم أربعةَ عَشَرَ قائدًا، واسْتأْمَنَ كثيرٌ مِنَ الدَّيْلَمِ إلى تُوزُون، ولَحِقَ ابْنُ بُوَيْه والصَّيْمَرِيُّ بالسُّوسِ، ثم عاد إلى وَاسِطَ ثانيةً فَمَلَكَها، ولَحِقَ أصْحابُ بني البَرِيديِّ بالبَصْرَةِ[2].

قَتْلُ ابنِ البَرِيديّ أخاهُ ثُمَّ وَفاتُه

كان أبو عَبْدِ اللهِ بْنُ البَرِيديِّ قدِ اسْتَهْلَكَ أمْوالَه في هذه النَّوائبِ التي تَنُوبُه، واسْتَقْرَضَ مِن أخِيه أبي يُوسُفَ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ، وكان أَثْرَى منهُ ومالَ الجندُ إليه لِثَرْوَتِه. وكان يَعِيبُ على أخِيه تَبْذِيرَهُ وسُوءَ تَدْبِيرِه. ثم نُمِيَ إليه أنَّه يُرِيدُ المَكْرَ به والاسْتِبْدادَ بالأمْرِ. وتَنَكَّرَ كلٌّ واحدٍ منهما للآخَرِ، ثم أَكْمَنَ أبو عَبْدِ اللهِ غِلْمانَه في طريقِ أبي يُوسُفَ إلى دارِه فقَتَلُوه، وشَغَبَ الجندُ لذلِكَ فأراهُم شِلْوَه فافْتَرَقُوا،

(1) دَيالَى: نهرٌ كبيرٌ بقُرْب بغداد، وهو نهرُ بَعْقُوبا الأعْظَم والحَدُّ بين طريق خُرَاسَان والخَالِصِ (معجم البلدان 2: 495).

(2) الكامل في التاريخ 8: 408-409.

ودخَلَ دارَ أخِيه وأخَذَ ما فيها منَ الأمْوالِ، وجَوْهَرًا نَفِيسًا كان باعَه له بخَمْسِينَ ألْفَ دِرْهَمٍ، وكان أصْلُه لبَجْكَمَ/ [335أ] وَهَبَه لبِنْتِه حينَ زَوَّجَها له، وأخَذَهُ بَجْكَمُ مِن دارِ الخلافةِ، فاحْتاجَ إليه أبو عَبْدِ اللهِ فباعَه له وبَخَسَه أبو يُوسُفَ في قِيمَتِه، وكان ذلك مِن دَواعِي العَداوةِ بينَهما(1).

ثم هَلَكَ أبو عَبْدِ اللهِ بَعْدَ مَهْلِكِ أخِيه بثمانيةِ أشْهُرٍ، وقامَ بالأمْرِ بعدَه بالبَصْرَةِ أخُوهُما أبو الحَسَنِ، فأساءَ السِّيرةَ في الجُنْدِ فثارُوا به ليَقْتُلُوه، فهَرَبَ منهم إلى هَجَرَ مُسْتَجِيرًا بالقَرامِطَةِ، وولَّوْا عليهم بالبَصْرَةِ أبا القاسمِ ابنَ أخِيه أبي عَبْدِ اللهِ، وأمَدَّ أبو طاهرٍ القَرْمَطِيُّ أبا الحَسَنِ، وبعَثَ معَهُ أخَوَيْه لحصارِ البَصْرَةِ فامْتَنَعَتْ عليهم، وأصْلَحوا بينَ أبي القاسِمِ وعَمِّه، ودَخَلَ البَصْرَةَ وسار منها إلى تُوزُونَ ببغْدادَ.

ثم أطْمَعَ يانِسَ، مَوْلَى أبي عَبْدِ الله، في الرِّياسةِ وداخَلَ بَعْضَ قُوَّادِ الدَّيْلَمِ في الثَّوْرَةِ بأبي القاسِمِ. واجْتَمَعَ الدَّيْلَمُ إلى القائدِ، وبعَثَ أبو القاسمِ إليه يانِسَ، فهَمَّ به لينفَرِدَ بالأمْرِ، فهَرَب يانِسُ واخْتَفَى وتَفَرَّقَ الدَّيْلَمُ واخْتَفَى القائِدُ. ثم قَبَضَ عليه ونَفاه، وقَبَضَ على يانِسَ بعدَ أيامٍ، وصادَرَه على مائةِ ألْفِ دينارٍ وقَتَلَه(2).

ولمَّا قَدِمَ أبو الحَسَنِ البَرِيدِيُّ إلى بَغْدادَ مُسْتأمِنًا إلى تُوزُونَ في ربيعٍ سنةَ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ فأمَّنَه وطَلَبَ الإمْدادَ على ابنِ أخِيه، وضَمِنَ في ذلك أمْوالاً. ثم بعَثَ ابنَ أخِيه منَ البَصْرَةِ بالأمْوال، فأقَرُّوهُ على عَمَلِه، وشَعَرَ أبو الحَسَن، بذلك فسَعَى عندَ تُوزُونَ في ابنِ شِيرَزادَ إلى أنْ قُبِضَ عليه وضُرِبَ.

(1) الكامل في التاريخ 8: 409-410؛ نهاية الأرب 23: 174-175.

(2) المصدر نفسه 8: 410-411؛ تجارب الأمم 6: 84-85؛ نهاية الأرب 23: 175-176.

واسْتَظْهَرَ أبو عَبْدِ اللهِ بنُ أبي مُوسَى الهاشميُّ بفتاوَى الفُقهاءِ والقُضاةِ بإباحَةِ دَمِ أبي الحسَيْن، كان عندَه مِن أيَّام ناصِرِ الدَّوْلَةِ، وأُحْضِروا بدارِ المُتَّقي، وسُئِلوا عن فتاويهم، فاعْتَرفوا بأنَّهم أفْتَوْا بها، فقُتِلَ وصُلِبَ، ثُم أُحْرِقَ ونُهِبَتْ دارُه. وذلك مُنْتَصَفَ ذي الحِجَّةِ مِنَ السَّنةِ، وكان هذا آخِرَ أمْرِ البَرِيديّين [1].

الصَّوائفُ أيَّامَ المُتَّقي

خرجَ الرُّومُ سنةَ ثلاثِينَ أيَّامَ المُتَّقي وانتَهَوْا إلى قُرْبِ حلَبَ، فعَاثُوا في البلادِ، وبَلَغَ سَبْيُهم خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفًا.

وفيها دَخَلَ الثَّمْلِيُّ مِن ناحيةِ طَرَسُوسَ، فعَاثَ في بلادِ الرُّومِ وامْتَلأتْ أيْدِي عَسْكَرِه منَ الغنائمِ،/ وأُسِرَ عِدَّةٌ مِن بَطارِقَتِهم [2]. [335 ب

وفي سنة إحْدَى وثلاثِينَ بعَثَ مَلِكُ الرُّومِ إلى المُتَّقي يَطْلُبُ منه مِنْدِيلاً في بِيعَةِ الرُّها زَعَمُوا أنَّ المَسِيحَ مَسَحَ به وَجْهَه، فارْتَسَمَتْ فيه صُورتُه، وأنَّه يُطْلِقُ فيه عددًا كثيرًا مِن أسْرَى المسلِمِينَ. واخْتَلَفَ القُضاةُ والفُقهاءُ في إسْعافِه بذلكَ، وفيه غَضَاضَةٌ أو مَنَعَةٌ فيَبْقَى المسلِمُونَ بحالِ الأسْرِ. وأشارَ عليُّ بنُ عِيسَى بإسْعافِه لخلاصِ المسلمينَ، فأمَرَ المُتَّقي بتَسْلِيمِه إليهم، وبعَثَ إلى [أ] مَلِكِ الرُّومِ مَن يَتَسَلَّمُ الأسْرَى [3].

(أ) سقط من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 442.

(2) المصدر نفسه 8: 392.

(3) المصدر نفسه 8: 405؛ نهاية الأرب 23: 172-173.

وفي سنة ثِنْتَيْنِ وثلاثِينَ خَرَجَتْ طوائفُ مِنَ الرُّوسِ في البَحْرِ إلى نَواحِي أَذْرَبِيجان ودَخَلُوا في نَهْرِ اللُّكْزِ[ا] إلى بَرْدَعَة، وبِها نائِبُ المَرْزُبانِ بْنِ محمدِ بْنِ مُسافِرٍ مَلِكُ الدَّيْلَمِ بأَذْرَبِيجان، فخَرَجَ في جُموعِ الدَّيْلَم والمُطَّوِّعَةِ، وقاتَلُوهم فهَزَمَهُمُ الرُّوسُ ومَلَكُوا البَلَدَ، وجاءتِ العَساكِرُ الإسْلامِيَّةُ مِن كلِّ ناحيةٍ لِقِتالِهِم فامْتَنَعُوا بها، ورَماهُم بعضُ العامَّةِ بالحجارةِ فأخْرَجُوهم مِنَ البَلَدِ وقَتَلُوا مَن بَقِي، وغَنِموا أمْوالَهم واسْتَعْبَدُوا أَوْلادَهم ونِساءَهم[1].

واسْتَنْفَرَ المَرْزُبانُ النَّاسَ، وزَحَفَ إليهم في ثَلاثِينَ أَلْفًا، وقاتَلَهم وامْتَنَعُوا عليه، فأكْمَنَ لهم بَعْضَ الأيَّامِ فهَزَمَهُم وقَتَلَ أَمِيرَهم، ولَجَأَ الباقُونَ إلى حِصْنِ البَلَدِ، وحاصَرَهُمُ المَرْزُبانُ وصابَرَهم.

ثم جاءَه الخبرُ بأنَّ أبا عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنَ بْنَ سعيدِ بنِ حَمْدانَ بلَغَ سَلْماسَ مُتوجِّهًا إلى أَذْرَبِيجان، بَعَثَه إلَيْها ابنُ عَمِّه ناصِرُ الدَّوْلَةِ لِيَتَمَلَّكَها، فجَهَّزَ عَسْكَرًا لحصارِ الرُّوسِ في بَرْدَعَة، وسارَ إلى قتالِ ابْنِ حَمْدانَ، فارْتَحَل ابْنُ حَمْدانَ راجِعًا إلى ابْنِ عَمِّه باسْتدعائِه بالانْحِدارِ إلى بَغْدادَ لَمَّا ماتَ تُوزُونُ، وأقامَ العَسْكَرُ على حِصارِ الرُّوسِ بَبَرْدَعَةَ، حتى هَرَبُوا من البَلَدِ وحَمَلُوا ما قَدَرُوا عليه، وطَهَّرَ اللهُ البَلَدَ منهم[2].

وفيها مَلَكَ الرُّومُ رأسَ عَيْنٍ[3] واسْتباحُوها ثَلاثًا، وقاتَلَهُمُ الأعْرابُ ففارَقُوها وكانُوا معَ الدُّمُسْتُقِ في ثَلاثِين أَلْفًا[4].

(ا) من ح، وفي الكامل: نهر الكر.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 412-413.

(2) المصدر نفسه 8: 414-415.

(3) رَأسُ عَيْن (رأسُ العَيْن) مَدِينةٌ كبيرةٌ من مُدُنِ الجَزِيرَة بين حَرَّان ونَصِيبِين ودُنَيْسِر وهي إلى دُنَيْسِر أقرب (معجم البلدان 3: 13-14).

(4) المصدر نفسه 8: 417 (في رَبِيعٍ الأوَّل).

الوِلاياتُ أيّامَ المُتَّقي

قد تقدَّمَ لنا أنه لم يَكُنْ بَقِيَ في تَصْرِيفِ الخَلِيفَةِ إلَّا أعْمالُ الأهْوازِ والبَصْرةِ وواسِطَ والجَزِيرَةِ، فاسْتقرَّتِ/ الجَزِيرَةُ والمَوْصِلُ لبني حَمْدانَ. واسْتَوْلَى مُعِزُّ الدَّولةِ [1336] على الأهْوازِ ثُم على واسِطَ، وبَقِيَتِ البَصْرةُ بيدِ أبي عَبْدِ اللهِ بْنِ البَرِيديّ، واسْتَوْلَى على بَغْدادَ مَعَ المُتَّقي بَجْكَمُ، ثم ابْنُ البَرِيديّ، ثم تُوزِتَكِينُ الدَّيْلَمِيُّ، ثم ابْنُ رائِقٍ ثانيةً، ثُم ابْنُ البَرِيديِّ ثانيةً، ثم ابْنُ حَمْدانَ، ثُم تُوزُونُ، يَخْتَلِفُونَ على المُتَّقي واحدًا بعدَ آخَرَ، وهُوَ مُغَلَّبٌ لهم، والحَلُّ والعَقْدُ والإبْرامُ والنَّقْضُ بأيْدِيهم، ووَزِيرُ الخَلِيفَةِ عاطِلٌ مِن عَمَلِه مُتَصَرِّفٌ تحتَ أحْكامِهم. وآخِرُ مَن دَبَّرَ الأمُورَ أبُو عَبْدِ اللهِ الكُوفيُّ كاتِبُ تُوزُونَ، وكان قَبْلَه كاتِبُ ابْنِ رائِقٍ، وكان على الحِجْبَةِ بَدْرٌ الخَرْشَني، فعُزِلَ عنها سنةَ ثَلاثِينَ وجُعِلَ مَكانَه سَلامةُ الطُّولونيُّ، ووَلِي بَدْرٌ طريقَ الفُراتِ ففَزِعَ إلى الإخْشِيدِ واسْتأمَنَ إليه، فوَلَّاهُ دِمَشْقَ[1].

وكان مِنَ المُسْتَبِدِّينَ في النَّواحي يُوسُفُ بنُ وَجِيهٍ، *في عُمانَ، فثارَ عليه سنةَ ثِنْتَيْنِ وثَلاثِينَ غُلامُه نافِعٌ، ومَلَكَ البَلَدَ مِن يَدِه*[أ].

وكان صاحِبُ الشُّرْطةِ ببغْدادَ أبا العَبَّاسِ الدَّيْلَمِيَّ[2].

(أ) سقط ما بين النجمين من ص.

(1) الكامل في التاريخ 8: 416.

(2) المصدر نفسه 8: 416.

خَلْعُ المُتَّقي ووِلايةُ المُسْتَكْفي

لم يَزَلِ المُتَّقي عندَ بني حَمْدانَ مِن شَهْرِ رَبيعٍ الآخِرِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثِينَ إلى آخِرِ السَّنةِ، ثم آنَسَ منهمُ الضَّجَرَ منهُ واضْطُرَّ لِمُراجَعَةِ تُوزُونَ، فأرسَلَ إليه الحَسَنَ ابنَ هارونَ وأبا عَبْدِ اللهِ بْنَ أبي مُوسَى الهاشميَّ في الصُّلْحِ، وكَتَبَ إلى الإخْشِيدِ محمدِ بنِ طُغْجٍ صاحِبِ مِصْرَ يَسْتَقْدِمُه، فجاءه وانْتَهَى إلى حَلَبَ وبها أبو عَبْدِ اللهِ بنُ سعيدِ بنِ حَمْدانَ مِن قِبَلِ ابنِ عَمِّه ناصِرِ الدَّوْلَةِ، فارْتَحَلَ عنها، وتَخَلَّفَ عنهُ ابنُ مُقاتِلٍ، وقد كان صادَرَهُ ناصِرُ الدَّوْلَةِ على خَمْسِينَ ألْفَ دينارٍ، فاسْتَقْدَمَ الإخْشِيدَ ووَلَّاه خَراجَ مِصْرَ.

وسارَ الإخْشِيدُ مِن حَلَبَ، ولَقِيَ المُتَّقِيَ بالرَّقَّةِ وأهْدَى إليه وإلى الوَزيرِ أبي الحَسَنِ بنِ مُقْلَةَ وسائِرِ الحاشيةِ، واجْتَهَدَ به أن يَسِيرَ معَهُ إلى مِصْرَ لِيُقِيمَ خلافَتَه هناكَ، فأبَى، فَخَوَّفَه مِن تُوزُونَ فلم يَقْبَلْ[1].

وأشارَ على ابنِ مُقْلَةَ أن يَسِيرَ معَهُ إلى مِصْرَ فيُحَكِّمَه في البلادِ فأبَى، [336 ب] وكانوا يَنْتَظِرُونَ عَوْدَ رُسُلِهم مِن تُوزُونَ، فبَعَثُوا إليهم بيَمِينِ/ تُوزُونَ والوَزيرِ ابنِ شِيرْزادَ بمَحْضَرِ القُضاةِ والعُدُولِ والعَبَّاسِيِّينَ والعَلَوِيِّينَ وغَيْرِهم مِن طَبَقاتِ النَّاسِ.

(1) الكامل في التاريخ 8: 418، ومروج الذهب 5: 232-233، تجارب الأمم 6: 100-101، ونهاية الأرب 23: 176-177، وراجع أخبار المستكفي في المروج 5: 244-258.

وجاء الكُتّابُ بخُطوطِهم بذلكَ وبتأكيدِ اليَمِين، ففارَقَ المُتَّقي الإخْشِيدَ وانْحَدَرَ مِنَ الرَّقَّةِ في الفُراتِ آخِرَ المحرَّمِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثِينَ، ولَقِيَه تُوزُونُ بِهِيتَ فقَبَّلَ الأرْضَ وقال: وقد وَفَّيْتُ بيَمِيني، ووَكَّلَ بهِ وبأصْحابِه، وأنْزَلَه في خَيْمَتِه، ثم سَمَلَه لثلاثِ سِنِينَ ونِصْفٍ من خِلافَتِه[1].

وأُحْضِرَ أبو القاسِمِ عَبْدُ اللهِ بنُ المُكْتَفِي، فبايَعَه النَّاسُ على طَبَقاتِهم ولُقِّبَ المُسْتَكْفِيَ، وجِيءَ بالمُتَّقي فبايَعَه وأُخِذَتْ منه البُرْدَةُ والقَضِيبُ. واسْتَوْزَرَ أبا الفَرَجِ محمدَ بنَ عليٍّ السامِرِيَّ، فكان له اسْمُ الوِزارَةِ على سَنَنِ مَن قَبْلَه، والأُمُورُ راجِعةٌ لابْنِ شِيرْزادَ كاتِبِ تُوزُون.

ثم خَلَعَ المُسْتَكْفِي على تُوزُونَ، وتَوَجَّه وحَبَسَ المُتَّقِيَ، وطَلَبَ أبا القاسِمِ الفَضْلَ ابْنَ المُقْتَدِرِ الذي لُقِّبَ فيما بعدُ بالمُطِيعِ، فاخْتَفَى سائِرَ أيّامِه وهُدِمَتْ دارُه[2].

وَفَاةُ تُوزُونَ وإمَارَةُ ابنِ شِيرْزاذ

وفي المحرَّمِ مِن سنةِ أرْبَعٍ وثلاثِينَ وثلاثِ مائةٍ مات تُوزُونُ ببغْدادَ لسنَتَيْنِ وخَمْسَةِ أشْهُرٍ من إمارَتِه، وكان ابنُ شِيرْزاذ كاتِبَه أيّامَهُ كلَّها، وبعَثَه قبلَ مَوْتِه

(1) الكامل في التاريخ 8: 418-419؛ نهاية الأرب 23: 177.

(2) المصدر نفسه 8: 421-422؛ ومروج الذهب 5: 234، 245، وأضاف المسعودي: وقد أتينا على أخبار المُتَّقي وما كان في أيّامه من الكوائن والأحداث على الشَّرح والإيضاح في الكتاب الأوسط الذي كتابُنا هذا تالٍ له. مروج الذهب 5: 243.

لاستِخْلاصِ الأمْوالِ من هِيتَ. فلمّا بلَغَه خَبَرُ الوفاةِ عزَمَ على عَقْدِ الإمارةِ لناصِرِ الدَّوْلَةِ بنِ حَمْدانَ، فأبَى الجُنْدُ مِن ذلكَ واضْطَرَبُوا وعَقَدُوا الرِّياسةَ له عليهم، واجْتَمَعُوا عليه وحَلَفُوا، وبعَثَ إلى المُسْتَكْفي ليَحْلِفَ له، فأجابَهُ وحلَفَ بحَضْرَةِ القُضاةِ والعُدُولِ. ودخَلَ إليه ابنُ شِيرْزاذَ، فوَلّاه أميرَ الأمراءِ، وزادَ في الأرْزاقِ زيادةً مُتَّسِعَةً فضاقَتْ عليه الأمْوالُ، فبَعَثَ أبا عَبْدِ الله بنَ أبي مُوسَى الهاشميَّ إلى ابنِ حَمْدانَ بالمَوْصِلِ يُطالِبُه بالمالِ ويَعِدُه بإمْرَةِ الأُمَراءِ، فأنْفَذَ إليه خَمْسَ مائةِ ألْفِ دِرْهَمٍ وطَعامًا، وفرَّقَها في الجُنْدِ فلم تَكْفِ، ففَرَضَ الأمْوالَ على العُمّالِ والكُتّابِ والتُّجّارِ لأرْزاقِ الجُنْدِ، وامْتَدَّتِ الأيْدِي إلى أمْوالِ النّاسِ، وفَشا الظُّلْمُ وظَهَرَ اللُّصُوصُ وكَبَسُوا المنازِلَ، وأخَذَ النّاسُ في الجَلاءِ/ من بغْدادَ. [337أ] ثُمّ اسْتَعْمَلَ على واسِطَ يَنالَ كُوشَه، وعلى تَكْرِيتَ الفَتْحَ اللَّشْكُرِيَّ، فسار إلى ابنِ حَمْدانَ ودعَا له بتَكْرِيتَ فوَلّاهُ عليها مِن قِبَلِه[1].

اسْتِيلاءُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بنِ بُوَيْهِ على بغْدادَ واندِراجُ أحْكامِ الخِلافَةِ في سُلْطانِهِم

قد تَقَدَّمَ لنا اسْتِبْدادُ أهْلِ النَّواحِي على الخَلِيفَةِ منذُ أيّامِ المُتَوَكِّلِ. ولم يَزَلْ نِطاقُ الدَّوْلَةِ العبّاسيَّةِ يتَضايَقُ شيئًا فشيئًا، وأهْلُ النَّواحِي يَسْتَبِدُّونَ واحدًا بعدَ

(1) الكامل في التاريخ 8: 448-449؛ نهاية الأرب 23: 182.

واحدٍ إلى أنْ أحاطُوا ببغْدادَ وصاروا دُوَلاً متعدِّدةً نُفْرِدُ كلَّ واحدٍ منها بالذِّكْرِ وسِياقةِ الخبرِ إلى آخرِها.

وكان مِن أقْربِ المستَبِدِّينَ إلى مَقرِّ الخلافةِ: بنو بُوَيْه بأصْبَهانَ وفارِسَ، ومُعِزُّ الدَّوْلَةِ منهم بالأهْوازِ. وقد تَغَلَّبَ على واسِطَ ثم انتُزِعَتْ منه. وبَنُو حَمْدانَ بالمَوْصِلِ والجزيرةِ، وقد تَغَلَّبُوا على هِيتَ، وصارَتْ تُخُمًا لِمُلْكِهِم[أ]، ولم يَبْقَ للخُلَفاءِ إلا بَغْدادُ وضَواحِيها ما بينَ دِجْلَةَ والفُراتِ، وأُمَراؤُهم معَ ذلك مُسْتَبِدُّونَ عليهم، ويُسَمُّونَ القائِمَ بدَوْلَتِهم أميرَ الأمَراءِ -كما مَرَّ في أخْبارِهم- إلى أنِ انْتَهى ذلك إلى دَوْلَةِ المُسْتَكْفِي، والقائِمُ بها ابنُ شِيرْزاذ.

ووَلِيَ على واسِطَ يَنَال كُوشه كما قُلْنا، فانْحَرَفَ عنِ ابْنِ شِيرْزاذ، وكاتَبَ مُعِزَّ الدَّولةِ، وقام بدَعْوَتِه في واسِطَ، واسْتَدْعاه لِمُلْكِ بغْدادَ. فزَحَفَ في عساكِرِ الدَّيْلَمِ إليها، ولَقِيَه ابْنُ شِيرْزاذ والأتْراكُ فهَزَمَهم وهَرَبُوا إلى ابْنِ حَمْدانَ بالمَوْصِلِ. واخْتَفَى المُسْتَكْفِي، وقَدَّم مُعِزُّ الدَّوْلَةِ كاتِبَه الحَسَنَ ابْنَ محمدٍ المُهَلَّبِيَّ إلى بَغْدادَ، فدَخَلَها وظَهَرَ الخليفةُ، فحَضَرَ عندَه المُهَلَّبِيُّ وجَدَّدَ له البَيْعَةَ عن مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أحْمَدَ بْنِ بُوَيْه، وعن أخَوَيْه عِمادِ الدَّولةِ عليٍّ ورُكْنِ الدَّوْلَةِ الحَسَنِ. ووَلَّاهُم المُسْتَكْفِي على أعْمالِهم ولَقَّبَهم بهذه الألْقابِ ورَسَمَها على سِكَّتِه[1].

(أ) من خ، وفي ظ، ص: يحمى لملكهم.

---

(1) يقارن مع نهاية الأرب 23: 183-184.

ثم جاء مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ ومَلَكَها، وصَرَفَ الخليفةَ في حُكْمِه، واخْتَصَّ باسْمِ السُّلْطانِ، فبَقِيَتْ أخْبارُ الدَّوْلَةِ إنَّما تُؤْثَرُ عنهم، وإن كان منها ما يَخْتَصُّ بالخَلِيفَةِ فقَلِيلٌ. فلهذا صارَتْ/ أخْبَارُ هؤلاءِ الخُلَفاءِ، مُنْذُ المُسْتَكْفي إلى المُقْتَفِي، مُنْدَرِجَةً في [337 ب] أخْبَارِ بني بُوَيْه والسَّلْجُوقِيَّةِ مِن بَعْدِهم لعُطْلِهم منَ التَّصَرُّفِ إلاَّ قليلاً يَخْتَصُّ بالخُلَفاءِ نَحْنُ ذاكِرُوه، ونُرْجِئُ بَقِيَّةَ أخْبارِهم إلى أخْبارِ الدَّيْلَمِ والسَّلْجُوقِيَّةِ الغالِبِينَ على الدَّوْلَةِ عندمَا نُفْرِدُ دَوْلَتَهم بالذِّكْرِ كما شَرَطْناه(أ).

(أ) تركت جميع صفحة 338 أ في نسخة الأصل (ظ) بيضاء.

[338]

/❁ الخَبَرُ عن الخُلَفاءِ من بَني العبّاس المُغلَّبينَ لبَني بُوَيه والسَّلْجُوقيَّة من بَعْدِهم، من لَدُن المُسْتَكْفي إلى المُقْتَفي، وما كان لهم من الأحْوَالِ الخاصَّة بهم ببَغْدادَ ونَواحيها

لمَّا دَخل مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بنُ بُوَيْه إلى بغدادَ غَلَبَ على المُستَكْفي وبَقِي في كَفالَتِه. وكان المُسْتَكْفي في سنةِ ثَلاثٍ وثلاثِينَ قَبْلَها قَبَضَ على كاتِبِه أبي عَبْدِ الله بنِ أبي سُلَيْمانَ، وعلى أخِيه، واسْتَكْتَبَ أبا أحمدَ الفَضْلَ بنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الشِّيرازيَّ في خاصِّ أمْرِه، وكان قَبْلَه كاتِبًا لابْنِ حَمْدانَ، وكان يَكْتُبُ للمُسْتَكْفي قَبْلَ الخِلافَةِ. فلمَّا نُصِبَ للخِلافَةِ قَدِمَ منَ المَوْصِلِ فاسْتَكْتَبَه المُسْتَكْفي (1).

وقَبَضَ المُسْتَكْفي في هذه السَّنةِ على وَزِيرِه أبي الفَرَج [السُّرمرائي](أ) لاثْنَيْنِ وأرْبَعِينَ يومًا مِن وِزارَتِه، وصادَرَه على ثَلاثِ مائةِ ألْفِ دِرْهَمٍ (2). ولمَّا اسْتَوْلَى مُعِزُّ الدَّوْلَةِ على الأمْرِ ببَغْدادَ بَعَثَ أبو القاسِمِ بنُ البَرِيديِّ صاحِبُ البَصْرَةِ، فضَمِنَ واسِطَ وأعْمالَها، وعَقَدَ له عليها.

(أ) تكملة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 446.

(2) المصدر نفسه 8: 447.

خَلْعُ المُسْتَكْفِي وبَيْعَةُ المُطِيع

وأقامَ المُسْتَكْفِي بعدَ اسْتِيلاءِ مُعِزِّ الدَّولةِ على الأمْرِ أشهُرًا قلائِلَ، ثم بلَغ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ أنَّ المُسْتَكْفِيَ يَسْعَى في إقامَةِ غَيْرِه، فتَنَكَّر له ثُم أجْلَسَه في يوم مَشْهودٍ لحضورِ رَسُولٍ مِن صاحِبِ خُراسانَ، وحَضَرَ هُوَ في قَوْمِه وعَشِيرِهِ، وأمَرَ رَجُلَيْنِ من نُقَباءِ الدَّيْلَم جاءا ليُقَبِّلا يَدَ المُسْتَكْفِي، ثم جَذَباه عن سَرِيرِه وساقاه ماشيًا، ورَكِبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وجاء به إلى دارِه فاعْتَقَله بها. واضْطَرب النَّاسُ، وعَظُمَ النَّهْبُ، ونُهِبَتْ دارُ الخِلافةِ، وقُبِضَ على أبي أحمدَ الشِّيرازيِّ كاتِبِ المُسْتَكْفِي، وكان ذلك في جُمادَى الآخِرَةِ لسنةٍ وأرْبَعَةِ أشْهُرٍ من خِلافَتِه[1].

[339أ] ثم بُويِعَ أبو القاسِمِ الفَضْلُ بْنُ المُقْتَدِرِ، وقد/كان المُسْتَكْفِي طَلَبَه حينَ وَلِيَ لإطْلاعِه على شأنِه في طَلَبِ الخلافةِ فلم يَظْفَرْ به واخْتَفَى. ولمَّا جاء مُعِزُّ الدَّوْلَةِ تَحَوَّلَ إلى دارِه واخْتَفَى عندَه، فلمَّا قُبِضَ على المُسْتَكْفِي بُويِعَ له ولُقِّبَ المُطِيعَ لله. وأُحْضِر المُسْتَكْفِي عندَه، فأشْهَدَ على نَفْسِه بالخَلْعِ، وسَلَّمَ عليه بالخِلافَة، ولم يَبْقَ للخَليفةِ مِنَ الأمْرِ شيءٌ البَتَّةَ مُنْذُ أيَّام مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، ونَظَرُ وَزِيرِ الخليفةِ مَقْصورٌ على إقْطاعِه ونَفَقاتِ دارِه، والوِزَارَةُ مَنْسوبَةٌ إلى مُعِزِّ الدَّوْلةِ ومَن بَعْدَهُ يَسْتَوْزِرُونَ لأنفسِهم[2].

(1) الكامل في التاريخ 8: 450-451، تجارب الأمم 6: 116-117، نهاية الأرب 23: 184.

(2) المصدر نفسه 8: 452، والعبارَةُ فيه : "وازْدَادَ أمْرُ الخِلافَة إدْبارًا، ولم يَبْقَ لهم من الأمْر شيءٌ ألبَتَّة، وقد كانوا يُرَاجَعُون ويُؤْخَذُ أمْرُهم فيما يُفْعَل، والحُرْمَةُ قائمَةٌ بعض الشيء. فلمَّا كان أيَّامُ مُعِزِّ الدَّوْلَة زَالَ ذلك جَمِيعُه بحيث أنَّ الخَلِيفَة لم يَبْق له وَزِيرٌ إنَّما كان له كاتِبٌ يُدَبِّرُ إقْطاعَه وإخْراجاته لا غير، وصَارَت=

وكان مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وقَوْمُه من الدَّيْلَمِ شِيعَةً للعَلَوِيَّةِ مُنْذُ إسْلامِهم على يَدِ الأُطْرُوشِ، فلم يَكُونُوا من شِيعَةِ العبَّاسيَّةِ في شيءٍ، ولقد يُقال بأنَّ مُعِزَّ الدَّولةِ اعْتَزَمَ على نَقْلِ الخِلافَةِ منهم إلى العَلَوِيَّةِ، فقال له بَعْضُ أصْحابِه: لا تُولِّ أحدًا يَشْرَكُكَ قَوْمُكَ كُلُّهم في مَحَبَّتِه والاشْتِمالِ عليه، وربما يَصِيرُ لهم دُونَك، فأعْرَضَ عن ذلك وسَلَبَهم الأمْرَ والنَّهْيَ. وتَسَلَّمَ عُمَّالُهُ وجُنْدُه منَ الدَّيْلَمِ وغَيْرِهم أعْمالَ العراقِ وسائِرَ أراضِيه. وصار الخليفةُ إنَّما يَتناوَلُ منه ما يُقْطِعُه مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ومَن بَعْدَه مِمَّا يَسُدُّ بَعْضَ حاجاتِه[1].

نَعَمْ، إنَّهم كانوا يُفْرِدُونَهم بالسَّرِيرِ والمِنْبَرِ والسِّكَّةِ والخَتْمِ على الرَّسائِلِ والصُّكُوكِ والجُلُوس للوَفْدِ، وإجْلالِهم في التَّحِيَّةِ والخِطابِ، وكلُّ ذلك طَوْعُ القائِمِ على الدَّوْلَة، وكان يُفْرَدُ في دَوْلَةِ بني بُوَيْه والسُّلْجُوقِيَّةِ بِلَقَبِ السُّلْطانِ، لا يُشارِكُه فيه أحدٌ، ومَعْنَى المُلْكِ مِن تَصْرِيفِ القُدْرةِ وإظْهارِ الأُبَّهَةِ والعِزِّ حاصِلٌ له دونَ الخَلِيفَةِ وغيرِه، وكأنَّ الخِلافَةَ حاصِلَةٌ للعَبَّاسيِّ المَنْصُوبِ لَفْظًا مَسْلُوبَةٌ عنه مَعْنًى، واللهُ المدبِّرُ للأمُورِ، لا إلهَ غَيْرُه.

=الوزارةُ لمِعزِّ الدَّوْلَة يَسْتَوْزِرُ لالمصدر نفسه من يُريد" ، وقارن كذلك مع مروج الذهب 5: 259، 273، وهو آخر الموجود في مروج الذهب، وراجع أخبار المطيع لله في تجارب الأمم 6: 119-371.

(1) الكامل في التاريخ 8: 452-453.

انْقِلابُ أحْوالِ الدَّوْلةِ بِما تَجَدَّدَ فِي الجِبايَةِ والإِقْطاعِ

لمَّا اسْتَوْلَى مُعِزُّ الدولةِ طَلَبَ الجُنْدُ أرْزاقَهم على عادَتِهم وأكْثَرَ، لِسَبَبِ ما تَجدَّدَ مِنَ الاسْتيلاءِ الذي لم يَكُنْ له، فاضْطَرَّ إلى ضَرْبِ المُكوسِ، وأخَذَ أمْوالَ النَّاسِ مِن غَيْرِ وُجُوهِها، وأقْطَعَ قُوَّادَه وأصْحابَه، مِن أهْلِ عَصَبِيَّتِه وغَيْرِهِمُ المُساهِمِين لهُ في الأمْرِ جَميعَ القُرى التي بجانِبِ السُّلْطانِ، فارْتَفَعَتْ عنها/ [339 ب] أيْدِي العُمَّالِ، وبَطَلَتِ الدَّواوينُ، واخْتَلَفَ حالُ القُرَى في العِمارةِ، فما كان بأيْدِي القُوَّادِ والرُّؤَساءِ حَصَلَ لهم لأهْلِها الرِّفْقُ، فزادَتْ عِمارَتُها وتَوفَّرَ دَخْلُها. ولم يُمكِنْ مُناظَرَتُهم في ذلكَ ولا تَقْرِيرُه عَلَيْهم، وما كان بأيْدِي العامَّةِ والأتْباعِ عَظُمَ خَرابُه لِما كان تَقدَّمَ فيه منَ الغَلاءِ والنَّهْبِ واخْتِلافِ الأيْدِي، وما يَزيدُ الآنَ مِنَ الظُّلْمِ ومُصادَراتِ الرَّعايا والحَيْفِ في الجِبايَةِ، وإهْمالِ النَّظَرِ في تَعْديلِ القَناطِرِ والمَشارِبِ، وقَسْمِ المِياه على الأرَضِين. فإذا خَرِبَتْ قُراهُم رَدُّوها وطَلَبوا العِوَضَ عنها فيُعَوَّضُونَ، ويَصيرُ الآخَرُ منها لِما صارَ إليه الأوَّلُ.

ثم آثَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ قُوَّادَه وأصْحابَه بجِمايَةِ الأقْطاعِ والضِّياعِ وَوُلاتِها، وصارَتِ الجِباياتُ لنَظَرِهِم والتَّعْويلُ في المرتَفِعِ على أخْبارِهِم، فلا يَقْدِرُ أهْلُ الدَّواوِينِ والحِساباتِ على تَحْقيقِ ذلك عليهم. ولم يَقِفْ ذلك عندَ غايةٍ، فبَطَلَتِ الأمْوالُ، وصار جَمْعُها منَ المُكوسِ والظُّلاماتِ.

وعَجَزَ مُعِزُّ الدولةِ عن ذَخيرةٍ يُعِدُّها لنَوائِبِ سُلْطانِه. ثم اسْتَكْثَرَ مِنَ المَوالِي الأتْراكِ لِيَجْدَعَ بهم مِن أُنوفِ قَوْمِه، وفَرَضَ لهمُ الأرزاقَ وزادَ لهم في

الإقْطـاعِ، فعَظُمَتْ غَيْرَةُ قَوْمِه من ذلك، وآلَ الأمْرُ إلى المُنافَرَةِ كما هـو الشَّأنُ في طَبيعةِ الدُّوَلِ[1].

مَسيرُ ابنِ حَمْدانَ إلى بغْدادَ

ولمَّا اسْتَوْلى مُعِزُّ الدَّولةِ على بَغْدادَ وخَلَعَ المُسْتَكْفي، بَلَغَ الخَبَرُ إلى ناصِرِ الدَّوْلَةِ بنِ حَمْدانَ، فشَقَّ ذلك عليه، وسـار مـنَ المَوْصِلِ إلى بغْدادَ، وانْتَهى إلى سامَرَّاءَ في شَعْبانَ سنةَ أرْبعٍ. وكان مُعِزُّ الدَّوْلَةِ حينَ سَمِعَ، قَدَّم عساكرَه مَعَ يَنال كُوشه وقائدٍ آخَرَ، فقُتِلَ القائدُ ولَحِقَ بناصِرِ الدَّولةِ. ثم قَدَّم مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا آخَرَ فوَقَعَتِ الحَرْبُ بينَهم وبينَ ناصِرِ الدَّوْلَةِ بِعُكْبَرا، ثم صار مُعِزُّ الدَّولةِ إلى عُكْبَرا ومعَه المُطِيعُ، ولَحِقَ ابْنُ شِيرْزاذ بناصِرِ الدَّوْلَةِ، وجاء ناصِرُ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ، فأقام بها، وخالَفَه مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى تَكْرِيتَ فنَهَبَها لأنَّها مِن أعْمالِ ناصِرِ الدَّوْلَةِ[2].

ثم عاد مُعِزُّ الدَّولةِ والمُطِيعُ فنزَلُوا بالجانِبِ الغَرْبِيِّ من بَغْدادَ، وقـاتَلُوا ناصِرَ الدَّولةِ بالجانِبِ/ الشَّرْقِيِّ، وتَقَدَّم ناصِرُ الدَّولةِ إلى الأعْرابِ بالجانِبِ الغَرْبِيِّ بِقَطْعِ [340أ] المِيرَةِ عن مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فغَلَتِ الأسْعارُ وعَزَّتِ الأقْواتُ، ومَنَعَ ناصِرُ الدَّوْلَةِ مِن الخُطْبَةِ للمُطِيعِ والمعاملةِ بِسِكَّتِه، ودعا للمُتَّقي، وبَيَّتَ مُعِزَّ الدَّوْلَةِ مِرارًا. وضاقَ الأمْرُ

(1) الكامل في التاريخ 8: 456.

(2) المصدر نفسه 8: 453.

به، واعْتَزَمَ على تَرْكِ بَغْدادَ والعَوْدِ إلى الأهْوازِ[1]. ثم أظهر الرَّحِيلَ ذاتَ لَيْلَةٍ، وأمَرَ وَزِيرَه أبا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ بالعُبورِ في أكْثَرِ العساكِرِ، وأقام بالبَقِيَّةِ مكانَه، وجاء يَنالُ كُوشَه لقِتالِه فانْهَزَم، واضْطَرَبَ عَسْكَرُ ناصِرِ الدَّولةِ وأجْفَلُوا، وغَنِمَ الدَّيْلَمُ أمْوالَهم وظَهْرَهُم.

ثم أمَّنَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ النَّاسَ، وعاد المُطِيعُ إلى دارِه في مُحرَّمِ سنةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ، ورَجَعَ ناصِرُ الدَّوْلَةِ إلى عُكْبَرا ورَاسَلَ مُعِزَّ الدولةِ في الصُّلْحِ ولم يُطْلِعْ مَن كان معَه منَ الأتْراكِ التُّوزُونِيَّة عليه، فلمَّا شَعَرُوا به نَكِروا عليه وهَمُّوا بقَتْلِه، فأسْرَى هارِبًا ومعَهُ ابْنُ شِيرَزاذَ، وعَبَرَ إلى الجانِبِ الغَرْبِيِّ. ثم لَحِق بالقَرامِطَةِ فأجَارُوه وبَعَثُوه إلى المَوْصِلِ، ثم اسْتَقَرَّ الصُّلْحُ بَيْنَه وبينَ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ كما طَلَبَ[2].

ولمَّا فَرَّ عنِ الأتْراكِ اتَّفَقوا على تَكِينَ الشِّيرازِيِّ، فوَلَّوْه عليهم وقَبَضُوا على ابْنِ شِيرَزاذَ، وتَجاوَزَ المَوْصِلَ إلى نَصِيبِينَ فَدَخَلَها تَكِينُ وسار في اتِّباعِ ناصِرِ الدَّوْلَةِ، وقَبَض هُوَ في طرِيقِه على ابْنِ شِيرَزاذَ وتجاوَزَ المَوْصِلَ إلى نَصِيبِينَ، ثم إلى سِنْجارَ، ثم إلى الحديثَةِ، ثم إلى السِّنِّ. ولَحِقَه هُنالِكَ عَسْكَرُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَعَ وَزِيرِه أبي جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيِّ، وقد كان اسْتَمَدَّه ناصِرُ الدَّوْلَةِ فأمَدَّهُ بهم واقْتَتَلُوا، فانْهَزَمَ تَكِينُ والأتْراكُ واتَّبَعَهمُ العَرَبُ مِن أصْحابِ ناصِرِ الدَّوْلَةِ. وسارَ ناصِرُ الدَّوْلَةِ وابْنُ الصَّيْمَرِيِّ إلى المَوْصِلِ، فنزَلُوا عليها، وأخَذَ الصَّيْمَرِيَّ من ناصِرِ الدَّوْلَةِ ابْنِ شِيرَزاذَ وحَمَلَه إلى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وذلك سنةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 453-454؛ تجارب الأمم 6: 121-122.

(2) المصدر نفسه 8: 454-455؛ نهاية الأرب 26: 133-134.

(3) المصدر نفسه 8: 466-467.

اسْتيلاءُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ على البَصْرةِ

وفي هذه السَّنَةِ[1] انْتقَضَ أبو القاسِمِ ابْنُ البَرِيديِّ بالبَصْرَةِ، فَجَهَّزَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ الجَيْشَ إلى وَاسِطَ، ولَقِيَهم جَيْشُ ابْنِ البَرِيديِّ في الماءِ وعلى الظَّهْرِ، فانْهَزَمُوا إلى البَصْرَةِ وأُسِرَ مِن أعْيانِهم جَماعةٌ[2].

ثم سار مُعِزُّ الدَّوْلَةِ سَنَةَ سِتٍّ وثَلاثِينَ إلى البَصْرةِ ومعَهُ المُطِيعُ لاسْتِنْقاذِها مِن يَدِ أبي القاسِمِ ابْنِ البَرِيديِّ، وسَلَكُوا إليها البَرِّيَّةَ، فبَعَثَ القَرامِطَةُ يَعْذِلُونَ في ذلك/ [340 ب] مُعِزَّ الدَّوْلَةِ، فكَتَبَ يَتَهَدَّدُهم. ولمَّا قارَبَ البَصْرةَ اسْتأمَنَتْ إليه عساكِرُ أبي القاسِمِ، وهَرَبَ هُوَ إلى القَرامِطَةِ فأجَارُوه. ومَلَكَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ البَصْرَةَ، ثم سار منها إلى الأهْوازِ لِتَلَقِّي أخِيه عِمادِ الدَّوْلَةِ، وتَرَكَ المُطِيعَ وأبا جَعْفَرٍ الصَّيْمَريَّ بالبَصْرَةِ، ولَقِي أخاه بأرَّجانَ. ثم عاد إلى بَغْدادَ والمُطِيعُ معه، وأراد المَسِيرَ إلى المَوْصِلِ، فأرْسَلَ إليه ناصِرُ الدَّوْلَةِ في الصُّلحِ وحَمَلَ المالَ فتَرَكَه[3].

ثم انْتَقَضَ سنةَ سَبْعٍ وثَلاثِينَ، فسار إليه مُعِزُّ الدَّوْلَةِ، ومَلَكَ المَوْصِلَ، ولَحِقَ ناصِرُ الدَّوْلَةِ بنَصِيبِينَ، وأخَذَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ في ظُلْمِ الرَّعايا وعَسْفِهم. ثم بعَثَ إليه أخُوه رُكْنُ الدَّولة بأصْبهانَ بأنَّ عَساكِرَ خُراسانَ قَصَدَتْ جُرْجانَ والرَّيَّ، واسْتَمَدَّه فاضْطَرَّ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى صُلْحِ ناصِرِ الدَّوْلَةِ عنِ المَوْصِلِ والجَزِيرَةِ وما مَلَكه

(1) أي سنة 335هـ .

(2) الكامل في التاريخ 8: 468.

(3) المصدر نفسه 8: 469-470؛ تجارب الأمم 6: 142-143.

سَيْفُ الدَّوْلَةِ من الشَّامِ: دِمَشْقَ وحَلَبَ على ثَمانِيَةِ آلافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، ويَخْطُبُ لِعِمادِ الدَّوْلَةِ ورُكْنِ الدَّوْلَةِ ومُعِزِّ الدَّوْلَةِ بَنِي بُوَيْه، فاسْتَقَرَّ الصُّلْحُ على ذلك وعاد إلى بَغْداذَ[1].

ابْتِداءُ أَمْرِ بَنِي شاهِينَ بالبَطِيحَةِ

كانَ عِمْرانُ بْنُ شاهِينَ مِن أَهْلِ الجامِدَةِ[2]، وحَصَلَتْ عنده جِباياتٌ، فهَرَبَ إلى البَطِيحَةِ خَوْفًا منَ الحُكَّامِ، وأقام بينَ القَصَبِ والآجامِ يَقْتاتُ بصَيْدِ السَّمَكِ والطَّيْرِ ويُخِيفُ سابِلَةَ البَطِيحَةِ. واجْتَمَع عليه جماعةٌ مِنَ الصَّيَّادِينَ واللُّصُوصِ. ثم اشْتَدَّ خَوْفُه، فاسْتَأْمَنَ إلى أَبِي القاسِمِ ابْنِ البَرِيدِيِّ صاحِبِ البَصْرَةِ، فقَلَّدَه حِمايَةَ الجامدةِ ونواحِيَ البَطائِحِ. وجَمَعَ الرِّجالَ والسِّلاحَ، واتَّخَذَ معاقِلَ على تلالِ البَطِيحَةِ وغَلَبَ على نواحِيها، وسَرَّحَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وَزِيرَه أبا جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيَّ سنةَ ثَمانٍ وثَلاثِينَ، فقَاتَلَه وهَرَبَ واسْتَأْسَرَ أَهْلَه وعِيالَه[3].

ثم جاء الخَبَرُ إلى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بمَوْتِ أَخِيه عِمادِ الدَّوْلَةِ بفارِسَ، واضْطِرابِ أَحْوالِهِ بها. فكَتَبَ إلى الصَّيْمَرِيِّ بالبِدارِ إلى شِيرازَ لإِصْلاحِ الأُمورِ، فسارَ إليها وعادَ عِمْرانُ بْنُ شاهِينٍ إلى البَطِيحَةِ، واجْتَمَعَ إليه أَصْحابُه وقَوِيَ أَمْرُه[4].

(1) الكامل في التاريخ 8: 477.

(2) الجامِدَة. قريةٌ من أعمال واسِط بينها وبين البَصْرَة (معجم البلدان 2: 95-96).

(3) الكامل في التاريخ 8: 481؛ تجارب الأمم 6: 151.

(4) المصدر نفسه 8: 481-482، المصدر نفسه 6: 152.

وبَعَثَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى قِتالِه رُوزْبَهَانَ، مِن أعْيانِ عَسْكَرِه، فأطالَ حِصارَه / في مَضَائقِ البَطِيحَةِ. ثم ناجَزَهُ الحَرْبَ فهَزَمَه عِمْرانُ وغَنِمَ عَسْكَرَه، وصار أصْحابُه [341] يَطْلبُونَ البَذْرَقَة والخِفارَة مِن جُنْدِ السُّلْطانِ في السَّابِلَةِ، وانْقَطَع طَرِيقُ البَصْرَةِ إلاَّ على الظَّهْرِ (1).

وكان الصَّيمَريُّ قد هَلَكَ، ووَلِيَ مكانَه المُهَلَّبِيُّ، فكَتَبَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى المُهَلَّبِيِّ وهُوَ بالبَصْرَةِ، فصَعِدَ إلى وَاسِطَ وأمَدَّه بالقُوَّادِ والسِّلاحِ، وأطْلَقَ يَدَهُ في الإنْفاقِ. فزَحَفَ إلى البَطِيحَةِ وضَيَّقَ على عِمْرانَ وانْتَهَى إلى مَضَائقَ خَفِيَّة. وأشار عليه رُوزْبَهانُ بِمُعاجَلَةِ القَوْمِ، وكَتَبَ إلى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بشَكْوَى المُطاوَلَة مِنَ المُهَلَّبِيِّ، فكَتَبَ إليه مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بالاسْتِبْطاءِ، فبادَرَ إلى المُناجَزَةِ وتَوَغَّلَ في تِلْكِ المَضَائقِ، فانهَزَم وقُتِلَ مِن أصْحابِه وأُسِر، ونَجَا هُوَ سِباحَةً في الماءِ، وأَسَرَ عِمْرانُ أكابِرَ القُوَّادِ حتى صالَحَهُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ وقَلَّدَهُ البَطَائِحَ وأطْلَقَ له أهْلَه، على أن يُطْلِقَ القُوَّادَ الذين في أَسْرِه، فأطْلَقَهم (2).

حِصارُ البَصْرَةِ

قد تَقَدَّم لنا أنَّ القَرامِطَةَ أنكَروا على مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مَسِيرَهُ إلى البَصْرَةِ على بلادِهم، وذَكَرْنا ما دارَ بَيْنَهم في ذلك. ولمَّا عَلِمَ يُوسُفُ بنُ وَجِيهِ اسْتِيحاشَهُم بَعَثَ

(1) الكامل في التاريخ 8: 489-490.

(2) المصدر نفسه 8: 490-491.

إليهم يُطمِعُهم في البَصْرَة، واسْتَمَدَّهم فأمَدُّوه. وسار في البَحْرِ سَنَةَ إحْدَى وأربَعِينَ، وبَلَغَ الخَبَرُ إلى الوَزيرِ المُهَلَّبِيِّ، وقد فَرَغَ مِن شَأْنِ الأهْوازِ. فسار مُجِدًّا[أ] إلى البَصْرَةِ وسَبَقَ إليها ابْنَ وَجِيهٍ، وقاتَلَه فهَزَمَه وظَفِرَ بمراكِبِه[1].

مَوْتُ الصَّيْمَرِيِّ وَوِزارَةُ المُهَلَّبِيِّ

كان أبو جَعْفَرٍ محمدُ بنُ أحمدَ الصَّيْمَرِيُّ وَزِيرًا لمُعِزِّ الدَّوْلَةِ، وكان قد سار لِقِتالِ عِمْرَانَ بْنِ شَاهِين، واستَخْلَفَ مكانه أبا محمدٍ الحَسَنَ بنَ محمدٍ المُهَلَّبِيَّ، فعُرِفَتْ كِفايَتُه واضْطِلاعُه وأمانتُه.

وتُوُفِّي أبو جَعْفَرٍ الصَّيْمَرِيُّ مُحاصِرًا لعِمْرَانَ، فوَلَّى مُعِزُّ الدَّوْلَةِ مكانه أبا محمدٍ المُهَلَّبِيَّ، فأحْسَنَ السِّيرَةَ وأزالَ المَظالِمَ وخُصُوصًا عن البَصْرَةِ، فكان فيها شُعَبٌ كثيرةٌ مِنَ الظُّلْمِ من أيّام بَنِي البَرِيدِيّ، وتَنَقَّلَ في البِلادِ لكَشْفِ المَظالِم وتَخْلِيصِ الأمْوالِ، فحَسُنَ أثَرُه[2]. ونَقَمَ عليه مُعِزُّ الدَّوْلَةِ بَعْضَ الأمورِ، فنَكَبَه/ [341 ب] سَنَةَ إحْدَى وأرْبَعِينَ وحَبَسَهُ في دارِه ولم يَعْزِلْه[3].

(أ) ظ، وص: محمد، والمثبت من خ.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 496.

(2) المصدر نفسه 8: 485.

(3) المصدر نفسه 8: 499؛ تجارب الأمم 6: 156-157.

اسْتيلاءُ مُعزِّ الدَّوْلَةِ على المَوْصلِ وعَوْدُهُ

قد تَقَدَّمَ لنا صُلحُ مُعزِّ الدَّوْلَةِ معَ ناصِرِ الدَّوْلَةِ على ألْفَيْ ألْفِ دِرْهَمٍ كُلَّ سَنَةٍ، فلمّا كانَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وأرْبَعِينَ أخَّرَ حَمْلَ المالِ، فسَار مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى المَوْصِلِ في جُمادَى ومعَه وَزِيرُه المُهَلَّبيُّ، فاسْتَوْلَى على المَوْصِلِ، ولَحِقَ ناصِرُ الدَّوْلَةِ بنَصِيبِينَ ومعَهُ كُتَّابُه وجَمِيعُ أصْحابِه وحاشِيَتُه ومَن يَعْرِفُ وُجُوهَ المَنافِعِ، وأنْزَلَهم في قَلْعَةِ كَواشِي وغَيْرِها. وأمَرَ الأعْرابَ بقَطْعِ المِيرَةِ عنِ المَوْصِلِ، فضَاقَتِ الأقْواتُ على عَسْكَرِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فسَار عنِ المَوْصِلِ إلى نَصِيبِينَ، واسْتَخْلَفَ عليها سُبُكْتُكِينَ الحاجِبَ الكَبِيرَ، وبَلَغَه في طَرِيقِه أنَّ أوْلادَ ناصِرِ الدَّوْلَةِ بسِنْجارَ في عَسْكَرٍ، فبَعَثَ عسكرًا وكَبَسُوهم وشُغِلوا بالنَّهْبِ، فعاد إليهم أوْلادُ ناصِرِ الدَّوْلَةِ وهم غازُونَ فاسْتَلْحَمُوهم.

وسار ناصِرُ الدَّوْلَةِ عن نَصِيبِينَ إلى مَيّافارِقِينَ، ورجَعَ أصْحابُه إلى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ مُسْتأمِنِينَ، فسار هُوَ إلى أخِيه سَيْفِ الدَّوْلَةِ بحَلَب، فتَلَقَّاه وأكْرَمَه، وتَراسَلُوا في الصُّلحِ على ألْفَيْ ألْفِ درهمٍ وتِسْعِ مائةِ ألْفِ دِرْهَمٍ، وإطْلاقِ مَن أُسِرَ بسِنْجارَ، وأنْ يَكُونَ ذلك في ضَمانِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فتَمَّ بَيْنَهما، وعادَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى العِراقِ في مُحَرَّمِ سنة ثمانٍ وأرْبَعِين[1].

(1) الكامل في التاريخ 8: 452-524، 527.

بِنَاءُ مُعِزِّ الدَّوْلَة بِبَغْدَاد

أَصَابَ مُعِزَّ الدَّوْلَةَ سَنَةَ خَمْسِينَ مَرَضٌ أشْفَى منه حتى وَصَّى، واسْتَوْخَمَ بَغْدَادَ فارْتَحَلَ إلى كَلْوَاذَا[1] لِيَسِيرَ إلى الأهْوَازِ، وأسِفَ أصْحَابُه لِمُفَارَقَةِ بَغْدَاد، فأشَارُوا عليه أن يَبْنِيَ لِسُكْنَاه في أعَالِيها، فبَنَى دَارًا أنْفَقَ عليها ألْفَ ألْفِ دِينَارٍ، وصَادَرَ فيها جَمَاعَةً مِنَ النَّاس[2].

ظُهُورُ الكِتَابَة على المَسَاجِد

كان الدَّيْلَمُ - كما تَقَدَّم لنا - شِيعَةً عَلَوِيَّةً لإسْلامِهم على يَدِ الأُطْرُوشِ، وقد ذَكَرْنا ما مَنَعَ بني بُوَيْه مِن تَحْوِيلِ الخِلافَةِ عنِ العَبَّاسِيَّةِ إليهم[3].

فلَمَّا كان سَنَةُ إحْدَى وخَمْسِينَ وثَلاثِ مائةٍ[4] أصْبَحَ مَكْتُوبًا على المَسَاجِدِ بِبَغْدَاد لَعْنٌ صَرِيحٌ في مُعَاوِيَةَ ومَن / غَصَبَ فاطِمَةَ فَدَكًا، ومَن مَنَعَ مِن دَفْنِ الحَسَنِ [342أ] عندَ جَدِّه، ومَنْ نَفَى أبا ذَرٍّ [الغِفَارِيَّ]، ومَن أخْرَجَ العَبَّاسَ مِنَ الشُّورَى، ونُسِبَ ذلك إلى مُعِزِّ الدَّوْلَةِ. ثم مُحِيَ مِنَ اللَّيْلَةِ القَابِلَةِ، فأرَادَ مُعِزُّ الدَّوْلَة إعَادَتَه، فأشَارَ

(1) كَلْوَذا (كَلْوَاذَى) . طَسُّوج قُرْب بغداد من ناحية الجانب الشَّرْقي بينها فَرْسَخٌ واحِدٌ للمُنْحَدِرِ (معجم البلدان 4: 477).

(2) الكامل في التاريخ 8: 534.

(3) انظر صفحة 338.

(4) في ربيع الآخر .

المُهَلَّبيُّ بأنْ يَكْتبَ مكانَ المَحْوِ لَعْنُ مُعَاوِيَةَ فقَطْ والظَّالِمِينَ لآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

وفي ثامِنَ عَشَرَ ذي الحِجَّة[2] مِن هذه السَّنَةِ أَمِرَ النَّاسُ بإِظْهارِ الزِّينَةِ والفَرَحِ لِعِيدِ [الغَدير][أ] من أعْيَادِ الشِّيعَة[3].

وفي السَّنَة بَعْدَها أُمِرَ النَّاسُ في يَوْمِ عَاشُوراءَ أنْ يُغْلِقُوا دَكاكِينَهم ويَقْعُدُوا عن البَيْعِ والشِّرَاءِ، ويَلْبَسُوا المُسُوحَ، ويُعْلِنُوا بالنِّيَاحَةِ، وتَخْرُجَ النِّسَاءُ مُسْبِلاتِ الشُّعُورِ مُسَوِّدَاتِ الوُجُوهِ قد شَقَقْنَ ثِيابَهُنَّ ولَطَمْنَ خُدُودَهُنَّ حُزْنًا على الحُسَيْنِ، ففَعَلَ النَّاسُ ذلك. ولم يَقْدِرْ أَهْلُ السُّنَّةِ على مَنْعِه، لأنَّ السُّلْطانَ للشِّيعَةِ[4]. وأُعِيدَ ذلك سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمْسِينَ، فوَقَعَتْ فِتْنَةٌ[ب] بينَ أَهْلِ السُّنَّة والشِّيعَةِ ونُهِبَتِ الأمْوالُ[5].

وَفاةُ الوَزيرِ المُهَلَّبيّ

سارَ الوَزيرُ المُهَلَّبيُّ في جُمادَى [الآخِرَة] سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِينَ إلى عُمانَ لِيَفْتَحَها، فاعْتَلَّ في طَرِيقِه ورَجَعَ إلى بَغْدادَ، فماتَ في شَعْبانَ قَبْلَ وُصُولِه، وحُمِلَ

(أ) ظ ح: عيد العزيز. (ب) ح: الفتنة.

(1) الكامل في التاريخ 8: 542-543.
(2) سنة 352هـ .
(3) الكامل في التاريخ 8: 549-550.
(4) المصدر نفسه 8: 549.
(5) المصدر نفسه 8: 558. وهي أوّل مَرَّة يَجْهَرُ فيها الشِّيعَةُ بذلك وأصْبَحَ فيما بعد تَقْلِيدًا عُرِفَ به الشِّيعَةُ باخْتِلاف فِرَقِهم.

فَدُفِنَ بها لثلاثةَ عَشْرَةَ سَنَةً وثلاثةِ أشْهُرٍ من وِزارَتِه. وقَبَضَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ أمْوالَه وذخائِرَه، وصادَرَ أهْلَه وحواشِيَه.

ونَظَرَ في الأُمُور بَعْدَه أبو الفَضْلِ العَبَّاسُ بْنُ الحَسَنِ الشِّيرازيُّ وأبو الفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ العَبَّاسِ بْنِ فَسَانْجَس، ولم يُلَقَّبْ أحَدٌ منهما بوزارَةٍ[1].

اسْتيلاءُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ على عُمانَ وحصارُهُ البطائحَ

انْحَدَرَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ سنةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ إلى واسِطَ لِقِتالِ عِمْرانَ بْنِ شاهِينَ بالبَطائِحِ، فأنْفَذَ الجَيْشَ مِن هنالك مع أبي الفَضْلِ العَبَّاسِ بْنِ الحَسَنِ، وسار إلى الأُبُلَّةِ، فأرْسَلَ الجَيْشَ إلى عُمانَ، وكان القَرامِطَةُ قدِ اسْتَوْلَوْا عليها، وهَرَبَ عنها صاحِبُها نافِعٌ، وبَقِيَ أمْرُها فَوْضَى، فاتَّفَقَ قاضِيها وأهْلُ البَلَدِ أن يَنْصِبُوا عليهم رَجُلًا منهم فنَصَبوه، ثم قَتَلَه بَعْضُهم، فوَلَّوْا آخَرَ مِن قَرابةِ القاضِي يُعْرَفُ بعَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ أحْمَدَ بْنِ مَرْوانَ،/ [342ب] واسْتَكْتَبَ عليَّ بْنَ أحمدَ الذي كان وَصَلَ مع القَرامِطَةِ كاتِبًا. وحَضَرَ وَقْتُ العَطاءِ، فاخْتَلَفَ الزَّنْجُ والبِيضُ في الرِّضا بالمساوَاةِ والأَنَفَةِ منها واقْتَتَلُوا، فغَلَبَ الزَّنْجُ وأخْرَجُوا عَبْدَ الوَهَّابِ، واسْتَقَرَّ عليُّ بْنُ أحْمَدَ أميرًا.

فلَمَّا جاءَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى واسِطَ هذه السَّنَةِ، قَدِمَ عليه نافِعٌ الأسْوَدُ صاحِبُ عُمانَ مُسْتَنْجِدًا به، فانْحَدَرَ مَعَه إلى الأُبُلَّةِ، وجَهَّزَ له المراكِبَ لحَمْلِ العساكِرِ، وعليهم أبو الفَرَجِ محمدُ بْنُ العَبَّاسِ بْنِ فَسانْجَس وهي مائةُ قِطْعَةٍ، فساروا

(1) الكامل في التاريخ 8: 546-547.

إلى عُمانَ وملَكوها تاسِعَ ذي الحِجَّةِ من سَنَةِ خَمْسٍ وخَمْسِينَ، وقَتَلُوا مِن أهلِها وأحْرَقُوا مَرَاكِبَها، وكانت تِسعةً وثمانِينَ، وعاد مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى واسِطَ، وحاصَرَ عِمْرانَ، وأقام هُنالِكَ فاعْتَلَّ وصَالَحَ عِمْرانَ وانصَرَفَ عنه[1].

وفاةُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ وولايةُ ابنِه بَخْتيارَ

ولمَّا رَجَعَ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ اشْتَدَّ مَرَضُه، فعَهِد بالسَّلْطَنَةِ إلى ابنِه عِزِّ الدَّوْلَةِ بَخْتيارَ، وتَصَدَّقَ وأعْتَقَ. وتُوفِّي في رَبيعٍ من سنةِ سِتٍّ وخَمْسِينَ لِثِنْتَيْنِ وعِشْرِينَ سَنَةً مِن سُلْطانِه. ووَلَّى ابنَه عِزَّ الدَّوْلَةِ بَخْتيارَ، وكان قد أوْصاه بطاعةِ عَمِّه رُكْنِ الدَّوْلَةِ، وبطاعةِ ابنِهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، لأنَّه كان أكْبَرَ سِنًّا وأبْصَرَ بالسِّياسَةِ، ووَصَّاه بحاجِبِه سُبُكْتكِينَ، وبكاتِبَيْه: أبي الفَضْلِ العَبَّاسِ وأبي الفَرَجِ[2].

فخالَفَ وَصَاياه وعَكَفَ على اللَّهْوِ، وأوْحَشَ هؤلاءِ، ونَفَى كِبارَ الدَّيْلَمِ شَرَهًا في إقْطاعاتِهم. وشَغَبَ عليه الأصاغِرُ فَزَادَهُمْ، واقْتَدى بهم الأتْراكُ، وخَرَجَ عليه سُبُكْتكِينُ في الدَّيْلَمِ في إعادةِ مَن أُسْقِط، فأجابَ كَرْهًا، وكذلك الأتْراكُ، وجاء أبو الفَرَجِ محمدُ بْنُ العَبَّاسِ مِن عُمانَ بعدَ أنْ سَلَّمها إلى نُوَّابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ الذين كانوا في إمْدادِه، وخَشِيَ أن يُؤْمَرَ بالمُقامِ بها ويَنْفَرِدَ أبو الفَضْلِ صاحِبُه بالوِزارَةِ ببغْدادَ، فكان كما ظَنَّ[3].

(1) الكامل في التاريخ 8: 567-568.

(2) المصدر نفسه 8: 575-576، تجارب الأمم 6: 196.

(3) المصدر نفسه 8: 576-577.

ثم انتَقَضَ بالبَصْرَةِ حَبَشِيُّ بنُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ على أخيه بَخْتيارَ سَنَةَ سَبْعٍ وخَمْسِينَ، فبَعَثَ الوَزِيرُ أبا الفَضْلِ العَبَّاسَ، فسار مُوَرِّيًا بالأهْوازِ، ونَزَلَ واسِطَ وكَتَبَ إلى حَبَشِيٍّ بأنَّه جاء لِيُسَلِّمَه البَصْرَةَ، وطَلَبَ منه المعُونَةَ على أمْرِه،/ فأنْفَذَ إليه مائتَيْ ألفِ دِرْهَمٍ، وأرْسَلَ الوَزِيرُ خلالَ ذلك إلى عَسْكَرِ الأهوازِ أنْ يُوافُوه بالأُبُلَّةِ لِمَوْعِدٍ ضَرَبَه لهم، فوَافَوْه وكَبَسُوا حَبَشِيًّا بالبَصْرَةِ، وحَبَسُوه برامَهُرْمُزَ، ونَهَبُوا أمْوالَه. وكان في جُمْلَةِ ما أُخِذ له عَشَرَةُ آلافِ مُجَلَّدٍ منَ الكُتُبِ، وبَعَثَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ فتَخَلَّصَ حَبَشِيَّ من(أ) أخيه، وجَعَلَه عندَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فأقْطَعَه، إلى أنْ ماتَ سنة سَبْعٍ وسِتِّينَ(1). [343 أ]

عَزْلُ أبي الفَضْلِ، ووِزارَةُ ابنِ بَقِيَّةَ

لَمَّا وَلِيَ أبو الفَضْلِ [العَبَّاسُ بنُ الحُسَيْنِ](ب) وِزارَةَ بَخْتيارَ، كَثُرَ ظُلْمُه وعَسْفُه، وكان محمدُ بنُ بَقِيَّةَ مِن حاشِيَةِ بَخْتيارَ، وكان يَتَوَلَّى له المَطْبَخَ. فلَمَّا كَثُرَ شَغَبُ النَّاسِ مِن أبي الفَضْلِ عَزَلَه بَخْتيارُ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّينَ، ووَلَّى مكانَه محمدَ بنَ بَقِيَّةَ، فانْتَشَرَ الظُّلْمُ أكْثَرَ! وخَرِبَتِ النَّواحِي وظَهَرَ العَيَّارُونَ، ووَقَعَتِ الفِتْنَةُ بينَ الأتْراكِ وبَخْتيارَ، فأصْلَحَ ابنُ بَقِيَّةَ بينَهم، ورَكِبَ سُبُكْتُكِينُ بالأتْراكِ إلى بَخْتيارَ، ثم فَسَدَ بينَهم، وتَحَرَّكَ الدَّيْلَمُ على سُبُكْتُكِينَ وأصْحابِه، فأرْضاهم بَخْتيارُ بالمالِ ورَجَعُوا عن ذلك(2).

(أ) في ح: ابن. (ب) للربط والإيضاح.

(1) الكامل في التاريخ 8: 583-584.

(2) المصدر نفسه 5: 628-629.

مَسيرُ بَختيارَ إلى المَوْصِلِ(أ)

كان ناصِرُ الدَّولَةِ بنُ حَمْدانَ قد قَبَضَ عليه ابنُه أبو تَغْلِبَ وحَبَسَهُ سنةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ، وطَمِعَ في المَسِيرِ إلى بَغْدادَ، وجاء أخَواهُ: حَمْدانُ وإبراهِيمُ نازِعَيْنِ إلى بَختيارَ ومُسْتَنْجِدَينِ به، فشُغِلَ عنهما بما كان فيه مِن شَأنِ البَطِيحَةِ وعُمانَ، حتى إذا قَضَى وَطَرَه مِن ذلك وعَزَلَ أبا الفَضْلِ الوَزِيرَ واسْتَوْزَرَ ابنَ بَقِيَّةَ؛ حَمَلَه على ذلكَ وأغْراهُ به، فسَارَ إلى المَوْصِلِ ونَزَلَها في رَبيعٍ الآخِرِ سنةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ، ولَحِقَ أبو تَغْلِبَ بسِنْجارَ بأصْحابِه وكُتَّابِه ودَواوِينِه(1).

ثمَّ سارَ مَن سِنْجارَ إلى بغْدادَ، وبَعَثَ بَختيارُ في أثَرِه الوزيرَ ابنَ بَقِيَّةَ والحاجِبَ سُبُكْتُكِينَ، فدَخَلَ ابنُ بَقِيَّةَ بغْدادَ، وأقام سُبُكْتُكِينُ يُحارِبُه في ظاهِرِها، ووقَعَتِ الفِتْنَةُ داخِلَ بغْدادَ في الجانِبِ الغَرْبِيِّ بينَ أهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ. واتَّفَقَ سُبُكْتُكِينُ وأبو تَغْلِبَ على أنْ يَقْبِضَ على الخَليفَةِ والوَزِيرِ وأهْلِ بَختيارَ، ويَعُودَ سُبُكْتُكِينُ عن ذلكَ، وتَوقَّفَ وجاءه الوَزيرُ ابنُ بَقِيَّةَ./ وراسَلُوا أبَا تَغْلِبَ في الصُّلحِ، [343ب] وأنْ يَضْمَنَ البلادَ ويَرُدَّ على أخِيه حَمْدانَ إقْطاعَه وأمْلاكَه إلَّا مارِدِينَ، وعاد أبو تَغْلِبَ إلى المَوْصِلِ ورَحَلَ بَختيارُ، وسار سُبُكْتُكِينُ لِلِقائِه(2).

(أ) هذا العنوان ساقط من ص.

---

(1) الكامل في التاريخ 8: 579-580، 631-632.

(2) المصدر نفسه 8: 632.

واجْتَمَع بَختيارُ وأبو تَغْلِبَ على المَوْصِلِ، وطَلَبَ أبو تغْلِبَ زَوْجَتَه ابْنَةَ بَختيارَ، وأنْ يَحُطَّ عنه منَ الضَّمانِ، ويُلَقَّبَ لَقَبًا سُلطانيًا، فأُجِيبَ إلى ذلك خَشْيَةَ منه. ورَحَلَ بَختيارُ إلى بَغْدادَ، وسُرَّ أهْلُ المَوْصِلِ برَحِيلِه لِمَا نالَهم منه. وبَلَغَه في طَرِيقِه أنَّ أبا تَغْلِبَ قَتَلَ قَوْمًا مِنْ أصْحابِه كانوا اسْتأْمَنُوا لِبَختيارَ ورَجَعُوا لِنَقْلِ أهْلِهم وأمْوالِهم، فاشْتَدَّ ذلك عليه، وكَتَبَ إلى الوَزيرِ أبي طاهِرِ بنِ بَقِيَّةَ والحاجِبِ سُبُكْتُكِينَ يَسْتَقْدِمُهُما في العساكِرِ فَجاءوا وعادَ إلى المَوْصِلِ، وعَزَمَ على طَلَبِه حَيْثُ سار. فأرْسَلَ أبو تَغْلِبَ في الصُّلْحِ، وجاءه الشَّرِيفُ أبو أحْمَدَ المُوسَوِيُّ والِدُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، وحَلَفَ على العِلْمِ في قَتْلِ أولئكَ المسْتأمِنَةِ، وعاد الصُّلْحُ والاتّفاقُ كما كان، ورَجَعَ بَختيارُ إلى بَغْدادَ، وبَعَثَ ابْنَتَه إلى زَوْجِها أبي تَغْلِبَ[1].

الفِتْنَةُ بينَ بَختيارَ وسُبُكْتُكِينَ والأتْراكِ

كان بَختيارُ قد قَلَّتْ عندَه الأمْوالُ وكَثُرَتْ مَطالِبُ الجُنْدِ وشَغَبُهم، وكان يُحاولُ على جمعِ المالِ، فتَوَجَّه أوَّلاً إلى المَوْصِلِ لذلك، ثم رَجَعَ فتَوَجَّه إلى الأهْوازِ لِيَجِدَ ذَرِيعَةً إلى مُصادَرَةِ عامِلِها، وتَخَلَّفَ عنهُ سُبُكْتُكِينُ والأتْراكُ الذين معَه، ووقَعَتْ فِتْنَةٌ بينَ الأتْراكِ والدَّيْلَمِ بالأهْوازِ واقْتَتَلُوا، ولَجَّ الأتراكُ في طَلَبِ ثأرِهم. وأشار عليه أصْحابُه الدَّيْلَمُ بقَبْضِ رُؤساءِ الأتراكِ وقُوَّادِهم ففَعَل، وكان من جُمْلَتِهم عامِلُ الأهْوازِ وكاتِبُه، ونُهِبَتْ أمْوالُهم وبُيُوتُهم، ونُودِيَ في البَلَدِ باسْتِباحَتِهم. وبَلَغَ

(1) الكامل في التاريخ 8: 633-634.

الخَبَرُ إلى سُبُكْتُكِينَ وهُوَ ببغداد، فنقَضَ طاعةَ بَخْتيارَ ورَكِبَ في الأتراكِ وحاصَرَ دارَه يَوْمَيْنِ وأحرَقَها وأخذَ أخوَيْه وأُمَّهُما فبعَثَهم إلى واسِطَ في ذي القَعْدَةِ سَنَةَ ثلاثٍ وسِتِّينَ، وانحدَرَ المُطيعُ معَهم فرَدَّه، ونَزَلَ الأتراكُ في دُورِ الدَّيْلَمِ / ونَهَبُوها، وثارَتِ العامَّةُ مَعَ سُبُكْتُكِينَ، لأنَّ الدَّيْلَمَ كانوا شِيعَةً، وسُفِكَتِ الدِّماءُ وأُحْرِقَ الكَرْخُ، وظَهَرَ [1344] أهْلُ السُّنَّةِ[1].

خَلْعُ المُطيعِ ووِلايةُ ابنِه الطَّائِعِ

كان المُطيعُ قد أصابَه الفالِجُ وعَجَزَ عن الحَرَكةِ، وكان يَتَسَتَّرُ به، وانكَشَفَ حالُه لِسُبُكْتُكِينَ في هذه الواقعةِ، فدعَاه إلى أنْ يَخْلَعَ نَفْسَه ويُسَلِّمَ الخلافةَ لوَلَدِه عَبْدِ الكريمِ، ففَعَلَ ذلك مُنْتَصَفَ ذي القَعْدَةِ سَنَةَ ثلاثٍ وسِتِّينَ، لِتِسْعٍ وعِشْرِينَ سنةً ونِصْفٍ مِن خِلافَتِه، وبُويِعَ ابنُه عَبْدُ الكَريمِ ولُقِّبَ الطَّائِعَ[2].

الصَّوائِفُ

وعادَتِ الصَّوائِفُ منذُ استَبَدَّ ناصِرُ الدَّوْلَةِ بنُ حَمْدانَ بالمَوْصِلِ وأعْمالِها، ومَلَكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أخوه مَدِينَتَيْ حَلَبَ وحِمْصَ سنةَ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ، فصار أَمْرُ

(1) الكامل في التاريخ 8: 636-637.

(2) المصدر نفسه 8: 637، تجارب الأمم 6: 373.

الصَّوائِفِ إليه، فنَذْكُرُها في أَخْبارِ دَوْلَتِهم، فقد كان لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ فيها آثارٌ، وكان للرُّوم في أيَّامه جَوْلاتٌ في الثُّغُورِ حَسُنَتْ فيها مُدافَعَتُه.

وأمَّا الوِلاياتُ فانْقَطَعَتْ منذُ اسْتِيلاءِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ على العِراقِ، وانْقَسَمَتِ الدَّوْلَةُ الإِسْلامِيَّةُ دُوَلاً نَذْكُرُ وِلاياتِ كُلٍّ منها في أَخْبارِها عندَ انْفِرادِها، على ما شَرَطْناه.

فِتْنَةُ سُبُكْتُكِينَ ومَوْتُه، وإمَارَةُ أَفْتَكِينَ

لمَّا وَقَعَ مِن بَخْتِيارَ في الأَتْراكِ بالأَهْوازِ ما وَقَع، وانْتَقَضَ سُبُكْتُكِينُ ببَغْدادَ، عَمَدَ بَخْتِيارُ إلى من حَبَسَه مِنَ الأَتْراكِ فأَطْلَقَهم ووَلَّى منهم على الأَتْراكِ زادَوَيْه[أ] الذي كان عامِلَ الأَهْوازِ ، وسار إلى واسِطَ لِلِقاءِ أُمِّه وأَخَوَيْه، وكَتَب إلى عَمِّه رُكْنِ الدَّوْلَةِ وابْنِ عَمِّه عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْجِدُهما، وإلى أبي تَغْلِبَ بْنِ حَمْدانَ في المَدَدِ بنَفْسِه، ويُسْقِطُ عنه مالَ الإِقْطاعِ، وإلى عِمْرانَ بْنِ شاهِين بالبَطِيحَةِ كذلك، فَجَهَّزَ إليه عَمُّه رُكْنُ الدَّوْلَةِ العَسْكَرَ مَعَ وَزِيرِه أبي الفَتْحِ ابْنِ العَمِيدِ، وكَتَبَ إلى ابْنِه عَضُدِ الدَّوْلَةِ بالمسِيرِ معَه، فتَثاقَلَ وتَرَبَّص ببَخْتِيارَ طَمَعًا في مُلْكِ العِراقِ. وأمَّا عِمْرانُ بْنُ شاهِين فدَافَعَ واعْتَذَرَ بأنَّ عَسْكَرَه لا يأْمَنُونَ في الدَّيْلَمِ لِما كانَ بَيْنَهم، وأما أبو تَغْلِبَ فبَعَثَ أخاه أبا عَبْدِ الله الحُسَيْنَ في عَسْكَرٍ إلى تَكْرِيتَ.

[أ] في تجارب الأمم : آزادرويه . في ح: زادَوَيْه.

/فلمّا سار الأتراكُ عن بغدادَ إلى واسِطَ لِقتالِ بَخْتيارٍ، جاء هـو إليها لِيُقيمَ الحُجَّةَ في سُقُوطِ الأَقْطاعِ عنه، ووَجَد الفِتْنَةَ حامِيَةً بينَ العَيَّارِينَ، فكَفَّ الفَسادَ وانْتَظَرَ ما يَقَعُ بِبَخْتيارَ فيَدْخُلُ بغدادَ ويَمْلِكُها. [344 ب]

ولمَّا سارَ الأتراكُ إلى واسِطَ حَمَلُوا معَهم خَلِيفَتَهم الطَّائِعَ للهِ وأباه المُطِيعَ المَخْلُوعَ، وانتَهَوْا إلى دَيْرِ العاقُولِ[1]، فهَلَكَ المُطِيعُ وسُبُكْتُكِينُ معًا، ووَلَّى الأتراكُ عليهم أفْتَكِينَ؛ مِن أكابِرِ قُوَّادِهم ومَوالِي مُعِزِّ الدَّوْلَةِ، فانْتَظَمَ أمْرُهم، وسارُوا إلى واسِطَ، وحاصَرُوا بها بَخْتيارَ خَمْسِينَ يَوْمًا حتى اشْتَدَّ عليه الحِصارُ وهُوَ يَسْتَحِثُّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ[2].

نَكْبَةُ بَخْتيارَ على يَدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ عَوْدُهُ إلى مُلْكِه

لَمَّا تَتَابَعَتْ كُتُبُ بَخْتيارَ على عَضُدِ الدَّوْلَةِ باسْتِحْثاثِه، سارَ في عساكِرِ فارِسَ، وجاءه [أبو الفَتْح][أ] ابْنُ العَمِيدِ وَزِيرُ أبِيه إلى الأهْوازِ في عساكِرِ الرَّيِّ، وساروا إلى وَاسِطَ، وأجْفَلَ عنها أفْتَكِينُ والأتراكُ إلى بَغْدادَ، ورَجَع أبو تَغْلِبَ إلى

(أ) الأصل: أبو القاسم، والتصويب من ابن الأثير الذي تتفق إحدى نُسَخه مع ما أورده ابن خلدون؛ ومعجم الأدباء ويتيمة الدهر.

---

(1) دَيْر العَاقُول : بنواحي بَغْدَاد بين مَدَائن كِسْرى والنُّعْمَانِيَّة ، بينه وبين بغداد مقدار ميل على شاطئ دِجْلَة (معجم البلدان 2: 520-521) .

(2) الكامل في التاريخ 8: 644-645، ويقارن مع تجارب الأمم 6: 374-375.

المَوْصِلِ. ولمَّا جاء عَضُدُ الدَّوْلَةِ إلى واسِطَ، سار إلى بَغْدادَ في الجانِبِ الشَّرْقيِّ، وسار بَخْتيارُ في الجانِبِ الغَرْبيِّ، وحاصَرُوا الأتْراكَ ببَغْدادَ من جميعِ الجِهاتِ.

وأرْسَلَ بَخْتيارُ إلى ضَبَّةَ بْنِ محمدٍ الأسَديِّ مِن أهْلِ عَيْنِ التَّمْرِ، وإلى بني شَيْبَانَ وأبي تَغْلِبَ ابْنِ حَمْدانَ بقَطْعِ المِيرَةِ والإغارَةِ على النَّواحِي، فغَلا السِّعْرُ ببَغْدادَ، وثار العَيَّارُونَ ووقَعَ النَّهْبُ، وكَبَسَ أفْتَكِينُ المَنازِلَ في طَلَبِ الطَّعامِ، فعَظُمَ الهَرْجُ. وخَرَجَ أفْتَكِينُ والأتْراكُ للحَرْبِ، فلَقِيَهم عَضُدُ الدَّوْلَةِ فهَزَمَهم وقَتَلَ أكْثَرَهم واسْتَبَاحَهم، ولَحِقُوا بتَكْرِيتَ، وحَمَلُوا الخليفةَ معهم، ودخَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إلى بغْدادَ في جُمادَى سنةَ أرْبَعٍ وسِتِّينَ. وحاوَلَ في رَدِّ الخَلِيفَةِ الطَّائِعِ، فرَدَّه وأنْزَلَه بدارِه، ورَكِبَ للقائِه الماءَ في يومٍ مَشْهودٍ(1).

ثم وضَعَ الجُنْدُ على بَخْتيارَ، فشَغَبُوا عليه في طَلَبِ أرْزاقِهم، وأشار عليه بالغِلْظَةِ عليهم والاسْتِعْفاءِ منَ الإمارةِ، وأنَّه عندَ ذلك يَتوسَّطُ في الإصْلاحِ، فأظْهَرَ بَخْتيارُ التَّخَلِّيَ، وصَرَفَ الكُتَّابَ والحُجَّابَ ثِقَةً بإشارَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وتَرَدَّدَ السُّفَراءُ بينَهم ثَلاثًا. ثم قَبَضَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ على بَخْتيارَ وإخْوَتِه ووَكَّلَ/ [345أ] بهم، وجَمَعَ النَّاسَ وأعْلَمَهم بعَجْزِ بَخْتيارَ واسْتِعْفائِه، ووعَدَهم بحُسْنِ النَّظَرِ، وقام بواجِباتِ الخِلافَةِ، وكان المَرْزُبانُ بْنُ بَخْتيارَ أميرًا بالبَصْرَةِ فامْتَنَعَ فيها على عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وكَتَبَ إلى رُكْنِ الدَّوْلَةِ يَشْكُو ما جَرَى على أبِيه بَخْتيارَ منَ ابنِه عَضُدِ الدَّوْلَةِ ووَزِيرِه ابْنِ العَمِيدِ، فأصابَه مِن ذلكَ المُقِيمُ المُقْعِدُ، حتَّى لقد طَرَقَه المَرَضُ الذي لم يَسْتَقِلَّ منه.

(1) الكامل في التاريخ 8: 648-649.

وكان ابنُ بَقِيَّةَ وَزِيرُ بَخْتِيارَ قد صارَ إلى عَضُدِ الدَّوْلَةِ وضَمَّنَه واسِطَ وأعْمالَها، فانْتَقَضَ عليه بها، وداخَلَ عِمْرانَ بْنَ شاهِينٍ في الخِلافةِ فأجابَه، وكاتَبَ سَهْلَ بْنَ بِشْرٍ وَزِيرَ أفتكِينَ بالأهْوازِ، وقد كان عَضُدُ الدَّوْلَةِ ضَمَّنه إيَّاها أيْضًا وبَعَثَه إليها مَعَ جَيْشِ بَخْتِيارَ، فاسْتمالَه ابْنُ بَقِيَّةَ، وخَرَجَتْ إليه جُيُوشُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ فهَزَمَهم، وكاتَبَ أباه رُكْنَ الدَّوْلَةِ بالأحْوالِ، فكَتَبَ رُكْنُ الدَّوْلَةِ إليهِ وإلى المَرْزُبانِ بالبَصْرَةِ بأنَّه على المسيرِ للعراقِ لإعادةِ بَخْتِيارَ. فاضطَرَبَتِ النَّواحِي على عَضُدِ الدَّوْلَةِ لإنْكارِ أبِيه، وانْقَطَعَ عنهُ مَدَدُ فارِسَ، وطَمِعَ فيه الأعْداءُ، فبَعَثَ أبا الفَتْحِ ابْنَ العميدِ إلى أبيه يَعْتَذِرُ عما وقَعَ، وأنَّ بَخْتِيارَ عَجَزَ ولا يَقْدِرُ على المَمْلَكَةِ، وأنه يَضْمَنُ أعْمالَ العراقِ بثَلاثينَ ألْفَ ألْفِ درهمٍ، ويَبْعَثُ بَخْتِيارَ وإخْوتَه إليه لِيُنْزِلَه بأيِّ الأعْمالِ أحَبَّ، ويُخَيِّرُ أباه في نُزُولِه العراقَ لتَدْبِيرِ الخلافةِ، ويَعُودُ هُوَ إلى فارِسَ، وتَهَدَّدَ أباه بقَتْلِ بَخْتِيارَ وإخْوتِه وجَميعِ شِيَعِهم إنْ لم يُوافِقْ على واحدةٍ من هذه، فخافَ ابْنُ العَمِيدِ غائِلَةَ هذه الرِّسالةِ، وأشار بإرْسالِ غيرِه ويَمْضِي هُوَ بعدَها كالمُصْلِحِ، فبَعَثَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ غيرَه. فلما ألْقَى الرِّسالةَ وَثَبَ إلى الرَّسولِ ليَقْتُلَه، ثم رَدَّه بعدَ أن سَكَنَ غَضَبُه، وحَمَّلَه إلى عَضُدِ الدَّوْلَةِ مِنَ الشَّتْمِ والتَّقْرِيعِ على ما فعَلَه وعلى ما هُوَ يَطْلُبُ منه كلَّ صَعْبٍ من القَوْلِ.

وجاء ابْنُ العَمِيدِ على إثْرِ ذلك، فحَجَبه وتَهَدَّدَه، ولم يَزَلْ يَسْتَرْضِيهِ بجُهْدِه، واعْتَذَرَ بأنَّ قَبُولَه لهذه الرِّسالةِ حِيلَةٌ على الوُصولِ إليه والخَلاصِ مِن عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وضَمِنَ له إعادةَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إلى فارِسَ وتَقْرِيرَ بَخْتِيارَ بالعِراقِ، فأجابَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إلى ذلك/ وأفْرَجَ عن بَخْتِيارَ ورَدَّه إلى السَّلْطَنَةِ على أنْ يَكُونَ نائبًا عنه ويَخْطُبَ [345 ب]

له، ويَجْعَلَ أخاه أبا إسْحاق أميرَ الجَيْشِ لعَجزِ بَخْتِيارَ، ورَدَّ عليهم ما أُخِذَ لهم، وسار إلى فارِسَ، وأمَرَ ابْنَ العَميدِ أنْ يَلْحَقَ به بعدَ ثلاثٍ، فتَشاغَلَ معَ بَخْتِيارَ باللَّذَّاتِ، ووَعَدَه أن يَصِيرَ إلى وِزارَتِه بعدَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ. وأرْسَلَ بَخْتِيارُ عن ابْنِ بَقِيَّةَ، فقام بأمْرِ الدَّوْلَةِ واحْتَجَنَ الأمْوالَ، فإذا طُولِبَ بها دَسَّ للجُنْدِ فشَغَبُوا، حتَّى تَنَكَّرَ له بَخْتِيارُ واسْتَوْحَشَ هو (1) .

خَبَرُ أفْتَكِينَ (2)

لمَّا انْهَزَمَ أفْتَكِينُ مِن عَضُدِ الدَّوْلَةِ بالمدائِنِ، لَحِقَ الشَّامَ ونَزَل قريبًا من حِمْصَ، وقَصَدَه ظالِمُ بْنُ مَوْهُوبٍ، أمِيرُ بَنِي عُقَيْلٍ لِلْعَلَوِيَّةِ بالشَّامِ، فلم يَتَمَكَّنْ منه، وسار أفْتَكِينُ إلى دِمَشْقَ وأمِيرُها رَيَّانُ خادِمُ المُعِزِّ لدِينِ الله العَلَوِيِّ، وقد غَلَبَ عليه الأحْداثُ والدُّعَّار، فخَرَجَ إليه مَشْيَخَةُ البَلَدِ وسَألُوه أنْ يُملِّكَهم ويَكُفَّ عنهم شَرَّ الأحْداثِ (3) وظُلْمَ العُمَّالِ، واعْتِقادَ الرَّافِضَةِ، فاسْتَحْلَفَهم على ذلك، ودَخَلَ دِمَشْقَ وخَطَبَ بها للطَّائِعِ في شَعْبانَ سنةَ أرْبَعٍ وسِتِّينَ، ورَفَعَ أيْدِيَ العَرَبِ عن ضَواحِيها وفَتَقَ فيهم. وكَثُرَتْ جُمُوعُه وأمْوالُه، وكاتَبَ المُعِزَّ بمِصْرَ يُدارِيه بالانْقِيادِ، فكَتَبَ يَشْكُرُهُ ويَسْتَدْعِيه لِيُوَلِّيَه مِن جِهَتِه، فلم يَثِقْ إليه، فتَجَهَّزَ لِقَصْدِه، ومات في طَرِيقِه

(1) الكامل في التاريخ 8: 651-654.

(2) يرد اسمه أحيانًا في المصادر : الفتكين (تجارب الأمم 6: 380، 383).

(3) ينظر عن أحْداثِ دِمَشْق ودَوْرِهم مقال ياكوف ليف YAACOV LEV, "The Fatimids and the Ahdath of Damascus 386/996 – 411/1021", *IVO* 13 (1982), pp. 98-106.

سنة خمسٍ وستّين وثلاثِ مائةٍ كما نَذْكُر بقيّةَ خبَرِه في دَوْلتِهم[1].

مُلْكُ عَضُدِ[أ] الدَّوْلَةِ بغدادَ وقَتْلُ بَخْتِيارَ

ولمَّا انصَرَفَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إلى فارِسَ كما ذكَرْناه، أقامَ بها قليلاً، ثم ماتَ أبوه رُكْنُ الدَّوْلَةِ سنةَ سِتٍّ وسِتِّينَ بعدَ أن رَضِيَ عنهُ وعَهِدَ لهُ بالمُلْكِ كما نَذْكُر في خَبَرِه. فلمَّا ماتَ شَرَعَ بَخْتِيارُ ووزيرُه ابنُ بَقِيَّةَ في اسْتِمالةِ أهْلِ أعْمالِه، مِثْل: أخِيه فَخْرِ الدَّوْلَةِ وحَسْنَوَيْه[ب] الكُرْديِّ، وطَلَبَ ابْنَ حَمْدانَ وعِمْرانَ بنَ شاهِينٍ في عُدْوانِه، فسار عَضُدُ الدَّوْلَةِ لِطَلَبِ العِراقِ، واسْتَمَدَّ حَسْنَوَيْهِ وابْنَ حَمْدانَ فوَاعَدَاه ولم يُمِدَّاه، فسار إلى الأهْوازِ ثم سار إلى بَغْدادَ. ولَقِيَه بَخْتِيارُ، فهَزَمَه عَضُدُ الدَّوْلَةِ واسْتَوْلى على أمْوالِه وأثْقالِه ولَحِقَ بواسِطَ، وحَمَلَ إليه ابْنُ شاهِينٍ أمْوالاً وهَدايا، ودخَل إليه/ مؤكِّدًا للاستِجارةِ به. ثم صَعِدَ إلى وَاسِطَ. وبعَثَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا إلى البَصْرةِ، فملَكُوها، وكانت مُضَرُ شِيعةً له دونَ رَبِيعةَ، وجَمَعَ بَخْتِيارُ ما كان له [345 أ] ببغدادَ والبَصْرةِ في وَاسِطَ، وقَبَضَ على ابْنِ بَقِيَّةَ، وأرْسَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ في الصُّلْحِ واخْتَلَفَتِ الرُّسُلُ، وجاءه عبدُ الرَّزَّاقِ وبَدْرٌ ابْنا حَسْنَوَيْهِ في ألْفِ فارِسٍ مَدَدًا فانْتَقَضَ. وسار إلى بَغْدادَ، وسار عَضُدُ الدَّوْلَةِ إلى واسِطَ ثم إلى البَصْرةِ فأصْلَحَ بينَ رَبِيعةَ ومُضَرَ بعدَ اخْتِلافِهم مائةً وعِشْرينَ سنةً[2].

(أ) في ح بسكون الضاد، وهو اختيار من أربع لغات. (ب) في ح بضمّ النون وفتح الياء: حَسْنُويَه.

(1) الكامل في التاريخ 8: 656-657.

(2) المصدر نفسه 8: 671-673.

ثم دَخَلَتْ سنةُ سبعٍ وستِّينَ، فقَبَضَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ على أبي الفَتْحِ ابنِ العَميدِ وَزيرِ أبيه، وجَدَعَ أنفَه وسَمَلَ إحْدَى عَيْنَيْه لِمَا كان بَلَغَه عنه في مُقامَتِه بالعراق عندَ بَخْتيارَ، ولما اطَّلَعَ عليه مِن مُكاتَبَتِه إيَّاه، فبَعَثَ إلى أخيه فَخْرِ الدَّوْلَةِ بالرَّيِّ بالقَبْضِ عليه وعلى أهْلِه [لـ]ما كَانَ أسَرَّ ماكانُ، وبسط أملا[أ] فقَبَضَ عليه وأخَذَ دارَه بما فيها.

ثم سَارَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ سنةَ سبعٍ وستِّين، وبعَثَ إلى بَخْتيارَ يُخَيِّرُه في الأعْمالِ، فأجَابَ إلى طاعَتِه، وأمَرَه بإنْفاذِ ابنِ بَقِيَّةَ إليه ففَقَأَ عَيْنَيْه وأنْفَذَه وخَرَجَ عن بَغْدادَ يَقْصِدُ الشَّامَ، ودَخَلَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ بغْدادَ وخُطِبَ له بها، وضُرِبَ على بابِه ثلاثُ بُوقاتٍ[ب]، ولم يَكُنْ شيءٌ مِن ذلك لِمَنْ قَبْلَه، وأمَرَ بابْنِ بَقِيَّةَ فَرُمِيَ بينَ أرْجُلِ الفِيَلَةِ فقَتَلَتْه[1].

ولمَّا سار بَخْتيارُ إلى الشَّامِ ومعَهُ حَمْدانُ أخُو أبي تَغْلِبَ وانْتَهَوْا إلى عُكْبَرَا، حَسَّنَ له حَمْدانُ قَصْدَ المَوْصِلِ، وكان عَضُدُ الدَّوْلَةِ قدِ اسْتَحْلَفَه أنْ لا يَدْخُلَ وِلايَةَ أبي تَغْلِبَ فنكَثَ وقَصَدَها، وجاءَته رُسُلُ أبي تَغْلِبَ بتَكْرِيتَ في إسْلامِ أخيه حَمْدانَ إليه فيُمِدُّه بنفْسِه، ويُعِيدُه إلى مُلْكِه، فقَبَضَ على حَمْدانَ وبَعَثَه مع نُوَّابِه فحَبَسَه. وسار أبو تَغْلِبَ إليه في عِشْرِينَ ألْفَ مُقاتِلٍ، وزَحَفوا إلى بَغْدادَ ولَقِيَهما عَضُدُ الدَّوْلَةِ فهَزَمَهما، وأُسِرَ بَخْتيارُ فقُتِلَ صَبْرًا في عِدَّةٍ من أصْحابِه، لإحْدَى عَشْرَةَ سنةً مِن مُلْكِه[2].

(أ) كذا في النُّسخ وهي غير واضحة، وفي ح: وابسط أملًا.   (ب) جمع بوق، وفي الكامل 8: 689: ثلاث نُوَب.

(1) الكامل في التاريخ 8: 689، تجارب الأمم 6: 425، 429.

(2) المصدر نفسه 8: 691.

اسْتيلاءُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ على مُلْكِ بني حَمْدانَ

ثم سَـارَ عَـضُدُ الدَّوْلَةِ بعـدَ الهزيمـةِ ومَقْتَـلِ بَخْتيـارَ إلى المَوْصِـلِ فَمَلَكَهـا مُنْتَصَفَ/ ذي القَعْدَةِ[1] من سنةِ سَبْعٍ وستِّينَ، وكان حَمَلَ معَهُ المِيرَةَ والعُلُوفاتِ، 346] فأقام في رَغَدٍ، وبَثَّ السَّرايا في طَلَبِ أبي تَغْلِبَ وراسَلَه في ضَمانِ البلادِ ـ على عادَتِه ـ فلم يُجِبْه، فسار إلى نَصِيبِينَ ومعَهُ المَرْزُبَانُ بْنُ بَخْتيارَ، وأبو إسْحاقَ وطَاهِرٌ أخَوَا بَخْتيارَ، وأُمُّهم، فبَعَثَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا إلى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ مع حاجِبِه أبي حَرْبٍ طُغَّانَ، وعَسْكَرًا إلى نَصِيبِينَ مَعَ أبي الوفاءِ طاهِرِ بْنِ محمدٍ، ففارَقَها أبو تَغْلِبَ إلى مَيَّافارِقِينَ، وأتْبَعَه أبو الوفاءِ إليها فامْتَنَعَتْ عليه، ولَحِقَ أبو تَغْلِبَ بِأرْزَنِ الرُّومِ، ثُمَّ بالحسنيَّةِ مِن أعْمالِ الجزيرةِ، وتَتَبَّعَ أبو تَغْلِبَ قِلاعَه وأخَذَ أمْوالَه في كَرَاشي وغيرِها، وعادَ إلى مَيَّافارِقِينَ.

ثم سار عَضُدُ الدَّوْلَةِ إليه بنفْسِه، واستأمَنَ إليه كثيرٌ مِن أصْحابِه، ورجَعَ إلى المَوْصِلِ وبَعَثَ العَسْكَرَ في اتِّباعِه، فدَخَلَ بلادَ الرُّومِ، وصاهَرَه وَرْدٌ الرُّوميُّ المُمَلَّكُ عليهم مِن غيرِ بَيْتِ المُلْكِ لِيَسْتَعِينَ به على أمْرِه. واتَّبَعَه عَسْكَرُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، فهَزَمَهم ونجا إلى بِلادِ الرُّومِ لمساعَدَةِ وَرْدٍ على شأنِه لمَّا يُؤَمِّلُ مِن نُصْرَتِه إيَّاه. واتَّفَقَ أنَّ وَرْدًا انْهَزَمَ، فيَئِسَ منهُ أبو تَغْلِبَ وعاد إلى بلادِ الإسْلامِ ونَزَلَ بآمِدَ شَهْرَيْنِ، حتَّى فَتَحَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ جميعَ بلادِه كما يُذْكَرُ في أخْبارِ دَوْلَتِهم، واسْتَخْلَفَ أبا الوفاءِ على المَوْصِلِ، وعاد إلى بغْدادَ، وانْقَطَعَ مُلْكُ بني حَمْدانَ عَنِ المَوْصِلِ حينًا مِنَ الدَّهْرِ[2].

(1) عند ابن الأثير: ثاني عشر ذي القعدة.

(2) الكامل في التاريخ 8: 692-693، تجارب الأمم 6: 431-432.

وَفاةُ عَضُدِ الدولةِ، ووِلايةُ ابنِه صَمْصامِ الدَّوْلة

ثم تُوفِّي عَضُدُ الدَّوْلة في شَوَّالٍ[1] سنةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ، لخَمْسِ سِنِينَ ونِصْفٍ مِن مُلْكِه[2]. واجْتَمَعَ القُوَّادُ والأُمراءُ على وِلايةِ ابْنِه [أبي] كالِيجَارَ المَرْزُبان، وبايَعُوه ولَقَّبوه صَمْصامَ الدَّوْلَة. وجاءه الطَّائِعُ مُعَزِّيًا في أبِيه، وبَعَثَ أخَوَيْه أبا الحسَيْنِ أحْمَدَ وأبا طاهِرٍ فَيْرُوزشاه، فانْتَقَضَ أخوهم شَرَفُ الدَّوْلَةِ بكَرْمانَ وسَارَ إلى فارِسَ، وسَبَقَ إليها أخَوَيْه ومَلَكَها، وأقَامَا بالأهْوازِ، وقَطَعَ خُطْبَةَ صَمْصام الدَّوْلَةِ أخِيه وخَطَبَ لنَفْسِه، وتَلَقَّبَ تاجَ الدَّوْلَةِ. وبعَثَ إليه صَمْصَامُ/ الدَّوْلَةِ عَسْكَرًا صُحْبَةَ [347 أ] عليِّ ابنِ دنقش(أ) حاجِبِ أبِيه، وبَعَثَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرَه مَعَ الأمِيرِ أبي الأغَرِّ دُبَيْسِ ابنِ عَفِيفٍ الأسَدِيِّ، والْتَقَيَا عندَ قُرْقُوبَ، فانْهَزَمَ ابنُ دنقش(أ) في ربيعٍ سنةَ ثلاثٍ وسَبْعِينَ وأُسِر، واسْتَوْلَى أبو الحسَيْنِ على الأهْوازِ ورَامَهُرْمُزَ وطَمِعَ في المُلْكِ[3].

(أ) كذا في الأصول كما ورَد في إحدى نسخ الكامل، وعند ابن الأثير: دَبْعَش.

---

(1) عند ابن الأثير: ثامن شوّل.

(2) الكامل في التاريخ 9: 18.

(3) المصدر نفسه 9: 22-23؛ نهاية الأرب 26: 230.

ثم إنَّ أسفارَ بْنَ كَرْدَوَيْه[أ] ، مِن أكابِرِ الدَّيْلَمِ، قام بدَعْوَةِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ببغْدادَ سنةَ خمسٍ وسَبْعِينَ، واستَمالَ كثيرًا من العَسْكَرِ، واتَّفَقُوا على وِلايةِ أبي نَصْرِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ نائبًا عن أخِيه شَرَفِ الدَّوْلَة، ورَاسَلهم صَمْصامُ الدَّوْلَةِ في الرُّجُوعِ عن ذلك فلم يَزِدْهُم إلَّا تَمادِيًا. وأجابَه منهم فولادُ بن مَانْدار[ب] أَنَفَةً من مُتابَعَةِ أسْفارَ، وقاتَلَه فهَزَمَه، وأخَذَ أبا نَصْر أسيرًا وأحْضَرَه عندَ أخِيه صَمْصَامِ الدولةِ، واتَّهَمَ وَزِيرَه ابْنَ سَعْدانَ بمُداخَلَتِهم فقَتَلَه[1] .

ومضَى أسْفارُ إلى أبي الحسَيْنِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، وباقي الدَّيْلَمِ إلى شَرَفِ الدَّوْلَةِ. وسار شَرَفُ الدَّوْلَةِ إلى الأهْوازِ فَمَلَكَها من يَدِ أخِيه الحسَيْنِ. ثم مَلَكَ البَصْرَةَ من يَدِ أخِيه أبي طاهرٍ، ورَاسَلَه صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ في الصُّلْحِ فاتَّفَقوا على الخُطْبَةِ لشَرَفِ الدَّوْلَةِ بالعِراقِ، وبعَثَ إليه بالخِلَعِ والألْقابِ من الطَّائِعِ[2] .

نَكْبَةُ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ، ووِلايَةُ أخِيه شَرَفِ الدَّوْلَة

لَمَّا مَلَكَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ البَصْرَةَ من يَدِ أخِيه أبي طاهرٍ سار إلى واسِطَ فمَلَكَها، وعَمَدَ صَمْصَامُ الدَّوْلَة إلى أخِيه أبي نَصْرٍ، وكان مَحْبوسًا عندَه فأطْلَقَه وبعَثَهُ

(أ) الأصول: كروبه. (ب) من ح وفي ظ: ماندرار، بدون نقط وفي الكامل: فولاذ زماندار، وفي إحدى نسخه: ابزماندار ويرد الاسم بعد في: متنة صمصام الدولة: ابن ماندان.

(1) الكامل في التاريخ 9: 41-42.

(2) المصدر نفسه 9: 44-45 (مُلَخَّصًا) .

إلى أخيه شَرَفِ الدَّوْلَةِ بواسِطَ يَسْتَعْطِفُه بهِ فلم يَلْتَفِتْ إليه. وجَزِعَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ واسْتَشار أصْحابَه في طاعة أخيه شَرَفِ الدَّوْلَةِ فخَوَّفُوه عاقِبَتَه، وأشار بَعْضُهم بالصُّعودِ إلى عُكْبَرا، ثم منها إلى المَوْصِلِ وبلادِ الجَبَلِ، حتَّى يَحْدُثَ مِن أمْرِ اللهِ في فِتْنَةٍ بينَ الأتْراكِ والدَّيْلَمِ، أو غيرُ ذلك ما يُسَهِّلُ العَوْدَ.

وأشارَ بَعْضُهم بمُكاتَبَةِ عَمِّه فَخْرِ الدَّوْلَةِ والمَسِيرِ على طَرِيقِ أصْبهانَ، فيُخَالِفُ شَرَفُ الدَّوْلَةِ إلى فارِسَ، فرُبَّما يَقَعُ الصُّلْحُ على ذلك. فأعْرَضَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عن ذلك كلِّه ورَكِبَ / البَحْرَ إلى أخيه شَرَفِ الدَّوْلَةِ فتلَقَّاه وأكْرَمَه. ثم قَبَضَ عليه [347 ب] لأرْبَعِ سِنِينَ مِن إمارَتِه، وسار إلى بَغْدادَ في شَهْرِ رَمَضَانَ من سنةِ ستٍّ وسَبْعِينَ، فوَصَلَها وأخُوه صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ في اعْتِقالِه.

واسْتَفْحَلَ مُلْكُه، واسْتطالَ الدَّيْلَمُ على الأتْراكِ بكَثْرَتِهم، فإنَّهم بلَغُوا خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفًا والأتْراكُ ثَلاثةُ آلافٍ. ثم كَثُرَتِ المُنازَعاتُ بينَهم، وغَصَّ الدَّيْلَمُ بالأتْراكِ وأرادُوا إعادةَ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ إلى المُلْكِ. ثم اقْتَتَلُوا، فغَلَبَهم الدَّيْلَمُ وقَتَلُوا منهم ونَهَبُوا أمْوالَهم، وسار بَعْضُهم فذَهَبَ في الأرْضِ، ودخَلَ الآخَرُونَ مَعَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ، وخَرَجَ الطَّائِعُ لتَلَقِّيهِ وهَنَّأَه، وأصْلَحَ شَرَفُ الدَّوْلَةِ بينَ الفَرِيقَيْنِ، وبَعَثَ صَمْصامَ الدَّوْلَةِ إلى فارِسَ فاعْتُقِلَ بها، واسْتَوْزَرَ شَرَفُ الدولةِ أبا مَنْصُورِ بْنَ صَالِحان[1].

(1) الكامل في التاريخ 9: 48-50 (مُلَخَّصا) ؛ نهاية الأرب 26: 231-33.

ابْتِداءُ دولةِ بادٍ[أ] وبني مَرْوانَ بالمَوْصِلِ

قد تقدَّمَ لنا أنّ عَضُدَ الدولةِ اسْتَوْلَى على مُلْكِ بني حَمْدانَ بالمَوْصِلِ سنةَ سَبْعٍ وسِتِّين، ثم اسْتَوْلَى على مَيَّافارِقِينَ وآمِدَ وسائِرِ ديارِ بَكْرٍ مِن أعْمالِهم، وعلى ديارِ مُضَرَ أيْضًا مِن أعْمالِهم سنةَ ثمانٍ وستِّينَ، وولَّى عليها أبا الوفاءِ مِن قُوَّادِه، وذَهَبَ مُلْكُ بني حَمْدانَ مِن هذه النَّواحِي. وكان في ثُغُورِ ديارِ بَكْرٍ جَماعةٌ مِنَ الأكْرادِ الحميدِيَّةِ مُقَدَّمُهم أبو عَبْدِ اللهِ الحسَيْنُ بْنُ ذوشتَك[ب]، ولَقَبُه باد، وكان كثيرَ الغَزْوِ بتِلْكَ البِلادِ وإخافَةِ سُبُلِها[1]. وقال ابْنُ الأثيرِ: حدَّثني بَعْضُ أصْدقائِنا مِنَ الأكْرادِ الحميديّةِ أنَّ اسْمَه باد وكُنْيَتَه أبو شُجاع، وأنَّ الحُسَيْنَ هو أخُوه، وأنَّ أوَّلَ أمْرِه أنَّه مَلَكَ أرْجيشَ مِن بلادِ أرْمينيَّةَ فقَوِيَ[2].

ولمَّا مَلَكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ المَوْصِلَ حَضَرَ عندَه وهَمَّ بقَبْضِه، ثم سألَ عنهُ فافْتَقَدَه وكَفَّ عن طَلَبِه. فلمَّا ماتَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ اسْتَفْحَلَ أمْرُه واسْتَوْلَى على مَيَّافارِقِينَ وكثيرٍ مِن دِيارِ بَكْرٍ، ثُم على نَصِيبِينَ[3].

وقال ابْنُ الأثيرِ: سَارَ مِن أرْمِينيَّةَ إلى ديارِ بَكْرٍ فمَلَكَ آمِدَ ثم مَيَّافارِقِينَ[4]،

(أ) سقط من ح. (ب) ح: ذوشَند، ولعل الحرف الأخير كاف. وفي الكامل: الحسين بن دوستك.

(1) الكامل في التاريخ 9: 34.
(2) المصدر نفسه 9: 36 (بتصرُّف).
(3) المصدر نفسه 9: 35.
(4) المصدر نفسه 9: 36 (بتصرُّف).

وبعَثَ صَمْصامُ الدَّوْلَةِ إليه العَساكِرَ معَ أبي سَعِيدٍ بهْرامَ بْنِ أزدشِيرَ، فهزَمَهُم وأَسَرَ جماعةً منهم، فبَعَثَ عساكِرَ / أخرَى معَ أبي القَاسِمِ سَعِيدِ بْنِ محمَّدٍ الحاجِبِ، فلَقِيَهم بادٌ في بَلَدِ كواشَى وهزَمَهم، وقَتَلَ منهم وأَسَرَ؛ ثم قَتَلَ الأسْرَى صَبْرًا. ونَجا سَعْدٌ إلى المَوْصِلِ وبادٌ في اتِّبَاعِه، فثَار به أهْلُ المَوْصِلِ، نُفُورًا من سُوءِ سِيرَةِ الدَّيْلَمِ، فهَرَبَ منها ودَخَلَ بَادُ، ومَلَكَ المَوْصِلَ. وحَدَّثَ نَفْسَه بالمسِيرِ إلى بغْدادَ وانْتِزاعِها من يَدِ الدَّيْلَمِ، فأهَمَّ صَمْصامَ الدَّوْلَةِ أمْرُه، وبَعَثَ إليه عَسْكَرًا من الدَّيْلَمِ واحْتَفَلَ فيه، ولَقِيَهم بادٌ في صَفَرٍ من سنةِ أرْبعٍ وسَبْعِينَ فهزَمُوه ومَلَكُوا المَوْصِلَ، ولَحِقَ بادٌ بديارِ بَكْرٍ وجَمَعَ عليه عساكِرَ[1]. [348أ]

وكان بَنُو سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدانَ بحَلَبَ، وقد مَلَكَها منهم سَعْدُ الدَّوْلَةِ ابْنُه بعدَ مَهْلِكِه، فبَعَثَ إليه صَمْصامُ الدَّوْلَةِ أنْ يَكْفِيَه أمْرَ باد، على أنْ يُسَلِّمَ إليه دِيارَ بَكْرٍ، فبَعَثَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ إليه جَيْشًا فلم يَكُنْ لهم بهِ طاقةٌ، ورَجَعُوا إلى حَلَبَ، فبَعَثَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ مِن اغْتالَه في مَرْقَدِه بخَيْمَتِه منَ البادِيَةِ، وضَرَبَه فاعْتَلَّ وأشْفَى على المَوْتِ، وبعَثَ إلى سَعْدٍ وزِيادٍ الأميرَيْنِ بالمَوْصِلِ فصَالَحَهما على أنْ تَكُونَ دِيارُ بَكْرٍ والنِّصْفُ مِن طُورِ عَبْدِينَ[2] لباد، ورَجَعَ زِيادٌ إلى بغْدادَ وهُوَ الذي جاءَ بعَساكِرِ الدَّيْلَمِ وانْهَزَمَ بادٌ أمامَه[3].

ثم تُوُفِّيَ سَعْدٌ الحاجِبُ بالمَوْصِلِ سنةَ سَبْعٍ وسَبْعِينَ، فتَجَدَّدَ لبادٍ الطَّمَعُ في

(1) الكامل في التاريخ 9: 38.
(2) طُورُ عَبْدِين . بُلَيْدَةٌ من أعمال نَصِيبِين في بَطْنِ الجَبَل المُشرِف عليها المُتَّصِل بجَبَل الجُودِيّ (معجم البلدان 4: 48).
(3) الكامل في التاريخ 9: 38-39.

مُلكِها، وبعَثَ شرَفُ الدَّوْلَةِ على المَوْصِلَ أبا نَصْرٍ خُوَاشَاذَه، فدَخَلَ المَوْصِلَ واسْتَمَدَّ العساكِرَ والأموالَ فأبطأتْ عنه، فدعا العَرَبَ من بني عُقَيْلٍ وبني نُمَيْرٍ، وأقْطَعَهمُ البلادَ لِيُدافِعُوا عنها[1]، واستَوْلَى بادٌ على طُورِ عَبْدِينَ وأقام بالجَبَلِ، وبعَثَ أخاه في عَسْكَرٍ لقِتالِ العَرَبِ فانْهَزَمَ وقُتِلَ.

وبينَما خُواشاده يتَجهَّزُ لِقِتالِ باد، جاءهُ الخَبَرُ بموتِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ. ثم جاء إبْراهيمُ وأبو الحسَيْنِ ابنا ناصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدانَ أميرَيْنِ على المَوْصِلِ مِن قِبَلِ بهاءِ الدَّوْلَةِ، وبقِيَتْ في مُلكِهما إلى سَنَةِ إحْدَى وثمانِينَ، فبَعَثَ بهاءُ الدَّوْلَةِ عَسْكرًا مع أبي [348ب]
جَعْفَرٍ الحَجَّاجِ بْنِ هُرْمُزَ فمَلَكَها، وزَحَفَ إليه أبو الذُّوَادِ محمدُ بْنُ المُسَيَّبِ أميرُ بني عُقَيْلٍ، فقاتَلَه وبالَغَ في مُدافَعَتِه، واسْتَمَدَّ/ بهاءَ الدَّوْلَةِ، فبَعَثَ إليه الوَزيرَ أبا القاسِمِ عليَّ بْنَ أحمدَ، فسار أوَّلَ سنةِ ثِنْتَيْنِ وثَمانينَ وكتَبَ إلى أبي جَعْفَرٍ بالقَبْضِ عليه بسِعايةِ ابْنِ المعلِّمِ، وشَعَرَ الوَزيرُ بذلك، فصالَحَ أبا الذُّوَادِ ورَجَعَ ووَجَدَ بهاءَ الدَّوْلَةِ قد قَبَضَ على ابْنِ المُعَلِّمِ وقتَلَه[2].

وفاةُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ومُلْكُ بهاءِ الدَّوْلَةِ

ثم تُوفِّي شَرَفُ الدولةِ أبو الفَوارِس شرزيك[أ] بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ في جُمادَى سنةَ تِسْعٍ وسَبْعينَ [وثلاثِ مائةٍ] لسَنَتَيْنِ وثمانيةِ أشْهُرٍ من إمارَتِه، ودُفِنَ بِمَشْهَدِ

(أ) كذا في ح، وجاءت مهملة في ظ.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 54-55.

(2) فقرة مُجمَّعَة من الكامل لابن الأثير بتصرُّف.

عليٍّ بعدَ أنْ طالَتْ عِلَّتُه بالاستِسْقاءِ، وبَعَثَ وهُوَ عَلِيلٌ إلى أخِيه صَمْصام الدَّوْلَةِ بفارِسَ فشَمِلَه[أ]، وبَعَثَ ابْنَه أبا عليٍّ عَلَى بلادِ فارِسَ ومعَهُ الخزائِنُ والعُدَدُ وجُمْلَةٌ منَ الأتْراكِ. وسُئِل شَرَفُ الدَّوْلَةِ في العَهْدِ بِمُلكِه، فأبَى أنْ يَعْهَدَ، واسْتَخْلَفَ أخاهُ بهاءَ الدَّوْلَةِ لِحِفْظِ الأمورِ في حَياتِه. فلمَّا ماتَ قَعَدَ في المَمْلَكَةِ، وجاءَه الطائِعُ للعَزاءِ وخَلَعَ عليه للسَّلْطَنَةِ، فأقَرَّ أبا مَنْصورِ بْنَ صالِحانَ على وِزارَتِه[1]، وبَعَثَ أبا طاهرٍ إبْراهيمَ وأبا عَبْدِ اللهِ الحَسَنَ ابْنَيْ ناصرِ الدولةِ بْنِ حَمْدانَ إلى المَوْصِلِ ـ وكانا في خِدْمَةِ شَرَفِ الدولةِ ـ فاسْتأْذَنا بهاءَ الدولةِ بعدَ مَوْتِه في الإصْعادِ إلى المَوْصِلِ فأذِنَ لهما. ثم نَدِمَ على ما فَرَّطَ في أمْرِهما، وكَتَبَ إلى خُواشادَه بمُدافَعَتِهما فامْتَنَعا وجاءا ونَزَلا بظَاهِرِ المَوْصِلِ[2].

وثار أهْلُ المَوْصِلِ بالدَّيْلَمِ والأتراكِ وخَرَجُوا إلى ابْنَيْ حَمْدانَ، وقاتَلُوا الدَّيْلَمَ فهَزَمُوهم، وقَتَلُوا كثيرًا منهم، واعْتَصَمَ الباقُونَ بدارِ الإمارةِ فأخْرَجُوهم على الأمانِ ولَحِقُوا ببغْدادَ، ومَلَكَ بنو حَمْدانَ المَوْصِلَ.

وكان أبو عليِّ بْنُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ لَمَّا انْصَرَفَ إلى فارِسَ بَلَغَه مَوْتُ ابْنِيه بالبَصْرَةِ، فبَعَثَ العِيالَ والأمْوالَ في البَحْرِ إلى أرَّجانَ، وسار هُوَ إليها. ثم سار إلى شِيرازَ فوَافاهُ بها عَمُّه صَمْصامُ الدولةِ وأخُوه أبو طاهرٍ، قد أطْلَقَهما المُوَكَّلُونَ بهما ومعَهما فولاد، وجاءوا إلى شِيرازَ، واجْتَمَعَ عليهم الدَّيْلَمُ، وخَرَجَ أبو عليٍّ إلى الأتْراكِ
[349أ] فاجْتَمَعُوا عليه، وقاتَلَ صَمْصامَ/ الدَّوْلَةِ والدَّيْلَمَ أيَّامًا. ثم سار إلى فَسَا فَمَلَكَها وقَتَلَ

(أ) جاءت مهملة في الأصول: فسمله.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 61-62.

(2) المصدر نفسه 9: 66-67.

الدَّيْلَمَ بها. ثم سار إلى أرَّجانَ، وبَعَثَ الأتْراكَ إلى شِيرازَ لِقِتالِ صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ فنَهَبُوا البلدَ وعادُوا إليه بأرَّجانَ. ثم بعَثَ بهاءُ الدَّوْلة إلى أبي عليٍّ ابْنِ أخِيه يَسْتَقْدِمُه، واستمالَ الأتْراكَ سِرًّا فحَمَلُوا أبا عليٍّ عَلَى المسِيرِ إليه، فسَارَ في جُمادَى سنةَ ثمانِينَ، فأكْرَمَه ثم قَبَضَ عليه وقَتَلَه. ثم وَقَعَتِ الفِتْنةُ ببغْدادَ بينَ الأتْراكِ والدَّيْلَمِ، واقْتَتَلُوا خمسةَ أيَّام. وراسَلَهم بهاءُ الدَّوْلَةِ في الصُّلْحِ فلم يُجِيبُوا وقَتَلُوا رُسُلَه، فظَاهَرَ الأتْراكَ عليهم فغَلَبُوهم، واشْتَدَّتْ شَوْكَةُ الأتْراكِ مِن يَوْمِئذٍ، وضَعُفَ أمْرُ الدَّيْلَمِ، وصَالَحَ بينَهم على ذلك وقَبَضَ على بَعْضِ الدَّيْلَمِ وافْتَرَقُوا.

خُرُوجُ القادرِ إلى البَطِيحَة[1]

كان إسْحاقُ بنُ المُقْتَدِرِ لمَّا تُوفِّي تَرَكَ ابْنَه أبَا العَبَّاسِ أحْمَدَ الذي لُقِّبَ بالقادِرِ، فجَرَتْ بينَه وبينَ أُخْتٍ له مُنازَعَةٌ في ضَيْعَةٍ، ومَرِضَ القادِرُ مَرَضًا مَخُوفًا ثم أبَلَّ، فسَعَتْ تِلْكَ الأُخْتُ بأخِيها، وأنَّه طَلَبَ الخلافةَ في مَرَضِ الطَّائعِ، فأنْفَذَ أبا الحَسَنِ ابْنَ حَاجِبِ النُّعْمانِ في جماعةٍ للقَبْضِ عليه، وكان بالحَرِيمِ الظَّاهِريِّ[أ]، فغَلَبَهم النِّساءُ عليه، وخَرَجَ من دارِه مُسْتَتِرًا. ثم لَحِقَ بالبَطِيحَةِ ونَزَلَ على مُهذَّبِ الدَّوْلَةِ فبالَغَ في خِدْمَتِه إلى أنْ أتاه بَشِيرُ الخِلافَةِ[2].

(أ) في ظ، بطاء مهملة، والظّاء من ح.

(1) البَطِيحَة: أرْضٌ واسِعَةٌ بين واسِط والبَصْرَة تبَطَّحَت فيها المِياه، أي سالَت واتَّسَعَت في الأرض (معجم البلدان 1: 450-451).

(2) الكامل في التاريخ 9: 65-66.

فِتْنَةُ صَمْصامِ الدَّوْلَة

لمَّا تغَلَّبَ صَمْصامُ الدَّوْلَةِ على بلادِ فارِسَ، وجاء أبو علِيٍّ ابنُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ إلى عَمِّه بهاءِ الدَّوْلَةِ فقتَلَه كما ذكَرْناه، سار بهاءُ الدَّوْلَةِ من بغْدادَ إلى خُوزِسْتانَ سنة ثَمانِينَ وثَلاثِ مائةٍ قاصِدًا بلادَ فارِسَ، واسْتَخْلَفَ أبا نَصْرٍ خُواشاذَه على بغْدادَ. ولمَّا بلَغَ خُوزِسْتانَ أتاه نَعْيُ أخِيه أبي طاهِرٍ فجَلَسَ للعَزاءِ به. ثم سار إلى أرَّجانَ فملَكَها وأخَذَ ما فيها منَ الأمْوالِ، وكان ألْفَ ألْفِ دِينارٍ وثَمانيةَ آلافِ ألْفِ ألْفِ[أ] دِرْهَمٍ وكثيرًا منَ الثِّيابِ والجواهِرِ. وشَغَبَ الجُنْدُ لذلك، فأطْلَقَ تلك الأمْوالَ كلَّها لهم؛ ثم [349 ب] سارَتْ مُقَدِّمَتُه وعليها أبو/ العَلَاءِ بْنُ الفَضْلِ إلى النُّوبَنْدَجانِ[1]، وبها عَسْكَرُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ فانْهزَمُوا، وثَبَتَ أبو العَلاءِ بْنُ الفَضْلِ في نواحِي فارِسَ.

ثم بَعَثَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرَه وعليهم فولادُ بْنُ مانْدانَ[ب] فهَزَمُوا أبا العَلاءِ وعادَ إلى أرَّجانَ، وجاءَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ مِن شِيرازَ إلى فولادَ، ثم وَقَعَ الصُّلْحُ على أنْ يَكُونَ لِصَمْصامِ الدَّوْلَةِ بِلادُ فارِسَ وأرَّجانُ، ولبهاءِ الدَّوْلَةِ خُوزِسْتانُ وما وراءَها من مُلْكِ العِراقِ، وأنْ يَكُونَ لكلِّ واحدٍ منهما إقْطاعٌ في بَلَدِ صاحِبِه، وتحالَفَا على ذلك.

ورَجَع بهاءُ الدَّوْلَةِ إلى بغْدادَ، فوَجَدَ الفِتْنَةَ بينَ السُّنَّةِ والشِّيعةِ بجانِبَي

(أ) كذا في ظ، والألف الثانية ساقطة من ح. (ب) تقدم براء في آخره.

(1) نُوبَنْدَجان. مَدِينَةٌ في فارس من كورة سَابُور بينها وبين أرَّجَان ستة وعشرون فرسخًا (78 ميلًا) وبينها وبين شيرَاز قريبٌ من ذلك (معجم البلدان 5: 307).

بغدادَ، وقد كَثُرَ القَتْلُ والنَّهْبُ والتَّخْرِيبُ، فأصْلَحَ ذلكَ[1]. وكان قَبْلَ سَيْرِه إلى خُوزِسْتانَ قَبَضَ على وَزِيرِه أبي مَنصُورِ ابْنِ صَالِحَانَ، واسْتَوْزَر أبا نَصْرٍ سابُورَ بْنَ أرْدشِيرَ، وكان الحُكْمُ والتَّدْبِيرُ في دَوْلَتِه لأبي الحسَيْنِ ابْنِ المُعَلِّمِ[2].

خَلْعُ الطَّائِع وبَيْعَةُ القادِرِ

ثم إنَّ بهاءَ الدَّوْلَةِ قَلَّتْ عندَه الأمْوالُ وكَثُرَ شَغَبُ الجُنْدِ ومُطالَباتُهم، وقَبَضَ على وَزِيرِه سابُورَ فلم يُغْنِ عنه، وامْتَدَّتْ عَيْناهُ إلى أمْوالِ الطَّائِعِ وهَمَّ بالقَبْضِ عليه، وحَسَّنَ له ذلك أبو الحسَيْنِ بْنُ المُعَلِّمِ الغالِبُ على هَواهُ، فتَقَدَّمَ إلى الطَّائِعِ بالجُيُوشِ لحضُورِه في خِدْمَتِه فَجَلَسَ وجَلَسَ بهاءُ الدَّوْلَةِ على كُرْسِيٍّ؛ ثم جاء بَعْضُ الدَّيْلَمِ يُقَبِّلُ يَدَ الطَّائِعِ، فَجَذَبَه عن سَرِيرِه وأخْرَجَه، ونُهِبَتْ قُصُورُ الخِلافَةِ، وفَشَا النَّهْبُ في النَّاسِ، وحُمِلَ الطَّائِعُ إلى دارِ بهاءِ الدَّوْلَةِ، فأُشْهِدَ عليه بالخَلْعِ سنةَ إحْدَى وثَمانِينَ، لِسَبْعَ عَشْرَةَ سنةً وثمانيةِ أشْهُرٍ من خِلافَتِه.

وأرْسَلَ بهاءُ الدَّوْلَةِ خَواصَّ أصْحابِه إلى البَطِيحَةِ لِيُحْضِرُوا القادِرَ باللهِ أبا العَبَّاسِ أحْمَدَ بْنَ إسْحاقَ بْنِ المُقْتَدِرِ لِيُبايِعُوه، فجاءوا به بعدَ أنْ بالَغَ مُهَذَّبُ الدَّوْلَةِ صاحِبُ البَطِيحَةِ في خِدْمَتِه، وسار بهاءُ الدَّوْلَةِ وأعْيانُ النَّاسِ لِتَلَقِّيه فلَقُوه بِدُجَيْلٍ[3]، ودَخَلَ دارَ الخلافَةِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ ليلةً من رَمَضانَ، وخُطِبَ له صَبِيحَتَها، وكانَتْ مُدةُ

(1) الكامل في التاريخ 9: 75-76.
(2) الكامل في التاريخ 9: 77.
(3) الدُّجَيْل نَهَرٌ مَخْرَجُه من أعلى بغداد بينها وبين تكريت مُقابل القادسية (معجم البلدان 2: 443).

[350أ] إقامَتِه/ بالبَطِيحَةِ ثَلاثَ سِنِينَ غيرَ شَهْرٍ، ولم يُخْطَبْ له بخُراسانَ[1].

وأقامُوا على بَيْعَةِ الطَّائِعِ، ولحَوْلٍ من خِلافَتِه أو ما يَقْرُبُ منه دفَعَ إليه بَهاءُ الدَّوْلَةِ الطَّائِعَ، فأنْزَلَه بحُجْرَةٍ مِن قَصْرِه، ووَكَّلَ مَن يَقُومُ بخِدْمَتِه على أتَمِّ الوُجُوهِ، وأجْرَى أحْوالَه على ما كان عليه في الخلافَةِ إلى أن تُوفِّي سنةَ ثَلاثٍ وتِسْعِينَ، فصَلَّى عليه ودَفَنَه[2].

مُلْكُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ الأهْوازَ وعَوْدُها لبهاءِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ اسْتيلاؤُه ثانيًا عليها

قد تَقَدَّم لنا ما وَقَعَ بينَ بهاءِ الدَّوْلَةِ وصَمْصامِ الدَّوْلَةِ مِنَ الصُّلْحِ على أنْ يَكُونَ له فارِسُ، ولبهاءِ الدَّوْلَةِ خُوزِسْتانُ وما وراءَها، وذلك سنةَ ثمانٍ.

ولمَّا كانَتْ سنةُ ثلاثٍ وثمانينَ تَحَيَّلَ بهاءُ الدَّوْلَةِ فبَعَثَ أبا العَلاءِ عَبْدَ الله ابْنَ الفَضْلِ إلى الأهْوازِ، على أنْ يَبْعَثَ إليه الجُيُوشَ مُفترِقةً، فإذا اجْتَمَعَتْ كَبَسَ بِلادَ فارِسَ على حينِ غَفْلَةٍ.

وشَعَرَ صَمْصامُ الدَّوْلَةِ بذلك قَبْلَ اجتماعِ العساكِرِ، فبَعَثَ عساكِرَه إلى خُوزِسْتانَ؛ ثم جاءَتْ عساكِرُ العِراقِ والْتَقَوْا، فانْهَزَمَ أبو العَلاءِ، وحُمِلَ إلى صَمْصامِ

(1) الكامل في التاريخ 9: 79-80.

(2) المصدر نفسه 9: 93، 175؛ نهاية الأرب 23: 204-206.

الدَّوْلَةِ أسيرًا فاعْتقَلَه، وبعَثَ بهاءُ الدَّوْلَةِ وَزيرَه أبا نَصْرٍ سابُورَ إلى وَاسِطَ يحُاوِلُ له جَمْعَ المالِ، فهَرَبَ إلى مُهذَّبِ الدَّوْلَةِ صاحِبِ البَطِيحَة.

ثم كَثُرَ شَغَبُ الدَّيْلَمِ على بَهاءِ الدَّوْلَةِ، ونَهَبوا دارَ الوَزيرِ أبي نَصْرٍ سابُورَ، واسْتَعْفَى ابْنُ صالِحانَ فعُفِيَ، واسْتَوْزَرَ أبا القاسِمِ عليَّ بْنَ أحمدَ ثم هَرَبَ، وعاد سابُورُ إلى الوِزارَةِ وأصْلَحَ الدَّيْلَمَ[1].

ثم أنْفَذَ بهاءُ الدَّوْلَةِ عَسْكَرَه إلى الأهْوازِ سَنَةَ أرْبعٍ وثَمانِينَ وعليهم طُغَانُ التُّرْكيُّ، وانتَهَوْا إلى السُّوسِ، فارْتَحَلَ عنها أصْحابُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ ومَلَكَها طُغَانُ، وكان أكْثَرُ أصْحابِه التُّرْكَ وأكْثَرُ أصْحابِ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمَ، ومعه تَمِيمٌ وأسَدٌ، فزَحَفَ إلى طُغَانَ بالأهْوازِ، وأسْرَى من تُسْتَرَ لِيَكْبِسَ الأتْراكَ الذين مَعَ طُغَانَ، فقُتِلَ في طَرِيقِه، وأصْبَحَ دُونَهم بمَرْأى منهم فرَكِبُوا لِقتالِه وأكْمَنُوا له، ثم قاتَلُوه فهَزَمُوه وفتَكُوا في الدَّيْلَمِ بالقَتْلِ حَرْبًا وصَبْرًا[2].

وجاء/ الخَبَرُ إلى بَهاءِ الدَّوْلَةِ بواسِطَ، فسَارَ إلى الأهْوازِ فتَرَكَ بها طُغَانَ [350 ب] ورَجَع، ولَحِقَ صَمْصامُ الدَّوْلَةِ بفارِسَ فاسْتَلْحَمَ مَن وَجَدَ بها مِنَ الأتْراكِ، وهَرَبَ فَلُّهُم إلى كَرْمانَ، واسْتَأْذَنُوا مَلِكَ السِّنْدِ في اللَّحاقِ بأرْضِه فأذِنَ لهم، ثم رَكِبَ لتَلَقِّيهم فقَتَلَهم عن آخِرِهم[3].

ثم جَهَّزَ صَمْصامُ الدَّوْلَةِ عساكِرَه إلى الأهْوازِ مَعَ العَلاءِ بْنِ الحَسَنِ، وكان أفْتكِينُ برامَهُرْمُزَ من قِبَلِ بَهاءِ الدَّوْلَةِ، فرَجَعَ إلى الأهْوازِ وتَرَكَها، ووَلَّى عليها أبا محمدٍ

(1) الكامل في التاريخ 9: 97.

(2) المصدر نفسه 9: 103-104.

(3) المصدر نفسه 9: 111.

ابْنَ مكرَمٍ. وكان طُغَانُ نائِبُ الأهْوازِ قد ماتَ، ووَلّى بهاءُ الدَّوْلَةِ مَكانَه كاليجَارَ المَرْزُبانَ ابْنَ سَفْهِيْرُونَ(أ). وجاء بَهاءُ الدَّوْلَةِ إلى خُوزِسْتانَ، فخادَعه العَلاءُ قائِدُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ، وكاتبَه وكاتَبَ أفتكِينَ وابْنَ مكرَمٍ إلى أنْ قَرُبَ منهم، ومَلَكَ البَلَدَ من أيْدِيهم وأقاموا بظَاهِرِها، واسْتَمَدُّوا بهاءَ الدَّوْلَةِ فأمَدَّهم بثَمانِينَ منَ الأتْراكِ فقَتَلُوهم عن آخِرِهم، وسار بهاءُ الدَّوْلَةِ نحوَ الأهْوازِ؛ ثم عادَ إلى البَصْرَةِ، وعادَ ابْنُ مكرَمٍ إلى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ، والعَلاءُ والدَّيْلَمُ في اتِّباعِه إلى أنْ جاوَزُوا تُسْتَرَ إليه واقْتَتَلُوا طويلًا وأصْحابَ بهاءِ الدَّوْلَةِ من تُسْتَرَ إلى رامَهُرْمُزَ، وهُمُّ الأتْراكُ وأصْحابُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ من تُسْتَرَ إلى أرَّجانَ فاقْتَتَلُوا سِتَّةَ أشْهُرٍ، ورَجَعُوا إلى الأهْوازِ؛ ثم رَحَلَ الأتْراكُ إلى واسِطَ، واتَّبَعَهُمُ العَلاءُ قليلًا، ثم رَجَعَ عنهم وأقام بعَسْكَرِ مُكْرَمٍ[1].

مُلْكُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ البَصْرَةَ

لَمَّا رَحَلَ بهاءُ الدَّوْلَةِ إلى البَصْرَةِ اسْتَأمَنَ كثيرٌ منَ الدَّيْلم الذينَ معَه إلى العَلاءِ، نحوٌ من أرْبَعِ مائةٍ، فبعَثَهم معَ [قائِدِه] لُشْكَرِسْتان(ب) إلى البَصْرَةِ، وقاتَلُوا أصْحابَ بهاءِ الدولةِ، ومالَ إليهم أهْلُ البَلَدِ ومُقَدَّمُهم أبو الحَسَنِ بْنُ أبي جَعْفَرٍ العَلَوِيُّ، وارْتابَ بهم بَهاءُ الدَّوْلَةِ فهَرَبَ الكَثِيرُ منهم إلى لُشْكَرِسْتان، وحَمَلُوه في

(أ) كذا في ظ ح، وعند ابن الأثير: شهفيروز.

(ب) كذا ضبطت بالحركات في ظ، وهو مطابق لصيغة الكامل، وفي ح: الشُكَرستان والمحصور سقط من ظ، وفي ح: قائد.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 112-113.

السُّفُنِ وأدْخَلُوه البَصْرَةَ. وخَرَجَ بَهاءُ الدَّوْلَةِ وأصْحابُه، فكَتَبَ إلى مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ صاحِبِ البَطِيحَة يُغْرِيه بالبَصْرَة، فبَعَثَ إليها جَيْشًا مَعَ/ قائدِه عَبْدِ اللهِ بْنِ مَرْزُوقٍ، [1351] فغَلَبَ عليها لُشْكُرِسْتان، ومَلَكَها لِمُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ. ثم عادَ لُشْكُرِسْتان وقاتَلَها، وكاتَبَ مُهَذَّبَ الدَّوْلَةِ بالصُّلْحِ والطَّاعَةِ والخُطْبَةِ له بالبَصْرَةِ، وأعْطَى ابْنَه رَهِينَةً عَلَى ذلك، فأجابَه ومَلَكَ البَصْرَةَ وعَسَفَ بهم، وكان يُظْهِرُ طاعةَ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ وبَهاءِ الدَّوْلَةِ ومُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ[1].

ثم إنَّ العَلاءَ بْنَ الحَسَنِ نائِبَ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ بخُوزِسْتانَ تُوفِّيَ بعَسْكَرِ مُكْرَم، فبَعَثَ مكانَه أبا عليٍّ إسماعيلَ بْنَ أُسْتاذ هُرْمُزَ، وسارَ إلى جُنْدَيْسابُورَ فدَفَعَ عنها أصْحابَ بَهاءِ الدَّوْلَةِ، وأزاحَ الأتْراكَ عن خُوزِسْتانَ جُمْلَةً، وعادُوا إلى واسِطَ، وكاتَبَ جماعةً منهم فنَزَعُوا إليه؛ ثم زَحَفَ إليه أبو مُحَمَّدِ بْنُ مُكْرَمٍ والأتْراكُ، وجَرَتْ بينَهم وقائعُ[2].

ثم انْتَقَضَ أبو عليٍّ إسماعيلُ بْنُ أُسْتاذ هُرْمُزَ، ورَجَعَ إلى طاعةِ بَهاءِ الدَّوْلَةِ وهُوَ بواسِطَ سنةَ ثَمانٍ وثَمانِينَ، فاسْتَوْزَرَه ودَبَّرَ أمْرَهُ واسْتَدْعاهُ إلى مُظاهَرَةِ قائدِه ابْنِ مكرَم بعَسْكَرِ مُكْرَمٍ فسار إليه، وكانَتْ مِن إسْماعيلَ خَدِيعَةٌ تَوَرَّطَ فيها بَهاءُ الدَّوْلَةِ، واسْتَمَدَّ بَدْرَ بْنَ حَسْنَوَيْهِ فأمَدَّه بَعْضَ الشَّيْءِ، وكاد يَهْلِكُ؛ ثم جاءَه الفَرَجُ بقَتْلِ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ[3].

(1) الكامل في التاريخ 9: 123-125.

(2) المصدر نفسه 9: 133.

(3) المصدر نفسه 9: 141.

مَقْتَلُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ

كان صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ بْنُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ مُسْتَوْلِيًا على فارِسَ كما ذكَرْناه، وكان أبو القاسِمِ وأبو نَصْرٍ ابْنَا بَخْتِيارَ مَحْبُوسَيْنِ ببَعْضِ قِلاعِ فارِسَ، فخَدَعَا المُوَكَّلِينَ بهما في القَلْعةِ وأفرَجُوا عنهما، واجْتَمعَ إليهما لَفِيفٌ منَ الأكْرادِ. وكان جماعةٌ منَ الدَّيْلَمِ اسْتَوْحَشُوا مِن صَمْصامِ الدَّوْلَةِ بما أسْقَطَهم منَ الدِّيوانِ، فلَحِقُوا بابْنَيْ بَخْتِيارَ، وقَصَدُوا أرَّجانَ، وتَجَهَّزَ صَمْصامُ الدَّوْلَةِ إليهم. وكان أبو عليٍّ بْنُ أُسْتاذ هُرْمُزَ مُقِيمًا بنَسَا، فثارَ بهِ الجُنْدُ، وحَبَسَه ابْنا بَخْتِيارَ، ثم نَجا. وقَصَد صَمْصامُ الدَّوْلَةِ القَلْعَةَ التي على شِيرازَ لِيَمْتَنِعَ فيها إلى أنْ يأتِيَه المَدَدُ، فلم يُمَكِّنْه نائِبُها مِن ذلك، وأشار عليه باللَّحاقِ بأبي عليٍّ بْنِ أُسْتاذ هُرْمُزَ وبالأكْرادِ، وجاءَتْه منهم طائفةٌ/ [351 ب] فخَرج معَهم بأمْوالِه فنَهَبُوه، وسار إلى الرُّوذْمَانِ[أ]، على مَرْحَلَتَيْنِ مِن شيرازَ. وجاء أبو نَصْرِ بْنُ بَخْتِيارَ إلى شِيرازَ، فقَبَضَ صاحِبُ الرُّوذْمانِ على صَمْصَامِ الدَّوْلَةِ، وأخَذَه منه أبو نَصْرٍ وقَتَلَه في ذي الحِجَّةِ سَنَةَ ثمانٍ وثَمانِينَ، لِتِسْعِ سِنِينَ مِن إمارَتِه على فارِسَ[1].

اسْتِيلاءُ بَهاءِ الدَّوْلَةِ على فارِسَ

ولمَّا قُتِلَ صَمْصَامُ الدَّوْلَةِ، ومَلَكَ ابْنا بَخْتِيارَ بِلادَ فارِسَ، كَتَبا إلى أبي عليٍّ ابنِ أُسْتاذ هُرْمُزَ في الأهْوازِ بأخْذِ الطَّاعَةِ لهما منَ الدَّيْلَمِ، ومُحارَبَةِ بَهاءِ الدَّوْلَةِ، فخَافَهما

(أ) كذا في ح ، ولعلها التي سماها ياقوت (3: 42) : الرَّزمان من قُرى صغد سَمَرْقَنْد .

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 142-143.

أبو عليٍّ بما كان مِن قَتْلِه أخَوَيْهما، وأغرَى الدَّيْلَمَ بطاعَةِ بَهاءِ الدَّوْلَةِ، ورَاسَلَه واسْتَخْلَفَه لهم، فحَلَفَ وضَمِن لهم غائِلَةَ[أ] الأتْراكِ الذين معَه، وأغْراهُم بثَأْرِ أخِيه مِنَ ابنَيْ بَخْتِيارَ فدَخَلُوا في طاعَتِه، وجاءَه وَفْدٌ مِن أعْيانِهم فاسْتَوْثَقوا منه وكَتَبُوا إلى مَن كان بالسُّوسِ منهم بذلك. ورَكِب بَهاءُ الدَّوْلَةِ إلى نائِبِ السُّوسِ، فقاتَلُوه أوَّلًا، ثم اجْتَمَعوا عليه وسارُوا إلى الأهْوازِ، ثم إلى رامَهُرْمُزَ وأرَّجانَ، ومَلَكُوا سائرَ بلادِ خُوزِسْتانَ. وسار أبو عليِّ بْنُ إسْماعيلَ إلى شِيرازَ وقاتَلَها، وتَسَرَّب إليه أصْحابُ ابنَيْ بَخْتِيارَ، فاسْتَوْلَى على شِيرازَ سنةَ تِسْعٍ وثَمانِينَ، ولَحِقَ أبو نَصْرِ بْنُ بَخْتِيارَ بِبلادِ الدَّيْلَمِ، وأبو القاسِمِ ببَدْرِ بْنِ حَسْنَوَيْه، ثم بالبَطِيحَةِ.

وكَتَبَ أبو عليٍّ إلى بَهاءِ الدَّوْلَةِ بالفَتْحِ، فجاءَ ونَزَلَ شِيرازَ وأحْرَق قَرْيَةَ الرُّوذْمانِ حيثُ قُتِلَ أخُوه صَمْصامُ الدَّوْلَةِ، واسْتأصَلَ أهْلَها، وبَعَثَ عَسْكرًا مع أبي جَعْفَرِ بْنِ أُسْتاذ هُرْمُزَ إلى كَرْمانَ فَمَلَكَها[1].

ولمَّا لَحِقَ أبو القاسِمِ بْنُ بَخْتِيارَ بِبلادِ الدَّيْلَمِ كاتَبَ مِن هُنالِكَ الدَّيْلَمَ الذين بكَرْمَانَ وفارِسَ يَسْتَمِيلُهم فأجَابُوه، وسار إلى بلادِ فارِسَ، واجْتَمَعَ عليه كثيرٌ من الزُّطِّ[2] والدَّيْلَمِ والأتْراكِ. ثم سار إلى كَرْمانَ وبها أبو جَعْفَرِ بْنُ أُسْتاذ هُرْمُزَ، فهَزَمَه

(أ) النسخ: غاية، والمثبت اقتضاه السياق.

---

(1) عن الكامل في التاريخ 9: 150-151 (بتصرُّف) وهو آخِرُ ما وَجَدَه ابنُ الأثير في ذَيْل تجارب الأمم للوزير أبي شُجَاع محمد بن الحسين الرُّوذْرَاوري، المتوفَّى سنة 488هـ/1095م.

(2) الزُّط . جِيلٌ أسْوَد من السّند تُنْسَبُ إليهم الثّيابُ الزُّطية، وهو أيضًا إعْرَاب جَتّ بالهندية وهم جيل من أهل الهند يعدون الأصُول الأولى للغجَر (لسان العرب 6: 42، وكذلك عبادة كحيلة: الزُّط والأصول الأولى لتاريخ الغجَر، القاهرة 1994).

إلى السِّيرَجَان (1)، ومَضَى ابْنُ بَخْتِيارَ إلى جِيرَفْتَ (2) فَمَلَكَها وأكْثَرَ كَرْمانَ، وبَعَثَ بَهاءُ الدَّوْلَةِ المُوَفَّقَ بْنَ عليِّ بْنِ إسْماعِيلَ في العَساكِرِ إلى جيرَفْتَ، فاسْتَأْمَنَ إليه مَن كان بها مِن أصْحابِ بَخْتِيارَ، ومَلَكَها/ وتَجَرَّدَ في جَماعَةٍ من شُجْعانِ أصْحابِه لاتِّباعِ ابْنِ بَخْتِيارَ فلَحِقَه بِدارِين (أ)، وقاتَلَه، فغَدَرَ به بَعْضُ أصْحابِه فقَتَلَه وحَمَلَ رأسَه إلى المُوَفَّقِ، واسْتَوْلَى على بلادِ كَرْمانَ واسْتَعْمَلَ عليها، وعادَ إلى بَهاءِ الدَّوْلَةِ فتَلَقَّاه وعَظَّمَهُ. واسْتَعْفَى المُوَفَّقُ مِنَ الخِدْمَةِ فلم يُعْفِه، ولَجَّ المُوَفَّقُ في ذلك فقَبَضَ عليه بَهاءُ الدَّوْلَةِ، وكَتَبَ إلى وَزِيرِه سابُورَ بالقَبْضِ على ذَوِيه، ثم قَتَلَه سَنَةَ أرْبَعٍ وتِسْعِينَ، واسْتَعْمَلَ بَهاءُ الدَّوْلَةِ أبا محمدِ بْنَ مكرمٍ على عُمانَ (3). [352 أ]

الخَبَرُ عن وُزَراءِ بَهاءِ الدَّوْلَةِ

قد ذَكَرْنا أنَّ بَهاءَ الدَّوْلَةِ كان اسْتَوْزَرَ أبا نَصْرٍ سابُورَ بْنَ أزْدشِيرَ بَعْدَ أنْ قَبَضَ على وَزِيرِه أبي مَنْصورِ بْنِ صَالِحَانَ قَبْلَ مَسِيرِه إلى خُوزِسْتانَ، وأنَّ أبا الحَسَنِ بْنَ المُعَلِّمِ كان يُدبِّرُ دَوْلَتَه [و]ذلك منذُ سَنَةِ ثَمانِينَ (4)، فاسْتَوْلَى ابْنُ المُعلِّمِ على الأهْوازِ، وانْصَرَفَتْ إليه الوُجُوهُ فأساءَ السِّيرَةَ، وسَعَى في أبي نَصْرٍ خُواشادَه

(أ) ظ ح : بدارربن. (ب) من ح، ظ: في.

---

(1) السِّيرَجان. مدينةٌ بين كَرْمَان وفارس (معجم البلدان 3: 295).

(2) جِيرَفت. أحَدُ مُدُن إقليم كَرْمَان وأنزهها وأوسعها (معجم البلدان 2: 198).

(3) الكامل في التاريخ 9: 160-161.

(4) المصدر نفسه 9: 77.

وأبي عَبْدِ اللهِ بْنِ طاهِرٍ فقبَضَهما بهاءُ الدَّوْلَةِ مَرْجِعَه مِن خُوزِسْتانَ، وشَغَبَ الجُنْدُ، وطَلَبُوا تَسْلِيمَه إليهم، ولاطَفَهم فلَمْ يَرْجِعُوا، فقَبَض عليه وسَلَّمَه إليهم فقتَلُوه، وذلك سنةَ ثِنْتَيْنِ وثمانِينَ. ثم قَبَضَ على وَزِيرِه أبي نَصْرٍ بالأهْوازِ سنةَ إحْدَى وثَمانِينَ، واسْتَوْزَرَ أبا القاسِمِ عَبْدَ العَزِيزِ بْنَ يُوسُفَ[1]، ثم اسْتَوْزَرَ بَعْدَه أبا القاسِمِ عليَّ بْنَ أحمدَ، وقَبَض عليه سنةَ ثِنْتَيْنِ وثمانِينَ لاتِّهامِه بمُداخَلَةِ الجُنْدِ في أمْرِ ابْنِ المُعَلِّمِ، واسْتَوْزَرَ أبا نَصْرِ بْنَ سابُورَ، وأبا مَنْصورِ بْنَ صالِحانَ جميعًا[2]. وشَغَبَ الجُنْدُ على أبي نَصْرٍ ونَهَبُوا دارَه سنةَ ثَلاثٍ وثمانِينَ، فاسْتَعْفَى رَفِيقُه ابْنُ صالِحانَ، فاسْتَوْزَرَ أبا القاسِمِ عليَّ بْنَ أحمدَ، ثم هَرَبَ، وعاد أبو نَصْرٍ إلى الوِزارةِ بعدَ أنْ أصْلَحَ أُمُورَ الدَّيْلَمِ[3]، ثم اسْتَوْزَرَ مَكانَه الفاضِلَ، وقَبَض عليه سَنَةَ سِتٍّ وثمانِينَ، واسْتَوْزَرَ أبا نَصْرٍ سابُورَ بْنَ أرْدشِيرَ فبَقِيَ شَهْرَيْنِ، وفَرَّقَ أمْوالَ بهاءِ الدَّوْلَةِ في القُوّادِ ثم هَرَبَ إلى البَطِيحَةِ، فاسْتَوْزَرَ بهاءُ الدَّوْلَةِ مكانَه أبا العَبّاسِ عيسَى بْنَ ماسَرْجِسَ[4].

ولايةُ العِراقِ

كان بهاءُ الدَّوْلَةِ/ منذُ اسْتَوْلَى على فارِسَ سنةَ تِسْعٍ وثمانِينَ أقام بها، ووَلَّى
[352ب] على خُوزِسْتانَ والعِراقِ أبا جَعْفَرٍ الحَجّاجَ بْنَ هُرْمُزَ، فنَزَلَ بغْدادَ، ولَقَّبَه عَمِيدَ

(1) الكامل في التاريخ 9: 90-91.
(2) المصدر نفسه 9: 94.
(3) المصدر نفسه 9: 100.
(4) المصدر نفسه 9: 128.

الدَّوْلَةِ، فساءَتْ سِيرَتُه، وفَسَدَتْ أحْوالُ البِلادِ وعَظُمَتِ الفِتْنَةُ ببغْداد بينَ الشِّيعةِ وأهْلِ السُّنَّةِ، وتطاوَلَ الدُّعَّارُ والعَيَّارُون، فعزَلَه بهاءُ الدَّوْلَةِ سَنةَ تِسْعِينَ، ووَلَّى مَكانه أبا عليٍّ الحَسَنَ بْنَ أُسْتاذ هُرْمُز، ولَقَّبَه عَمِيدَ الجُيُوشِ، فأحْسَنَ السِّيرَةَ وحَسَمَ الفِتْنَةَ وحَمَلَ إلى بَهاءِ الدَّوْلَةِ أمْوالاً جَلِيلَةً[1]. ثم وَلَّى مَكانه سَنَةَ إحْدَى وتِسْعِينَ أبا نَصْرٍ سابُورَ، وثار به الأتْراكُ ببَغْدادَ، فهَرَب منهم، ووَقَعَتِ الفِتْنَةُ بين أهْلِ الكَرْخِ والأتْراكِ، وكان أهْلُ السُّنَّةِ مع الأتْراكِ. ثم مَشَى الأعْلامُ بينَهم في الصُّلْحِ فتهادَنُوا[2].

انْقِراضُ دُوَلٍ وابْتِداءُ أُخْرى في النَّواحِي

في سَنةِ ثَمانِينَ ابْتَدَأَتْ دَوْلَةُ بني مَرْوانَ بدِيارِ بَكْرٍ بعدَ مَقْتَلِ خالِهم باد، وقد مَرَّ ذِكْرُه.

وفي سَنةِ ثِنْتَيْنِ وثَمانِينَ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بني حَمْدان بالمَوْصِلِ، وابْتَدَأَتْ دَوْلَةُ بني المُسَيَّبِ من [عُقَيْلٍ][أ] كما نَذْكُرُها.

وفي سَنَةِ أرْبَعٍ وثَمانِينَ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بني سامَانَ[ب] مِمَّا وراءَ النَّهْرِ، وانْقَسَمَتْ بينَ بَنِي سُبُكْتُكِينَ وأيلِك القان مَلِكِ التُّرْك.

وفي سَنةِ ثَمانٍ وثَمانِينَ ابْتَدَأَتْ دَوْلَةُ بني حَسْنَوَيْهِ الأكْرادِ بخُراسَان.

(أ) من ح، ظ: عقيب. (ب) كرر الناسخ في ظ سطرًا وخلط ذكر التواريخ.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 162.

(2) المصدر نفسه 9: 168.

وفي سَنَةِ تِسْعٍ وتِسْعِينَ كان ابْتِداءُ دَوْلَةِ بني صالِحِ بْنِ مِرْداسٍ من بني كِلابٍ بحَلَب، كما نَسْتَوْفي سِياقَةَ أخْبارِهِم في دُوَلِهِم مُنْفَرِدَةً كما شَرَطْناه.

ظُهُورُ بني مَزْيَد

في سَنَةِ سَبْعٍ وثَمانِينَ خَرَجَ أبو الحَسَنِ عليُّ بْنُ مَزْيَدٍ في قَوْمِه بني أسَدٍ، ونَقَضَ طاعَةَ بَهاءِ الدَّوْلَةِ، فبَعَثَ إليه العساكِرَ، فهَرَبَ أمامَهُم وأبْعَدَ حتَّى امْتَنَعَ عليهم. ثم بَعَثَ في الصُّلْحِ والاسْتِقامَةِ ورَاجَعَ الطَّاعَةَ(1).

ثم رَجَعَ إلى انْتِقاضِه سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وتِسْعِينَ، واجْتَمَعَ/ مع قِرْواشِ بْنِ المُقَلَّدِ [353ا]
صاحِبِ المَوْصِلِ وقَوْمِه بَني عُقَيْلٍ، فحاصَرُوا المدائِنَ. ثم بَعَثَ إليهم أبو جَعْفَرٍ الحَجَّاجُ، وهُوَ نائِبُ بغْدادَ، العساكِرَ فدَفَعُوهم عنها، وخَرَجَ الحَجَّاجُ، واسْتَنْجَدَ خَفاجَةَ فجاءوا منَ الشَّامِ، وقاتَلَ بني عُقَيْلٍ وبَني أسَدٍ فهَزَمُوه. ثم خَرَجَ إليهم ولَقِيَهم بنَواحِي الكُوفَةِ فهَزَمَهم وأثْخَنَ فيهم بالقَتْلِ والأسْرِ، واسْتَباحَ حِلَلَ ابْنِ مَزْيَدٍ، وظَهَرَ في بغْدادَ في مَغِيبِ أبي جَعْفَرٍ منَ الفِتْنَةِ والفَسادِ والقَتْلِ والنَّهْبِ ما لا يُحْصَى، فكانَ ذلك السَّبَبَ في أنْ بَعَثَ بَهاءُ الدَّوْلَةِ أبا عليِّ بْنَ جَعْفَرٍ أُسْتاذ هُرْمُزَ ـ ولَقَّبَه عَمِيدَ الجُيُوشِ، كما مَرَّ(ا) ـ فسَكَّنَ الفِتْنَةَ وأمَّنَ النَّاسَ(2).

(ا) كما مَرّ، ساقطة من ص.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 133-135.
(2) المصدر نفسه 9: 170-171.

ولمَّا عُزِلَ أبو جَعْفَرٍ أقام بنَواحِي الكُوفةِ، وارْتابَ به أبو عليٍّ فجَمَعَ الدَّيْلَمَ والأَتْراكَ وخَفاجَةَ وسار إليه، واقْتَتَلُوا بالنُّعْمانِيَّةِ، وذلك سنةَ ثلاثٍ وتِسْعِينَ، فانْهَزَمَ أبو جَعْفَرٍ، وسار أبو عليٍّ إلى خُوزِسْتانَ ثم إلى السُّوسِ، فعاد أبو جَعْفَرٍ إلى الكُوفةِ، ورَجَعَ أبو عليٍّ في اتِّباعِه، ولم تَزَلِ الفِتْنَةُ بينَهما، وكلٌّ واحدٍ منهما يَسْتَنْجِدُ بَنِي عُقَيْلٍ وبَنِي أَسَدٍ وخَفاجَةَ، حتَّى بَعَثَ بَهاءُ الدَّوْلَةِ عن أبي عليٍّ وبَعَثَه إلى البَطِيحَةِ لِفِتْنَةِ بني واصِلٍ كما نَذْكُرُه في دَوْلَتِهِم[1].

ولمَّا كانَتْ سنةُ سَبْعٍ وتِسْعِينَ جَمَعَ أبو جَعْفَرٍ وسار لِحِصارِ بغْدادَ، وأمَدَّه ابنُ حَسْنَوَيْهِ[أ] أميرُ الأكْرادِ، وذلك أنَّ عَمِيدَ الجُيُوشِ وَلَّى على طَرِيقِ خُراسانَ أبا الفَضْلِ [ابْنَ عَنَّازٍ][ب]، وكان عَدُوَّ البَدْرِ بْنِ حَسْنَوَيْه، فارْتابَ بذلك، واسْتَدْعَى أبا جَعْفَرٍ، وجَمَعَ له جُموعًا مِن أُمَراءِ الأكْرادِ، منهم هِنْدِيُّ بْنُ سَعْدِيٍّ وأبو عِيسَى شادِي ابْنُ محمدٍ ورِزامُ بْنُ محمدٍ. وكان أبو الحَسَنِ عليُّ بْنُ مَزْيَدٍ الأسَدِيُّ قدِ انْصَرَفَ عن بَهاءِ الدَّوْلَةِ مُغاضِبًا له فسارَ معَهم، وكانوا عَشَرَةَ آلافٍ، وحاصَرُوا بغْدادَ وبها أبو الفَتْحِ ابْنُ عَنَّانٍ شَهْرًا. ثم جاءَهُم الخَبَرُ بانْهِزامِ ابْنِ واصِلٍ بالبَطِيحَةِ الذي سارَ عَمِيدُ الجُيُوشِ إليه، فافْتَرَقُوا وعاد ابْنُ مَزْيَدٍ إلى بَلَدِه، وسار أبو جَعْفَرٍ إلى/ حُلْوانَ، [353 ب] وراسَلَ بَهاءَ الدَّوْلَةِ في الطَّاعَةِ، وحَضَرَ عندَه بِتُسْتَرَ فأعْرَضَ عنه رَعْيًا لِعَمِيدِ الجُيُوشِ.

(أ) في ح كتبت : خسنوَيه . (ب) من ح ، وفي ظ : عنان ويرد هذا الاسم تاليا صفحة 386 عناز باتفاق الأصول .

(1) الكامل في التاريخ 9: 174.

فِتْنَةُ بَنِي مَـزْيَدٍ وبني دُبَيْسٍ

كان أبو الغنائِمِ محمدُ بنُ مَزْيَدٍ مُقيمًا عندَ أصْهارِهِ بني دُبَيْسٍ في جَزِيرَتِهم بخُوزِسْتانَ، فقَتَلَ أبو الغنائِمِ بَعْضَ رِجَالاتِهم، ولَحِقَ بأخِيهِ أبي الحَسَنِ [عليِّ بنِ مَزْيَد][أ]، فانْحَدَرَ أبو الحَسَنِ إليهم في أَلْفَيْ فارِسٍ، واسْتَمَدَّ عَمِيدَ الجُيُوشِ فأَمَدَّه بعَسْكَرٍ منَ الدَّيْلَمِ، ولَقِيَهم فانْهَزَمَ أبو الحَسَنِ، وقُتِلَ أخُوه أبو الغنائِمِ[1].

ظُهُورُ دَعْوةِ العَلَوِيَّةِ بالكُوفَةِ والمَوْصِلِ

وفي أوَّلِ المائَةِ الخامِسَةِ خَطَبَ قِرْواشُ بنُ المُقَلَّدِ، أمِيرُ بَني عُقَيْلٍ، لِصاحِبِ مِصْرَ الحاكِمِ العَلَوِيِّ في جَمِيعِ أعْمالِه وهي: المَوْصِلُ والأنْبارُ والمَدائِنُ والكُوفةُ، فبَعَثَ القادِرُ القاضِيَ أبا بَكْرٍ الباقِلَّانيَّ إلى بَهاءِ الدَّوْلَةِ يُعَرِّفُه، فأكْرَمَه، وكَتَبَ إلى عَمِيدِ الجُيُوشِ بمُحارَبَةِ قِرْواشٍ، وأطْلَقَ له مائةَ ألْفِ دِينارٍ يَسْتَعِينُ بها. وسار عَمِيدُ الجُيُوشِ لذلك فَراجَعَ قِرْواشٌ الطَّاعَةَ، وقَطَعَ خُطْبَةَ العَلَوِيِّينَ[2].

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 223-224.

(2) المصدر نفسه 9: 223.

وكان ذلك داعيًا في كِتابَةِ المَحْضَرِ بالطَّعْنِ في نَسَبِ العَلَوِيَّةِ بمِصْرَ، شَهِدَ فيه: الرَّضِيُّ والمُرْتَضَى وابنُ البَطْحَاويِّ وابنُ الأَزْرَقِ والزَّكِيُّ أبو يَعْلَى عُمَرُ بنُ محمدٍ، ومنَ العُلَمَاءِ والقُضَاةِ: ابنُ الأكْفانِيِّ، وابنُ الخَرَزِيِّ[أ]، وأبو العَبَّاسِ الأَبِيوَرْدِيُّ، وأبو حَامِدٍ الإسْفَرَايِينيُّ، والكَشْفَلِيُّ، والقُدُورِيُّ، والصَّيْمَرِيُّ، وأبو عبدِ الله البَيْضَاوِيُّ، وأبو الفَضْلِ النَّسَوِيُّ، وأبو عبدِ الله بنُ النُّعْمَانِ فَقِيهُ الشِّيعَةِ، وغَيْرُهُم[1].

ثم كُتِبَ ببَغْدَاد مَحْضَرٌ آخَرُ بمثلِ ذلك، سَنَةَ أَرْبَعٍ وأَرْبَعِينَ أيَّامَ القَائِمِ، وزِيدَ فيه انْتِسَابُهُم إلى الدَّيْصَانِيَّة، منَ المَجُوس، وبني القَدَّاح منَ اليَهُود، وكَتَبَ فيه العَلَوِيَّةُ والعَبَّاسِيَّةُ والفُقَهَاءُ والقُضَاةُ [والشُّهُودُ][ب]، وعُمِلَت به [عِدَّةُ][ب] نُسَخٍ، وبُعِثَ بها إلى البِلاد[2].

وَفَاةُ عَمِيدِ الجُيُوش، ووِلايَةُ فَخْرِ المُلْك

كان عَمِيدُ الجُيُوش أبو عليٍّ بنُ أبي جَعْفَر أُسْتاذَ هُرْمُز، وكان أبو جَعْفَر هذا مِن حُجَّابِ عَضُدِ الدَّوْلَة، وجَعَلَ ابنَه أبا عليٍّ/ في خِدْمَةِ ابنِه صَمْصَامِ الدَّوْلَة، [354أ] فلمَّا قُتِلَ رَجَعَ إلى خِدْمَةِ بَهَاءِ الدَّوْلَة. ولمَّا اسْتَوْلَى الخَرَابُ على بَغْدَادَ وظَهَرَ العَيَّارُون

(أ) ح: ابن الجزري. (ب) إضافة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 236؛ اتعاظ الحنفا 1: 31-34، 47-49.

(2) المصدر نفسه 9: 591؛ المصدر نفسه 2: 223.

بَعَثه بهاءُ الدَّوْلَة عليها فأصْلَحَها وقَمَعَ المُفْسِدِين، ومَاتَ لثَمانِ سِنِينَ ونِصْفٍ من وِلايَتِه في أوَّلِ المائةِ الخامِسَة. ووَلَّى بهاءُ الدَّوْلَة مَكانَه بالعِرَاقِ فَخْرَ المُلْك أبا غَالِب، فوَصَلَ بَغْدَادَ وأحْسَنَ السِّيَاسَةَ واسْتَقَامَتِ الأمُورُ به[1].

واتَّفَقَ لأوَّلِ قُدُومِه وَفاةُ أبي الفَتْح محمَّدِ بن عَنَّازٍ، صَاحِبِ طَرِيقِ خُرَاسَان، بحُلْوانَ لعِشْرِينَ سَنَةً مِن إمَارَتِه، وكان كَثِيرَ الإجْلابِ على بَغْدَاد. فلمَّا تُوفِّي وَلِي ابْنُه أبو الشَّوْك وقَامَ مَقَامَه، فبَعَثَ فَخْرُ المُلْكِ العَسَاكِرَ لِقِتَالِه فهَزَمُوه إلى حُلْوَان، ثم رَاجَعَ الطَّاعَةَ وأصْلَحَ حَالَه[2].

وَفاةُ بَهَاءِ الدَّوْلَة، ووِلايَةُ سُلْطَانِ الدَّوْلَة

وفي سَنَةِ ثَلاثٍ وأرْبَع مائة تُوفِّي سُلْطَانُ العِرَاقِ بَهَاءُ الدَّوْلَة أبو نَصْرِ بنُ عَضُدِ الدَّوْلَة بأرَّجَان، لأرْبَعٍ وعشرينَ سنةً مِن سُلْطَانِه، وحُمِلَ إلى مَشْهَدِ عليٍّ فدُفِنَ بهِ عندَ أبيه، ووَلِيَ السَّلْطَنَةَ مَكانَهُ ابنُه سُلْطَانُ الدَّوْلَة أبو شُجَاع، فسَارَ مِن أرَّجَانَ إلى شِيراز، وولَّى أخَاه جَلالَ الدَّوْلَة أبا طَاهِرٍ على البَصْرَة وأخَاهُ أبا الفَوَارِس على كِرْمَان[3]، وولَّى أبا الحَسَن عليَّ بنَ مَزْيَدٍ على قَوْمِه، وهُوَ أوَّلُ مَن تَقَدَّمَ من أهْلِ بَيْتِه[4]، فسَارَ لِقِتَالِ أبي الشَّوْكِ بن محمدِ بنِ عَنَّاز، الذي كان أبوهُ صَاحِبَ طَرِيقِ

(1) الكامل في التاريخ 9: 224.

(2) المصدر نفسه 9: 225.

(3) المصدر نفسه 9: 241.

(4) المصدر نفسه 9: 242.

خُرَاسَان، ثم اصْطَلَحا، *وأنْكَحَ أبو الشَّوْكِ أخْتَه مِن أبي الأعَزِّ دُبَيْسِ بنِ أبي الحَسَنِ ابنِ مَزْيَد*(أ)(1).

مَقْتَلُ فَخْرِ المُلْك، ووِلايَةُ ابنِ سَهْلان

كان فَخْرُ المُلْكِ أبو غَالِبٍ من أعَاظِمِ وُزَرَاءِ بني بُوَيْه، ووَلِيَ نِيَابَةَ بغْدادَ لسُلْطانِ الدَّوْلَةِ خَمْسَ سِنِينَ وأرْبَعَةَ أشْهُرٍ، ثم قَبَضَ عليه وقَتَلَه في رَبِيعٍ سَنَةَ سِتٍّ وأرْبَعِ مائةٍ، ووَلَّى مَكانَه أبا محمدٍ الحَسَنَ بْنَ سَهْلَانَ، ولَقَّبَه عَمِيدَ أصْحابِ الجُيُوشِ(2). وسَارَ سَنَةَ تِسْعٍ إلى بَغْدادَ، وجُرِّدَ مِنَ الطَّرِيقِ مع طَرَّادِ بْنِ دُبَيْسٍ الأسَدِيِّ في طَلَبِ مُهارِشٍ ومُضَرَ ابْنَيْ دُبَيْسٍ، وكان مُضَرُ قد قَبَضَ عليه قديمًا بأمْرِ فَخْرِ المُلْكِ، فأراد أنْ/ يأخُذَ جَزِيرَةَ بني أسَدٍ منهُ ويُوَلِّيَهَا طَرَّادًا، فسَارُوا عن الدَّارِ واتَّبَعَهم، [354 ب] ولَحِقَ الحَسَنُ بْنُ دُبَيْسٍ آخِرَهم فأوْقَعَ بهِ واسْتَبَاحَه. ثم اسْتَأمَنَ له مُضَرُ ومُهارِشٌ فأمَّنَهما وأشْرَكَ معهما طَرَّادًا في الجَزِيرَةِ ورَجَعَ، وأنْكَرَ عليه سُلْطانُ الدَّوْلَةِ فِعْلَه. ووَصَلَ إلى وَاسِطَ والفِتْنَةُ قائمَةٌ فأصْلَحَها، ثم بَلَغَه اشْتِدادُ الفِتَنِ بِبغْدادَ فسار وأصْلَحَها(3)، وكان أمْرُ الدَّيْلَمِ قد ضَعُفَ ببَغْدَادَ وخَرَجُوا إلى وَاسِطَ.

(أ) سقط ما بين النجمين من ص.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 246.

(2) المصدر نفسه 9: 260-261 (بتصرُّف).

(3) المصدر نفسه 9: 306-307.

الفِتْنَةُ بينَ سُلْطانِ الدَّوْلَةِ وأخيه أبي الفَوارِس

قد ذكَرْنَا أنَّ سُلْطانَ الدَّوْلَةِ لمَّا مَلَكَ بعدَ أبِيه بَهاءِ الدَّوْلَةِ وَلَّى أخَاه أبا الفَوارِسِ على كَرْمانَ، فلمَّا سار إليها اجْتَمَع إليه الدَّيْلَمُ وحَمَلُوه على الانْتِقاضِ وانْتِزاعِ المُلْكِ مِن يَدِ أخِيه، فسار سَنَةَ ثمانٍ إلى شِيرازَ. ثم سار منها، ولَقِيَه سُلْطانُ الدَّوْلَةِ فهزَمَه، وعاد إلى كَرْمانَ، واتَّبَعَه سُلْطانُ الدَّوْلَةِ، فخَرَج هارِبًا مِن كَرْمانَ، ولَحِقَ بمحمودِ بنِ سُبُكْتُكِينَ في بُسْتَ مُسْتَنْجِدًا به فأكْرَمَه وأمَدَّه بالعساكِرِ، وعليهم أبو سعيدٍ الطائيُّ مِن أعْيانِ قُوَّادِه، فسار إلى كَرْمانَ ومَلَكَها، ثم إلى شِيرازَ كذلك، وعاد سُلْطانُ الدَّوْلَةِ لحَرْبِه، فهزَمَه وأخْرَجَهُ مِن بلادِ فارِسَ إلى كَرْمانَ، وبَعَثَ الجُيُوشَ في أثَرِهِ فانْتَزَعُوا كَرْمانَ منه. ولَحِقَ بشَمْسِ الدَّوْلَةِ بنِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بنِ بُوَيْه صاحِبِ هَمَذانَ، وتَرَكَ ابْنَ سُبُكْتُكِينَ؛ لأنَّه أساءَ مُعامَلَةَ قائِدِه أبي سَعِيدٍ الطائيِّ. ثم فارَقَ شَمْسَ الدَّوْلَةِ إلى مُهَذِّبِ الدَّوْلَةِ صاحِبِ البَطِيحَة فأكْرَمَه، وبَعَثَ إليه أخُوه جَلالُ الدَّوْلَةِ منَ البَصْرةِ مالاً وثِيابًا، وعَرَضَ عليه المَصِيرَ إليه فأبَى، وراسَلَ أخاه سُلْطانَ الدَّوْلَةِ في المُراجَعَةِ، فراجَعَه وأعادَه إلى وِلايَةِ كَرْمانَ، وقَبَضَ سُلْطانُ الدَّوْلَةِ سَنَةَ تِسْعٍ على وَزِيرِه ابْنِ فسانجس وإخْوتِه، ووَلَّى مَكانَه أبا غالِبٍ الحَسَنَ بنَ مَنْصُورٍ[1].

(1) عن الكامل في التاريخ 9: 293-294 (مُلَخَّصًا).

خُروجُ التُّرْكِ مِنَ الصِّينِ

وفي سَنَةِ ثَمانٍ وأربَعِ مائةٍ خَرَجَتْ مِنَ المَفازَةِ التي بينَ الصِّينِ وما وَراءَ النَّهْرِ أُمَمٌ عظيمَةٌ مِنَ التُّرْكِ تَزيدُ على ثَلاثِ مائةِ أَلْفِ خَيْمَةٍ، ويُسَمُّونَ الخَيْمَةَ: خِرْكاه، ويَتَّخِذُونَها مِنَ الجُلُودِ واللُّبُود./ [355أ] وكان مُعْظَمُهم مِنَ الخَطَّابَةِ، طَمِعُوا في مُلْكِ تُرْكِسْتانَ لِمَرَضِ مَلِكِها طُغانَ، فسَارُوا إليها وعاثُوا فيها. ثم أَبَلَّ طُغَانُ واسْتَنْفَرَ المسلِمينَ مِن جَميعِ النَّواحِي، وسار إليهم في مائةٍ وعِشْرِينَ أَلْفًا فهَرَبُوا أمامَه، واتَّبَعَهم مَسِيرَةَ ثَلاثَةِ أشْهُرٍ، ثم كَبَسَهم فقَتَلَ منهم نحوًا مِن مائَتَيْ أَلْفٍ، وأَسَرَ مائةَ أَلْفٍ، وغَنِمَ مِنَ الدَّوابِّ والبُيُوتِ وأَوانِي الذَّهَبِ والفِضَّةِ مِن مَعْمُولِ الصِّينِ ما لا يُعَبَّرُ عنه[1].

مُلْكُ مُشْرِفِ الدَّوْلَةِ وغَلَبُه على سُلْطانِ الدَّوْلَةِ

لم يَزَلْ سُلْطانُ الدَّوْلَةِ ثابِتَ القَدَمِ في مُلْكِه بالعِراقِ إلى سَنَةِ إحْدَى عَشْرَةَ وأربَعِ مائةٍ، فشَغَبَ عليه الجُنْدُ ونادَوْا بشِعَارِ أَخِيه مُشْرِفِ الدَّوْلَةِ، فأُشِيرَ عليه بحَبْسِه فعَفَّ عن ذلك، وأراد الانْحِدارَ إلى وَاسِطَ فطَلَبَه الجُنْدُ في الاسْتِخْلافِ، فاسْتَخْلَفَ أخاه مُشْرِفَ الدَّوْلَةِ على العِراقِ، وسار إلى الأهْوازِ، فلَمَّا بَلَغَ تُسْتَرَ اسْتَوْزَرَ ابْنَ سَهْلَانَ، وقد كان اتَّفَق معَ أخِيه مُشْرِفِ الدَّوْلَةِ أنْ لا يَسْتَوْزِرَه،

(1) الكامل في التاريخ 9: 297.

فاستَوْحَشَ لذلك مُشْرِفُ الدَّوْلَةِ، وبعَثَ سُلْطانُ الدَّوْلَةِ الوَزِيرَ ابنَ سَهْلَانَ لِيُخْرِجَه منَ العِراقِ، فَجَمَعَ أتْراكَ واسِطَ، وأبا الأغَرِّ دُبَيْسَ بْنَ عليِّ بْنِ مَزْيَد، ولَقِيَ ابْنَ سَهْلَانَ عندَ واسِطَ فهزَمَه وحاصَرَه بها حتَّى اشْتَدَّ حِصَارُه، وجَهَدَه الحِصارُ فصَالَحَه، ونَزَلَ له عن واسِطَ، فملَكَها في ذي الحِجَّةِ من سنةِ إحْدَى عَشْرَةَ.

وسَارَ الدَّيْلَمُ الذين بوَاسِطَ في خِدْمَتِه، وسار أخُوه جَلالُ الدَّوْلَةِ أبو طاهرٍ صاحِبُ البَصْرَةِ إلى وِفاقِه، وخَطَبَ له بِبَغْدادَ، وقَبَضَ على ابْنِ سَهْلَانَ وكَحَلَه. وسارَ سُلْطانُ الدَّوْلَةِ إلى أرَّجَانَ. ثم رَجَعَ إلى الأهْوَازِ، وثَار عليه الأتْراكُ الذين هُنالِكَ، ونادَوْا بشِعَارِ مُشْرِفِ الدَّوْلَةِ، وخَرَجُوا إلى السَّابِلَةِ فأفْسَدُوها(1).

وعاد مُشْرِفُ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ فخُطِبَ له بها سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ، وطَلَبَ منه الدَّيْلَمُ أن يَنْحَدِرُوا إلى بُيُوتِهِم بخُوزِسْتَان، فبَعَثَ معهم وَزِيرَه أبا غالِبٍ، فلَمَّا وَصَلُوا إلى الأهْوازِ انْتَقَضُوا ونادَوْا بشِعَارِ سُلْطانِ الدَّوْلَةِ، وقَتَلُوا أبا غالِبٍ لسنةٍ ونِصْفٍ /من وَزارَتِه، ولَحِقَ الأتْراكُ الذين كانوا معَهُ بطَرَّادِ بْنِ دُبَيْسٍ بالجزِيرَة. وبَلَغَ سُلْطانَ الدَّوْلَةِ قَتْلُ أبي غالِبٍ، [355 ب] وافْتِراقُ الدَّيْلَمِ فأنْفَذَ ابْنَه أبا كالِيجَارَ إلى الأهْوازِ ومَلَكَها(2).

ثم وَقَعَ الصُّلْحُ بينَهما على يَدِ أبي مُحمَّدِ بْنِ أبي مُكْرَمٍ، ومُؤَيَّدِ المُلْكِ الرُّخَّجِيِّ، على أنْ تَكُونَ العِراقُ لِمُشْرِفِ الدَّوْلَةِ، وفارِسُ وكِرْمانُ لسُلْطانِ الدَّوْلَةِ(3).

(1) الكامل في التاريخ 9: 317-319.
(2) المصدر نفسه 9: 323.
(3) المصدر نفسه 9: 327.

واسْـتَوْزَرَ مُـشْرِفُ الدَّوْلَةِ أبا الحسَيْنِ بنَ الحسَنِ الرُّخَّجِيَّ، ولَقَّبَه مُؤَيَّدَ المُلْكِ، بعدَ قَتْلِ أبي غالِبٍ ومُصادَرَةِ ابْنِه أبي العَبَّاسِ. ثم قَبَضَ عليه سَنَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ بعدَ حَوْلٍ مِن وِزارَتِه بسِعَايَةِ الأثيرِ الخادِمِ فيه، واسْتَوْزَرَ مَكانَه أبا القاسِمِ الحسَيْنَ ابْنَ عليِّ بْنِ الحسَيْنِ المَغْرِبيَّ؛ كان أبوه مِن أصْحابِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدانَ، وهَرَبَ إلى مِصْرَ وخَدَمَ الحاكِمَ فقتَلَه وهَرَبَ ابْنُه أبو القاسِمِ هذا إلى الشَّامِ، وحَمَلَ حَسَّانَ بْنَ المُفَرِّجِ بْنِ الجرَّاحِ الطَّائيَّ على نَقْضِ طَاعَةِ الحاكِمِ، والبَيْعَةِ لأبي الفُتوحِ الحسَنِ بْنِ جَعْفَرٍ العَلَويِّ أميرِ مَكَّةَ، فاسْتَقْدَمَهُ إلى الرَّمْلَةِ وبايَعَه. ثم خَلَعَه وأعادَهُ إلى مَكَّةَ، وقَصَدَ أبو القاسِمِ العِراقَ، واتَّصَلَ بالوَزيرِ فَخْرِ المُلْكِ، وأمَرَه القادِرُ بإبْعادِه فلَحِقَ بقِرْوَاشٍ أميرِ المَوْصِلِ، وكَتَبَ عنهُ ثُم عاد إلى العِراقِ وتَنَقَّلَتْ به الحالُ إلى أنْ وَزَرَ بعدَ مُؤيَّدِ المُلْكِ الرُّخَّجِيِّ، وكان خَبيثًا مُحتالاً حَسُودًا. ثم قَدِمَ مُشْرِفُ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ سنةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ، ولَقِيَه القادِرُ ولم يَلْقَ أحدًا قبْلَه[1].

الخَبَرُ عن وَحْشَةِ الأتْراكِ وفِتْنَةِ الكُوفةِ

كانَ الأثيرُ عَنبَرٌ الخادِمُ مُسْتَوْلِيًا في دَوْلَةِ مُشْرِفِ الدَّوْلَةِ، والوَزيرُ أبو القاسِمِ المَغْرِبيُّ عَدِيلَه في حَمْلِها، فنَقَمَ الأتراكُ عليهما، وطَلَبَ مِن مُشْرِفِ الدَّوْلَةِ الخروجَ من بَغْدادَ خَوْفًا على أنْفُسِهما، فخَرَجَ معَهما غَضَبًا على الأتْراكِ، ونَزَلُوا على قِرْواشٍ بالسِّنْدِيَّةِ. واسْتَعْظَمَ الأتْراكُ ذلك، وبَعَثُوا بالاعْتِذارِ والرَّغْبَةِ. وقال أبو القاسِمِ المَغْرِبيُّ:

(1) الكامل في التاريخ 9: 331-332.

دَخلُ بغدادَ إنّما هو أربعُ مائةِ ألفٍ، وخرجُها ستُّ مائةٍ، فاتركُوا مائةً وأتحمّلُ مائةً[ا]، فأجابُوه إلى ذلك خِداعًا. وشعَرَ بوُصولِهم، فهرَبَ لِعشرةِ أشهُرٍ مِن وزارَتِه[1].

356] / ثم كانتْ فِتنةٌ بالكوفةِ بينَ العَلَويّةِ والعبّاسيّةِ، وكان لأبي القاسمِ المغربيِّ صِهرٌ وصداقةٌ في العَلَويّةِ، فاستعْدَى العبّاسيُّونَ القادرَ عليهم فلم يُعْدِهم لمكانِ المغربيِّ. وأمرَهم بالصُّلحِ فرجَعُوا إلى الكوفةِ، واستَمَدَّ كلٌّ منهم خفاجةَ، فأمدُّوهم وافترَقُوا عليهم، واقتتلَ العَلَويّةُ والعبّاسيّةُ فغلَبَهمُ العَلَويّةُ ولَحِقُوا ببغدادَ، ومَنَعوا الخُطْبةَ يومَ الجُمُعةِ، وقتَلُوا بعضَ قرابةِ العَلَويّةِ الذين بالكوفةِ، فعهِدَ القادرُ للمُرتَضي أن يَصْرِفَ أبا الحسَنِ عليَّ بنَ أبي طالبِ بنِ عُمَرَ عن نِقابةِ الكوفةِ، ويرُدَّها إلى المُختارِ صاحبِ العبّاسيّةِ. وبلَغَ ذلك المغربيَّ عندَ قِرواشٍ بسُرَّ مَن رأى، فشرَعَ في إرغامِ القادرِ. وبعَثَ القادرُ إلى قِرواشٍ يطْرُدُه، فلَحِقَ بابنِ مَروانَ في دِيارِ بكرٍ[2].

وفاةُ مُشْرِفِ الدَّوْلةِ، وولايةُ أخيه جلالِ الدَّوْلةِ

ثم تُوفّي مُشْرِفُ الدَّوْلةِ أبو عليٍّ بنُ بهاءِ الدَّوْلةِ سنةَ ستَّ عشرةَ في ربيعٍ، لِخمسِ سنينَ من مُلكِه، ووَلِيَ مكانَه بالعراقِ أخوه أبو طاهرٍ جلالُ الدَّوْلةِ صاحبُ

(ا) العبارة عند ابن الأثير: إنني تأمّلتُ ما لكم من الجامكيات، فإذا هي ستّ مائة ألف دينار، وعملت دَخل بغداد فإذا هو أربع مائة ألف دينار، فإن أسقطتم مائة ألف دينار تحمّلت بالباقي.

(1) الكامل في التاريخ 9: 335.

(2) المصدر نفسه 9: 336.

البَصْرَةِ، وخُطِبَ له ببَغْدادَ، واسْتَقْدَمَ فبَلَغَ وَاسِطَ. ثم عاد إلى البَصْرَةِ فقُطِعَتْ خُطْبَتُه، وخُطِبَ ببغْدادَ في شَوَّالٍ لابْنِ أخِيه أبي كالِيجارَ بْنِ سُلْطانِ الدَّوْلَةِ وهُوَ بخُوزِسْتانَ يحارِبُ عَمَّه أبا الفَوارِسِ صاحِبَ كَرْمانَ. وسَمِع جَلالُ الدَّوْلَةِ بذلك، فبادَرَ إلى بغْدادَ ومعَهُ وَزِيرُه أبو سَعْدِ بْنُ مَاكُولا. ولَقِيَه عَسْكَرُها فرَدُّوه أقْبَحَ رَدٍّ ونَهَبُوا خَزائِنَه فعاد إلى البَصْرَةِ، واسْتَحَثُّوا أبا كالِيجارَ فتَباطَأَ لِشُغْلِه بحَرْبِ عَمِّه، وسار إلى كَرْمانَ لِقِتالِ عَمِّه فملَكَها، واعْتَصَمَ عَمُّه بالجِبالِ. ثم تَراسَلا واصْطَلَحَا على أنْ تبْقَى كَرْمانُ لأبي الفَوارِسِ، وتَكُونَ بلادُ فارِسَ لأبي كالِيجار(1).

قُدُومُ جَلالِ الدَّوْلَةِ إلى بغْدادَ

ولمَّا رأى الأتْراكُ اخْتِلالَ الأحْوالِ، وضَعْفَ الدَّوْلَةِ بفِتْنَةِ العامَّةِ، وتَسلُّطَ العَرَبِ والأكْرادِ بحِصارِ بغْدادَ، وطَمَعَهم فيها، وأنَّهم بقُوا فَوْضَى، وندِموا/ على ما كان [356 ب] منهم في ردِّ جَلالِ الدَّوْلَةِ، اجْتَمَعوا إلى الخَلِيفَةِ يَرْغَبونَ إليه أن يُحْضِرَ جَلالَ الدَّوْلَةِ منَ البَصْرَةِ لِيُقِيمَ أمْرَ الدَّوْلَةِ، فبَعَثَ إليه القاضِيَ أبا جَعْفرٍ السِّمْنانيَّ بالعَهْدِ عليه وعلى القُوَّادِ، فسار جَلالُ الدَّوْلَةِ إلى بَغْدادَ في جُمادَى مِن سَنَةِ ثَمانِ عَشْرَةَ. ورَكِبَ الخليفةُ في الطَّيَّارِ لتَلَقِّيه، فدَخَل ونَزَلَ النَّجْمِيَّ، وأمَرَ بضَرْبِ الطَّبْلِ في أوْقاتِ الصَّلَوَاتِ ومَنَعَه الخليفةُ مِن ذلك فقَطَعَه مُغاضِبًا، ثم أذِنَ له الخليفةُ فيه فأعاده،

(1) الكامل في التاريخ 9: 346؛ نهاية الأرب 26: 250.

وأرسَل مُؤَيَّدَ المُلْكِ أبا عليٍّ الرُّخَّجِيَّ إلى الأثيرِ عَنبَرِ الخادِمِ عندَ قِرْواشٍ يَسْتَدْعِيه ويَعْتَذِرُ عنِ الأتراكِ[1].

ثم شَغَبَ الأتراكُ عليه سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ، وحاصَرُوه بدارِه، وطَلَبُوا منَ الوَزيرِ أبي عليِّ بنِ ماكُولَا أرزاقَهم، ونَهَبُوا دُورَه ودُورَ الكُتَّابِ والحواشي. وبَعَث القادِرُ مَن أَصْلَحَ بينَهم وبينَه فسَكَنَ شَغَبُهم. ثم خالَفَه أبو كالِيجارَ بنُ سُلْطانِ الدَّوْلَةِ إلى البَصْرةِ فَمَلَكَها، ثم مَلَكَ كَرْمانَ بعدَ وَفاةِ صاحِبِها قِوامِ الدَّوْلَةِ أبي الفَوارِسِ بنِ بهاءِ الدَّوْلَةِ[2] كما نَذْكُرُ في أخبارِهم، لأنَّا إنَّما أثْبَتْنا هُنا مِن أخبارِهم ما يَتعلَّقُ بمُلْكِ العِراقِ الذي هُوَ نِطاقُ الخِلافةِ يَوْمَئِذٍ ونَحْنُ في سِياقةِ الخَبَرِ عن الدَّوْلَةِ العَبّاسِيَّةِ، وتَرَكْنا ما عَدَا ذلك مِن أخبارِ الدَّيْلَمِ إلى الكَلامِ في دَوْلَتِهم عندَ إفْرادِها بالذِّكْرِ، فنَسْتَوْفِي أخبارَهم ودُوَلَ سائرِ بني بُوَيْه وبني وَشْمَكِيرَ وبني المَرْزُبانِ وغيرِهم منَ الدَّيْلَمِ في النَّواحِي.

مَسيرُ جَلالِ الدَّوْلَةِ إلى الأهْوازِ

كان نُورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْسُ بنُ عليِّ بنِ مَزْيَدٍ صاحِبُ الحِلَّةِ ـ ولم تَكُنِ الحِلَّةُ يَوْمَئِذٍ بمدينةٍ ـ قد خَطَبَ لأبي كالِيجارَ لمَّا ضايَقَه المُقَلَّدُ بنُ أبي الأغَرِّ الحَسَنِ بنِ مَزْيَد، وجَمَعَ عليه مَنيعًا أميرَ بني خَفاجَةَ وعساكِرَ بغْدادَ، فخَطَبَ هُوَ لأبي كالِيجارَ،

(1) الكامل في التاريخ 9: 361-362؛ نهاية الأرب 26: 251-252.
(2) المصدر نفسه 9: 366؛ المصدر نفسه 26: 252-254.

واسْتَدْعاه لِمُلْكِ واسِطَ، وبها المَلِكُ العَزيزُ ابْنُ جَلالِ الدَّوْلَةِ، فلَحِقَ بالنُّعْمانِيَّةِ وتَرَكَها، وبَثَقَ عليه نُورُ الدَّوْلَةِ الأنهارَ مِن كلِّ جِهَةٍ فَغَرِقَ ناسٌ مِن أصْحابِه وهَلَكَ الكَثيرُ مِن أثْقالِه. واسْتَوْلَى أبو كالِيجارَ/ [357أ] على واسِطَ، ثم خُطِبَ له في البَطِيحَة، وأرْسَلَ إلى قِرْواشٍ صاحِبِ المَوْصِلِ، وعندَه الأثِيرُ عَنْبَرٌ يَسْتَدْعِيهما إلى بَغْدادَ، فانْحَدَرَ عَنْبَرٌ إلى الكُحَيْل[1] وماتَ به. وقَعَدَ قِرْواشٌ، وجَمَعَ جَلالُ الدَّوْلَةِ عساكِرَه ببغْدادَ، واسْتَمَدَّ أبا الشَّوْكِ وغيرَه، وانْحَدَرَ إلى وَاسِطَ، وأقامَ هُنالِكَ مِن غيرِ قِتالٍ، وضاقَتْ عليه الأحْوالُ لتَتابُعِ الأمْطارِ وقِلَّةِ المالِ. واعْتَزَم على مُخالَفَةِ أبي كالِيجارَ إلى الأهْوازِ، واعْتَزَمَ أبو كالِيجارَ على مُخالَفَتِه إلى بغْدادَ.

وجاءَه كِتابُ أبي الشَّوْكِ بزَحْفِ عساكِرِ محمودِ بنِ سُبُكْتُكِينَ إلى العراقِ، ويُشِيرُ بالصُّلْحِ والاجْتِماعِ لِمُدافَعَتِهم، فأنْفَذَ أبو كالِيجارَ الكِتابَ إلى جَلالِ الدَّوْلَةِ فلم يَنْتَهِ عن قَصْدِه، ودَخَلَ الأهْوازَ فنَهَبَها، وأخَذَ مِن دارِ الإمارَةِ مائَتَيْ ألْفِ دِينارٍ. واسْتَباحَ العَرَبُ والأكْرادُ سائِرَ البَلَدِ، وحُمِلَ حَرِيمُ أبي كالِيجارَ إلى بغْدادَ سَبْيًا، فماتَتْ أمُّه في الطَّرِيقِ.

وسَارَ أبو كالِيجارَ لاعْتِراضِ جَلالِ الدَّوْلَةِ، وتَخَلَّفَ عنه دُبَيْسٌ لِدَفْعِ خَفاجةَ عن أحْيائِه، واقْتَتَلُوا في رَبِيعٍ سنةَ إحْدَى وعِشْرِينَ ثلاثةَ أيّام، فانْهَزَمَ أبو كالِيجارَ وقُتِلَ مِن أصْحابِه ألْفانِ، ونَجَا إلى الأهْوازِ[2].

(1) الكُحَيْل: مَدِينةٌ عظيمةٌ على دِجْلَة بين الزّابَيْن فوق تكريت من الجانب الغربي، لم يَبْقَ لها أثرٌ في زَمَنِ ياقوت (معجم البلدان 4: 439).

(2) الكامل في التاريخ 9: 374-376.

وأمَّا دُبَيْسٌ لمَّا فارَقَ أبا كالِيجارَ وَصَلَ إلى بَلَدِه، وجَمَعَ إليه جماعةً من قَوْمِه، وكانوا مُنتقضِينَ عليه بالجامِعَيْنِ[1]، فأَوْقَعَ بهم وحَبَسَ منهم ورَدَّهم إلى وِفاقِه. ثم لَقِيَ المُقَلَّدَ بْنَ أبي الأغَرِّ وعساكِرَ جَلالِ الدَّوْلَةِ، فانْهَزَم أمامَهم، وأُسِرَ جَماعةٌ مِن أصْحابِه، وسَارَ مُنْهزِمًا إلى أبي سِنانٍ غَرِيبِ بْنِ مَكِينٍ، فأصْلَحَ حالَه معَ جَلالِ الدَّوْلَةِ وأعادَه إلى وِلايَتِه على ضَمانِ عَشَرَةِ آلافِ دِينار. وسَمِعَ بذلك المُقَلَّدُ، فجاءَ معَ خَفاجَةَ ونَهَبُوا النيلَ وسُورا وأحْرَقُوا مَنازِلَها. ثم عَبَرَ المُقَلَّدُ إلى أبي الشَّوْكِ فأصْلَحَ أمْرَه معَ جَلالِ الدَّوْلَةِ[2].

ثم بعَثَ جَلالُ الدَّوْلَةِ سنةَ إحْدَى وعِشْرِينَ عَسْكَرَه إلى المَذارِ[3]، فمَلَكُوها من يَدِ أصْحابِ أبي كالِيجارَ، واسْتَبَاحُوها، وبعَثَ أبو كالِيجارَ عَسْكَرَه لِمُدافَعَتِهم فهَزَمُوهم، وثارَ أهْلُ البَلَدِ بهم فقَتَلُوهم، ولَحِقَ مَن نَجا منهم بواسِطَ، وعادَتِ المَذارُ إلى أبي كالِيجارَ[أ][4].

(أ) في النسخ: إلى كاليجار.

---

(1) الجامِعَيْن. كذا تُقالُ بلفظ المجرور المثنى: هو حِلَّة بني مَزْيَد التي بأرض بابِل على الفُرات بين بغداد والكوفة (معجم البلدان 2: 96).

(2) الكامل في التاريخ 9: 376-377.

(3) المَذار: مَوْضِعٌ في مَيْسان بين وَاسِط والبَصْرَة بينها وبين البَصْرَة مقدار أربعة أيّام، بها مَشْهَدُ عبد الله بن علي بن أبي طالب وأهلُها كلهم شيعة غُلاة. (معجم البلدان 5: 88).

(4) الكامل في التاريخ 9: 403.

[357 ب] / اسْتِيلاءُ جَلالِ الدَّوْلَةِ على البَصْرَةِ ثانيًا وانْتِزاعُها منه

لمَّا اسْتَوْلَى جَلالُ الدَّوْلَةِ على واسِطَ أنزَلَ بها وَلَدَه، وبَعَثَ وَزِيرَه أبا عليٍّ ابنَ ماكُولا إلى البَطائحِ فملَكَها. ثم بَعَثَه إلى البَصْرَةِ وبها أبو مَنْصُورٍ بَخْتِيارُ بْنُ عليٍّ مِن قِبَلِ أبي كالِيجارَ، فسَار في السُّفُنِ وعليهم أبو عَبْدِ اللهِ الشَّرابيُّ صاحِبُ البَطِيحَة، فلَقِيَ بَخْتِيارَ وهَزَمَه. ثم سارَ الوَزِيرُ أبو عليٍّ في أثَرِه في السُّفُنِ، فهَزَمَه بَخْتِيارُ. وسِيقَ إليه أسِيرًا، فأكْرَمَه وبَعَثَه إلى أبي كالِيجارَ فأقامَ عندَه، وقَتَلَه بَعْضُ غِلْمانِه خَوْفًا منه لِقَبِيحٍ منهما اطَّلَعَ عليه. وكان قد أحْدَثَ في وِلايَتِه رُسُومًا جائِرَةً ومُكُوسًا فاضِحَةً(1).

ولمَّا أُصِيبَ الوَزِيرُ أبو عليٍّ، بَعَثَ جَلالُ الدَّوْلَةِ مَن كان عندَه مِن جُنْدِ البَصْرَةِ فقاتَلُوا عَسْكَرَ أبي كالِيجارَ، وهَزَمُوهم ومَلَكُوا البَصْرَةَ، ونَجا مَن كان بها إلى أبي مَنْصُورٍ بَخْتِيارَ بالأُبُلَّةِ. وبَعَثَ أبو كالِيجارَ إليهمُ المَدَدَ مع وَزِيرِه أبي الفَرَجِ ابنِ فَسَانجِس فقَدِمُوا إلى بَخْتِيارَ بالأُبُلَّةِ، وبَعَثَ السُّفُنَ لِقِتالِ مَن بالبَصْرَةِ فظَفِرَ بهم أصْحابُ جَلالِ الدَّوْلَةِ، فسَار بَخْتِيارُ بنَفْسِه وقاتَلَهم، وانْهَزَمَ وقُتِل، وأُخِذَ كَثِيرٌ مِن سُفُنِه.

وعزَمَ الأتْراكُ بالبَصْرَةِ على المَسِيرِ إلى الأُبُلَّةِ، وطَلَبُوا المالَ مِنَ العامِلِ فاخْتَلَفُوا وتَنازَعُوا وافْتَرَقُوا، ورَجَعَ صاحِبُ البَطِيحَة، واسْتأمَنَ آخَرُونَ إلى أبي

(1) الكامل في التاريخ 9: 407، 408. وعيَّنَ ابنُ الأثير هذه الرُّسوم والسُّنَن التي منها: جِبايَة سُوق الدَّقيق، ومَقَالي الباذِنجان وسُمَيْريات المَشارِع، ودلالة ما يُباعُ من الأمْتِعَة، وأجر الحمَّالين الذين يرفعون التمور إلى السُّفُن، وما يُعطيه الذَّبَّاحُون لليهود.

الفَرَجِ ابْنِ فَسَانجس وَزِيرِ أبي كالِيجارَ. وجاء إلى البَصْرَةِ فملَكَها[1].

ثم تُوفِّي بَخْتِيارُ مَلِكُ البَصْرَةِ، وقام بعدَه صِهْرُه أبو القاسِمِ بطَاعَةِ كالِيجارَ في البَصْرَةِ. ثم اسْتَوْحَشَ وانْتَقَضَ، وبعَثَ بالطَّاعَةِ لجَلَالِ الدَّوْلَةِ، وخَطَبَ له، وبَعَثَ إلى ابْنِه العَزِيزِ بواسِطَ يَسْتَدْعِيه، فسَار إليه وأخْرَجَ عساكِرَ أبي كالِيجارَ، وأقام معَه إلى سَنَةِ خَمْسٍ وعِشْرِينَ والحُكْمُ لأبي القاسِمِ. ثم أغْراه الدَّيْلَمُ به، وأنَّه مُتَغَلِّبٌ عليهم، فأخْرَجَه العَزِيزُ وامْتَنَعَ بالأُبُلَّةِ وحارَبَهم أيَّامًا، وأخْرَجَ العَزِيزَ عنِ البَصْرَةِ، ولَحِقَ بواسِطَ، وعاد أبو القاسِمِ إلى طَاعَةِ أبي كالِيجارَ[2].

وَفاةُ القادِرِ ونَصْبُ القائِمِ

ثم تُوفِّي القادِرُ باللهِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وعِشْرِينَ وأرْبَعِ مائةٍ، لإحْدَى وعِشْرِينَ سَنةً/ [358أ] وأرْبَعَةِ أشْهرٍ مِن خِلافَتِه، وكانَتِ الخِلافَةُ قَبْلَه قد ذَهَبَ رَوْنَقُها بجَسَارَةِ الدَّيْلَمِ والأتْراكِ عليها، فأعاد إليها أُبَّهَتَها وجَدَّدَ نامُوسَها، وكانت له في قُلُوبِ النَّاسِ هَيْبَةٌ.

ولمَّا تُوفِّي نُصِبَ للخلافَةِ ابْنُه أبو جَعْفَرٍ عَبْدُ اللهِ، وقد كان أبُوهُ بايَعَ له بالعَهْدِ في السَّنَةِ قَبْلَها لمَرَضٍ طَرَقَه. وأرْجَفَ النَّاسُ بمَوْتِه[3]، فبُويِعَ الآنَ واسْتَقَرَّتْ له الخِلافَةُ، ولُقِّبَ القائِمَ بأمْرِ اللهِ، وأوَّلُ مَن بايَعَه الشَّرِيفُ المُرْتَضَى. وبَعَثَ القاضِيَ أبا

(1) الكامل في التاريخ 9: 408.
(2) المصدر نفسه 9: 430-431.
(3) المصدر نفسه 9: 409-410، نهاية الأرب 23: 217.

الحَسَنِ الماوَرْدِيَّ إلى أبي كالِيجارَ لِيأخُذَ عليه البَيْعَةَ ويَخْطُبَ له في بِلادِه، فأجابَ وبَعَثَ بالهَدايا[1].

ووَقَعَتْ لأوَّلِ بَيْعَتِه فِتْنَةٌ بينَ أهلِ السُّنَّةِ والشِّيعَةِ، وعَظُمَ الهَرْجُ والنَّهْبُ والقَتْلُ، وخَرِبَتْ فيها أسْواقٌ، وقُتِلَ كثيرٌ مِن جُباةِ المُكُوسِ، وأُصِيبَ أهلُ الكَرْخِ، وتَطَرَّقَ الدُّعَّارُ إلى كَبْسِ المَنازِلِ لَيْلاً. وتَنادَى الجُنْدُ بكَراهِيَةِ جَلالِ الدَّوْلَةِ وقَطْعِ خُطْبَتِه، ولم يُجِبْهُمُ القائِمُ إلى ذلك، وفَرَّقَ جَلالُ الدَّوْلَةِ فيهِمُ الأمْوالَ فسَكَنُوا، وقَعَدَ في بَيْتِه، وأخْرَجَ دَوابَّه مِنَ الإصْطَبْلِ وأطْلَقَها بغَيْرِ سائِسٍ ولا حافِظٍ، لِقِلَّةِ العَلَفِ. وطَلَبَ الأتْراكُ منه أن يَحْمِلَهم في كلِّ وَقْتٍ فأطْلَقَها، وكانت خَمْسَةَ عَشَرَ، وفُقِدَ الجارِي فصَرَفَ الفَرّاشِينَ والحواشِيَ والأتْباعَ، وأغْلَقَ بابَ دارِه، والفِتْنَةُ تَتَزايَدُ إلى آخِرِ السَّنَةِ[2].

وُثُوبُ الجُنْدِ بجَلالِ الدَّوْلَةِ وخُرُوجُه من بغْدادَ

ثم جاء الأتْراكُ في ربيعٍ سنةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ إلى جَلالِ الدَّوْلَةِ فنَهَبُوا دارَه وكُتّابَه ودَوابَّه ودَواوِينَه، وطَلَبُوا الوَزِيرَ أبا إسْحاقَ السُّهَيْلِيَّ[3] فهَرَبَ إلى حِلَّةِ غَرِيبِ ابْنِ مَكِينٍ، وخَرَجَ جَلالُ الدَّوْلَةِ إلى عُكْبَرا. وخَطَبُوا ببغْدادَ لأبي كالِيجارَ وهو بالأهْوازِ، واسْتَقْدَمُوه، فأشارَ عليه بَعْضُ أصْحابِه بالامْتِناعِ فاعْتَذَر عليهم، فأعادُوا

(1) الكامل في التاريخ 9: 417-418؛ المصدر نفسه 23: 219-220.

(2) عن الكامل في التاريخ 9: 418-420 مُلَخَّصًا .

(3) في الكامل 9: 423 : السّهلي .

الخُطْبَةَ لجَلالِ الدَّوْلَةِ. وساروا إليه مُعْتَذِرِينَ، وأعادُوه بعدَ ثَلاثَةٍ وأَرْبَعِينَ يومًا. واسْتَوْزَرَ أبا القاسِمِ بْنَ مَاكُولا ثم عَزَلَه، واسْتَوْزَرَ عَمِيدَ المُلْكِ أبا سعيدٍ عَبْدَ الرَّحِيمِ، ثم أمَرَه بمُصادَرَةِ أبي المُعَمَّرِ إبْراهِيمَ بْنِ الحُسَيْنِ البَسَّامِيِّ فاعْتَقَلَه / [358ب] في دارِه، وجاء الأتْراكُ لمَنْعِه فضَرَبُوا الوَزِيرَ ومَزَّقُوا ثِيابَه وأدْمَوْه. ورَكِبَ جَلالُ الدَّوْلَةِ فأطْفَأَ الفِتْنَةَ وأخَذَ مِنَ البَسَّامِيِّ ألْفَ دِينارٍ ثم أطْلَقَه، واخْتَفَى الوَزِيرُ(1).

ثم شَغَبَ الجُنْدُ ثانِيًا في رَمَضانَ [سَنَةَ أرْبَعٍ وعشرينَ وأرْبَعِ مائة](أ)، ونَكِرُوا منه تَقْدِيمَ الوَزِيرِ أبي القاسِمِ مِن غيرِ عِلْمِهم، وأنَّه يُرِيدُ التَّعَرُّضَ لأمْوالِهِم، فوَثَبُوا به ونَهَبُوا دارَه وأخْرَجوه إلى مَسْجِدٍ هُنالِكَ فوَكَّلُوا به، فوَثَبَ العامَّةُ مَعَ بَعْضِ القُوّادِ من أصْحابِه فأطْلَقُوه، وأعادُوه إلى دارِه، وذَهَبَ هُوَ في اللَّيْلِ إلى الكَرْخِ بحُرَمِه ووَزِيرُه أبو القاسِمِ معَه. واخْتَلَفَ الجُنْدُ في أمْرِه، وأرْسَلُوا إليه بأنْ يُمَلِّكُوا بَعْضَ أوْلادِه الأصاغِرِ، ويَنْحَدِرَ هُوَ إلى واسِطَ، وهُوَ في خِلالِ ذلك يَسْتَمِيلُهم حتَّى فَرَّقَ جَماعَتَهم، وجاء الكَثِيرُ إليه فأعادُوهُ إلى دارِه(2).

واسْتَخْلَفَ البَساسِيرِيَّ في حِمايَةِ الجانِبِ الغَرْبِيِّ، سنةَ خَمْسٍ وعِشْرِينَ، لاشْتِدادِ أمْرِ العَيّارِينَ ببغْدادَ، وكَثْرَةِ الهَرْجِ، وكِفايَتِه هُوَ ونَهْضَتِه(3).

(أ) إضافةٌ اقتضاها الرّبط والتذكير.

(1) الكامل في التاريخ 9: 423-424؛ نهاية الأرب 26: 254-255.
(2) المصدر نفسه 9: 431-432؛ نهاية الأرب 26: 255.
(3) المصدر نفسه 9: 437.

ثم كاد أمْرُ الخِلافَةِ والسَّلْطَنَةِ أنْ ينحَلَّ ويتلاشى، وخَرَجَ بَعْضُ الجُنْدِ إلى قَرْيَتِه، فلَقِيَه الأكرادُ وأخذُوا دَوَابَّهم، وجاءوا إلى بُسْتانِ القائمِ فتعَلَّلوا على عُمَّالِه بأنَّهم لم يَدْفعُوا عنهم، ونَهَبُوا ثَمَرَةَ البُسْتانِ، وعَجَزَ جَلالُ الدَّوْلَةِ عن عِقابِ الأكْرادِ وعِقابِ الجُنْدِ. وسَخِطَ القائمُ أمْرَه، وتقدَّم إلى القُضاةِ والشُّهودِ والفقهاءِ بتعْطيلِ المراتِبِ الدِّينيَّة، فرَغِبَ جَلالُ الدَّوْلَةِ، منَ الجُنْدِ، أنْ يحْمِلَهم إلى دِيوانِ الخِلافَةِ فحَمَلُوا وأطْلَقُوا، وعَظُمَ أمْرُ العَيَّارِينَ وصَارُوا في حِمايَةِ الجُنْدِ، وانْتَشَرَ العَرَبُ في النَّواحِي فنَهَبُوها وأفْسَدوا السَّابِلَةَ، وبَلَغُوا جامِعَ المنصورِ منَ البَلَدِ، وسَلَبُوا النِّساءَ في المَقابِرِ[أ][1].

ولَحِقَ الوَزيرُ أبو سعيدٍ وَزِيرُ جَلالِ الدَّوْلَةِ بأبي الشَّوْكِ مُفارِقًا للوِزارَةِ، ووَزَرَ بَعْدَه أبو القاسِمِ فكَثُرَتْ مُطالَباتُ الجُندِ عليه فهَرَبَ وأخَذَه الجُنْدُ وجاءوا به إلى دارِ المُلْكِ حاسِرًا عارِيًا إلَّا مِن قَمِيصٍ خَلِقٍ، وذلك لِشَهْرَيْنِ مِن وِزارَتِه. وعاد سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ إلى الوِزارَةِ[2].

ثم ثارَ الجُنْدُ، سَنَةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ، بجَلالِ الدَّوْلَةِ، وأخْرَجُوه مِن بغْدادَ بعدَ أن اسْتَمْهَلَهم/ ثَلاثًا فأبَوْا، ورَمَوْهُ بالحِجارَةِ فأصابُوه. ومَضَى إلى دارِ المُرْتَضَى [359أ] بالكَرْخِ، وسار منها إلى رَافِعِ بْنِ الحسَيْنِ بْنِ مَكِينٍ بتَكْرِيتَ، ونَهَبَ الأتْراكُ دارَه،

(أ) النُّسخ: المقبرة، والمثبت من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 440.

(2) المصدر نفسه 9: 443.

وقلَعُوا أبْوابَها، ثم أصْلَحَ القائِمُ شأنَه معَ الجُنْدِ، وأعادَه وقَبَضَ على وَزِيرِه أبي سعيدٍ ابنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، وهي وِزارَتُه السَّادِسَةِ[1].

وفي هذه السَّنَةِ نَهى القائِمُ عنِ التَّعامُلِ بالدَّنانِيرِ المَغْرِبيَّة، وتقدَّمَ إلى الشُّهودِ أنْ لا يَذكُروها في كُتُبِ التَّعامُلِ[2].

الصُّلْحُ بينَ جَلالِ الدَّوْلة وأبي كاليجار

تَرَدَّدتِ الرُّسُلُ، سنةَ ثمانٍ وعِشْرِينَ، بينَ جَلالِ الدَّوْلَةِ وابْنِ أخِيه أبي كالِيجارَ حتَّى انعَقَدَ بينَهما الصُّلْحُ على يَدِ القاضِي أبي الحَسَنِ الماوَرْدِيِّ وأبي عَبْدِ الله المِرْدَوْسَتي، واسْتَحْلَفَا كلَّ واحِدٍ منهما للآخَرِ، وأصْهَرَ جَلالُ الدَّوْلَةِ لأبي مَنْصُورِ بْنِ أبي كالِيجارَ على ابنَتِه بصَداقٍ خَمْسِينَ ألفَ دِينارٍ قاشانِيَّة[3].

ثم سألَ جلالُ الدَّوْلَةِ سنةَ تِسْعٍ وعِشْرِينَ منَ القائِمِ الخِطابَ بمَلِكِ المُلُوكِ، فرَدَّ ذلك إلى الفُتْيا، وأجازَه القاضِي أبو الطَّيِّبِ الطَّبَرِيُّ، والقاضِي أبو عَبْدِ الله الصَّيْمَرِيُّ والقاضي ابنُ البَيْضَاوِيِّ وأبو القاسِمِ الكَرْخِيُّ، ومَنَعَ منهُ القاضِي أبو الحَسَنِ الماوَرْدِيُّ، ورَدَّ عليهم، فأخَذَ بفَتْواهم، وخُطِبَ له بمَلِكِ المُلُوكِ.

وكان الماوَرْدِيُّ مِن أخَصِّ النَّاسِ بجَلالِ الدَّوْلَةِ، وكان يَتَرَدَّدُ إليه، ثم انقَطَعَ منذُ هذه الفُتْيا، ولَزِمَ بَيْتَه من رَمَضانَ إلى النَّحْرِ، فاسْتَدْعَاه جَلالُ الدَّوْلَةِ وحَضَرَ

(1) الكامل في التاريخ 9: 446.
(2) المصدر نفسه 9: 452.
(3) المصدر نفسه 9: 455.

خائفًا، وشَكَرَهُ على القَوْلِ بالحَقِّ، وعَدَمِ المُحاباةِ، وقد عُدْتُ إلى ما تُحِبُّ. فشَكَرَه ودعَا له، وأذِنَ للحاضِرِينَ بالانْصِرافِ معَه، وكان الإذْنُ لهم تبَعًا له[(1)].

اسْتيلاءُ أبي كاليجارَ على البَصْرةِ

وفي سنةِ إحْدَى وثلاثِينَ بعَثَ أبو كاليجار عساكِرَه إلى البَصْرَةِ معَ العادِلِ أبي مَنْصورِ ابْنِ ماقَنَّةَ، وكانت في وِلايَةِ الظَّهيرِ أبي القاسِمِ بن ......[(أ)] وَلِيَها بعدَ بَخْتِيارَ، وانْتَقَضَ عليه مَرَّةً ثم عاد، وكان يَحْمِلُ إلى أبي كاليجارَ [كلَّ سَنَةٍ سَبْعِينَ ألْفَ دِينارٍ، وكَثُرَتْ أمْوالُه ودَامَتْ دَوْلَتُه. ثم تَعَرَّضَ لأمْلاكِ أبي الحَسَنِ بْنِ أبي القاسِمِ بْنِ مُكرَمٍ صاحِبِ عُمانَ، فكاتَبَ أبا كاليجارَ][(ب)] وضَمِنَ البَصْرَةَ بزِيادَةِ ثَلاثِينَ /ألْفَ دِينار. وبعَثَ أبو كاليجارَ[(ب)] العساكِرَ معَ ابْنِ ماقَنَّةَ كما ذكَرْنا. وجاء المَدَدُ مِن [359 ب] عُمانَ في البَحْرِ، فحَاصَرُوا البَصْرَةَ ومَلَكُوها، وقُبِضَ على الظَّهيرِ أبي القاسِمِ، وأُخِذَتْ أمْوالُه، وصُودِرَ على مائَتَيْ ألْفِ دِينارٍ فأعْطاها. وجاءَ المَلِكُ أبو كاليجارَ إلى البَصْرَةِ فأقامَ بها أيّامًا ووَلَّى فيها ابْنَه عِزَّ المُلوكِ، ومعَه الوَزيرُ أبو الفَرَجِ ابْنُ فَسانجَس، ثم عادَ إلى الأهْوازِ وحَمَلَ معَهُ الظَّهيرَ[(2)].

(أ) بياض في جميع النُّسَخ . واقتصر ابن الأثير على أن ظهير الدين أبا القاسم خالُ ولد بختيار. (ب) ساقطة من ظ، انتقال نَظَر.

(1) الكامل في التاريخ 9: 459؛ نهاية الأرب 26: 257.

(2) المصدر نفسه 9: 467-468.

شَغَبُ الأتْراكِ على جَلالِ الدَّوْلة

ثم شَغَبَ الأتراكُ على جَلالِ الدَّوْلَةِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثِينَ، وخَيَّموا بظاهرِ البَلَدِ، ونَهَبُوا منها مواضِعَ. وخَيَّم جَلالُ الدَّوْلَةِ بالجانِبِ الغَرْبيِّ، وأرَادَ الرَّحِيلَ عن بغدادَ، فمَنَعَه أصْحابُه، فاسْتَمَدَّ دُبَيْسَ بْنَ مَزْيَدٍ وقِرْواشًا صاحِبَ المَوْصِلِ فأمَدُّوه بالعساكِرِ. ثم صَلَحَتِ الأحْوالُ بينَهم، وعاد إلى دارِه، وطَمِعَ الأتراكُ وكَثُرَ نَهْبُهم وتَعَدِّيهم، وفَسَدَتِ الأُمُورُ بالكُلِّيَّةِ[1].

(1) الكامل في التاريخ 9: 471 وفيه أنّ ذلك كان في سنة 431 لا سنة 432.

۞ ٱبتداءُ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقيَّةِ(1)

قد تَقَدَّمَ لنا أنَّ أُمَمَ التُّرْكِ في الرُّبْعِ الشَّرْقِيِّ الشَّماليِّ مِنَ المَعْمور: ما بينَ الصِّينِ إلى تُرْكِسْتَانَ إلى خُوارِزْمَ والشَّاشِ وفَرْغانَة، وما وراء النَّهرِ: بُخارَى وسَمَرْقَنْدَ وتِرْمِذ، وأنَّ المسْلِمِينَ أزاحُوهم أوَّلَ المِلَّةِ عن بلادِ ما وراءَ النَّهْرِ وغَلَبُوهم عليها، وبَقِيَتْ تُرْكِسْتانُ وكاشْغَرُ والشَّاشُ وفَرْغانةُ بأيْدِيهم يُؤَدُّون عليها الجِزَى. ثم أسْلَمَ مُلُوكُهم عليها، فكانَ لهم بتُرْكِسْتانَ مُلْكٌ ودَوْلَةٌ نَذْكُرُها فيما بعدُ، فإنَّ اسْتِفْحالَها كان في دَوْلَةِ بني سامَانَ جِيرانِهم فيما وراءَ النَّهْرِ.

وكان في المَفَازَةِ من تُرْكِسْتانَ وبلادِ الصِّينِ أُمَمٌ من التُّرْكِ لا يُحْصِيهم إلَّا خالِقُهم، لاتِّساعِ هذه المَفازَةِ وبُعْدِ أقْطارِها، فإنَّها فيما يُقالُ مَسِيرةُ شَهْرٍ من كلِّ جِهَةٍ، فكانُوا هُنالِكَ أحْياءً بادِينَ مُنْتَجِعِينَ رَحَّالَةً، غِذاؤُهم اللُّحومُ والألْبانُ والذُّرَةُ في بَعْضِ

(1) السَّلاجِقَة. أسْرَةٌ حاكِمَةٌ تركيَةٌ حَكَمَت في قِمَّة سَطْوَتِها خلال القرنين الخامس والسَّادس للهجرة/ الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، سواء بطريقٍ مُباشِر أو من خلال أمراء تابعين لهم، على مِسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ من غَرْب آسيا تمتدُّ من ما وراء النهر وفَرْغَانَة وخُوَارِزْم في الشَّرْق وحتى الأنَاضُول والشَّام والحِجَاز في الغَرْب.
وأهمّ مصادر دراسة السَّلاجِقَة: تاريخ السَّلاجِقَة لعِماد الدِّين الأصْفَهاني، ورَاحَة الصُّدور وآية السُّرُور في تاريخ الدَّوْلَة السُّلوجوقية لمحمد بن علي بن سليمان الراوندي، والكامل في التاريخ لابن الأثير الذي جَمَعَ بين العديد من المصادر العراقية والخراسانية التي عالَجَت هذه الحِقْبَة، وعنه نهاية الأرب للنويري ج 26 و27 (يراجع كذلك CL. CAHEN, *EI*[2] art. *Ghuzz* II, pp. 1132-36; C. E. BOSWORTH, *EI*[2] art. *Saldjukides* VIII, pp. 967-85).

الأخْيانِ، ومرَاكِبُهم الخَيْلُ، ومنها كَسْبُهم وعليها قِيامُهم وعلى الشّاءِ والبَقَرِ مِن بينِ الأنعامِ، فلم يَزالُوا جائِلِينَ بتلكَ القِفارِ مَذُودِينَ/ عن العُمْرانِ بالحامِيَةِ المَالِكِينَ له في [1360] كلِّ جِهَةٍ.

وكان مِن أُمَمِهم: الغزُّ والخَطا والطَّطَرُ، وقد تقَدَّم ذِكْرُ هؤلاءِ الشُّعوبِ. فلمَّا انتهَتْ دَوْلَةُ مُلُوكِ تُرْكِسْتانَ وكاشْغَرَ إلى غايَتِها، وأخَذَتْ في الاضمِحْلالِ والتَّلاشِي ـ شأنَ الدُّوَلِ وطَبِيعَتِها ـ تقَدَّمَ هؤلاءِ الغُزُّ إلى بلادِ تُرْكِسْتانَ فأجْلَبُوا عليها بما كان غالِبَ مَعاشِهم في تَخَطُّفِ النَّاسِ منَ السُّبُلِ، وتَناوُلِ الرِّزْقِ بالرِّماحِ، شأنَ أهْلِ القَفْرِ البادِينَ، وأقامُوا بِمَفازَةِ بُخارَى.

ثم انقَرَضَتْ دَوْلَةُ بني سامَانَ، ودَوْلَةُ أهْلِ تُرْكِسْتانَ. واسْتَوْلَى محمودُ بنُ سُبُكْتُكِينَ ـ مِن قُوَّادِ بني سامَانَ وصَنائِعِهم ـ علَى ذلكَ كلِّه. وعَبَرَ بَعْضَ الأيَّامِ إلى بُخارَى، فحَضَر عندَه أرْسلانُ بنُ سُلْجُوقَ فقَبَضَ عليه، وبَعَثَ به إلى بلادِ الهِنْدِ فحَبَسَه، وسار إلى أحْيائِه فاسْتَباحَها، فلَحِقُوا بخُراسَانَ، وسارَتِ العَساكِرُ في اتِّباعِهم فلَحِقُوا بأصْبَهانَ، وهَمَّ صاحِبُها عَلاءُ الدَّوْلَةِ بنُ كاكَوَيْهِ بالغَدْرِ بهم، وشَعَرُوا بذلك فقَاتَلُوه بأصْبَهانَ فغلَبَهم، وانْصَرَفُوا إلى أَذْرَبِيجان فقَتَلَهم صاحِبُها وَهْشُوذانُ من بني المَرْزُبانِ. وكانوا لمَّا قَصَدُوا أصْبهانَ بَقِيَ فَلُّهم بنَواحِي خُوارِزْمَ فعَاثُوا في البِلادِ، وخَرَجَ إليهم صاحِبُ طُوسَ وقاتَلَهم. وجاء محمودُ بنُ سُبُكْتُكِينَ فسار في اتِّباعِهم من دِهِسْتانَ إلى جُرْجانَ، ورَجَعَ عنهم، ثم اسْتأمَنُوا فاسْتَخْدَمَهم ومُقَدَّمَهم يَغْمُرَ، وأنْزَلَ ابْنَه بالرَّيِّ.

ثم ماتَ محمودٌ، ووَلِيَ أخُوه مَسْعودٌ، وشُغِلَ بحُرُوبِ الهِنْدِ فانْتَقَضُوا، وبَعَثَ إليهم قائدًا في العساكِرِ، وكانوا يُسَمَّوْنَ العِراقِيَّةَ، وأُمَراؤُهم يَوْمَئِذٍ: كُوكْتاش ونَزْقا وكرك

ويغمُرُ وبَاصَغْكي، ووَصَلُوا إلى الدَّامَغانِ فاسْتَباحُوها، ثم سِمْنانَ، ثم عَاثُوا في أعمالِ الرَّيِّ؛ واجْتَمَعَ صاحِبُ طَبَرِسْتانَ وصاحِبُ الرَّيِّ معَ قائدِ مَسْعودٍ، وقَاتَلُوهم فهَزَمُوهم الغُزُّ وفَتَكُوا فيهم وقَصَدُوا الرَّيَّ فمَلَكُوه، وهَرَبَ صاحِبُه إلى بَعْضِ قِلاعِه فتَحَصَّنَ بها، وذلك سنةَ سِتٍّ وعِشْرِينَ وأرْبَعِ مائةٍ.

واسْتَألَفَهم عَلاءُ الدَّوْلَةِ بْنُ كاكَوَيْه لِيُدافِعَ بهمُ ابْنَ سُبُكْتكِينَ فأجَابُوه أوَّلاً، ثم انْتَقَضُوا. وأمَّا الذينَ قَصَدُوا/ [360 ب] أذْرَبِيجان منهم، ومُقَدَّمُوهم بوقا وكُوكْتاش ومَنْصورٌ ودانَا، فاسْتَألَفَهم وَهْشُودانُ لِيَسْتَظْهِرَ بهم فلم يَحْصُلْ على بُغْيَتِهِ من ذلك. وسارُوا إلى مَراغَةَ سنةَ تِسْعٍ وعِشْرِينَ فاسْتَبَاحُوها، ونالُوا مِنَ الأكْرادِ الهَذْبانِيَّةِ فحارَبَهم وغَلَبَهم فافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ؛ فرَجَعَ بُوقَا إلى أصْحابِهم الذين بالرَّيِّ، وسار مَنْصورٌ وكُوكْتاش إلى هَمَذانَ، وبها أبو كالِيجارَ بْنُ علاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كاكَوَيْهِ فحاصَرُوه حتَّى صالَحَهم وصَاهَرَه كُوكْتاشُ، وحاصَرَ الذين بالرَّيِّ علَى علاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كاكَوَيْه فظاهَرَهم على حِصارِه فنَّاخُسْرُو بْنُ مَجْدِ الدَّوْلَةِ وجُموعُ الدَّيْلَمِ، فلمَّا جَهَدَه الحِصارُ لَحِقَ بأصْبَهانَ وتَرَكَ البَلَدَ فدَخَلُوها واسْتَبَاحُوها، وفعَلُوا في الكَرَجِ مِثْلَ ذلك، وحاصَرُوا قَزْوِينَ حتَّى أطاعُوهم وبَذَلُوا لهم سَبْعَةَ آلافِ دِينارٍ. وسار طائفةٌ منهم إلى بَلَدِ الأرْمَنِ فاسْتَبَاحُوها وأثْخَنُوا فيها ورَجَعُوا إلى أرْمِينِيَّةَ.

ثم رَجَعُوا منَ الرَّيِّ إلى حِصارِ هَمَذانَ، فتَرَكَها أبو كالِيجارَ ومَلَكُوها سنةَ ثَلاثِينَ، ومعَهم فنَّاخُسْرُو المذكورُ، واسْتَبَاحُوا تلكَ النَّواحِيَ إلى أسْتراباذ، وقاتَلَهم أبو الفَتْحِ بْنُ أبي الشَّوْكِ صاحِبُ الدِّينَوَرِ فهَزَمَهم وأسَرَ منهم، وصالَحُوه على إطْلاقِ أسْراهم. ثم مَكَرُوا بأبي كاليجارَ أنْ يَكُونَ معَهم ويُدَبِّرَ أمْرَهم، وغَدَرُوا به ونَهَبُوه.

وخَرَجَ أبوه علاءِ الدَّوْلَةِ مِن أَصْبَهَانَ فلَقِيَ طائفةً منهم فأَوْقَعَ بهم وأَثْخَنَ فيهم، وأَوْقَعَ وَهْسُوذانُ بمَن كان منهم في أَذْرَبِيجان وظَفِرَ بهم الأكرادُ وسارُوا إلى بَلَدِ الهَكَّارِيَّةِ، مِن أعْمالِ المَوْصِلِ، فظَفِرَ بهمُ الأكرادُ وأَثْخَنُوا فيهم وفَرَّقُوا جماعَتَهم.

ثم تُوُفِّيَ كَزَل أَمِيرُ الغُزِّ الذين بالرَّيِّ، وكانُوا لمَّا أجازُوا مِن وراءِ النَّهْرِ إلى خُراسانَ بَقِيَ بمَواطِنِهم الأُولى هنالِكَ طُغْرُلْبِك بْنُ مِيكائيلَ بْنِ سُلْجُوق، وإخْوَتُه داوُدُ وبَيْغُو ويَنالُ وجَفْرِي، فخَرَجُوا إلى خُراسانَ مِن بعدِهم، وكانُوا أَشَدَّ منهم شَوْكَةً وأَقْوَى عليهم سُلْطانًا، فسار يَنالُ أخُو طُغْرُلْبِك إلى الرَّيِّ فهَرَبُوا إلى أَذْرَبِيجان، ثم إلى جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ وديارِ بَكْرٍ. ومَكَرَ سُلَيْمانُ بْنُ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوانَ صاحِبُ /الجَزِيرَةِ [361أ] بمَنْصُورِ بْنِ غَزَلِيٍّ منهم فحَبَسَهُ وافْتَرَقَ أَصْحابُه، وبَعَثَ قِرْواشٌ صاحِبُ المَوْصِلِ إليهم جَيْشَه فطَرَدَهم وافْتَرَقَتْ جُموعُهم، ولَحِقَ الغُزُّ بديارِ بَكْرٍ وأَثْخَنُوا فيها، وأَطْلَقَ نَصِيرُ الدَّوْلَةِ أَمِيرَهم مَنْصُورًا مِن يَدِ ابْنِه فلم يَنْتَفِعْ معهم بذلك. وقاتَلَهم صاحِبُ المَوْصِلِ فحَصَرُوه، ثم رَكِبَ في السُّفُنِ ونَجا إلى السِّنِّ ومَلَكُوا البَلَدَ وعاثُوا فيها.

وبَعَثَ قِرْواشٌ إلى المَلِكِ جَلالِ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْجِدُه، وإلى دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ وأُمَراءِ العَرَبِ. وفَرَضَ الغُزُّ على أَهْلِ المَوْصِلِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينارٍ، فثارَ النَّاسُ بهم، وكان كُوكْتاشُ قد فارَقَ المَوْصِلَ، فرَجَعَ ودَخَلَها عَنْوَةً في رَجَبٍ سنةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ، وأَفْحَشَ في القَتْلِ والنَّهْبِ. وكانوا يَخْطُبونَ للخَلِيفَةِ ولِطُغْرُلْبِكَ بعدَه، فكَتَبَ المَلِكُ جَلالُ الدَّوْلَةِ إلى طُغْرُلْبِك يَشْكُو له بأَحْوالِهم، فكَتَبَ إليه بأَنَّ هؤلاءِ الغُزَّ كانوا في خِدْمَتِنا وطاعَتِنا، حتَّى حَدَثَ بَيْنَنَا وبينَ محمودِ بْنِ سُبُكْتُكِينَ ما عَلِمْتُم، ونَهَضْنا إليه، وسارُوا في خِدْمَتِنا في نَواحِي خُراسانَ فتَجاوَزُوا حُدودَ الطَّاعةِ ومَلَكَتْهم الهَيْبَةُ،

ولابُدَّ مِن إنْزالِ العُقوبَةِ بهِم، وبَعَثَ إلى نَصِيرِ الدَّوْلَةِ يَعِدُه بكَفِّهم عنه.

وسَارَ دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ وبَنُو عُقَيْلٍ إلى قِرْواشٍ صاحِبِ المَوْصِلِ، وقَعَدَ جَلالُ الدَّوْلَةِ عن إنْجادِهِ لِما نَزَلَ به منَ الأتْراكِ، وسَمِعَ الغُزُّ بجُموعِ قِرْواشٍ، فبَعَثُوا إلى مَن كان بدِيارِ بَكْرٍ منهم، واجْتَمَعُوا إليهم، واقْتَتَلَ الفَريقانِ فانْهَزَمَ العَرَبُ أوَّلَ النَّهارِ؛ ثم أُتيحَتْ لهُمُ الكَرَّةُ على الغُزِّ فهَزَمُوهم واسْتَبَاحُوهم وأثْخَنُوا فيهم قَتْلاً وأسْرًا، واتَّبَعَهم قِرْواشٌ إلى نَصِيبِينَ، ورَجَعَ عنهم فسارُوا إلى دِيارِ بَكْرٍ وبِلادِ الأرْمَنِ والرُّومِ، وكَثُرَ عَيْثُهم فيها. وكَان طُغْرُلْبِك وإخْوَتُه لمَّا أجازُوا إلى خُراسانَ طالَتِ الحُرُوبُ بينَهم وبينَ عساكِرِ بني سُبُكْتُكِينَ حتَّى غَلَبُوهم وحَصَلَ لهمُ الظَّفَرُ، وهَزَمُوا شباوشي حاجِبَ مَسْعودٍ آخِرَ هَزائِمِهم، ومَلَكُوا هَراةَ، فهَرَبَ عنها شباوشي الحاجِبُ، ولَحِقَ بغَزْنَةَ وزَحَفَ إليهم مَسْعودٌ، ودَخَلُوا البَرِّيَّةَ، ولم يَزَلْ في اتِّباعِهم ثَلاثَ سِنِينَ.

[361 ب] ثم انْتَهَزُوا فيه الفُرْصَةَ باخْتِلافِ عَسْكَرِه يَوْمًا على/ الماءِ فانْهَزَمَ وغَنِمُوا عَسْكَرَه، وسار طُغْرُلْبِك إلى نَيْسابُورَ سنةَ إحْدَى وثَلاثِينَ فمَلَكَها وسَكَنَ الشّاذياخ[1]، وخُطِبَ له بالسُّلْطانِ الأعْظَمِ، وفَرَّقَ العُمَّالَ في النَّواحِي. وكان الذُّعَّارُ قدِ اشْتَدَّ ضَرَرُهم بنَيْسابُورَ فسَكَّنَ أمْرَهم وحَسَمَ عِلَلَهم.

واسْتَوْلَى السَّلْجُوقِيَّةُ على جميعِ البِلادِ. وسار بَيْغُو إلى هَراةَ فمَلَكَها، وسار داوُدُ إلى بَلْخَ وبها التوت ناق حاجِبُ مَسْعُودٍ فحاصَرَه، وعَجَزَ مَسْعُودٌ عن إمْدادِه فسَلَّمَ البَلَدَ لداوُدَ، واسْتَقَلَّ السَّلْجُوقِيَّةُ بمُلْكِ البِلادِ أجْمَعَ.

ثم مَلَكَ طُغْرُلْبِك طَبَرِسْتانَ وجُرْجانَ من يَدِ أنُوشِرْوانَ بْنِ مَنُوجَهْرَ قابُوس،

(1) رسمت مهملة في النّسخ، وضبطناها من معجم البلدان 3: 305 والكامل 11: 272.

وضَمِنها أنُوشِرْوانُ بثلاثِينَ ألْفَ دِينارٍ، ووَلَّى على جُرْجانَ مَرْداوِيجَ، من أصْحابِه، بخَمْسِينَ ألْفَ دِينارٍ، وبَعَثَ القائمُ القاضِيَ أبا الحَسَنِ الماوَرْدِيَّ إلى طُغْرُلْبك، فقَرَّرَ الصُّلْحَ بينَه وبينَ جَلالِ الدَّوْلَةِ القائمِ بدَوْلَتِه، ورَجَعَ بطاعَتِه[1].

فِتْنَةُ قِرْواشٍ مع جَلالِ الدَّوْلَةِ

كان قِرْواشٌ قد أنْفَذَ عَسْكَرَه سنةَ إحْدَى وثَلاثِينَ لِحِصارِ خَمِيسِ بنِ ثَعْلَبٍ بتَكْرِيتَ، واسْتَغاثَ بجَلالِ الدَّوْلَةِ، وأمَرَ قِرْواشًا بالكَفِّ عنه فلم يَفْعَلْ، وسارَ لِحِصارِه بنَفْسِه. وبَعَثَ إلى الأتْراكِ ببغْدادَ يَسْتَفْسِدُهم على جَلالِ الدَّوْلَةِ فاطَّلَعَ على ذلك، فبَعَثَ أبا الحارِثِ أرْسَلانَ البَساسِيرِيَّ في صَفَرٍ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثَلاثِينَ للقَبْضِ على نائِبِ قِرْواشٍ بالسِّنْدِيَّةِ، واعْتَرَضَه العَرَبُ فمَنَعُوه ورَجَع، وأقامُوا بينَ صَرْصَرَ وبغْدادَ يُفْسِدُون السَّابِلَةَ، وجَمَعَ جَلالُ الدَّوْلَةِ العساكِرَ، وخَرَجَ إلى الأنْبارِ وهي لِقِرْواشٍ فحاصَرَها. ثم اخْتَلَفَتْ عُقَيْلُ على قِرْواشٍ، فرَجَعَ إلى مُصالَحَةِ جَلالِ الدَّوْلَةِ[2].

الوَحْشَةُ بينَ جَلالِ الدَّوْلَةِ والقائمِ

لمّا قَلَّتِ الجِباياتُ ببغْدادَ، مَدَّ جَلالُ الدَّوْلَةِ يَدَه إلى الجَوالي فأخَذَها وكانَتْ خاصَّةً بالخَلِيفَةِ فعَظُمَ عليه، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بينَهما مع قاضِي القُضاةِ أبي الحَسَنِ

(1) يقارن مع الكامل في التاريخ 9: 473-484.
(2) الكامل في التاريخ 9: 489-490.

الماوَرْدِيِّ وغَيْرِه، ثم جَمَعَ القائِمُ الهاشِمِيِّينَ والرَّجَّالَةَ وراسَلَ أصْحابَ الأطْرافِ وعَزَم على مُفارَقَةِ بغْدادَ، ثم وقَعَ الاتِّفاقُ على ألَّا يَعْرِضَ لها مِن قابِلٍ[1].

/وَفاةُ جلالِ الدَّوْلَةِ، ومُلْكُ أبي كاليجارَ [362أ]

ثم تُوفِّي جَلالُ الدَّوْلَةِ أبو طاهِرِ بْنُ بَهاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ في شَعْبانَ سنةَ خَمْسٍ وثلاثِينَ وأرْبَعِ مائةٍ، لسَبْعَ عَشْرَةَ سنةً من مُلْكِه.

ولَمَّا ماتَ، خافَ حاشِيَتُه منَ الأتْراكِ والعامَّةِ، فانْتَقَلَ الوَزِيرُ كَمالُ المُلْكِ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ وأصْحابُه الأكابِرُ إلى حَرَمِ دارِ الخِلافَةِ، واجْتَمَعَ القُوَّادُ للمُدافَعَةِ عنهم وكاتَبُوا المَلِكَ العَزِيزَ أبا مَنْصُورِ بْنَ جَلالِ الدَّوْلَةِ في واسِطَ بالطَّاعَةِ، واسْتَقْدَمُوهُ وطَلَبوا حقَّ البَيْعَةِ فراوَضَهم فيها، فكاتَبَهم أبو كاليجارَ ورَغَّبَهم فعَدَلُوا إليه. وجاءَ العَزِيزُ مِن واسِطَ وانْتَهى إلى النُّعْمانِيَّةِ فغَدَرَ به عَسْكَرُه، ورَجَعُوا إلى واسِطَ وخَطَبُوا لأبي كاليجارَ. وسارَ العَزِيزُ إلى دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَد، ثم إلى قِرْواشِ بْنِ المُقَلَّدِ، ثم فارَقَهُ إلى أبي الشَّوْكِ فغَدَرَ به، فسَارَ إلى يَنالَ أخِي طُغْرُلْبِكَ فأقام عندَه مُدَّةً، ثم قَصَدَ بغْدادَ مُخْتَفِيًا فظَهَرَ على بَعْضِ أصْحابِه فقَتَلَه، ولَحِقَ هُوَ بنَصِيرِ الدَّوْلَةِ بْنِ مَرْوانَ فتُوُفِّيَ عندَه بمَيَّافارِقِينَ سنةَ إحْدَى وأرْبَعِينَ[2].

(1) الكامل في التاريخ 9: 511.

(2) المصدر نفسه 9: 516-517 (مُلَخَّصًا)، نهاية الأرب 26: 258-259.

وأمَّا أبو كاليجارَ فخُطِبَ له ببغْدادَ في صَفرٍ سنةَ سِتٍّ وثلاثِينَ. وبَعَثَ إلى الخَلِيفَةِ بعَشَرَةِ آلافِ دِينارٍ وبأمْوالٍ أخرَى فُرِّقَتْ في الجُنْدِ، ولَقَّبَه القائِمُ بمُحْيِي الدِّينِ، وخَطَبَ له أبو الشَّوْكِ ودُبَيْس بْنُ مَزْيَدٍ ونَصِيرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوانَ بأعْمالِهِم. وسار إلى بَغْدادَ ومعَهُ وَزِيرُه أبو الفَرَجِ محمدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ محمَّدِ بْنِ فَسَانجِس. وهَمَّ القائِمُ لاسْتِقْبالِه، فاسْتَعْفَى مِن ذلك، وخَلَعَ على أرْبابِ الجُيُوشِ، وهُم: البَسَاسِيرِيُّ والنَّشَاوِريُّ والهُمَامُ أبو اللِّقاءِ(1).

وأخْرَجَ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ أبا سَعِيدٍ مِن بغْدادَ، فمَضَى إلى تَكْرِيتَ، وعاد أبو مَنْصُورٍ بْنُ علاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ كاكَوَيْه صاحِبُ أصْبهانَ إلى طَاعَتِه، وخُطِبَ لهُ على مَنابِرِه انْحِرافًا عن طُغْرُلْبك. ثم راجَعَه بعدَ الحِصارِ واصْطَلَحا على مالٍ يَحْمِلُه(2).

وبَعَثَ أبو كاليجَارَ إلى السُّلْطانِ طُغْرُلْبك في الصُّلْحِ، وزَوَّجَه ابْنَتَه فأجابَ، وتَمَّ بينَهما سنةَ تِسْعٍ وثَلاثِينَ(3).

(1) الكامل في التاريخ 9: 524-525؛ نهاية الأرب 26: 262-263.

(2) الكامل في التاريخ 9: 530.

(3) المصدر نفسه 9: 536 وفيه: واستقرَّ الحالُ بينهما أن يتزوَّج طُغْرُلبك بابنة أبي كاليجار، ويتزوَّج الأمير أبو منصور ابن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طُغْرُلبك، وجرى العَقْد في شهر ربيع الآخر من هذه السنة (439هـ).

[362 ب] /وفاةُ أبي كاليجارَ، ومُلْكُ ابنه المَلِكِ الرَّحيم

كان أبو كاليجارَ، المَرْزُبانُ بْنُ سُلْطانِ الدَّوْلَة، قد سارَ سنةَ أرْبَعينَ إلى نَوَاحِي كَرْمانَ، وكان صاحِبُها بَهْرامُ بْنُ بَسْكَرِسْتَانَ (أ)، مِن وُجوهِ الدَّيْلَمِ، قد مَنَعَ الحملَ، فتنَكَّرَ له أبو كالِيجارَ، وبَعَثَ إلى مَعْقلِهِ الذي يَحْتَمِي به، وهِيَ قَلْعَةُ بَرْدَسِيرَ (1) فمَلَكَها مِن يَدِه، وقَتَلَ بَهْرامُ بَعْضَ الجُنْدِ؛ ظَهَرَ منهم على المَيْلِ لأبي كاليجارَ، فسارَ إليه ومَرِضَ في طَرِيقِه، وماتَ بمدينةِ جَنَابَ (2) في سنةِ أرْبَعِينَ، لأربعِ سِنينَ وثَلاثةِ أشْهُرٍ من مُلْكِه.

ولمَّا تُوفِّيَ نَهَبَ الأتْراكُ مُعَسْكَرَه، وانْتَقَلَ وَلَدُه أبو مَنْصُورٍ فلاستُونُ إلى مُخَيَّمِ الوَزيرِ أبي مَنْصُورٍ، وأرادُوا نَهْبَه فَمَنَعَهُمُ الدَّيْلَمُ، وساروا إلى شِيرازَ فملَكَها أبو مَنْصُورٍ، واسْتَوْحَشَ الوَزِيرُ منه فلَحِقَ ببَعْضِ قِلاعِه، وامْتَنَعَ بها.

ووَصَلَ خَبَرُ وَفاةِ أبي كاليجارَ إلى بغْدادَ، وبها وَلَدُه المَلِكُ الرَّحِيمُ أبو نَصْرٍ خِسْرُو فَيْرُوز، فبايَعَ له الجُنْدُ، وبَعَثَ إلى الخَليفَةِ في الخُطْبَةِ والتَّلَقُّبِ بالمَلِكِ الرَّحِيمِ، فأجَابَه إلى مَا سأل إلا اللَّقَبَ بالرَّحِيم، للمانِعِ الشَّرْعِيِّ مِن ذلك.

(أ) كذا بالنُّسخ، وعند ابن الأثير: لشكرستان.

---

(1) بَرْدَسِير: أعظمُ مُدُن كَرْمَان ممّا يلي المَفَازَة التي بين كَرْمَان وخُرَاسَان، وبها قَلْعَةٌ حَصِينَة (معجم البلدان 1: 377).

(2) جَنَاب: إحدى مُدُن كَرْمَان.

واسْتقرَّ مُلكُه بالعِراقِ وخُوزِسْتانَ والبَصْرةِ، وكان بها أخُوهُ أبو عليٍّ، واسْتَولَى أخُوهُ أبو مَنْصورٍ -كما ذكَرنا- على شِيرازَ، فبَعَثَ المَلِكُ الرَّحِيمُ أخاه أبا سَعْدٍ في العساكِرِ فملَكَها، وقبَضَ على أخِيه أبي مَنْصورٍ[1]. وسار العَزيزُ بْنُ جَلالِ الدَّوْلَةِ مِن عندِ قِرْواشٍ إلى البَصْرَةِ، فدَافَعَه أبو عليٍّ بْنُ كالِيجارَ عنها. ثم سار المَلِكُ الرَّحِيمُ إلى خُوزِسْتانَ، وأطاعه مَن بها منَ الجُنْدِ، وكَثُرَتِ الفِتَنُ ببغْداد بينَ السُّنَّةِ والشِّيعةِ[2].

مَسيرُ المَلِكِ الرَّحِيمِ إلى فارِسَ

ثم سارَ المَلِكُ الرَّحِيمُ منَ الأهْوازِ إلى فارِسَ سنةَ إحْدَى وأرْبَعِينَ، وخيَّمَ بظاهِرِ شِيرازَ، ووَقَعَتْ فِتْنَةٌ بينَ أتْراكِ شِيرازَ وبغْدادَ، فرَحَلَ أتْراكُ بغْدادَ إلى العِراقِ، وتبِعَهمُ المَلِكُ الرَّحِيمُ لانحِرافِه عن أتْراكِ شِيرازَ، وكان أيْضًا مُنحَرِفًا عن الدَّيْلَمِ بفارِسَ لمَيْلِهم إلى أخِيه فلاستُونَ بإصْطَخْرَ. وانتَهَى إلى الأهْوازِ فأقامَ بها، واسْتَخْلَفَ/ بأرَّجانَ أخَوَيْه: أبا سعدٍ وأبا طالِبٍ، فزَحَفَ إليهما أخُوهما فلاستُون، [363أ] وخَرَجَ المَلِكُ الرَّحِيمُ منَ الأهْوازِ إلى رَامَهُرْمُزَ للقائِهم، فلَقِيَهم وانهَزَمَ إلى البَصْرَةِ، ثُم إلى وَاسِطَ. وسارَتْ عساكِرُ فارِسَ إلى الأهْوازِ فملَكُوها وخَيَّمُوا بظاهِرِها. ثم شَغَبُوا على أبي مَنْصورٍ، وجاء بَعْضُهم إلى المَلِكِ الرَّحِيمِ فبَعَثَ إلى بغْدادَ واسْتَنْفَرَ

(1) الكامل في التاريخ 9: 547-548.

(2) المصدر نفسه 9: 550-551.

الجُنْدَ الذين بها، وسار إلى الأهوازِ فَمَلَكَها وأقام يَنْتَظِرُ عَسْكَرَ بغْدادَ. ثم سار إلى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ فَمَلَكَها سنةَ ثِنْتَيْنِ وأربعين(1).

ثم تَقَدَّمَ سنةَ ثلاثٍ وأرْبَعين، ومعَه دُبَيْسُ بْنُ مَزْيَدٍ والبَساسِيرِيُّ وغيرُهما. وسارَ هَزارسب بْنُ بنْكير ومَنْصُورُ بْنُ الحسَيْنِ الأسَدِيُّ فيمن معَهما مِنَ الدَّيْلَمِ والأكْرادِ مِن أَرَّجانَ إلى تُسْتَرَ، فسَبَقَهم المَلِكُ الرَّحِيم إليها وغَلَبَهم عليها. ثم أرْجَفَ في عَسْكَرِ هَزارسب بوَفَاةِ أميرِه أبي مَنْصورٍ بمدينةِ شِيرازَ، فاضْطَرَبُوا ورَجَعُوا، ولَحِقَ منهم جماعةٌ بالمَلِكِ الرَّحِيم، فبَعَثَ عَسْكَرًا إلى رامَهُرْمُزَ وبها أَصْحابُ أبي مَنْصورٍ فحاصَرَها ومَلَكَها في ربيعٍ سنةَ ثلاثٍ وأرْبَعِينَ. ثم بعَثَ أخاه أبا سعدٍ في العساكِرِ إلى بلادِ فارِسَ، لأنَّ أخاه أبا نَصْرٍ خِسْرُو كان بإصْطَخْرَ [و]ضَجِرَ من تَغَلُّبِ هَزارسب ابْنِ بَنْكيرَ صاحِبِ أخِيه أبي مَنْصُورٍ، فكَتَبَ إلى أخِيه المَلِكِ الرَّحِيم بالطَّاعةِ، فبَعَثَ إليه أخاه أبا سعدٍ فأدْخَلَه إصْطَخْرَ ومَلَّكَه(2).

ثم اجْتَمَعَ أبو منصورٍ فلاسْتون وهَزارسب ومَنْصُورُ بْنُ الحسَيْنِ الأسَدِيُّ، وساروا للقاءِ المَلِكِ الرَّحِيمِ بالأهْوازِ واسْتَمَدُّوا السُّلْطانَ طُغْرُلْبك، وأبْوْه طاعَتَهم فبَعَثَ إليهم عَسْكَرًا، وكان قد مَلَكَ أصْبَهانَ واسْتَطَال، وافْتَرَقَ كثيرٌ من أَصْحابِ المَلِكِ الرَّحِيمِ عنه، مثلَ: البَساسِيريِّ ودُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ والعَرَبِ والأكْرادِ، وبَقِيَ في الدَّيْلَمِ الأهْوازِيَّةِ وبَعْضِ الأتْراكِ من بغْدادَ. ورأى أن يعودَ من عَسْكَرِ مُكْرَمٍ إلى الأهْوازِ لِيَتَحَصَّنَ بها ويَنْتَظِرَ عَسْكَرَ بغْدادَ. ثم بعَثَ أخاه أبا سعدٍ إلى فارِسَ – كما

(1) الكامل في التاريخ 9: 555، 563؛ نهاية الأرب 26: 264.

(2) المصدر نفسه 9: 572-573.

ذكَرْنا ـ لِيَشْغَلَ أبا مَنصورٍ وهَزارسب ومَن معَهما عن قَصْدِه، فلم يُعَرِّجُوا على ذلك، وساروا إليه بالأهْواز، وقاتَلَهم فانْهَزم/ إلى وَاسِطَ، ونُهِبَتِ الأهْوازُ وفُقِد في الواقِعَةِ [363ب] الوَزِيرُ كَمالُ المُلْكِ أبو المعالي عبدُ الرَّحِيمِ فلم يُوقَفْ له على خَبَرٍ[1].

وسار أبو منصورٍ وأصْحابُه إلى شِيرازَ لإجْلاءِ أبي سعدٍ وأصْحابِه، فلَقِيَهم قريبًا منها وهَزَمَهم مَرَّاتٍ، واسْتأمَنَ إليه الكثيرُ منهم؛ واعْتَصَمَ أبو مَنصورٍ ببَعْضِ القِلاعِ، وأُعِيدَتِ الخُطْبَةُ بالأهْوازِ للمَلِكِ الرَّحِيم، واسْتَدْعاه الجُنْدُ بها.

وعَظُمَتِ الفِتْنَةُ ببَغْدادَ بينَ أهْلِ السُّنَّةِ والشِّيعةِ في غَيْبَةِ المَلِكِ الرَّحِيم واقْتَتَلُوا، وبَعَثَ القائمُ نَقِيبَ العَلَوِيِّينَ ونَقِيبَ العَبَّاسِيِّينَ لكَشْفِ الأمْرِ بينَهما فلم يُوقَفْ على يَقِينٍ في ذلك. وزادَ الأمْرُ وأُحْرِقَتْ مشاهِدُ العُظَماءِ مِن أهْلِ البَيْتِ، وبَلَغَ الخبرُ إلى دُبَيْسِ بنِ مَزْيَد، فاتَّهَمَ القائمَ بالمُداهَنَةِ في ذلك فقَطَعَ الخُطْبَةَ لهُ في أعْمالِه، ثم عُوتِبَ فاسْتَعْتَبَ وعاد إلى حالِه[2].

مُهادَنَةُ طُغْرُلْبك للقائِم

قد تَقَدَّم لنا شأنُ الغُزّ واسْتِيلاؤهم على خُراسانَ من يَدِ بني سُبُكْتُكِين سنةَ ثِنْتَيْنِ وثلاثِين، ثم اسْتِيلاءُ طُغْرُلْبك على أصْبهانَ مِن يَدِ ابْنِ كاكَوَيْهِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وأرْبَعِين. ثم بَعَثَ السُّلْطانُ طُغْرُلْبك أرْسَلانَ ابْنَ أخِيه داودَ إلى بلادِ فارِس

(1) الكامل في التاريخ 9: 574-575.

(2) المصدر نفسه 9: 575-578 مع تفصيلات غنيّة.

فافتَتَحها سنَةَ ثِنْتَيْنِ وأرْبَعِينَ، واسْتَلْحَمَ مَن كان بها مِنَ الدَّيْلَم، ونَزَلَ مدينةَ فَسا، وبَعَثَ إليه القائمُ بأمْرِ اللهِ بالخِلَعِ والألْقابِ، ووَلَّاه على ما غَلَبَ عليه، فبَعَثَ إليه طُغْرُلْبك بعَشَرَةِ آلافِ دِينارٍ، وللوَزيرِ رئيسِ الرُّؤساءِ بألْفَيْنِ، وحَضَرُوا العيدَ في سنةِ ثَلاثٍ وأرْبَعِينَ ببغدادَ، فأمَرَ الخليفةُ الجُنْدَ بالاحْتِفالِ في الزِّينةِ والمراكِبِ والسِّلاحِ. ثم سار الغُزُّ سنةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِينَ إلى شِيرازَ وبها الأميرُ أبو سعدٍ أخُو المَلِكِ الرَّحِيمِ فقَاتَلَهم وهَزَمَهم[1] كما يُذكَرُ في أخبارِهِم.

اسْتِيلاءُ المَلِكِ الرَّحِيمِ على البَصْرةِ من يَدِ أخيه

ثم بَعَثَ المَلِكُ الرَّحِيمُ سنةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِينَ جُيُوشَه إلى البَصْرَةِ مع نَصِيرِه البَسَاسِيرِيِّ، فحَاصَرُوا بها أخاه أبا عليٍّ وقاتَلُوا عَسْكَرَه[أ] في السُّفُنِ فهَزَمُوهم[ب] ومَلَكُوا /عليهم دِجْلَةَ والأنْهُرَ. وجاء[ج] *المَلِكُ الرَّحِيمُ بالعَسْكَرِ في البَرِّ، واسْتأمَنَ إليه [364أ] قَبائِلُ رَبِيعَةَ ومُضَرَ فأمَّنَهم ومَلَكَ البَصْرَةَ، وجاءَتْه رُسُلُ الدَّيْلَمِ بخُوزِسْتانَ بطاعَتِهِم. ومَضَى أخُوه أبو عليٍّ إلى شَطِّ عُمانَ وتَحَصَّن به، فسَار إليه المَلِكُ الرَّحِيمُ، ومَلَكَ عليه شَطَّ عُمانَ، ولَحِقَ بعَبّادَانَ، وسار منها إلى أرَّجانَ. ثم لَحِقَ بالسُّلْطانِ طُغْرُلْبك بأصْبَهانَ فأكْرَمَه وأصْهَرَ إليه، وأقْطَعَ له وأنْزَلَه بقَلْعَةٍ من أعْمالِ جَرْباذَقانَ. ووَلَّى المَلِكُ

(أ) ح: أخاه. (ب) ح: فهزمهم. (ج) من هنا إلى آخر هذا الفصل، مع فصلَيْ: فتنة أبي الشوك وفتنة الأتراك إلى آخره ساقط من نسخة ح بسبب سقوط ورقة.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 564-565، 580، 585.

الرَّحِيمُ وَزِيرَه البَسَاسِيريَّ على البَصْرةِ، وسار إلى الأهْوازِ، وراسَلَ مَنْصُورَ بْنَ الحسَيْنِ وهَزارسْب في تَسْليمِ أرَّجانَ وتُسْتَرَ، فتَسَلَّمَها واصْطَلَحَا. وكان المُقَدَّمَ على أرَّجانَ فلوادُ ابْنُ خِسْرُو منَ الدَّيْلَمِ، فرَجَعَ إلى طاعَةِ المَلِكِ الرَّحِيمِ سنةَ خَمْسٍ وأرْبَعِينَ[1].

فِتْنَةُ ابْنِ أبي الشَّوْكِ ثُمَّ طاعَتُه

كان سَعْدِي بْنُ أبي الشَّوْكِ قد أعْطَى طاعَتَه للسُّلْطانِ طُغْرُلْبك بنَواحِي الرَّيِّ، وسار في خِدْمَتِه، وبَعَثَهُ سنةَ أرْبَعٍ وأرْبعِينَ في العساكِرِ إلى نَواحِي العراقِ فبَلَغَ النُّعْمَانِيَّةَ وكَثُرَ عَيْثُه، وراسَلَه بنو مكن ـ من بني عُقَيْلٍ قَرابةُ قُرَيْشِ بْنِ بَدْرانَ ـ في الاسْتِظْهارِ به على قُرَيْشٍ ومُهَلْهِلِ بْنِ أبي الشَّوْكِ فوَعَدَهم، فسار إليهم مُهَلْهِلٌ وأوْقَعَ بهم على عُكْبَرَا، فسارُوا إلى سَعْدِيٍّ وشَكَوْا إليه وهُوَ على تامَرَّا[2]، فسار وأوْقَعَ بعَمِّه مُهَلْهِلٍ وأسَرَه وعاد إلى حُلْوانَ، وهَمَّ المَلِكُ الرَّحِيمُ بِتَجْهِيزِ العساكِرِ إلى سَعْدِيٍّ بحُلْوانَ، واسْتَقْدَمَ دُبَيْسَ بْنَ مَزْيَدٍ لذلك[3].

ثُمَّ عَظُمَتِ الفِتْنةُ سنةَ خَمْسٍ وأرْبَعِينَ ببغْدادَ بينَ أهْلِ الكَرْخِ وأهْلِ السُّنَّةِ، ودَخَلَها طوائِفُ منَ الأتْراكِ، وعَظُمَ الشَّرُّ واطَّرِحَتْ مُراقَبَةُ السُّلْطانِ، ورَكِبَ القُوَّادُ لحَسْمِ العِلَّةِ فقَتَلُوا عَلَوِيًّا من أهْلِ الكَرْخِ فنادَى نِساؤُه بالوَيْلِ، فقاتَلَهم العامَّةُ،

(1) الكامل في التاريخ 9: 588-589، 594.
(2) تامَرَّا: طَسُّوج من سَواد بغداد بالجانب الشَّرقي، له نَهْرٌ واسِعٌ يحمل السُّفُن في أيَّام المدود. (معجم البلدان 2: 7).
(3) الكامل في التاريخ 9: 589-590.

وأضرَمَ النّارَ في الكَرْخِ بَعْضَ الأتْراكِ فاحْتَرَق جَميعُه. ثم بعَثَ القائمُ وسَكَنَ الأمْرُ[1].

وكان مُهَلْهِلٌ لمَّا أُسِرَ سار ابْنُه بَدْرٌ إلى طُغْرُلْبك في إطْلاقِ ابْنِه مِن يَدِ سَعْدِي، فأعْطاه طُغْرُلْبك ابْنًا لِسَعْدِي كان عنده رَهِينَةً، وبَعَثَ إلى سَعْدِي /بإطْلاقِ مُهَلْهِلٍ عن ذلك الوَلَدِ، فامْتَعَضَ سَعْدِي من ذلك وانْتقَضَ على طُغْرُلْبك، [364 ب] وسار من هَمَذانَ إلى حُلْوانَ وقاتَلَها فامْتَنَعَتْ عليه، فكاتَبَ المَلِكَ الرَّحِيمَ بالطّاعةِ، ولَحِقَتْه عساكِرُ طُغْرُلْبك فهزَمُوه، ولَحِقَ ببَعْضِ القِلاعِ هُنالِك. وسارَ بدرٌ في أتْباعِه إلى شَهْرَزُورَ، ثم جاء الخَبَرُ بأنَّ جَمْعًا منَ الأكْرادِ والأتْراكِ قد أفْسَدُوا السّابِلَةَ وأكْثَروا العَيْثَ، فخَرَجَ إليهمُ البَساسِيريُّ واتَّبَعَهم إلى البَوازِيجِ، وأوْقَعَ بطوائِفَ منهم واسْتَباحَهم وعَبَرُوا الزّابَ فلم يُمْكِنْه العُبُورُ إليهم ونَجَوْا[2].

فِتْنَةُ الأتْراكِ

وفي سنةِ سِتٍّ وأرْبَعِينَ شَغَبَ الأتْراكُ على وَزِيرِ المَلِكِ الرَّحِيمِ في مُطالَبَتِه بأرْزاقِهِم، واسْتَعْدَوه عليه فلم يَعْدُهم، فشَكَوْا منَ الدِّيوانِ وانْصَرَفُوا مُغْضَبِينَ، وباكَرُوا منَ الغَدِ لِحِصارِ دارِ الخَلِيفَةِ. وحَضَرَ البَساسِيريُّ واسْتَكْشَفَ حالَ الوزيرِ فلم يَقِفْ له على خَبَرٍ. وكُبِسَتِ الدُّورُ في طَلَبِه، فكان ذلك وَسِيلَةً للأتْراكِ في نَهْبِ دُورِ النّاسِ. واجْتَمَعَ أهْلُ المَحالِّ لمنْعِهم، ونَهاهُمُ الخليفةُ فلم يَنْتَهُوا، فهَمَّ بالرِّحْلَةِ عن بغْدادَ.

(1) المصدر نفسه 9: 593.

(2) الكامل في التاريخ 9: 594-595.

ثم ظَهَرَ الوَزِيرُ وأنْصَفَهم في أرزاقِهم فتمادَوْا على بَغْيِهم وعَسْفِهم، واشْتَدَّ عَيْثُ الأكْرادِ والأعْرابِ في النَّواحِي فخرِبَتِ البلادُ، وتفرَّق أهلُها، وأغار أصْحابُ قُرَيْشِ بْنِ بَدْران بالبرَدَانِ، وكَبَسُوا حِلَلَ كامِلِ بْنِ محمدِ بْنِ المُسَيَّبِ ونَهَبُوها، ونَهَبُوا في جُمْلَتِها ظَهْرًا وأنْعامًا للبَسَاسِيرِيِّ، وانْحَلَّ أمرُ المُلْكِ والسَّلْطَنَةِ بالكُلِّيَّةِ(1).

اسْتيلاءُ طُغْرُلْبك على أَذْرَبِيجان وعلى أرْمينيَّةَ والمَوْصل

سار طُغْرُلْبك سنةَ سِتٍّ وأرْبَعِينَ إلى أَذْرَبِيجان، فأطاعَه صاحِبُ تِبْرِيزَ أبو مَنْصُورٍ وَهْشُوذانُ بْنُ محمدٍ وخَطَبَ له ورَهَنَ وَلَده عندَه. ثم أطاعَه صاحِبُ جُنْدِه أبو الأَهْوازِ، ثم تبايَعَ سائرُ النَّواحِي على الطَّاعةِ له. وأخَذَ رَهْنَهم، وسار إلى أرْمينيَّةَ فحاصَرَ [مُنازْكِرد](أ) وامْتَنَعَتْ عليه فخَرَّبَ ما جاوَرَها مِنَ البلادِ. وبَعَثَ إليه نَصِيرُ الدَّوْلَةِ بْنُ مَرْوان بالهَدَايَا وقد كان دَخَلَ في طاعَتِه من قَبْلُ. وسار السُّلْطانُ طُغْرُلْبك لِغَزْوِ بلادِ الرُّومِ واكْتَسَحَها إلى أنْ بَلَغَ أَرْزَنَ/ الرُّومِ، ورَجَعَ إلى أَذْرَبِيجان [365أ] ثم إلى الرَّيِّ، وخَطَبَ له في هذه السَّنةِ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرانَ صاحِبُ المَوْصِلِ في جميعِ أعْمالِه، وزَحَفَ إلى الأنْبارِ ففتَحَها ونَهَبَ ما كان فيها للبَسَاسِيرِيِّ، فامْتَعَضَ لذلك وسارَ في العَسَاكِرِ إلى الأنْبارِ فاسْتعادَها مِن يَدِه(2).

(أ) في الأصول ملاذكرد والتصويب من معجم البلدان 5: 202 .

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 597-598.

(2) المصدر نفسه 9: 598-599؛ نهاية الأرب 26: 287-288.

وَحْشَةُ البَساسيرِيّ

كان أبو الغنائِمِ وأبو سَعْدٍ ابْنا المَخْلَبَانِ صاحِبَيْ قُرَيْشِ بْنِ بَدْران، وبَعَثَهما إلى القائِمِ سِرًّا منَ البَساسِيريِّ لمَّا فَعَلَ ما فَعَل بالأنبَارِ، فامْتَعَضَ البَساسِيرِيُّ لذلك، واسْتَوْحَشَ منَ القائِمِ ومِن رئيسِ الرُّؤساءِ، وأسْقَطَ مُشاهَرتَهم ومُشاهَرَةَ حَواشِيهم، وهَمَّ بهَدْمِ منازِلِ بني المَخْلَبَانِ. ثم أَقْصَر وسَارَ إلى الأنْبَارِ وبها أبو الغَنائِمِ بْنُ المَخْلَبَانِ، وجاءَه دُبَيْس بْنُ مَزْيَدٍ مُمِدًّا له، فحاصَرَ الأنبارَ وفَتَحَها عَنْوَةً ونَهَبَها وأَسَرَ مِن أهْلِها خَمْسَ مائةٍ ومائةً من بني خَفَاجَةَ، وأسَرَ أبا الغنائِمِ وجاء بهِ إلى بغْدادَ، فأدْخَلَه على جَمَلٍ، وشَفَعَ دُبَيْس بْنُ مَزْيَدٍ في قَتْلِه، وجاء إلى مُقابِلِ التَّاجِ من دارِ الخَلِيفَةِ فقَبَّلَ الأرْضَ وعاد إلى مَنْزِلِه[1].

وُصُولُ الغُزِّ إلى الدَّسْكَرَةِ ونَواحِي بغْدادَ

وفي شَوَّالٍ مِن سنةِ سِتٍّ وأرْبَعِينَ وَصَلَ صاحِبُ حُلْوانَ منَ الغُزِّ، وهُوَ إبْراهِيمُ بْنُ إسْحاقَ، إلى الدَّسْكَرَةِ[2]، فافْتَتَحَها ونَهَبَها وصادَرَ النِّساءَ. ثم سار إلى

(1) الكامل في التاريخ 9: 602-601 (ملخَّصًا)، وتُراجع أخبار أبي الحارث أرسلان البَساسِيري في الكامل في التاريخ 9: 596، 601، 607، 625، 650-639؛ وفيات الأعيان 1: 193-192، نهاية الأرب 23: 228-223، 233-232؛ M. CANARD, *EI*² art. *al-Basâsiri* I, pp. 1105-7.

(2) الدَّسْكَرَة: الأرض المستوية، والمقصود هنا قريةٌ بخُوزِسْتان.

[روستُقْباذ][أ] وقلْعَةِ البَرْدَانِ وهيَ لسَعْدِي بْنِ أبي الشَّوْكِ، وبها أمْوالُه، فامْتَنَعَتْ عليه فخَرَّبَ ما حَوْلَها منَ القُرَى ونَهَبَها. وقَوِيَ طَمَعُ الغُزِّ في البلادِ، وضَعُفَ أمْرُ الدَّيْلَمِ والأتْراكِ. ثم بَعَثَ طُغْرُلْبِك أبا عليٍّ بْنَ أبي كالِيجارَ، الذي كان بالبَصْرَةِ في جَيْشٍ من الغُزِّ إلى خُوزِسْتانَ، فاسْتَوْلَى على الأهْوازِ ومَلَكَها ونَهَبَ الغُزُّ الذين معَهُ أمْوالَ النَّاسِ ولَقُوا منهم عَيْثًا[1].

اسْتيلاءُ المَلِكِ الرَّحِيمِ على شِيرازَ

وفي سنةِ سَبْعٍ وأرْبَعِينَ سَارَ فولاذُ ـ الذي كان بقَلْعَةِ إصْطَخْرَ من الدَّيْلَمِ، وقد ذكَرْناه ـ إلى شِيرازَ فَمَلَكَها مِن يَدِ أبي مَنْصورٍ فولاسْتون بْنِ أبي كالِيجارَ، وكان خَطَبَ بها للسُّلْطانِ طُغْرُلْبِك، فخَطَبَ فولاذُ بها للمَلِكِ الرَّحِيمِ ولأخِيه أبي سَعْدٍ /يُخادِعُهما بذلك. وكان أبو سَعْدٍ بأرَّجَانَ، فاجْتَمَعَ هُوَ وأخُوه أبو مَنْصورٍ على [365 ب] حِصارِ شِيرازَ في طاعَةِ أخِيهما المَلِكِ الرَّحِيمِ، واشْتَدَّ الحِصارُ على فولاذَ، وعُدِمَتِ الأقْواتُ، فهَرَبَ عنها إلى قَلْعَةِ إصْطَخْرَ، ومَلَكَ الأخَوانِ شِيرازَ وخَطَبا لأخِيهما المَلِكِ الرَّحِيمِ[2].

(أ) كذا في ياقوت 3: 79، وفي الأصل: سقباد.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 602-603.

(2) المصدر نفسه 9: 605.

وُثُوبُ الأتراكِ ببغْدادَ بالبَساسِيرِيِّ

قد ذَكَرْنا تأكُّدَ الوَحْشَةِ بينَ البَساسِيرِيِّ ورَئِيسِ الرُّؤساءِ، ثم تأكَّدت سنةَ سَبْعٍ وأرْبَعِينَ، وعَظُمَتِ الفِتْنَةُ بالجانِبِ الشَّرْقِيِّ بينَ العامَّةِ، وثارَ أهْلُ السُّنَّةِ للأمْرِ بالمعْروفِ والنَّهْيِ عن المنْكَرِ، وحَضَروا الدِّيوانَ حتَّى أُذِنَ لهم في ذلك، وتعَرَّضوا لبَعْضِ سُفُنِ البَساسِيرِيِّ مُنْحَدِرَةً إليه بواسِطَ، وكَشَفُوا فيها عن جِرارِ خَمْرٍ فجاءوا إلى أصْحابِ الدِّيوانِ الذين أُمِروا بمساعَدَتِهم واسْتَدْعَوْهم لِكَسْرِها فكَسَرُوها، فاسْتَوْحَشَ لذلك البَساسِيرِيُّ ونَسَبَه إلى رئيسِ الرُّؤساءِ، واسْتَفْتَى الفُقَهاءَ في أنَّ ذلك تَعَدٍّ على سَفِينَتِه، فأفْتَاهُ الحَنَفِيَّةُ بذلك. ووَضَعَ رئيسُ الرُّؤساءِ الأعْيانَ في ثَلْبِ*[أ] البَساسيريِّ بإذْنٍ من دارِ الخِلافَةِ، فنَهَبُوها وأحْرَقُوها، ووَكَلُوا بحُرَمِه وحاشِيَتِه. وأعْلَنَ رئيسُ الرُّؤساءِ بذَمِّ البَساسيريِّ، وأنَّه يُكاتِبُ المسْتَنْصِرَ صاحِبَ مِصْرَ، فبَعَثَ القائمُ إلى المَلِكِ الرَّحِيمِ يأْمُرُه بإبْعادِه، فأبْعَدَه[1].

اسْتيلاءُ السُّلْطانِ طُغْرُلْبك على بغْدادَ والخَلِيفَةِ، والخُطْبَةُ [له][ب]

قد ذَكَرْنا مِن قَبْلُ رُجُوعَ السُّلْطانِ طُغْرُلْبك من غَزْوِ الرُّومِ إلى الرَّيِّ، ثم

(أ) نهاية محتوى السقط من نسخة ح. والكلام هنا في ظ غير مترابط، وتبدأ الصفحة التالية للسقط من ح بقوله: في رمضان دور البساسيري. وبهذا يتضح الخلل. وصوابُه نقلا عن نسخة متأخرة: [ووَضَع رئيس الرؤساء العيونَ على البساسيري بإذنٍ من دار الخلافة وأظهر معايبه، وبالغوا في ذلك. ثم قصدوا في رمضان دور...]. (ب) من ح.

(1) الكامل في التاريخ 9: 607، 608.

رَجَعَ إلى هَمَذانَ، ثم سارَ إلى حُلْوانَ عازِمًا على الحَجِّ، والاجْتِياز بالشَّامِ لإزالَتِه من يَدِ العَلَوِيَّةِ. فأجْفَلَ النَّاسُ إلى غَرْبِيِّ بغْداذَ، وعَظُمَ الإرْجافُ، وخَيَّمَ الأتْراكُ بظاهِرِ البَلَدِ. وجاء المَلِكُ الرَّحِيمُ من واسِطَ بَعْدَ أن طَرَدَ البَساسِيرِيَّ عنه كما أمَرَه القائِمُ، فسار إلى بَلَدِ دُبَيْسِ بنِ مَزْيَدٍ لِصِهْرٍ بينَهما. وبَعَثَ طُغْرُلْبك إلى القائمِ بالطَّاعَةِ، وإلى الأتْراكِ بالمُقارنةِ والوَعْدِ فلم يَقْبَلُوا، وطَلَبُوا من القائِمِ إعادَةَ البَساسِيرِيِّ لأنَّه كَبِيرُهم. ولمَّا وَصَلَ المَلِكُ الرَّحِيمُ سألَ من الخَلِيفَةِ إصْلاحَ أمْرِه مَعَ السُّلْطانِ طُغْرُلْبك، فأشَارَ القائِمُ بأنْ يُقَوِّضَ الأجْنادُ خِيامَهم ويُخَيِّمُوا بالحَرِيمِ الخِلافِيِّ، ويَبْعَثُوا جميعًا إلى طُغْرُلْبك/ بالطَّاعَةِ، فقَبِلُوا إشارَتَه وبَعَثُوا إلى طُغْرُلْبك فأجَابَ بالقَبُولِ والإحْسانِ. [i 356]

وأمَرَ القائمُ بالخُطْبَةِ لطُغْرُلْبك على مَنابِرِ بغْدادَ فخَطَبَ له آخِرَ رَمَضَانَ[(1)] من سنةِ سَبْعٍ وأرْبَعِينَ، واسْتأذَنَ في لِقَاءِ الخَلِيفَةِ، وخَرَجَ إليه رئيسُ الرُّؤساءِ في مَوْكِبٍ من القُضاةِ والفُقَهاءِ والأشْرافِ وأعْيانِ الدَّيْلَمِ. وبَعَثَ طُغْرُلْبكُ للقائمِ أُمراءَه ووَزِيرَه أبا نَصْرٍ الكُنْدَرِيَّ وأبْلَغَه رِسالَةَ القائِمِ واسْتَحْلَفَه له وللمَلِكِ الرَّحِيمِ وأُمراءِ الأجْنادِ.

ودَخَلَ طُغْرُلْبك بغْداذَ، ونَزَلَ ببابِ الشَّمَّاسِيَّةِ، لخَمْسٍ بَقِينَ من رَمَضَانَ، وجاءَه هُنالِكَ قُرَيْشُ بنُ بَدْرانَ صاحِبُ المَوْصِلِ، وكان مِن قَبْلُ في طاعَتِه[(2)].

(1) عند ابن الأثير يوم الجمعة لثمانٍ بقين من رمضان.

(2) الكامل في التاريخ 9: 609-611 (عنه بتصرّف)؛ نهاية الأرب 26: 288، وراجع عن طُغرلبك C.E. BOSWORTH, *EI*^{2} art. *Toghril Beg* X, pp. 593-95.

القَبْضُ على المَلِكِ الرَّحِيمِ، وانْقِرَاضُ دَوْلَةِ بني بُوَيْه

ولَمَّا نَزَلَ طُغْرُلْبك بَغْدَادَ وافْتَرَقَ أَهْلُ عَسْكَرِه في البَلَدِ وأَسْوَاقِها يَقْتَضُون حاجَاتِهم، فوَقَعَتْ بينَهم وبينَ بَعْضِ العامَّةِ مُنازَعَةٌ فصاحُوا بهم ورَجَمُوهم، وظَنَّ النَّاسُ أَنَّ المَلِكَ الرَّحِيمَ قدِ اعْتَزَمَ على قِتالِ طُغْرُلْبك، فتوَاثَبُوا بالغُزِّ مِن كلِّ جِهَةٍ إلَّا أَهْلَ الكَرْخِ فإِنَّهم سَالَمُوا مَنْ وَقَعَ إليهم منَ الغُزِّ، وأَرْسَلَ عَمِيدُ المُلْكِ وَزِيرُ طُغْرُلْبك عن عَدْنانَ بْنِ الرَّضِيِّ نَقِيبِ العَلَوِيِّين، وكان مَسْكَنُه بالكَرْخِ، فشَكَرَه عنِ السُّلْطانِ طُغْرُلْبك، وأَنْزَلَ عندَه خَيْلًا لحِراسَةِ ناحِيَتِه.

وتَوَغَّلَ عامَّةُ بغْدادَ في ثَوْرَتِهم، وقَصَدُوا مُعَسْكَرَ السُّلْطانِ طُغْرُلْبك، ودَخَلَ أَعْيانُ الدَّيْلَمِ وأَصْحابُ المَلِكِ الرَّحِيمِ إلى دارِ الخِلافَةِ نَفْيًا للتُّهْمَةِ عنهم. ورَكِبَ أَصْحَابُ طُغْرُلْبك فقاتَلُوا العامَّةَ وهَزَمُوهم وقَتَلُوا منهم خَلْقًا، ونَهَبُوا سائِرَ الدُّروبِ ودُورَ رئيسِ الرُّؤساءِ وأَصْحابِه والرُّصافةَ ودُورَ الخُلَفاءِ، وكان بها أَمْوالُ النَّاسِ نُقِلَتْ إليها للحُرْمَةِ، فنُهِبَ الجميعُ. واشْتَدَّ البلاءُ وعَظُمَ الخَوْفُ. وأَرْسَلَ طُغْرُلْبك إلى القائِمِ بالعِتابِ ونِسْبَةِ ما وَقَعَ إلى المَلِكِ الرَّحِيمِ والدَّيْلَمِ وأَنَّهم إنْ حَضَروا كانوا بُرَآءَ من ذلك.

وتَقَدَّمَ إليهِمُ الخليفةُ بالحضورِ عندَ طُغْرُلْبك مع رَسُولِه، فلَمَّا وَصَلُوا إلى الخِيامِ نَهَبَهُم الغُزُّ ونَهَبُوا رُسُلَ القائِمِ معَهم. ثم قَبَضَ طُغْرُلْبك على المَلِكِ الرَّحِيمِ ومَن معه/ [366 ب] وحَبَسهم، وبَعَثَ بالمَلِكِ الرَّحِيمِ إلى قَلْعَةِ السِّيرَوانِ فَحُبِسَ بها، وكان ذلك لسِتِّ سِنِينَ من مُلْكِه.

ونَهَبَ في تِلْكَ الهَيْعَةِ قُرَيْشُ بْنُ بَدْرانَ صاحِبُ المَوْصِلِ ومَن معَه مِنَ العَرَبِ، ونَجَا سَلِيبًا إلى خَيْمَةِ بَدْرِ بْنِ المُهَلْهِلِ، ثم اتَّصَلَ بطُغْرُلْبَكَ خَبَرُه فأرْسَلَ إليه وخَلَعَ عليه وأعادَه إلى مُخَيَّمِه، وبَعَثَ القائِمُ إلى طُغْرُلْبَك بإنْكارِ ما وَقَعَ في إخْفارِ ذِمَّتِه في المَلِكِ الرَّحِيمِ وأصْحابِه، وأنَّه يَتَحَوَّلُ عن بغدادَ، فأطْلَقَ له بَعْضُهم تسكينًا[أ] لغربه، وانْتَزَعَ الإقْطاعاتِ من يَدِ أصْحابِ المَلِكِ الرَّحِيمِ فلَحِقُوا بالبَساسِيرِيِّ، وكَثُرَ جَمْعُه، وبَعَثَ طُغْرُلْبَك إلى دُبَيْسٍ بالطَّاعَةِ وإبْعادِ البَساسِيرِيِّ، فخَطَبَ لهُ في بلادِه، وطَرَدَ البَساسِيرِيَّ، فسَارَ إلى رَحْبَةِ مَالِك، وكاتَبَ المُسْتَنْصِرَ العَلَوِيَّ صاحِبَ مِصْر.

وأمَرَ طُغْرُلْبَك بأخْذِ أمْوالِ الأتْراكِ الجُنْدِ وأهْمَلَهم، وانْتَشَرَ الغُزُّ السَّلْجُوقِيَّةُ في سَوادِ بغدادَ فنَهَبُوا الجانِبَ الغَرْبِيَّ من تَكْرِيتَ إلى النِّيلِ، والجانِبَ الشَّرْقِيَّ إلى النَّهْرَواناتِ[1]، وخَرِبَ السَّوادُ وانْجَلَى أهْلُه، وضَمِنَ السُّلْطانُ طُغْرُلْبَك البَصْرَةَ والأهْوازَ من هَزارسِبَّ بْنِ بَنْكِير بْنِ عِياضٍ بثلاثِ مائةٍ وسِتِّينَ ألْفَ دينارٍ، وأقْطَعَه أرَّجَانَ، وأمَرَه أن يَخْطُبَ لنفْسِه بالأهْوازِ دونَ ما سِواها، وأقْطَعَ أبا عليِّ بْنَ كالِيجارَ قَرْمِيسِينَ وأعْمالَها، وأمَرَ أهْلَ الكَرْخِ بزِيادَةِ: الصَّلاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ في نداءِ الصُّبْحِ، وأمَرَ بعِمارَةِ دارِ المملكةِ وانْتَقَلَ إليها في شَوَّال[2].

(أ) من ح وفي ظ : بسكينا .

(1) النَّهْرَوانات ثلاثةٌ: الأعلى، والأوسَط، والأسفَل، وهي كورةٌ واسعةٌ بين بغداد وواسط من الجانب الشَّرقي وحدُّها الأعلى مُتَّصلٌ ببغداد. (معجم البلدان 5: 324-325).

(2) الكامل في التاريخ 9: 611-614 (عنه بتصرف)؛ نهاية الأرب 26: 289-291.

وتُوفِّي ذَخِيرةُ الدِّينِ أبو العَبَّاسِ محمَدُ بْنُ القائِمِ باللهِ في ذي القَعْدَةِ من هذه السَّنةِ[(1)].

ثم أنكَحَ السُّلْطانُ طُغْرُلْبك من القائِمِ باللهِ خديجةَ ابْنَةَ أخِيه داودَ، واسْمُها أرْسَلانُ خاتُون، وحَضَر للعَقْدِ عَميدُ المُلْكِ الكَنْدريُّ وَزِيرُ طُغْرُلْبك، وأبو عليِّ بْنُ أبي كالِيجارَ، وهَزارسب بْنُ بَنْكيرَ بْنِ عِياضٍ الكُرْدِيُّ، وابْنُ أبي الشَّوْكِ، وغيْرُهم من أُمَراءِ الأتْراكِ من عَسْكَرِ طُغْرُلْبك. وتَوَلَّى وخَطَبَ رئيسُ الرُّؤساءِ العَقْدَ، وقَبِلَ الخليفةُ النِّكاحَ بنفْسِه. وحَضَر نَقِيبُ النُّقَباءِ أبو عليِّ بْنُ أبي تَمّامٍ، ونَقِيبُ العَلَوِيِّينَ عَدْنانُ ابْنُ [الشَّرِيفِ] الرَّضِيِّ، والقاضِي أبو الحَسَنِ الماوَرْدِيُّ، وغيْرُهم[(2)].

[367 أ]

/انْتِقاضُ أبي الغنائِمِ بواسِطَ

كان رئيسُ الرُّؤساءِ سَعَى لأبي الغنائِمِ بْنِ المحلبانِ في وِلايَةِ واسِطَ وأعمالِها، فوَلِيَها وصادَرَ أغْيانَها وجَنَّد جماعةً وتَقَوَّى بأهْلِ البَطِيحَة، وخَنْدَقَ على واسِط. وانْتَقَضَ وخَطَبَ للمُسْتَنْصِرِ العَلَوِيِّ بمِصْرَ، فسَارَ أبو نَصْرٍ عَمِيدُ العِراقِ لحَرْبِه، فهَزَمَه وأسَرَ مِن أصْحابِه، ووَصَلَ إلى السُّورِ فحاصَرَه حتى تَسَلَّمَ البَلَدَ. وفَرَّ أبو الغنائِمِ ومعَهُ الوَزِيرُ ابْنُ فَسانجِسَ، ورَجَعَ عميدُ العِراقِ إلى بغْدادَ بعدَ أنْ وَلَّى على واسِطَ مَنْصورَ بْنَ الحسَيْنِ، فعاد ابْنُ فَسانجِسَ إلى واسِطَ وأعادَ خُطْبَةَ العَلَوِيِّ،

(1) الكامل في التاريخ 9: 615.

(2) المصدر نفسه 9: 617.

وقتلَ مَن وَجَدَه منَ الغُزِّ، ومَضَى مَنصُورُ بنُ الحسَيْن إلى المذارِ وبَعَث يَطلُبُ المَدَدَ، فكَتَبَ إليه عَمِيدُ العِراقِ ورَئِيسُ الرُّؤساءِ بحِصارِ واسِطَ لحَاصَرَها، وقاتَلَه ابنُ فَسَانجَس فهزَمَه وضَيَّقَ حِصارَه، واستأمَنَ إليه جماعةٌ مِن أهْلِ واسِطَ فَملَكَها، وهَرَبَ ابنُ فَسَانجَس واتَّبَعُوه فأدرَكُوه، وحُمِلَ إلى بَغْدادَ في صَفَرِ سنةَ سَبْعٍ وأربَعِينَ فشُهِّرَ وقُتِلَ[1].

الوَقْعَةُ بين البَسَاسِيرِيِّ وقَطَلْمَش

وفي سَلْخِ شَوَّالٍ من سنةِ ثمانٍ وأربَعِينَ سار قَطَلْمَشُ[أ]، وهُوَ ابنُ عَمِّ السُّلْطانِ طُغْرُلبك، وجَدُّ بني قَلِيجَ أرسَلانَ مُلُوكِ بِلادِ الرُّومِ، فسَارَ ومعَهُ قُرَيْش ابنُ بَدْرَانَ صاحِبُ المَوْصِلِ لقِتالِ البَسَاسِيرِيِّ ودُبَيْسِ بنِ مَزْيَد. والْتَقَوْا على سِنْجَار، فانهَزَمَ قَطَلْمَشُ وقُرَيْشٌ وقُتِلَ الكثيرُ من أصْحابِهما، ورَجَعَ قُرَيْشُ بنُ بدْرَانَ إلى البَسَاسِيرِيِّ ودُبَيْسٍ، وسار بهم إلى المَوْصِلِ، وخَطَبُوا بها للمُسْتَنْصِرِ العَلَوِيِّ صاحِبِ مِصْرَ وبَعَثَ إليهم بالخِلَعِ، وكان معَهم جابِرُ بنُ ناشِب، وأبو الحَسَنِ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ، وأبو الفَتْحِ بنُ وَرَّامٍ، ونُصَيْرُ بنُ عُمَرَ، ومحمدُ بنُ حمادٍ[2].

(أ) ح: بتشديد الميم.

(1) الكامل في التاريخ 9: 624-625.

(2) المصدر نفسه 9: 625-626.

مَسِيرُ طُغْرُلْبك إلى المَوْصِلِ

كان السُّلْطانُ طُغْرُلْبك قد ثَقُلَتْ وَطْأَتُه على العامَّةِ ببغدادَ، وفَشا الضَّرَرُ والأذَى فيهم من عَسْكَرِه، فكاتبَه القائمُ يَعِظُه ويُذَكِّره، ويَصِفُ له ما النَّاسُ فيه، وأجابَه السُّلْطانُ / [367 ب] بالاعْتِذارِ بكَثْرَةِ العساكِرِ. ثم رأى رُؤْيا في لَيْلَتِه وكأنَّ النبيَّ ﷺ يُوَبِّخُه على ذلك، فبَعَثَ وَزيرَه عَمِيدَ المُلْكِ إلى القائمِ بطَاعَةِ أمْرِه فيما أمَر، وأخْرَجَ الجُنْدَ مِن دُورِ العامَّةِ ورَفَعَ المُصادَرَاتِ. ثم بَلَغَه خَبَرُ واقِعَةِ قَطَلْمَش مع البَسَاسِيرِيِّ، وانْحِرافِ قُرَيْشٍ صاحِبِ المَوْصِلِ إلى العَلَوِيَّةِ، فتَجَهَّز وسار عن بَغْدادَ بعدَ ثلاثةَ عَشَرَ شَهْرًا من نُزُولِه عليها، ونَهَبَتْ عساكِرُه أَوَانا وعُكْبَرا، وحاصَرُوا تَكْرِيتَ حتَّى رَجَعَ صاحِبُها نَصْرُ بنُ عيسَى إلى الدَّعْوَةِ العَبَّاسِيَّةِ، وقَتَلَه السُّلْطانُ، ورَحَلَ عنه إلى البُوازيجِ فتُوفِّيَ نَصْرٌ، وخافَتْ أُمُّه: غريبةُ(أ) بِنْتُ غَريبِ بنِ مكن أن يَمْلِكَ البَلَدَ أخُوه أبو الغَشَّامِ، فاسْتَخْلَفَتْ أبا الغَنائِمِ بنَ المحلبانِ ولَحِقَتْ بالمَوْصِلِ، ونَزَلَتْ على دُبَيْسِ بنِ مَزْيَد.

وراسَلَ أبو الغنائِمِ رَئِيسَ الرُّؤساءِ فأصْلَح حالَه ورَحَلَ إلى بَغْدادَ وسَلَّم له تَكْرِيتَ، وأقام السُّلْطانُ بالبَوازيجِ إلى سنةِ تِسْعٍ وأرْبَعِينَ، وجاءه أخُوه ياقُوتِي في العساكِرِ، فسَارَ إلى المَوْصِلِ، وأقْطَعَ مَدِينةَ بَلَدَ لهزارسب بنِ بَنْكِير الكُرْدِيِّ، وأراد

(أ) ابن الأثير: أميرة، وما أورده ابنُ خلدون يتّفق مع رواية إحدى نُسَخ الكامل في التاريخ.

العَسْكَرَ نَهْبَها فَمَنَعَهم السُّلْطانُ. ثم أذِنَ لهم في اللَّحاقِ بالمَوْصِلِ، وتَوَجَّهَ إلى نَصِيبِينَ، وبَعَثَ هَزارسب إلى البَرِّيَّةِ في أَلْفِ فارِسٍ ليُصِيبَ غِرَّةً من العَرَبِ، فسَارَ حتَّى قارَبَ حِلَلَهم، وأَكْمَنَ الكَمائِنَ، وقاتَلَهم ساعَةً. ثم اسْتَطْرَدَ لهم واتَّبَعُوه، فخَرَجَتْ عليهِمُ الكَمائِنُ وانْهَزَمُوا، فأَثْخَنَ فيهِمُ الغُزُّ بالقَتْلِ والأَسْرِ. وكان فيهم جماعةٌ من بني نُمَيْرٍ أَصْحابِ حَرَّانَ والرَّقَّةِ، وحُمِلَ الأَسْرَى إلى السُّلْطانِ فقَتَلَهم أَجْمَعِين[1].

ثم بَعَثَ دُبَيْسٌ وقُرَيْشٌ إلى هَزارسب يَسْتَعْطِفُ لهما السُّلطانَ، فقَبِلَ السُّلْطانُ ذلك منهما، ورَدَّ أَمْرَ البَسَاسِيرِيِّ إلى الخَلِيفَةِ، فسار ومعَهُ الأَتْراكُ البَغْدادِيُّون، ومُقْبِلُ بْنُ المُقَلَّدِ وجماعةٌ من عُقَيْلٍ إلى الرَّحْبَةِ، وأَرْسَلَ السُّلْطانُ إليهما أبا الفَتْحِ بْنَ وَرَّامٍ يَسْتَخْبِرُهما، فجاء بطاعَتِهما وبمَسِيرِ هَزارسب إليهما، فأذِنَ له السُّلْطانُ في المَسِيرِ، وجاء إليْهما واسْتَحْلَفَهما وحَثَّهما على الحُضُورِ فخَافَا.

وأَنْفَذَ قُرَيْشٌ أبا السَّيِّدِ[أ] / هِبَةَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ، ودُبَيْسٌ ابْنَه مَنْصُورًا، [368أ] فأكْرَمَهما السُّلْطانُ، وكَتَبَ لهما بأَعْمالِهما. وكان لقُرَيْشٍ نَهْرُ الملكِ وبَادُورَيا[2] والأَنْبارُ وهِيتُ ودُجَيْلٌ ونَهْرُ بَيْطَرَ وعُكْبَرَا وأَوانا وتَكْرِيتُ والمَوْصِلُ ونَصِيبِينُ[3].

(أ) ابن الأثير: أبا الشداد، وما أورده ابنُ خلدون يتفق مع رواية إحدى نُسَخ الكامل في التاريخ.

(1) الكامل في التاريخ 9: 626-628 (عنه بتصرُّف)؛ نهاية الأرب 26: 292-294.

(2) بادُوريا. طَسُّوج من كورة الاستَان بالجانب الغربي من بَغْدَاد (معجم البلدان 1: 317)، وأوانا بُلَيْدَة من نَوَاحي دُجَيْل بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت. (المصدر نفسه 1: 274). ونَهْرُ بَيْطَر من نواحي دُجَيْل (المصدر نفسه 5: 318) وانظر عن الدُّجَيْل فيما تقدم 372 هـ.

(3) الكامل في التاريخ 9: 629.

ثم سار السُّلْطانُ إلى دِيارِ بَكْرٍ، فحاصَرَ جزيرةَ ابنِ عُمَرَ، وبَعَثَ إليه يَسْتَعْطِفُه ويَبْذُلُ له المالَ، وجاء إبراهِيمُ يَنالُ أخو السُّلْطانِ وهُوَ يُحاصِرُها، ولَقِيَه الأُمَرَاءُ والنَّاسُ، وبَعَثَ هزارسب إلى دُبَيْسٍ وقُرَيْشٍ يُحَذِّرُهما منه، فانْحَدَرَ دُبَيْسٌ إلى بَلَدِه بالعِراقِ. وأقام قُرَيْشٌ عندَ البَساسِيرِيِّ بالرَّحْبَةِ ومعَهُ ابنُه مُسْلِمٌ، وشَكا قَطْلَمَش ما أصابه أهْلُ سِنجارَ منه عندَ هزيمتِه أمامَ قُرَيْشٍ ودُبَيْسٍ، فبَعَثَ العَساكِرَ إليْها، وحاصَرَها ففتَحَها عَنْوَةً واسْتَبَاحَها، وقَتَلَ أميرَها عليَّ بْنَ مُرَجَّى، وشَفَعَ إبراهيمُ في الباقِينَ فتَرَكَهم وسَلَّمها إليهم، وسلَّم معها المَوْصِلَ وأعمالَها[1].

ورَجَعَ إلى بغْدادَ في سنةِ تِسْعٍ وأربعين، فخَرَجَ رئيسُ الرُّؤساءِ للقائِه عن القائِمِ، وأبْلَغَه سَلامَه وهَدِيَّتَه، وهِيَ جامٌ مِن ذَهَبٍ فيه جَواهِرُ، وألْبَسَه لِباسَ الخَليفَةِ وعِمامَتَه، فقَبِلَ السُّلْطانُ ذلك بالشُّكْرِ والخُضوعِ والدُّعاء، وطَلَبَ لقاءَ الخَليفَةِ فأُسْعِفَ، وجَلَسَ له جُلوسًا فَخْمًا. وجاء السُّلْطانُ في البَحْرِ، فقَرُبَ له لمَّا نَزَلَ من السُّميريَّةِ فرَكِبَ فرَسًا من مَراكِبِ الخَليفَةِ، وحَضَرَ والقائِمُ على سَريرٍ عُلُوُّه سَبْعَةُ أذْرُعٍ مُتَوَشِّحًا البُرْدَةَ، وبيَدِه القَضِيبُ، وقُبالَتَهُ كُرْسيٌّ لجُلوسِ السُّلْطانِ، فقَبَّلَ الأرْضَ وجَلَسَ على الكُرْسِيِّ، وقال له رئيسُ الرُّؤساءِ عن القائِمِ: أميرُ المؤمنين شاكِرٌ سَعْيَك، حامِدٌ لِفِعْلِكَ، مُسْتأنِسٌ بقُرْبِك، وقد ولَّاكَ جميعَ ما ولَّاه اللهُ مِن بِلادِه، وردَّ إليك[أ] مُراعاةَ عبادِه، فاتَّقِ اللهَ فيما ولَّاك، واعْرِفْ نِعْمَتَه عليكَ في ذلك،

(أ) ابن الأثير: عليك، وفي إحدى نسخ الكامل: إليك.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 630-631.

واجْتَهَدَ في نَشْرِ العَدْلِ وكَفِّ الظُّلْمِ وإصْلاحِ الرَّعِيَّةِ. فقَبَّلَ الأرْضَ، وأُفِيضَتْ عليه الخِلَعُ، وخُوطِبَ بمَلِكِ المَشْرِقِ والمغرِبِ، وقبَّلَ يَدَ الخَلِيفةِ ووَضَعَها على عَيْنَيْه، ودَفَعَ إليهِ كِتابَ العَهْدِ، وخَرَجَ. فبَعَثَ إلى القائمِ خَمْسِينَ ألْفَ دِينارٍ وخَمْسِينَ مَمْلُوكًا منَ الأتْراكِ مُنتَقَيْنَ بخُيُولِهم/ وسِلاحِهم، إلى ما في مَعْنَى ذلك منَ الثِّيابِ والطِّيبِ وغيرِهما[1]. [368 ب]

فِتْنَةُ يَنالَ معَ أخِيه طُغْرُلْبك ومَقْتَلُه

كان إبْراهيمُ يَنال قد مَلَكَ بلادَ الجَبَلِ وهَمَذانَ، واسْتَوْلَى على الجِهاتِ من نَواحِيها إلى حُلْوانَ أعوامَ ستَّةٍ وسَبْعَةٍ وثَلاثِينَ. ثم اسْتَوْحَشَ منَ السُّلْطانِ طُغْرُلْبك بما طَلَبَ منه أن يُسَلِّمَ إليه مَدِينةَ هَمَذانَ والقِلاعَ، فأبَى مِن ذلك يَنالُ وجَمَعَ جُموعًا، وتَلاقَيا فانْهَزَمَ يَنالُ، وتَحَصَّنَ بقَلْعَةِ سَرْماجَ[2] فمَلَكَها عليه بعدَ الحِصارِ واسْتِنْزالِه منها، وذلك سنةَ إحْدَى وأرْبَعِين. وأحْسَنَ إليه طُغْرُلْبك وخَيَّرَه بينَ المُقامِ معَه أو إقْطاعِ الأعْمالِ، فاخْتارَ المُقامَ[3].

ثم لمَّا مَلَكَ طُغرُلْبك بغْدادَ وخُطِبَ له بها سنةَ سَبْعٍ وأرْبَعِين وخَرَجَ عليه البَساسِيرِيُّ مع قُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ صاحِبِ المَوْصِلِ ودُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ صاحِبِ الحِلَّةِ، وسار طُغرُلْبكُ إليهم مِن بغْدادَ، ولَحِقَه أخُوه إبْراهيمُ يَنالُ، فلمَّا مَلَكَ المَوْصِلَ سَلَّمَها

(1) الكامل في التاريخ 9: 633-634؛ نهاية الأرب 26: 292-294.

(2) سَرْمَاج. قَلْعَةٌ حصينةٌ بين هَمَذان وخُوزِسْتان في الجبَال. كانت لبَدْرِ بن حَسْنَوَيْه الكُرْدِيّ صاحب سابُور خُوَاسْت، قال ياقوت: هي من أحصَنِ القِلاع وأشدّها امْتِناعًا (معجم البلدان 3: 215).

(3) الكامل في التاريخ 9: 528، 556-557 (عنه بتصرُّف).

إليه، وجعَلَها لنظَرِه معَ سِنجارَ والرَّحْبَةِ وسائرِ تِلْكَ الأعْمالِ التي لقُرَيْشٍ، ورَجَعَ إلى بَغْدادَ سنةَ تِسْعٍ وأربعينَ(1).

ثم بَلَغَه سنةَ خَمْسِينَ بَعْدَها أنَّه سار إلى بِلادِ الجَبَلِ(أ) فاسْتَرابَ به وبعَثَ إليه يَسْتَقْدِمُه بكِتابِه وكِتابِ القائمِ معَ العَميدِ الكُنْدُرِيِّ فقَدِمَ معَه. وفي خِلالِ ذلك قَصَدَ البَساسِيرِيُّ وقُرَيْشُ بنُ بَدْرانَ المَوْصِلَ فملَكاها وحاصَرا قَلْعَتَها أربَعَةَ أشْهُرٍ حتَّى اسْتَنْزَلَ مَنْ كان فيها وهَدَمَها. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطانِ، فسار عازِمًا إلى المَوْصِلِ وأجْفَلُوا عنها، فاتَّبَعَهم إلى نَصِيبِينَ، وخالَفَه أخُوه إبْراهيمُ يَنالُ إلى هَمَذانَ في رَمَضانَ سنةَ خَمْسِينَ. يُقالُ: إنَّ العَلَوِيَّ صاحِبَ مِصْرَ والبَساسِيرِيَّ كاتَبُوه واسْتَمالُوه وأطْمَعُوه في السَّلْطَنَةِ، فسار السُّلْطانُ في اتِّباعِه من نَصِيبِينَ، وردَّ وَزِيرَه عَميدَ المُلْكِ الكُنْدُرِيَّ وزَوْجَتَه خاتُونَ إلى بَغْدادَ، ووَصَلَ إلى هَمَذانَ ولَحِقَ به مَن كان ببغْدادَ منَ الأتْراكِ فحاصَرَ هَمَذانَ في قِلَّةٍ منَ العَسْكَرِ، واجْتَمَعَ لأخِيه خَلْقٌ كثيرٌ منَ التُّرْكِ، وحَلَفَ لهم أنَّه لا يُصالِحُ طُغْرلْبِكَ ولا يَدْخُلُ بهمُ العِراقَ لِكَثْرَةِ نَفَقاتِه. وجاءه محمدٌ / [369 أ] وأحمدُ ابنا أخِيه أرتاشَ بأمْدادٍ منَ الغُزِّ، فقَوِيَ بهم، ووَهَنَ طُغْرلْبِكُ فأفْرَجَ عنهُ إلى الرَّيِّ، وكاتَبَ ألْبَ أرْسلانَ ابْنَ أخِيه داودَ، وقد كان مَلَكَ خُراسانَ بعدَ أبِيه سنةَ إحْدَى وخَمْسِينَ، كما نَذْكُرُ في أخْبارِهم، فزَحَفَ إليه في العَساكِرِ ومعَه أخَواه ياقُوتي وقارُوتُ بك، ولَقِيَهم إبْراهيمُ فيمَن معَهُ فانْهَزَمَ وجِيءَ به وبابْنَيْ أخِيه: محمدٍ وأحمدَ أسْرَى إلى طُغْرلْبِكَ فقتَلَهم جميعًا، ورَجَعَ إلى بَغْدادَ لاسْتِرْجاعِ القائمِ(2).

(أ) في ح الجيل.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 609-610 (عنه ملخصًا).

(2) المصدر نفسه 9: 639-640؛ نهاية الأرب 26: 295-297.

دُخولُ البَساسِيريِّ بغْدادَ وخَلْعُ القائِمِ ثُمَ عَوْدُه

قد ذكَرْنا أنَّ طُغْرلْبكَ سار إلى هَمَذانَ لِقِتالِ أخِيه وترَكَ وَزِيرَه عَمِيدَ المُلْكِ الكُنْدُرِيَّ ببغْدادَ معَ الخَلِيفَةِ، وكان البَسَاسِيريُّ وقُرَيْش بْنُ بَدْرانَ قد فارَقا المَوْصِلَ عندَ زَحْفِ السُّلْطانِ طُغْرلْبك إليهما، فلَمَّا سار عن بغْدادَ لِقِتالِ أخِيه بِهَمَذانَ خالَفَه البَسَاسِيريُّ وقُرَيْشٌ إلى بغْدادَ، فكَثُرَ الإرْجافُ بذلك، وبَعَثَ القائِمُ عن دُبَيْسِ بْنِ مَزْيَدٍ لِيَكُونَ حامِيَهُ ببغْدادَ، ونَزَلُوا بالجانِبِ الشَّرْقِيِّ، وطَلَبَ منَ القائِمِ الخُرُوجَ معَهُ إلى أحْيائِه، واسْتَدْعَى هَزارسْب مِن واسِطَ للمُدافَعَةِ واسْتَمْهَلَ في ذلك، فقال العَرَبُ: لا نُقِيمُ، فأَشِيرُوا بنَظَرِكُم.

وجاء البَسَاسِيريُّ [يَوْمَ الأحَدِ][أ] ثامِنَ ذِي قَعْدَةٍ سنةَ خَمْسِينَ في أرْبَعِ مائةِ غُلامٍ على غايَةٍ مِن سُوءِ الحالِ ومَعَهُ الوَزِيرُ أبو الحَسَنِ بْنُ عبدِ الرَّحِيمِ، وجاء حُسَيْنُ بْنُ بَدْرانَ في مائَتَيْ فارِسٍ، وخَيَّمُوا مُفْتَرِقِينَ عن البَلَدِ[1]، واجْتَمَعَ العَسْكَرُ والعَوامُّ إلى عَمِيدِ العِراقِ، وأقامُوا إزاءَ البَسَاسِيريِّ، وخَطَبَ البَسَاسِيريُّ ببغْدادَ للمُسْتَنْصِرِ العَلَوِيِّ صاحِبِ مِصْرَ بجامِعِ المَنْصُورِ، ثم بالرُّصافةِ، وأمَرَ بالأذانِ بحَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ، وخَيَّمَ بالزَّاهِرِ، وكان هَوَى العامَّةِ في البَسَاسِيريِّ: فالشِّيعةُ للمَذْهَبِ، وأهْلُ السُّنَّةِ للانْحِرافِ عنِ الأتْراكِ، فرَأى الكُنْدُرِيُّ المُطاوَلَةَ لانْتِظارِ

(أ) إضافة من ابن الأثير.

(1) خَيَّمَ البساسيريُّ بمَشْرَعَة الرّوايا، وخَيَّمَ قُرَيْش بن بَدْران عند مَشْرَعَة باب البَصْرَة.

السُّلْطانِ، ورأى رَئِيسُ الرُّؤسَاءِ المُناجزَةَ، وكان غيرَ بَصِيرٍ بالحَرْبِ، فخَرَجَ لِقتالِهم في غَفْلَةٍ مِنَ الكُنْدُرِيِّ فانْهَزَمَ وقُتِلَ مِن أصْحابِه خَلْقٌ، ونُهِبَ بابُ الأزَجِ، وهُوَ بابُ الخِلافَةِ.

وهَرَبَ أهْلُ/ الحَرِيمِ الخِلافِيِّ، فاسْتَدْعَى القائِمُ العَمِيدَ الكُنْدُرِيَّ للمُدافَعَةِ [369 ب] عن دَارِ الخِلافَة، فلم يُرَوِّعْهُم إلَّا اقْتِحَامُ العَدُوِّ عليهم مِنَ البابِ النُّوبِيِّ، فركِبَ الخَلِيفَةُ ولَبِسَ السَّوَادَ، والنَّهْبُ قد وَصَلَ بابَ الفِرْدَوْسِ، والعَمِيدُ الكُنْدُرِيُّ قدِ اسْتَأمَنَ إلى قُرَيْشٍ فرجَعَ ونَادَى بقُرَيْشٍ منَ السُّور، فاسْتَأمَنَ إليه على لِسَانِ رَئِيسِ الرُّؤسَاء، واسْتَأمَنَ هُوَ أيْضًا مَعَه، وخَرَجَا إليه وصَارا معَه. ونَكِرَ البَسَاسِيرِيُّ على قُرَيْشٍ نَقْضَه لِمَا تعاهَدَا عليه، فقال: إنَّما تَعَاهَدْنَا على الشَّرِكَة فيما نَسْتَوْلِي عليه، وهذا رَئِيسُ الرُّؤسَاءِ لكَ والخَليفَةُ لي(1).

ولمَّا حَضَرَ رَئِيسُ الرُّؤسَاءِ عندَ البَسَاسِيرِيِّ وَبَّخَه وسألَهُ العفوَ فأيأسَهُ منه، وحَمَلَ قُرَيْشٌ القائِمَ إلى مُعَسْكَرِه على هيئَتِه، ووَضَعَ خَاتُونَ بنتَ أخي السُّلْطان طُغْرُلْبَكَ في يدِ بعضِ الثِّقاتِ مِن خواصِّه وأمَرَهُ بخدمتِها، وبَعَثَ القائِمَ إلى ابنِ عمِّه مُهارِش بن [مَزْيَد](أ)، فسارَ بهِ إلى بَلَدِه حَدِيثَة عَانَة وأنْزَلَه بها(2).

وأقَامَ البَسَاسِيرِيُّ ببَغْدَاد، وصَلَّى عِيدَ النَّحْرِ بالألْوِيَة المِصْرِيَّة، وأحْسَنَ إلى النَّاسِ وأجْرَى أرْزَاقَ الفُقَهاءِ ولم يَتَعَصَّبْ لمَذْهَب. وأنْزَلَ أُمَّ القَائِمِ بدَارِهَا، وسَهَّلَ

(أ) بياض في الأصول والتكملة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 640-643 (عن ملخصا).

(2) المصدر نفسه 9: 643.

وعَانَة: بَلَدٌ مشهورٌ بين الرَّقَّة وهيت يُعَدُّ في أعْمالِ الجَزِيرَة مُشرِفٌ على الفُرَات قُرْب حَدِيثَة النورة على فراسخ من الأنبَار (معجم البلدان 4: 72).

جِرَايَتَهَا[1]. ووَلَّى محمودَ بنَ الأخرَمِ على الكُوفةِ، وسَقْيِ الفُرَاتِ. وأخرجَ رئيسَ الرُّؤَسَاءِ مِن مَحَبِسِه آخِرَ ذي الحِجَّة فصَلَبَهُ عندَ النَّجْمِيِّ لخمسينَ سنةً مِن تردُّدِه في الوِزَارةِ. وكان ابنُ ماكولا قد قَبِلَ شهادتَه سَنَةَ أربَعَ عَشْرَةَ[2].

وبَعَثَ البَسَاسِيريُّ إلى المُسْتَنْصِرِ العَلَويِّ بالفَتْحِ والخُطْبَةِ لهم بالعراقِ، وكان هناكَ أبو الفَرَجِ ابنُ أخِي أبي القاسِمِ المَغْرِبيِّ، فاستهانَ بفِعْلِه وخَوَّفَ عاقِبَتَه، وأبطَأَتْ أجوبَتُه مُدَّةً، ثم جاءَتْ بغيْرِ ما أمَلَ[3].

وسَارَ البَسَاسِيريُّ مِنْ بَغْدادَ إلى واسِطَ والبَصْرَةِ، فمَلَكَهَا وأرادَ قَصْدَ الأهْوازِ، فبَعَثَ صاحِبُها هَزَارَسْب بنُ بنكيرَ وأصْلَحَ أمْرَهُ على مالٍ يَحْمِلُه[4].

ورجَعَ البَسَاسِيريُّ إلى وَاسِطَ في شَعْبَانَ سنةَ إحْدَى وخَمْسِينَ، وفارَقَه صَدَقَةُ ابنُ مَنصورِ بنِ الحُسَيْنِ الأسَدِيُّ إلى هَزَارَسْب، / وقد كان وَلِيَ بَعْدَ أبيه، على ما يُذْكَرُ. [370أ]

ثم جاء الخبرُ إلى البَسَاسِيريِّ بظَفَرِ طُغْرُلْبك بأخِيه، وبَعَثَ إلَيْه وإلى قُرَيْشٍ في إعَادةِ الخَلِيفَةِ إلى دارِه، ويُقِيمُ طُغْرُلْبك بأصْبَهَانَ، وتكونُ الخُطْبَةُ والسِّكَّةُ له، فأبَى البَسَاسِيريُّ مِن ذلك، فسار طُغْرُلْبك إلى العراقِ، وانتهى إلى

(1) وكانت قد قاربت تسعين سنة.

(2) الكامل في التاريخ 9: 643-644 (عنه بتصرف).

(3) المصدر نفسه 9: 644.

ويراجع تفصيل ذلك أيضًا في سيرة المؤيد في الدّين هبة الله الشيرازي 178-180؛ ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي 87-89؛ المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر 18-19؛ نهاية الأرب 23: 223-229؛ اتعاظ الحنفا للمقريزي 2: 254؛ ومقال عبد الجبار ناجي: "ثورة البساسيري في بغداد 447-451"، مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة 5 (1971)، 42-78.

(4) الكامل في التاريخ 9: 644-645.

قَصْرِ شِيرِينَ[1]، وأَجْفَلَ النَّاسُ بينَ يَدَيْه. ورَحَلَ أهلُ الكَرْخِ بأهْلِيهم وأولادِهم بَرًّا وبَحْرًا، وكَثُرَ عَيْثُ بني شَيْبَانَ في النَّاسِ، وارْتَحَلَ البَسَاسِيرِيُّ بأهْلِه ووَلَدِه سادسَ ذِي القَعْدَةِ سنةَ إحْدَى وخَمْسِينَ لحوْلٍ كاملٍ مِن دُخُولِه، وكَثُرَ الهَرْجُ في المدينةِ والنَّهْبُ والإحْراقُ[2].

ووَصَلَ طُغْرُلْبك إلى بغدادَ بعدَ أن أرسَلَ مِن طريقِه الأستاذَ أحمدَ بنَ محمدِ ابنِ أيُّوبَ، المعروفَ بابنِ فُورَك، إلى قريشِ بنِ بَدْرانَ بالشُّكْرِ على فِعْلِه في القائمِ وفي خاتُونَ بنتِ أخِيه زَوْجةِ القائمِ، وأنَّ أبا بَكْرِ بنَ فُورَك جاء بإحْضارِهما والقيامِ بخِدْمَتِهما، وقد كان قريشٌ قد بعَثَ إلى مُهَارِش بأنْ يدخُلَ معَهم إلى البَرِّيَّةِ بالخَليفةِ ليَصُدَّ ذلك طُغْرُلْبك عنِ العراقِ، ويتَحكَّمَ عليه بما يريدُ، فأبَى مُهَارِشٌ لنَقْضِ البَسَاسِيرِيِّ عُهودَه، واعتذَرَ بأنَّه قد عاهَدَ الخَليفَةَ القائمَ بما لا يُمْكِنُ نَقْضُه. ورَحَلَ بالخَليفةِ إلى العراقِ، وجَعَلَ طَرِيقَه على بَدْرِ بنِ مُهَلْهِلٍ. وجاء ابنُ فُورَك إلى بَدْرٍ فحَمَلَه معَهُ إلى الخَليفةِ وأبلَغه رسالةَ طُغْرُلْبك وهَداياه، وبعَثَ طُغْرُلْبك للقائِه وزيرَه الكُنْدُرِيَّ والأُمراءَ والحُجَّابَ بالخِيامِ، والسُّرادِقاتِ والمقرَّباتِ بالمراكِبِ الذَّهَبِيَّةِ الثَّقيلَةِ، فلَقُوهُ في بَلَدِ بَدْرٍ. ثم خَرَجَ السُّلطانُ فلَقِيَه بالنَّهْرَوانِ، واعتذَرَ عن تأخُّرِه بوَفاةِ أخِيه دَاودَ بخُراسانَ، وعِصْيانِ إبراهيمَ بهَمَذان، وأنَّه قَتَلَه على عِصْيانٍ. وأقامَ حتَّى رَتَّبَ أوَّلاً دَاودَ في مَمْلَكَتِه، وأنَّه الآنَ يسيرُ إلى الشَّامِ في اتِّباعِ البَسَاسِيرِيِّ.

(1) قَصْرُ شيرين: مَوْضِعٌ قريبٌ من قَرْمِيسين بين هَمَذان وحُلْوَان في طريق بغداد إلى هَمَذان (معجم البلدان 4: 358).

(2) الكامل في التاريخ 9: 646.

وطَلَبَ صاحبَ مِصْرَ، فقلَّده القائمُ سَيفَه، إذ لم يَجِدْ سِواهُ، وأبْدَى وَجْهَه للأُمراءِ فَحَيَّوْه وانْصَرَفُوا.

وتقَدَّم طُغْرُلْبك إلى بَغْدادَ فجَلَسَ / في البابِ النُّوبيِّ مَكانَ الحاجِبِ، وجاء [371ب] القائمُ، فأخَذَ طُغْرُلْبك بِلجامِ بَغْلَتِه إلى بابِ دارِه، وذلك لخمسٍ بَقِينَ من ذِي القَعْدَةِ سَنَةَ إحْدَى وخَمْسِينَ، وسار السُّلْطانُ إلى مُعَسْكَرِه وأخَذَ في تَدْبيرِ أُمورِه[1].

مَرْجِعُ السُّلْطانِ طُغْرُلْبك إلى بَغْدادَ، ومَقْتَلُ البَساسِيرِيِّ

ثم أرْسَلَ السُّلْطانُ طُغْرُلْبك خُمارْتَكِينَ الطُّغْرائيَّ في ألْفَيْنِ إلى الكُوفةِ، واسْتَقَرَّ معَه سَرايا بنُ مَنِيعٍ في بني خَفاجةَ. وسار السُّلْطانُ طُغْرُلْبك في أثَرِهم فلم يَشْعُرْ دُبَيْسٌ وقُرَيْشٌ والبَساسِيريُّ ـ وقد كانوا نَهَبوا الكوفةَ ـ إلّا والعساكِرُ قد طَلَعَتْ عليهم مِن طَرِيقِ الكُوفةِ، فأجْفَلُوا نحوَ البَطِيحةِ. وسار دُبَيْسٌ ليَرُدَّ العَرَبَ إلى القِتالِ فلم يَرْجِعُوا ومضَى معَهم، ووَقَفَ البَساسِيريُّ وقُرَيشٌ فقُتِلَ مِن أصحابِهما جماعةٌ، وأُسِرَ أبو الفَتْحِ بنُ وَرّامٍ ومَنْصورُ بنُ بَدْرانَ وحَمّادُ بن دُبَيْسٍ، وأصابَ البَساسِيريَّ سَهْمٌ فسَقَطَ عن فرَسِه، وأخَذَ رَأْسَه كُمُشْتكِين، وأتَى العَمِيدُ الكُنْدُريُّ وحَمَلَه إلى السُّلْطان، وغَنِمَ العَسْكرُ جميعَ أمْوالِهم وأهْلِيهم، وحُمِلَ رَأْسُ البَساسِيرِيِّ إلى دارِ الخلافةِ فعُلِّقَ قُبالَةَ بابِ النُّوبيِّ في مُنْتَصَفِ ذِي الحِجّةِ[2].

(1) الكامل في التاريخ 9: 647-648 (عنه بتصرُّف).

(2) المصدر نفسه 9: 648-649.

ولَحِقَ دُبَيْسٌ بالبَطِيحَةِ ومعَه زَعِيمُ المُلْكِ أبو الحَسَنِ عَبْدُ الرَّحِيمِ(1).

وكان هذا البَسَاسيريُّ مِن مَماليكِ بَهاءِ الدَّوْلَةِ بنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، اسْمُه أرْسَلانُ، وكُنيَتُه أبو الحارثِ، ونَسَبُه في التُّرْكِ. وهذه النِّسْبةُ المعروفةُ له نِسْبَةٌ إلى مَدِينةٍ بفارِسَ حَرْفُها الأوَّلُ مُتوسِّطٌ بينَ الفاءِ والبَاءِ، والنِّسْبةُ إليها فَسَوِيٌّ، ومنها أبو عليٍّ الفارسيُّ صاحِبُ "الإيضاحِ". وكان سَيِّدُهُ أوَّلاً يُنْسَبُ إليها، فلذلكَ قِيلَ فيه: هو بَسَاسِيرِيٌّ(2).

مَسِيرُ السُّلْطانِ إلى واسِطَ وطَاعَةُ دُبَيْسٍ

ثُمَّ انْحَدَرَ السُّلْطانُ [طُغْرُلْبك] إلى وَاسِطَ أوَّلَ سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِينَ، وحَضَرَ عندَه هَزَارَسْب بنُ بنكيرَ منَ الأهْوَازِ، وأصْلَحَ حَالَ دُبَيْس بنِ مَزْيَدٍ وصَدَقَةَ [371أ] ابنِ /مَنْصُورِ بنِ الحَسَيْنِ؛ وأحْضَرَهما عِنْدَ السُّلْطَانِ، وضَمِنَ واسِطَ أبو عليِّ بنُ فَضْلَانَ بمائَتَيْ ألْفِ دِينارٍ، وضَمِنَ البَصْرَةَ الأغَرُّ أبو سَعْدٍ سَابُورُ بنُ المُظَفَّرِ.

وأصْعَدَ السُّلْطانُ إلى بغداد، واجْتَمَعَ بالخَلِيفَةِ، ثم سَارَ إلى بَلَدِ الجَبَلِ في رَبيعٍ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِينَ. وأنْزَلَ ببَغْدَادَ الأمِيرَ بُرْسُقَ شِحْنَةً، وضَمِنَها(أ) أبو الفَتْحِ

(أ) النسخ: وضَمِنَ، والمثبت من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 9: 650.

(2) عن الكامل في التاريخ 9: 650 بتصرُّف؛ نهاية الأرب 23: 232-234. وينظر كذلك: المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر 20-21، ووفيات الأعيان لابن خلكان 1: 192-193، والوافي بالوفيات للصفدي 8: 340؛ نهاية الأرب 26: 288-291.

المُظَفَّرُ بنُ الحُسَيْنِ في ثلاثِ سِنِينَ بأرْبَعِ مائةِ ألْفِ دِينارٍ[1]. وردَّ إلى محمودِ الأخْرَمِ إمَارَةَ بني خَفاجةَ وَوَلَّاه الكوفةَ وسَقْيَ الفُراتِ، و[ضَمِنَ][أ] خَواصَّ السُّلْطانِ [هناك][أ] بأرْبَعَةِ آلافِ دِينارٍ في كلِّ سَنَةٍ[2].

وُزَرَاءُ القَائِم

ولمَّا عادَ القائمُ إلى بَغْدَادَ وَلَّى أبا تُرابٍ الأثِيرِيَّ على الإنْهاءِ وحُضُورِ المَوَاكِبِ، ولقَّبَه حاجِبَ الحُجَّابِ، وكانَ خَدَمَه بالحَدِيثَةِ. ثمَّ سَعَى الشَّيْخُ أبو مَنْصُورٍ ابْنُ يوسُفَ في وِزارةِ أبي الفَتْحِ بنِ أحْمَدَ بنِ دَارِسْتَ، على أنْ يَحْمِلَ مالاً، فأُجِيبَ وأُحْضِرَ منَ الأهْوازِ في مُنْتَصَفِ رَبيعٍ مِن سَنَةِ ثَلاثٍ وخَمْسِينَ، فاسْتَوْزَرَه، وكان مِن قَبْلُ تاجِرًا لأبي كالِيجارَ[3]. ثمَّ ظَهَرَ عَجْزُه في اسْتِيفاءِ الأمْوالِ فعَزَلَه، وعاد إلى الأهْوازِ. وقَدِمَ إثْرَ ذلك أبو نَصْرِ بنُ جُهَيْرٍ وَزِيرُ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ بنِ مَرْوانَ نازعًا منهُ إلى الخَلِيفَةِ القائمِ، فتَقَبَّلَه واسْتَوْزَرَه، ولقَّبَه فَخْرَ الدَّوْلَةِ[4].

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 8-9.

(2) المصدر نفسه 10: 12.

(3) المصدر نفسه 10: 14.

(4) المصدر نفسه 10: 23 وذلك في سنة 454هـ.

عَقْدُ طُغْرُلْبِك على ابنةِ الخَليفَةِ

كانَ السُّلْطانُ طُغْرُلْبِك قد خَطَبَ مِنَ القائمِ ابْنَتَه على يَدِ أبي سَعْدٍ قاضِي الرَّيِّ سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمْسِينَ، فاسْتَنْكَفَ مِن ذلك، ثُمَّ بَعَثَ أبا محمدٍ التَّمِيميَّ في الاسْتِعْفاءِ مِن ذلك وإلَّا فيَشْتَرِطُ ثَلاثَ مائةِ ألْفِ دينارٍ ووَاسِطَ وأعمالَها. فلما ذَكَرَ التَّميميُّ ذلك للوَزيرِ عَميدِ المُلْكِ، بَنَى الأمْرَ على الإجابةِ وقال: ولا يَحْسُنُ الاسْتِعْفاءُ، ولا يَليقُ بالخَليفَةِ طَلَبُ المالِ. وأخْبَرَ السُّلْطانَ بذلك فسُرَّ به وأشاعَهُ في النَّاسِ، وبَعَثَ وَزيرَه عَميدَ المُلْكِ وبِنْتَهُ أرْسَلَانَ خاتُونَ زَوْجَةَ القائمِ، ومعَهما مائةُ ألْفِ ألْفِ دِينارٍ وما يُناسِبُها منَ الجواهِرِ والثِّيابِ، وبَعَثَ معَهم قَرامَرْزَ بنَ كاكَوَيْه وغَيْرَه مِن أُمراءِ الرَّيِّ، فلمَّا وَصَلُوا إلى القائمِ اسْتَشاطَ وهَمَّ/ بالخُروجِ من بَغْدادَ، [371 ب] وقال له العَميدُ: فما جَمَعَ لك في الأوَّلِ بينَ الامْتِناعِ والاقْتِراحِ. وخَرَجَ مُغْضَبًا إلى النَّهْرَوانِ، فاسْتَوْقَفَه قاضِي القُضاةِ والشَّيْخُ أبو مَنْصورِ بنُ يُوسُفَ. وكَتَبَ مِنَ الدِّيوانِ إلى خُمارْتَكِينَ الطُّغْرائيِّ، مِن أصْحابِ السُّلْطانِ، بالشَّكْوى من عَميدِ المُلْكِ، وجاءَه الجوابُ بالرِّفْقِ، ولم يَزَلِ العَميدُ يُراوِضُ الخليفةَ وهُوَ يَمْتَنِعُ إلى أنْ رَحَلَ في جُمادَى مِن سَنَةِ أرْبعٍ وخَمْسِينَ. ورَجَعَ إلى السُّلْطانِ وعَرَّفَه بالحالِ، ونَسَبَ القَضيَّةَ إلى خُمارْتَكِينَ، فتَنَكَّرَ لهُ السُّلْطانُ وهَرَب واتَّبَعه أولادُ يَنالَ فقَتَلُوه بثأْرِ أبِيهم، وجَعَلَ مَكانَه سَارْتَكِينَ(أ) وبَسَطَ الوَزيرُ لِسانَه(ب).

وكَتَبَ السُّلْطانُ إلى قاضِي القُضاةِ والشَّيْخِ أبي مَنْصورِ بنِ يُوسُفَ بالعَتْبِ، وطَلَبَ بِنْتَ أخِيه زَوْجَةَ القائمِ، فأجابَ الخَليفةُ حينَئذٍ إلى الإصْهارِ،

(أ) في ح: ساوتكين. (ب) كذا في ظ، وفي ح: وسبط. ويمكن أن تقرأ الجملة: وبسط الوزير لشأنه.

وفَوَّضَ إلى الوزيرِ عَميدِ المُلْكِ الكُنْدُرِيِّ عَقْدَ النِّكاحِ علَى ابنَتِه للسُّلْطانِ، وكَتَبَ بذلِكَ مَعَ أبي الغَنائمِ بْنِ المَحْلَبانِ، فعَقَدَ عليها في شَعْبَانَ مِن تِلْكَ السَّنَةِ بظاهِرِ تِبْرِيزَ. وحَمَلَ السُّلْطانُ للخَليفَةِ أمْوالاً كثيرةً وجَواهرَ، ولوليِّ العَهْدِ وللمَخْطُوبةِ، وأقْطَعَ [بَعْقُوبَا و][أ] ماكانَ بالعراقِ لزَوْجَتِه خاتُونَ المتوفّاةِ للسَّيدةِ بِنْتِ الخَليفَةِ[1].

وتَوَجَّهَ السُّلْطانُ في المحرَّمِ سنةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ مِن أرْمينيَّةَ إلى بَغْدادَ، ومَعَهُ مِنَ الأُمَراءِ أبو عليٍّ بنُ أبي كاليجارَ، وسِرْخابُ بنُ بَدْرٍ، وهَزارَسْبُ، وأبو منصورِ ابنُ قَرامَرْزَ بنِ كاكَوَيْه، وخَرَجَ الوزيرُ ابنُ جُهَيْرٍ فتلَقَّاه ونَزَلَ عَسْكَرُه بالجانبِ الغَرْبيِّ، وتأذَّى النّاسُ بهم. وجاء الوزيرُ [عَميدُ المُلْكِ][ب] لطَلَبِ المخطوبةِ، فأفْرَدَ له القائمُ دُورًا لسُكْناهُ وسُكْنَى حاشيتِه، وانْتَقَلَتِ المَخْطُوبةُ إليها وجَلَسَتْ على سَريرٍ مُلَبَّسٍ بالذَّهَبِ، ودَخَلَ السُّلْطانُ فقَبَّلَ الأرضَ وحَمَلَ لها مَالاً[ج] كَثيرًا مِنَ الجواهرِ وأوْلَمَ أيّامًا، وخَلَعَ على جميعِ أُمرائِه وأصْحابِه. وعَقَدَ ضمانَ بَغْدادَ على أبي سَعْدٍ القايِنيِّ بمائةٍ وخَمْسينَ ألْفَ دينارٍ، وأعادَ ماكانَ أطْلَقَه رئيسُ العِراقَيْنِ مِنَ المواريثِ والمُكُوسِ، وقَبَضَ على الأغرِّ أبي سَعْدٍ ضامِنِ البَصْرَةِ، وعَقَدَ ضَمانَ وَاسِطَ على أبي /جَعْفَرِ بنِ فَضْلَانَ بمائتَيْ ألْفٍ[2].

[372أ]

(أ) إضافة من ابن الأثير. (ب) النسخ: ابن العميد، والمثبت من ابن الأثير. (ج) من ح وسقط من ظ.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 20-22؛ نهاية الأرب 26: 298-300.

(2) المصدر نفسه 10: 25-26؛ المصدر نفسه 26: 301.

وَفاةُ السُّلطانِ طُغْرُلْبِك ومُلْكُ أَلْب أَرْسلانَ ابنِ أخيه داودَ

ثمَّ سارَ السُّلطانُ طُغْرُلْبِك مِن بَغْدادَ في رَبيعٍ الآخِرِ إلى بَلَدِ الجَبَلِ، فلمَّا وَصَلَ الرَّيَّ أصابَه المَرَضُ وتُوفِّي ثامِنَ رَمَضانَ مِن سَنَةِ خَمْسٍ وخَمْسِينَ.

وبَلَغَ خَبَرُ وفاتِه إلى بَغْدادَ فاضْطَرَبَتْ، واسْتَقْدَمَ القائمُ مُسْلِمَ بنَ قُرَيْشٍ صاحِبَ الموصِلِ ودُبَيْسَ بنَ مَزْيَدٍ وهَزارَسْبَ صاحِبَ الأهْوازِ وبني وَرَّامٍ وبَدْرَ بنَ مُهَلْهِلٍ فقَدِموا، وأقامَ أبو سَعْدٍ القايِنيُّ ضامِنُ بَغْدادَ سُورًا على قَصْرِ عِيسَى، وجَمَعَ الغَلَالَ، وخَرَجَ مُسْلِمُ بنُ قُرَيْشٍ مِن بَغْدادَ فنَهَبَ النَّواحِيَ، وسارَ دُبَيْسُ بنُ مَزْيَدٍ وبَنُو خَفاجَةَ وبنو وَرَّام والأكْرادُ لِقِتالِه. ثمَّ اسْتُعْتِبَ ورَجَعَ إلى الطَّاعةِ. وتُوفِّي أبو الفَتْحِ بنُ وَرَّام مُقَدَّمُ الأكْرادِ الجاوانيَّةِ، وحَمَلَ العامَّةُ السِّلاحَ لقِتالِ الأعْرابِ فكانت سَبَبًا لكَثْرةِ الدُّعَّارِ[1].

ولمَّا ماتَ طُغْرُلْبِك بايَعَ عَميدُ الدَّوْلَةِ الكُنْدُرِيُّ بالسَّلْطَنَةِ لسُلَيْمانَ بنِ داودَ، جَغْري بك، وكان رَبيبَ السُّلْطانِ طُغْرُلْبِك خَلَّفَ أخاه [جَغْري بك][أ] داودَ على أُمِّه، وعَهِدَ إليه بالمُلْكِ، فلمَّا خُطِبَ له اخْتَلَفَ عليه الأمَراءُ، وسارَ باغي سِيان وأُرْدُم إلى قَزْوِينَ فخَطَبا لأخيه أَلْب أَرْسَلانَ، وهُوَ محمَّدُ بنُ داودَ، وهو يَوْمَئذٍ صاحِبُ خُراسانَ، ووَزيرُه نِظامُ المُلْكِ، ومالَ النَّاسُ إليه، وشَعَرَ الكُنْدُرِيُّ باخْتِلالِ أمْرِه فخَطَبَ بالرَّيِّ للسُّلطانِ أَلْب أَرْسَلانَ وبعدَه لأخيه سُلَيْمانَ[2].

(أ) من الكامل وفي الأصول: جقربك.

(1) الكامل في التاريخ 10: 26-27 (عنه بتصرف)؛ نهاية الأرب 26: 303.

(2) المصدر نفسه 10: 29.

وزَحَفَ أَلْب أرسَلَانَ في العساكِرِ مِن خُراسانَ إلى الرَّيِّ، فلَقِيَهُ النَّاسُ جميعًا ودَخلوا في طاعتِه، وجاء عَمِيدُ المُلْكِ الكُنْدُرِيُّ إلى وَزِيرِه نِظامِ المُلْكِ فخدَمَه وهاداه فلمْ يُغْنِ عنه، وخَشِيَ السُّلْطانُ غائِلَتَه فتَقبَضَ[أ] عليه سنةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ وحَبَسَه بِمَرْوِ الرُّوذِ[1].

ثمَّ بَعَثَ بعدَ سَنَةٍ مِن قَتْلِه بمَحْبِسِهِ في ذِي الحِجَّة مِن سنةِ سَبْعٍ وخَمْسِينَ، وكانَ مِن أَهْلِ نَيسابور، كاتبًا بَلِيغًا. فلمَّا مَلَكَ طُغْرُلْبك نَيْسابورَ، طَلَبَ كاتِبًا/ له، فدَلَّه [372 ب] عليه المُوَفَّقُ والدُ أبي سَهْلٍ، فاسْتَكْتَبَه واسْتَخْلَصَه وكان خَصِيًّا، يقالُ: إنَّ طُغْرُلْبك خَصاه لأنَّه تزوَّجَ بامرأةٍ خطَبَها له، وعَصَى عليه فظَفِرَ به فَخَصَاهُ وأقرَّهُ على خِدْمَتِه. وقِيلَ: أشاعَ عنه أعداؤه أنه تَزَوَّجَها ولم يَكُنْ ذلك، فَخَصَى نَفْسَه ليأمَنَ مِن غائِلَتِه[2].

وكان شَدِيدَ التَّعَصُّبِ على الشَّافِعِيَّةِ والأَشْعَرِيَّة، واسْتأذَنَ السُّلْطَانَ في لَعْنِ الرَّافِضَةِ على مَنابِرِ خُراسانَ، ثُمَّ أضافَ إليهمُ الأَشْعَرِيَّةَ، فاسْتَعْظَمَ ذلك أئمةُ السُّنَّةِ، وفارَقَ خُراسانَ أبو القاسِمِ القُشَيْرِيُّ وأبو المعالي الجُوَيْنِيُّ، ولَحِقَ أبو المعالي بمكَّةَ فأقام [بها][ب] أرْبَعَ سِنِينَ يَتردَّدُ بينَ الحَرَمَيْنِ يُدرِّسُ ويُفْتِي حتَّى لُقِّبَ إمامَ الحرمَيْنِ. فلمَّا جاءتْ دَوْلَةُ أَلْب أرْسَلانَ أحْضَرَهم وزيرُهُ نظامُ المُلْكِ فأحْسَنَ إليهم[3].

وأَعَادَ السُّلْطانُ أَلْب أرْسَلَانَ السَّيِّدةَ بِنْتَ الخَلِيفَةِ ــ التي كانَتْ زوجةَ

(أ) في ح : فتبض. (ب) من ح.

(1) الكامل في التاريخ 10: 31.

(2) المصدر نفسه 10: 31-32.

(3) المصدر نفسه 10: 33.

طُغرُلْبك ـ إلى بَغْداذَ، وبَعَثَ في خِدمتِها الأميرَ أيْتكِينَ السُّلَيْمانيَّ، ووَلّاه شِحْنَةَ بَغْداذَ، وبَعَثَ معَها أيضًا أبا سَهْلٍ محمَّدَ بنَ هِبَةِ اللهِ، المَعْرُوفَ بابنِ المُوَفَّقِ، لطَلَبِ الخُطْبةِ ببَغْداذَ، فماتَ في طَرِيقِه، وكانَ مِن رُؤساءِ الشّافعيّةِ بنَيْسابور. وبَعَثَ السُّلْطانُ مكانَه العَميدَ أبا الفتحِ المظَفَّرَ بنَ الحُسَيْنِ فماتَ أيضًا في طريقِه، فبَعَثَ وَزيرَه نِظامَ المُلْكِ، وخَرَجَ عميدُ المُلْكِ ابنُ الوَزيرِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بنِ جَهِيرٍ لتَلَقِّيهِم، وجَلَسَ لهم القائمُ جُلوسًا فَخْمًا في [سَابِعِ][أ] جُمادَى الأولى مِن سَنَةِ سِتٍّ وخَمْسِينَ، وشَافَهَ الرُّسُلَ بتَقْليدِ أَلْب أرْسَلانَ السَّلْطَنةَ، وسُلِّمتْ إليهم الخِلَعُ بمَشْهَدٍ مِنَ النّاسِ، ولُقِّبَ ضِياءَ الدِّينِ عَضُدَ الدَّوْلَةِ، وأمَرَ بالخُطْبةِ له على مَنابرِ بَغْداد، وأنْ يُخاطَبَ بالوَلَدِ المؤيَّدِ حَسَبَ اقْتراحِه، وأرسَلَ مِنَ الدِّيوانِ لأخْذِ البَيْعةِ النَّقيبَ طِرادًا الزَّيْنَبيَّ، فوَصَلَ إليه بنَقْجُوانَ مِن أذْرَبيجان، وبايَعَ[1].

وانْتَقَضَ على السُّلْطانِ أَلْب أرْسَلانَ مِنَ السُّلْجُوقيةِ صاحِبُ خَتْلانَ وهَرَاةَ وصَغانِيانَ، فسارَ إليهم وظَفِرَ بهم كما نَذْكُرُ في أخبارِ دَوْلَتِهم عندَ إفرادِها بالذِّكْرِ[2].

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 35، ويراجع عن ألب أرسلان Cl. Cahen, *EI*² art. *Alp Arslan* I, pp. 432-93.

(2) المصدر نفسه 10: 34.

فِتْنَةُ قَطَلْمَشْ والجِهَادُ بَعْدَهَا

/كانَ قَطَلْمَشُ هذا مِن كِبارِ السُّلْجُوقِيَّة وأقْرَبِهم نَسَبًا إلى السُّلْطانِ [373] طُغْرُلْبِك، أو مِن أهْلِ بَيْتِه، وكانَ قدِ اسْتَوْلَى على قُونِيَةَ وأَقْصَرَاي ومَلَطْيَةَ، وهُوَ الذي بَعَثَهُ السُّلْطانُ طُغْرُلْبك أوَّلَ ما مَلَكَ بَغْدَادَ سَنَةَ تِسْعٍ وأرْبَعِينَ لِقِتالِ البَسَاسِيرِيِّ وقُرَيْشِ بنِ بَدْرانَ صاحِبِ المَوْصِلِ، ولَقِيَهم على سِنْجارَ فانْهَزَمَ كما مَرَّ ذِكْرُ ذلك. فلمَّا بَلَغَه الآنَ مَوْتُ السُّلْطانِ طُغْرُلْبِكَ طَمِعَ في مُلْكِهم، وسَارَ إلى الرَّيِّ فَجَهَّزَ ألْب أرْسلَانُ العَسَاكِرَ مِن نَيْسابُورَ في المحرَّمِ من سَنَةِ سبعٍ وخَمْسِينَ[1]، وسَارُوا على المَفَازَة فسَبَقُوا قَطَلْمَشَ إلى الرَّيِّ، وجاءه كتابُ السُّلْطانِ يُنْكِرُ عليه ما ارْتَكَبَ ويُذَكِّرُه بالرَّحِمِ، فأفْحَشَ ونَهَبَ جِهاتِ الرَّيِّ، فسَارَ السُّلْطانُ إليْه ولَقِيَه فلم يَثْبُتْ؛ ومَضَى مُنْهَزِمًا. واسْتباحَ السُّلْطانُ عَسْكَرَه قَتْلاً وأسْرًا، وأجْلَتِ الواقِعَةُ عنه قَتِيلاً، فَحَزِنَ له السُّلْطانُ ودَفَنَه[2].

ثُمَّ سَارَ إلى بلادِ الرُّومِ مُعْتَزِمًا على الجهادِ، ومَرَّ بأذْرَبِيجان، ولَقِيَه طُغْتِكِينُ، مِن أمراءِ التُّرْكُمان، في عَشِيرةٍ، وكان مُمارِسًا للجهادِ، فَحَثَّه على قَصْدِه، وسَلَكَ دَلِيلاً بينَ يَدَيْه، فوَصَلَ إلى نَقْجُوَانَ: على نَهْرِ أرَسَ، وأمَرَ بعَمَلِ السُّفُنِ لعُبورِه، وبعَثَ عَساكِرَهُ لِقِتالِ خُوَيّ وسَلَماسَ مِن حُصونِ أَذْرَبِيجان، وسار هُوَ في العساكِرِ، فدَخَلَ بلادَ الكُرْجِ وفتَحَ قِلاعَها واحدةً بعدَ واحدةٍ كما نَذْكُرُ في أخْبارِهِم.

(1) عند ابن الأثير: سنة سِتّ وخمسين.

(2) الكامل في التاريخ 10: 36-37 (عنه بتصرُّف).

ودوَّخَ بلادَهم وأحْرَقَ مُدُنَهم وحُصُونَهم[1]. وسار إلى مَدينَةِ آني: مِن بلادِ الرُّوم فافتَتَحها وأثْخَنَ فيها، وبعَثَ بالبشائرِ إلى بَغْداد، وصالَحَهُ مَلِكُ الكُرْج على الجِزْيةِ، ورَجَعَ إلى أصْبَهانَ. ثم سارَ منها إلى كَرْمانَ فأطاعَه أخُوه قَاروتُ بك بنُ داود جَغْري بك. ثمَّ سَارَ إلى مَرْوَ، وأصْهَرَ إليه خاقانُ مَلِكُ ما وراءَ النَّهْرِ بابْنَتِه لابْنِه مَلِكْشاه، وصاحِبُ غَزْنَة بابْنَتِه لابْنِه الآخَرِ[2].

العَهْدُ بالسَّلْطَنَة لمَلِكْشَاه

وفي سنةِ ثمانٍ وخَمْسينَ عَهِدَ ألْب أرْسَلان بالسَّلْطَنةِ لابْنِه مَلِكْشاه، واسْتَخْلَفَ له الأُمَراءَ وخَلَعَ عليهم وأمَرَ بالخُطْبَةِ لهُ في سائرِ أعْمالِه، وأقْطَعَ بَلْخَ لأخِيه سُلَيْمانَ، وخُوارِزْمَ/ [373 ب] لأخِيه أرْسَلان أرْغزا[أ]، ومَرْوَ لابْنِه أرْسَلان شاه، وصَغَانِيانَ وطَخارِسْتانَ لأخيه إلْياسَ، ومازَنْدَرانَ للأمير إينالَخ [بيغو][ب]، وجَعَلَ وِلايةَ ونَقْشوان ونواحِيَها لمسْعُودِ بنِ أرْتاشَ، مِن أقارِبِ السَّلْطَنَةِ[ج]، وولايةَ إسْفِرايِنَ لأخيهِ مَمْدُودِ ابنِ أرْتاشَ[3].

وكان وزيرُه نِظامُ المُلْكِ قدِ ابْتَدأَ سنةَ سبعٍ وخَمْسِينَ ببِناءِ المَدْرَسَةِ

(أ) كذا في ظ ح، وفي الكامل: بيغو، وفي إحدى نسخه: أرغو. (ب) في ح: وجعل ولاية والمعنى مكرر. (ج) في ح: السلطان.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 37-38.

(2) المصدر نفسه 10: 40، 41.

(3) المصدر نفسه 10: 50؛ نهاية الأرب 26: 310.

النّظاميّةِ ببغْدَادَ، وتمّت عِمارَتُها في ذِي القَعْدَةِ سنة تِسْعٍ وخَمْسِينَ، وعُيِّنَ للتَّدْرِيس بها الشَّيْخُ أبو إسْحاق الشِّيرازيُّ، واجْتَمَعَ النَّاسُ لحضُورِ دَرْسِه، وتخلَّفَ لأنَّه سمِعَ أنَّ في مَكانِها غَصْبًا، وبَقِيَ النَّاسُ في انتِظَارِه حتى يَئِسُوا منه، فقال الشيخُ أبو مَنْصُورِ بنُ يُوسُفَ: لا يَنفَصِلُ هذا الجمْعُ إلَّا عن تَدْرِيسٍ، وكانَ أبو نَصْرِ بنُ الصَّبَّاغِ حاضِرًا، فدرَّسَ وأقامَ مُدرِّسًا عِشْرِينَ يومًا حتَّى سَمَحَ أبو إسْحاق الشِّيرازيُّ بالتَّدْرِيسِ فاسْتقَرَّ بها[1].

وزراء الخليفة

كانَ فخْرُ الدَّوْلَةِ ابنُ جُهَيْرٍ وَزِيرَ القائمِ كما ذكَرْناه، ثمَّ عَزَلَه سنةَ سِتِّينَ وأرْبَعِ مائةٍ فلَحِقَ بنُورِ الدَّوْلَةِ دُبَيْسِ بنِ مَزْيَدٍ بالفَلُّوجةِ، وبَعَثَ القائمُ عن أبي يَعْلَى وَالدِ الوَزِيرِ أبي شُجَاعٍ، وكان يَكْتُبُ لهزَارَسْبَ بنِ عِيَاضٍ صاحِبِ الأهْوازِ، فاسْتَقْدَمَه ليُوَلِّيَه الوِزارَةَ، فقَدِمَ وماتَ في طَرِيقِه، وشَفَعَ دُبَيْسُ بنُ مَزْيَدٍ في فَخْرِ الدَّوْلَةِ بنِ جُهَيْرٍ، فأُعِيدَ إلى وِزارَتِه سَنَةَ إحْدَى وسِتِّينَ في صَفَر.

الخطبة بمكة

وفي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وسِتِّينَ خَطَبَ محمدُ بنُ أبي هاشمٍ بمكَّةَ للقائمِ وللسُّلْطانِ ألْب أرْسَلان، وأسْقَطَ خُطْبَةَ العَلَوِيِّ صاحِبِ مِصْرَ، وتَرَكَ: حيَّ على خَيْرِ العَمَلِ

(1) الكامل في التاريخ 10: 49، 55؛ المواعظ والاعتبار للمقريزي 4: 452.
وانظر عن المَدْرَسَة النِّظاميَّة A. TALAS, *La madrasa Nizamiyya et son histoire*, Paris 1939؛ مصطفى جواد: "المدرسة النظامية ببغداد"، سومر 9 (1953)، 313-342.

مِنَ الأذانِ، وبَعَثَ ابْنَه وافِدًا على السُّلْطانِ بذلِك، فأعْطاه ثَلاثِينَ ألْفَ دِينارٍ، وخِلَعًا نَفِيسَةً، ورتَّبَ له كلَّ سَنَةٍ عَشَرَةَ آلافِ دِينارٍ[1].

طَاعَةُ دُبَيْس ومُسْلِم بنِ قُرَيْش

كان مُسْلِمُ بنُ قُرَيْشٍ مُنْتَقِضًا على السُّلْطانِ، وكان هَزارَسْب بنُ بنكيرَ بنِ عِيَاض قد أغْرَى السُّلْطانَ بدُبَيْسِ بنِ مَزْيَدٍ ليأخُذَ بلادَه فانْتَقَضَ. ثم هَلَكَ هَزارَسْبُ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّينَ بأصْبَهانَ مُنْصَرِفًا مِن وِفادَتِه على السُّلْطانِ/ بخُراسَانَ، [37أ] فوَفَد دُبَيْسٌ على السُّلْطانِ ومعَه شَرَفُ الدَّوْلَةِ مُسْلِمُ بنُ قُرَيْشٍ صاحبُ المَوْصِلِ، وخرَجَ نِظامُ المُلْكِ لتَلَقِّيهما، وأكْرَمَهما السُّلْطانُ ورَجَعَا إلى الطَّاعَةِ[2].

الخُطْبَةُ العَبَّاسيةُ بحَلَبَ، واسْتِيلاءُ السُّلْطانِ علَيْها

كانَ محمودُ بنُ صالحِ بنِ مِرْداسٍ قدِ اسْتَوْلَى هُوَ وقَوْمُه على مَدينةِ حَلَبَ، وكان يَخْطُبُ للعَلَوِيِّ صاحِبِ مِصْرَ. فلمَّا رَأى إقْبالَ دَوْلَةِ ألْب أرْسَلانَ وقُوَّتَها، خافَه على بَلَدِه، فحَمَلَهم على الدُّخولِ في دَعْوةِ القائمِ، وخَطَبَ له على مَنابِرِ حَلَبَ سنةَ ثَلاثٍ وسِتِّينَ، وكَتَبَ بذلك إلى القائمِ، فبَعَثَ إليه نَقِيبَ النُّقَباءِ طَرَّادَ بنَ محمدٍ

(1) الكامل في التاريخ 10: 61.
(2) المصدر نفسه 10: 61.

الزَّيْنَبِيّ بالخِلَع[1]. ثم سارَ السُّلْطانُ ألْب أرْسلان إلى حَلَبَ ومَرَّ بدِيارِ بَكْرٍ، فَخَرج إليه صاحِبُها نَصْرُ بنُ مَرْوان، وخَدَمَه بمائةِ ألْفِ دِينارٍ. ومَرَّ بآمِدَ فامْتَنَعَتْ عليه، وبالرُّها كذلك. ثم نَزَلَ على حَلَبَ وبَعَثَ إليه صاحِبُها محمودٌ مع نَقِيبِ النُّقَباءِ طَرَّادٍ بالاسْتِعْفاءِ مِنَ الحضُورِ، فَلَجَّ في ذلكَ وحاصَرَه، فلمَّا اشْتَدَّ عليه الحِصارُ خَرَجَ لَيْلاً إلى السُّلْطانِ ومعَه أمُّه مَنِيعةُ بِنْتُ وَثَّابٍ النُّمَيْرِيِّ، مُلْقِيًا بنَفْسِه، فأكْرَمَه السُّلْطانُ وخَلَعَ عليه وأعادَه إلى بَلَدِه، فقام بطَاعَتِه[2].

واقعةُ السُّلْطانِ مع مَلِكِ الرُّومِ وأسْرُهُ

كانَ مَلِكُ الرُّومِ في القُسْطَنْطِينِيَّة، وهُوَ أرْمَانُوسُ[3]، قد خَرَجَ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّينَ إلى بِلادِ الشَّامِ في عَساكِرَ كَثِيفةٍ، ونَزَلَ على مَنْبِجَ ونَهَبَها وقَتَلَ أهْلَها، وزَحَفَ إليه محمودُ بنُ صَالحِ بنِ مِرْدَاسٍ وابنُ حَسَّانٍ الطَّائيُّ في بني كِلابٍ وطَيِّئٍ ومَن إليهم مِن جُموعِ العَرَبِ فهَزَمَهم، وطالَ عليه المُقامُ على مَنْبِجَ، وعَزَّتِ الأقْواتُ فرَجَعَ إلى بلادِه[4]. واحْتَشَدَ وسارَ في مائتَيْنِ ألْفًا مِنَ الرُّومِ والفِرنْجِ والرُّوسِ

(1) الكامل في التاريخ 10: 63، وزبدة الحلب لابن العديم 2: 16-17، ونهاية الأرب 26: 312-313.
(2) المصدر نفسه 10: 64، والمصدر نفسه 2: 21-23.
(3) الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينس ROMANUS DIOGENES IV (460-464هـ/ 1068-1071م).
(4) الكامل في التاريخ 10: 60.

والكُـرَج، وخَـرَجَ في احتفـالٍ إلى أعْـمالِ خِـلَاط ووَصَـلَ إلى [مَنـازْكرد][1]. وكانَ السُّلْطانُ ألْب أرْسَلان بمدينةِ خُوَيّ مِن أذْرَبيجان عندَ عَوْدِه مِن حَلَب، فتَشوَّفَ إلى الجهادِ، ولم يتمكَّنْ منَ الاحْتِشادِ فبعَثَ أثقالَه/ وزَوْجَته مع نِظام المُلْكِ إلى هَمذَان، [374 ب] وسار فِيمَنْ حَضَرَه منَ العساكِرِ، وكانوا خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفًا. ووَطَّنَ نَفْسَه على الاسْتِماتةِ فلَقِيَتْ مُقَدِّمَتُه عندَ خِلَاطَ جُموعَ الرُّوسِيَّةِ في عَشَرَةِ آلافٍ فانهزَمُوا، وجِيءَ بمَلِكِهم إلى السُّلْطانِ فحَبسَه، وبَعَثَ بالأسْلابِ إلى نِظامِ المُلْكِ ليُرْسِلَها إلى بَغْدَادَ.

ثم تقارَبَ العَسْكرانِ وجَنَحَ السُّلْطانُ للمُهادَنَةِ فأبَى مَلِكُ الرُّومِ، فاعْتَزَمَ السُّلْطانُ وزَحَفَ وأكْثَرَ منَ الدُّعاءِ والبُكاءِ، وتَعْفيرِ وَجْهِه بالتُّرابِ. ثم حَمَلَ عليهم فهَزَمَهم وامْتلأتِ الأرْضُ بأشْلائِهم، وأُسِرَ المَلِكُ أرْمانُوس، جاء به بَعْضُ الغِلْمانِ أسيرًا فضَرَبَه السُّلْطانُ على رَأْسِه ثلاثًا ووَبَّخه، ثم فاداه بألْفِ ألْفِ دِينارٍ وخَمْسِ مائةِ ألْفِ دِينارٍ، على أن يُطْلِقَ كلَّ أسيرٍ عندَه، وأن تكونَ عَساكِرُ الرُّوم مَدَدًا للسُّلْطانِ مَتى طَلَبَها. وتَمَّ الصُّلْحُ على ذلك لمدَّةِ خَمْسِينَ سَنَةً. وأعْطاه السُّلْطانُ عَشَرَةَ آلافِ دِينارٍ وخَلَعَ عليه وأطْلَقَه.

ووَثَبَ مِيخائيلُ[2] على الرُّومِ، فمَلَكَ عليهم مَكانَ أرْمانُوسَ، فلمَّا وَصَلَ إلى بَلَدِه لَبِسَ الصُّوفَ وتزهَّد، وأرْسَلَ إلى مِيخائِيلَ بما عَقَدَه على الرُّوم، فأجابَ إلَيْه

(1) ملاذكرد، وتكتب أيضًا ملاذجرد ومناذكرد ومانزيكرت: بَلَدٌ مشهورٌ بين خِلاط وبلاد الرُّوم يُعَدّ في أرمِينية شمال بحيرة وان، وأهلُه أرْمَن ورُوم (معجم البلدان 5: 202؛ CAROLE HILLENBRAND, *EI*² art. *Malazgird* VI, pp. 226-28).

(2) الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السَّابع دوقاس MICHAEL DUCAS (464-471هـ/1071-1078م).

وبَعَثَ إلى السُّلْطانِ في إتْمامِه بوَساطَةِ أرْمانوس، وبَعَثَ أرْمانُوسُ بجَميعِ ما عندَه منَ الأمْوالِ، فكان مائتيْ ألْفِ دِينارٍ، وجيءَ بطَبَقٍ مملوءٍ بجواهِرَ قِيمةَ تِسْعِينَ ألْفًا. ثمَّ اسْتَوْلَى أرْمانُوسُ بعدَ ذلك على أعْمالِ الأرْمَنِ وبلادِهم[1].

شِحْنَةُ بَغْدادَ

قد ذكَرْنا أنَّ السُّلْطَانَ ألْب أرْسَلان ولَّى لأوَّلِ مُلْكِه أيْتكِينَ السُّلَيْمانيَّ شِحْنَةً ببَغْدادَ، وذلك سَنَةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ فأقامَ فيها مُدَّةً، ثمَّ سارَ إلى السُّلْطانِ في بَعْضِ مُهِمَّاتِه، واسْتَخْلَفَ ابْنَه مَكانَه فأساءَ السِّيرةَ، وقَتَلَ بَعْضَ المماليكِ الدَّاريَّةِ، فأنْفَذَ قَمِيصَه منَ الدِّيوانِ إلى السُّلْطانِ، وخُوطِبَ بعَزْلِه.

وكان نِظامُ المُلْكِ يُعْنَى به، فكَتَبَ فيه بالشَّفاعةِ، ووَرَدَ سنةَ أرْبَعٍ وستِّينَ فقَصَدَ دارَ الخلافةِ، وسألَ العَفْوَ فلم يُجَبْ، وبَعَثَ إلى تَكْرِيتَ ليَتَسوَّغَها بإقْطاعِ السُّلْطانِ فبرَزَ المَرْسُومُ/ مِن ديوانِ الخلافةِ بمَنْعِ ذلك. ولما رَأى السُّلْطانُ ونِظامُ [375أ]

(1) الكامل في التاريخ 10: 65-67 (عنه بتصرُّف).
ويُعَدُّ انتصارُ السَّلاجقة على البيزنطيين في معركة مَنازكرد مرحلةً مهمةً في تاريخ الصّراع الإسلامي البيزنطي، فلأوَّل مرة يقعُ الإمبراطور البيزنطي أسيرًا في أيدي المسلمين، كما حَدَّدَت هذه المعركة مصير آسيا الوسطى ولم يتمكن البيزنطيون من الوقوف بعد ذلك في وَجه قوّة السَّلاجقة الفَتيَّة. (راجع كذلك زبدة الحلب لابن العديم 2: 25-30؛ شاكر مصطفى: "دخول الترك الغزّ إلى الشام" في كتاب تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر، بيروت 1974، 303-398؛ CL. CAHEN, “La Campagne de Mantzikert d'après les sources musulmanes”, *Byzantion* IX (1943), pp. 613-42; CAROLE HILLENBRAND, *EI*² art. *Malazgird* VI, pp. 226-28).

المُلْكِ إضرارَ القائمِ على عَزلِه، بَعَثَ السُّلْطانُ مَكانَه سَعْدَ الدَّوْلَةِ كُوهَرائين اتّباعًا لمَرْضاةِ الخَليفَةِ. ولما وَرد بَغْدادَ خرَجَ النَّاسُ للقائِه وجلَسَ له القائمُ واستقرَّ شِحْنةً[1].

مَقْتَلُ السُّلْطانِ أَلْب أَرْسَلان ومُلْكُ ابْنِه مَلِكْشاه

سارَ السُّلْطَانُ أَلْب أرسلان مُحَمَّدٌ إلى ما وراءَ النَّهْرِ، وصاحبُه شَمْسُ المُلْكِ تكِين، وذلك سنةَ خَمْسٍ وستِّينَ، وعَبَرَ على جِسْرٍ عقَدَه على جَيْحُونَ في نَيِّفٍ وعِشْرِينَ يومًا، وعَسْكَرُه يَزِيدُ على مائتَيْ أَلْفٍ. وجِيءَ إليه بمُسْتَحْفَظِ بَعْضِ القِلاعِ، يُعْرَفُ بيوسُفَ الخُوارِزْميِّ، فأَمَرَ بعقابِه على جَرِيرةٍ ارْتكبَها، فأفْحَشَ في سَبِّ السُّلْطانِ فغَضِبَ وأمَرَ بإطْلاقِه، ورَماهُ بسَهْمٍ فأخْطَأه فاشْتَدَّ إليه يُوسُفُ، وقام السُّلْطانُ عن سَرِيرِه فعَثَرَ ووَقَعَ فضَرَبَه بسِكِّينةٍ، وضَرَبَ سَعْدَ الدَّوْلَةِ، ودَخَلَ السُّلْطانُ خَيْمَتَه جريحًا، وقَتَلَ الأتْراكُ يُوسُفَ هذا.

وماتَ السُّلْطَانُ مِن جِراحتِه عاشِرَ رَبِيعٍ [الأوّل][أ] سَنَةَ خَمْسٍ وستِّينَ، لتِسْعِ سِنِينَ ونِصْفٍ مِن مُلْكِه، ودُفِن بمَرْوَ عندَ أبيه. وكان كريمًا عادلًا كثيرَ الشُّكْرِ لنِعْمَةِ اللهِ، والصَّدقةِ، واتَّسعَ مُلْكُه حتَّى قِيلَ فيه: سُلْطانُ العالَمِ[2].

ولمَّا ماتَ ـ وقد كانَ أوْصَى بالمُلْكِ لابْنِه مَلِكْشاه ـ فجَلَسَ للمُلْكِ، وأخَذَ له البَيْعَةَ وَزِيرُه نِظامُ المُلْكِ، وأرْسَلَ إلى بَغْدادَ فَخُطِبَ لهُ على مَنابِرِها. وكان أَلْب

(أ) فراغ لكلمة في ظ ح ، والتكلة من الكامل 10: 74 .

(1) الكامل في التاريخ 10: 70.

(2) المصدر نفسه 10: 73-74؛ نهاية الأرب 26: 318-319.

أرسلان أوصى أن يُعطى أخوه قاروتُ بك أعمالَ فارِسَ وكرمانَ وشيئًا عيَّنه منَ المالِ، وكان بكرمانَ، وأنْ يُعطى ابنُه إياسُ بنُ ألب أرسلانَ ما كان لأبيه داودَ، وهو خمسُ مائةِ ألفِ دينارٍ، وعَهِدَ بقتالِ مَن لم يُمضِ وَصِيَّته.

وعادَ مَلِكْشاه مِن بلادِ ما وراءَ النَّهرِ، فعَبَرَ الجِسْرَ في ثلاثةِ أيامٍ، وزاد الجُندَ في أرزاقِهم سَبْعَ مائةِ ألْفِ دِينارٍ، ونَزَلَ نَيْسابُورَ، وأرسَلَ إلى مُلُوكِ الأطْرافِ بالطَّاعةِ والخُطْبةِ فأجابُوا. وأنزَلَ أخاه إياسَ بنَ ألْب أرسلانَ ببَلْخ وسارَ إلى الريِّ[1].

ثم فوَّض / إلى نظامِ المُلْكِ وأقطَعَه مَدينةَ طُوسَ التي هِيَ مَنْشَؤُهُ وغيرَها، [375 ب]
ولقَّبَه ألْقابًا منها: أتابكُ ومَعْناها الأميرُ الوالدُ، فحَمَلَ الدَّوْلَةَ بصَرامةٍ وكفايةٍ وحُسْنِ سِيرةٍ[2]. وبعَثَ كُوهرائينَ الشِّحْنَةَ إلى بَغْدادَ سنةَ ستٍّ وسِتِّينَ لاقْتِضاءِ العَهْدِ، فجَلَسَ له القائمُ وعلى رأسِه حافِدُه وَلِيُّ عَهدِه المُقْتَدِي بأمْرِ اللهِ، وسَلَّمَ إلى سَعْدِ الدَّوْلَةِ كُوهَرائينَ عَهْدَ السُّلْطانِ مَلِكْشاه بعدَ أن قرأَ الوزيرُ أوَّلَه في المَحْفِلِ، وعَقَدَ له لِواءً بيدِه ودَفَعَه إليه[3].

وَفَاةُ القَائِمِ، ونَصْبُ المُقْتَدِي للخِلافَةِ

ثمَّ تُوفِّيَ القائمُ بأمْرِ اللهِ عَبْدُ اللهِ أبو جَعْفرِ بنُ القادِرِ، افْتَصَدَ مُنْتَصَفَ شَعْبانَ مِن سنةِ سبعٍ وستِّينَ ونامَ فانفَجَرَ فِصادُه، وسَقَطَتْ قُوَّتُه. ولمَّا أيْقَنَ بالموتِ

(1) الكامل في التاريخ 10: 76؛ نهاية الأرب 26: 320-321.
(2) المصدر نفسه 10: 79-80؛ المصدر نفسه 26: 321.
(3) المصدر نفسه 10: 90.

أحضر حافِدَه أبا القاسمِ عبدَ الله ابنَ ابنِه ذخيرةِ الدّين محمدٍ، وأحضرَ الوزيرَ ابنَ جَهيرٍ، والنُقَباءَ والقُضاةَ وغيرَهم، وعَهِدَ له بالخلافةِ. ثمّ ماتَ لخمسٍ وأربعينَ سنةً من خلافتِه. وصلّى عليه المُقتَدِي، وبُويِعَ بعَهْدِ جَدّه، وحضَرَ بَيْعَتَه مُؤيّدُ المُلْكِ بنُ نِظامِ المُلْكِ، والوزيرُ فَخرُ الدَّوْلَةِ بنُ جَهيرٍ وابنُه عَميدُ الدَّوْلَةِ، وأبو إسْحاقَ الشّيرازيُّ، وأبو نَصرِ بنُ الصَّبّاغِ، ونقيبُ النُقباءِ طَرّادٌ، والنّقيبُ الطّاهرُ المُعَمَّرُ بنُ محمدٍ، وقاضي القُضاةِ أبو عَبْدِ الله الدّامَغانيُّ، وغيرُهم منَ الأعيانِ والأماثلِ. ولما فرَغوا منَ البَيْعةِ صَلّى بهمُ العَصْرَ، ولم يَكُنْ للقائمِ عَقِبٌ ذَكَرٌ غيرُه، لأنّ ابنَه ذخيرةَ الدّينِ أبا العبّاسِ محمّدًا توفّيَ في حياتِه، ولم يَكُنْ له غيرُه، فاغْتَمَّ لذلك القائمُ[1]، ثم جاءتْ جاريتُه أرْجُوانُ بعدَ موتِه لستّةِ أشْهُرٍ بوَلَدٍ ذكَرٍ، فعظُمَ سُرورُ القائمِ به. ولما كانتْ حادثةُ البَساسيريِّ حَمَلَه أبو الغنائمِ بنُ المُحْلبانِ إلى حَرّانَ وهُوَ ابنُ أربعِ سنينَ، وأعاده عندَ عَوْدِ القائمِ إلى دارِه. فلمّا بَلَغَ الحُلُمَ عَهِدَ له القائمُ بالخلافةِ، ولمّا تَمّتْ بَيْعَتُه لُقِّبَ المُقْتَدِيَ، وأقرَّ فَخْرَ الدَّوْلَةِ بنَ جَهيرٍ على وِزارتِه بوَصِيَّةِ جدِّه القائمِ بذلك. وبَعَثَ ابنَه عَميدَ الدَّوْلَةِ إلى السُّلْطانِ مَلِكْشاه لأخْذِ/ البَيْعةِ في رَمَضانَ من سنةِ سبعٍ وستّينَ، [376 أ] وبَعَثَ معَهُ منَ الهدايا ما يَجِلُّ عنِ الوَصْفِ[2].

وقَدِمَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ كوهَرائينُ سنةَ ثمانٍ وستّينَ إلى بَغْدادَ شِحْنةً، ومعَهُ العَميدُ أبو نَصْرٍ ناظرًا في أعمالِ بَغْدادَ[3]. وقَدِمَ مُؤيَّدُ المُلْكِ بنُ نِظامِ المُلْكِ سنةَ

(1) الكامل في التاريخ 10: 94، 96؛ نهاية الأرب 23 : 240.

(2) المصدر نفسه 10: 96-97.

(3) المصدر نفسه 10: 100.

سَبْعِين للإقامةِ ببَغْدَادَ، ونَزَلَ بالدَّارِ التي بجِوارِ مَدْرَسَتِهِم[1].

عَزْلُ الوزيرِ ابنِ جُهَيْرٍ ووِزَارةُ أبي شُجَاعٍ

كان أبو نَصْرٍ ابنُ الأسْتاذِ أبي القاسمِ القُشَيْرِيِّ قد حَجَّ سنةَ تِسْعٍ وستِّين، فوَرَدَ بَغْدَادَ مُنصَرَفَه منَ الحجِّ، ووَعَظَ النَّاسَ بالنِّظامِيَّةِ وفي رِباطِ شَيْخِ الشُّيوخِ، ونَصَرَ مَذْهَبَ الأشْعَرِيِّ، فأنْكَرَ عليه الحنابلةُ، وكَثُرَ التَّعَصُّبُ منَ الجانِبَيْن، وحَدَثَتِ الفِتْنةُ والنَّهْبُ عندَ المدرسةِ النِّظامِيَّةِ، فأرْسَلَ مُؤيَّدُ المُلْكِ إلى العَمِيدِ والشِّحْنةِ فحَضَروا في الجندِ، وعَظُمَتِ الفِتْنةُ، ونُسِبَ ذلك إلى الوزيرِ فَخْرِ الدَّوْلَة بنِ جُهَيْرٍ، وعَظُمَ ذلكَ على عَضُدِ الدَّوْلَةِ، فأعادَ كُوهْرائِينَ إلى شِحْنَةِ بَغْدادَ. وأوْصَاهُ إلى المقتدي بعَزْلِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ منَ الوِزارةِ، وأمَرَ كُوهْرائِينُ بالقَبْضِ على أصْحابه.

ونَمَا الخَبَرُ إلى بني جُهَيْرٍ، فبادَرَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ ابنُ الوزيرِ إلى نِظامِ المُلْكِ يَسْتَعْطِفُه. ولمَّا بلَغَ كُوهْرائِينَ رسالةَ نِظامِ المُلْكِ إلى المُقْتَدِي، أمَرَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ بلُزُومِ مَنْزِلِه. ثم جاء ابنُه عَمِيدُ الدَّوْلَةِ، وقدِ اسْتَصْلَحَ نِظامَ المُلْكِ ورجَعَ بشفاعَتِه إلى الخَليفَةِ في أبيه فلم يُعِدْه، واسْتَوْزَرَ أبا شُجاعٍ محمدَ بنَ الحسَيْن، ثم ألَحَّ نِظامُ المُلْكِ في الشَّفاعةِ لهم فأعِيدَ عَمِيدُ المُلْكِ إلى الوِزارةِ دونَ أبيه فَخْرِ الدَّوْلَةِ، وذلك في صَفَرٍ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِين[2].

(1) الكامل في التاريخ 10: 107.

(2) المصدر نفسه 10: 109-111.

اسْتيلاءُ تُتُش بنِ أَلْب أَرْسَلانَ على دِمَشْقَ، وابْتداءُ دَوْلَتِه ودَوْلَةِ بَنِيه فيها

كان أَنْسِز - بهمزةٍ ونُونٍ وسِينٍ وزاي[1] - ابنُ أبقَ الخَوارِزْمِيّ، من أُمراءِ السُلْطانِ مَلِكْشاه، قد سار سنةَ ثلاثٍ وستِّينَ إلى فِلَسْطِينَ من الشَّام، ففَتَحَ مدينةَ الرَّمْلَةِ، ثم حاصَرَ بَيْتَ المقدِسِ ومَلَكَها مِن يَدِ العَلَوِيِّينَ أَصْحابِ مِصْرَ، ومَلَكَ ما يجاوِرُها ما عدا عَسْقلانَ. ثم حاصَرَ / [3ب] دِمَشْقَ حتَّى جَهَدَها الحِصارُ فرَجَعَ عنها، وبَقِي يُرَدِّد الغَزَواتِ إليها كلَّ سنةٍ[2]. ثم حاصَرَها سنةَ سبعٍ وستِّينَ وبها المعَلَّى بنُ حَيْدَرَةَ مِن قِبَلِ المُسْتَنْصِرِ العُبَيْدِيِّ، فأقام عليها شهرًا ثم أَقْلَعَ، وثار أَهْلُ دِمَشْقَ بالمُعَلَّى بسُوءِ سِيرَتِه، فهَرَبَ إلى بانياسَ ثم إلى صُورَ، ثمَّ أُخِذَ إلى مِصْرَ فحُبِسَ وماتَ بها محبوسًا. واجْتَمَعَ المصامِدَةُ بعدَ هَرَبِه من دِمَشْقَ وولَّوْا عليهم انْتِصارَ بنَ يحْيَى المَصْمُودِيَّ ولَقَّبوه زَيْنَ الدَّوْلَةِ ثم اخْتَلَفوا عليه. ووَقَعَتِ الفِتْنَة وغَلَتِ الأسْعارُ ورَجَعَ أَنْسِز إلى حصارِها، فنزلَ له عنها انْتِصارٌ على الأمانِ، وعَوَّضَه عنها بقَلْعَةِ بانياسَ ومدينةِ يَافَا مِنَ السَّاحِلِ، وخَطَبَ فيها أَنْسِزُ للمُقْتَدي العبَّاسيِّ في ذي القَعْدةِ سنةَ ثمانٍ وستِّين، وتغلَّبَ على أَكْثَرِ الشَّام ومَنَعَ مِنَ الأذانِ بحَيَّ على خيرِ العَمَلِ[3].

(1) المشهور في المصادر أنَّ صَوَابَ اسْمِه: أَتْسِز، ويكتب أحيانًا أَطْسِز، ATSIZ ، لا كما ضَبَطَه ابنُ خَلْدُون. وتَرْجَم له المَقريزي تحت أَطْسِز بن أوق الخُوَارِزْمي التركي مُقَدَّم الأتراك، وذكر أنَّ أَطْسِز كلمةٌ تركية بمعنى: ليس معه قرين، وبعضهم يقول: أَتْسِز بالتَّاء عِوَضًا عن الطاء (المقفى الكبير 1: 220-223؛ وكذلك الوافي بالوفيات 6: 195، وصلاح الدين المنجد: ولاة دمشق في العهد السلجوقي 17-18؛ CL. CAHEN, *EI*² art. *Atsiz* I, p. 773).

(2) الكامل في التاريخ 10: 68.

(3) المصدر نفسه 10: 99-100 (عنه بتصرُّف)، وقارن مع المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر 42-43؛ نهاية الأرب للنويري 26: 316-317، 27: 64-65؛ اتعاظ الحنفا 2: 315.

ثُمَّ سارَ سنةَ تِسْعٍ وستِّينَ إلى مِصْرَ وحاصَرَها حتَّى أشْرَفَ على أخْذِها. ثُم انهزَمَ من غيرِ قتالٍ، ورَجَعَ إلى دِمَشْق وقدِ انْتَقَضَ عليه أكثرُ بلاد الشَّامِ، فشَكَرَ لأهْلِ دِمَشْقَ صَوْنَهم لمخلَّفِه وأمْوالِه، ورَفَعَ عنهم خراجَ سنةٍ. وبلَغَه أنَّ أهْلَ القُدْسِ وَثَبُوا بأصْحابِه ومخلَّفِه وحَصَرُوهم في مِحْرابِ داودَ عليه السَّلامُ، فسار إليهم، فقاتَلُوه و[ملكَهم](أ) عَنْوَةً، وقَتَلَهم في كلِّ مكانٍ إلَّا مَن كان عندَ الصَّخْرَةِ(1).

ثُمَّ إنَّ السُّلْطانَ مَلِكْشاه أقْطَعَ أخاه تاجَ الدَّوْلَةِ تُتُشَ، سنةَ سَبْعينَ وأربَعِ مائةٍ، بلادَ الشَّام وما يَفْتَحُه مِن نواحِيها، فسارَ إلى حَلَبَ سنةَ إحْدَى وسَبْعِينَ وحاصَرَها وضَيَّقَ عليها، وكانت معَهُ جُموعٌ كَثِيرةٌ مِنَ التُّرْكُمانِ. وكان صاحِبُ مصرَ(2) قد بعَثَ عساكِرَه معَ قائدِه نَصِيرِ الدَّوْلَةِ لحِصارِ دِمَشْقَ فأحاطُوا بها، وبَعَثَ أَتْسِز إلى تُتُشَ وهوَ على حَلَبَ يَسْتَمِدُّه، فسَارَ إليه، وأجْفَلَتِ العساكِرُ المِصْرِيةُ عن دِمَشْقَ، وجاءَ إليها تُتُشُ فخرَجَ أَتْسِز للقائِه بظاهِرِ البَلَدِ فتجَنَّى عليه حَيْثُ لم يَبْعُدْ للقائِه، وقَبَضَ عليه وقَتَلَه لوَقْتِه، ومَلَكَ البلَدَ وأحْسَنَ السِّيرةَ فيها، وذلك سنةَ إحْدَى وسَبْعِين، فيما قال(ب) الهَمَذاني./ وقال الحافظُ أبو القاسِمِ بنُ عساكِرَ: إنَّ ذلكَ كانَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسَبْعِينَ(3). قال ابنُ الأثيرِ: والشَّامِيُّونَ يقولونَ في هذا الاسمِ: أَقْسِيس، والصَّحِيحُ أنَّه أَتْسِز، وهُوَ اسْمٌ تُرْكِيٌّ. [377أ]

(أ) من ح، وفي ظ: وملكوه. (ب) ح: قاله.

(1) الكامل في التاريخ 10: 103-104 (وهو فيه أقْسِيس)؛ المنتقى من أخبار مصر 44، ذيل تاريخ دمشق 109، نهاية الأرب 28: 236؛ اتعاظ الحنفا 2: 317-318.

(2) أي: أميرُ الجُيُوش بَدْر الجَمالي الحاكم الفِعْلي لمصر في خلافة المستنصر بالله الفاطميّ ابتداءً من عام 466هـ.

(3) الكامل في التاريخ 10: 111، والهَمَذاني وابن عَساكِر مصادر ابن الأثير وضَمَّنها ابن خلدون عنه، والهَمَذاني هو محمد بن عبد الملك الهَمَذاني، المتوفَّى سنة 521هـ/1127م، صاحب تكملة تاريخ الطبري الذي وَصَلَ إلينا منه فقط جزؤه الأوَّل وينتهي بحوادث سنة 367هـ، نشره البِرْت يوسف كنعان في بيروت سنة 1961م.

سِفارةُ الشَّيخ أبي إسْحاقَ الشِّيرازيِّ عن الخَليفة

كان عَمِيدُ العراقِ أبو الفتحِ بنُ أبي اللَّيثِ قد أساءَ إلى الرَّعايا وعَسَفَهم، واطَّرَحَ جانبَ الخَليفةِ المُقْتَدِي وحَواشِيه، فاسْتَدْعى المُقْتَدِي الشَّيخَ أبا إسْحاقَ الشِّيرازيَّ، وبَعَثَه إلى السُّلْطانِ مَلِكْشاه والوزيرِ نِظامِ المُلْكِ بالشَّكْوى من العَميدِ [ابنِ أبي اللَّيث][أ]، فسار لذلكَ ومعَهُ جماعةٌ مِن أعيانِ الشَّافِعِيَّةِ، منهم: أبو بكرٍ الشَّاشِيُّ وغيرُه، وذلك سنةَ خَمْسٍ وسَبْعِينَ. وتنافَسَ أهْلُ البلادِ في لقائِه والتَّمسُّحِ بأطْرافِه والْتماسِ البَرَكَةِ في مَلبوسِه ومَرْكوبِه، وكان أهْلُ البلادِ إذا مَرَّ بهم يَتَساتَلُونَ إليه ويَزْدَحِمونَ على رِكابِه، ويَنْثُرونَ على مَوْكِبِه كلُّ أحدٍ ما يناسِبُ حِرْفَتَه وصناعَتَه، والشَّيْخُ أثناءَ ذلك يَبْكِي تارةً ويَضْحَكُ أُخْرَى حتَّى وَصَلَ، فأكْرَمَه السُّلْطانُ ونِظامُ المُلْكِ بما يُناسِبُ ذلك، وصَدَرَ الأمْرُ بإهانةِ العَميدِ ورَفْعِ يَدِه عما يتعلَّقُ بحواشي المُقْتَدِي، وجَرَى بَيْنَه وبينَ إمامِ الحَرَمَيْنِ [أبي المَعالي الجُوَيْني][أ] مناظرةٌ بحَضْرةِ نِظامِ المُلْكِ ذكَرَها النَّاسُ في كُتُبِهم[1].

(أ) إضافة للتوضيح من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 10: 125-126؛ نهاية الأرب 23: 246-247.

عَزْلُ ابنِ جَهِيرٍ عن الوِزَارَةِ وإمارَتُه على دِيارِ بَكْرٍ

ثم إنَّ عَمِيدَ الدَّوْلَةِ بنَ فخرِ الدَّوْلَةِ بنِ جَهِيرٍ عَزلَه الخَلِيفَةُ المُقْتَدِي عن الوِزَارَةِ، ووَصَلَ رَسُولٌ مِن قِبَلِ السُّلْطَانِ ونِظامِ المُلْكِ، يَطْلُبُ بني جَهِيرٍ، فأذِنَ لهم، وساروا بأهْلِهم إلى السُّلْطانِ فتلقَّاهم كرامةً وبِرًّا، وعقَدَ لفَخرِ الدَّوْلَةِ على دِيارِ بَكْرٍ مَكانَ بني مَرْوانَ، وبَعَثَ معهُ العساكِرَ وأعْطاه الآلَةَ[أ]، وأذِنَ له أن يَخْطُبَ فيها لنفسِه، ويكتُبَ اسْمَه في السِّكَّةِ، فسار لذلك سنةَ ستٍّ وسَبْعِينَ[1].

ثم بعَثَ إليه السُّلْطانُ سنةَ سَبْعٍ وسَبْعِينَ بمَدَدِ العساكِرِ مَعَ الأميرِ أُرْتُقَ بنِ أكْسَبَ جَدِّ أصْحابِ مارِدِينَ لهذا العَهْدِ، وكان ابنُ مَرْوان قدِ استمدَّ شَرَفَ الدَّوْلَةِ مُسْلِمَ بنَ قُرَيْشٍ صاحِبَ الموصِلِ فأمدَّه وسارَ إلى آمِدَ، ولمَّا نَزَلَ فَخْرُ / الدَّوْلَةِ بنُ جَهِيرٍ بنواحِيها، وكان معهُ جماعةٌ مِنَ التُّرْكُمانِ فتقدَّموا إلى قِتالِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ، وانْهَزَمَ أمامَهم، وغَنِمَ التُّرْكُمانُ مَن كان معهُ مِن أحْياءِ العَرَبِ، ودخَلَ آمِدَ فحَصَرَه بها فَخْرُ الدَّوْلَةِ وأُرْتُقُ، فراسَلَ أُرْتُقَ وبَذَلَ له مالاً على الخُرُوجِ مِن ناحِيَتِه، فأذِنَ له وخَرَجَ. ورجَعَ ابنُ جَهِيرٍ إلى مَيَّافارِقِينَ ومعَهُ بهاءُ الدَّوْلَةِ مَنْصورُ بنُ مَزْيَدٍ صاحِبُ الحِلَّةِ والنِّيلِ والجامِعَيْنِ[2]، وابنُه سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَدَقَة، ففارَقوه إلى العراقِ، وسار هُوَ إلى خِلاطَ[3]. [377 ب]

(أ) عند ابن الأثير: أعطاه الكُوسات.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 129.

(2) هي حلّة بني مَزْيَد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة. (معجم البلدان 2: 96، 294).

(3) الكامل في التاريخ 10: 134-135 (عنه بتصرُّف).

وكان السُلْطانُ لمَّا بَلَغه انهزامُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وحصارُه بآمِدَ، بَعَثَ عَميدَ الدَّوْلَةِ بنَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ بنِ جَهِيرٍ في عَسْكرٍ إلى الموصِلِ ومعَهُ قَسِيمُ الدَّوْلَةِ آقْسُنْقُرُ جَدُّ نُورِ الدِّين العادِلِ، وكاتَبَ أُمراءَ التُّرْكُمانِ بطاعَتِه. وساروا إلى الموصِلِ، ولَقِيَهم أُرْتُقُ بنُ أَكْسَبَ مُنْصَرِفًا مِن آمِدَ، فرَجَعَ معَهم ونَزَلوا الموصِلَ فملَكُوها. وسارَ السُلْطانُ بنفْسِه إليها، وقارَنَ ذلكَ خُلوصَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ من حصارِ آمِدَ، فَراسَلَ مُؤَيَّدَ المُلْكِ ابنَ نِظامِ المُلْكِ وهُوَ على الرَّحْبَةِ، وأهْدَى له، فسَعَى له عندَ السُلْطانِ وأحْضَرَه فأهْدَى للسُلْطانِ سَوابِقَ خَيْلِه وصالَحَه وأقَرَّهُ على بلادِه، وعادَ إلى خُراسانَ[1]. ولم يَزَلْ فَخْرُ الدَّوْلَةِ بنُ جَهِيرٍ في طَلَبِ دِيارِ بَكْرٍ حتَّى مَلَكَها. فأنْفَذَ ابنَه زعيمَ الرُّؤساءَ أبا القاسِمِ سنةَ ثمانٍ وسَبْعِينَ وحاصَرَها وضَيَّقَ عليها حتَّى غَدَرَ بها بعضُ أهْلِ العَسْكَرِ مِن خارجٍ وملَكَها، وعَمَدَ أهْلُ البَلَدِ إلى بُيوتِ النَّصارَى بَيْنَهم فنَهَبُوها بما كانوا عُمَّالَ بني مَرْوَانَ، وكان لهم جَوْرٌ على النَّاس[2].

وكان فَخْرُ الدَّوْلَةِ مُقيمًا على مَيَّافارِقِينَ مُحاصِرًا لها، وجاءه سَعْدُ الدَّوْلَةِ كُوهْرائِينُ في العَسْكَرِ مَدَدًا مِن عندِ السُلْطانِ، فَجَدَّ في حصارِها، وسَقَطَ بَعْضَ الأيام جانِبٌ مِن سُورِها فدُهِشَ أهْلُ البلدِ وتنادَوْا بشِعارِ السُلْطان مَلِكْشاه، واقْتَحَمَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ البَلَدَ واسْتَوْلَى على ما كان لبني مَرْوَان، وبَعَثَ بأموالِهم إلى السُلْطانِ معَ ابْنِه زعيمِ الرُّؤساءِ، فلَحِقَه بأصْبَهانَ سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعين[3].

(1) الكامل في التاريخ 10: 136.

(2) المصدر نفسه 10: 143.

(3) المصدر نفسه 10: 144.

[1378] ثم بعَثَ فخرُ الدَّوْلَةِ أيضًا عَسْكَرًا إلى جزيـرةِ ابنِ عُمَرَ / وحاصَرُوها حتَّى جَهَدَهمُ الحصارُ، فوَثَبَتْ طائفةٌ مِن أهْلِ البَلَدِ بعامِلِها، وفَتَحُوا البابَ، ودَخَلَ مُقدَّمُ العَسْكَرِ فملَكَ البَلَدَ، وذلك سَنَةَ ثمانٍ وسَبْعينَ. وانقَرَضَتْ دَوْلَةُ بني مَرْوانَ مِن دِيارِ بَكْرٍ، واسْتَوْلَى عليها فخرُ الدَّوْلَةِ بنُ جَهيرٍ[1]. ثم أخَذَها السُّلْطانُ مِن يَدِه، وسار إلى المَوْصِلِ فتُوفِّيَ بها، وكان مَوْلِدُه بها، واسْتَخْدَم لبَرَكَةَ بنِ مُقلَّدٍ وسَفَرَ عنهُ إلى مَلِكِ الرُّومِ. ثم سارَ إلى حَلَبَ ووَزَرَ لمعزِّ الدَّوْلَةِ أبي ثُمالٍ بنِ صالحٍ. ثمَّ مَضَى إلى مَلَطْيَةَ ثمَّ إلى مَرْوانَ بديارِ بَكْرٍ، فوزَرَ له ولوَلَدِه. ثم سار إلى بَغْدادَ ووَزَرَ للخَليفَةِ كما مَرَّ، إلى آخِرِ ما ذَكَرْناه، وتُوفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ[2].

خَبَرُ الوِزارةِ

لمَّا عَزَلَ الخليفةُ المُقْتَدِي عَميدَ الدَّوْلَةِ بنَ جَهيرٍ عن الوَزارةِ سنةَ ستٍّ وسَبْعين، رَتَّبَ في الدِّيوان أبا الفَتْحِ المُظفَّرَ بنَ رئيسِ الرُّؤساءِ[3]. ثم استَوْزَرَ أبا شُجاعٍ محمدَ بنَ الحُسَيْنِ[4]، فلم يَزَلْ في الوِزارةِ إلى سَنَةِ أربعٍ وثَمانينَ، فتَعَرَّضَ لأبي سَعْدِ بنِ سَمْحاءَ اليَهُودِيِّ، كان وكيلاً ببَغْدادَ للسُّلْطانِ ونظامِ المُلْكِ. وسار كُوهْرائينُ الشِّحْنَةُ إلى السُّلْطانِ بأصْبَهانَ فمَشَى اليَهُوديُّ في رِكابِه، وسمِعَ المُقْتَدِي بذلك، فخَرَجَ

(1) الكامل في التاريخ 10: 144.
(2) المصدر نفسه 10: 182-183.
(3) المصدر نفسه 10: 129؛ نهاية الأرب 23: 247-248.
(4) ولُقِّبَ ظهيرَ الدِّين.

تَوْقيعُه بإلْزام أهْلِ الذِّمَّة بالغِيَارِ، فأسْلَمَ بعضُهم وهرَبَ بعضُهم. وكان مِمَّنْ أسْلَمَ: أبو سَعْدٍ العلاءُ بنُ الحَسَنِ بنِ وَهْبِ بنِ مُوصَلايا الكاتِبُ وقَرابَتُه. ولما وَصَلَ كُوهْرائين وأبو سَعْدٍ إلى السُّلْطانِ وعَظُمت سِعايَتُهما في الوزيرِ أبي شُجاعٍ، فكَتَبَ السُّلْطانُ ونِظامُ المُلْكِ إلى المُقْتَدِي في عَزْلِه فعَزَلَه، وأمَرَه بلُزومِ بَيْتِه، ووَلَّى مكانَه أبا سَعْدٍ ابنَ مُوصَلايا كاتِبَ الإنْشَاء، وبَعَثَ المُقْتَدِي إليهما في عَميدِ الدَّوْلَة بنِ جَهِيرٍ، فبعثا به إليْه واسْتَوْزَرَهُ سنةَ أرْبَعٍ وثمانينَ، ورَكِبَ إليْه نِظامُ المُلْكِ فهَنَّأه بالوزارةِ في بَيْتِه[1].

وتُوفِّي الوزيرُ أبو شُجاعٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ[2].

اسْتِيلاءُ السُّلْطانِ على حَلَبَ

قد ذَكَرْنا من قبلُ اسْتِيلاءَ السُّلْطانِ ألْب أرْسَلان على حَلَبَ، وخُطْبَةَ [378 ب] صاحِبِها محمودِ بنِ صالحِ بنِ مِرْداسٍ/ على مَنابِرِه باسْمِه سنةَ ثلاثٍ وستِّينَ. ثم عادُوا بعدَ ذلك إلى طاعةِ العَلَوِيَّة بمصرَ. ثم انْتَقَضَتْ دَوْلَةُ بني مِرْداسٍ بها وعادت رِياسَتُها شُورَى في مَشْيَخَتِها، وطاعَتُهم لمسلِمِ بنِ قُرَيْشٍ صَاحِبِ المَوْصِلِ، وكبيرِهم ابنِ الحُتَيْتي. واسْتَقَرَّ مُلْكُ سُلَيْمانَ بنِ قَطَلْمَش ببلادِ الرومِ، ومَلَكَ أنطاكِيَةَ سنةَ سبعٍ وسَبْعينَ[3]. وتنازَعَ مع شَرَفِ الدَّوْلَةِ بنِ قُرَيْشٍ مُلْكَ حَلَبَ، وتزَاحَفا، فقَتَلَ سُلَيْمانُ

(1) الكامل في التاريخ 10: 130، 186-187.

(2) المصدر نفسه 10: 250.

(3) الكامل في التاريخ 10: 138.

ابنُ قَطَلْمَش مُسلمَ بنَ قُرَيْشٍ سنةَ تِسْعٍ وسَبْعِينَ[1]، وكَتَبَ إلى أهْلِ حَلَبَ يَسْتَدْعِيهِم إلى طاعَتِه، فاسْتَمْهَلوه إلى أن يُكاتِبوا السُّلْطانَ مَلِكْشاه، لأنَّ الكلَّ كانوا في طاعَتِه، وكتبوا إلى تُتُش أخِي السُّلْطانِ وهو بدِمَشْق أنْ يُمَلِّكُوه، فسارَ إليهم ومعَه أُرْتُق بنُ أَكْسَبَ، كان قد لَحِق به عندما جاء السُّلْطانُ إلى المَوْصِلِ وفتَحَها، خَشْيةً مِمّا فَعَلَه في خَلاصِ مُسْلمِ بنِ قُرَيْشٍ من حصارِ آمِدَ، فأقْطَعَه تُتُش بَيْتَ المَقْدِس.

فلمَّا جاء تُتُش إلى حَلَبَ وَجَدَ سُلَيْمانَ بنَ قَطَلْمَش قد سَبَقَه إليها فاقْتَتَلوا وانْهَزَم سُلَيْمانُ وقُتِل، ومَلَكَ تُتُش حَلَبَ، وحَاصَرَ القَلْعةَ، وبها سالمُ بنُ مالكِ بنِ بَدْرانَ، ابنُ عمِّ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بنِ مُسْلِمِ بنِ قُرَيْشٍ، وكان ابنُ الحُتَيْتي وأهْلُ حَلَبَ قد كاتَبوا السُّلْطانَ مَلِكْشاه أنْ يُسَلِّموا إليْه البلَدَ، فسار من أَصْبَهانَ في جُمادَى سنةَ تِسْعٍ وستِّينَ، ومرَّ بالمَوْصِلِ، ثمَّ بحَرَّان فتَسلَّمها وأقْطَعَها محمدَ بنَ مُسْلم بن قُرَيْش، ثمَّ بالرُّها فملَكَها من يَدِ الرُّومِ، ثم بقَلْعَةِ جَعْبَرَ فحَصَرها ومَلَكَها من يَدِ بَعْضِ بني قُشَيْرٍ، ثمَّ بمَنْبِج فملَكَها، ثم عَبَرَ الفُراتَ إلى حَلَبَ فأجْفَلَ أخوه تُتُش إلى البرِّيَّةِ ومعَه أُرْتُق. ثم عادَ إلى دِمَشْق، وكان سالمُ بنُ مالكٍ مُمْتَنِعًا بالقَلْعَةِ، فاسْتَنْزَلَه منها وأقْطَعَه قلعةَ جَعْبَرَ، فلم تَزَلْ بيَدِه ويَدِ بَنِيه حتَّى مَلَكَها منهم نورُ الدِّينِ العادلُ. وبعَثَ إلى السُّلْطانِ بالطَّاعةِ صاحبُ شَيْزَرَ نَصْرُ بنُ عليِّ بنِ مُنْقِذ الكِنانيُّ، وسَلَّمَ إليه اللَّاذِقيَّةَ وكَفَرطابَ وفامِيةَ، فأقرَّه على شَيْزَرَ، ووَلَّى السُّلْطانُ على حَلَبَ قَسيمَ الدَّوْلَةِ آقْسُنْقُرَ جَدَّ نُورِ الدِّين العادِلِ، ورَحَلَ إلى العراقِ، وطَلَبَ أهْلُ حَلَبَ أنْ يُعْفِيَهم

(1) المصدر نفسه 10: 140.

منَ ابنِ الحُتيْتي ، فحَمَلَه معَه وأنْزَلَه بدِيارِ بَكْرٍ ، فتُوفِّي فيها بحالِ إمْلاقٍ[1] .

ودخَل السُّلْطانُ بَغْدادَ في ذي الحِجَّةِ من سنةِ تِسْعٍ وسَبْعين، وأهْدَى إلى المُقْتَدِي وخَلَعَ عليه الخَلِيفَةُ، وقد جَلَسَ له في مَجْلِسٍ حَفْلٍ، ونِظامُ المُلْكِ قائمٌ يُقَدِّمُ أُمراءَ السُّلْطانِ/ واحدًا بعدَ آخَرَ للسَّلامِ على الخَلِيفَةِ، ويُعرِّفُ بأسمائِهم ومَرَاتِبِهم. ثم [379 أ] فَوَّض الخَلِيفَةُ المُقْتَدِي إلى السُّلطانِ أمورَ الدَّوْلَةِ، وقبَّلَ يَدَه وانصَرَفَ[2] .

ودخَلَ نِظامُ المُلْكِ إلى مَدْرَستِه، فجَلَسَ في خِزانةِ الكُتُبِ، وأسْمَعَ جُزْءَ حَدِيثٍ، وأمْلَى آخَرَ، وأقام السُّلْطانُ ببَغْدادَ شهرًا. ورَحَلَ في صَفَرٍ من سنةِ ثمانين إلى أصْبَهانَ[3] ، وجاء إلى بَغْدادَ مرَّةً أُخْرَى في رَمَضَانَ من سنةِ أرْبَعٍ وثمانينَ، ونَزَلَ بدارِ المُلْكِ، ووَفَدَ عليه أخُوه تاجُ الدَّوْلَةِ تُتُش مِن دِمَشْق، وقَسِيمُ الدَّوْلَةِ آقْسُنْقُر من حَلَبَ، وغيرُهما من أُمراءِ النَّواحِي. وعَمِلَ صَنِيعًا ليلةَ الميلادِ من سنةِ خَمْسٍ وثمانينَ لم يَرَ أهْلُ بَغْدادَ مِثْلَه، وأخَذَ الأمراءُ في بناءِ الدُّور ببَغْدادَ لسُكْناهُم عندَ قُدُومِهم، فلم تُمْهِلْهمُ الأيَّامُ لذلك[4] .

(1) الكامل في التاريخ 10: 148-150، وزبدة الحلب 2: 95-99؛ ونهاية الأرب 26: 324-325.

(2) المصدر نفسه 10: 155-156.

(3) المصدر نفسه 10: 157.

(4) المصدر نفسه 10: 199، 200.

فِتَنُ بَغْـدَادَ

كانتْ مَدِينَةُ بَغْدادَ قدِ احْتَفَلَتْ في كَثْرةِ العُمْرانِ بما لم تَنْتَهِ إليه مَدِينَةٌ في العالَمِ منذ مَبْدإِ الخَليقَةِ فيما عَلِمْناه، واضْطَرَبَتْ آخِرَ الدَّوْلَةِ العبَّاسِيَّةِ بالفِتَنِ، وكَثُرَ فيها المفسِدُونَ والدُّعَّارُ والعَيَّارُونَ منَ الدَّهْماء، وأعْيَى على الحُكَّامِ أمْرُهم، وربَّما أرْكَبوا العساكِرَ لقتالِهم ويُثْخِنُونَ فيهم، فلم يَحْسِمْ ذلك من عِلَلِهم شيئًا.

وربَّما حَدَثَتِ الفِتْنةُ من أهْلِ المذاهِبِ، بَيْنَ أهلِ السُّنَّةِ والشِّيعة من الخِلافِ في الإمامةِ ومَذاهِبِها، وبينَ الحنابلةِ والوُعَّاظِ من الشَّافِعِيَّةِ وغيرِهم من تَصْريحِ الحَنابِلَةِ بالتَّشْبيهِ في الذَّاتِ والصِّفاتِ، ونِسْبَتِهِم ذلك إلى الإمامِ أحمدَ، وحاشاهُ منه، فيَقَعُ الجِدالُ والنَّكيرُ، ثم يُفْضِي إلى الفِتْنةِ بين العَوامِّ.

وتكرَّر ذلك ببَغْدادَ منذ حُجِرَ الخُلَفاء. ولم يَقْدِرْ بنو بُوَيْه ولا السُّلْجُوقيَّةُ على حَسْمِ ذلك منها، لسُكْنَى أولئك بفارِسَ، وهؤلاءِ بأصْبَهانَ، وبُعْدِهم عن بَغْدادَ. والشَّوْكَةُ التي يكونُ بها حَسْمُ العِلَلِ لا تُفارِقُهم. وإنَّما تكونُ ببغْدادَ شِحْنَةٌ تَحْسِمُ ما خَفَّ من العِلَلِ ما لم يَنْتَهِ إلى عُمومِ الفِتْنةِ، ولا يَحْصُلُ من مُلُوكِهِمُ اهْتِمامٌ لحسْمِ ذلك، لاشْتِغالِهم بما هو أعْظَمُ منه في الدَّوْلَةِ والنَّواحي، وعامَّةُ بَغْدادَ أهْوَنُ عليهم /[379 ب] من أن يَصْرِفوا هِمَّتَهم عن العظائِمِ إليْهم. فاسْتَمَرَّت هذه العِلَّةُ ببَغْدادَ، ولم يُقْلَعْ عنها إلى أن أخْلَقَتْ جِدَّتُها وتَلاشَى عُمْرانُها، وهي طِرازٌ في رِدائِها لم تُذْهِبْه الأيَّامُ.

مَقْتَلُ نِظامِ المُلْكِ وأخْبارُهُ

كان من أبناءِ الدَّهاقين بطُوسَ، واسْمُه أبو عليٍّ الحَسَنُ بنُ عليِّ بنِ إسْحاق، فشَبَّ وقرأ بها، وسَمِعَ الحديثَ الكثير، وتعَلَّق بالأعمالِ السُّلْطانيَّةِ، وظَهَرت فيها كِفايَتُه، وكان يُعْرَفُ بحَسَنٍ الطُّوسِيِّ. وكانَ أميرُه الذي يَسْتَخدِمُهُ يصادِرُه كلَّ سنةٍ، فهَرَبَ عنه إلى داودَ جِغْري بك، وطَلَبَه مَخْدُومُه الأميرُ فمَنَعَه، وخَدَم أبا عليِّ بنَ سادانَ مُتَوَلِّيَ الأعمالِ ببَلْخَ لجِغْرِي بك أخِي السُّلْطانِ طُغْرُلْبك، وهو داوُدُ والِدُ السُّلْطانِ ألْب أرْسَلان. ولمَّا مات أبو عليٍّ وقد عُرِف نِظامُ المُلْكِ هذا بالكِفايةِ والأمانةِ، أوْصَى به ألْبَ أرْسَلان فقام بأمُورِ دَوْلَتِه ودَوْلةِ ابْنِه مَلِكْشاه من بعدِه، وبلَغ المبالغ ـ كما مرَّ ـ واسْتَوْلَى على الدَّولة.

ووَلَّى أولادَه الأعمالَ، وكان فيمَن وَلَّاه مِنهم: عثمانُ ابنُ ابنِه جمالِ المُلْكِ وَلِيَ على مَرْوَ، وبعَثَ السُّلْطانُ إليها شِحْنَةً من أعْظَمِ أُمرائِه ووقَع بَيْنَه وبينَ عثمانَ نِزاعٌ، فحَمَلَته الحداثةُ والإذلالُ بجاهِه على أنْ قَبَضَ على الأميرِ وعاقَبَه، فانْطَلَقَ إلى السُّلْطانِ مُسْتَغِيثًا، وامْتَعَضَ لها السُّلْطانُ، وبعَثَ إلى نِظامِ المُلْكِ بالنَّكيرِ مَعَ خواصِّه وثِقاتِه، فحَمَلَتْه الدَّالةُ إلى تعديلِ حُقُوقِه على السُّلْطان، وإطْلاق القَوْلِ في العِتابِ والتَّهْدِيدِ بطَوارِقِ الزَّمَنِ. وأرادُوا طَيَّ ذلك عن السُّلْطانِ، فوَشَى به بعضُهم. فلمَّا كان رمَضانُ من سنةِ خَمْسٍ وثمانينَ، والسُّلْطانُ على نَهاوَنْد عائدًا من أصْبَهانَ إلى بَغْدادَ، وقدِ انْصَرَفَ نِظامُ المُلْكِ يَوْمَه ذلك من خَيْمَةِ السُّلْطانِ إلى خَيْمَتِه، فاعْتَرَضَه صَبِيٌّ، قيل: إنَّه منَ الباطنيَّةِ في صُورَةِ مُسْتَغيثٍ، فطَعَنَهُ بسِكِّينةٍ فماتَ،

وهرَبَ الصبيُّ فأُدرِك وقُتِل. وجاء السلطانُ إلى خَيْمةِ نِظامِ المُلْكِ، وأسْكَنَ أصْحابَه وعَسْكَرَه، وذلك لثلاثينَ سنةً من وِزارَتِه سِوَى ما وَزَرَ لأبيه ألْب أرْسَلان أيّامَ إمارَتِه بخُراسَانَ(1).

وَفَاةُ السُّلْطانِ مَلِكْشَاه ومُلْكُ ابْنِه محمود

لمَّا قُتِلَ نِظامُ المُلْكِ على نَهاوَنْدَ ـ كما ذكَرْناه ـ سارَ السُّلْطانُ لوَجْهِه، ودَخَلَ بَغْدَادَ آخِرَ رَمَضَانَ من سَنَتِه(2)، ولَقِيَه الوزيرُ / عَمِيدُ الدَّوْلَةِ بنُ جُهَيْرٍ، واعْتَزَمَ [أ380] السُّلْطانُ أن يُولِّيَ وِزارَتَه تاجَ المُلْكِ، وهو الذي سَعَى بنظامِ المُلْكِ، وكانت قد ظَهَرَتْ كِفايَتُه. فلمَّا صَلَّى السُّلْطانُ العِيدَ عاد إلى بَيْتِه وقد طَرَقَه المَرَضُ، وتُوفِّيَ مُنْتَصَفَ شوَّالٍ، فكَتَمَتْ زَوْجَتُه تُرْكان خاتُون مَوْتَه، وأنزلَتْ أمْوالَها وأمْوالَ أهْلِ الدَّوْلَةِ بحَرِيمِ دارِ الخِلافَةِ، وارْتَحَلَتْ إلى أصْبَهَانَ. وشِلْوُ السُّلْطانِ معَها في تابوتِه، وقد بَذَلَتِ الأمْوالَ للأمراءِ على طَاعةِ ابنِها محمودٍ والبَيْعةِ له، فبايَعُوه، وقَدَّمَتْ منَ الطَّرِيقِ قِوامَ الدَّوْلَةِ كربُوقا ـ الذي مَلَكَ الموصِلَ من بعدِ ذلك ـ فسار بخاتَمِ

(1) الكامل في التاريخ 10: 204-206 (عنه مع تقديم وتأخير في سياقة الخبر)؛ نهاية الأرب 26: 330-333. وعن سيرة الوزير نظام المُلْك انظر دراسة الدكتور عبد الهادي محبوبة: نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطُّوسي (408-485هـ) كبير الوزراء في الأمّة الإسلامية ـ دراسة تاريخية في سيرته وأهمّ أعماله خلال استيزاره، القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية 1999؛ C.E. BOSWORTH, *EI*² art. *Nizam al-Mulk* VIII, pp. 71-74.

(2) أي سنة 485هـ.

السُّلْطانِ لنائبِ القَلْعَةِ وتسلَّمَها[1]. ولمَّا بايَعَتْ لوَلَدِها محمودٍ وعُمْرُه يَوْمَئذٍ أرْبَعُ سِنِينَ، بعَثَتْ إلى الخَليفَةِ المُقْتَدي في الخُطْبَةِ له، فأجابَها على شَرْطِ أن يَكُونَ أنَر[أ]، مِن أُمَرَاءِ أبِيه، هو القائمَ بتَدْبِيرِ المُلْكِ، وأن يَصدُرَ عن رأيِ الوَزيرِ تاجِ المُلْكِ، ويكونَ له تَرْتِيبُ العُمَّالِ وجِبايَةُ الأمْوالِ، فأبَتْ أوَّلاً من قَبُولِ هذا الشَّرْطِ، حتى جاءَها الإمامُ أبو حامدٍ الغَزَّاليُّ وأخْبَرَها أنَّ الشَّرْعَ لا يُجيزُ تَصرُّفَ ابنِها، فأذْعَنَتْ لذلكَ، فخُطِبَ لابْنِها آخِرَ شَوَّالٍ من السَّنَةِ، ولُقِّبَ ناصِرَ الدُّنيا والدِّين، وكُتِبَ إلى الحرمَيْنِ الشَّريفينِ فَخُطِبَ لهُ بهما[2].

ثَوْرةُ بَرْكِيارُقَ بنِ مَلِكْشاه

كانتْ تُرْكانُ خاتُون عندَ مَوْتِ السُّلْطانِ مَلِكْشاه قد كَتَمَتْ مَوْتَه وبايَعَتْ لابنِها محمودٍ، كما قُلْناه، وبعثَتْ إلى أصْبهانَ سرًّا في القَبْضِ على بَرْكِيارُق ابن السُّلْطانِ مَلِكْشاه [مَخَافَةَ][ب] أنْ يُنازِعَ ابنَها محمودًا فحُبِس. فلمَّا ظَهَرَ مَوْتُ مَلِكْشاه وَثَبَ مَماليكُ نِظامِ المُلْكِ على سِلاحٍ كان له بأصْبهَانَ وثارُوا في البلَدِ، وأخْرَجوا بَرْكِيارُقَ من مَحْبِسِه وبايَعُوه وخَطَبُوا له بأصْبهَانَ. وكانَتْ أمُّه زُبَيْدَةُ بنتُ عَمِّ مَلِكْشاه

(أ) النسخ : أنز ، وهو ما يتفق مع إحدى نسخ الكامل . (ب) إضافة اقتضاها السِّياق.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 210-211؛ نهاية الأرب 26: 333-334.

(2) المصدر نفسه 10: 214؛ المصدر نفسه 26: 335-336.

ـ وهو ياقوتيّ [بنُ داوُد] ـ خائفةً على وَلَدِها من خاتُونَ أمّ محمودٍ، وكان تاجُ المُلْكِ قد تقدَّم إلى أصْبَهَانَ وطالَبه العَسْكرُ بالأمْوالِ، فطَلَعَ إلى بَعْضِ القِلاعِ ليُنْزِلَ منها المالَ، وامْتَنَعَ بها خَوْفًا من مَماليكِ نِظامِ المُلْكِ. ولما وَصَلَتْ تُرْكانُ خاتُون إلى أصْبَهَانَ جاءَها فقَبِلَتْ عُذْرَه[1].

وكان بَرْكِيارُق لمَّا/ قارَبَتْ خاتُونُ وابْنُها محمودٌ أصْبَهَانَ خَرَجَ فيمَن معَهُ من النِّظَامِيَّةِ إلى الرَّيِّ، واجْتَمَعَ معه بعضُ أُمراءِ أَبِيه، وبعَثَتْ خاتُونُ العساكِرَ إلى قِتالِه، وفيهم أُمَراءُ مَلِكْشاه. فلمَّا تراءَى الجَمْعانِ هَرَبَ كثيرٌ منَ الأمراءِ إلى بَرْكِيارُق، واشْتَدَّ القتالُ، فانْهَزَم عَسْكَرُ محمودٍ وخَاتُونَ، وعادوا إلى أصْبَهَانَ، وسَارَ بَرْكِيارُق في أثَرِهم فحَاصَرَهم بها[2]. [380 ب]

مَقْتَلُ تاجِ المُلْكِ

كان الوزيرُ تاجُ المُلْكِ قد حَضَرَ معَ عَسْكَرِ خاتُونَ وشَهِدَ وَقْعَةَ بَرْكِيارُق. فلمَّا انْهَزَموا سار إلى قَلْعَةِ بَرُوجِرْد[3] فحُبِسَ في طَرِيقِه، وحُمِلَ إلى بَرْكِيارُق وهو محاصِرٌ أصْبَهَانَ، وكان يَعْرِفُ كِفايَتَه فأَجْمَعَ أن يَسْتَوْزِرَه، وأَصْلَحَ هو النِّظامِيَّةَ وبَذَلَ

(1) الكامل في التاريخ 10: 215.

(2) المصدر نفسه 10: 215-216؛ نهاية الأرب 26: 335-336.
وانظر ترجمة بَرْكِيارُق (بَرْكِيارُوق) بن السُّلْطان مَلِكْشاه في الوافي بالوفيات 10: 121-122؛ CL. CAHEN, *EI*² art. *Barkyārūk* I, pp. 1083-84.

(3) بَرُوجِرْد. بَلْدَةٌ بين هَمَذان وبين الكَرَج، وهي إلى الكَرَج أقرب (معجم البلدان 1: 404).

لهم مائتَيْ ألْفِ دِينارٍ اسْتَرْضاهُم بها. ونَمَا ذلك إلى عُثْمانَ نائِبِ نِظامِ المُلْكِ، فوَضَع الغِلْمانَ الأصاغِرَ عليه الطَّالِبينَ ثأرَ سَيِّدِهِم، وأغْرَاهم فقتَلُوه وقَطَّعوه قِطَعًا، وذلك في المحرَّمِ سنةَ ستٍّ وثَمانِينَ[1].

ثم خرَجَ إلى بَرْكِيَارُق من أصْبَهانَ وهو محاصِرٌ لها عزُّ المُلْكِ أبو عَبْدِ اللهِ الحسينُ بنُ نِظامِ المُلْكِ، وكان على خُوارِزْمَ، ووَفَدَ على السُّلْطانِ مَلِكْشاه قَبْلَ مَقْتَلِ أبيه. ثم كان مَهْلِكُهُما، فأقام هو بأصْبَهانَ، وخرَجَ إلى بَرْكِيارُق وهو يُحاصِرُها فاسْتَوْزَرَهُ وفوَّضَ إليه أُمورَ دَوْلَتِه[2].

الخُطْبةُ لبَرْكِيارُق ببَغْدادَ

ثمَّ قَدِم بَرْكِيَارُق بَغْدادَ سنةَ سِتٍّ وثمانينَ، وطَلَب من المُقْتَدِي الخُطْبةَ فخُطِبَ له على منابِرِها ولُقِّب رُكْنَ الدِّينِ، وحَمَلَ الوزيرُ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ بنُ جُهَيْرٍ إليه الخِلَعَ فلَبِسَها[3]، وتُوفِّي المُقْتَدِي وهو مقيمٌ ببغْدادَ.

(1) الكامل في التاريخ 10: 216.

(2) المصدر نفسه 10: 219؛ نهاية الأرب 26: 337.

(3) المصدر نفسه 10: 229 وذلك في يوم الجمعة رابع عشر المحرَّم سنة 487هـ.

وَفَاةُ المُقْتَدِي، ونَصْبُ المُسْتَظْهِرِ للخلافَة

ثم تُوفِّي المقتدِي بأمرِ اللهِ: أبو القاسِمِ عبدُ اللهِ بنُ الذَّخِيرةِ محمدِ بنِ القائمِ بأمرِ اللهِ في مُنتَصَفِ مُحرَّمٍ سَنَةَ سَبْعٍ وثمانِينَ، وكان موتُه فجأةً، أُحْضِر عندَه تَقليدُ السُّلطانِ بَرْكِيَارُق ليُعلِّمَ عليه فقرَأه ووَضَعَه، ثم قُدِّم إليه طَعامٌ فأكَلَ منه، ثم غُشِيَ عليه وماتَ. وحضَرَ الوزيرُ فجَهَّزُوا جنازَتَه، وصَلَّى عليه ابنُه أبو العبَّاسِ أحمدُ ودُفِن، وذلك لِتِسْعَ عَشْرَةَ سنةً وثمانيةِ أشهرٍ من خلافتِه(1).

وكانت له قوَّةٌ وهِمَّةٌ لولا أنَّه كان مُغَلَّبًا، / وعَظُمتْ عِمارةُ بغدادَ في أيامِه(2)، [153أ]
وأظُنُّ ذلك لاستِفْحالِ دَوْلةِ بني طُغْرُلْبك.

ولمَّا تُوفِّي المُقْتَدِي وحَضَرَ الوزيرُ، أحْضَرَ ابنَه أبا العَبَّاسِ أحمدَ والحاشيةَ فبايَعُوه ولقَّبوه المسْتَظْهِرَ، ورَكِبَ الوزيرُ إلى بَرْكِيارُق، وأخَذَ بَيْعَتَه للمُسْتَظْهِر. ثم حَضَرَ بَرْكِيارُق لثالثةٍ من وَفاتِه ومعَه وَزِيرُه عزُّ المُلْكِ بنُ نِظَامِ المُلْكِ وأخوه بهاءُ المُلْكِ، وأمَرَ السُّلْطانُ بأرْبابِ المناصِبِ فجُمِعُوا، وحَضَرَ النَّقِيبانِ طَرَّادٌ العَبَّاسيُّ والمعمرُ العَلَويُّ، وقاضِي القُضاةِ أبو عَبْدِ اللهِ الدَّامغانيُّ والغَزَّاليُّ والشَّاشِيُّ وغيرُهم فجَلَسُوا في العَزَاءِ وبايَعُوا(3).

(1) الكامل في التاريخ 10: 229-230؛ نهاية الأرب 23: 252.
(2) المصدر نفسه 10: 230.
(3) المصدر نفسه 10: 231.

أخبارُ تُتُشَ وانْتقاضُه وحُروبُه ومَقْتَلُه

قد ذكَرْنا فيما تقدَّم أنَّ تُتُشَ ابنَ السُّلطانِ ألْب أرْسَلانَ اسْتَقَلَّ بمُلْكِ دِمَشْقَ وأعمالِها، وأنَّه وَفَدَ على السُّلْطانِ مَلِكْشاه ببغدادَ قبْلَ مَوْتِه وانصرَفَ، وبلَغه خبَرُ وَفاتِه بِهِيتَ، فَمَلَكها وسار إلى دِمَشْقَ لجَمْعِ العساكر، وزحَفَ إلى حَلَبَ فأطاعَه صاحِبُها قَسِيمُ الدَّوْلةِ آقْسُنقُرُ، وسار معَه، وكتَبَ إلى باغِيسِيانَ صاحِبِ أنطاكيَةَ وإلى يَزان صاحبِ الرُّها وحَرَّانَ يُشِيرُ عليهما بطاعةِ تُتُش حتَّى يَصْلُحَ حالُ أولادِ مَلِكْشاه فقبِلُوا منه، وخطَبُوا له في بلادِهم، وسارُوا معه، فحَضَرَ الرَّحْبَةَ ومَلَكَها في المحرَّم سنةَ سِتٍّ وثمانِينَ، فخَطَبَ فيها لنفسِه. ثم فتح نَصِيبِينَ عَنْوةً، وعاثَ فيها، وسلَّمها لمحمدِ بنِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ مُسْلم. وسار يريدُ الموصِلَ، ولَقِيَه الكافي ابنُ فخرِ الدَّوْلَةِ بنِ جُهَيرٍ، وكان في جزيرَةِ ابنِ عمَرَ، فاسْتَوْزَرَهُ وبعَثَ إلى إبراهيمَ بنِ شَرَفِ الدَّولةِ مُسلمِ بنِ قُرَيْشٍ، وهو يومَئذٍ مَلِكُ الموَصِلِ، يأمُرُه بالخُطْبةِ له، وتَسْهيلِ طريقِهِ إلى بغدادَ، فأبَى من ذلك وزَحَفَ إليه تُتُش وهو في عشَرةِ آلافٍ، وآقْسُنقرُ على مَيْمَنَتِه وبُوزانُ على مَيْسَرتِه، وإبراهيمُ في ثلاثِينَ ألْفًا. والْتَقَوا، فانهزَمَ إبراهيمُ وأُخِذ أسيرًا، وقُتِلَ جماعةٌ من أُمراءِ العَرَبِ صَبرًا. ومَلَكَ تاجُ الدَّوْلة تُتُشُ الموصِلَ، ووَلَّى عليها عليَّ بنَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ - وأمُّه صفيةُ عَمَّةُ تُتُشَ - وبعَثَ إلى بغدادَ يَطْلُبُ الخُطْبةَ، وساعَدَه كُوهَرائينُ الشِّحْنَةُ، فجاء العُذْرُ بانتظارِ الرُّسُلِ من العَسْكرِ، فسارَ إلى/ دِيارِ بَكْرٍ ومَلَكَها، ثم إلى أَذْرَبِيجان. [381 ب]

وبلَغ خبرُه إلى بَرْكِيارُق، وقدِ اسْتَوْلى على هَمَذانَ والرَّيِّ، فسار لمدافعَتِه،

فلمَّا تقارَبَ العَسْكَرَانِ جنحَ آقْسُنْقُر إلى بَرْكِيَارُق وفَاوَض تُوران في ذلِك، وأنَّهما إنَّما اتبَّعا تُتُش حتَّى يظهَرَ أمْرُ أولادِ مَلِكْشاه، فوَافقَه على ذلك وسارَا معًا إلى بَرْكِيَـارُق، فانْهزَمَ تُتُش وعاد إلى دِمَشْق. واسْتفْحَل بَرْكِيَـارُق، وجاءَه كُوهْرائين يَعْتَـذِرُ من مساعَدتِه لتُتُش في الخُطْبَةِ فلم يَقْبَلْه، وعَزَلَه، ووَلَّى الأميرَ نكبرد شِحْنَةً ببَغْدادَ مكانَه. ثم خَطَبَ لبَرْكِيَارُق، ببغْدادَ كما قدَّمْناه[1].

ومَاتَ المُقْتَدِي ونُصِب المُسْتَظْهِرُ، ولمَّا عادَ تُتُش من أَذْرَبِيجان إلى الشَّامِ جَمَعَ العساكِرَ، وسار إلى حلَبَ لقتالِ آقْسُنْقُر، وبعَث بَرْكِيَارُق كَرْبُوقا ـ الذي صار أميرَ المَوْصِلِ ـ مَدَدًا لآقْسُنْقُر، ولَقِيَهم تُتُش قريبًا من حلَبَ فهزَمَهم وأُسِرَ آقْسُنْقُر فقتَلَه صَبْرًا. ولَحِقَ تُورانُ وكربوقا حَلَبَ، وحاصَرَهُما تُتُش فَملَكَها وأخَذَهُما أسيرَيْنِ، وبعَثَ إلى حَرَّانَ والرُّها في الطَّاعةِ، وكانتا لتُورانَ فامْتَنَعوا، فبَعَثَ برأسِه إليهم وأطاعُوه، وحبَسَ كَرْبُوقَا في حِمْص إلى أن أطْلَقَه رِضْوانُ بعدَ قَتْلِ أبيه تُتُش.

ثمَّ سارَ تُتُش إلى الجزيرةِ فَملَكَها، ثم دِيارِ بَكْرٍ، ثمَّ خِلاطَ وأرْمِينيَّةَ، ثم أَذْرَبِيجان. ثم سار إلى هَمَذانَ فَملَكَها، وكان بها فَخْرُ الدَّوْلَةِ بْنُ نِظامِ المُلْكِ، سار من خُراسَانَ لِخدْمَةِ بَرْكِيَارُق، فلَقِيَه الأمِيرُ قُماج من عَسْكرِ محمودِ بنِ مَلِكْشاه بأصْبَهَانَ فنَهَبَ مالَه ونَجَا بنفْسِه إلى هَمَذانَ، وصادَف بها تُتُش، وشَفَعَ فيه باغيسيان وأشار بوِزارَتِه فاسْتَوْزَرَه، وأرْسَل إلى بغدادَ بطَلَبِ الخُطْبَةِ من المُسْتَظْهِرِ، وبعَث يُوسُف ابنَ أبَق التُّرْكُمَانيَّ شِحْنَةً إلى بغدادَ في جمعٍ من التُّرْكمانِ، فَمُنِع من دُخُولِها[2].

(1) الكامل في التاريخ 10: 232-233.

(2) زبدة الحلب لابن العديم 2: 102-108.

وكان بَرْكِيَارُق قد سار إلى نَصِيبِين لمدافعةِ عمِّه تُتُش، فلمَّا بلغَه مَسِيرُه إلى أَذْرَبِيجان سار هو من نَصِيبِينَ، وعَبرَ دِجْلَةَ فوقَ المَوْصِلِ إلى أرْبِلَ، ثم إلى بلدِ سِرْخابَ بنِ بَدْرٍ، حتى إذا كان بينَه وبينَ عمِّه تِسْعةُ/ فراسِخَ، وهو في ألْفِ رَجُلٍ، [382أ] وعمُّه في خَمْسينَ ألفًا فبيَّتَه بعضُ الأمراءِ من عَسْكرِ عمِّه فانْهزَمَ إلى أصْبَهانَ، وبها محمودٌ ابنُ أخيه، وقد ماتَتْ أُمُّه تركان خاتُون، فأدْخَله أمراءُ محمودٍ، واحتاطُوا عليه. ثم مات محمودٌ سَلْخَ شَوَّالٍ من سنةِ سبْعٍ وثمانينَ، واستَوْلَى بَرْكِيارُق على الأمْرِ، وقَصدَه مُؤيِّدُ المُلْكِ بنُ نِظامِ المُلْكِ فاسْتَوْزَرَه في ذِي الحِجَّةِ، واسْتَمالَ الأمراءَ فرَجَعُوا إليه وكَثُرَ جَمْعُه. وكان تُتُش بعدَ هزيمةِ بَرْكِيارُق قدِ اخْتَلَفَ عليه الأمراءُ، وراسَلَ أُمراءَ أصْبَهانَ يَدْعُوهم إلى طاعَتِه، فواعَدُوه انتِظارَ بَرْكِيارُق، وكان قد أصابَه الجُدَرِيُّ، فلما أَبَلَّ نَبَذُوا إليه عَهْدَه، وسارُوا معَ بَرْكِيارُق من أصْبَهانَ، وأقبلَتْ إليهم العساكِرُ من كلِّ مكانٍ، وانتَهَوْا ثلاثينَ ألفًا والْتَقَوْا قريبًا من الرَّيِّ، فانْهزَمَ تُتُش وقَتَلَه بَعْضُ أصْحابِ آقْسُنْقُر، وكان قد حَبَسَ وزيرَه فَخْرَ المُلْكِ بنَ نِظامِ المُلْكِ، فأُطْلِقَ ذلك اليوم، واسْتَفْحَلَ أمْرُ بَرْكِيارُق وخُطِبَ له ببَغْدادَ(1).

ظُهورُ السُّلْطانِ محمَّدِ بْنِ مَلِكْشاه والخُطْبةُ له ببغدادَ(أ)

كان السُّلْطانُ بَرْكِيارُق قد ولَّى على خُراسانَ وأعمالِها أخاه لأبيه سِنْجَرَ فاسْتَقَلَّ بأعْمالِ خُراسانَ، كما يُذكَرُ في أخبارِ دَوْلَتِهم عندَ انفرادِها بالذِّكْرِ، وإنَّما نَذكُرُ

(أ) سقط من ح.

(1) الكامل في التاريخ 10: 244-245، نهاية الأرب 27: 65-68.

هنا من أخبارِهم ما يتعلَّقُ بالخلافةِ والخُطْبَةِ لهم ببغدادَ، لأنَّ مَساقَ الكلامِ هُنا إنَّما هو عن أخبارِ دَوْلَةِ بني العبَّاسِ، ومَن وَزَرَ لهم أو تغلَّبَ عليهم خاصَّةً. وكان لسَنْجَرَ ابنِ مَلِكْشاه أخٌ شَقيقٌ اسْمُه محمَّدٌ، ولما هلَكَ السُّلْطانُ مَلِكْشاهُ سار معَ أخِيه محمودٍ وتركان خاتُون إلى أصْبهانَ. فلما حاصَرَهم بَرْكِيارُق لَحِقَ بهِ أخُوه محمَّدٌ هذا وسَار معَهُ إلى بَغْدادَ سنةَ سِتٍّ وثمانِينَ، وأقْطَعَه كنجةَ وأعْمالَها، وبعَثَ معَه قُطْلُغ تَكِينَ أتابَكًا. فلمَّا اسْتوَى على أمْرِه قتَلَه أنَفَةً من حَجْرِه.

ثمَّ لَحِقَ به مُؤيَّدُ المُلْكِ عُبَيْدُ الله بْنُ نِظَامِ المُلْكِ، كان معَ الأميرِ أنر، وداخَلَه في الخلافِ على السُّلطانِ بَرْكِيارُق. فلمَّا قُتِل أنر / كما يُذْكَرُ في أخْبارِهم، [382 ب] لَحِقَ مُؤَيَّدُ المُلْكِ بمحمَّدِ ابنِ السُّلْطانِ مَلِكْشاه، وأشارَ عليه بطَلَبِ السَّلْطَنَةِ ففعَلَ وخَطَبَ لنفسِه. واسْتَوْزَرَ مُؤَيَّدَ المُلْكِ.

وقارَن ذلك أنَّ السُّلْطانَ بَرْكِيارُق قتَل خالِصَته مَجْدَ المُلْكِ الباسلانيَّ، فاسْتَوْحَشَ منه أُمراؤه، ولَحِقوا بأخِيه محمدٍ، وسار بَرْكِيارُق إلى الرَّيِّ واجْتَمَعَ له بها عساكِر، وجاءه عِزُّ المُلْكِ مَنْصُورُ بنُ نِظامِ المُلْكِ في عساكِرَ، وبَيْنَما هو في الرَّيِّ إذ بَلَغَه مَسِيرُ أخِيه محمدٍ إليه، فأجْفَلَ راجعًا إلى أصْبهانَ فمنَعه أهْلُها الدُّخُولَ، فسار إلى خُوزِسْتانَ. وجاء السُّلْطانُ محمدٌ إلى الرَّيِّ أوَّلَ ذِي قَعْدةٍ من سنةِ ثِنْتَيْنِ وتِسْعين، ووَجَدَ أمَّ بَرْكِيارُق بها، وهي زُبَيْدةُ خاتونَ، فحَبَسَها مُؤَيَّدُ المُلْكِ وقتَلَها(1).

واسْتَفْحَلَ مُلْكُ محمدٍ، وجاءه سَعْدُ الدَّوْلَةِ كُوهْرائين شِحْنَةُ بَغْدادَ وكان مُسْتَوْحِشًا من بَرْكِيارُق، وجاء مَعَه كَرْبُوقا صاحبُ المَوْصِلِ، وجَكَرْمَشُ صاحبُ جَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ، وسِرْخابُ بنُ بَدْرٍ صاحبُ كِنْكَوَرَ، فلَقُوه جميعًا بِقُمَّ. وسار كَرْبُوقا

(1) الكامل في التاريخ 10: 288؛ نهاية الأرب 26: 341-342.

وجَزِمِكْش معه إلى أصبهانَ، وردَّ كُوهْرائين إلى بغدادَ في طَلَبِ الخُطْبَةِ من الخَليفَةِ، وأنْ يكونَ شِحْنَةَ بها، فأجَابَ المُستَظْهِرُ إلى ذلك، وخُطِبَ له مُنْتَصَفَ ذي الحِجَّةِ سنة ثِنْتَيْنِ وتِسْعينَ، ولُقِّبَ غياثَ الدُّنيا والدِّين(1).

إعادةُ الخُطْبة لبَرْكيارُق

لمَّا سار بَرْكِيارُقُ مُجْفِلاً من الرَّيِّ إلى خُوزِسْتانَ أمامَ أخِيه محمدٍ، وأميرُ عَسْكَرِه يومئذٍ يَنالُ بنُ أنُوشْتَكِينَ الحُسَامِيُّ، ومعه جماعةٌ من الأمراء، أجْمَعَ المسيرَ إلى العِرَاقِ، فسارَ إلى واسِطَ، وجاءه صَدَقَةُ بنُ مَزْيَدٍ صاحِبُ الحِلَّةِ. ثم سار إلى بغدادَ فخُطِبَ له بها مُنْتَصَفَ صَفَرٍ من سنةِ ثلاثٍ وتِسْعينَ.

ولَحِق سَعْدُ الدَّوْلَةِ كُوهْرائين ببعضِ الحصُونِ هنالِك، ومعَه أبو الغازي بنُ أُرْتُق وغيرُه من الأمراء، وأرْسَلَ إلى السُّلْطانِ محمدٍ ووزيرِه مؤيَّدِ المُلْكِ يَسْتَحِثُّهما في الوُصُولِ، فبَعَثَا إليه كَرْبُوقا: صاحِبَ المَوْصِلِ وجَكَرْمَش صاحِبَ الجزيرةِ فلَمْ يُرْضِه ذلك، وطَلَبَ جَرِمِكْش العَوْدَ إلى بلدِه فأطْلَقَه. ثم نزَع كُوهْرائين ومَن معَه من الأمراءِ إلى/ بَرْكِيارُق بإغْراء كَرْبُوقَا(أ) صاحِبِ المَوْصِلِ، وكاتَبُوه، فخَرَجَ إليْهم ودخَلُوا [383 أ]
معه بغدادَ، واسْتَوْزَرَ الأعَزَّ أبا المحاسِنِ عبدَ الجليلِ بنَ عليِّ بنِ محمدٍ الدَّهِسْتَانِيَّ،

(أ) ضبطت في ح بكسر الكاف.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 289. (يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة)؛ نهاية الأرب 26: 343.

وقبَض على عَميدِ الدَّولةِ ابنِ جَهيرٍ وزيرِ الخَليفَةِ وطالَبه بأموالِ دِيارِ بكْرٍ والمَوْصِلِ في وِلايتِه ووِلايةِ أبيه، وصادَرَه على مائةِ ألْفٍ وستِّينَ ألفَ دينارٍ فحَمَلَها إلَيْه، وخَلَعَ المُستَظْهِرُ على السُّلطانِ بَرْكِيارُق واستَقَرَّ أمْرُه[1].

المَصافُ الأوَّل بينَ بَرْكِيارُق ومحمدٍ، وقَتْلُ كُوهْرائِينَ والخُطْبَةُ لمحمد

ثمَّ سارَ بَرْكِيارُق من بغْدادَ عَلَى شَهْرَزُورَ لقتالِ أخِيه محمدٍ، واجْتَمَعَ إليه عَسْكَرٌ عَظِيمٌ مِن التُّرْكُمانِ، وكاتَبَه رئيسُ هَمَذانَ بالمسيرِ إليه فعَدَل عنه، ولَقِي أخاه محمدًا على فراسِخَ من هَمَذانَ، ومحمدٌ في عِشْرِينَ ألْفَ مقاتِلٍ، ومعَه الأميرُ سَرْمَز شِحْنَةُ أصْبهانَ، وعلى مَيْمَنَتِه أميرٌ آخَرُ وابْنُه إيازٌ، وعلى مَيْسَرتِه مؤيَّدُ المُلْكِ والنِّظامِيَّة. ومع بَرْكِيارُق في القَلْبِ وزيرُه أبو المحاسِنِ، وفي مَيْمَنَتِه كُوهْرائِينُ وصَدَقَةُ بنُ مَزْيَد، وسِرْخابُ بنُ بَدْرٍ. وفي مَيْسَرَتِه كَرْبُوقا وغيرُه من الأمراء.

فحَمَلَ كُوهْرائِينُ من مَيْمَنَةِ بَرْكِيارُق على مَيْسَرةِ محمدٍ، فانْهَزُموا حتَّى نُهِبَتْ خِيامُهم. ثمَّ حَمَلَتْ مَيْمَنَةُ محمدٍ على مَيْسَرَةِ بَرْكِيارُق فانْهَزَمَتْ، وحَمَلَ محمدٌ معَهم فانْهَزَم بَرْكِيارُق، ورَجَع كُوهْرائِينُ في طَلَبِ المُنْهَزِمين، فكَبا به فَرَسُه وقُتِل، وانْصَرَفَتْ عَساكِرُ بَرْكِيارُق وأُسِرَ وَزِيرُه أبو المحاسِنِ، فأكْرمه مؤيَّدُ المُلْكِ وأنْزَلَه وأعادَه إلى بغدادَ ليخاطِبَ المُسْتَظْهِرَ في إعادةِ الخُطبَةِ للسُّلْطانِ محمدٍ ففعَل، وخُطِبَ له ببغْدادَ منتصفَ رجَبٍ سنةَ ثلاثٍ وتِسْعينَ[2].

(1) الكامل في التاريخ 10: 293-294؛ نهاية الأرب 26: 343-344.

(2) المصدر نفسه 10: 294-295؛ المصدر نفسه 26: 344-345.

وابتداءُ أمرِ كُوهَرائين أنّه كانَ لامرأةٍ بخورِسْتانَ(1)، وصار خادمًا للمَلِكِ أبي كاليجار ابنِ سُلْطان الدَّوْلَةِ. وحَظِيَ عندَه، وكان يَسْتَعرِضُ حوائجَ تِلكَ المرأةِ، وأصابَ أهلَها منه خيرٌ. وأرسَلَه أبو كاليجارَ مع وَلَدِه أبي نَصْرٍ إلى بغداد، فلمّا قَبَضَ عليه السُّلْطانُ طُغْرُلْبِك مضى معَهُ إلى مَحْبِسِه بقَلْعَةِ/ طَبَرَكَ. ولَمّا ماتَ أبو نَصْرٍ سار إلى [383 ب] خِدْمَةِ السُّلْطانِ أَلْب أرْسَلان، فَحَظِي عندَه وأقطَعَه واسِطَ، وجعَلَه شِحْنَةَ بغدادَ.

وكان حاضِرًا معَه يومَ قَتْلِه يُوسُفَ الخُوارِزْمِيّ ووَقاه بنَفْسِه. ثم بعَثَه ابنُه مَلِكْشاه إلى بغدادَ لإحْضارِ الخِلَعِ والتَّقْليدِ، واسْتَقرّ شِحْنَةً ببَغْدادَ إلى أنْ قُتِل، ورأى ما لم يَرَه خادِمٌ قَبْلَه من نُفوذِ الكَلِمةِ وكمالِ القُدْرةِ، وخِدْمةِ الأُمراءِ والأعْيان وطاعَتِهِم(2).

مصافُّ بَرْكِيارُقَ مع أخيه سِنْجَرَ

لَمّا انهزَم السُّلْطانُ بَرْكِيارُق من أخيه محمدٍ، لَحِق بالرَّيِّ واسْتَدْعَى شِيَعَه وأنْصارَه من الأُمَراء فلَحِقُوا به. ثم سار إلى أسْفَرايينَ، وكاتَبَ الأميرَ دادَ حَبَشِيّ بنَ التُّونْتاق يَسْتَدْعِيه، وهو صاحِبُ خُراسانَ وطَبَرِسْتانَ، ومَنْزِلُه بالدّامَغان، فأشار عليه باللَّحاقِ بنَيْسابُورَ حتَّى يأتِيَه. فدَخَلَ نَيْسابُورَ وقَبَضَ على رؤسائِها، ثم أطْلَقَهم، وأساءَ التَّصرُّفَ. ثم أعادَ الكتابَ إلى دَاذَحَبَشِيّ بالاسْتِدْعاء فاعْتَذَرَ بأنَّ السُّلْطانَ سَنْجَرَ زَحَفَ إليه في عساكِرِ بَلْخَ. ثم سأل منه المَدَدَ، فسار بَرْكِيارُقُ إليه في ألْفِ

(1) في الكامل : لامرأةٍ من قُزقُوب بخُوزِسْتان.

(2) الكامل في التاريخ 10: 295-296.

فارسٍ وهو في عِشرِينَ ألفًا، والتقَوا بسَنجَرَ عندَ النُّوشَجَان [1]، وفي مَيمَنَةِ سِنجِرَ الأميرُ برغش، وفي مَيسَرَتِه كندكز، ومعَه في القَلْب رُسْتُم. فحَمَلَ بَرْكِيَارُق على رُسْتُمَ فقتَلَه وانهَزم أصْحابُه، ونَهَبَ عَسكرَهم، وكادَتِ الهَزِيمَةُ تتِمُّ عليهم. ثمَّ حَمَلَ برغش وكندكز على عَسكَرِ بَرْكِيَارُق وهم مُشْتَغِلونَ بالنَّهْبِ فانهزموا، وانهزم بَرْكِيَارُق. وجاء بَعْضُ التُّرْكُمانِ بأميرِ دَاذَحَبْشِي أسِيرًا إلى برغش فقتَلَه، ولَحِقَ بَرْكِيَارُق بجُرْجانَ ثم بالدَّامَغان، وقَطَعَ البَرِّيَّةَ إلى أصْبَهَان بمُرَاسَلَةِ أهْلِها، فسَبَقَه أخُوه محمدٌ إليها فعاد سُمَيْرَم [2].

عَزْلُ الوزيرِ عَمِيدِ الدَّوْلَة بنِ جُهَيْرٍ ووَفاتُه

قد ذكَرْنا أنَّ وزيرَ السُّلْطانِ بَرْكِيَارُق، وهو الأَغَرّ أبو المحاسِنِ، أُسِر في المَصَافِّ الأوَّلِ بينَ بَرْكِيَارُق ومحمدٍ، وأنَّ مؤيَّدَ المُلْكِ بنَ نِظامِ المُلْكِ وَزِيرَ محمدٍ أطْلَقَه واصْطَنَعَه وضَمَّنَه عِمارَةَ بَغْدادَ، وحَمَّلَه طَلَبَ الخُطْبَةِ لمحمدٍ ببغدادَ من المُسْتَظْهِرِ /فخَطَبَ له. وكان فيما حَمَّلَه للمُسْتَظْهِرِ عَزْلُ وَزِيرِه عَميدِ الدَّوْلَةِ بنِ جُهَيْرٍ. وبَلَغَ ذلك [384أ] عَمِيدَ الدَّوْلَةِ، فبَعَثَ مَن يعترِضُ الأغَرّ ويقْتُلُه فامْتَنَعَ بعقْرَبا، ثمَّ صالَحَه ذلك الذي اعْتَرَضَه وطَلَبَ لقاءَه فلَقِيَه، ودَسَّ الأغَرّ إلى إيلْغازي بن أُرْتُق، وكان وصَلَ معَهُ وسَبَقَه إلى بَغْدادَ فرجَعَ إليه ليلاً ويئِسَ منه ذلك الذي اعتَرَضَه، ووَصَلَ الأغَرّ

(1) النُّوشَجان. مدينةٌ بفارس على نهر سيحون بما وَرَاء النهر. (معجم البلدان 5: 311).

(2) الكامل في التاريخ 10: 296-298 (مُلخصًا)؛ نهاية الأرب 26: 345-346.

بغدادَ، وأبلغَ إلى المُستَظْهِرِ رسالةَ مُؤيَّدِ الدَّولةِ في عَزْلِ عميدِ الدَّوْلة فقَبَضَ عليه في رَمَضَانَ من سنةِ ثلاثٍ وتِسْعين، وعلى إخْوَتِه، وصُودِرَ على خَمْسةٍ وعِشْرِينَ أَلْفَ دينار، وبَقِيَ محبوسًا بدارِ الخِلافَةِ إلى أن هَلَكَ في مَحْبِسِه[1].

المَصافُّ الثَّاني بينَ بَرْكِيارُق وأخيه محمد ومَقْتَلُ مؤيدِ المُلْكِ والخُطْبَةُ لبَرْكِيارُق

قد ذكَرْنا أنَّ بَرْكِيارُق لمَّا انْهَزَمَ أمامَ أخيه محمدٍ في المَصَافِّ الأوَّلِ، سار إلى أصْبَهانَ ولم يَدْخُلْها، فمَضَى إلى عَسْكَرِ مُكْرَمٍ من خُورِسْتانَ. وجاءه الأميرانِ زَنْكي وألْبَكي ابنا بُرْسُقَ. ثم سَارَ إلى هَمَذانَ، فكاتبَه إيازُ ـ مِن كبارِ أمراءِ محمدٍ ـ بما كان اسْتَوْحَش منه، فجاءَه في خَمْسةِ آلافِ فارسٍ، وأغْراه باللِّقاءِ فارْتَحَل لذلك. ثم اسْتأمَنَ إليه سِرْخابُ بنُ كيخِسْرُو صاحِبُ آوَةَ، فاجْتَمَعَ إليه خمسونَ ألْفًا من المُقَاتِلَة، وبَقِي أخُوهُ في خمسةَ عَشَرَ ألفًا. ثم اقْتَتَلُوا أوَّلَ جُمادَى الآخِرةِ سنةَ أرْبعٍ وتِسْعِينَ، وأصْحابُ محمدٍ يَفِدُونَ على محمدٍ شيئًا فشيئًا مُسْتأمِنين. ثمَّ انهزَم محمدٌ آخِرَ النَّهارِ وأُسِرَ وَزِيرُه مُؤيَّدُ المُلْك، وأحْضَرَه عندَ بَرْكِيارُق غلامٌ لمجدِ المُلْكِ البَلَاسَانيِّ ثأرَ منه بمَوْلاه، فلمَّا حَضَرَ وَبَّخه بَرْكِيارُق وقتَلَه، وبَعَثَ الوزيرُ أبو المحاسِن إلى بغدادَ مَن تسلَّمَ أمْوالَه، وصادرَ عليها قرابَتَه، وإلى غيرِ بَغْدادَ من بلادِ العَجَمِ. ويقالُ: كان فيما أخِذ له فَصٌّ من البَلَخْشِ زِنَتُه أحدٌ وأرْبَعُونَ مِثْقالاً.

(1) الكامل في التاريخ 10: 298-299.

ثمَّ سار بَرْكِيَارُق إلى الرَّيِّ، ولَقِيَه هناك كَرْبُوقَا صاحِبُ الموصل، ونورُ الدَّوْلَةِ دُبَيْس بنُ صَدَقَةَ بنَ مَزْيَد(1)، واجْتَمَعَتْ إليه نحوٌ من مائةِ أَلْفِ فارسٍ حتَّى ضاقَتْ بهم البلادُ، ففَرَّق العساكر. وعاد دُبَيْسٌ إلى أبيه، وسار / كَرْبُوقَا إلى [384 ب] أَذْرَبِيجان لقتالِ مَوْدُودِ بنِ إسْماعيلَ بنِ ياقوتي، كان خرَجَ على السُّلْطانِ هُنالِك. وسارَ إياز إلى هَمَذَانَ ليقضِيَ الصَّوْمَ عندَ أهْلِه ويعودَ، فبَقِيَ بَرْكِيَارُق في خفٍّ من الجنودِ.

وكان محمدٌ أخوه لمَّا انهزم لجهاتِ هَمَذَانَ سار إلى شَقِيقِه سَنْجَر بخُرَاسَانَ فانتهَى إلى جُرْجَانَ، وبعَثَ يَطْلُبُ منه المَدَدَ فأمَدَّه بالمالِ أوَّلاً. ثمَّ سار إليه بنفْسِه إلى جُرْجَانَ، وسار معَه إلى الدَّامَغانِ وخرَّب عَسْكَرُ جُرْجانَ ما مَرُّوا به منَ البلاد، وانتهَوْا إلى الرَّيِّ، واجتمعتْ إليهم النِّظامِيَّةُ، وبلَغَهم افْتِراقُ العَساكِرِ عن بَرْكِيَارُق فأغذُّوا إليه السَّيْرَ، فرَحَلَ إلى هَمَذَانَ، فبلَغَه أن إيازَ راسَل محمدًا فقَصَدَ خُوزِسْتانَ وانتهَى إلى تُسْتَرَ، واسْتَدْعى بني بُرْسُق فقعَدُوا عنه لمَّا بلغَهم مُراسَلَةَ إيازَ للسُّلْطانِ، فسار بَرْكِيَارُق نحوَ العراقِ، وكان إيازُ راسَل محمدًا في الكُوتِ معه فلم يَقْبَلْه فسار من هَمَذَان، ولَحِقَ بَرْكِيَارُقَ في حُلْوَانَ، وساروا جميعًا إلى بَغْدَادَ. واسْتَوْلَى محمدٌ على مُخَلَّفِ إيازَ بهَمَذَانَ وحُلْوانَ، وكان شيئًا لا يُعَبَّرُ عنه. وصادَرَ جماعةً من أصْحابِ إيازَ من أهْلِ هَمَذَانَ.

ووَصَلَ بَرْكِيَارُقُ إلى بغدادَ مُنْتَصَفَ ذِي القَعْدةِ سَنَةَ أرْبعٍ وتِسْعِينَ، وبعَثَ المُسْتَظْهِرُ لتلقِّيه أمِينَ الدَّوْلَةِ بنَ مُوصَلَايا في المراكِبِ، وكان بَرْكِيَارُق مريضًا فلَزِم

(1) الكامل في التاريخ 10: 303-305 (بتصرُّف)، نهاية الأرب 26: 348.

بَيْته، وبَعَثَ المُسْتَظْهِرُ في عِيدِ الأضحى إلى دارِه مِنبرًا خُطِبَ عليه باسْمِه، وتخلَّف بَرْكِيَارُق عن شُهُودِ العِيدِ لمرضِه، وضاقَتْ عليه الأمْوالُ فطَلَبَ الإعانةَ من المُسْتَظْهِر، وحَمَلَ إليه خَمْسِينَ ألْف دِينارٍ بعدَ المراجعاتِ، ومَدَّ يَدَه إلى أمْوالِ النَّاس وصادَرَهم فضَجِرُوا، وارْتَكَب خَطِيئَةً شَنْعاءَ في قاضِي جَبَلَةَ، وهو أبو محمدٍ عُبَيْدُ الله بنُ مَنْصورٍ [1].

وكان مِن خَبَرِه أنَّ أباه مَنْصورًا كان قاضِيًا بجَبَلَةَ في مَلَكَةِ الرُّوم، فلمَّا مَلَكَها المسلِمونَ وصارَتْ في يدِ أبي الحَسَنِ عليِّ بنِ عَمَّارٍ صاحِبِ طَرَابُلُس، أقرَّه على القَضَاء بها. وتُوفِّي، فقام ابْنُه أبو محمدٍ هذا مَقامَه، ولَبِس شِعَار الجُنْدِيَّةِ، وكان شَهْمًا، فهَمَّ ابنُ عمارٍ بالقَبْضِ عليه، وشَعَرَ فانْتَقَضَ وخَطَبَ للخُلَفَاءِ العَبَّاسِيَّةِ. وكان ابنُ عمارٍ يَخْطُبُ للعَلَوِيَّة بمصرَ.

وطالَتْ مُنازَلَةُ الفِرنْج بِحِصْنِ جَبَلَةَ إلى أن ضَجِر أبو محمدٍ هذا، وبَعَثَ إلى صاحِبِ دِمَشْقَ - وهو يومئذٍ طُغْتَكِينُ الأتابَكُ - أنْ يُسلِّمَ إليه البَلَدَ، فبَعَثَ/ [385 أ] ابْنَه تاجَ الملوكِ بُوري وتَسلَّم منه البَلَدَ، وجاءَ به إلى دِمَشْقَ، وبَذَلَ لهم فيه ابنُ عمارٍ ثَلاثينَ ألْفَ دِينارٍ دونَ أمْوالِه، فلم يَرْضَوْا بإخْفارِ ذِمَّتِهم، وسار عنهم إلى بغدادَ، فلَقِيَ بها بَرْكِيَارُق فأحْضَرَه الوزيرُ أبو المحاسِنِ وطَلَبَه في ثَلاثينَ ألْفَ دِينارٍ، فأجابَ وأحالَهم على مَنْزِلِه بالأنبارِ، فبَعَثَ الوزيرُ مَن أتاهُ بجميعِ ما فيه، وكان لا يُعبَّرُ عنهُ، فكانَتْ منَ النُّكرِ التي أتاها بَرْكِيَارُق. ثم بَعَثَ الوَزِيرُ إلى صَدَقَة بنِ مَنْصورِ بنِ دُبَيْسِ بنِ مَزْيَدٍ صاحِبِ الحِلَّةِ يَطْلُبُ منه ألْفَ ألْفِ دِينارٍ متخلِّفةً من مالِ الجِبايةِ،

(1) الكامل في التاريخ 10: 306-308.

وتَهـدَّده عليهـا، فغَضِب وانْتقَضَ وخَطَبَ لمحمدٍ، وبَعَثَ إليـه بَرْكِيَـارُق الأميرَ إيازَ يَسْتَقْدِمُه فلم يُجِبْ، وبَعَثَ إلى الكُوفةِ وطَرَدَ عنها نائِبَ بَرْكِيَارُق واسْتضافَها إليه[1].

اسْتيلاءُ محمدٍ على بغْدادَ

قد ذكَرْنا اسْتِيلاءَ محمدٍ على هَمَذَانَ في آخِرِ ذِي الحجَّةِ من سَنَةِ أربعٍ وتِسْعِينَ ومعَه أخُوه سِنْجِرُ. وذَهب بَرْكِيَارُق إلى بغدادَ فاسْتَوْلَى عليها، وأساءَ السِّيرةَ فيها، وبلَغَ الخبرُ إلى محمدٍ فسار من هَمَذَانَ في عَشَرةِ آلافِ فارِسٍ، ولَقِيَه بحُلوانَ أبو الغازي بنُ أُرْتقَ شِحْنَةُ بَغْدادَ في عساكِرِه وأتْباعِه. وكان بَرْكِيَارُق في شدَّةٍ من المَرَضِ قد أشْفَى على الهَلاكِ، فاضْطَرَبَ أصْحابُه وعَبَرُوا به إلى الجانِبِ الغَرْبِيِّ، حتى إذا وَصَل محمدٌ بَغْدادَ وتَراءَى الجَمْعانِ من عُدْوَتَيْ دِجْلَةَ، ذَهَب بَرْكِيَارُق وأصْحابُه إلى واسِطَ، ودخَلَ محمدٌ بغدادَ، وجاءه تَوْقِيعُ المُسْتَظْهِرِ بالامْتِعاضِ ممَّا وقَعَ مِن بَرْكِيَارُق، وخُطِبَ له على منابِرِ بَغْدَادَ، وجاءه صَدَقَةُ بنُ مَنْصورٍ صاحِبُ الحِلَّةِ فأخْرَجَ النَّاسَ للقائِه، ونَزَلَ سِنْجِرُ بدارِ كُوهْرائِين، واسْتَوْزَرَ محمدٌ بعدَ مُؤيَّدِ المُلْكِ خَطِيبَ المَلِكِ أبا مَنْصورٍ محمدَ بنَ الحسينِ، فقدِمَ إليه في المحرَّمِ سنةَ خَمْسٍ وتِسْعِينَ[2].

(1) الكامل في التاريخ 10: 310-311 (بتصرُّف).

(2) المصدر نفسه 10: 329-330 (بتصرُّف)؛ نهاية الأرب 26: 348-349.

المَصَافُّ الثَّالِثُ والرَّابِعُ، وما تَخَلَّل بينَهما من الصُّلْحِ ولم يَتِمَّ

ثم ارْتَحَل السُّلْطان محمدٌ وأخُوه سِنجرُ عن بَغْدَادَ مُنْتَصَفَ المحرَّمِ من سنةِ خَمْسٍ/ [385 ب] وتِسْعينَ، وقصد سِنجرُ خُراسانَ ومحمدٌ هَمَذانَ، فاعْتَرَض بَرْكِيارُق خاصَّ الخَليفَة المُستَظْهِرِ، وأبْلَغَه القَبِيحَ، فاسْتَدْعَى المُسْتَظْهِرُ محمدًا لقِتالِ بَرْكِيارُقَ، فجاء إليه وقال: أنا أكْفِيكَه. ورتَّب أبا المعالي شِحْنَةً ببغْدادَ.

وكان بَرْكِيارُق بواسِطَ كما قُلْناه، فلمَّا أبَلَّ من مَرَضِه عبَرَ إلى الجانِبِ الشَّرْقيِّ بعدَ جَهْدٍ وصُعوبةٍ لفِرارِ النَّاس من وَاسِطَ بسُوءِ سِيرَتِهم. ثم سار إلى بلادِ بني بُرْسُقَ حتَّى أطاعُوا واستقامُوا. وسارُوا معَه، فاتَّبعَ أخاه محمدًا إلى نَهاوَنْدَ وتصافُّوا يومَيْن ومنَعَهما شِدَّةُ البرْدِ من القتالِ. ثم اجْتَمَع إيازُ والوزيرُ الأغَرّ من عَسْكرِ بَرْكِيارُقَ وبُلْدَاجِي، وغيرِهم من الأمَرَاءِ من عَسْكَرِ محمدٍ، وتَفَاوَضُوا في شَكْوى ما نَزَلَ بهم من هذه الفِتْنَةِ، ثمَّ اتَّفقوا على أنْ يكونَ السُّلْطانُ بالعراقِ لبَرْكِيارُق، ويَكونَ لمحمدٍ من البلادِ الحِيرةُ وأعْمالُها وأذْرَبِيجان ودِيارُ بَكْرٍ والجَزِيرَةُ والمَوْصِلُ، على أن يُمِدَّه بَرْكِيارُقُ بالعَسْكَرِ متَى احْتاجَ إليه في شيءٍ منها. وتحالَفَا على ذلك وافْتَرَقا في ربيعٍ الأولِ مِن سنةِ خَمْسٍ وتِسْعِين، ثم سار بَرْكِيارُق إلى ساوَةَ ومحمدٌ إلى قَزْوِينَ(أ)(1).

(أ) عند ابن الأثير: أبي أسداباذ ومنها إلى قزوين.

(1) الكامل في التاريخ 10: 330-331 (بتصرُّف).

وبدَا له في الصُّلحِ واتَّهم الأمراءَ الذين سَعَوْا فيه، وأسَرَّ إلى رئيسِ قَزْوِينَ أنْ يَدْعُوَهم إلى صَنِيعٍ عندَه، وغَدَرَ بهم محمدٌ، فقَتَلَ بَعْضًا وسَمَلَ بَعْضًا وأظْهَرَ الفِتْنَةَ. وكان الأميرُ يَنالُ بنُ أنُوشْتَكِينَ قد فارقَ بَرْكِيارُق وأقام مجاهِدًا للباطِنيَّة في الجبالِ والقِلاعِ، فلَقِي محمدًا وسار معه إلى الرَّيِّ، وبَلَغَ الخبرُ إلى بَرْكِيارُق، فأغَذَّ إليه السَّيرَ في ثمانِ ليالٍ واصْطَفُّوا في التَّاسِعِ، وكِلا الفريقَيْن في عَشَرَةِ آلافِ مقاتِلٍ. وحَمَلَ سِرْخابُ بنُ كَيْخِسْرُو الدَّيْلَميُّ صاحِبُ آوَةَ، من أصْحابِ بَرْكِيارُقَ، على يَنالَ بنِ أنُوشْتكِينَ فهزَمَه، وانْهَزَمَ معَهُ عَسْكَرُ محمدٍ وافْتَرَقُوا، فلَحِق فريقٌ بطَبَرِسْتانَ وآخَرُ بقَزْوِينَ، ولَحِق محمدٌ بأصْبهانَ في سَبْعِينَ فارِسًا، واتَّبَعَه إيازُ وألْبَكِي بنُ بُرْسُقَ، فنجَا إلى البَلَدِ وبها نُوَّابه فلَمَّ ما تشعَّثَ من السُّور، وكان من بناءِ علاءِ الدِّينِ بنِ كاكَوَيْه سنةَ تسعٍ وعِشْرِينَ [وأرْبَعِ مائة][أ] لقتالِ طُغْرُلْبك، وحَفَرَ الخنادقَ / وأبعدَ مَهْواها وأجْرَى فيها المياهَ، ونصَبَ المجانِيقَ، واستعدَّ للحِصارِ[1]. [386أ]

وجَاءَ بَرْكِيارُق في جُمادَى [الأولى][أ] ومعَه خَمْسَةَ عشَرَ ألْفَ فارِسٍ ومائةُ ألْفٍ من الرَّجْلِ والأتْباع، فحاصَرَها حتى جَهَدَهم الحِصارُ، وعُدِمَتِ الأقواتُ والعَلُوفَةُ، فخَرَج محمدٌ عن البَلَدِ في عِيدِ الأضْحى من سنَتِه في مائةٍ وخَمْسِينَ فارسًا ومعه يَنالُ، وتَرَكَ باقِيَ الأمراءِ، وبَعَثَ بَرْكِيارُقُ في اتِّباعِه الأميرَ إيازَ. وكانت خَيْلُ محمدٍ ضامِرَةً من الجُوعِ، فلَغَبَتْ، وبَعَثَ إلى إيازَ يُذَكِّرُهُ العُهودَ، فرَجَعَ عنه بعدَ أنْ نَهَبَ منه خَيْلاً ومالاً، وأخذ عَلَمَه وجَتْرَه وعاد إلى بَرْكِيارُق. ثم شَدَّ بَرْكِيارُقُ في حِصَارِ أصْبَهانَ

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 332-333.

وزَحَفَ بالسَّلاليمِ والدبَّابات، وجَمعَ الأيْديَ على الخَنْدَقِ فطَمَّه، وتعلَّقَ النَّاسُ بالسُّورِ، فاسْتماتَ أهْلُ البلدِ ودَفعُوهم. وعَلِمَ بَرْكِيارُق امْتناعَها، فرَحَلَ عنها ثامِنَ عَشَرَ ذِي حِجَّة، وجَمَّرَ عَسْكرًا مع ابْنِه مَلِكْشاه وتُرْشُك الصَّوَابِيّ على البلدِ القديمِ الذي يُسَمَّى شَهْرِسْتانَ، وسَارَ إلى هَمَذَانَ بعدَ أنْ كان قُتِلَ على أصْبهانَ وَزِيرُه الأَعَزّ أبو المحاسِنِ عبدُ الجليلِ الدِّهِسْتانِيُّ، اعْتَرَضَه في رُكوبِه من خَيْمَتِه إلى خِدْمةِ السُّلْطانِ مُتَظَلِّمٌ فطَعَنَه وأشْواه، ورَجَعَ إلى خَيْمَتِه فمات، وذَهَبَ للتُّجارِ الذين كانوا يعامِلُونَه أمْوالٌ عظيمةٌ، لأن الجِبايَةَ كانت ضاقَتْ عليه بالفِتَنِ فاحْتاجَ إلى الاسْتِدانةِ، ونَفَرَ منه التُّجارُ لذلك. ثم عامَلَه بَعْضُهم فذهَبَتْ أمْوالُهم بموتِه، وكان أَخُوه العَمِيدُ المهذَّبُ أبو المجْدِ قد سار إلى بغدادَ لِيَنُوبَ عنه حينَ عقَدَ الأمراءُ الصُّلْحَ بينَ بَرْكِيارُق ومحمد؛ فقَبَضَ عليه الشِّحْنَةُ ببغدادَ إيلْغازي بنُ أُرْتُق وكان على طاعةِ محمد[1].

الشِّحْنَةُ ببغْدادَ والخُطْبَةُ لِبَرْكِيارُق

كان إيلْغازي بنُ أُرْتُق شِحْنَةَ بِبغْداد، وَلَّاه عليها السُّلْطانُ محمدٌ عندَ اسْتِيلائِه في المَصافِّ الأوَّلِ، وكان طَرِيقُ خُرَاسَانَ إليه، فعاد بعضَ الأيَّامِ منها إلى بَغْدادَ، وضَرَبَ فارسٌ من أصْحابِه بعضَ الملَّاحِينَ بسَهْمٍ في مُلاحاةٍ وَقَعَتْ بينَهم عندَ العُبورِ فقَتَلَه، / فثارَتْ بهمُ العامَّةُ وأمْسَكوا القاتِلَ، وجاءوا به إلى بابِ النُّوبِيِّ من دارِ [386 ب]

(1) الكامل في التاريخ 10: 334-336 (بتصرُّف).

الخلافةِ، ولَقِيَهم ولدُ إيلغَازي فاسْتَنْقَذَه من أيْدِيهم فرجَمُوه[أ]، وجاء إلى أبِيه مُسْتَغِيثًا، ورَكِب إلى مَحَلَّةِ المَلَّاحِين فنَهَبَها، وعطَفَ عليه العَيَّارُونَ فقتَلوا من أصْحَابه، ورَكِبوا السُّفِينَ للنَّجاةِ فهَرَبَ المَلَّاحُونَ وتَرَكُوهم فغَرِقُوا.

وجَمَعَ إيلغَازي التُّرْكُمانَ لنَهْبِ الجانِبِ الغَرْبِيِّ، فبَعَثَ إليه المُسْتَظْهِرُ قاضِيَ القُضاةِ وألْكِيا الهَرَّاسِيَّ مُدرِّسَ النِّظَامِيَّة بالامْتِناعِ مِن ذلك فأقْصَرَا، وإيلْغَازِي أثناءَ ذلك مُتَمَسِّكٌ بطاعةِ السُّلْطانِ محمد[1].

فلمَّا انْهَزَم محمدٌ وانْطَلَقَ من حصارِ أصْبَهَانَ واسْتَوْلَى بَرْكِيارُق على الرَّيِّ، بعَثَ في مُنْتَصَفِ ربيعٍ الأوَّلِ من سنةِ سِتٍّ وتِسْعِينَ من هَمَذَانَ كُمُشْتَكِينَ القَيْصَرِيَّ شِحْنَةً إلى بَغْدادَ. فلمَّا سَمِعَ إيلْغَازِي بعَثَ إلى أخِيه سُقْمانَ بحِصْنِ كِيفا يَسْتَدْعِيه للدِّفاع. وسار إلى سَيْفِ الدَّوْلةِ صَدَقَةَ بالحِلَّةِ، وعاهَدَه على الإمْدادِ للدِّفاع. وجاءه سُقْمانُ، ومرَّ بتكْرِيتَ فنَهَبَها، ووَصَلَ كُمُشْتَكِينُ ولَقِيَه شِيعةُ بَرْكِيارُق وأشارُوا عليه بالمُعاجَلَةِ، ووَصَلَ إلى بغدادَ مُنْتَصَفَ ربيعٍ. وخَرَجَ إيلْغَازِي وأخوه سُقمانُ إلى دُجَيْلٍ ونهَبَا بعضَ قُراها، واتَّبَعَهما طائفةٌ من عَسْكَرِ كُمُشْتَكِينَ ثم رَجَعوا عنهما، وخطَبَ للسُّلْطانِ بَرْكِيارُق ببغدادَ، وبعَثَ كُمُشْتَكِينُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ بالحِلَّةِ عنه وعن المُسْتَظْهِرِ بطاعةِ بَرْكِيارُق فلم يُجِبْ، وكَشَفَ القِناعَ وسار إلى جِسْرِ صَرْصَرَ فقُطِعَتِ الخُطْبةُ على مَنابِرِ بغدادَ فلم يُذكَرْ أحدٌ عليها من السَّلاطِينَ، واقْتُصِرَ على الخَلِيفةِ فقط[2].

(أ) عند ابن الأثير: ورَجَمَهم العامّة بسُوق الثلاثاء.

(1) الكامل في التاريخ 10: 337-338.

(2) المصدر نفسه 10: 355-356 (بتصرُّف).

وبعَثَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَدَقَةُ إلى إيلْغَازِي وسُقْمَانَ بأنَّه جاء لنُصْرَتِهما فعادُوا إلى دُجَيْلٍ وعَاثُوا في البلادِ، وكذلك فعَلَ العربُ والأكْرادُ معَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وبعَثَ إليه المُسْتَظْهِرُ في الإصْلاحِ وخيَّموا جميعًا بالرَّمْلَةِ وقاتَلَهمُ العامَّةُ، وبعَثَ الخليفةُ قاضِيَ القُضاةِ أبا الحَسَنِ الدَّامَغَانيَّ وتاجَ الرُّؤساء ابنَ المُوصَلايا إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ بكَفِّ الأيْدِي عن الفَسَادِ، فاشْتَرَطَ خُروجَ كُمُشْتَكِينَ القَيْصَرانيِّ شِحْنَةِ بَرْكِيَارُق، وإعَادَةَ الخُطْبَةِ للسُّلْطانِ محمدٍ، فتمَّ/ الأمْرُ على ذلك، وعاد سَيْفُ الدَّوْلَةِ إلى الحِلَّةِ، [387 أ] وصَارَ القَيْصَرِيُّ إلى وَاسِطَ، وخَطَبَ بها لبَرْكِيَارُق، فسار إليه صَدَقَةُ وإيلْغَازِي، وفارَقَها القَيْصَرِيُّ، فاتَّبعَه سَيْفُ الدَّوْلَةِ، ثم اسْتأمَنَ ورَجَعَ إليه فأكْرَمَه، وخَطَبَ للسُّلْطانِ محمَّدٍ بواسِطَ، وبعدَه لسَيْفِ الدَّوْلَةِ وإيلْغَازِي، واسْتَتَابَ كلٌّ واحدٍ وَلَدَه، ورَجَعَ إيلْغَازِي إلى بَغْدادَ وسَيْفُ الدَّوْلَةِ إلى الحِلَّةِ، وبَعَثَ ولَدَه مَنْصورٌ إلى المُسْتَظْهِرِ يخْطُبُ رِضاه بما كان منه في هذه الحادثةِ، فأُجِيبَ إلى ذلك(1).

اسْتيلاءُ يَنَالَ على الرَّيِّ بدَعْوةِ السُّلْطانِ محمدٍ ومَسيرُه إلى العراقِ

كانتِ الخطْبَةُ بالرَّيِّ للسُّلْطانِ بَرْكِيَارُق. فلمَّا خرَجَ السُّلْطانُ محمدٌ من الحِصارِ بأصْبَهَانَ، بعَثَ يَنالَ بنَ أنُوشْتَكِينَ الحُساميَّ إلى الرَّيِّ ليُقِيمَ الخُطْبَةَ له بها، فسارَ ومعَه أخُوه عليٌّ، وعسَفَ الرَّعايا. ثمَّ بعَثَ السُّلْطانُ بَرْكِيَارُقُ إليه بُرْسُقَ بنَ بُرْسُقَ في العَسَاكِرِ فقاتَلَه على الرَّيِّ، وانْهَزَمَ يَنالُ وأخُوه مُنْتَصَفَ رَبِيعٍ من سنةِ

(1) الكامل في التاريخ 10: 356-358 (بتصرُّف).

سِتٍّ وتِسْعِين، وذَهَب إلى قَزْوِينَ، وسَلَكَ يَنالُ على الجِبالِ إلى بغدادَ، وتَقطَّعَ أصْحابُه في الأوْعارِ وقُتِلوا، ووَصَلَ إلى بغدادَ في سَبْع مائةِ رجلٍ، وأكْرَمَه المُسْتَظْهِرُ، واجْتَمَعَ هو وإيلْغازِي وسقمان ابْنَا أُرْتُق بمَشْهَدِ أبي حَنيفةَ فاسْتَخْلَفوه على طاعةِ السُّلْطانِ محمدٍ، وساروا إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ واسْتَخْلَفوه على ذلك.

واسْتَقَرَّ يَنالُ ببغدادَ في طاعةِ السُّلْطانِ محمد، وتزوَّجَ أخْتَ إيلْغازِي، كانت تحتَ تاجِ الدَّوْلةِ تُتُش. وعَسَفَ بالناسِ وصادرَ العُمَّالَ، واسْتطالَ أصْحابُه على العامَّةِ بالقَتْلِ والضَّرْبِ. وبعَثَ إليه المُسْتَظْهِرُ مع القاضي الدَّامَغانيِّ بالنَّهْيِ عن ذلك وتَقْبِيحِ فِعْلِه، ثم مع إيلْغازِي، فأجاب وحلَفَ على كَفِّ أصْحابِه ومَنْعِهم. واسْتمَرَّ على قُبْحِ السِّيرة، فبَعَثَ المسْتَظْهِرُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ يَسْتَدْعِيه لكَفِّ عُدوانِه، فجاء إلى بغدادَ في شَوَّالٍ من سنةِ سِتٍّ وتِسْعِين، وخَيَّمَ بالنَّجْمِيِّ ودعا يَنالَ للرِّحْلةِ عن العراقِ على مالٍ يُدْفَعُ إليه، وعاد إلى الحِلَّةِ. وسار يَنالُ مُسْتَهَلَّ ذي القَعْدَةِ إلى أوانا، فَفَعَلَ من النَّهْبِ والعَسْفِ/ [387 ب] أقْبَحَ مما فَعَلَ ببغدادَ، فبَعَثَ المسْتَظْهِرُ إلى صَدَقَةَ في ذلك، فأرْسَلَ ألْفَ فارسٍ، وساروا إليه مع جَماعةٍ من أصْحابِ المسْتَظْهِرِ وإيلْغازِي الشِّحْنَة، وذهَب يَنالُ أمامَهم إلى أذْرَبيجان قاصِدًا إلى السُّلْطانِ محمد، ورَجَعَ إيلْغازِي والعساكِرُ عنه[1].

(1) الكامل في التاريخ 10: 353-354.

المَصَافُّ الخامسُ بينَ السُّلطانَيْن

كانتْ كَنْجَةُ[1] وبلادُ أرانَ للسُّلْطانِ محمدٍ، وعَسْكَرُه مُقيمٌ بها معَ الأميرِ غُزْغلي، فلمَّا طالَ حِصارُه بأصْبهانَ جاءُوا لنُصْرَتِه ومعهم مَنْصُور بنُ نِظامِ المُلْكِ ومحمدٌ ابنُ أخِيه مُؤيِّدِ المُلْكِ، ووَصَلُوا إلى الرَّيِّ آخِرَ ذِي الحِجَّةِ سنةَ خَمْسٍ وتِسْعينَ، وفارَقه عَسْكَرُ بَرْكِيارُق. ثم خرَجَ محمدٌ من أصْبهانَ، فسارُوا إليه ولَقُوه بِهَمَذانَ، ومعَه يَنالُ وعليٌّ ابْنا أنُوشْتَكِينَ، فاجْتَمَعوا في سِتَّةِ آلافِ فارِسٍ. وسار يَنالُ وأخُوه على الرَّيِّ وأزْعَجَتْهم عنها عساكِرُ بَرْكِيارُق، كما مرَّ. ثم جاءَهم الخبرُ في هَمَذانَ بزَحْفِ بَرْكِيارُقَ إليهم، فسار محمدٌ إلى بلادِ شَرْوانَ. ولمَّا انْتَهى إلى أَرْدَبِيلَ، بعَثَ إليه مَوْدُودَ بنَ إسْماعيلَ بنِ ياقُوتي، وكان أميرًا على بيلقانَ من أَذْرَبِيجانَ، وكان أبوه إسْماعيلُ خالَ بَرْكِيارُق، وانتقَضَ عليه أوَّلَ أمْرِه فقَتَلَه، وكان مَوْدُودٌ يطالِبُه بثأرِ أبِيه، وكانتْ أُخْتُه تحتَ محمدٍ، فبعَثَ إليه وجاءَه إلى بيلقانَ. وتُوفِّي مَوْدُودٌ إثْرَ قُدومِه مُنْتَصَفَ ربيعٍ من سنةِ سِتٍّ وتِسْعينَ، فاجْتَمَعَ عَسْكَرُه على الطَّاعةِ لمحمدٍ، وفيهم سُقْمانُ القُطْبيُّ صاحِبُ خِلاطَ وأرْمِينيَّةَ ومحمدُ بنُ غاغيسيا[أ]، كان أبوه صاحِبَ أنْطاكِيَةَ، وقزلُ أرْسَلانَ ابنُ السَّبُعِ الأحْمَرِ.

ولمَّا بلَغ بَرْكِيارُقَ اجْتماعُهم لحَرْبِه أغَذَّ السَّيْرَ إليهم، فوَصَلَ وقاتَلَهم على بابِ حوي من أَذْرَبِيجان من المغربِ إلى العِشاءِ. ثم حَمَلَ إيازُ، من أصْحابِ بَرْكِيارُق،

(أ) في الكامل: باغي سيان.

(1) كَنْجَة: قصبةُ بلاد أرَّان، وأهلُ الأدب يسمُّونَها جَنْزَة، من نواحي لُرِسْتان بين خُوزِسْتان وأصْبَهان (معجم البلدان 1: 136، 4: 482).

على عَسكَرِ محمدٍ فانهزَمُوا، وسار محمدٌ إلى خِلاطَ ومعه سُقْمانُ والقُطْبيُّ، ولَقِيَه الأميرُ عليٌّ[أ] صَاحِبُ أرزَنِ الرُّومِ. ثم سار إلى أَني[ب] وبها مَنُوجَهْر أخو فَضْلون الدُّوادِيِّ[ج]. ثم سار إلى تِبْريزَ، ولَحِقَ محمدُ بنُ مؤيَّدِ المُلْكِ بديارِ بَكْرٍ، وسار منها إلى بَغْدَادَ. وكان من خَبَرِه أنَّه كان مُقيمًا ببغدادَ مجاورًا للمَدْرَسَةِ النِّظاميَّةِ/ فشَكَا [1388] الجيرانُ منه إلى أبيه، فكَتَبَ إلى كُوهْرائينَ بالقَبْضِ عليه، فاستَجَار بدارِ الخِلافَةِ. ثم سار سنةَ ثِنْتَيْنِ وتِسعينَ إلى مَجْدِ المُلْكِ الباسلانيِّ، وأبوه حينئذٍ بكنجة عندَ السُّلْطانِ محمدٍ قَبْلَ أن يَدْعوَ لنفسِه. ثم سار بعد أنْ قُتلَ مَجْدُ المُلْكِ إلى والِده مُؤيَّدِ المُلْكِ، وهو وزيرُ السُّلْطانِ محمدٍ. ثم قُتِلَ أبوه، واتَّصلَ هو بالسُّلْطانِ محمدٍ، وحضَر هذه الحربَ كما ذكرنا. وأما السُّلْطانُ بَرْكِيارُقُ بعدَ هزيمةِ محمدٍ، فإنَّه نزَل جَبَلاً بينَ مَراغةَ وتِبْريزَ، وأقام به حَوْلاً[1].

وزراءُ الخليفةِ المُستَظْهِر

كان وَزِيرَ الخَليفَةِ المستَظْهِرِ سَدِيدُ الملك أبو المعالي كما ذكرناه. ثم قُبِضَ عليه مُنْتَصَفَ رجَبٍ سنةَ ستٍّ وتِسْعينَ وحُبِسَ بدارِ الخَلِيفَةِ معَ أهْلِه كانوا قد ورَدُوا عليه من أصْبهَانَ، وكان سَبَبَ عَزْلِه جَهْلُه بقواعِدِ دِيوانِ الخلافةِ؛ لأنَّه كان يتصرَّفُ في أعْمالِ السَّلاطِينِ، وليستْ فيها هذه القَوانِين[د]. ولمَّا قُبِضَ عاد أمينُ

(أ) سقط من ح. (ب) كذا رسمت في ح ولم نعرفها. (ج) ح: الروادي. (د) عند ابن الأثير: وليس لهم هذه القواعد.

(1) الكامل في التاريخ 10: 359-362.

الدَّوْلَةِ أبو سَعْدِ بنُ المُوصَلايا إلى النَّظَرِ في الدِّيوانِ[1].

وبعَثَ المستَظْهِرُ عن زَعِيمِ الرُّؤساءِ أبي القاسِمِ بْنِ جُهَيْرٍ من الحِلَّةِ، وكان ذَهَبَ إليها في السَّنةِ قبلَها مُستَجِيرًا بسَيْفِ الدَّوْلةِ صَدَقَةَ؛ لأنَّ خالَه أمينَ الدَّوْلَةِ أبا سَعْدِ بنَ المُوصَلايا كان الوزيرُ الأَغَرّ وزيرُ بَرْكِيارُق يُشِيعُ عنه أنّه الذي يَحْمِلُ المستَظْهِرَ على مُوالاةِ السُّلْطانِ محمدٍ، والخُطْبةِ له دونَ بَرْكِيارُق، فاعْتزَلَ أمِينُ الدَّوْلَةِ الدِّيوانَ، وسار ابنُ أُخْتِه هذا أبو القاسِمِ بنُ جُهَيْرٍ مُستَجِيرًا بصاحِبِ الحِلَّةِ، فاستَقْدَمَه الخَلِيفَةُ الآنَ، وخرَجَ أرْبابُ الدَّولةِ لاستقبالِه، وخَلَعَ عليه للوَزارةِ، ولَقَّبَه قُوامَ الدَّوْلَة، ثم عزَلَه على رأسِ المائةِ الخامِسَةِ[2].

واسْتَجارَ ببَيْتِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ بنِ مَنْصورٍ ببغْدادَ فأجارَه وبَعَثَ عنه إلى الحِلَّة، وذلك لثلاثِ سنينَ ونِصْفٍ من وَزارتِه، ونابَ في مَكانِه القاضي أبو الحسن بنُ الدَّامَغانيِّ أيّامًا. ثم اسْتَوْزَرَ مكانَه أبا المعالي هبةَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ المُطَّلِبِ في المحرَّمِ سنةَ إحْدَى وخَمْس مائةٍ[3]. ثم عزَلَه سنةَ ثِنْتَيْنِ بإشارةِ السُّلْطانِ محمدٍ، وأعاده بإذْنِه على شَرِيطَةِ العَدْلِ وحُسْنِ/ السِّيرةِ، وأنْ لا يَستَعْمِلَ أحدًا من أهْلِ [388 ب] الذِّمَّةِ[4]. ثم عُزِلَ في رَجَبٍ من سنةِ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِ مائة[أ]، واستَوْزَرَ أبا القاسِمِ عليَّ

(أ) ظ، س: وخمسين.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 362.

(2) المصدر نفسه 10: 350-351.

(3) المصدر نفسه 10: 438.

(4) المصدر نفسه 10: 454.

ابنَ أبي نَصْرِ بْنِ جَهيرٍ[1]، واستجار ابنُ المطَّلبِ بدارِ السُّلْطانِ، خَرَجَ إليها من دَارِ الخَلِيفَةِ مُسْتَتِرًا هو وأولادُه[2]، ثم تُوفِّي الوَزيرُ أبو القاسِمِ بْنُ جَهيرٍ سنةَ سَبْعٍ وخَمْس مائة[أ]، واسْتَوْزَرَ بعدَه الرَّبِيبَ أبا مَنْصُورِ بنَ الوزيرِ أبي شُجاعٍ محمدِ بنِ الحُسَيْنِ وزيرِ السُّلْطانِ[3].

الصُّلْحُ بينَ السُّلْطانَيْن بَرْكيارُقَ ومحمد

ولمَّا تَطَاوَلَتِ الفِتْنةُ بين هذَيْنِ السُّلْطَانَيْن، وكَثُرَ النَّهْبُ والهرْجُ، وخُرِّبَتِ القُرَى، واسْتطالَ الأمراءُ عليهم.

وكان السُّلْطانُ بَرْكِيارُق بالرَّيِّ والخُطْبَةُ له بها وبالجبَلِ وطَبَرِسْتانَ وخُوزِسْتانَ وفارِسَ وديارِ بَكْرٍ والجَزِيرَةِ والحَرَمَيْن. وكان السُّلْطان محمدٌ بأَذْرَبيجان والخُطْبَةُ له بها وببلادِ أرانيةَ وأَرْمِينِيَّةَ وأَصْبَهانَ والعراقِ جَميعِه إلَّا تكْرِيتَ. وأمَّا البَطائِحُ فبعضُها لهذا وبعضُها لهذا، والخُطْبَةُ بالبصْرةِ لهما جميعًا. وأمَّا خُراسَانُ من جُرْجانَ إلى ما وراءَ النَّهْرِ فكان يُخْطَبُ فيها لِسنْجَرَ بعدَ أخِيه السُّلْطانِ محمد.

فلمَّا اسْتَبْصَرَ بَرْكِيارُقُ في ذلك ورأى تحكُّمَ[ب] الأُمراءِ عليه وقلَّةَ المال،

(أ) ظ، س: وخمسين. (ب) ح: حكم.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 470-471.
(2) المصدر نفسه 10: 478.
(3) المصدر نفسه 10: 498.

جنحَ إلى الصُّلحِ، وبعَثَ القاضِيَ أبا المظفَّرِ الجُرْجَانيَّ الحَنفِيَّ، وأبا الفَرَجِ أحمدَ بنَ عبدِ الغفَّارِ الهَمَذَانيَّ، المعروفَ بصاحبِ قَراتَكِينَ إلى أخيه محمدٍ في الصُّلحِ، فوصلا إليه بمَرَاغَةَ وذَكَّرَاهُ ووَعَظَاهُ، فأجاب إلى الصُّلحِ على أنَّ السَّلْطَنَةَ لبَرْكِيَارُق، ولا يَمْنَعُ أحدًا[(أ)] من اتخاذِ الآلةِ، ولا يُذْكَرُ أحدٌ منهما معَ صاحبِه في الخُطْبَةِ في البلادِ التي صارت إليه، وتكونُ المكاتبةُ من وَزِيرَيْهما في الشؤونِ، ولا يكاتِبُ أحدُهما الآخَرَ، ولا يعارِضُ أحدٌ من العَسْكَرِ في الذَّهابِ إلى أيِّهما شاء، ويكونُ[(ب)] للسُّلطانِ محمَّدٍ من نهرِ اسبَندرُو إلى الأبوابِ وديارِ بَكْرٍ والجزيرةِ والمَوْصِلِ والشام، وأنْ يَدخُلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَدَقَةُ بأعمالِهِ في حِلْفِه وبلادِه، والسَّلْطَنَةُ كلّها[(ج)]، وبَقِيَّةُ الأعمالِ، والبلادُ كُلُّها للسُّلطانِ بَرْكِيَارُق.

وبَعَثَ محمدٌ إلى أصْحَابِه بأصْبَهَانَ بالإفْراجِ عنها لأصْحابِ/ أخِيه، وجاءوا [389 أ] بحَرِيمِ محمَّدٍ إليه بعدَ أن دَعاهمُ السُّلطانُ بَرْكِيَارُق إلى خِدمتِه فامْتَنَعُوا فأكْرَمَهم، وحَمَلَ حُرَمَ أخِيه وزَوَّدهم بالأموالِ، وبعَثَ العساكِرَ في خَدَمَتِهم. ثم بعَثَ السُّلطانُ بَرْكِيَارُق إلى المُسْتَظْهِرِ بما استقرَّ عليه الحالُ في الصُّلحِ بينَهم، وحضَرَ إيلْغازي بالدِّيوان وهو شِحْنَةُ محمدٍ وشِيعَتُه، إلَّا أنَّه وقَفَ معَ الصُّلحِ فسأل الخُطْبَةَ لبَرْكِيَارُق، فأمرَ بها المُسْتَظْهِرُ، وخُطِبَ له على منابِرِ بغْدادَ وواسِطَ في جُمادَى [الأولى] سنةَ سَبْعٍ وتِسْعِينَ، ونكِرَ الأميرُ صَدَقَةُ صاحِبُ الحِلَّةِ الخُطْبَةَ لبَرْكِيَارُق، وكان شِيعةً لمحمد، وكَتَبَ إلى الخَلِيفَةِ بالنَّكِيرِ على إيلْغازي، وأنَّه سائرٌ لإخراجِه عن بغْدادَ[(1)].

(أ) ح: محمّدا. (ب) ح: وتكون. (ج) سقط من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 369-371.

فجَمَعَ إيلغازي التُّركُمان، وفارَق بغدادَ إلى [عقَرْقُوف][(أ)][(1)] ، وجاء سَيْفُ الدَّوْلةِ صَدَقَةُ، ونزَلَ مُقابِلَ التَّاج، وقبَّلَ الأرْضَ وخَيَّم بالجانِبِ الغَرْبِيِّ. وأرْسَلَ إليه إيلْغازي يَعْتَذِرُ عن طاعةِ بَرْكِيارُق بالصُّلْح الواقِع، وأنَّ إقطاعَه بحُلْوان في جُمْلَةِ بلادِه التي وقَعَ الصُّلْحُ عليها، وبغدادُ الَّتي هو شِحْنَةٌ فيها قد صارتْ له، فقَبِلَ ورَضِيَ وعاد إلى الحِلَّةِ.

وبعَثَ المستَظْهِرُ في ذي القَعْدةِ من سنةِ سَبْعٍ وتِسْعينَ الخِلَعَ للسُّلْطانِ بَرْكِيارُق والأميرِ إيازَ والخَطِيرِ وَزِيرِ بَرْكِيارُق، وبعَثَ معها العَهْدَ له بالسَّلْطَنةِ، واسْتَحْلَفَه الرُّسُلُ على طاعةِ المستَظْهِرِ ورَجَعوا[(2)] .

وفاةُ السُّلْطانِ بَرْكِيارُق، ومُلْكُ ابْنِه مَلِكْشاه

كان السُّلْطانُ بَرْكِيارُق بعدَ الصُّلْحِ وانْعِقَادِه أقام بأصْبهانَ أشْهُرًا، وطَرَقَه المرَضُ فسار إلى بَغْداد، فلمَّا بلغَ بلَدَ بُرُوجِرْد[(ب)] اشْتَدَّ مَرَضُه وأقام بها أربعينَ يومًا حتى أشْفَى على الموتِ، فأحْضَرَ وَلَدَه مَلِكْشاه وجماعةَ الأمراءِ ووَلَّاه عَهْدَه في السَّلْطنةِ، وهو ابنُ خَمْسِ سنينَ[(ج)] ، وجَعَلَ الأميرَ إيازَ أتابكَه، وأوْصاهُم بالطَّاعة

(أ) ظ ح : عقرقوبا، ابن الأثير: بعقوبا. (ب) ظ: مردحرد، بدون نقط. (ج) عند ابن الأثير: أربع سنين وثمانية أشهر.

---

(1) عَقَرْقُوف: قريةٌ من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ (معجم البلدان 4: 137).

(2) الكامل في التاريخ 10: 372.

لهما، واستخلفهم على ذلك، وأمَرَهم بالمَسِيرِ إلى بغداد. وتخلّف عنهم ليعودَ إلى أصبهانَ فتوفِّي في شهرِ ربيعِ الآخرِ سنةَ ثمانٍ وتسعين.

وبلَغَ الخبرُ إلى ابنِه مَلِكْشاه والأميرُ إيازُ على اثنَيْ عَشرَ فرسَخًا من بلدِ بُروجِرْد، فرَجَعُوا/ وحضَروا لتجْهيزِه، وبَعَثُوا به إلى أصبهانَ ليُدفَنَ بها في تربةٍ [389 ب] أعدَّها، وأحْضَر إيَازُ السُّرادِقاتِ والخيامَ والجَتْرَ والشَّمْسَة، وجميعَ آلاتِ السَّلْطنةِ فجَعَلَها لمَلِكْشاه[1].

وكان إيلْغازي شِحْنةُ بَغْداد، قد حضَر عندَ السُّلْطانِ بَرْكِيارُق بأصْبهانَ في المحرَّمِ وحثَّه على المَسِيرِ إلى بَغْداد، فلمَّا مَاتَ بَرْكِيارُقُ سَارَ معَ ابنِه مَلِكْشَاه والأميرِ إيازَ ووَصَلُوا بغْدَادَ مُنْتَصَفَ رَبيعِ الآخرِ في خَمْسةِ آلافِ فارِسٍ، ورَكِبَ الوزيرُ أبو القاسمِ عليُّ بْنُ جُهَيْرٍ لتلقِّيهم فلَقِيَهم بدَيَالَى، وحضَر إيلْغازِي والأميرُ طَغَايْرَك بالدِّيوان وطَلَبوا الخُطْبَةَ لمَلِكْشاه بنِ بَرْكِيارُق فأجابَهم المسْتَظْهِرُ إلى ذلك، وخُطِبَ له ولُقِّبَ بألْقابِ جَدِّه مَلِكْشاه، ونُثِرتِ الدَّنانيرُ عندَ الخُطْبَة [له][2].

وُصُولُ السُّلْطانِ محمد إلى بغْدَادَ واسْتبدادُه بالسَّلْطَنَةِ والخُطْبَةِ، ومَقْتَلُ إيازَ

كان محمدٌ بعدَ صُلحِه معَ أخيه بَرْكِيَارُق قدِ اعْتَزَمَ على المسيرِ إلى المَوْصِلِ ليتناوَلَها من يدِ جكَرْمَش بما كانتْ منَ البلادِ التي عَقَدَ عليها، وكان بتبْرِيزَ ينْتَظِرُ

(1) الكامل في التاريخ 10: 380.

(2) المصدر نفسه 10: 382.

وُصولَ أصْحابِه من أذْرَبيجان، فلمّا وَصَلُوا اسْتَوْزَرَ سَعْدَ المُلْكِ أبا المحاسِنِ لحسْنِ أثَرِه في حِفظِ أصْبهانَ. ثمَّ رَحَلَ في صَفَرٍ من سنةِ ثمانٍ وتِسْعينَ يُريدُ المَوْصِلَ، وسمِعَ جَكَرْمَش فاستعدَّ للحِصارِ وأمَرَ أهْلَ السَّوادِ بدُخُولِ البَلَدِ. وجاء محمدٌ فحاصَرَه وبعَثَ إليه كُتُبَ أخِيه بأنَّ المَوْصِلَ والجَزيرَةَ من قِسْمَتِه، وأراهُ أيْمانَه بذلك، ووَعَدَه بأنْ يُقِرَّه على وِلايَتِها، فقال جَكَرْمَش: قد جاءَتْني كُتُبُ بَرْكِيارُق بعدَ الصُّلْحِ بخِلافِ هذا، فاشْتَدَّ محمدٌ في حِصارِه، وقُتِل بينَ الفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ، ونُقِبَ السُّورُ ليلةً فأصْبَحُوا وأعادُوه.

ووَصَلَ الخبرُ إلى جَكَرْمَش بوَفاةِ بَرْكِيارُق عاشِرَ جُمادَى، فاسْتَشارَ أصْحابَه، ورأى المَصْلَحَةَ في طاعةِ السُّلْطانِ محمدٍ، فأرْسَلَ إليه بالطّاعةِ، وأنْ يَدْخُلَ إليه وَزِيرُه سَعْدُ المُلْكِ فدَخَلَ، وأشارَ عليه بالحضورِ عندَ السُّلْطانِ فحَضَرَ، وأقْبَلَ السُّلْطانُ عليه وردَّه لحينِه لما توقَّعَ منَ ارْتِيابِ/ أهْلِ البَلَدِ بخُروجِه، وأكْثَرَ من الهَدايا [390أ] والتُّحَفِ للسُّلْطانِ ولوَزِيرِه.

ولمّا بَلَغَ السُّلْطانَ وَفاةُ أخِيه بَرْكِيارُق، سارَ إلى بغْدادَ ومعَه سُقْمانُ القُطْبيُّ - يُنْسَبُ إلى قُطْبِ الدَّوْلَةِ إسْماعيلَ بنِ ياقُوتي بنِ داوُدَ، وداوُدُ هو جَغْري بك أخو طُغْرُلْبك وأبو ألْب أرْسَلانَ - وسارَ معَه جَكَرْمَش صاحِبُ المَوْصِلِ وغيرُهما منَ الأمراءِ (1).

وكان سَيْفُ الدَّوْلَةِ صاحِبُ الحِلَّةِ قد جَمَعَ عَسْكَرًا: خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفَ فارِسٍ وعَشَرَةَ آلافِ راجِلٍ، وبَعَثَ ولَدَيْه: بَدْرانَ ودُبَيْسًا إلى السُّلْطانِ محمدٍ يَسْتَحِثُّه إلى

(1) الكامل في التاريخ 10: 384-385، والعبارة فيه بعد داوُد: وإسماعيل ابن عمّ مَلِكْشاه.

بغدادَ. ولمَّا سمِعَ الأميرُ إيازُ بقُدومِه خرَجَ هو وعَسْكَرُه وخيَّموا خارجَ بَغْدادَ واسْتشارَ أصْحابَه، فصمَّموا على الحربِ، وأشارَ وزيرُه أبو المحاسِنِ بطَاعةِ السُّلْطانِ محمدٍ وخوَّفَه عاقِبةَ خِلافِه وسفَّه آراءَهم في حَرْبِه، وأطْمَعَه في زيادةِ الإقْطاعِ. وتردَّدَ إيازُ في أمْرِه، وجَمَعَ السُّفُنَ عندَه، وضَبَطَ المشارِعَ[1].

ووَصَلَ السُّلْطانُ محمدٌ آخِرَ جمادَى من سنةِ ثمانٍ وتِسْعينَ[2]، ونزَلَ بالجانِبِ الغَرْبِيِّ، وخُطِبَ له هناك، ولِمَلِكْشاه بالجانِبِ الشَّرْقِيِّ. واقْتَصَرَ خَطِيبُ جامعِ المَنْصورِ على الدُّعاءِ للمُسْتَظْهِرِ ولسُلْطانِ العالَمِ فقط[3].

وجَمَعَ إيازُ أصْحابَه لليَمينِ فأبَوْا من المعاوَدَةِ، وقالوا: لا فائدةَ فيها، والوفاءُ إنَّما يكونُ بواحِدةٍ، فارْتَابَ إيازُ بهم، وبعَثَ وزيرَه الصَّفِيَّ أبا المحاسن إلى السُّلْطانِ محمدٍ في الصُّلْحِ وتَسْليمِ الأمْرِ، فلَقِيَ أوَّلاً وَزيرَه سَعْدَ المُلْكِ أبا المحاسِنِ سَعْدَ بنَ محمدٍ وأخْبَرَه فأحْضَرَه عندَ السُّلْطانِ محمدٍ وأدَّى رِسالةَ إيازَ والعُذْرَ عمَّا كان منه أيَّامَ بَرْكِيارُق، فقَبِلَه السُّلْطانُ وأعْتَبَه، وأجابَه إلى اليَمينِ.

وحضَرَ من الغَدِ القاضِي والنَّقِيبانِ، واسْتَحْلَفَه وزيرُ إيازَ بمَحْضَرِهم لمَلِكْشاه، ولإيازَ وللأمَراءِ الذين مَعَه، فقال: أمَّا مَلِكْشاه فهو ابْني، وأمَّا إيازُ والأمراءُ فأحْلِفُ لهم، إلَّا يَنالَ بنَ أنُوش(أ)، وصباوو، واسْتَحْلَفَه ألْكِيا الهَرَّاسِيُّ مُدَرِّسُ

(أ) عند ابن الأثير: إلَّا ينال الحُسامي وصَباوَة.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 385.

(2) يوم الجمعة لثمانٍ بقين من جمادى الأولى.

(3) الكامل في التاريخ 10: 386.

النِّظامِيَّةِ / بِمَحْضَرِ القاضِي والنَّقيبَيْن. ثم حضَر إيازُ من الغَدِ، ووَصَل سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَدَقَةُ، ورَكِبَ السُّلْطانُ للقائِهِما وأحْسَنَ إليْهما[1]. [390]

وعَمِل إيازُ دَعْوةً في دارِه، وهي دارُ كُوهْرائين، وحضَرَ عندَه السُّلْطانُ وأتْحَفَه بأشياءَ كثيرةٍ منها حَبْلُ البَلَخْشِ الذي كان أخَذَه من تَرِكةِ مُؤَيَّدِ المُلْكِ بنِ نِظامِ المُلْكِ. وحَضَرَ معَ السُّلْطانِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ صَدَقةُ بنُ مَزْيَد.

وكان إيازُ قد تَقَدَّم إلى غِلْمانِه بِلِبْسِ السِّلاحِ ليَعْرِضَهم على السُّلْطانِ، وحَضَرَ عندَهم بعضُ الصَّفَّاعِينَ فأخَذوا معَه في السُّخْرِية، وأَلْبَسوه دِرْعًا تحتَ قَمِيصِه، وجعَلوا يَتناوَلُونَه بأيْدِيهم فهَرَبَ منهم إلى خَواصِّ السُّلْطانِ، ورآه السُّلْطانُ متَسلِّحًا فأمَرَ بعضَ غِلْمانِه بالْتِماسِه فوَجَدَ السِّلاحَ فارْتابَ ونَهَضَ من دارِ إياز.

ثم اسْتَدْعاهُ بعدَ أيّامٍ ومعه جَكَرْمَشُ وسائرُ الأمراءِ، فلمَّا حَضَرَ وقَفَ عليهم بعضُ قُوّادِه وقال لهم: إن قِلِيج أرْسَلانَ بنَ سُلَيْمانَ بنِ قَطَلْمَش قَصَدَ ديارَ بَكْرٍ ليَمْلِكَها، فأشِيروا بمن نُسَيِّرُهُ لقتالِه؟ فأشاروا جميعًا بالأميرِ إياز، وطَلَبَ هو مَسِيرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ صَدَقَةَ معه، فاسْتَدْعَى إيازَ وصَدَقَةَ ليُفاوِضَهم في ذلك فنَهَضُوا إليه، وقد أعَدَّ جماعةً مِن خَواصِّه لقَتْلِ إيازَ، فلما دَخَلَوا ضُرِب إيازُ فقُطِعَ رأسُه ولُفَّ شِلْوُه في مِسْحٍ وأُلْقِي على الطَّريقِ، ورَكِبَ عَسْكَرُه فنهَبوا دارَه، وأرْسَلَ السُّلْطانُ لِحمايَتِها فافْتَرَقوا واخْتَفَى وَزِيرُه. ثم حُمِلَ إلى دارِ الوزيرِ سَعْدِ المُلْكِ فقُتِلَ في رَمَضَانَ من سَنَتِه. وكان من بيتِ رِياسَةٍ بهَمَذانَ، وكان إيازُ من مَماليكِ السُّلْطانِ مَلِكْشاه،

(1) الكامل في التاريخ 10: 386-387.

وصار بعدَ موتِه في جُملةِ أميرٍ آخَرَ فاتَّخذه ولدًا، وكان شُجاعًا حَسَنَ الرأيِ في الحزبِ[1].

واستبدَّ السُّلطانُ محمدٌ بالسَّلْطَنةِ وأحْسَنَ السِّيرةَ، ورفَعَ الضَّرائبَ، وكتَبَ بها الألْواحَ ونُصِبَتْ في الأسْواقِ، وعَظُمَ فسادُ التُّرْكُمانِ بطريقِ خُراسانَ، وهي من أعْمالِ العراقِ، فبَعَثَ إيلْغازي بنُ أُرْتُقَ شِحْنةُ بغدادَ بذلكَ ابنَ أخيه بَهرامَ بنَ أُرْتُقَ على / ذلك البلدِ، فحَمَاه وكَفَّ الفسادَ منه. وسار إلى حِصْنٍ من أعمالِ سِرْخابَ بنِ بَدْرٍ فحَصَرَه ومَلَكَه. [391 أ]

ثم ولَّى السلطانُ محمدٌ سُنقُرَ البُرْسُقيَّ شِحْنةَ بالعراقِ، وكان معه في حروبِه، وأقْطَعَ الأميرَ قايْمازَ الكوفةَ، وأمَرَ صَدَقةَ صاحِبَ الحِلَّةِ أنْ يَحْميَ أصْحابَه من خفاجةَ.

ولمَّا كان شَهرُ رَمَضانَ من سنةِ ثمانٍ وتِسْعينَ عاد السُّلطانُ محمدٌ إلى أصْبهانَ، وأحْسَنَ فيهمُ السِّيرةَ وكَفَّ عنهمُ الأيْديَ العادِيَةَ عنهم[2].

الشِّحْنةُ ببغدادَ

كان السُّلْطانُ قد قَبَضَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِ مائة[أ] على أبي القاسمِ الحُسَيْنِ ابنِ عبدِ الواحدِ صاحبِ المخزَنِ، وعلى أبي الفَرَجِ ابنِ رئيسِ الرُّؤساءِ واعتَقَلَهما

(أ) النسخ: ثنتين وخمسين.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 388-389.

(2) المصدر نفسه 10: 395-396.

وصادَرَها على مالٍ يَحْمِلانِه، وأرْسَلَ مجاهدَ الدِّين بَهْرُوزَ لقَبْضِ المالِ، وأمَرَه بعِمارةِ دارِ المُلْكِ، فاضْطَلَعَ بعِمارَتِها، وأحْسَنَ السِّيرةَ في النَّاس، وقَدِمَ السُّلْطانُ إثْرَ ذلك إلى بغْدادَ فشَكَرَ سِيرتَه، ووَلّاه شِحْنَةَ بالعراقِ وعاد إلى أصْبَهانَ[1].

وَفاةُ السُّلْطانِ محمد، ومُلْكُ ابنه محمود

ثم تُوفِّي السُّلْطانُ محمدُ بنُ مَلِكْشاه آخِرَ ذي الحِجَّةِ[2] من سنةِ إحْدَى عَشْرَةَ وخَمْسِ مائةٍ، وقد كان عَهِدَ لولَدِه محمودٍ ـ وهو يومئذٍ غلامٌ مُحْتَلِمٌ ـ وأمَرَه بالجُلوسِ على التَّخْتِ بالتَّاجِ والسِّوارَيْن، وذلك لثِنْتَيْ عَشْرةَ سنةً ونِصْفٍ من اسْتِبْدادِه بالمُلْكِ، واجْتِماعِ النَّاس عليه بعدَ أخِيه[3].

ووَلِيَ بعدَه ابنُه محمودٌ وبايعَه أمراءُ السُّلْجُوقِيَّةِ، ودبَّرَ دَوْلَتَه الوزيرُ الرَّبِيبُ أبو مَنْصورٍ ابنُ الوَزيرِ أبي شُجاعٍ محمدِ بنِ الحسينِ وَزيرِ أبيه، وبعَثَ إلى المُسْتَظْهِرِ في الخُطْبةِ فخَطَبَ له على مَنابِرِ بغْدادَ مُنْتَصَفَ المحرَّم سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ[4].

وكان آقْسُنْقُرُ البُرْسُقيُّ مُقِيمًا بالرَّحْبَةِ اسْتَخْلَفَ بها ابْنَه [عِزَّ الدِّين] مَسْعُودًا، وسار إلى السُّلْطانِ محمدٍ يطلُبُ الزِّيادةَ في الأقْطاعِ والوِلايةِ. ولَقِيَه خبَرُ وَفاتِه قريبًا من بَغْدادَ، فمَنَعَه بَهْرُوزُ الشِّحْنةُ من دُخُولِها، وسار إلى أصْبَهانَ، فلَقِيَه

(1) الكامل في التاريخ 10: 471.
(2) في الرابع والعشرين من ذي الحجة.
(3) الكامل في التاريخ 10: 525.
(4) المصدر نفسه 10: 533.

[391 ب] بحُلوانَ توقيعُ السُّلْطانِ محمودٍ بأنْ/ يكونَ شِحْنَةَ بَغْدادَ بسَعْيِ الأمراءِ له في ذلك تَعَصُّبًا على مجاهدِ الدِّين بَهْرُوزَ، وغَيْرَةً منه لمكانِه عندَ السُّلْطانِ محمد[1].

ولمَّا رَجَعَ آقْسُنقُرُ إلى بَغْدادَ هَرَبَ مجاهدُ الدِّين بَهْرُوزُ إلى تكْرِيتَ، وكانت من أعْمالِه. ثم عزَلَ السُّلْطانُ محمودٌ آقْسُنقُرَ، ووَلَّى شِحْنَةَ بَغْدادَ الأميرَ مَنْكُبَرْس وكان حاكمًا في دَوْلَتِه بأصْبهانَ، فبَعَثَ نائبًا عنه ببغْدادَ والعراقِ الأميرَ حسيْنَ بنَ أُوزْبَك أحدَ أمراءِ الأتْراكِ. ورَغِبَ البُرْسُقيُّ من المُسْتَظْهِرِ أن يبعثَ إليه بالتوقُّفِ حتَّى يُراجِعَ السُّلْطانَ محمودًا في أمْرِ آقْسُنقُرَ، فأبى وقال: إنْ أمَرَني المُسْتَظْهِرُ بالعَوْدِ عُدْتُ وإلَّا فلا أتوقَّفُ، فسار آقْسُنقُرُ إليه وقاتَلَه، وانْهَزَمَ الأميرُ حسينٌ وقُتِلَ أخُوه، وعاد إلى عَسْكَرِ السُّلْطانِ، وذلك في ربيعٍ الأولِ من سنةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ[2].

وَفَاةُ المُسْتَظْهِرِ وخلافَةُ المُسْتَرْشِد

ثم تُوفِّي المُسْتَظْهِرُ باللهِ: أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ المقْتَدِي باللهِ أبي القاسِمِ عَبْدِ اللهِ بنِ القائمِ باللهِ في مُنْتَصَفِ ربيعٍ الآخِرِ[3] سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ وخَمْسِ مائَةٍ، لأرْبعٍ وعِشْرِينَ سنةً وثلاثةِ أشْهُرٍ من خلافَتِه[4].

(1) الكامل في التاريخ 10: 533.

(2) المصدر نفسه 10: 534.

(3) سادس عشر شهر ربيع الآخر.

(4) الكامل في التاريخ 10: 534-535؛ نهاية الأرب 23: 260.

وبُويِعَ بعدَه ابنُه المسترْشِدُ بالله الفَضْلُ، وكان وَلِيَّ عَهْدِه منذُ ثلاثٍ وعِشرِينَ سنةً، وبايعَه أخَواهُ أبو عبدِ اللهِ محمدٌ وهو المُقْتَفي، وأبو طالبٍ العَبَّاسُ، وعُمومَتُه بنُو المُقْتَدِي وغيرُهم منَ الأمراءِ والقُضاةِ والأيمّةِ والأعْيانِ. وتولَّى أخْذَ البَيْعةِ القاضِي أبو الحَسَنِ الدّامَغانيُّ، وكان نائبًا عنِ الوِزارةِ فأقَرَّه المسْتَرْشِدُ عليها، ولم يأخُذِ البَيْعَةَ قاضٍ غيرُ هذا للمسترْشِدِ، وأحْمَدَ بنِ أبي دُوادَ للواثِقِ، والقاضِي أبي عليٍّ إسْماعيلَ بنِ إسْحاقَ للمُعْتَضِدِ.

ثم عَزَلَ المسْتَرْشِدُ قاضِيَ القُضاةِ عن نيابةِ الوِزارةِ، واسْتَوْزَرَ أبا شُجاعٍ محمدَ ابنَ الرَّبِيبِ أبي مَنْصورٍ، خاطَبَه أبوه وزيرُ السُّلْطانِ محمودٍ وابنُه محمدٌ في شأنِه فاسْتَوْزَرَه[1]. ثم عزَلَه سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ، واسْتَوْزَرَ مكانَه جلالَ الدِّين عميدَ الدَّوْلةِ أبا عليِّ بنَ صَدَقَةَ، وهو عمُّ جَلالِ الدِّين أبي الرِّضا بنِ / صَدَقَةَ وَزيرِ الرَّاشِدِ[2]. [392أ]

ولمَّا شُغِلَ النَّاسُ ببَيْعَةِ المسْتَرْشِد رَكِبَ أخُوه الأميرُ أبو الحَسَنِ في السُّفُنِ مع ثلاثةِ نَفَرٍ، وانْحَدَرُوا إلى المَدائِنِ، ومنها إلى الحِلَّةِ فأكْرَمَه دُبَيْس، وأهمَّ ذلك المسْتَرْشِدَ، وبعَثَ إلى دُبَيْسٍ في إعادَتِه مع النَّقِيبِ عليِّ بنِ طَرَّادٍ الزَّيْنَبِيِّ، فاعْتَذَرَ بالذِّمامِ، وأنَّه لا يُكْرِهُه، فخَطَبَ النَّقِيبُ أبا الحسنِ أخا الخَلِيفَةِ في الرُّجوعِ فاعْتَذَرَ بالخَوْفِ، وطَلَبَ الأمانَ. ثمَّ حدَثَ مع البُرْسُقِيِّ ودُبَيْس ما نَذْكُرُه، فتأخَّرَ ذلك إلى صَفَرٍ من سَنَةِ ثلاثَ عَشْرَةَ، فسار أبو الحَسَنِ بنُ المسْتَظْهِرِ إلى واسِطَ ومَلَكَها، فبادَرَ المسْتَرْشِدُ إلى وِلايةِ العَهْدِ لابنِه جَعْفَرٍ المَنْصورِ ابنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سنةً، فخَطَبَ

(1) الكامل في التاريخ 10: 536-537؛ نهاية الأرب 23: 261.
(2) المصدر نفسه 10: 560.

له وكَتَبَ إلى البلادِ بذلك، وكتَبَ إلى دُبَيْسٍ بمُعاجَلَةِ أخِيه أبي الحَسَنِ، فإنَّه فارَق ذِمامَه، فبَعَثَ دُبَيْسٌ العساكِرَ إلى واسِطَ فهَرَبَ منها، وصادَفُوه عند الصُّبْحِ فنَهَبوا أثقالَه وهرَبَ الأكرادُ والأتراكُ عنه، وقبَضَ عليه بعضُ البَدْوِ وجاءوا به إلى دُبَيْس فبَعَثَه إلى أخِيه المسْتَرْشِدِ بعدَ أنْ بذَلَ له عِشْرِينَ ألفَ دينارٍ فأكْرَمَه المسْتَرْشِدُ وأمَّنَه وأنْزَلَه أحْسَنَ نُزُل[1].

انتقاضُ المَلِكِ مَسْعودٍ على أخيه السُّلْطانِ محمود ثُم مُصالَحَتِه واسْتِقْرارِ مَنْكَبَرْس شِحْنَةً ببَغْداد[أ]

كان السُّلْطانُ محمدٌ قد أنزَلَ ابنَه مَسْعُودًا بالمَوْصِلِ، وجَعَلَ مَعَه جيوش بك أتابِكًا، فلمَّا مَلَكَ السُّلْطانُ محمودٌ بعدَ وَفاةِ أبيه، ثم وَلِيَ المُسْتَرْشِدُ الخلافةَ بعدَ أبيه، وكان دُبَيْسٌ صاحبُ الحِلَّةِ مُمْرِضًا في طاعَتِه، وكان آقْسُنْقُرُ البُرْسُقِيُّ شِحْنَةً بالعراقِ كما ذكَرْناه، فأراد قَصْدَ الحِلَّةِ وإجلاءَ دُبَيْس عنها، وجَمَعَ لذلك جُموعًا من العَرَبِ والأكرادِ، وبَرَزَ من بَغْدادَ في جُمادَى [الأولى] سَنَةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ. وبلَغَ الخبرُ إلى المَلِكِ مَسْعودٍ بالمَوْصِلِ، وأنَّ العراقَ خالٍ من الحامِيَةِ، فأشارَ عليه أصْحابُه بقَصْدِ العراقِ للسَّلْطَنَةِ فلا مانِعَ دونَها، فسار في جُيوشٍ كثيرةٍ، ومعه وَزِيرُه فَخْرُ المُلْكِ أبو عليٍّ [392 ب] ابنُ عَمَّارٍ صاحِبُ طَرابُلُس، وسَيأتي خَبرُه، وقَسِيمُ الدَّوْلَةِ/ زَنْكِي بنُ آقْسُنْقُرَ أبو

(أ) ح: بغداد.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 538-539.

المَلِكِ العادِلِ، وصاحِبُ سِنجارَ وأبو الهَيْجاءِ صاحِبُ إرْبِلَ وكَرْباوِي بنُ خُراسَانَ التُّرْكُمانيُّ صاحِبُ البَوازِيجِ (1).

ولمَّا قَرُبوا من العراقِ خافَهم آقْسُنقُرُ البُرْسُقيُّ لمكانِ جَيُوش بك من المَلِكِ المَسْعُودِ، وأمَّا هو فقد كان أبوه محمدٌ جَعَله أتابِكًا لابْنِه مَسْعودٍ، فسار البُرْسُقيُّ لِقِتالِهم، وبَعثوا إليه الأميرَ كَرْباوي في الصُّلحِ، وأنَّهم إنَّما جاءوا نجْدةً له على دُبَيْس فقَبِل، وتعاهَدُوا ورجَعُوا إلى بَغْدادَ، وتُرِكَ مَسْعودٌ بدارِ المَمْلَكة.

ثم جاء الخبرُ بوُصُولِ عمادِ الدِّينِ مَنكَبَرْس شِحْنةً للعراقِ وبَغْدادَ كما مرَّ خَبَرُه، وسَارَ البُرْسُقيُّ لقتالِه، فاجْتَمَعَ مع دُبَيْسِ بْنِ صَدَقَةَ واتَّفقا على المعاضَدَةِ، وسار المَلِكُ مَسْعودٌ ومن معَه إلى المَدائِنِ للقاءِ دُبَيْس ومَنْكَبَرْس. ثم بلَغَهم كَثْرةُ جُموعِهِا فعاد المَلِكُ مَسْعودٌ والبُرْسُقيُّ وجيوش بك، وعَبَرُوا نهرَ صَرْصَرَ (2) وحَفِظُوا المخاضَاتِ [عَلَيْه]، وأفْحَشَ الطَّائفتانِ في نَهْبِ السَّوادِ واسْتباحَتِه: بنَهْرِ المَلِك، ونهرِ صَرْصَرَ، ونهرِ عِيسَى، ودُجَيْلٍ (3).

وبَعَثَ المُسْتَرْشِدُ إلى المَلِكِ مَسْعُودٍ والبُرْسُقيِّ بالنَّكِيرِ عليهم، فأنْكَرَ البُرْسُقيُّ وُقُوعَ شيءٍ من ذلك، واعْتَزَم على العَوْدِ إلى بغْدادَ، وبلَغَه أنَّ دُبَيْسًا ومَنْكَبَرْس قد جهَّزَا العساكِرَ إليها مع مَنصورٍ أخِي دُبَيْس وحُسَيْنِ بنِ أُوزْبَك رَبِيبِ مَنْكَبَرْس،

(1) الكامل في التاريخ 10: 539؛ نهاية الأرب 27: 11.

(2) صَرْصَر: قريتان من سَوَاد بغداد: صَرْصَر العُلْيا وصَرْصَر السُّفْلى، وهما على ضَفَّة نهر عيسى، وربما قيل نهر صَرْصَر فنسب النهر إليها. (معجم البلدان 3: 401).

(3) الكامل في التاريخ 10: 540.

فأغَذَّ السَّيْرَ، وخلَّفَ ابْنَه عزَّ الدِّين مَسْعُودًا على العَسْكَرِ بصَرْصَرَ. واستَصْحَبَ عِمادَ الدِّين زَنْكِي بنَ آقْسُنْقُرَ، وجاءوا بغْدادَ لَيْلاً فمنَعوا عساكِرَ مَنْكَبَرْس ودُبَيْس من العُبورِ.

ثم انْعَقَدَ الصُّلحُ بينَ مَنْكَبَرْسَ والملكِ مَسْعودٍ، وكان سَبَبُه أنَّ جيوش بك كاتَبَ السُّلْطانَ محمودًا وهو بالمَوْصِلِ في طَلَبِ الزِّيادةِ له وللمَلِكِ مَسْعودٍ، فجاء كِتابُ الرَّسولِ بأنَّه أقْطَعَهم أَذْرَبِيجان. ثم بلَغَه قَصْدُهم بغْدادَ فاتَّهَمَهم بالانْتِقاضِ، وجَهَّزَ العساكِرَ إلى المَوْصِلِ. وسقَطَ الكِتابُ بيدِ مَنْكَبَرْسَ، وكان على أمِّ المَلِكِ مسعودٍ، فبَعَثَ به إلى جيوش بك، وداخَلَه في الصُّلْحِ والرُّجوعِ عمَّا هم فيه فاصْطَلَحوا واتَّفَقُوا.
[393 أ] وبلَغَ الخبرُ إلى البُرْسُقِيِّ فجاء إلى الملكِ مَسْعُودٍ وأخَذَ مالَه وترَكَه، وعاد/ إلى بَغْدادَ فخَيَّمَ بجانبٍ منها، وجاء الملكُ مسعودٌ وجيوش بك فخَيَّما في جانبٍ آخَرَ، وأُصْعِدَ دُبَيْسٌ ومَنْكَبَرْسُ فخَيَّما كذلك، وتفرَّق عن البُرْسُقيِّ أصْحابُه وجُموعُه، وسار عن العراقِ إلى المَلِكِ مَسْعُودٍ فأقام معه، واستقرَّ مَنْكَبَرْسُ شِحْنَةً ببغْدادَ وعاد دُبَيْسٌ إلى الحِلَّةِ، وأساء مَنْكَبَرْسُ السِّيرةَ في بَغْدادَ بالظُّلم والعَسْفِ، وانطِلاقِ أيْدِي أصْحابِه بالفسادِ حتى ضَجِرَ النَّاس، وبعَثَ عنهُ السُّلْطانُ محمودٌ فسار إليه، وكُفِيَ النَّاسُ شَرَّه[1].

(1) الكامل في التاريخ 10: 539-542 (عنه مُلَخصا)، وكذلك نهاية الأرب 27: 10-13.

انْتِقاضُ المَلِكِ طُغْرُلَ على أخيه السُّلْطانِ محمود

كان المَلِكُ طُغْرُل قد أقْطَعَه أبوه السُّلْطانُ محمدٌ سنةَ أربَعٍ [وخمسِ مائةٍ] ساوَةَ[1] وآوَةَ وزَنْجانَ، وجَعَلَ أتابِكَه الأميرَ شِيرْكِير، وكان قدِ افْتَتَح كثيرًا من قِلاعِ الإسماعيليَّةِ فاتَّسَع مُلْكُ طُغْرُل بها. ولمَّا ماتَ السُّلْطانُ محمدٌ، بعَث السُّلْطانُ محمودٌ الأميرَ كُنْتَغْدي[أ] أتابِكًا لطُغْرُل، وأمَرَه أن يحمِلَه إليه، فلمَّا وصَلَ إليه حَسَّنَ له المخالفةَ فانْتَقَض سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ، فبعَثَ إليه السُّلْطانُ بثلاثِينَ ألْفَ دينارٍ وتُحَفٍ ووعَدَه بإقْطاعٍ كثيرٍ، وطَلَبَه في الوُصولِ فمنَعَه كُنْتَغْدي وأجابَ بأنَّنا في الطَّاعةِ، ومعَنا العساكرُ وإلى أيِّ جهةٍ أرادَ السُّلْطانُ قصَدْنا. فاعتزمَ السُّلْطانُ على السَّيْرِ إليهم، وسار من هَمَذانَ في جُمادَى سنةَ ثلاثَ عَشْرةَ في عَشَرةِ آلافِ فارسٍ غازيًا. وجاء النَّذيرُ إلى كُنْتَغْدي بمسيرِه، فأجْفَلَ هو وطُغْرُل إلى قلعةِ سَرْجَهانَ، وجاء السُّلْطانُ إلى العَسْكَرِ بزَنْجانَ فنهَبَه، وأخَذَ من خِزانةِ طُغْرِل ثلاثَ مائةِ ألْفِ دينارٍ، وأقام بزَنْجانَ وتوجَّه منها إلى الرَّيِّ، ولَحِقَ طُغْرِل وكُنْتَغْدي من سَرْجَهانَ[2] بكَنْجَةَ،

(أ) في سائر النسخ: كنبغدي، والمثبت من ابن الأثير، وفي نهاية الأرب: كندغدي.

---

(1) سَاوَة: مدينةٌ بين الرَّيِّ وهَمَذان، وآوَه مدينةٌ تبْعَد عن سَاوَه نحو فرسخين، وأهْلُ ساوة سُنَّةٌ شافعية بينما أهْلُ آوه شيعة إمامية (معجم البلدان 3: 179).

(2) سَرْجَهان: قَلْعَةٌ حصينة على طرف جبال الدَّيْلَم تُشرف على قاع قَزْوين وزنجان وأبْهَر، رآها ياقوت في مطلع القرن السابع الهجري (معجم البلدان 3: 207).

وقصَدَه أصْحابُه وقَوِيتْ شَوْكَتُه وتأكَّدَتِ الوَحْشَةُ بينَه وبينَ أخِيه السُّلْطانِ محمود[1].

الفِتْنَةُ بينَ السُّلْطانِ محمود وعمِّه سَنْجَرَ صاحِبِ خُراسَانَ والخُطْبَةُ بَغْدادَ لسَنْجَرَ

كان الملِكُ سِنجرُ أميرًا على خُراسانَ وما وراءَ النَّهرِ منذُ أيّامِ شقيقِه السُّلْطانِ محمدٍ الأُولَى معَ بَرْكِيارُق. ولمَّا تُوفِّي السُّلْطانُ محمدٌ جَزِعَ له جَزَعًا شديدًا حتى أغْلَقَ البَلَدَ للعَزاءِ، وتقدَّم/ [393 ب] للخُطَباءِ بذِكْرِ آثارِه ومحاسِنِ سِيَرِه من قِتالِ الباطِنيَّةِ وإطْلاقِ المكوسِ وغيرِ ذلك. وبلَغَه مُلْكُ ابْنِه محمودٍ مكانَه، وتغلُّبُ الأمراءِ عليه، فنَكِرَ ذلك واعْتَزَم على قَصْدِ بلدِ الجَبَلِ[أ] والعراقِ، وأتى له محمودٌ ابنُ أخِيه، وكان يُلقَّبُ بناصِرِ الدِّين، فتلَقَّب بعزِّ الدِّين لَقَبِ أبِيه مَلِكْشاه.

وبعَث إليه السُّلْطانُ محمودٌ بالهدايا والتُّحَفِ معَ شَرَفِ الدِّين أنُوشِرْوَانَ بنِ خالد، وفَخْرِ الدَّوْلَة طَغايرك بنِ [اليَزَن][ب]، وبَذَلَ عن مازَنْدَرانَ مائتَيْ ألْفِ دِينارٍ كلَّ سنةٍ، فتجهَّز للرَّيِّ، ونَكِرَ على محمودٍ تغلُّبَ وزيرِه أبي مَنْصورٍ، وأميرِ حاجِبٍ عليِّ ابنِ عمرَ عليه، وسَارَ وعلى مقدِّمَتِه الأميرُ أنَر. وجَهَّز السُّلْطانُ محمودٌ عليَّ بنَ عمرَ حاجِبَه وصاحِبَ أبِيه في عَشَرةِ آلافِ فارسٍ، وأقام هو بالرَّيِّ وسَارَ، فلمَّا

(أ) ابن الأثير: بلاد الجبال. (ب) ظ: البرس، دون نقط. ج: اكبرين.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 547-548، نهاية الأرب 27: 13-15.

قارَب الحاجِبُ مقدِّمةَ سِنجِرَ مع الأميرِ أنَر بجُرْجانَ، رَاسَلَه باللِّينِ والخُشونةِ، وأنَّ السُّلطانَ محمدًا أوْصانا بتعظيمِ أخِيه سِنجِرَ واسْتَحْلَفَنا على ذلك، إلَّا أنا لا نَغْضي على زَوالِ مُلكِنا.

ثم تهدَّدَهُ بكَثرةِ العساكِرِ وقوَّتِها، فرَجَعَ أنَر عن جُرْجانَ، واتَّبَعَه بعضُ العَسْكَرِ فنَالُوا منه. وعاد عليُّ بنُ عمرَ إلى السُّلطانِ محمودٍ فشَكَرَه، وأشار عليه أصْحابُه بالمُقامِ بالرَّيِّ فلم يَقبَلْ. ثم ضَجِرَ وسار إلى جُرْجَانَ وتوافَتْ إليه الأمْدادُ من العِراقِ؛ مَنْكَبَرْس شِحْنةُ بغْدادَ في عَشَرةِ آلافِ فارِسٍ، ومَنْصورٌ أخو دُبَيْس، وأُمراءُ البَكْجِيَّة وغَيْرُهم. وسار إلى هَمَذَانَ فأقام بها، وتُوفِّي بها وَزِيرُه الرَّبِيبُ، واسْتَوْزَرَ مَكانَه أبا طالبٍ السُّمَيْرَمِيّ.

ثم جاء السُّلْطانُ سِنْجِرُ إلى الرَّيِّ في عِشْرِينَ ألفًا وثمانيةَ عَشَرَ فِيلاً ومعَهُ ابنُ الأمِير أبي الفَضْلِ صاحِبِ سِجِسْتانَ وخُوارِزْم شاه محمد، والأميرُ أنَر والأميرُ قُماج، واتَّصل به علاءُ الدَّوْلةِ كرشاسِف بنُ فَرامَرْز بنِ كاكَوَيْه صاحِبُ يَزْد، وكان صِهْرَ محمدٍ وسِنْجِرَ على أخْتِهما. واخْتَصَّ بمحمدٍ ودعاه محمودٌ فتأخَّر عنه، فأقْطَعَ بلَدَه لقَراجا السَّاقي الذي وَلِيَ بعدَ ذلك فارِسَ.

فسارَ علاءُ الدَّوْلَةِ إلى سِنجِرَ، وعَرَّفَه حالَ السُّلْطانِ محمودٍ، واخْتِلافَ أصْحابِه، وفسادَ بلادِه، فزَحَفَ إليه السُّلْطانُ محمودٌ من هَمَذَانَ في ثلاثينَ ألفًا ومعَهُ عليُّ بنُ عُمَرَ أميرُ حاجِب ومَنكَبَرْس وأتابِكُه غُزغلي وبنو بُرْسُق وسُنقُرُ البُخارِيُّ وقَراجا السَّاقي/ ومعَهُ تِسْعُ مائةِ حِمْلٍ من السِّلاحِ. والْتَقَيا على ساوَةَ في جُمادَى سنة [394أ]

ثلاثَ عَشرةَ فانهزمَتْ عساكرُ السُّلطانِ سِنجرَ أوّلاً، وثبَتَ هو بينَ الفِيَلةِ، والسُّلطانُ محمودٌ قُبالَته، وأُشِيرَ عليه بالفِرارِ فأبَى، ثم قدَّمَ الفِيَلةَ فانهزمتْ عساكرُ السُّلطانِ محمودٍ وأُسِرَ أتابِكُه غُزغلي، وكان يكاتِبُ سنجرَ ويعِدُه بوصولِ ابنِ أخيه إليه، فلما حضرَ عندَ السُّلطانِ وبَّخَه على ذلك وقتلَه، ثم نزلَ السُّلطانُ سنجرُ خيامَ السُّلطانِ محمودٍ، واجتَمعَ أصحابُه إليه. وبلَغَ الخبرُ إلى بغدادَ، فأرسلَ دُبَيْسُ بنُ صَدَقةَ إلى المسترشِدِ في الخُطبةِ للسُّلطانِ سِنجرَ فخُطِبَ له آخِرَ جُمادى (1)، وقُطِعتْ خُطبةُ محمود.

وسار محمودٌ بعدَ الهزيمةِ إلى أصبَهانَ ومعَه وَزيرُه أبو طالبٍ السُّمَيْرميُّ والأميرُ عليُّ بنُ عمرَ وقَراجا، واجتمعتْ عليه العساكرُ وقَوِيَ أمرُه. وسار السُّلطانُ سِنجرُ من هَمَذانَ، ورأى قِلَّةَ عساكرِه، فراسَلَ ابنَ أخيه في الصُّلحِ، وكانت والدتُه ـ وهي جَدَّةُ محمودٍ ـ تُحرِّضُه على ذلك، فأجاب إليه. ثم وصَل إليه آقسُنقُرُ البُرسُقيُّ الذي كان شِحْنَةً ببَغدادَ، وكان عندَ الملكِ مَسْعُودٍ من يومِ انصرافِه عنها، وجاءَهُ رسولُه من عندِ السُّلطانِ محمودٍ بأنَّ الصُّلحَ إنَّما يُوافِقُ عليه الأمراءُ بعدَ عَوْدِ السُّلطانِ سِنجرَ إلى خُراسانَ، فأنِفَ من ذلك، وسار من هَمَذانَ إلى الكَرَجِ، وأعاد مُراسَلَةَ السُّلطانِ محمودٍ في الصُّلحِ، وأن يكونَ وليَّ عَهْدِه، فأجابَ إلى ذلك، وتَحالَفا عليه.

وجاء السُّلطانُ محمودٌ إلى عمِّه سِنجرَ، ونَزَلَ في بيتِ والدتِه وهي جدَّةُ

(1) في السّادس والعشرين منه.

محمودٍ، وحَمَل إليه هديَّةً حَفِلَةً. وكتَب السُّلطانُ سِنجرُ إلى أعمالِه بخُراسانَ وغَزْنَةَ وما وراءَ النَّهرِ وغيرِها من الوِلاياتِ بأن يُخْطَبَ للسُّلطانِ محمودٍ، وكتَب إلى بَغْدَادَ بمثلِ ذلك، وأعاد عليه جميعَ البلادِ سِوَى الرَّيِّ، لئلَّا تحدِّث محمودًا نَفْسُه بالانتِقاضِ[1].

ثم قَتَلَ السُّلْطانُ محمودٌ الأميرَ مَنكَبَرْس شِحْنَةَ بغْدادَ؛ لأنَّه لمَّا انهزَم محمودٌ، سار إلى بغْدادَ ليَدْخُلَها ومنعَه دُبَيْسٌ فعاثَ في البلادِ، ورَجَعَ وقدِ اسْتقرَّ الصُّلحُ، فقَصَدَ السُّلْطَانَ سِنجرَ مُستجِيرًا به فأبَى من إجارَتِه/ أو مؤاخَذَتِه، وبَعَثَه إلى [394 ب] السُّلْطانِ محمودٍ فقتَلَه صَبرًا لما كان يستبدُّ عليه بالأمورِ[2]، وسار شِحْنَةً إلى بَغْدادَ على رَغْمِه، فحَقَدَ له ذلك، وأمَرَ السُّلْطانُ سِنجِرُ بإعادةِ مُجاهِدِ الدِّين بَهْرُوزَ شِحْنَةً بالعراقِ، وكان بها نائِبَ دُبَيْس بنِ صَدَقَةَ، فعُزِلَ به[3].

ثم قَتَلَ السُّلْطانُ محمودٌ حاجِبَه عليَّ بنَ عمرَ، وكان قدِ اسْتَخْلَصَه ورفَع مَنْزِلَتَه فكثُرَتِ السِّعايةُ فيه فهَرَبَ إلى قَلْعَةٍ عندَ الكَرَج كان بها أهْلُه ومالُه، ثم لَحِقَ بخُوزِسْتانَ وكانتْ بيدِ بني بُرْسُقَ، فاقْتَضَى عُهُودَهم، وسار إليهم. فلمَّا كان على تُسْتَرَ بَعَثوا مَن يَقْبِضُ عليه فقاتَلَهم فلم يُغْنِ عنه وأسَرُوه، واسْتأذَنُوا السُّلْطانَ محمودًا في أمْرِه فأمَرَ بقَتْلِه، وحُمِلَ رأسُه إليه[4].

(1) الكامل في التاريخ 10: 548-553.
(2) المصدر نفسه 10: 556-557؛ نهاية الأرب 27: 16.
(3) المصدر نفسه 10: 560 وفيه: فعُزل عنها، وفي ح: فعزل.
(4) المصدر نفسه 10: 557؛ نهاية الأرب 27: 17.

انْتِقاضُ المَلِكِ مسْعودٍ على أخيه السُّلْطانِ مَحْمودٍ والفِتْنَةُ بينَهما

كان المَلِكُ مسعودٌ قدِ استقرَّ بالمَوْصِلِ وأَذْرَبيجان منذ صالَحه السُّلْطانُ محمودٌ عليها بأوَّلِ مُلْكِه، وكان آقْسُنقُرُ البُرْسُقيُّ مع المَلِكِ مَسعودٍ منذ فارَق شِحْنَكيَّةَ بغْدادَ، وأَقْطَعَه مَراغَةَ مُضافةً إلى الرَّحْبةِ، وكان دُبَيْس يكاتِبُ جيوش بك الأتابكَ في القَبْضِ عليه وينسُبُه إلى مُوالاةِ السُّلْطانِ محمودٍ، ويَبْذُلُ لهمُ المالَ على ذلك. وشعَرَ بذلك البُرْسُقيُّ ففارقَهم إلى السُّلْطانِ محمودٍ، وعاد إلى جميلِ رَأْيِه فيه. وكان دُبَيْسٌ مع ذلك يُغْرِي الأتابِكَ جيوش بك بالخلافِ على السُّلْطانِ محمودٍ، ويَعِدُهم من نفسِه المناصَرَةَ، لينالَ باخْتِلافِهم في تمهيدِ سُلْطانِه ما ناله أبوه باخْتلافِ بَرْكِيارُق ومحمد. وكان أبو المؤيَّدِ محمدُ بنُ أبي إسماعيلَ الحسينِ بنِ عليٍّ الأصْبَهانيّ يَكْتُبُ للمَلِكِ مَسْعُودٍ ويَرْسُمُ الطُّغْرى[1]، وهي العَلامَةُ على مَراسيمِه ومخاطَباتِه. وجاء والِدُه أبو إسماعيلَ مِن أصْبهانَ فعزَلَ المَلِكُ مَسعودٌ وَزِيرَه أبا عليِّ بنَ عَمّارٍ صاحِبَ طَرابُلُسَ، واسْتَوْزَرَه مكانَه سنةَ ثلاثَ عَشْرَةَ، فَحَسَّنَ له الخلافَ الذي كان دُبَيْسٌ يُكاتِبُهم فيه ويُحَسِّنُه لهم. وبلَغ السُّلْطانَ محمودًا خَبَرُهم، فكتَبَ يُحذِّرُهم فلم يَقْبَلوا

(1) الطّغرى كما في الأصول أو الطُّغْرَاء: لَفظَةٌ فارسية تعني طُرَّة المكتوب، فكان يُكتَبُ بأعلى من البَسْمَلَة بقَلم غَليظٍ ألقابُ السُّلْطان، وكانت تقوم عند السَّلاجِقَة مَقام خَطّ السُّلْطان بيده على المَنَاشِير والكتب، ويُستَغنى بها عن عَلامَة السُّلْطان؛ فكان ديوانُ الإنشَاء في الدَّوْلَة السَّلْجوقية يُسَمَّى لذلك "ديوان الطُّغْرَاء". (يراجع التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري 117؛ صبح الأعشى للقلقشندي 13: 162؛ المواعظ والاعتبار للمقريزي 3: 674، 732؛ CL. CAHEN, "La Tugra seljukide", *JA* 234 (1943-45), pp. 167-72; C. E., BOSWORTH *EI*^{2} art. *Tughrâ'* X, pp. 639-40).

وخَلَعُوا، وخطَبوا للمَلِكِ مسعودٍ بالسَّلْطَنَةِ/ وضَرَبوا له النَّوْبَ الخَمْسَ، وذلك سنةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ[1]. [395أ]

وكانتْ عساكِرُ السُّلْطانِ محمودٍ مُفْتَرِقةً، فبادَرُوا إليْه والْتَقَوْا على عَقَبَةِ أَسْتَراباذ مُنْتَصَفَ رَبيعٍ الأوَّلِ، والبُرْسُقيُّ في مُقدِّمةِ محمودٍ وأبْلَى يومئذٍ، واقْتَتَلُوا يومًا كامِلاً، وانهزمَتْ عساكِرُ مسعودٍ في عَشِيَّةٍ وأُسِرَ جَماعَةٌ منهم، وفيهم الوزيرُ الأسْتاذُ أبو إسْماعيلَ الطُّغْرائيُّ، فأمَرَ السُّلْطانُ بقَتْلِه لسَنَةٍ من وِزارَتِه. وقال: هو فاسدُ العقيدةِ. وكان حَسَنَ الكِتابةِ والشِّعْرِ، وله تَصانيفُ في الكِيمياءِ[2].

وقَصَدَ المَلِكُ مَسْعودٌ بعدَ الهزيمةِ جَبَلاً على اثْنَيْ عَشَرَ فَرْسَخًا من مكانِ الوَقْعةِ، فاخْتَفَى فيه، وبَعَثَ يَطْلُبُ الأمانَ من أخِيه، فبعَثَ إليه البُرْسُقيُّ يُؤَمِّنُه ويُحْضِرُه. وكان بعضُ الأمراءِ قد لَحِقَ به في الجَبَلِ وأشار عليه باللَّحاقِ بالمَوْصِلِ واسْتِمدادِ دُبَيْس، فسار لذلك، وأدْرَكَه البُرْسُقيُّ على ثَلاثِينَ فَرْسَخًا من مَكانِه وأمَّنَه عن أخِيه، وأعادَه إليه فأرْكَبَ العساكِرَ للقائِه وبالَغَ في إكْرامِه وخلَطَه بنَفْسِه[3].

وأمَّا أتابِكُه جَيُوش بك فلمَّا افْتَقَدَ السُّلْطانَ مَسْعُودًا، سار إلى المَوْصِلِ وجَمَعَ العَساكِرَ، وبلَغَه فِعْلُ السُّلْطانِ معَ أخِيه، فسار إلى الزّابِ[4]، ثم جاء إلى السُّلطانِ بهَمَذانَ فأمَّنه وأحْسَنَ إليه. وأمَّا دُبَيْسٌ فلمَّا بلَغَه خَبَرُ الهزيمةِ عاثَ في

(1) الكامل في التاريخ 10: 562-563.
(2) المصدر نفسه 10: 563؛ نهاية الأرب 27: 18-19.
(3) المصدر نفسه 10: 564؛ المصدر نفسه 27: 19-20.
(4) الزّاب: نهر الزّاب الأعلى بين الموصل وإربل وهو حدٌّ ما بين أذرَبيجان وبابَغيش، والزّاب الأسفل يقعُ بين شَهرَزُور وأذَرَبيجان (معجم البلدان 3: 123-124).

البلادِ وأخرَبَها، وبعَثَ إليه المسترْشِدُ بالنَّكير فلم يقبَلْ، فكتَبَ بشأنِه إلى السُّلْطانِ محمودٍ، وخاطَبَه السُّلْطانُ في ذلك فلم يَقْبَلْ، وسار إلى بغدادَ وخَيَّم إزاءَ المسترشِدِ، وأظْهَرَ أنَّه يَثأَرُ منهم بأبِيه[1]، ثم عاد عن بغدادَ.

ووَصَلَ السُّلْطانُ في رَجَب، فبعَثَ دُبَيْس إليه زَوْجَتَه بِنْتَ عَميدِ الدَّوْلَةِ ابنِ جُهَيْرٍ بمالٍ وهدايا نَفِيسةٍ، وأُجِيبَ إلى الصُّلْحِ على شُرُوطٍ امْتَنَعَ منها، فسار إليه السُّلْطانُ في شوَّالٍ ومعَه ألفُ سَفينةٍ. ثم اسْتأمَنَ إلى السُّلْطانِ فأمَّنه وأرْسَلَ نِساءَه إلى البَطِيحَةِ. وسار إلى إيلْغازِي مُسْتَجِيرًا به، ودَخَلَ السُّلْطانُ الحِلَّةَ وعاد عنها ولم يَزَلْ دُبَيْسٌ عندَ إيلْغازِي، وبعَثَ أخاه مَنصورًا إلى/ بعض أصْحابِه من أمراءِ النَّواحِي [395 ب] لِيُصْلِحَ حالَه مع السُّلْطانِ فلم يَتِمَّ ذلك. وبعَثَ إليه أخُوه مَنْصورٌ يَسْتدعِيه إلى العراقِ، فسار من قَلْعةِ جَعْبَرَ إلى الحِلَّةِ سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ ومَلَكَها، وأرْسَلَ إلى الخَلِيفَةِ والسُّلْطانِ بالاعْتذارِ والوَعْدِ بالطَّاعةِ فلم يُقْبَلْ منه، وسارَتْ إليه العساكِرُ مع سَعْدِ الدَّوْلَةِ بُرُنْقُش ففارَقَ الحِلَّةَ، ودَخَلَها سَعْدٌ، وأنزَلَ بالحِلَّةِ عَسْكرًا وبالكوفةِ. ثم راجَعَ دُبَيْسٌ الطَّاعةَ على أن يُرْسِلَ أخاه مَنصورًا رَهِينَةً فقَبِل، ورَجَعَ العَسْكَرُ إلى بَغْدادَ سنةَ سِتَّ عَشْرَةَ[2].

(1) الكامل في التاريخ 10: 564-565؛ نهاية الأرب 27: 20.

(2) المصدر نفسه 10: 565-566.

إقْطاعُ المَوْصِلِ للبُرْسُقيِّ ومَيّافارِقينَ لإيلْغازي

ثم أَقْطَعَ السُّلْطانُ محمودٌ الموصِلَ وأعْمالَها والجزيرةَ وسِنْجارَ وما يَنْضَافُ إلى ذلك للأميرِ آقْسُنْقُرَ البُرْسُقيِّ شِحْنةِ بغْدادَ، وذلك أنّه كان مُلازِمًا للسُّلْطانِ في حُرُوبِه ناصِحًا له، وهو الذي حَمَلَ السُّلْطانَ مَسْعودًا على طَاعَةِ أخِيه محمودٍ، وأحْضَرَهُ عندَه، فلمّا أحْضَرَ جيوش بك وزيرَهُ عندَ السُّلْطانِ محمودٍ من المَوْصِلِ بَقِيَتْ دُونَ أميرٍ، فولَّى عليها البُرْسُقيَّ سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وخَمْسِ مائةٍ، وأَمَرَه بمجاهَدةِ الفِرنْجِ، فأقام في إمارَتِها دَهْرًا هو وبنوه كما يأتي في أخْبارِهم[1].

ثمَّ بعَثَ الأميرُ إيلْغازي بنُ أُرْتقَ ابنه حُسامَ الدِّين تَمُرْتاش شَافِعًا في دُبَيْسِ ابنِ صَدَقَةَ، وأن يَضْمَنَ الحِلَّةَ بألْفِ دينارٍ وفرسٍ في كلِّ يومٍ، ولم يَتِمَّ ذلك. فلمّا انْصَرَف عنِ السُّلْطانِ أَقْطَعَ أباه إيلْغازي مدينةَ مَيّافارِقِينَ وتسلَّمها من يدِ سُقْمَانَ صاحِبِ خِلَاطَ سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ، وبَقِيَتْ في يَدِه ويدِ بَنِيه إلى أنْ مَلَكَها منهم صلاحُ الدِّين بنُ أيُّوبَ سنةَ ثمانينَ وخَمْس مائةٍ كما يُذْكَرُ في أخْبارِهم[2].

(1) الكامل في التاريخ 10: 588.

(2) المصدر نفسه 10: 592.

طَاعَةُ المَلِكِ طُغْرُلِ لأخيه السُّلْطانِ محمود

قد ذكَرْنا انتِقاضَ المَلِكِ طُغْرِل بساوَةَ وزَنْجانَ على أخيه السُّلْطانِ محمودٍ بمُداخلَةِ أتابِكِه كنتغدي(أ)، وأنَّ السُّلْطانَ محمودًا سار إليه فأزْعَجَه إلى كَنْجَةَ،/ [396 أ] وسار إلى أذْرَبِيجان يحاولُ مُلْكَها. ثم تُوفِّي أتابِكُه كنتغدي في شوَّالٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ، وكان آقْسُنْقُرُ الأَحْمَديُّ يَلِي صاحِبَ مَراغَةَ فطَمِعَ في رُتْبةِ كنتغدي، وسار إلى طُغْرِل واسْتَدْعاه إلى مَراغَةَ وقَصَدُوا أرْدَبِيلَ فامْتَنَعَتْ عليهم، فجاءوا إلى تِبْرِيزَ، وبلَغَهم أنَّ السُّلْطانَ أقْطَعَ أذْرَبِيجان لجيوش بك، وبَعَثَه في العساكِرِ، وأنَّه سَبَقَهم إلى مَراغَةَ فعَدَلُوا عنها وكاتَبُوا صاحِبَ زَنْجانَ فأجابَهم، وسار معَهم إلى أبْهَرَ، فلم يَتِمَّ لهم مُرادُهم، ورَاسَلُوا السُّلْطانَ في الطَّاعةِ واسْتقرَّ حالُهم(1).

وأمَّا جيوش بك فوقَعَتْ بَيْنَه وبينَ الأمراءِ من عَسْكَرِه مُنافَرَةٌ، فسَعَوْا به عندَ السُّلْطانِ فقتَلَه بتِبْرِيزَ في رمضَانَ من سَنَتِه. وكان تُرْكِيًّا من مَماليكِ السُّلْطانِ محمدٍ، وكان حَسَنَ السِّيرةِ مُضْطَلِعًا بالوِلايةِ. ولمَّا وَلِيَ الموصِلَ والجزيرةَ كان الأكْرادُ قد عَاثُوا في نَواحِيها، وأخافُوا سُبُلَها فأوْقَعَ بهم وحَصَرَ قِلاعَهم، وفَتَحَ الكثيرَ منها ببلَدِ الهَكَّارِيَّةِ وبَلَدِ الزُّوزَانِ وبلَدِ النَّسَوِيَّةِ(ب) وبلدِ النحسه(ج)، حتى خاف الأكْرادُ، واطْمأنَّ النَّاسُ وأُمِنَتِ السُّبُلُ(2).

(أ) الأصل: كنبغدي. (ب) كذا في النسخ وفي الكامل: البشنويّة. (ج) كذا مهملة كلّها ولم نعرفها.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 597-598.

(2) المصدر نفسه 10: 603-604؛ نهاية الأرب 27: 23.

أخبارُ دُبَيْس مع المُسْتَرْشِدِ

قد ذكَرْنا مَسِيرَ العساكِرِ إلى دُبَيْس مَعَ بُرُنْقُش الزّكَوِيّ(ا) سـنَةَ أرْبَعَ عَشْرَةَ، وكيْفَ وقَعَ الاتّفاقُ وبعَثَ دُبَيْسٌ أخاه مَنصورًا رَهِينَةً، فجاء بُرُنْقُش به إلى بَغْدادَ سـنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ، ولم يُرْضِ المُسْتَرْشِدَ ذلك، وكَتَبَ إلى السُّلْطانِ محمودٍ بأنَّ دُبَيْسًا لا يُصْلِحُهُ شيءٌ، لأنّه مطالَبٌ بثأرِ أبِيه، وأشارا بأنْ يَبْعَثَ عن البُرْسُقيِّ من المَوْصِلِ لتشريدِ دُبَيْس، ويكونَ شِحْنَةً ببغْدادَ، فبعَثَ إليه السُّلْطانُ وأنْزَلَه شِحْنَةً ببغْدادَ، وأمَره بقتالِ دُبَيْس، فأقامَ عِشْرِينَ شهرًا ودُبَيْسٌ مُعْمِلٌ في الخِلافِ. ثم أمَرَهُ المسْترشِدُ بالمسيرِ إليه، وإخراجِه من الحِلّةِ، فاسْتَقْدَمَ البُرْسُقيُّ عساكِرَه من المَوْصِلِ، وسار إلى الحِلّةِ، ولَقِيَه دُبَيْسٌ فهزَم عساكِرَه ورَجَعَ إلى بغْدادَ في رَبِيعٍ من سـنةِ سِتَّ/ عَشْرَةَ، [396 ب] وكان معَه في العَسكَرِ نَصْرُ بنُ النَّفِيسِ بنِ مُهَذَّبِ الدَّوْلَةِ أحمَدَ ابنِ أبي الخيرِ عامِلُ البَطِيحةِ، فغدا عليه عمُّه المظفَّرُ بنُ حَمّادِ بنِ أبي الخيرِ فقَتَلَه في انْهِزامِهم(1).

وسار إلى البَطِيحةِ، فتَغَلَّبَ عليها، وكاتَبَ دُبَيْسًا في الطّاعةِ، وأرْسَلَ دُبَيْسٌ إلى المُسْتَرْشِدِ بطاعَتِه، وأنْ يَبْعَثَ عُمّالَه لقُرَى الخاصِّ يَقْبِضُون دَخْلَها، على أنْ يَقبِضَ المُسْتَرْشِدُ على وَزِيرِه جَلالِ الدِّين أبي عليٍّ بنِ صَدَقَةَ، فتَمَّ ذلك بينَهما، وقَبَض المُسْتَرْشِدُ على وَزِيرِه، وهَرَبَ ابنُ أخِيه جلالُ الدِّين أبو الرِّضا إلى المَوْصِلِ، وبلَغَ الخبرُ بالهزيمةِ إلى السُّلْطانِ محمودٍ فقبَض على مَنصورٍ أخِي دُبَيْس وحبَسَه.

(ا) كذا في ظ ح وفيها ضبط هكذا محققا : وفي الكامل 10: 598 : يرنقش .

(1) الكامل في التاريخ 10: 598-599.

وأذِن دُبَيْس لأصْحابِ الأقْطاعِ بواسِطَ في المسيرِ إلى إقْطاعِهم، فمنَعَهم الأتْراكُ منها، فجَهَّز إليهم عَسْكَرًا مع مُهَلْهِلِ بنِ أبي العَسْكَرِ. وأمر مُظَفَّرَ بنَ أبي الخيرِ عامِلَ البَطِيحةِ بمساعَدَتِه. وبعَثَ البُرْسُقيُّ المَدَدَ إلى أهْلِ واسِطَ، فلَقِيَهم مُهَلْهِلٌ قبْلَ المُظَفَّرِ فهزَمُوه وأسَرُوه وجَماعَةً من عَسْكَرِه، واسْتَلْحَموا كثيرًا منهم. وجاء المظفَّرُ بنُ أبي الخيرِ على أثَرِه، وأكْثَرَ النَّهْبَ والعَيْثَ، وبلَغه خبَرُ الهزيمةِ فرَجَعَ، وبعَثَ إليه أهْلُ واسِطَ بتَذْكِرَةٍ وجَدُوها مع مُهَلْهِلٍ بخَطِّ دُبَيْس يأمُرُه بالقَبْضِ على المظفَّرِ، فمالَ إليهم وانْحَرَفَ عن دُبَيْس. ثم بلَغ دُبَيْسًا أنَّ السُّلْطانَ محمودًا سَمَلَ أخاه منصورًا، فانْتَقَضَ ونهَبَ ما كان للخليفةِ بأعْمالِه. وسار أهْلُ واسِطَ إلى النُّعْمانِيَّةِ فأجْلَوْا عنها أصْحابَ دُبَيْس. وتَقَدَّم المُسْتَرْشِدُ إلى البُرْسُقيِّ بالمسيرِ لحَرْبِ دُبَيْس، فسار لذلك كما نذْكُرُ. ثم أقْطَعَ السُّلْطانُ محمودٌ مدينةَ واسِطَ للبُرْسُقيِّ، مُضافةً إلى وِلايةِ المَوْصِلِ، فبعَثَ عليها عِمادَ الدِّين زَنْكِي بنَ آقْسُنْقُرَ والِدَ نُورِ الدِّينِ العادِلِ(1).

نَكْبَةُ الوَزيرِ ابنِ صَدَقَة، ووِلايةُ ابنِ نظامِ المُلْكِ

قد ذكَرْنا آنفًا أنَّ دُبَيْسًا اشْتَرَط على المُسْتَرْشِدِ في صُلْحِه معه القَبْضَ على وَزِيرِه جلالِ الدِّينِ أبي عليِّ بنِ صَدَقَةَ، فقَبَضَ عليه في جُمادَى سنةَ سِتَّ عَشْرَةَ، وأقام في نِيابةِ الوِزارةِ شَرَفَ الدِّين عليَّ بنَ طَرَّادٍ الزَّيْنَبِيَّ. وهَرَب جلالُ الدِّين / [397أ]

(1) الكامل في التاريخ 10: 599-600.

أبو الرِّضا ابنُ أخي الوزيرِ إلى المَوْصِلِ. وبعَثَ السُّلْطانُ محمودٌ إلى المُسْتَرْشِدِ في أنْ يَسْتَوْزِرَ نِظامَ الدِّين أبا نَصْرٍ أحمدَ بنَ نِظامِ المُلْكِ، وكان السُّلْطانُ قدِ اسْتَوْزَرَ أخاه شَمْسَ المُلْكِ عثمانَ عندما قَتَلَ الباطنيَّةُ بهَمَذانَ وزيرَه الكمالَ أبا طالبٍ السَّميرميَّ[1]، فقَبِلَ المُسْتَرْشِدُ إشارَتَه، واسْتَوْزَرَ نِظامَ الدِّينِ بْنَ نِظامِ المُلْكِ، وقد كان وَزَرَ للسُّلْطانِ محمدٍ سَنَةَ خَمْسِ مائةٍ، ثم عُزِلَ ولَزِمَ دارَه ببغْدادَ. فلمَّا وَزَرَ وعَلِمَ ابْنُ صَدَقَةَ أنَّه يُخْرِجُه، طلَبَ من المُسْتَرْشِدِ أن يَسيرَ إلى سُلَيْمانَ بنِ مُهارِشٍ بحَديثةِ عَانَة، فأذِنَ له، وسارَ ونُهِبَ في طريقِه وأُسِرَ، ثم خَلَصَ إلى مَأْمَنِه في واقعةٍ عجيبةٍ[2].

ثم قتَلَ السُّلْطَانُ محمودٌ وزيرَه شَمْسَ المُلْكِ، فعزَلَ المُسْتَرْشِدُ أخاه نِظامَ الدِّين أحمدَ عن وِزارَتِه، وأعاد جَلالَ الدِّينِ أبا عليٍّ بْنَ صَدَقَةَ إلى مَكانِه منها[3].

واقِعةُ المُسْتَرْشِدِ معَ دُبَيْس

كان دُبَيْسٌ في وَاقِعَتِه معَ البُرْسُقيِّ قد أسَرَ عفيفًا الخادِمَ، ثم أطْلَقَه سنةَ سَبْعَ عشْرَةَ، وحمَّلَه إلى المُسْتَرْشِدِ رسالةً بخُروجِ البُرْسُقيِّ للقتالِ، يتهدَّدُ بذلك على ما بلَغَه مِن سَمْلِ أخيه، وحلَفَ ليَنْهَبَنَّ بغْدادَ، فاسْتطار المُسْتَرْشِدُ غَضَبًا، وأمرَ البُرْسُقيَّ بالمسيرِ لحرْبِه، فسار في رَمَضانَ من سَنَتِه. ثم تجهَّزَ للخَليفَةِ وبرَزَ من بغْدادَ

(1) يراجع تفصيل ذلك في الكامل في التاريخ 10: 601-602، ونهاية الأرب 27: 22-23.
(2) الكامل في التاريخ 10: 602-603 (بتصرُّف).
(3) المصدر نفسه 10: 614.

واسْتَدْعَى العساكِرَ، فجاءه سُلَيْمانُ بنُ مُهارِشٍ صاحِبُ الحَدِيثَةِ في بني عَقِيلٍ، وقِرْواشُ بْنُ مُسْلِمٍ وغيرُهما. ونَهَبَ دُبَيْسٌ نَهْرَ المَلِكِ من خاصّ الخَلِيفَةِ؛ ونُودِيَ في بغْدادَ بالنَّفِيرِ فلم يَتخلَّفْ أحدٌ، وفُرِّقَتْ فيهمُ الأمْوالُ والسّلاحُ، وعَسْكَرَ المُسْتَرْشِدُ خارِجَ بغْدادَ في عشري ذِي الحجَّةِ، وبرَزَ لأرْبَعٍ بعدَها وعبَرَ دِجْلَةَ وعليه قَباءٌ أسْوَدُ وعِمامَةٌ سَوْداءُ، وعلى كَتِفِه البُرْدَةُ وفي يَدِه القَضِيبُ وفي وَسَطِه مِنْطَقَةٌ حديدٍ [١ صِينيٍّ، ومعَه وَزِيرُه نِظامُ الدِّين، ونَقِيبُ/ الطّالِبِيِّينَ ونَقِيبُ النُّقباء عليُّ بْنُ طَرّادٍ، وشَيْخُ الشُّيوخِ صَدْرُ الدِّين إسْماعيلُ وغيرُهم، فنَزَلَ بمُخَيَّمِه، وبَلَغَ البُرْسُقيَّ خُروجُه، فعاد بعَسْكَرِه إليه[1].

ونَزَلَ المُسْتَرْشِدُ بالحَدِيثَةِ بنَهْرِ المَلِكِ، واسْتحْلَفَ البُرْسُقيَّ والأُمراءَ على المُناصَحَةِ، وسار فنَزَلَ المبارَكَةَ، وعَبَّأَ البُرْسُقيُّ أصْحابَه للحرْبِ، ووَقَفَ المُسْتَرْشِدُ وراءَ العساكِرِ في خاصَّتِه، وعَبَّأَ دُبَيْسٌ أصْحابَه صَفًّا واحِدًا، وبينَ أيْدِيهم الإماءُ يَعْزِفْنَ وأصْحابُ المَلاهِي، وعَسْكَرُ الخَلِيفَةِ تتجاوبُ القِراءَةَ والتَّسْبيحَ مِن جَنَباتِه، ومعَ أعْلامِه كَرْباوي بن خُراسانَ، وفي السّاقَةِ سُلَيْمانُ بنُ مُهارِش. وفي مَيْمَنَةِ البُرْسُقيِّ أبو بَكْرِ بْنُ إلْياسَ معَ الأمراءِ البَلْخِيَّةِ، فحَمَلَ عَنْتَرُ بنُ أبي العَسْكَرِ من عَسْكَرِ دُبَيْس على مَيْمَنَةِ البُرْسُقيِّ فزَحْزَحَها، وقَتَلَ ابْنَ أخِي أبي بَكْرٍ. ثم حَمَلَ ثانيةً كذلك فحَمَلَ عِمادُ الدِّين زَنْكِي بنُ آقْسُنْقُرَ في عَسْكَرِ واسِطَ على عَنْتَرَ مِن وَرائه فأسَرَه ومَن مَعَه[2]. وكان لعَسْكَرِ المُسْتَرْشِدِ كَمِينٌ مُتوارٍ، فلمّا الْتَحَمَ النّاسُ خَرَجَ الكَمِينُ واشْتدَّ الحرْبُ، وجَرَّدَ المُسْتَرْشِدُ سَيْفَه وكَبَّرَ وتَقَدَّمَ فانْهَزَمَتْ عساكِرُ دُبَيْس،

(1) الكامل في التاريخ 10: 607-608 (بتصرُّف).

(2) المصدر نفسه 10: 608-609.

وجِيءَ بالأسْرَى فقُتِلوا بينَ يدَيِ الخَلِيفَةِ وسَبَى نساءَهم.

ورجَع الخليفةُ إلى بغْدادَ في عاشُوراءَ من سنةِ سَبْعَ عَشْرَةَ. وذَهَب دُبَيْسٌ وخَفِي أثَرُه، وقَصَدَ غزِيَّةَ من عَرَب [طَيِّئ بسِنْجَارَ][أ] مُسْتَنجِدًا بهم، فأبَوْا مِن ذلك إيثارًا لرِضا المُسْتَرْشِدِ والسُّلْطَانِ، فسارَ إلى المُنْتَفِقِ من [بني عَقيلٍ بالبَحْرَيْن][ب] فأجَابُوه، وسار بهم إلى البَصْرةِ فنَهَبُوها وقتَلُوا أميرَها، وتقَدَّم المُسْتَرْشِدُ للبُرْسُقيِّ بالانحدارِ إليه بعدَ أنْ عَنَّفَه على غَفْلَتِه عنه، وسمِع دُبَيْسٌ ففارَق البَصْرَةَ، وبعَث البُرْسُقيُّ عليها زَنْكِي بنَ آقْسُنْقُر، فأحْسَنَ حِمايَتَها وطَرَدَ العَرَبَ عن نَواحِيها، ولَحِق دُبَيْسٌ بالفِرنْجِ في [قَلْعَة][ج] جَعْبَرَ، وحاصَرَ معَهم حَلَبَ فلَمْ يَظْفَروا، وأقْلَعوا عنها سنةَ ثمانِ عَشْرَةَ، فلَحِق دُبَيْسٌ بطُغْرُل ابنِ السُّلْطانِ محمَّد، وأغْراه بالمسْتَرشِدِ، وبمُلْكِ العراقِ كما نَذكُر[1].

وِلايةُ بُرُنْقُشَ شِحْنَةَ بغْدادَ

ثم إنَّ المُسْتَرْشِدَ/ وقَعَتْ بينَه وبينَ البُرْسُقيِّ مُنافَرَةٌ، فكَتَبَ إلى السُّلْطانِ محمودٍ في عَزْلِه عن العراقِ، وإبْعادِه إلى المَوْصِلِ، فأجَابه إلى ذلك، وأرْسَلَ إلى البُرْسُقيِّ بالمسيرِ إلى المَوْصِلِ لجِهادِ الفِرنْجِ، وبعَثَ إليه بابْنٍ صَغيرٍ من أولادِه يكونُ [398أ]

(أ) من ح وفي موضعها بياض في ظ. (ب) من ح. (ج) من الكامل.

(1) الكامل في التاريخ 10: 609.

معه، ووَلّى على شِحْنَكِيّة بغدادَ بُرُنْقُش الزَّكَوِيَّ، وجاء ابنُه إلى بغدادَ فسَلَّم إليه البُرْسُقيُّ العملَ وسار إلى المَوْصِلِ بابنِ السُّلْطانِ، وبعَثَ إلى عمادِ الدِّين زَنْكِي أنْ يَلْحَقَ به فسَار إلى السُّلْطانِ، وقَدِمَ عليه بالمَوْصِلِ فأكْرَمَه وأقْطَعَه البَصْرَةَ وأعادَه إليها[1].

[ثمّ قُتِل سَنقُر البُرْسُقيّ بجامع المَوْصل آخرَ العشرين، ووَلِيَ ابنه مَسْعودٌ مكانَه إلى أن هلَكَ منتصفَ إحْدى وعشرين . فوَلِيَ محمود زَنْكِي بعْدَه ، ولَيْس هو أخا مَسْعود ، لأنّ آقسنْقُر أبو زَنكي هو الذي قتلَه تُتُش بن ألْب أرْسَلان في حَلَب سنةَ سبْعٍ وثمانين وأربع مائة ، وكان ولاّهُ عليها السلطان مَلِكْشاه عندما مَلكَها][أ] .

وُصولُ المَلِكِ طُغْرُل ودُبَيْس إلى العِراق

قد ذكرنا مَسِيرَ دُبَيْسِ بْنِ صَدَقَةَ إلى الشّامِ إلى المَلِكِ طُغْرُل فأحْسَنَ إليه، ورَتَّبَه في خاصِّ أمرائِه، وجَعَل دُبَيْسٌ يُغْرِيه بالعراقِ ويَضْمَنُ له مُلْكَه؛ فسَار لذلك سنةَ تِسْعَ عَشْرَةَ، ووَصَلُوا دَقُوقَا، فكتَب مجاهدُ الدِّين بَهْرُوزُ من تكْرِيتَ إلى المُسْتَرشِدِ بخَبَرِها، فتجَهَّز للمسيرِ إلى دفاعِها، وأمَرَ بُرُنْقُش الزَّكَوِيَّ الشِّحْنَةَ أن

(أ) زيادة انفردت بها نسخة ح .

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 622-623.

يَسْتَنْفِر ويَسْتَعِدّ، فبَلَغَتْ عدَّةُ العَسْكَرِ اثْنَيْ عَشَرَ ألفًا سِوَى أهْلِ بَغْدادَ، وبَرَزَ خامِسَ صَفَرٍ سنة تِسْعَ عَشْرَةَ. وسار، فنزَلَ الخالِصَ [1]، وعدَلَ طُغْرُل إلى طريقِ خُراسَانَ، وأكْثَرَتْ عساكِرُه النَّهْبَ، ونزَلَ رِباطَ جَلُولاءَ. وسار إليه الوزيرُ جلالُ الدِّين بْنُ صَدَقَةَ في العَساكِرِ، فنزَلَ الدَّسْكَرَةَ. وجاء المسْترشِدُ فنزَلَ معه، وتوجَّه طُغْرُل ودُبَيْس، فنزَلا الهارُونِيَّةَ، واتَّفَقا أن يَقْطَعا جِسْرَ النَّهْرَوانِ فيُقيمُ دُبَيْس على المعابِرِ، ويخالِفُهم طُغْرُل إلى بَغْدادَ؛ ثم عاقَتْهم جميعًا عوائِقُ المطَرِ، وأصابَتْ طُغْرُلَ الحُمَّى، وجاء دُبَيْس إلى النَّهْرَوانِ ليَعْبُرَ، وقد لَحِقَهم الجوعُ، فصادفَ أحْمالًا من البِرِّ والأطْعِمةِ جاءت من بَغْدادَ للمسْترشِدِ فغَنِمَها، وأرْجَفَ في مُعَسْكَرِ المسْترشِدِ أنَّ دُبَيْسًا مَلَكَ بَغْدادَ، فأجْفَلوا من الدَّسْكَرَةِ إلى النَّهْرَوانِ، وتَرَكُوا أثْقالَهم. ولمَّا حَلُّوا بالنَّهْرَوانِ وجَدُوا دُبَيْسًا وأصْحابَه نِيامًا، فاسْتَيْقَظَ وقَبَّلَ الأرْضَ بينَ يَدَيِ المسْترشِدِ، وتَذَلَّلَ فهَمَّ بصُلْحِه، ووَصَلَ الوزيرُ ابنُ صَدَقَةَ/ فثَناه عن ذلك؛ ثم مَدَّ المسْترشِدُ [398 ب] الجِسْرَ، وعَبَرَ ودخَل بغدادَ لغَيْبَةِ خَمْسةٍ وعِشْرِينَ يومًا. وسار دُبَيْس إلى طُغْرُل؛ ثم اعْتَزَموا على المسيرِ إلى السُّلْطانِ سِنْجِرَ، ومَرُّوا بهَمَذانَ فعاثُوا في أعْمالِها وصادَرُوا أهْلَها، واتَّبَعَهم السُّلْطانُ محمودٌ فانهَزَموا بينَ يَدَيْه، ولَحِقوا بالسُّلْطانِ سِنْجِرَ شاكِينَ من المُسْتَرْشِدِ والشِّحْنَةِ بُرُنْقُش [2].

(1) الخالِص. كورةٌ عظيمةٌ من شرقيّ بَغْداد إلى سور بَغْداد. قال ياقوت: وهذا اسمٌ مُحْدَث لم أجده في كُتُبِ الأوائل (المصدر نفسه 2: 339).

(2) الكامل في التاريخ 10: 626-628.

الفِتْنَةُ بينَ المُسْتَرْشِدِ والسُّلطانِ محمود

ثم وَقَعَت بينَ بُرُنْقُش الزَّكويّ وبينَ نُوَّابِ المُسْتَرْشِدِ نَفْرَةٌ، فبَعَثَ إليه المُسْتَرْشِدُ يَتَهدَّدُه، فخَافَه على نَفْسِه، وسار إلى السُّلْطانِ محمودٍ في رجَبٍ سنة عِشْرِينَ فحَذَّرَه منه، وأنَّه قادَ العَسَاكِرَ ولقِيَ الحروبَ وقَوِيَتْ نَفْسُه، وأشار بمُعَاجَلَتِه قبلَ أن يَسْتَفْحِلَ أمْرُه ويمتَنِعَ عليه، فسَار السُّلْطانُ نحوَ العراقِ؛ فبعَثَ إليه المُسْتَرْشِدُ بالرُّجوعِ عن البلادِ، لِما فيها منَ الغلاءِ والخَرَابِ من فِتْنةِ دُبَيْسٍ، وبذَلَ له المالَ، وأنْ يسيرَ إلى العراقِ مَرَّةً أخْرَى، فارْتابَ السُّلْطانُ وصَدَّق ما ظَنَّه بُرُنْقُش وأغَذَّ السَّيْرَ، فعَبَرَ المُسْتَرْشِدُ إلى الجانِبِ الغَرْبِيِّ مُغْضَبًا يُظْهِرُ الرَّحِيلَ عن بَغْدادَ إنْ قَصَدَها السُّلْطانُ. وصانَعَه السُّلْطانُ بالاسْتِعْطَافِ وسُؤالِه في العَوْدِ فأبَى، فغَضِبَ السُّلْطانُ ورَحَلَ نحوَ بَغْدادَ .

وأقامَ المُسْتَرْشِدُ بالجانِبِ الغَرْبِيِّ، وبعَثَ عَفيفًا الخادِمَ ــ من خَوَاصِّه ــ في عَسْكَرٍ إلى واسِطَ ليَمْنَعَ عنها نُوَّابَ السُّلْطانِ؛ فأرْسَلَ السُّلْطانُ إليه عمادَ الدِّين زَنْكِي بْنَ آقْسُنقُرَ، وكان على البَصْرَةِ كما ذكَرْناه، فسَار إليه وهزَمه وقَتَلَ من عساكِرِه، ونجا عَفيفٌ إلى المُسْتَرْشِدِ برَأْسِه، فجَمَعَ المُسْتَرْشِدُ السُّفُنَ، وسَدَّ أبْوابَ دارِ الخلافةِ إلّا بابَ النُّوبِيِّ، ووَصَلَ السُّلْطانُ في عَشْرِ ذي الحِجَّةِ من سنةِ عِشْرِينَ، ونزَل بابَ الشماسِيَّةِ، ومنَعَ العَسْكَرَ من دُورِ السُّلْطانِ، وراسَل المُسْتَرْشِدَ في العَوْدِ والصُّلحِ فأبَى. وجاء جماعةٌ من عَسْكَرِ السُّلطانِ فنَهَبُوا التَّاجَ في أوَّلِ المحرَّمِ سنةَ إحْدَى وعِشْرِين، فضَجَّ العامَّةُ لذلك واجْتَمَعوا، وخرَج المُسْتَرْشِدُ من السُّرادِقِ

والشَّمسِيَّةُ/ على رأسِه والوزيرُ بينَ يَدَيْه، وأمَرَ بضَرْبِ الطُّبولِ ونَفْخِ الأبْواقِ، ونادَى بأعْلَى صَوْتِه: يا آلَ هَاشِمٍ! ونَصَب الجِسْرَ، وعَبَرَ النَّاسُ دَفْعَةً واحدةً. وكان في الدَّارِ رِجالٌ مُختَفُونَ في السَّرادِيب، فخَرَجوا على العَسْكَرِ وهم مشتَغِلُونَ بالنَّهْبِ في الدارِ فأسَروا جماعةً منهم، ونهَبَ العامَّةُ دُورَ أصْحابِ السُّلْطانِ. وعَبَر المُسْتَرْشِدُ إلى الجانِبِ الشَّرْقِيِّ في ثَلاثينَ ألْفَ مُقاتِلٍ من أهْلِ بَغْدادَ والسَّوادِ، وأمَرَ بحَفْرِ الخنادِقِ فحُفِرت ليْلًا، ومَنَعوا بغْدادَ عنهم، واعْتَزَموا على كَبْسِ عَسْكَرِ السُّلْطانِ. ثم فارَقَ المُسْتَرْشِدَ أبو الهَيْجاء الكُرْدِيُّ صاحِبُ إرْبِلَ، ولَحِقَ بالسُّلْطانِ محمود. [399]

وجَاءَ عِمادُ الدِّين زَنْكي من البَصْرةِ في حُشُودٍ عظيمةٍ مَلأتِ البَرَّ والبَحْرَ، فاعْتَزَمَ السُّلْطانُ على قِتالِ بغْدادَ . وأذْعَنَ المُسْتَرْشِدُ حينئذٍ إلى الصُّلْحِ فاصْطَلَحا. وأقامَ السُّلْطانُ ببغْدادَ إلى ربيعِ الآخِرِ سنةَ إحْدَى وعِشْرين، ومَرِض فأُشِير عليه بمُفارَقةِ بغْدادَ، فارْتَحَلَ إلى همَذانَ، ونظَرَ فيمن يُوَلِّيه شِحْنَةَ ببغْدادَ لما أهمَّه مِن أمْرِ المُسْتَرْشِدِ، فاخْتار للقيامِ بذلك عِمادَ الدِّين زَنْكي فولَّاه شِحْنَةَ العراقِ مُضافًا إلى ما بيَدِه، ووَثِق به في سدِّ تلك الخِلَّة. وحَمَل إليه الخليفةُ عندَ رَحِيلِه الهدايا والتُّحَفَ والألْطافَ فقبِلَ جميعَها .

ولما السُّلْطانُ عن بغْدادَ قَبَضَ على وَزِيرِه أبي القاسِمِ عليِّ ابْنِ النَّاصِرِ النَّساباذِيِّ (أ) ، لاتِّهامِه بمُمالأَةِ المُسْتَرْشِدِ، واسْتَوْزَرَ مَكانَه شَرَفَ الدِّين أنُوشِرْوَانَ بنَ خالدٍ، وكان مقيمًا ببغْدادَ فاسْتَدْعاه، وأهْدَى إليه النَّاسُ حتَّى الخليفةُ. وسار من بغْدادَ في شَعْبانَ، فوَصَلَ إلى السُّلْطانِ بأصْبَهانَ وخَلَعَ عليه، ثم اسْتَعْفَى لعَشَرَةِ

(أ) في الكامل : الأنساباذي .

أشهُرٍ، وعاد إلى بغْدادَ، ولم يَزَلِ الوَزِيرُ أبو القاسِمِ مَحْبوسًا إلى أن جاء السُّلْطَانُ سِنْجِرُ إلى الرَّيِّ *في السَّنَةِ بعْدَها* فأطْلَقَه وأعاده إلى وِزارةِ السُّلْطانِ[1].

أخبارُ دُبَيْسٍ مَعَ السُّلْطانِ سِنْجِرَ ثمَّ بالعراقِ

[399 ب] لمَّا وَصَل دُبَيْسٌ إلى السُّلْطانِ سِنْجِرَ ومعَه طُغْرُل، أغْرَياه بالمسترشِدِ/ والسُّلْطانِ محمودٍ، وأنَّهما عاصِيانِ عليه، وسَهَّلَا عليه أمْرَ العراقِ، فسار إلى الرَّيِّ واسْتَدْعَى السُّلْطانَ محمودًا يخْتَبِرُ طاعَتَه بذلك، فبادَرَ للقِيه، ولما وَصَلَ أمَرَ سِنْجِرُ العساكِرَ فتَلَقَّوْه، وأجْلَسَه معَه على سَرِيرِه، وأقام عنْدَه مدَّةً وأوْصَاه بدُبَيْسٍ أنْ يُعِيدَه إلى بلَدِه، ورجَعَ سِنْجِرُ إلى خُراسانَ مُنْتَصَفَ ذي الحِجَّةِ، ورجَع محمودٌ إلى هَمَذَانَ ودُبَيْسٌ معه. ثم سار إلى بَغْدادَ فقَدِمَها في تَاسُوعاءَ سنةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ، واسْتَرْضَى المُسْتَرْشِدَ لدُبَيْسٍ فرَضِيَ عنه، على شَرِيطَةِ أن يُوَلِّيَه غيرَ الحِلَّةِ، فبذَل في الموصِلِ مائةَ ألفِ دينارٍ. وشَعَرَ بذلك زَنْكي، فجاء بنفْسِه إلى السُّلْطانِ وهجَمَ على السِّتْرِ مُتَذَمِّمًا، وحَمَلَ الهدايا، وبذَلَ مائةَ الألْفِ، فأعادَه السُّلْطانُ إلى المَوْصِلِ، وأعاد بَهْرُوزَ شِحْنَةً على بَغْدادَ، وجُعِلتِ الحِلَّةُ لنَظَرِه[2].

وسار السُّلْطانُ إلى هَمَذَانَ في جُمادَى سنةَ ثلاثٍ وعِشْرِينَ؛ ثم مَرِض السُّلْطانُ فلَحِق دُبَيْسٌ بالعراقِ، وحَشَدَ المُسْتَرْشِدُ لمدافَعَتِه، وهَرَبَ بَهْرُوزُ من الحِلَّةِ فدَخَلَها دُبَيْسٌ في رَمَضَانَ من سنةِ ثلاثٍ وعِشْرِينَ. وبعَثَ السُّلْطانُ في أثَرِه

(1) الكامل في التاريخ 10: 635-638 (مُلَخَّصًا).

(2) المصدر نفسه 10: 654.

الأميرَيْنِ اللَّذَيْن ضَمِناه له، وهُما: كَزَل[أ] والأحْمَديلي؛ فلمَّا سَمِع دُبَيْسٌ بهما أرْسَلَ إلى المُسْتَرْشِدِ يَسْتَعْطِفُه، وتَرَدَّدت الرُّسُلُ، وهو يَجْمَعُ الأمْوالَ والرِّجالَ حتى بلَغَ عَسْكَرُه عشَرةَ آلافٍ، ووَصَلَ الأحْمديليُّ بَغْدادَ في شَوَّالٍ، وسارَ في أثَرِ دُبَيْسٍ. ثم جاء السُّلْطانُ إلى العراقِ، فبعَثَ إليه دُبَيْسٌ بالهدايا، وبذَلَ الأمْوالَ على الرِّضا فأبَى، ووَصَلَ إلى بَغْدادَ، ودخَلَ دُبَيْسٌ البَرِّيَّةَ، وقصَد البَصْرةَ فأخَذ ما كان فيها للخليفةِ والسُّلْطانِ، وجاءتِ العساكِرُ في اتِّباعِه فدَخَل البَرِّيَّةَ[1].

وفاةُ السُّلْطانِ محمود ومُلْكُ ابنه داودَ
ثم منازَعَتُه[ب] عُمومَتَه واسْتقلالُ مَسْعود

ثم تُوفِّي السُّلْطانُ محمودٌ في شَوَّالٍ من سَنَةِ خَمْسٍ وعِشْرينَ، لثَلاثَ/ [400أ] عَشْرَةَ سنةً من مُلْكِه، واتَّفَق وَزِيرُه أبو القاسِمِ النَّسابَاذِيُّ[ج]، وأتابِكُه آقْسُنْقُرُ الأحْمديلي على وِلايةِ ابْنِه داودَ مَكانَه؛ وخُطِبَ له في جَميعِ بلادِ الجَبَلِ وأذْرَبِيجان. ووقَعَتِ الفِتْنةُ بهَمَذانَ ونَواحِيها، ثم سَكَنَتْ، فسارَ الوزيرُ بأمْوالِه إلى الرَّيِّ ليأمَنَ في إيالَةِ السُّلْطانِ سِنْجَرَ[2].

(أ) في الكامل: قزل. (ب) ح: منازعة. (ج) في الكامل: الأنساباذي.

(1) الكامل في التاريخ 10: 655.
(2) المصدر نفسه 10: 669-670.

ثم إنَّ المَلِكَ داودَ سار في ذي القَعْدَةِ سنة خَمْسٍ وعِشْرِينَ من هَمَذَانَ إلى زَنْجَانَ، وبعَثَ إلى المُسْتَرْشِدِ ببغْدادَ في الخُطْبةِ، وأتاه الخَبَرُ بأنَّ عمَّه مَسْعودًا سار من جُرْجانَ إلى تِبْرِيزَ ومَلَكَها، فسَارَ داودُ إليه وحصَره في تِبْرِيزَ إلى سَلْخِ المحرَّمِ من سنة سِتٍّ وعِشْرِينَ؛ ثم اصْطَلَحَا وأفرَج داودُ عن تِبْرِيزَ، وخرَج السُّلْطانُ مَسْعودٌ منها، واجتمعتْ عليه العساكِرُ فانتقَض وسار إلى هَمَذَانَ.

وأرْسَلَ إلى المُسْتَرْشِدِ في طَلَبِ الخُطْبةِ، فأجَابَهم جميعًا بأنَّ الخُطْبةَ للسُّلْطانِ سِنْجَرَ صاحِبِ خُراسانَ، ويُعيِّنُ بعدَه مَن يراه. وبعَثَ إلى سِنْجَرَ بأنَّ الخُطبَةَ إنَّما يَنْبغي أنْ تكونَ لك وَحْدَك، فوَقَع ذلك منه أحْسَنَ مَوْقِعٍ. وكاتَبَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ عمادَ الدِّين زَنْكي صاحِبَ المَوْصِلِ، فأجَابه، وسار إليه وانْتهَى إلى المَعْشُوقِ[1]. وبينَما هم في ذلك إذ ثار قَراجا السَّاقي صاحِبُ فارِسَ وخُوزِسْتانَ بالمَلِكِ سُلْجُوق شاه ابنِ السُّلْطانِ محمد، وكان أتابِكَه، فدخَلَ بغْدادَ في عَسْكَرٍ كبيرٍ، ونَزَلَ دارَ السُّلْطانِ، واسْتَخْلَفَه المُسْتَرْشِدُ لنفسِه، ووَصَلَ مَسْعُودٌ إلى العَبَّاسَيةِ[2] فبرَزُوا للقائِه، وجاءهم خَبَرُ عمادِ الدِّين زَنْكي فعَبَرَ قَراجا إلى الجانِبِ الغَرْبيِّ للقائِه؛ ووَاقَعَه فهزَمَه، وسار مُنْهزِمًا إلى تَكْرِيتَ، وبها يومئذٍ نَجْمُ الدِّين أيُّوبُ أبو السُّلْطانِ صَلاحِ الدِّين، فهيَّأَ له الجِسْرَ للعُبورِ؛ وعَبَرَ فأمِنَ وسار لوَجْهِه. وجاء السُّلْطانُ مَسْعودٌ منَ العَبَّاسَية للقاءِ أخيه سُلْجُوقَ ومَن معَه، مُدلًّا بمكانِ زَنْكي وعَسْكَرِه من

(1) المَعْشُوق: اسمٌ لقَصْر بالجانب الغربي من دِجلَة قُبالَة سامَرَّاء في وَسَط البَرِّيَّة، بينه وبين تكريت مَرْحَلَة (معجم البلدان 5: 156-157).

(2) العَبَّاسِيَّة: مَحلَّة كانت ببَغْداد بين الصَّراتين قُرْب المحلة المعروفة بباب البَصْرَة، قال ياقوت: أظُنُّها خَرِبَت الآن (المصدر نفسه 4: 75).

ورائهم، وبلَغَه خَبَرُ انهزامِهم فنكَصَ على عَقِبِه، وراسَلَ المُسترْشِدَ بأنَّ/ السُّلْطانَ [400أ] سِنجِر وصَل إلى الرَّيِّ وطَلَبَ الاتِّفاقَ من المُسْتَرْشِدِ وأخِيه سُلْجُوق شاه وقَراجا على قتالِ سِنجِر، على أنْ يكونَ العراقُ للمسترشِدِ يتصرَّفُ فيه نوَّابُه، والسَّلْطَنَةُ لمسْعُودِ وسُلْجُوقُ شاه وليّ عَهْدِه، فأجَابوه إلى ذلك، وجاء إلى بَغْدادَ في جُمادَى الأولى سنةَ سِتٍّ وعِشْرين؛ وتَعاهَدُوا على ذلك[1].

واقِعَةُ مَسْعُودٍ مع سِنْجِر وهَزِيمتُه، وسَلْطَنةُ طُغْرُل

لمَّا تُوفِّيَ السُّلطانُ محمودٌ، ووَلِي ابنُه داودُ مَكانَه، نَكِرَ ذلك عمُّه السُّلْطانُ سِنْجِر عليهم، وسار إلى بلادِ الجَبَلِ ومعَه طُغْرُل ابنُ أخِيه السُّلْطانِ محمد، كان عندَه منذُ وصُولِه مع دُبَيْسٍ، فوَصَلَ سِنجِر إلى الرَّيِّ، ثم إلى هَمَذانَ؛ وسار السُّلْطانُ مَسعودٌ وأخوه سُلْجُوق وقَراجا السَّاقي أتابِكُ سُلْجُوق للقائِه. وكان المُسْتَرْشِدُ قد عاهَدَهم على الخُروج وألْزَموه ذلك؛ ثم إنَّ السُّلْطانَ سِنْجِر بعَثَ إلى دُبَيْسٍ، وأقْطَعَه الحِلَّةَ وأمَرَه بالمسِيرِ إلى بَغْدادَ، وبعَثَ إلى عمادِ الدِّين زَنْكي بوِلايةِ شِحْنَكِيَّة بغْدادَ، والمَسيرِ إليها، فبلَغَ المُسْتَرْشِدَ خَبَرُ مَسيرِهما، فرجَع لمدافَعَتِهما.

وسَارَ السُّلْطانُ مَسْعُودٌ وأصْحابُه لِلِقاءِ السُّلْطانِ سَنجَر، ونزَلَ أسْتراباذَ(أ) في مائةِ ألْفٍ من العَسْكَرِ فخَامُوا عن لقائِه، ورجَعُوا أرْبَعَ مَراحِلَ فاتَّبَعهم سِنْجِرُ.

(أ) في الكامل: أسداباد.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 674-676.

وتراءى الجَمْعانِ عندَ الدِّينَوَرِ ثامِنَ رَجَبٍ فاقْتَتَلُوا، وعلى مَيْمَنَةِ سِنْجَرَ المَلِكُ طُغْرُل وقماجُ، وعلى مَيْسَرَتِه خُوارِزْم شاه بْنُ إِكْسِيرَ بن محمدٍ وجَمْعٌ من الأمراء، وعلى مَيْمَنَةِ مَسْعودٍ قَراجَا السَّاقِي وكَزل، وعلى مَيْسَرَتِه بَرْنَقْش بازْدار، ويوسُف جاوُوش، فحَمَلَ قَراجا السَّاقي في عَشَرةِ آلافٍ على السُّلْطانِ سِنْجَر، حتَّى تورَّطَ في مَصافِّه، فانْعَطَفوا عليه من الجانبَيْنِ وأُخِذَ أسيرًا بعدَ جِراحاتٍ. وانهزَم مسعودٌ وأصْحابُه، وقُتِلَ بَعْضُهم، وفيهم يوسفُ جاوُوش، وأسِرَ آخَرونَ وفيهم قَراجا، فأُحْضِرَ عندَ السُّلْطانِ سِنْجَرَ فوبَّخَه، ثم أمَرَ بقَتْلِه. وجاء السُّلْطانُ مسعودٌ / إليه فأكْرَمَه، وعاتَبَه على [401 أ] مُخالَفَتِه، وأعادَه أميرًا إلى كَنْجَةَ. ووَلَّى المَلِكُ طُغْرُل ابنَ أخِيه محمدًا في السَّلْطَنَةِ وجعَلَ وَزِيرَه أبا القاسِمِ النَّساباذِيَّ[أ] وزيرَ السُّلْطانِ محمود. وعاد إلى خُراسانَ، ووَصَلَ نَيْسابُورَ في عشري رَمَضانَ من سَنَتِه[1].

وأمَّا الخليفةُ فرَجَعَ إلى بَغْدادَ كما قُلْناه، لمدافَعَةِ دُبَيْسٍ وزَنْكي، وبلَغَه الخَبَرُ بهزيمةِ السُّلْطانِ مَسعودٍ، فعَبَرَ إلى الجانِبِ الغَرْبيِّ، وسار إلى العبَّاسِيَّة، ولَقِيَهما بحِصْنِ البَرامِكَةِ آخِرَ رَجَب. وكان في مَيْمَنَتِه جمالُ الدَّوْلَةِ إقْبالٌ، وفي مَيْسَرَتِه مَطَرٌ الخادِمُ، فانهزَمَ إقْبالٌ لحَمْلَةِ زَنْكِي، وحَمَلَ الخليفةُ ومَطَرٌ على دُبَيْسٍ فانهزَم، وتَبِعَه زَنْكِي، فاسْتَمَرَّتِ الهزيمةُ عليهم وافْتَرَقوا، ورجَعَ الخليفةُ إلى بَغْدادَ ومضى دُبَيْسٌ إلى الحِلَّةِ، وكانت بيدِ إقْبالٍ، وجاءه المَدَدُ من بغدادَ فلَقِيَ دُبَيْسًا وهزَمَه، ثم تَخَلَّص بعدَ

(أ) عند ابن الأثير: الأنساباذي.

---

(1) الكامل في التاريخ 10: 676-678.

الجَهْدِ، وقَصَدَ واسِطَ وأطاعَه عَسكَرُها إلى أنْ دخَلَتْ سنةُ سَبْعٍ وعِشْرِين؛ فجاءهم إقبالٌ وبَرَنْقَش بازْدَار، وزَحَفوا في العساكِرِ بَرًّا وبَحْرًا فانهزَمَ أهْلُ واسِطَ[1].

واقِعَةُ طُغْرُلِ وداودَ، واسْتيلاءُ مَسْعودٍ على السَّلْطَنَةِ

لما استقرَّ طُغْرُل في السَّلْطَنَةِ وعاد عمُّه سَنجَرُ إلى خُراسانَ لخلافِ أحمد خان صاحِبِ ما وَرَاءَ النَّهْرِ عليه، وكان داودُ ببلادِ أَذْرَبِيجان فانْتَقَضَ وجَمَعَ العَسَاكِرَ، وسار إلى هَمَذَانَ، وبرَزَ إليه طُغْرِلُ وفي مَيْمَنَتِه ابنُ بُرْسُقَ، وفي مَيْسَرَتِه كَزْل، وفي مُقَدِّمتِه قَراسُنقُرُ. وسار إليه داودُ وفي مَيْمنَتِه بَرَنْقَش الزكويُّ، والْتَقَيا في رَمَضَانَ سنةَ ستٍّ وعِشْرِينَ، فأمْسَكَ بَرَنْقَش عن القتالِ، واسْتَرَابَ التُّرْكُمانُ منه فنهَبُوا خِيَمَه، واضْطَرَب عَسكَرُ داودَ لذلك، فهَرَبَ أتابِكُه آقْسُنقُرُ الأحْمديلي، واستمرَّتِ الهزيمةُ عليهم، وأُسِرَ بَرَنْقَشُ الزَّكويُّ، ومضَى داودُ ثم قدِمَ بغْدادَ ومعه أتابِكُه آقْسُنقُرُ الأحْمديلي، فأنزَلَه الخليفةُ بدارِ السُّلْطانِ وأكرَمَه[2].

ولمَّا بَلَغَ خَبَرُ هزيمةِ داودَ/ إلى السُّلْطانِ مسعودٍ بكَنْجَةَ سار هو إلى بَغْدادَ، [401 ب وخرَجَ داودُ لتلقِّيه، وترَجَّلَ له عن فَرَسِه، ونَزَل مَسْعودٌ بدارِ السَّلْطَنَةِ في صَفَرِ سنةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ، وخُطِبَ له على مَنَابِرِ بَغْدادَ ولداودَ بعدَه، واتَّفقا معَ المُسْتَرْشِدِ على المسيرِ إلى أَذْرَبِيجان، وأنْ يُمِدَّهما، وساروا لذلك، ومَلَكَ مسْعودٌ سائرَ بلادِ

(1) الكامل في التاريخ 10: 678-679؛ نهاية الأرب 27: 35-37.
(2) المصدر نفسه 10: 681-682، المصدر نفسه 27: 37.

أذْرَبيجان، وحاصَرَ جماعةً من الأمراءِ بأَرْدَبِيلَ، ثم هزَمَهم وقتَلَ منهم، وسار إلى هَمَذانَ، وبرَزَ أخوه طُغرُل للقائِه فانهَزَم، واسْتَوْلَى مسْعودٌ على هَمَذانَ، وقُتِل آقسُنقُرُ الأحْمديلي، قتلَه الباطنيَّةُ، ويُقال: بدَسِيسَةِ السُّلْطانِ محمود.

ولمَّا انهزَم طُغرُل قصَد الرَّيَّ، وبلَغَ قُمَّ، ثم عاد إلى أصْبهانَ ليمتَنِعَ بها، وسار أخُوه مسعودٌ لحصارِه، فارْتاب طُغرُل بأهْلِ أصْبهانَ، وسار إلى بلادِ فارِس فاتَّبعَه مَسْعودٌ، واسْتأمَنَ إليه بَعْضُ أُمراءِ طُغرُل فارْتابَ بالباقِين، وانهزَم إلى الرَّيِّ في رَمَضانَ من سنَتِه، واتَّبعَه مسْعودٌ فلَحِقَه بجِهاتِ الرَّيِّ، وقاتَلَه فانْهزَمَ طُغرُل وأسِر جماعةٌ من أُمرائه، وعاد مَسْعودٌ إلى هَمَذانَ ظافرًا، وعندما قصَدَ طُغرُل الرَّيَّ من فارِس، قَتَلَ في طريقِه وَزِيرَه أبا القاسِمِ الأنساباذيَّ[أ]، في شَوَّالٍ من سنَتِه، لِمَوْجِدَةٍ وَجَدَها عليه[1].

مَسيرُ المُسْتَرْشِدِ لحِصارِ المَوْصِلِ

لمَّا انهزَمَ عِمادُ الدِّين زَنْكي أمامَ المُسْتَرْشِدِ -كما قُلْناه- لَحِقَ بالمَوْصِلِ، وشَغَلَ سَلاطِينَ السُّلْجُوقِيَّةِ في هَمَذانَ بالخُلْفِ الواقِعِ بينَهم، وجاء جماعةٌ من أُمراءِ السُّلْجُوقِيَّةِ إلى بَغْدادَ فِرارًا من الفِتْنَةِ فقَوِيَ بهم المُسْتَرْشِدُ، وبعَثَ إلى عِمادِ الدِّينِ

(أ) ظ، ح: النساباذي، والمثبت من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 10: 686-687؛ نهاية الأرب 27: 38-39.

زَنْكِي بعضَ شُيوخِ الصُّوفِيَّةِ من حَضْرَتِه فأَغْلَظَ له في الموعِظَةِ فأَهَانَه زَنْكِي وحَبَسَه، فاعْتَزَم المُسْتَرْشِدُ على حِصارِ المَوْصِلِ، وبعَثَ بذلك إلى السُّلْطانِ مَسْعودٍ، وسار من بغْدادَ مُنْتَصَفَ شَعْبانَ سنةَ سَبْعٍ وعِشْرِينَ في ثلاثينَ أَلْفَ مقاتِلٍ. ولمَّا قارَب الموصِلَ فارَقَها زَنْكِي وتَرَك بها نائِبَه نَصِيرَ الدِّينِ جِقِر، [و]لَحِق بسِنْجَار وأقام يَقْطَعُ /المَدَدَ والمِيرَةَ عن عَسْكَرِ المُسْتَرْشِدِ حتى ضاقَت بهمُ الأمُور، وحاصَرَها المُسْتَرْشِدُ 02] ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ فامْتَنَعَت عليه، ورحَلَ عائِدًا إلى بغْدادَ فوَصَلَ يومَ عَرَفَةَ من سنَتِه. يُقالُ: إنَّ مطَرًا الخادِمَ جاء من عَسْكَرِ السُّلْطانِ مَسْعودٍ لأنَّه قاصِدٌ العراقَ، فارْتَحَل لذلك[1].

مَصَافُّ طُغْرُلَ ومَسْعودٍ، وانْهِزامُ مَسْعود

ولمَّا عادَ مَسْعودٌ إلى هَمَذانَ بعدَ انْهِزامِ أخِيه طُغْرُلَ، بلغَه انْتِقاضُ داودَ ابنِ أخِيه محمودٍ بأَذْرَبِيجان، فسار إليه وحَصَرَه ببَعْضِ قِلاعِها[2]، فخالَفَه طُغْرُل إلى بلادِ الجَبَلِ واجْتَمَعَتْ إليه العساكِرُ ففَتَحَ كثيرًا من البلادِ، وقَصَدَ مَسْعودًا وانْتَهى إلى قَزْوِينَ، فسار مَسْعودٌ للقائِه، وهرَبَ من عَسْكَرِه جماعةٌ كان طُغْرُلُ قد داخَلَهم واسْتَمالَهم، فوَلَّى مَسْعودٌ مُنْهَزِمًا آخِرَ رَمَضانَ سَنَةَ ثَمانٍ وعِشْرِينَ، واسْتَأْذَنَ المُسْتَرْشِدَ في دُخولِ بغْدادَ، وكان نائِبُه بأَصْبهان البُقْشَ السَّلاحِيَّ، ومعه أَخُوه

(1) الكامل في التاريخ 11: 5-6؛ نهاية الأرب 23: 271-272.
(2) وهي قلْعَة روئين دز.

سُلْجُوق شَاه، فلمّا بلَغهم خَبَرُ الهزيمةِ لَحِقوا ببَغْدادَ، ونَزَلَ سُلْجُوق بدارِ السُّلْطانِ، وبعَثَ إليه الخليفةُ بعَشَرةِ آلافِ دينارٍ. ثم قَدِم مَسْعودٌ بعدَهم، ولَقِي في طريقِه شِدَّةً وأصْحابُه بينَ راجِلينَ ورُكّابٍ، فبَعَثَ إليهم المُسْتَرْشِدُ بالخِيامِ والأمْوالِ والثِّيابِ والآلاتِ، وقَرَّبَ إليهمُ المراكِبَ، ونَزَلَ مَسْعودٌ بدارِ السَّلْطَنةِ ببَغْدادَ مُنْتَصَفَ شَوّالٍ، وأقامَ طُغْرُل بهَمَذانَ(1).

وفاةُ طُغْرُل واسْتيلاءُ السُّلْطان مَسْعود

لمَّا وَصَلَ مَسْعودٌ إلى بَغْدادَ أكْرَمَه المُسْتَرْشِدُ، ووَعَدَه بالمسيرِ معَهُ لقِتالِ أخِيه طُغْرُلَ، وأزاحَ عِلَلَ عَسْكَرِه واسْتَحَثَّه لذلك، وكان جماعةٌ من أُمراء السَّلْجوقيَّةِ قد ضَجِروا من الفِتْنةِ، ولَحِقوا بالمسْتَرشِدِ فصَاروا معه، ودَسَّ إليهم طُغْرُل بالمواعِدِ، وارْتابَ المُسْتَرْشِدُ ببَعْضِهم، واطَّلَعَ على كِتابِ طُغْرُل إليه، فقَبَضَ عليه ونَهَبَ مالَه، فلَحِقَ الباقُونَ بالسُّلْطانِ، وبعَثَ فيهمُ المسْتَرشِدُ فمنَعَهم السُّلْطانُ فجَرَت بينَهم الوَحْشةُ لذلك، وبعَثَ السُّلْطانُ إلى الخليفةِ يُلْزِمُه/ المسيرَ معه، وبينَما هما على ذلك [402 ب] إذ جاء الخبرُ بوفاةِ طُغْرُلَ، في المحرَّمِ من سنةِ تِسْعٍ وعِشْرِينَ، فسَارَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ إلى هَمَذانَ، وأقبلتْ إليه العَسَاكِرُ فاسْتَوْلَى عليها، وأطاعَه أهْلُ البلادِ، واسْتَوْزَرَ شَرَفَ الدِّين أنوشُرْوان خَالِد، وكان قد سار مَعَه بأهْلِه(2).

(1) الكامل في التاريخ 11: 12-13.

(2) المصدر نفسه 11: 19-20؛ نهاية الأرب 27: 41.

فِتْنَةُ السُّلْطانِ مَسْعودٍ مَعَ المُسْتَرْشِدِ

لَمَّا اسْتَوْلَى السُّلْطانُ مَسْعودٌ على هَمَذَانَ اسْتَوْحَشَ منه جَماعةٌ من أعْيانِ الأُمَراءِ، منهم بُرُنْقُش وكُزَلُ وسُنقُرُ [الخُمارتكين] والي هَمَذانَ وعبدُ الرَّحْمنِ بنُ طَغايْرك، ففارَقوه ودُبَيْسُ بنُ صدَقَةَ معَهم، واستأمَنوا إلى الخَليفَةِ، ولَحِقوا بخُوزِسْتانَ، وتعاهَدُوا معَ بُرْسُقَ على طاعةِ المُسْتَرْشِدِ، وحذَّر المُسْتَرْشِدُ من دُبَيْسٍ، وبعَثَ سَدِيدَ الدَّوْلَةِ بنَ الأنباريِّ بالأمانِ للأمراءِ دُونَ دُبَيْسٍ، ورَجَعَ دُبَيْسٌ إلى السُّلْطانِ مَسْعودٍ. وسار الأُمراءُ إلى بَغْدادَ فأكْرَمَهمُ المُسْتَرْشِدُ، واشْتَدَّتْ وَحْشَةُ السُّلْطانِ مَسْعودٍ لذلك ومُنافَرَتُه للمسترشِدِ، فاعْتَزَمَ المُسْتَرْشِدُ على قِتالِه، وبرَزَ من بغْدادَ في عشري رَجَب، وأقام في الشفيعي، وعصَى عليه صاحِبُ البَصْرَةِ وراسَلَه فلَمْ يُجِبْه، وأمراءُ السُّلْجوقيَّةِ الذين بقُوا معَهُ يُحرِّضُونَه على المسِيرِ، فبَعَثَ مقدِّمَتَه إلى حُلْوانَ[1].

ثم سار ثامِنَ شَعْبانَ واسْتَخْلَفَ على العراقِ إقْبالًا خادِمَه في ثلاثَةِ آلافِ فارِسٍ، ولَحِقَه بُرْسُقُ بنُ بُرْسُقَ، فبَلَغَ عَسكَرُه سَبْعَةَ آلافِ فارِسٍ، وكان أصْحابُ الأطْرافِ يُكاتِبونَ المُسْتَرْشِدَ بالطَّاعةِ، فاسْتَصْلَحَهم مَسعودٌ، ولَحِقوا به، وبَلَغَ عَسْكَرُه خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفًا. وتسَلَّلَ إليه كثيرٌ من عَسْكَرِ المُسْتَرْشِدِ حتَّى بَقِيَ في خَمْسَةِ آلافٍ، وبعَثَ إليه داودُ ابنُ السُّلْطانِ محمودٍ من أذْرَبيجان بأنْ يَقْصِدَ الدِّينَوَرَ ليَلْقاهُ بها بعَسْكَرِه، فتَعَجَّلَ للقاءِ السُّلْطانِ مَسْعودٍ، وسار وفي مَيْمَنَتِه بُرُنْقُش

(1) الكامل في التاريخ 11: 24-25، والإضافة منه .

بازْدار، ونُورُ الدَّوْلةِ سُنْقُرُ وكُـزَلُ وبُرْسُقُ بنُ بُرْسُقَ، وفي مَيْسَرَتِه جاوُلي وبُرْسُقُ سَرَاب سـلار وأغلبـك الذي كان قُـبِضَ عليـه مـن أمـراءِ الـسُّلْجُوقيَّةِ، / فـواقَعَهُمُ [403 أ] السُّلْطانُ [....](أ) عاشِرَ رَمَضانَ سنةَ تِسْعٍ وعِشْرِين(1).

وانْحَازَتْ مَيْسرةُ المُسْتَرْشِدِ إليه وانطبقتْ عَسَاكِرُه عليه، وانْهَزَم أصْحابُ المُسْتَرْشِدِ وأُخِذَ هو أسيرًا بمَوْكِبِه، وفيهمُ الوزيرُ شَرَفُ الدِّين عليُّ بنُ طَرَّادٍ الزَّيْنَبيُّ، وقـاضي القُـضاةِ والخُطَبَـاءُ والفُقَهاءُ والـشُّهُودُ وغيرُهم. وأُنْـزِلَ المُسْتَرْشِدُ في خَيْمَـةٍ، وحُبِسَ الباقونَ بقَلْعَةِ [سَرْجَهَان](ب)(2)، وعاد السُّلْطانُ إلى هَمَذانَ، وبعَـثَ الأمـيرَ بَكَ أبه المحمُوديَّ إلى بَغْدادَ شِحْنَةً، فوَصَلَ سَلْخَ رَمَضانَ ومعَهُ عَمِيد [....](ج) فقَبَضُوا أمْلاكَ الخليفةِ وأخَذُوا غَلَّاتِها.

وضَجَّ العامَّةُ ببغْدادَ وبَكَوْا على خليفتِهم، وأعْولَ النِّسَاءُ، ثم عَمَـدَ العامَّـةُ إلى المِنْبَرِ فكسَرُوه، ومَنَعـوا مـن الخُطْبَـةِ، وتعـاقَبوا في الأسْواقِ يَحْثُـونَ الـتُّرابَ علـى رُؤوسِـهم، وقـاتَلُوا أصْحابَ الـشِّحْنَةِ فـأَثْخَنَ فـيهم بالقَتْـلِ، وهـرَبَ الـوالي والحاجِـبُ وعظُمَتِ الفِتْنَةُ. ثم بلَغَ الـسُّلْطانَ في شَـوَّالٍ أن داودَ ابْنَ أخِيه محمودٍ عصىَ عليـه بالمراغَةِ، فسَار لقِتالِه والمسْترشِدُ معه، والرُّسُلُ تَتَردَّدُ بينَهما في الصُّلْح(3).

(أ) بياض في ظ مقدار كلمتين وكذلك في ص وح. (ب) في ظ: سهرجان. (ج) بياض في النسخ بمقدار كلمة، وعند ابن الأثير: ومعه عبيد.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 25-26.

(2) وانظر عنها فيما تقدم 508 هامش 2 .

(3) الكامل في التاريخ 11: 26-27.

مَقْتَلُ المُسْتَرْشِدِ وخلافَةُ ابْنه الرَّاشِد

قد ذكَرْنا مَسِيرَ المُسْتَرْشِدِ مع السُّلْطانِ مَسْعودٍ إلى مَراغَة وهو في خَيْمَةٍ مُوَكَّلٌ به. وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ بينَهما وتقَرَّر الصُّلْحُ، على أن يَحْمِلَ مالًا للسُّلْطانِ، ولا يَجْمَعَ العَساكِرَ لحَرْبٍ ولا فِتْنَةٍ، ولا يَخْرجَ من دارِه، فانْعَقَدَ على ذلك بينَهما. ورَكِبَ المُسْتَرْشِدُ، وحُمِلَتِ الغاشِيَةُ[1] بينَ يَدَيْه، وهو على العَوْدِ إلى بَغْداد، فوَصَلَ الخبرُ بمُوافاةِ رَسُولٍ من السُّلْطانِ سِنْجَر، فتأخَّرَ مَسِيرُه لذلك، ورَكِبَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ للقاءِ الرَّسُولِ، وكانت خَيْمَةُ المُسْتَرْشِدِ مُنْفَرِدَةً عن العَسْكَرِ، فدَخَلَ عليه عِشْرونَ رجلًا أو يَزِيدُونَ من الباطِنِيَّة فقَتَلُوه وجَدَعُوه وصَلَبُوه، وذلك سابِعَ عَشَرَ ذي القَعْدَةِ من سنةِ تِسْعٍ وعِشْرِينَ، لسَبْعَ عَشْرَةَ سنةً ونِصْفٍ من خِلافَتِه، وقُتِلَ الرِّجالُ الذين قَتَلُوه[2].

وبُويِعَ ابنُه/ أبو جَعْفَرٍ، بعَهْدِه إليه بذلك، فجُدِّدَتْ له البَيْعَةُ ببغْدادَ في سابعِ [403 ب] عشري ذي القَعْدِة، وكَتَبَ السلطانُ مَسْعودٌ إلى بك أبه الشِّحْنَةِ ببغْدادَ أنْ تُجَدَّدُ له البَيْعَةُ، فجَدَّدها في ملإٍ من النَّاسِ، وكان [جَمَالُ الدَّوْلَةِ] إقبالٌ خادِمُ المُسْتَرْشِدِ ببغْدادَ، فلمَّا وقَعَتْ هذه الحادِثَةُ عبَرَ إلى الجانِبِ الغَرْبِيِّ، وأُصْعِدَ إلى تكْرِيتَ، وراسَلَ مجاهِدَ الدِّينِ بَهْرُوزَ وحلَّفَه(أ)[3].

(أ) النسخ: وأرسل مجاهد الدين بهروز خلفه، والتصويب من ابن الأثير.

---

(1) الغاشِيَة: غطاء سَرْجٍ من أديم مَخْروزةٍ مذَّهَب، تُحْمَل بين يَدَيِ الخليفة عند الرُّكوب في المواكب الحَفِلَة، يحملها الرِّكاب دارية رافِعًا لها على يديه يُلَفِّتها يمينًا وشمالاً (صبح الأعشى 4: 7).

(2) الكامل في التاريخ 11: 27؛ نهاية الأرب 23: 276-277.

(3) المصدر نفسه 11: 28.

ثم بعدَ مَقْتَلِ المُسْتَرْشِدِ بأيَّامٍ قُتِل دُبَيْس بْنُ صَدَقَة على باب سُرادِقِه بظاهِرِ مدينةِ خُوَيّ[(أ)(1)]، أمَرَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ غلامًا أرْمَنِيًا بقَتْلِه، فوقَفَ على رأسِه فضَرَبَه وأسْقَطَ رأسَه، واجْتَمَع إلى أبيه صَدَقَة بالحِلَّةِ عَساكِرُه ومَماليكُه. واسْتأمَن إليه قُتْلُغ تكِين، وأمَرَ السُّلْطانُ مسعودٌ بك أبَه شِحْنَة بغْداد بأخْذِ الحِلَّةِ من يدِ صَدَقَة، فبَعَثَ بعضَ عَساكِرِه إلى المدائنِ، وخَام عن لقاءِ صَدَقَة حتّى قَدِم السُّلْطانُ إلى بغْدادَ سنةَ إحْدَى وثلاثِينَ، فقَصَدَه وصالَحَه ولَزِمَ بابَه[(2)].

الفِتْنةُ بينَ الرَّاشِدِ والسُّلْطانِ مَسْعودٍ، ولَحاقُه بالمَوْصِلِ وخَلْعُه

وبعدَ بَيْعَةِ الرَّاشِدِ واسْتِقْرارِه في الخِلافةِ وَصَلَ بُرُنْقُش الزَّكَوِيُّ من عندِ السُّلْطانِ مَسْعودٍ يَطْلُبُ من الرَّاشِدِ ما اسْتقرَّ على أبيه من المالِ أيامَ كَوْنِه عندَهم، وهو أرْبعُ مائةِ ألفِ دينارٍ، فأجابَه بأنَّه لم يُخَلِّفْ شيئًا وأنَّ مالَه كان معَه فنُهِب. ثم نُمِيَ [إلى] الرَّاشِدِ أنَّ بُرُنْقُش يَهْجُمُ على دارِ الخلافةِ ويُفَتِّشُ المالَ، فجَمَعَ الرَّاشِدُ العساكِرَ وأصْلَحَ السُّورَ، ثم رَكِبَ بُرُنْقُش ومعَه الأُمراءُ البَكْجِيَّة وجاءُوا لهَجْمِ الدار، وقاتَلَهم عَسْكَرُ الخليفةِ والعامَّةُ فساروا إلى طَرِيقِ خُراسانَ، وانْحَدَر بك أبَه إلى

(أ) عند ابن الأثير: خُونَج، تصحيف.

(1) خُوَي. بَلَدٌ من أعْمال أذْرَبيجان تُنْسَبُ إليها الثِّياب الخُوَيَّة (معجم البلدان 2: 408).

(2) الكامل في التاريخ 11: 30؛ نهاية الأرب 23: 277-278.

خُراسانَ، وسار بُرُنْقُش إلى البَنْدَنيجَيْن[1]، ونَهَبَتِ العامَّةُ دارَ السُّلْطانِ.

واشْتَدَّتِ الوَحْشَةُ بينَ السُّلْطانِ والرَّاشِدِ، وانْحَرَفَ النَّاسُ عن طاعَةِ السُّلْطانِ إلى الخليفةِ، وسار داودُ ابنُ السُّلْطانِ في عَسْكَرِ أَذْرَبيجان إلى بَغْدادَ، ونزَلَ بدارِ السُّلْطانِ في صَفَرٍ من سَنَةِ ثَلاثِينَ. ووَصَلَ بعدَه عِمادُ الدِّينِ زَنْكِي من الموصِلِ، ووَصَلَ بُرُنْقُش / بازْدار صاحِبُ قَزْوِينَ، والبُقْشُ الكبيرُ صاحِبُ أَصْبَهانَ، 404] وصَدَقَةُ بنُ دُبَيْسٍ صاحِبُ الحِلَّةِ، وابْنُ بُرْسُق وابنُ الأَحْمَديلي، وجعَلَ المَلِكُ داودُ بُرُنْقُش بازْدارَ شِحْنَةً ببغْدادَ. وقَبَضَ الرَّاشِدُ على ناصِحِ الدَّوْلَةِ أبي عبْدِ الله الحَسَنِ بنِ جُهَيْرٍ أَسْتادَّار، وعلَى جمالِ الدِّين إقْبالٍ، وكان قَدِمَ إليه من تَكْرِيتَ فتَنَكَّرَ له أَصْحابُه وخافُوه، وشَفَعَ زَنْكِي في إقْبالٍ الخادِمِ فأطْلَقَه وصار عنْدَه، وخرَجَ الوزيرُ جلالُ الدِّين أبو الرِّضا بنُ صَدَقَةَ لتَلَقِّي زَنْكِي فأقام عندَه، ثم شَفَعَ فيه وأعادَه إلى وِزارَتِه، ولَحِقَ قاضِي القُضاةِ الزَّيْنَبِيُّ بزَنْكِي أيضًا وسار معَهُ إلى الموصِلِ، ثم جَدَّ الراشِدُ في إصْلاحِ الأسْوارِ وقطَعَ خُطْبَةَ السُّلْطانِ مَسْعودٍ وخَطَبَ للمَلِكِ داودَ، ووَصَلَ سُلْجُوق شاه إلى واسِطَ وقَبَضَ بها على الأميرِ بك أبه ونَهَبَ مالَه، فانْحَدَرَ زَنْكِي إليه وصالَحَهُ، ورَجَعَ إلى بَغْدادَ.

ثم سار السُّلْطانُ داودُ نحوَ طريقِ خُراسانَ ومعَه زَنْكِي لِقتالِ السُّلْطانِ مَسْعودٍ، وبرَزَ الرَّاشِدُ أوَّلَ رَمضانَ وسار إلى طريقِ خُراسانَ، ورَجَعَ بعدَ ثلاثِ

(1) البَنْدَنيجَيْن: بَلْدَةٌ مشهورةٌ في طَرَف النَّهْروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد. قال ياقوت: يُشْبه أن تُعَدّ في نواحي مِهْرجانقذَق (معجم البلدان 1: 499).

وأرسَلَ إلى داودَ والأمراءِ بالعَوْدِ وقِتالِ مَسْعودٍ من وراءِ السُّورِ، وراسَلَهم مَسْعودٌ بالطَّاعةِ والموافَقَةِ فأبَوْا، وتبِعَهم الخليفةُ في ذلك[1].

وجاء مَسْعودٌ فنزَلَ على بغْدادَ وحَصَرهم فيها، وثار العَيَّارُونَ وكَثُر الهَرْجُ، وأقاموا كذلك نَيِّفًا وخَمْسِينَ يَوْمًا، وامْتَنَعوا وأقْلَعَ السُّلْطانُ عنهم. ثم وَصَلَه طَرَنْطاي صاحِبُ واسِطَ بالسُّفُنِ، فعادَ وعَبَرَ إلى الجانِبِ الغَرْبِيِّ، فاضْطَرَبَ الرَّاشِدُ وأصْحابُه، وعادَ داودُ إلى بلادِه، وكان زَنْكِي بالجانِبِ الغَرْبِيِّ فعَبَرَ إليه الرَّاشِدُ وسارَ معَهُ إلى المَوْصِلِ. ودخَلَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ بغْدادَ مُنْتَصَفَ ذي القَعْدَةِ سنةَ ثلاثِينَ، وأمَّنَ النَّاسَ، واسْتَدْعَى القُضاةَ والفُقَهاءَ والشُّهودَ وعرَضَ عليهم يَمِينَ الرَّاشِدِ بخَطِّه: إنِّي متَى جَنَّدْتُ جُنْدًا أو خَرَجْتُ أو لَقِيتُ أحدًا من أصْحابِ السُّلْطانِ بالسَّيْفِ، فقد خَلَعْتُ/ نَفْسِي من الأمْرِ. فأفْتَوْا بخَلْعِه، ووافَقَهم على ذلك أصْحابُ المناصِبِ [404 ب] والوِلاياتِ، واتَّفَقُوا على ذَمِّه، فتقدَّم السُّلْطانُ لخَلْعِه، وقُطِعَتْ خُطْبَتُه ببغْدادَ وسائرِ البلادِ في ذي القَعْدَةِ سنةَ ثلاثِينَ، لسنةٍ من خلافَتِه[2].

خلافة المُقْتَفِي

ولمَّا قُطِعَتْ خُطْبَةُ الرَّاشِدِ اسْتَشارَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ أعْيانَ بغْدادَ فيمن يُوَلِّيه، فأشارُوا بمحمدِ بنِ المسْتَظْهِرِ، فتقَدَّم إليهم بعَمَلِ مَحْضَرٍ في خَلْعِ الرَّاشِدِ،

(1) الكامل في التاريخ 11: 36-37.

(2) المصدر نفسه 11: 41-42؛ نهاية الأرب 23: 278-279.

وذَكَروا ما ارتَكَبه من أخْذِ الأمْوالِ ومنَ الأفعالِ القادِحَةِ في الإمَامَةِ، واسْتَفْتَوْا آخِرَ المَحْضَرِ بأنَّ مَن هذه صِفَتُه لا يَصْلُحُ أن يكونَ إمامًا. وحضَرَ القاضِي أبو طاهِرِ بْنُ الكَرْخِيِّ فشَهِدوا عندَه بذلك وحَكَمَ بخَلْعِه، ونَفَّذَه القُضاةُ الآخَرون، وكان قاضِي القُضاةِ غائبًا عندَ زَنْكي بالموْصِلِ.

وحضَرَ السُّلْطانُ دارَ الخلافةِ ومعَه الوزيرُ شَرَفُ الدِّينِ الزَّيْنَبِيُّ وصاحِبُ المَخْزَن ابْنُ [البَقْشَلاميّ][أ]. وأُحْضِرَ أبو عَبْدِ اللهِ بْنُ المسْتَظْهِرِ، فدَخَل إليه السُّلْطانُ والوَزِيرُ واسْتَحْلَفاه. ثم أدْخَلُوا الأمراءَ وأرْبابَ المناصِبِ والقُضاةَ والفُقَهاءَ فبايَعُوه ثامِنَ عَشَرَ ذِي الحِجَّةِ ولَقَّبُوه المُقْتفِي. واسْتَوْزَرَ شَرَفَ الدِّين عليَّ بْنَ طَرَّادٍ الزَّيْنَبِيَّ، وبَعَثَ كتابَ الحُكْمِ بخَلْعِ الرَّاشِدِ إلى الآفاقِ، وأحْضَر قاضِيَ القُضاةِ أبا القاسمِ عليَّ بْنَ الحسَيْنِ، فأعادَه إلى مَنْصِبِه، وكمالَ الدِّينِ حَمْزَةَ بْنَ طَلْحَةَ صاحِبَ المَخْزَنِ كذلك[1].

فِتْنةُ السُّلْطانِ مَسْعودٍ مع داودَ، واجْتماعُ داودَ بالرَّاشِدِ للحَرْبِ، ومَقْتَلُ الرَّاشِدِ

ولمَّا بُويِعَ للمُقْتَفِي والسُّلْطانُ مَسْعودٌ ببغْدادَ، بعَثَ عساكِرَه مع قَراسُنْقُرَ لطَلَبِ المَلِكِ داودَ، فلَقِيه عندَ مَراغَةَ، فانْهَزَم داودُ ومَلَكَ قَراسُنْقُرُ أَذْرَبيجان. ثم

(أ) ظ: النسقلاني، ح: النقشلاني والمثبت من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 11: 42-43.

قصَدَ داودُ خُوزِسْتان، واجْتَمع عليه من عساكِرِ التُّرْكُمانِ وغيرِهم نَحْوُ عَشَرَةِ آلافِ مقاتِلٍ، وحاصَرَ تُسْتَرَ. وكان المَلِكُ سُلْجُوق شاه بواسِطَ، فبَعَثَ إلى أخيه مَسْعودٍ /يَسْتَنْجِدُه فأنْجَدَه بالعساكِرِ، وسار إلى داودَ وهو على تُسْتَرَ فقاتَلَه داودُ وهَزَمه. [405 أ] وكان السُّلْطانُ مَسْعودٌ مُقيمًا ببغْداد مخافةَ أنْ يَقْصِدَ الرَّاشِدُ العراقَ من الموصِلِ، وكان قد بعَثَ لزَنْكي فخَطَبَ للمُقْتَفي في رَجَبٍ سنةَ إحْدَى وثلاثِينَ. وسارَ الرَّاشِدُ من الموصِلِ، فلمَّا بَلَغَ خَبَرُ مَسيرِه إلى السُّلْطانِ مَسْعودٍ أذِنَ للعَسْكَرِ في العَوْدِ إلى بلادِهم، وانْصَرَفَ صَدَقَةُ بْنُ دُبَيْسٍ صاحِبُ الحِلَّةِ بعدَ أنْ زَوَّجَه ابْنَتَه.

ثُمَّ قدِمَ على السُّلْطانِ مَسْعودٍ جماعةُ الأمراءِ الذين كانوا معَ المَلِكِ داودَ، مثلُ البُقْش السَّلاحيِّ وبُرْسُقَ بْنِ بُرْسُقَ صاحِبِ تُسْتَرَ وسُنْقُر خَمارْتَكِين شِحْنَةِ هَمَذانَ، فرَضِيَ عنهم، ووَلَّى البُقْشَ شِحْنَةَ ببغْدادَ، فظَلَمَ النَّاسَ وعَسَفَهم[1].

ولمَّا فارَقَ المسْتَرْشِدُ الرَّاشِدَ زَنْكي من الموصِلِ سار إلى أَذْرَبيجان، وانْتَهى إلى مَراغَةَ، وكان الأميرُ بُوزَابَةُ وعبدُ الرَّحْمَنِ طَغَايَرَك وصَاحِبُ خِلْخَال[أ][2] خائِفِينَ منَ السُّلْطانِ مَسْعودٍ، فاجْتَمَعوا إلى مَنْكُبَرْسَ صاحِبِ فارِسَ، وتعاهَدُوا على بَيْعَةِ دَاودَ، وأن يَردُّوا الرَّاشِدَ إلى الخلافةِ، فأجابَهم الرَّاشِدُ إلى ذلك. وبلَغَ الخبرُ إلى السُّلْطانِ، فسار من بغْدادَ في شَعْبانَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثَلاثِينَ، وبَلَغَهم قبْلَ وُصُولِ

(أ) ظ: حلحال.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 47؛ نهاية الأرب 23: 279-281.
(2) خلْخَال. مدينةٌ وكورةٌ في طَرَفِ أَذْرَبيجان متاخِمةٌ لجيلان في وَسَطِ الجبال، زارَها ياقوت الحمويّ عند انهزامه أمامَ التَّتَر سنة 617هـ (معجم البلدان 2: 381).

الرَّاشِدِ إليهم فقاتَلَهم بخُوزِسْتانَ فانْهَزَموا وأُسِرَ مَنْكُبَرْسُ صاحِبُ فارِسَ، فقَتَلَه السُّلْطانُ مَسْعودٌ صَبْرًا، وافْتَرَقَتْ عساكِرُه للنَّهْبِ وفي طَلَبِ المنهزِمِينَ، ورآهُ بوزابة وعبدُ الرَّحْمٰنِ طغايَرَك في فَلٍّ مِن الجُنْدِ، فحَمَلوا عليه فانهزَمَ، وقَتَلَ بُوزَابَةُ جَماعَةً مِنَ الأمراء، منهم: صَدَقَةُ بْنُ دُبَيْسٍ وابنُ قَراسُنْقُرَ الأتابِكُ صاحِبُ أَذْرَبِيجان وعَنْتَرُ بْنُ أبي العَسْكَرِ وغيرُهم، كان قَبَض عليهم لأوَّلِ الهزيمةِ وأمْسَكهم عندَهم. فلمَّا بَلَغَه قَتْلُ مَنْكُبَرْسَ قَتَلَهم جميعًا، وانصَرَف العَسْكَرُ مَهْزُومِينَ. وقَصَد مَسْعودٌ أَذْرَبِيجان وداودُ همَذَانَ، وجاء إليه الرَّاشِدُ بعدَ الوَقْعَةِ وتَشَاوَرُوا، وكان بوزابة أكْبَرَهم، فسار بهم إلى فارِسَ فملَكَها / وأضافَها إلى خُوزِسْتانَ[1]. [405ب]

وسار سُلْجُوق شاه ابنُ السُّلْطانِ محمدٍ إلى بغْدادَ في مَغِيبِ أخِيه السُّلْطانِ مَسْعودٍ ليَمْلِكَها، فدَافَعَه البُقْشُ الشِّحْنَةُ ونَظَرَ الخادِمُ أميرُ الحاجِّ، وثار العَيَّارُون أيامَ تلك الحَرْبِ، وعَظُمَ الهَرْجُ ببغْداد، وجَلَا السُّلْطانُ عنها إلى البلادِ. فلما انْصَرَفَ سُلْجُوقُ شَاه واسْتَقَرَّ البُقْشُ الشِّحْنَةُ، فتَكَ فيهم بالقَتْلِ والصَّلْبِ. ولمَّا قُتِلَ صَدَقَةُ بْنُ دُبَيْسٍ وَلَّى السُّلْطانُ على الحِلَّةِ محمدًا أخاه وجَعَل معَهُ مُهَلْهِلًا أخا عَنْتَرِ بْنِ أبي العَسْكَرِ يُدَبِّرُه[2].

ولمَّا وَصَلَ الرَّاشِدُ والمَلِكُ داودُ إلى خُوزِسْتانَ مَعَ الأمراءِ، على ما ذكَرْنا، ومَلَكوا فارِسَ سارُوا إلى العراقِ، ومعَهم خُوارِزْم شَاه. فلمَّا قارَبُوا الجزيرةَ خرَجَ السُّلْطانُ مَسْعُودٌ لِمُدافَعَتِهم فافْتَرَقُوا، ومضَى المَلِكُ داودُ إلى فارِسَ وخُوارِزْم شاه

(1) الكامل في التاريخ 11: 60-61.

(2) المصدر نفسه 11: 61.

إلى بلادِه، وبَقِي الرَّاشِدُ وَحْدَه ويَئِسَ من عَساكِرِ العَجَمِ فسار إلى أصْبَهانَ، فوَثَب عليه في طَرِيقِه نَفَرٌ من الخُراسانيَّةِ الذين كانوا في خِدْمَتِه فقَتَلوه في القَيْلُولَةِ خامِسَ عشري رَمَضانَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثَلاثِينَ، ودُفِن بشَهْرَسْتَان[1] ظاهِرَ أَصْبَهانَ[2].

وعَظُمَ أمْرُ هذه الفِتْنَةِ، واختلَّتِ الأحْوالُ والمواسِمُ، وانْقَطَعتْ كُسْوَةُ الكَعْبةِ في هذه السَّنةِ من دارِ الخلافةِ ومن قِبَلِ السَّلاطِينِ، حتَّى قام بكُسْوَتِها تاجِرٌ فارِسيٌّ من المتردِّدينَ إلى الهِنْدِ[3]، أنْفَق فيها ثمانيةَ عَشَرَ ألْفَ دينارٍ مصريَّة[4].

وكَثُرَ الهَرْجُ من العَيَّارينَ، حتَّى رَكِب زُعماؤُهم الخُيولَ وجَمَعوا الجُموعَ، وتَستَّرَ الوالي ببغْدادَ بلِباسِ ابْنِ أخِيه؛ سَراوِيلِ الفُتُوَّةِ عن زَعِيمِهم، ليَدْخُلَ في جُمْلَتِهم، وحتَّى هَمَّ زعيمُهم بنَقْشِ اسْمِه في سِكَّةٍ بالأنبارِ، فحاوَلَ الشِّحْنةُ والوَزِيرُ عليٌّ قَتْلَه فقُتِل، ونَسَبَ أمْرَ العَيَّارِين إلى البُقْشِ الشِّحْنَةِ، لِمَا أحْدَث من الظُّلْمِ والعَسْفِ، فقَبَض عليه السُّلْطانُ مَسْعودٌ وحَبَسَه بتكْرِيتَ عندَ مجاهِدِ الدِّينِ بَهْرُوزَ، ثم أمَرَ بقَتْلِه فقُتِل[5].

ثم قَدِم السُّلْطانُ مَسْعودٌ في ربيعٍ سنةَ ثلاثٍ وثَلاثينَ في الشِّتاءِ، وكان يُشَتِّي بالعِراق ويُصَيِّفُ بالجبالِ. فلمَّا قَدِم أزال المُكُوسَ وكَتَب بذلك في الألْواحِ

(1) هي مدينة جَيّ ناحية أصْبَهان، وهي بمعزل عن المدينة القديمة بينهما ميل، وبها مشهد الرَّاشِد بن المُسْتَرْشِد معروف يزار (معجم البلدان 2: 202، 3: 377).

(2) الكامل في التاريخ 11: 62.

(3) اسْمه رَامَشْت.

(4) الكامل في التاريخ 11: 65.

(5) المصدر نفسه 11: 63.

فنُصِبَتْ/ في الأَسْـواقِ وعلى أبْوابِ الجامِعِ، ورَفَع عن العامَّةِ نُزولَ الجُنْدِ عليهم [1406] فكثُرَ الدُّعاء له والثَّناءُ عليه[1].

وزارةُ الخليفةِ

وفي سنةِ أربعٍ وثلاثينَ وقَع بينَ المُقْتَفي وبينَ وَزِيرِه عليِّ بْنِ طَرَّادٍ الزَّيْنَبيِّ وَحْشَةٌ بما كان يَعْتَرِضُ على المُقْتَفي في أوامِرِه، فخافَ واسْتَجارَ بالسُّلْطانِ مَسْعودٍ فأجَارَه، وشَفَعَ إلى المُقْتَفي في إعادَتِه فامْتَنَع وأسْقَطَ اسْمَه من الكُتُبِ، واسْتَنَابَ المُقْتَفي ابْنَ عَمِّه قاضِيَ القُضاةِ الزَّيْنَبيَّ، ثم عَزَلَه واسْتَنَابَ سَدِيدَ الدَّوْلَةِ ابْنَ الأنْبَارِيِّ[2].

ثم وَصَلَ السُّلْطانُ إلى بغْدادَ سنةَ سِتٍّ وثلاثِينَ، فوَجَدَ الوَزِيرَ شَرَفَ الدِّين الزَّيْنَبِيَّ في دارِه، فبَعَثَ وَزِيرَه إلى المُقْتَفي شَفِيعًا في إطْلاقِ سَبِيلِه إلى بَيْتِه، فأذِنَ له[3].

الشِّحْنَةُ

وفي سنةِ سِتٍّ وثلاثِينَ عُزِلَ مجاهِدُ الدِّين بَهْرُوزُ شِحْنَةُ بغْدادَ، ووَلِيَ مَكانَه كُزَل، أميرٌ آخَرُ مِن مَمالِيكِ السُّلْطانِ محمودٍ؛ فكان على البَصْرَةِ فأُضِيفَ إليه

(1) الكامل في التاريخ 11: 71.
(2) المصدر نفسه 11: 76.
(3) المصدر نفسه 11: 89.

شحْنَكيَّةَ بغْداذَ، ولمَّا وَصَلَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ إلى بَغْداذَ ورأى تَبَسُّطَ العَيَّارِينَ وفسادَهم أعاد بَهْرُوزَ شِحْنَةً، ولم يَنْتَفِعِ النَّاسُ بذلك؛ لأنَّ العَيَّارِينَ كانوا يَتَمَسَّكونَ بالجاهِ من أهْلِ الدُّورِ، فلا يَقْدِرُ بَهْرُوزُ على مَنْعِهم، وكان ابْنُ الوَزِيرِ وابْنُ قَارُوتَ صِهْرُ السُّلْطانِ يُقاسِمُونَهم فيما يأخُذونَه[أ] من النَّهْبِ[1].

واتَّفَقَ سنةَ ثمانٍ وثلاثِينَ أنَّ السُّلْطانَ أحْضَرَ نائِبَ الشَّحْنَكيَّةِ ووَبَّخَه على فسادِ العَيَّارِينَ، فأخْبَرَه بشأنِ صِهْرِه وابْنِ وَزِيرِه، فأقْسَمَ لَيَصْلُبَنَّه إنْ لم يَصْلُبْهما، فأخَذَ خاتَمَه لذلك، وقَبَضَ على صِهْرِه ابْنِ قَارُوتَ فصَلَبَه، وهَرَبَ ابْنُ الوَزِيرِ، وقُبِضَ على أكْثَرِ العَيَّارِينَ وافْتَرَقوا وكُفِيَ النَّاسُ شَرَّهم[2].

انْتِقاضُ الأعْياصِ واسْتِبْدادُ الأُمَراءِ على السُّلْطانِ مَسْعودٍ وقَتْلُه إيَّاهم

وفي سنةِ أرْبَعِينَ سار بُوزَابَةُ صاحِبُ فارِسَ وخُوزِسْتانَ وعَساكِرُه إلى قَاشانَ ومعَه المَلِكُ محمدٌ ابْنُ السُّلْطانِ محمودٍ، واتَّصل بهم المَلِكُ سليمانُ شاه ابْنُ السُّلْطانِ محمدٍ، /ولَقِي بُوزَابَةُ الأميرَ عبَّاسًا صاحِبَ الرَّيِّ وتآمَرَا في الانْتِقاضِ على السُّلْطانِ مَسْعودٍ، ومَلَكَا كثيرًا من بلادِه. فسار السُّلْطانُ مَسْعودٌ عن بَغْداذَ، وتَرَكَ [406 ب]

(أ) ح: يأخذوه.

(1) الكامل في التاريخ 11: 89.

(2) المصدر نفسه 11: 95.

بها الأميرَ مُهَلْهِلًا والخادِمَ نَظَرَ وجماعةً من غِلْمانِ بَهْرُوزَ. وسار معَهُ الأميرُ عَبْدُ الرَّحْمنِ طَغَايَرَك، وكان حاجِبَه ومُتَحَكِّمًا في دَوْلَتِه، وكان هَواهُ مع ذَيْنِكَ المَلِكَيْنِ، فسار السُّلْطَانُ وعَبْدُ الرَّحْمنِ حتَّى تقارَبَ العَسْكَرانِ فلَحِق سُلَيْمان شاه بأخِيه مَسْعودٍ، وجَرَى عبدُ الرَّحْمنِ في الصُّلحِ بينَ الفَرِيقَيْنِ، وأُضِيفَتْ إليه وِلايةُ أَذْرَبِيجان وأرانيةَ إلى ما بيَدِه.

وصَار أبو الفتحِ بنُ دراستَ وزيرًا للسُّلْطانِ مَسْعودٍ، وهو وَزِيرُ بُوزَابَةَ، فاسْتَبَدُّوا على السُّلْطانِ وحَجَرُوه عن التَّصَرُّفِ فيما يُرِيدُه، وكان بك أرْسَلَان بْنُ بلنكَرِي، المعروفُ بخاصِّ بك، خالِصةً للسُّلْطانِ بما كان من تَرْبِيَتِه، فدَاخَلُوه واسْتَوْلَوْا به على هَوَى السُّلْطانِ، وتغلَّب عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ طَغَايَرَك على السُّلْطانِ بكلِّ معنًى، وكان صاحِبَ خُلْخَالَ وبَعْضِ أَذْرَبِيجان[1].

فلمَّا عَظُمَ تَحَكُّمُه أسَرَّ السُّلْطانُ إلى خاصِّ بك بقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمنِ، فدَسَّ ذلك إلى جماعةٍ من الأمراءِ، وقَتَلوه في مَوْكِبِه؛ ضَرَبَه بَعْضُهم بِمِقْرَعَةِ حديدٍ فسَقَطَ إلى الأرْضِ مَيِّتًا. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى السُّلْطانِ مَسْعودٍ ببغْدادَ ومعه عبَّاسٌ صاحِبُ الرَّيِّ في عَسْكَرٍ أكْثَرَ من عَسْكَرِه، فامْتَعَضَ لذلك، فتَلَطَّفَ له السُّلْطانُ، واسْتَدْعاه إلى دارِه، فلمَّا انْفَرَدَ عن غِلْمَانِه أمَرَ به فقُتِل[2].

(1) الكامل في التاريخ 11: 104.

(2) المصدر نفسه 11: 116.

وكان عباسٌ من غِلمانِ السُّلطانِ محمودٍ ووَلِيَ الرَّيَّ، وجاهَد الباطنيّةَ وحَسُنَتْ آثارُه فيهم. وكان مَقْتَلُه في ذي القَعْدَةِ سنةَ إحْدَى وأربَعِين(1). ثم حبَسَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ أخاه سُلَيمانَ شاه بقَلْعَةِ تَكْرِيتَ(2).

وبلَغ مَقْتَلُ عباسٍ إلى بُوزَابَةَ، فجَمَعَ عساكِرَه من فارِسَ وخُوزِسْتانَ، وسار إلى أصْبَهانَ فحَصَرَها، ثم سار إلى السُّلْطانِ مَسعودٍ والْتَقَيا بمَرْجِ قَرَاتَكِين(3) فقُتِلَ بُوزَابةُ؛ قيل: بسَهْمٍ أصابه، وقِيلَ: أُخِذ أسِيرًا وقُتِل صَبْرًا وانهزَمَتْ عساكِرُه إلى هَمَذانَ وخُراسانَ(4).

انْتِقاضُ الأمراءِ ثانيةً على السُّلْطانِ

[407 أ] ولمَّا قَتَلَ/ السُّلْطانُ مَن قَتَلَ مِن أمرائِه، اسْتَخْلَصَ الأميرَ خاصَّ بك وأنْفَذَ كَلِمَتَه في الدَّوْلةِ، ورَفَعَ مَنْزِلَتَه، فحَسَدَه كثيرٌ من الأمراءِ وخافُوا غائِلَتَه وسارُوا نحوَ العراقِ، وهم: إيلْدِكِز المسعوديُّ صاحِبُ كَنْجَةَ وأرانِيَةَ، وقَيْصَرُ والبُقْش كون خر صاحِبُ أعمالِ الجَبَلِ، وتَتَرُ الحاجِبُ، وطُرُنْطايُ المَحْمُوديُّ شِحْنَةُ واسِطَ وابْنُ طَغَايَرَك. ولمَّا بلَغُوا حُلْوانَ خافَ النَّاسُ بأعْمالِ العراقِ، وعُنِيَ المُقْتَفِي بإصْلاحِ

(1) الكامل في التاريخ 11: 117.
(2) المصدر نفسه 11: 118.
(3) كذا بالنسخ وعند ابن الأثير، وفي معجم البلدان مَرْج قرابلين: على مرحلة من هَمَذان في جهة أصْبَهان (5: 101).
(4) الكامل في التاريخ 11: 119.

السُّورِ، وبعَثَ إليهم بالنَّهْيِ عن القُدُومِ، فلم يَنْتَهُوا، ووَصَلُوا في ربيعٍ الآخِرِ سنةَ ثلاثٍ وأربَعِينَ، والمَلِكُ محمدٌ ابنُ السُّلْطانِ محمودٍ معهم، ونَزَلُوا بالجانِبِ الشَّرْقيِّ، وفارَقَ مَسْعود بلال الشِّحْنَةَ بِبغْدادَ إلى تَكْرِيتَ، ووَصَلَ إليهم عليُّ ابنُ دُبَيْسٍ صاحِبُ الحِلَّةِ، ونَزَلَ بالجانِبِ الغَرْبيِّ. وجَنَّد المُقْتَفِي أجْنادًا، وقاتَلُوهم معَ العامَّةِ فكانُوا يَسْتَطْرِدُونَ للعامَّةِ والجُنْدِ حتَّى يَبْعُدوا، ثم يَكِرُّونَ عليهم فيُثْخِنُوا. ثم كَثُرَ عَيْثُهم ونَهْبُهم. ثم اجْتَمَعُوا مقابِلَ التَّاجِي وقَبَّلُوا الأرْضَ واعْتَذَرُوا، وتَرَدَّدَتِ الرُّسُلُ منهم ورَحَلُوا إلى النَّهْروانِ[1].

وعاد مَسْعُود بك(أ)[2] الشِّحْنَةُ من تَكْرِيتَ إلى بغْدادَ، وافْتَرَق هؤلاءِ الأمراءُ وفارَقُوا العراقَ، والسُّلْطانُ مَسْعُودٌ معَ ذلك مُقِيمٌ ببَلَدِ الجَبَلِ، ورُسُلُ عَمِّه سِنْجَرَ مُتَّصِلَةٌ تُعاتِبُه على تَقْدِيمِ خاصّ بك وتُهَدِّدُهُ عليه، ثم سار سِنْجَرُ إلى الرَّيِّ سنةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِينَ، فبادَرَ إليه مَسْعودٌ وتَرَضَّاه، فأعْتَبَه وقَبِل عُذْرَه.

ثم جاءت سَنَةَ أرْبَعٍ وأرْبَعِينَ جماعةٌ أخْرَى من الأمراءِ، وهم: البُقْشُ كون خر والطُّرُنْطايُ وابْنُ دُبَيْسٍ ومعَهم مَلِكْشاه ابْنُ السُّلْطانِ محمودٍ، فَراسَلُوا المُقْتَفِيَ في الخُطْبَةِ لمَلِكْشاه فلمْ يُجِبْهم، وجَمَعَ العساكِرَ وحَصَّن بغْدادَ، وكاتَبَ السُّلْطانَ مَسْعودًا بالوُصُولِ إلى بغْدادَ، فشَغَلَه وُصُولُ عمِّه سِنْجَرَ إلى الرَّيِّ. ولمَّا عَلِمَ البُقْشُ مُراسَلَةَ

(أ) في ح : بلاك، وفي الكامل: مسعود بلال.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 132-133 (بتصرف).

(2) المصدر نفسه 11: 133-134.

المُقْتَفي إلى مَسْعودٍ نَهَبَ النَّهْروانَ، وقَبَضَ على عليِّ بنِ دُبَيْسٍ، وهَرَبَ الطُّرُنْطايُ إلى النُّعْمانِيَّةِ، ثم وَصَلَ السُّلْطانُ مَسْعودٌ إلى بغْدادَ مُنْتَصَفَ شَوّالٍ، ورَحَلَ البَقْشُ كون خَر من النَّهْروانِ وأَطْلَقَ عليَّ/ [407 ب] بنَ دُبَيْسٍ[1].

وِزارةُ المُقْتَفي

وفي سنةِ أربَعٍ وأربَعينَ اسْتَوْزَرَ المُقْتَفي أبا المُظَفَّرِ [عَوْنَ الدّينِ][أ] يَحْيَى بنَ هُبَيْرَةَ، وكان صاحِبَ دِيوانِ الزِّمامِ، وظَهَرَتْ منه كِفايةٌ في حِصارِ بغْدادَ فاسْتَوْزَرَه المُقْتَفي[2].

وَفاةُ السُّلْطانِ مَسْعود، ومُلْكُ مَلِكْشاه ابْنِ أخيه مَحْمودٍ ثم أخيه محمد

ثم تُوفِّي السُّلْطانُ مَسْعودٌ أوَّلَ رَجَبٍ سنةَ سَبْعٍ وأرْبَعِينَ وخَمْسِ مائةٍ، لإحْدَى وعِشْرِينَ سَنَةً من بَيْعَتِه، وعِشْرِينَ من عَوْدِه بعدَ مُنازَعَةِ إخْوَتِه. وكان خاصُّ بك بنُ بَلَنْكري مُتَغَلِّبًا على دَوْلَتِه، فبايَعَ لمَلِكْشاه ابنِ أخِيه السُّلْطانِ محمودٍ، وخَطَبَ له بالسَّلْطَنَةِ في هَمَذانَ، وكان هذا السُّلْطانُ مَسْعودٌ آخِرَ مُلوكِ السَّلْجوقِيَّةِ ضَخامَةً واتِّساعًا، فلَمْ يَكُنْ لهم بعدَه دَوْلَةٌ يُعْتَدُّ بها.

ولما وَصَلَ الخَبَرُ بمَوْتِه إلى بغْدادَ هربَ مَسْعود بلال[ب] الشِّحْنَةُ إلى تَكْريتَ

(أ) إضافة من الصفحة التالية . (ب) في ح : مسعود بلاك .

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 143.

(2) المصدر نفسه 11: 146.

وكانت كرسيَّ عَمَلِه، وأخَذَ المُقتفي ما كـان بدارِه ودارِ أصْحابِ السُّلْطانِ، وطَلَبَ ودائِعَهم عندَ النَّاسِ، فأُحْضِرَتْ بالدِّيوانِ، وجُمِعَ العساكِرُ والجنودُ لمدافَعَةِ مُلُوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ عن بغْدادَ. وبعَثَ السُّلْطانُ مَلِكْشاه الأميرَ سَلارَ كَرْدَ في عَسْكَرٍ إلى الحِلَّةِ فدَخَلَها، وسار إليه مَسْعود بلال الشِّحْنَةُ، وأظْهَرَ له الاتِّفاقَ. ثم قبَضَ عليه وغَرَّقَهُ واسْتَبَدَّ بالحِلَّةِ. وجَهَّزَ المُقْتفي إليه العساكِرَ معَ الوزيرِ عَوْنِ الدِّينِ بْنِ هُبَيْرَةَ، فعَبَرَ الشِّحْنَةُ إليهِمُ الفُراتَ وقاتَلَهم، فانْهَزَموا. وثارَ أهْلُ الحِلَّةِ بدَعْوةِ المُقْتفي ومَنَعوا الشِّحْنَةَ من الدُّخولِ فعاد إلى تَكْرِيتَ(1).

ودخَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ الحِلَّـةَ، وبعَثَ العساكِرَ إلى الكُوفةِ وواسِطَ فَمَلَكُوها، وجاءَتْ عساكِرُ السُّلْطانِ إلى واسِطَ فغَلَبوا عليها عَسْكَرَ المُقْتفي، فتَجَهَّزَ بنَفْسِه وانْتَزَعَها من أيْدِيهم، وسار منها إلى الحِلَّةِ. ثم عاد إلى بغْدادَ في عشري ذِي القَعْدَةِ. ثم إنَّ خاصَّ بـك، المُتَغَلِّبَ على السُّلْطانِ مَلِكْشاه، اسْتَوْحَشَ وتَنَكَّرَ وأراد الاسْتِبْدادَ، فبَعَثَ عن المَلِكِ محمدِ ابنِ السُّلْطانِ محمدٍ مِن/ خُوزِسْتانَ سنةَ ثمانٍ
[408أ] وأرْبَعِينَ، فبايَعَه أوَّلَ صَفَر، وأهْدَى له وهو مُضْمِرٌ الفَتْكَ فَسَبَقَه السُّلْطانُ محمدٌ به لذلك، وقَتَلَه ثاني يومِ البَيْعَةِ أيْدَغْدِي التُّرْكُمانيُّ، المعروفُ بشَمْلَةَ، من أصْحابِ خاصِّ بك، ونَهاه عنِ الدُّخولِ إلى السُّلْطانِ محمدٍ، فلم يَقْبَلْ. فلمَّا قُتِلَ خاصّ بك، نَهَبَ شَمْلَةُ عَسْكَرَه ولَحِقَ بخُوزِسْتانَ. وكان خاصُّ بك صَبِيًّا من التُّرْكُمانِ اتَّصلَ بالسُّلْطانِ مَسْعودٍ فاسْتَخْلَصَه وقَدَّمَه على سائرِ الأمراءِ(2).

(1) الكامل في التاريخ 11: 160-162 (بتصرُّف).
(2) المصدر نفسه 11: 162-163.

حُروبُ المُقْتَفِي مع أهلِ الخلافِ وحِصارِه للبلادِ

ثم بَعَثَ المُقْتَفي عساكِرَه لِحِصارِ تَكْرِيتَ مع ابنِ الوزيرِ عونِ الدِّينِ والأميرِ تُرْشَك من خَواصِّه وغَيْرِهما، ووَقَعَ بينَ ابنِ الوزيرِ وتُرْشَك مُنافرةٌ خَشِيَ لها تُرْشَك على نَفْسِه، فصَالَحَ الشِّحْنَةُ صاحِبَ تَكْرِيتَ، وقَبَضَ على ابنِ الوَزِيرِ والأمراءِ، وحَبَسَهم صاحِبُ تَكْرِيتَ وغَرِقَ كثيرٌ منهم. وسار تُرْشَك والشِّحْنَةُ إلى طَرِيقِ خُراسانَ فعاثُوا فيها، وخَرَجَ المُقْتَفِي في اتِّباعِهم فهَرَبا بينَ يَدَيْه، وقَصَد تَكْرِيتَ وحاصَرَها أيَّامًا[1].

ثم رجَعَ إلى بغْدادَ، وبعَثَ سنةَ تِسْعٍ وأَرْبَعِينَ إلى الشِّحْنَةِ بتَكْرِيتَ في ابنِ الوَزِيرِ وغيرِه من المأْسُورِينَ، فقَبَضَ على الرَّسُولِ فبَعَثَ إليهم عَسْكَرًا فامْتَنَعوا عليه. فسار المُقْتَفِي بنفْسِه في صَفَرٍ من سنَتِه، ومَلَكَ تَكْرِيتَ، وامْتَنَعَتْ عليه القَلْعَةُ فحَاصَرَها، ورَجَع في ربيعٍ. ثم بعَثَ الوزيرَ عَوْنَ الدِّين في العساكِرِ لِحِصارِها، واسْتَكْثَرَ منَ الآلاتِ، وضَيَّق علَيْها.

ثم بلَغَه الخَبَرُ بأنَّ الشِّحْنَة مَسْعودٍ وتُرْشَك وَصَلا في العساكِرِ ومعَهم الأميرُ البُقْشُ كون خر، وأنَّهما اسْتَحَثَّا المَلِكَ محمدًا لقَصْدِ العراقِ فلم يَتَهَيَّأْ له، فبَعَثَ هذا العَسْكَرَ معَهم، وانْضَافَ إليهم خَلْقٌ كثيرٌ من التُّرْكُمانِ، فسار المُقْتَفِي لِلقائِهم. وبعَثَ الشِّحْنَةُ مَسْعودٌ عن أرْسَلَانَ ابنِ السُّلْطانِ طُغْرُل بنِ محمدٍ، وكان مَحْبوسًا بتَكْرِيتَ،

(1) الكامل في التاريخ 11: 189؛ نهاية الأرب 23: 288-289.

فأحضَرَه عندَه ليُقابلَ به المُقتَفِيَ، والتَقَوْا عندَ عَقَرْقُوف (أ) فتنَازَلُوا ثمانيةَ عَشَرَ يومًا، ثم تناجَزُوا آخِرَ رَجَبٍ فانهزَمَتْ مَيمَنَةُ المُقْتَفِي إلى بَغْدادَ، ونُهِبَتْ خزائِنُه، وثَبَتَ هو. واشْتَدَّ/ القِتالُ، فانهزَمَتْ عساكِرُ العَجَمِ، وظَفِرَ المُقْتَفِي بهم، وغَنِمَ أَمْوالَ التُّركُمانِ وسَبَى نِساءَهم وأَوْلادَهم. ولَحِقَ البُقْشُ كونْ خَر ببَلَدِ اللِّحْف (ب) [408ب] وقلعةِ الماهكي (1) ومعَه أرْسَلانُ بنُ طُغْرُل، ورَجَعَ المُقتفِي إلى بَغْدادَ أوَّلَ شَعْبانَ (2).

وقَصَدَ مَسْعودٌ الشِّحْنَةُ وتُرْشَكُ بَلَدَ واسِطَ للعَيْثِ فيها، فبَعَثَ المُقْتفِي الوزيرَ ابنَ هُبَيْرَةَ في العساكِرِ فهزَمَهم وعاد فلَقَّبَهُ المُقْتَفِي سُلْطانَ العراقِ مَلِكَ الجُيُوش، وبعَثَ المقْتفِي عسكرًا إلى بَلَد اللِّحْف فملَكَه، ولمَّا وَصَلَ البُقْشُ كون خر لبلاده ومعه أرْسَلانُ بنُ طُغْرُلَ بعَثَ إليه السُّلْطانُ محمدٌ في إحْضارِه عندَه. وماتَ البُقْشُ في رَمَضانَ من سَنَتِه، وبَقِيَ أرْسَلانُ معَ ابنِ البُقْشِ وحَسَنِ الجانْدارِ (ج)، فحَمَلاه إلى الجَبَلِ ثم سارَا به إلى أَلْدِكز زَوْجِ (د) أُمِّه - وهُوَ أبو البَهْلَوانِ - والبَهْلَوانِ وأرْسَلانَ وطُغْرُلَ الذي قتَلَه خُوارِزْم شاه، وكان آخِرَ السُّلْجُوقِيَّةِ ثَلاثَتُهم إخْوَةً لأمّ. ثم سار المُقْتَفِي سنةَ خَمْسِينَ إلى دَقُوقا فحاصَرَها أيامًا، ورجَعَ عنها لأنَّه بلَغَه أنَّ عَسْكَرَ الموصِلِ تجهَّزَ لمدافَعَتِه عنها فرَحَلَ (3).

(أ) النُّسَخ: عقرقوبا، وابن الأثير: بعقوبا. (ب) ظ: بلح اللحف. (ج) ظ، ص: الخازندار. (د) ط، ص، الذكر روح.

---

(1) اللّحف: صُقعٌ معروفٌ من نواحي بغداد سُمّي بذلك لأنّه في لِحف جبال هَمَذان ونهاوند (معجم البلدان 5: 14).

(2) الكامل في التاريخ 11: 194-195 (بتصرف)؛ نهاية الأرب 23: 289-290.

(3) المصدر نفسه 11: 196.

اسْتيلاءُ شَمْلَةَ على خُوزِسْتانَ

قد ذكَرْنا من قبلُ شأنَ شَمْلَةَ، وأنَّه من التُّرْكمانِ، واسْمُه أيْدغدي، وأنَّه كان من أصْحابِ خاصِّ بك التُّرْكُمانيِّ، وهرَبَ يومَ قُتِل السُّلطانُ محمَّدٌ صاحِبُ خاصِّ بك بعدَ أنْ حَذَّره منه فلم يَقْبَلْ، ونجا من المُواقَعَةِ، فَجَمَعَ جُموعًا وسار يُرِيدُ خُوزِسْتَانَ، وصاحِبُها يومئذٍ مَلِكْشاه ابنُ السُّلْطانِ محمودِ بْنِ محمدٍ. وبعَثَ المُقْتَفِي عَساكِرَه لذلك فلَقِيَهم شَمْلَةُ في رَجَبٍ وهزَمَهم وأَسَرَ وُجُوهَهم. ثم أطْلَقَهم وبعَثَ إلى الخليفةِ يَعْتَذِرُ فقَبِلَ عُذْرَه، وسار إلى خُوزِسْتانَ فَمَلَكها من يَدِ مَلِكْشاه ابْنِ السُّلْطانِ محمودٍ[1].

إشارةٌ إلى بعْضِ أخْبارِ السُّلْطانِ سَنْجَرَ بخُراسانَ ومَبْدإ دَوْلة بَني خُوارِزْم شاه

كان السُّلْطانُ سِنْجِرُ من وَلَدِ السُّلْطانِ مَلِكْشاه لصُلْبِه، ولمَّا اسْتَوْلَى بَرْكِيارُق بنُ مَلِكْشاه على خُرَاسَانَ سنةَ تِسْعِينَ وأربعِ مائةٍ من يَدِ عمِّه أرْسَلانَ أرْغُونَ، كما يُذْكَر في أخْبارِهم عندَ/ تَفَرُّدِها مُسْتَوْفًى - ولَّى عليها أخاه سِنْجِرَ، ووَلَّى على خُوارِزْمَ محمدَ بنَ أنُوش تكِين[أ] مِن قِبَلِ الأميرِ دادَ حَبَشِيِّ بْنِ التَّونْتَاق[ب]. ثم لمَّا [409 أ]

(أ) ظ: أنوش فقط. (ب) ح: اليونتاق.

(1) الكامل في التاريخ 11: 201.

ظَهَرَ السُّلْطانُ محمدٌ ونازَعَ بَرْكِيارُق وتَعاقَبا في المُلْكِ، وكان سَنْجَرُ شقيقًا لمحمدٍ فوَلَّاه على خُراسانَ، ولم يَزَلْ عليها.

ولما اخْتَلَفَ أولادُ محمدٍ من بَعْدِه كان عَقِيدَ رأيِهم وصاحِبَ شُورَاهُم إلى أن خُطِبَ لهُ ببِغْدادَ مقدَّمًا اسْمُه على اسْمِ سُلْطانِ العراقِ منهم سنةَ [....][أ].

ثم خَرَجَتْ أمَمُ الخَطَا من التُّرْكِ من مَفازَةِ الصِّينِ ومَلَكُوا ما وراءَ النَّهْرِ من يَدِ الجابِيَةِ مُلُوكِ تُرْكُسْتَانَ سنةَ سِتٍّ وثلاثِينَ كما يُذْكَرُ في أخْبَارِهم.

وسار سَنْجَرُ لمدافعَتِهم فهزَمُوه، فوَهَنَ لذلك واستَبدَّ عليه خُوارِزْم شاه بعضَ الشيءِ. وكان الخَطَا لما مَلَكُوا بلادَ تُرْكِسْتَانَ أزْعَجُوا الغُزَّ عنها إلى خُراسَانَ، وهم بَقِيَّةُ السُّلْجوقِيَّةِ هنالك. أجازَ السُّلْجُوقِيَّةِ لأوَّلِ دَوْلَتِهم إلى خُراسانَ فملكُوها، وبَقِيَ هؤلاءِ الغُزُّ بنواحِي تُرْكِسْتَانَ فأجَازُوا اللَّان أمامَ الخَطَا إلى خُراسَانَ، وأقامُوا بها حتَّى عَتَوْا ونَمَوْا. ثم كَثُرَ عَيْثُهم وفسادُهم، وسار إليهم السُّلْطانُ سَنْجَرُ سنةَ ثمانٍ وأرْبَعِينَ فهزَمُوه واسْتَوْلَوْا عليه وأسَرُوه، ومَلَكُوا بلادَ خُراسانَ وافْتَرَق أمراؤُه على النَّواحِي، ثم مَلَكُوه وهُو أسيرٌ في أيْدِيهم وجَعَلوه ذَرِيعَةً لنَهْبِ البلادِ واسْتَوْلَوْا به على كثيرٍ منها[1]، وهَرَب من أيْدِيهم سنةَ إحْدَى وخَمْسِينَ ولم يَقْدِرْ على مُدافَعَتِهم. ثم تُوفِّي سنةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِينَ، وافْتَرَقَتْ بلادُ خُراسانَ على أمرائِه كما يُذْكَرُ في أخْبارِهم[2].

(أ) بياض في الأصول .

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 176-177.

(2) المصدر نفسه 11: 210، 222-223.

ثم تَغَلَّبَ بنو خُوارِزم شاه عليها[1] كلِّها وعلى أَصْبَهَانَ والرَّيِّ من ورائها، وعلى أعمالِ غَزْنَةَ من يَدِ بني سُبُكْتُكِينَ، وشارَكَهم فيها الغُورِيَّةُ بعضَ الشَّيْءِ، وقام بنو خُوارِزم شاه مَقامَ السُّلْجُوقِيَّةِ إلى أنِ انقَرَضَتْ دَوْلَتُهم على يَدِ جَنكِزخان مَلِكِ الطَّطَرِ من أُمَمِ التُّرْكِ في أوائلِ المائةِ السَّابعةِ كما يُذْكَرُ ذلك كُلُّه في أخبارِ كلٍّ منهم عندَما نُفْرِدُها بالذِّكْرِ إنْ شاء الله.

الخُطْبَةُ بِبَغْدادَ لِسُلَيمانَ شاه ابْنِ السُّلْطانِ محمدٍ / وحَرْبُه مَعَ السُّلْطانِ محمدِ بنِ محمودٍ، وحَبْسُه بالموصِلِ [409 ب]

كان سُلَيْمانُ بنُ السُّلطانِ محمدٍ عندَ عَمِّه سِنْجَرَ بخُراسانَ منذُ أعوامٍ، وقد جعَلَه وَلِيَّ عَهْدِه، وخطَبَ له بخُراسانَ. فلمَّا غَلَبَ الغُزُّ على سِنْجَرَ وأَسَرُوه تَقَدَّم سُلَيْمانُ شاه على العساكِرِ، ثم غَلَبَتْهم الغُزُّ فلَحِقَ بخُوارِزم شاه فصَاهَرَه أوَّلًا بابنةِ أخيه، ثم تَنَكَّرَ له فسار إلى أَصْبَهَانَ، فمَنَعَه شِحْنَتُها من الدُّخولِ، فسار إلى قاشانَ، فبَعَثَ إليه السُّلْطانُ محمدُ شاه بنُ محمودٍ العساكِرَ وشَرَّدوه عنها، فسار إلى خُوزِسْتانَ فمَنَعَه صاحِبُها مَلِكْشاه بنُ محمودٍ، فقَصَدَ اللُّحُفَ، فنزَلَ على السَّيِّدِ مُحسنٍ، وبعَثَ إلى المُقْتَفِي يَستأذِنُه في القُدومِ، وبعَثَ زَوْجَتَه ووَلَدَه رَهْنًا على

(1) يراجع عن الخوارزمين سيرة السُّلطان جَلال الدِّين مَنكبَرتي لمحمد بن أحمد النَّسَوي ودراسة حافظ أحمد حمدي المهمة: الدَّوْلَة الخُوارزمية والمغول ـ غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، القاهرة ـ دار الفكر العربي 1949.

الطَّاعةِ والمناصَحةِ، فأذِن له، وقَدِمَ في خفٍّ من العَسْكَرِ ثلاثِ مائةٍ أو نحوِها[أ]، وأخرَج الوزيرُ عَوْنُ الدِّينِ بْنُ هُبَيْرَةَ ابنَه لتَلَقِّيه ومعَه قاضي القُضاةِ والنَّقيبانِ، ودَخَل وعلى رأسِه الشَّمْسِيَّةُ، وخُلِعَ عليه.

ولمَّا كان المحرَّمُ من سنةِ إحْدَى وخَمْسِينَ حَضَرَ عندَ المُقْتَفِي بمَحْضَرِ قاضي القُضاةِ والشُّهودِ وأعْيانِ العَبَّاسِيِّينَ، واسْتَحْلَفَه على الطَّاعةِ، وأنْ لا يَتَعَرَّضَ للعراقِ. ثم خَطَبَ له ببَغْدادَ ولُقِّبَ ألقابَ ابنِه السُّلْطانِ محمدٍ، وبعَث معَه عَسْكَرًا نحوَ ثلاثةِ آلافٍ، واسْتَقْدَم [تويدان][ب] صاحِبَ الحِلَّةِ، فجُعِلَ له أميرَ حاجِبٍ، وسار نحوَ الجَبَلِ في ربيع. وسار المُقْتَفِي إلى حُلْوانَ، وأرْسَلَ إلى مَلِكْشاه بْنِ محمودٍ أخِي سُلَيْمان شاه صاحِبِ خُوزِسْتانَ، فاسْتَحْلَفَه لسُلَيْمانَ شاه وجَعَلَه وَلِيَّ عَـهْدِه، وأمدَّهُ بالمالِ والأسْلِحةِ، وساروا إلى هَمَذانَ وأصْبهانَ، وجاءهم إلْدِكِـزُ صاحِبُ بلادِ أرَّانَ فكَثُرَ جَمْعُهم.

وبَلَغ خَبَرُهم السُّلْطانَ محمدَ بْنَ محمودٍ، فبعَثَ إليه قُطْبَ الدِّينِ مَوْدُودَ بْنَ زَنْكِي صاحِبَ الموصِلِ، ونائِبَه زَيْنَ الدِّينِ ليَسْتَنْجِدَهما فأجَاباه، وسار للقاءِ سُلَيْمان شاه وأصْحابِه، فالْتَقَوْا في جُمادَى، وانْهَزَمَ سُلَيْمان شاه، وافْتَرَقَتْ عساكِرُه. وسار إلْدِكْزُ إلى بلادِه، وسار سُلَيْمانُ شاه/ [410أ] إلى بَغْدادَ، وسَلَكَ على شَهْرَزُورَ، فاعْتَرَضَه زَيْنُ الدِّين علي كُوجَك نائبُ قُطْبِ الدِّينِ بالمَوْصِلِ، وكان على مَقْطَعِ شَهْرَزُورَ[ج] الأميرُ بزان من جِهَةِ زَيْنِ الدِّينِ، فاعْتَرَضاه جميعًا وأخَذاه أسيرًا، وحَمَلَه زَيْنُ الدِّين إلى

(أ) العبارة عند ابن الأثير: فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلاث مائة رجل. (ب) ظ: دوران، ص: داود والتصويب من الكامل. (ج) ظ: شهرور.

المَوْصِلِ فَحَبَسَه بقَلْعَتِها، وبَعَثَ إلى السُّلْطانِ محمدٍ بالخَبَرِ (1).

حِصارُ السُّلْطانِ محمدٍ بَغْدادَ

كان السُّلْطانُ محمدٌ قد بعَثَ إلى المُقْتَفِي في الخُطْبَةِ له ببَغْدادَ فامْتَنَع من إجابَتِه، ثم بايَع لعَمِّه سُلَيْمانَ وخَطَبَ له، وكان ما قَدَّمْناه من أمْرِه له. ثم سار السُّلْطانُ محمدٌ من هَمَذانَ في العساكِرِ نحوَ العراقِ فقَدِمَ في ذي الحِجَّةِ سنةَ إحْدَى وخَمْسِينَ، وجاءَتْه عساكِرُ الموصِلِ مَدَدًا من قِبَلِ قُطْبِ الدِّينِ ونائِبِه زَيْنِ الدِّينِ كُجَك، واضْطَرَبَ النَّاسُ ببغْدادَ والموصِلِ، وأرْسَلَ المُقْتَفِي عن قُطْلُوتوشَ[أ] صاحِبِ واسِطَ، فجاء في عَسْكَرِه. ومَلَكَ مُهَلْهِلٌ الحِلَّةَ، فاهْتَمَّ ابنُ هُبَيْرَةَ بأمْرِ الحِصارِ، وجَمَعَ السُّفُنَ تحتَ التَّاجِي، وقَطَع الجِسْرَ، وأجْفَلَ النَّاسُ من الجانِبِ الغَرْبِيِّ، ونُقِلَتِ الأموالُ إلى حَرِيمِ دارِ الخلافةِ، وفَرَّق المُقْتَفِي السِّلاحَ في الجُنْدِ والعامَّةِ، ومَكَثُوا أيامًا يَقْتَتِلُونَ، ومَدَّ السُّلْطانُ جِسْرًا على دِجْلَةَ فعَبَرَ العَسْكَرُ إلى الجانِبِ الشَّرْقِيِّ حتَّى كان القِتالُ في الجانِبَيْنِ (2).

وتَعَذَّرَتِ الأقْواتُ في العَسْكَرِ، واشْتَدَّ الحِصارُ على أهْلِ بَغْدادَ لانْقِطاعِ المِيرَةِ، وظَهَرَ الفَشَلُ من عَسْكَرِ الموصِلِ؛ لأنَّ نُورَ الدِّينِ محمودَ بْنَ زَنْكِي، وهو أخُو

(أ) كذا في النسخ، وعند ابن الأثير: خطلبرس.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 205-207 (بتصرُّف).

(2) المصدر نفسه 11: 212-213 (بتصرُّف).

قُطْبِ الدِّينِ الأكبرُ، بَعَثَ إلى زَيْنِ الدِّينِ يَلُومُه على قِتالِ الخليفةِ. ثم بَلَغَ السُّلْطانَ محمدًا أنَّ أخاه مَلِكْشاه وإلْدِكِز صاحِبَ بِلادِ أرَّان ورَبِيبَه أرْسَلان ابْنَ المَلِكِ طُغْرُل بنِ محمدٍ ساروا إلى هَمَذان، وعادَ زَيْنُ الدِّينِ كُجَك إلى الموصِلِ.

ولمَّا قصَد السُّلْطانُ محمدٌ هَمَذانَ، صار مَلِكْشاه وإلْدِكِز ومَن معَهما إلى الرَّيِّ، فقاتَلَهم شِحْنَتُها إينانج وهَزَمُوه، وأمَدَّه السُّلْطانُ محمدٌ بالأميرِ [سُقْمان](أ) بْنِ قَيْماز، فسارَ لذلك ولَقِيَهما مُنصرِفَيْنِ عن الرَّيِّ قاصِدَيْنِ بغْدادَ فقاتَلَهما، وانْهزَمَ أمامَهما، فسار السُّلْطانُ في أثَرِهما بخُوزِسْتانَ. فلمَّا انْتَهى إلى/ حُلْوانَ جاءه الخَبَرُ بأنَّ إلْدِكِز [410 ب] بالدِّيْنَوَرِ، وبَعَثَ إليه إينانج بأنَّه اسْتَوْلَى على هَمَذانَ وأعاد خُطْبَتَه فيها، فافْتَرَقَتْ جُموعُ مَلِكْشاه وإلْدِكِز، وفارَقَهم شَمْلةُ صاحِبُ خُوزِسْتانَ فعادُوا هارِبِينَ إلى بلادِهم، وعاد السُّلْطانُ محمدٌ إلى هَمَذانَ(1).

[وبَلَغَ الخبرُ بوَفاةِ السُّلطان سِنْجِر بعد خَلاصه من الأَسْر لرمَضان إحدى وخَمْسين، ولحق بدار مُلكه بمَرْو، ثم توفِّي في ربيع سنة ثِنْتَيْن وخَمْسين، وبلغ الخبر بوَفاتِه فانْقَطَعت الخطبة لملوك السُّلجوقيّة ببغْداد والعراق من بَعْده، واستَبَدَّ المقْتفي ومن بعده من الخلفاء بأمْرهم إلى انقِراض دَوْلَتِهم](ب).

(أ) من الكامل وفي ظ، ح: سقمس.
(ب) فقرة موجودة فقط في نسخة ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 214-215.

حُروبُ المقْتَفي مع أهْلِ النَواحي

كان سُنقُرُ الهَمَذانيُّ صَاحِبَ اللِّحْفِ، وكان في هذه الفِتْنَةِ قد نهبَ سَوادَ بغْدادَ وطرِيقَ خُراسانَ، فسار المقْتَفِي لحرْبه في جُمادَى سنةَ ثلاثٍ وخَمْسِينَ، وضَمِنَ له الأميرُ خطْلُوبرس إصْلاحَه. فسَارَ إليه وأصْلَح حالَه، على أن يُشْرِكَ المقْتَفيَ معه في تِلْكَ البَلَدِ ـ اللِّحْفِ ـ الأميرَ أزغُش المستَرْشِدِيَّ، فأقْطَعَها لهما جميعًا ورجَع. ثم عَدَا سُنقُرُ على أُزغُش وأخْرَجَه وانفَرَد ببَلَدِه، وخَطَبَ للسُلْطانِ محمدٍ، فسار إلَيْه خُطْلُوبرَس من بغْدادَ في العساكِرِ وهزَمه، ومَلَكَ اللِّحْفَ، وسار سُنقُرُ إلى قَلْعَةِ الماهكيِّ ثم إلى السُلْطانِ محمدٍ بهَمَذَانَ واسْتَنْجَدَه فلم يُنْجِدْه، فعادَ إلى قَلْعَةِ الماهكيِّ، وأقْطَع المقتفي بلدَ اللِّحْفِ للأميرِ قايمازَ العَمِيديِّ، ونَزَلَها في أرْبَعِ مائةِ فارِسٍ[1].

ثم سار إليه سُنقُرُ سنةَ أربَعٍ وخَمْسِينَ فهزَمه، ورجَع إلى بغْدادَ فخَرَجَ المقْتَفِي إلى النُّعْمانِيَّةِ، وبعَثَ العساكِرَ مع تُرْشَكَ فهرَبَ سُنقُرُ في الجِبالِ، ونَهَب تُرْشَكُ مُخلَّفَه، وحاصَرَ قَلْعَةَ الماهكيِّ. ثم عاد إلى البَنْدَنِيجَيْن وبعَثَ بالخَبَرِ إلى بَغْدادَ، ولَحِقَ سُنقُرُ بمَلِكْشاه فأمَدَّه، بخَمْسِ مِائةِ فارِسٍ، وبعَثَ تُرْشَكُ إلى المقْتَفي في المَدَدِ فأمدَّه، وبعَثَ إليه سُنقُرُ في الإصْلاحِ فحَبَسَ رَسُولَه، وسار إليه فهزَمَه واسْتَباحَ عَسْكَرَه، ونجا سُنقُرُ جَرِيحًا إلى بلادِ العَجَمِ فأقام بها[2]، ثم جاء سنةَ أربعٍ وخَمْسِينَ إلى بغْدادَ، وألْقَى نفْسَه

(1) الكامل في التاريخ 11: 229.

(2) المصدر نفسه 11: 249.

تحتَ التّاجِ [ومعه سَيْفٌ وكَفَن](أ) فرَضِيَ عنه المُقْتَفِي، وأذِنَ له في دخُولِ دارِ الخِلافةِ(1). ثم زَحَفَ شَمْلَةُ إلى قايْماز السُّلْطانيِّ في ناحيةِ بادَرَايا سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ فهزَمَه وقتَلَه، وبعَثَ المُقْتفي عساكِرَه لِقتالِ شَمْلَةَ، فلَحِقَ بمَلِكْشاه(2).

وَفاةُ السُّلْطانِ محمد بنِ محمود، ومُلْكُ عَمِّه سُلَيْمان /شاه ثم أرْسَلانَ بنِ طُغْرُل

411]

ثم إنَّ السُّلْطانَ محمدَ بْنَ محمودِ بْنِ محمدِ بْنِ مَلِكْشاه لمَّا رجَعَ عن حِصارِ بغدادَ أصابَه مَرَضُ السُّلِّ وطالَ به، وتُوُفِّيَ بهَمَذانَ في ذي الحجَّةِ سنةَ أربَعٍ وخَمْسِينَ لسَبْعِ سِنِينَ ونِصْفٍ من مُلْكِه. وكان له ولَدٌ صغيرٌ، فيَئِسَ من طاعةِ النَّاسِ، ودفَعَه إلى آقْسُنْقُرَ الأحْمديلي، وأوْصاهُ عليه فرَحَلَ به إلى مَراغَةَ.

ولمَّا ماتَ السُّلْطانُ محمدٌ اِخْتلَفَ الأُمراءُ فيمَن يُوَلُّونَه، ومالَ الأكْثَرُ إلى سليمانَ شاه عَمِّه، وطائفةٌ إلى مَلِكْشاه أخِيه، وطائفةٌ إلى أرْسَلانَ بْنِ السُّلْطانِ طُغْرُلَ الذي مع إلْدِكِز ببلادِ أرّانَ. وبادَرَ مَلِكْشاه أخوه فسارَ من خُوزِسْتانَ ومعَهُ شَمْلَةُ التُّرْكُمانيُّ ودَكْلا صاحِبُ فارِسَ، ووصَلَ أصْبهانَ، فأطاعَه ابن الخُجَنْدِيِّ وأنْفَقَ عليه الأموالَ.

(أ) إضافة من ابن الأثير، مصدر النقل.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 252.
(2) المصدر نفسه 11: 230.

وبعَثَ إلى عساكِرِ هَمَذانَ في الطَّاعةِ فلم يُجيبُوه[(1)]، وأرسَلَ أكابِرَ الأمَرَاءِ من هَمَذانَ إلى قُطْبِ الدِّين مَوْدُودِ بْنِ زَنْكِي صاحِبِ الموصِلِ في سليمانَ شاه المحبوسِ عندَه ليُوَلُّوه عليهم، وذلك أوَّلَ سنةِ خَمْسٍ وخَمْسِينَ، فأطْلَقَه على أن يكونَ أتابِكًا له، وجمالُ الدِّين - وزيرُه - وزيرًا، وجَهَّزَه بجهازِ السَّلْطنةِ، وبعَثَ معَه نائِبَه زَيْنَ الدِّين عليَّ كُجَك في عَسْكرِ المَوْصِلِ. فلمَّا قارَبُوا بلادَ الجبلِ[(أ)] وأقبلتِ العساكِرُ من كلِّ جمة [....][(ب)] على السُّلطانِ سُلَيمانَ، فارْتابَ كُجَك لذلك، وعادَ إلى الموصِلِ فلَمْ ينْتَظِمْ أمْرُ سُليمانَ، ودخَلَ هَمَذانَ وبايَعُوا له وخُطِبَ له ببغْدادَ[(2)].

وكَثُرتْ جُموعُ مَلِكْشاه بأصْبهانَ، وبَعَثَ إلى بغْدادَ في الخُطْبةِ، وأن يَقْطَعَ خُطْبَةَ عمِّه سليمانَ وتَرْجِعَ القَواعدُ بالعراقِ إلى ما كانتْ، فوَضَعَ عليه الوزيرُ عَوْنُ الدِّينِ بْنُ هُبَيْرَةَ جاريةً بعَثَ بها إليه فسَمَّتْه[(ج)]، وماتَ سنةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ، فأخْرَجَ أهْلُ أصْبهانَ أصْحابَه، وخَطَبوا لسليمانَ شاه. وعادَ شَمْلَةُ إلى خُراسانَ فمَلَكَ كلَّ ما كانَ مَلِكْشاه تَغَلَّبَ عليهِ منها[(3)].

واسْتقَرَّ سليمانُ شاه بتِلْكَ البلادِ، وشُغِلَ باللَّهْوِ والسُّكْرِ ومُنادَمَةِ الصَّفَّاعِينَ،

(أ) في ظ: الجبل فافترقت وأقبلت العساكر. والكلمة المسطرة لا معنى لها. ونصّ الكامل 11: 254 يوضح الفراغ، وفيه: أقبلت العساكر إليهم أرسالًا كلّ يوم يلقاه طائفة وأمير، فاجتمع مع سليمان شاه عسكر عظيم فخافهم زين الدين على نفسه. (ب) بياض في جميع النُّسَخ. (ج) العبارة عند ابن الأثير: فوضع .... خَصِيًّا كان خصيصًا به، يقال له أغْلَبَك الكوهرايني، فمضى إلى بلاد العجم واشترى جاريةً من قاضي هَمَذان بألف دينار ... ووضعها على سَمّه.

(1) الكامل في التاريخ 11: 250-251.

(2) المصدر نفسه 11: 254-255.

(3) المصدر نفسه 11: 263.

وفوَّضَ الأمورَ إلى شَرَفِ الدِّينِ وكُرْدُبازه من مَشايخِ الخَدَمِ السَّلْجوقيَّةِ، كان له دِينٌ وعَقْلٌ وحُسْنُ / [411 ب] تَربيةٍ، فشَكا الأمراءُ إليه، فدَخَلَ عليه وعَذَلَه وهُوَ سَكْرانُ، فأمَرَ الصَّفَّاعِينَ بالرَّدِّ عليه، وخَرَجَ مُغْضَبًا. وصَحَا سليمانُ، فاسْتَدْرَكَ أمْرَه بالاعْتِذارِ فأظْهَرَ القَبُولَ، واجْتَنَبَ الحضورَ عندَه. وبعَثَ سليمانُ إلى إينَانْج صاحِبِ [الرَّيِّ](1) يَسْتَقْدِمُه فاعْتَذَرَ بالمَرَضِ إلى أنْ يُفيقَ.

ونَما الخَبَرُ إلى كُرْدُبازه الخادِمِ، فعَمِلَ دَعْوَةً عظيمةً حَضَرها السُّلْطانُ والأمراءُ، وقَبَضَ عليه وعلى وَزِيرِه أبي القاسِمِ محمودِ بْنِ عبْدِ العزيزِ الحامديِّ وعلى أصْحابِه في شَوَّالٍ من سنةِ خَمْسٍ وخَمْسِينَ، فقتَلَ وزيرَه وخَواصَّه وحَبَسَه أيامًا ثم خَنَقَه.

وخَرَجَ إينَانْج صاحِبُ الرَّيِّ ونَهَبَ البلادَ، وحاصَرَ هَمَذانَ، وبعَثَ كُرْدُبازه إلى إِلْدِكِز يسْتَدْعِيه لِيُبايِعَ لرَبِيبِه أرْسَلانَ شاه بْنِ طُغْرُل، فسَارَ في عِشْرينَ ألْفَ فارِسٍ، ودَخَلَ هَمَذانَ، وخَطَبَ لرَبِيبِه أرْسَلانَ شَاه بْنِ طُغْرُل بالسَّلْطَنةِ، وجعَلَ إِلْدِكِز أتابِكًا له، وأخاه من أمِّه البَهْلَوانَ بنَ إِلْدِكِز حاجِبًا. وبعَثَ إلى ابنِ المُقْتَفِي في الخُطْبةِ، وأنْ تُعادَ الأمورُ إلى ما كانتْ عليه أيامَ السُّلْطانِ مسْعودٍ، فطَرَدَ رَسُولَه وعاد إليه على أقْبَحِ حالةٍ. وبعَثَ إلى إينَانْج صاحِبِ الرَّيِّ فحالَفَه على الاتِّفاقِ، وصاهَرَه في ابْنَتِه على البَهْلَوانِ وجاءتْ إليه بهَمَذانَ، وكان إِلْدِكِز من مَمالِيكِ السُّلْطانِ مسْعودٍ، وأقْطَعَه أرَّانَ وبَعْضَ أذْرَبِيجان، ولم يَحْضُرْ شَيئًا من الفِتْنَةِ،

(1) من ح، وفي ظ: الرخ، مهملة.

وتَزَوَّجَ أمَّ أرسَلانَ شاه وزَوجَةَ طُغرُلَ، فولَدَت له محمدًا البَهلَوان وعثمان كُزَل أرسلانَ. ثم بعَثَ إلْدِكِز إلى آقسُنقُرَ الأحمديليّ صاحِبِ مَراغةَ في الطّاعةِ لأرسلان شاه رَبيبِهِ، فامتَنَعَ وهَدَّدهم بالبَيْعَةِ للطِّفلِ الذي عندَه لمحمدِ شاه بنِ محمودٍ، وقد كان الوزيرُ ابنُ هُبَيْرَةَ أطمَعَهُ في الخُطْبةِ لذلك الطفلِ تَضريبًا بينَهم. فجَهَّزَ إلْدِكِز العساكِرَ معَ ابنِه البَهلَوانِ وسار إلى مَراغَةَ، واستَمَدَّ آقسُنقُرُ شاه رَمْز صاحِبَ خِلاط فأمَدَّه بالعساكِرِ، والتَقى آقسُنقُرُ والبَهلَوانُ، فانهزَم البَهلَوانُ وعاد إلى مَراغةَ، وعاد آقسُنقُرُ إلى هَمَذانَ ظافرًا[1].

[412 أ] وكان مَلِكْشاه/ بنُ محمودٍ لمَّا ماتَ بأصْبَهانَ مَسمُومًا، كما ذكَرنا، لَحِقَ طائفةٌ من أصْحابِه ببلادِ فارِسَ، ومعَهم ابنُه محمودٌ، فقَبَضَ عليه صاحِبُ الرَّيِّ زَنكِي بنُ دَكْلا السَّلْغُريّ بقَلْعَةِ إصْطَخْرَ.

ولما بعَثَ إلْدِكِز إلى بَغدادَ في الخُطْبةِ لرَبيبِه أرسَلانَ، وشَرَع الوزيرُ عَونُ الدِّينِ أبو المظَفَّرِ يَحيَى بنُ هُبَيْرَةَ في التَّضريبِ بينَهم ــ بعَثَ إلى ابنِ دَكْلا وأطمَعَهُ في الخُطْبةِ لمحمودِ ابنِ مَلِكْشاه الذي عندَه إنْ ظَفِر بإلْدِكِز، فأطْلَقَه ابنُ دَكْلا وبايَعَ له، وضَرَب الطَّبْلَ على بابِه خَمسَ نُوَبٍ، وبعَثَ إلى إينَانج صاحِبِ الرَّيِّ فوافَقَه، وسار إليه في عَشَرةِ آلافٍ. وبعَثَ إليه آقسُنقُرُ الأحمديليُّ بخَمْسَةِ آلافٍ، ولَحِقَ ابنُ البازْدَار صاحِبُ قَزْوِينَ وابنُ طُغرُلَ وغيرُهما بإينَانج، فسار في جُموعٍ كثيرةٍ، وجَمَعَ إلْدِكِز العساكِرَ. وسار إلى أصْبهانَ في أربَعِينَ ألفًا يُرِيدُ بلادَ فارِسَ، وبَعَثَ إلى صاحِبِها زَنكِي بنِ دَكْلا في الطّاعةِ لرَبيبِه أرسَلانَ، فأبَى وقال: إنَّ المُقتَفِي أقْطَعَني

(1) الكامل في التاريخ 11: 266-269.

بلادَه وأنا سائرٌ إليه. واستَمدَّ المقتَفي وابنَ هُبَيْرَةَ، فوَعَدُوه، وكاتَبُوا الأمراءَ الذين مع إلْدِكِز بالتَّوبيخِ على طاعَتِه والانحِرافِ عنه إلى زَنْكي بْنِ دَكْلا صاحِبِ فارِسَ، وإينانج صاحِبِ الرَّيِّ. وبدأ إلْدِكِز بقَصْدِ إينانج، ثم بلَغَه أنَّ زَنْكي بنَ دَكْلا نَهَب سميرمَ ونواحِيَها، فبعَثَ عَسْكرًا؛ نحوًا من عَشَرَةِ آلافِ فارِسٍ لحِفْظِها، فلَقِيَهم زَنْكي وهزَمَهم، فبعَثَ إلْدِكِزُ عن عساكِرِ أَذْرَبيجان، فجاء بها ابنُه كُزل أرسَلان. وبعَثَ زَنْكي ابنُ دكْلا العساكِرَ إلى إينانْج ولم يَحْضُرْ بنفسِه خوْفًا على بلادِه مِن شَمْلَةَ صاحِبِ خوزِسْتان. ثم الْتَقى إلْدِكِزُ وإينانْجُ في شَعْبانَ سنةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ، فانْهَزَمَ إينانْج واسْتُبِيحَ عَسْكَرُه وتَحصَّن بالرَّيِّ، وحاصَرَه إلْدِكِزُ ثم صالَحَه ورَجَعَ إلى همَذانَ[1].

(1) الكامل في التاريخ 11: 269-271.

وَفَاةُ المُقْتَفِي وخلافَةُ المسْتَنْجِد، وهو أوَّلُ الخُلفاء المسْتبدِّينَ على أمْرِهِم مِن بَنِي العَبَّاس عندَ تَراجُعِ الدَّوْلة وضيق نطاقِها ما بينَ الموصِلِ وواسِطَ والبَصْرَةِ وحُلْوانَ

ثم تُوفِّي المُقْتَفي لأمْرِ اللهِ: أبو عَبْدِ اللهِ محمدُ بْنُ المُسْتَظْهِرِ في ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ [412 ب] /خَمْسٍ وخَمْسِينَ، لأرْبَعٍ وعِشْرِينَ سنةً وأرْبَعَةِ أشْهُرٍ من خِلافَتِه، وهو أوَّلُ مَن اسْتَبَدَّ بالعراقِ *مُنْفَرِدًا عن سُلْطانٍ يكونُ معَه مِن أوَّلِ أيَّامِ الدَّيْلَمِ، فحَكَمَ على عَسْكَرِه وأصْحابِه*(أ) فيما بَقِيَ لملكتِهِم من البُلْدانِ بعدَ اسْتِبْدادِ المُلُوكِ في الأعْمالِ والنَّواحِي(1).

ولمَّا اشْتَدَّ مَرَضُه تَطاوَلَ كلٌّ مِن أمِّ وُلْدِه إلى ولايةِ ابْنِها. وكانتْ أمُّ المُسْتَنْجِدِ [تخافُ عليه، وأمُّ أخيه عليٍّ تَرُومُ وِلايةَ ابْنِها، واعْتَزَمَتْ على قَتْلِ المُسْتَنْجِدِ](ب)، واسْتَدْعَتْه لزِيارَةِ أبيه، وقد جَمَعَتْ جَوارِيَها وآتَتْ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سِكِّينًا لقَتْلِه، وأمْسَكَتْ هي وابْنُها سَيْفَيْنِ. وبَلَغَ الخَبَرُ إلى يُوسُفَ المُسْتَنْجِدِ، فأحْضَرَ أسْتادار(ج)

(أ) سقط ما بين النجمين من ح. (ب) هذه العبارة ساقطة من ظ، انتقال نظر. (ج) النسخ: أستاذدار.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 256 والعبارة فيه: وهو أوَّل خليفة تمكَّن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكَّم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر إلى الآن، إلَّا أنْ يكون المُعْتَضِد، وكذلك نهاية الأرب 23: 293-294.

أبيه وجماعةً من الفرّاشين، وأفرغ عليه سلاحَه ودَخلَ معَهم الدّارَ، وثار به الجواري فضَرَب إحداهُن وأمكنَها[أ] فهرَبُوا، وقبَضَ على أخيه ابنِ عليٍّ وأمِّه فحَبَسَهُما وقسَّم الجواريَ بينَ القتلِ والتَّغريق، حتَّى إذا تُوفِّي المقتَفي جلَسَ للبيْعَةِ، فبايَعَه أقارِبُه وأوَّلُهم عمُّه أبو طالِبٍ، ثمَّ الوَزيرُ عوْنُ الدِّينِ بنُ هُبَيْرَةَ وقاضِي القُضاةِ وأرْبابُ الدَّوْلةِ والعُلَماءُ، وخُطِب له. وأقرَّ ابنَ هُبَيْرَةَ على الوِزارةِ، وأصْحابَ الوِلاياتِ على وِلاياتِهم، وأزالَ المُكُوسَ والضَّرائبَ، وقدَّم عَضُدَ الدِّينِ بنَ رئيسِ الرُّؤساءِ، وكان أستادار فرَفَع مَنْزِلَتَه، وأمَرَ الوزيرَ بأنْ يَقُومَ له، وعَزَل قاضِيَ القُضاةِ أبا الحسنِ عليَّ بنَ أحمدَ الدّامَغانيَّ ووَلَّى مكانَه أبا جَعْفرٍ عبدَ الواحِدِ الثَّقفيَّ[1].

وبعَثَ عنِ الأميرِ تُرْشَكَ سنةَ ستٍّ وخَمْسينَ من بَلَدِ اللِّحْفِ، وكان مُقْطَعًا بها، فاسْتَدْعاهُ لقتالِ جمعٍ من التُّرْكُمانِ أفْسَدُوا في نواحِي البَنْدَنيجَيْن، فامْتَنَع من المجيءِ وقال: يأتيني العَسْكَرُ وأنا أقاتِلُ[ب] بهم، فبعَثَ إليه المسْتَنْجِدُ العساكِرَ مَعَ جماعةٍ من الأمراءِ فقتَلُوه وبَعَثُوا برأسِه إلى بَغْدادَ[2]. ثم اسْتَوْلَى بعدَ ذلك على قَلْعةِ الماهِكيِّ من يَدِ مَوْلَى سُنْقُر الهَمَذانيِّ، وَلّاه عليها سُنْقُرُ وضَعُف عن مُقاوَمَةِ التُّرْكُمانِ والأكْــرادِ حَوْلَها، فاسْتَنْزَلَه المسْتَنْجِدُ عنها بخَمْسَةَ عَشَرَ ألْف دينارٍ، وأقام ببغْدادَ. وكانت هذه القَلْعَةُ أيامَ المقْتَدِرِ بأيْدي التُّرْكُمانِ والأكْرادِ[3].

(أ) قد تقرأ في ظ: واسكنها. (ب) ظ: اقابل.

(1) الكامل في التاريخ 11: 257-258، نهاية الأرب 23: 294-295.
(2) المصدر نفسه 11: 265-266.
(3) المصدر نفسه 11: 286.

فِتْنَةُ خَفاجَةَ

[413 أ] / اجْتَمَعَتْ خَفاجةُ سنةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ إلى الحِلَّةِ والكُوفةِ، وطالَبُوا بِرُسُومِهِم من الطَّعامِ والتَّمرِ[أ]، وكان مُقطَعُ الكُوفةِ أُرْغُش، وشِحْنَةُ الحِلَّةِ قَيْصَرُ، وهما من مَمالِيكِ المُسْتَنْجِدِ فمَنَعُوهما فعاثُوا في تِلْكَ النَّواحِي، فخَرَجُوا إليهم في العسْكَرِ، واتَّبَعُوهم إلى الرَّحْبَةِ فطَلَبُوا الصُّلْحَ فلم يُجِبْهم أُرْغُش ولا قَيْصَرُ فقاتَلُوهم، فانْهَزَمَتِ العساكِرُ، وقُتِلَ قَيْصَرُ، وخَرَجَ أُرْغُش ودخَلَ الرَّحْبَةَ، فاسْتَأْمَنَ له شِحْنَتُها وبَعَثَه إلى بَغْدادَ. ومات أَكْثَرُ النَّاسِ عَطَشًا في البَرِّيَّةِ وتجَهَّزَ عَوْنُ الدِّينِ بْنُ هُبَيْرَةَ في العساكِرِ لطَلَبِ خَفاجَةَ، فدخَلُوا البَرِّيَّةَ ورَجَعَ عنهم، وانْتَهَتْ خَفاجةُ إلى البَصْرَةِ وبَعَثُوا بالعَذْرِ وسأَلُوا الصُّلْحَ فأُجِيبُوا[1].

إِجْلاءُ بَنِي أَسَدٍ من العِراقِ

كان في نَفْسِ المسْتَنْجِدِ باللهِ من بني أَسَدٍ أَهْلِ الحِلَّةِ [المَزْيدِيَّة][ب] لفسادِهِم ومساعَدَتِهم السُّلْطانَ محمَّدًا في حصارِ بغدادَ، فأَمَرَ يَزْدَنَ بنَ قُماج بإجْلائِهم من البلادِ، وكانوا مُنْبَسِطِينَ في البَطائِحِ، فجَمَعَ العساكِرَ وأَرْسَلَ إلى ابْنِ مَعْروفٍ مُقَدَّم

(أ) ظ: الثمر. (ب) إضافة من الكامل.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 276-277 (مختصرًا).

السُّفُنِ وهو بأرْضِ البَصْرةِ، فجاءه في جُموعٍ، وحاصَرَهم وطاوَلَهم، فبعَثَ المسْتَنْجِدُ يُعاتِبُه ويتَّهِمُه بالتَّشَيُّعِ، فَجَدَّ هو وابْنُ مَعْروفٍ في قِتالِهم، وسَدَّ مَسالِكَهم في الماءِ فاسْتَسْلَموا، وقُتِل منهم أرْبَعَةُ آلافٍ، ونُودِيَ عليهم بالجلاءِ من الحِلَّةِ [المَزْيدية][أ] فتفَرَّقوا في البِلادِ، ولم يَبْقَ بالعِراقِ منهم أحدٌ، وسُلِّمَتْ بطائِحُهم وبِلادُهم إلى ابْنِ مَعْروف[1].

الفِتْنةُ بواسِطَ وما جَرَّتْ إليه

كان مُقْطَعَ البَصْرةِ مَنْكُبَرْسُ من مَوالي المُسْتَنْجِدِ، وقَتَله سنةَ تِسْعٍ وخَمْسِينَ، ووَلَّى مَكانَه كُمُشْتَكِينَ، وكان ابْنُ سَنْكاه ابنُ أخي شَمْلَةَ صاحِبِ خُوزِسْتانَ، فانْتَهَزَ الفُرْصَةَ في البَصْرةِ، ونَهَبَ قُراها، وأمَرَ كُمُشْتَكِينَ بقِتالِه، فعجَزَ عن إقامةِ العَسْكرِ، وأصْعَدَ ابنُ سَنْكاه إلى واسِطَ ونَهَبَ سَوادَها. وكان مُقْطَعُها خُطْلوبَرْسَ، فَجَمَعَ الجُموعَ وخَرَجَ لِقِتالِه واسْتمالَ ابنُ سنكاه الأمراءَ الذين معَه فخَذَلُوه[2]، فانْهَزَم وقَتَلَه ابنُ سَنْكاه/ سنةَ إحْدَى وسِتِّينَ، ثم قَصَدَ البَصْرةَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّين، ونَهَبَ جِهَتَها الشَّرْقِيَّةَ، وخرَجَ إليه كُمُشْتَكِينُ ووَاقَعَه، وسار ابنُ سَنْكاه إلى واسِطَ، وخافَه النَّاسُ [413 ب] ولم يَصِلْ إليها[3].

(أ) إضافة من ابن الأثير.

(1) الكامل في التاريخ 11: 296؛ نهاية الأرب 23: 297.

(2) المصدر نفسه 11: 322-323.

(3) المصدر نفسه 11: 328.

مَسيرُ شَمْلَةَ إلى العراقِ

سار شَمْلَةُ صاحِبُ خُوزِسْتانَ إلى العراقِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّين، وانْتَهى إلى قَلْعَةِ الماهكيِّ، وطَلَبَ من المسْتَنْجِدِ إقْطاعَ البلادِ، واشْتَطَّ في الطَّلَبِ، فبعَثَ المسْتَنْجِدُ العساكِرَ لمنْعِه، وكتَبَ إليه يُحذِّرُه عاقِبَةَ الخِلافِ، فاعْتَذَرَ بأنَّ إلْدِكْزَ وربيبَه السُّلْطانَ أرْسَلانَ شاه أقْطَعَا المَلِكَ الذي عِنْدَه، وهُوَ ابنُ مَلِكْشاه، بلادَ البَصْرَةِ وواسِطَ والحِلَّةَ، وعرَضَ التَّوْقيعَ بذلك، وقال: أنا أقْنَعُ بالثُّلْثِ منه، فأمَرَ المسْتَنْجِدُ حينئذٍ بلَعْنِه، وأنَّه من الخوارجِ، وبعَثَ العَساكِرَ إلى أُرْغُشَ المسْتَرْشِديِّ بالنُّعمانيَّةِ وإلى شَرَفِ الدِّينِ أبي جَعْفَرٍ البَلَدِيِّ ناظِرِ واسِطَ ليجْتَمِعا على قتالِ شَمْلَةَ، وكان شَمْلَةُ أرْسَلَ قِليجَ ابنَ أخيه في عَسْكَرٍ لقتالِ بَعْضِ الأكْرادِ، فركِبَ إليه أُرْغُشُ؛ وأسَرَه وبَعْضَ أصْحابِه وبعَثَ بهم إلى بَغْدادَ، وطَلَبَ شَمْلَةُ الصُّلْحَ فلم يُجِبْ إليه. ثم مات أُرْغُشُ [المُسْتَرْشِديُّ][أ] من سَقْطَةٍ سَقَطَها عن فَرَسِه، وبَقِيَ العَسْكَرُ مُقيمًا، ورحَلَ شَمْلَةُ راجعًا إلى بلادِه لأرْبَعَةِ أشْهُرٍ من سَفَرِه[1].

وَفاةُ الوزيرِ

ثم تُوفِّيَ الوزيرُ عَوْنُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ المظفَّرِ بنِ هُبَيْرَةَ

(أ) زيادة من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 328-329.

سنةَ ستّينَ وخَمسِ مائةٍ في جُمادَى الأولَى، وقَبَضَ المسْتَنْجِدُ على أولادِه وأهْلِه، وأقامتِ الوِزارةُ بالنِّيابةِ[1].

ثم اسْتَوْزَرَ المسْتَنْجِدُ سنةَ ثلاثٍ وسِتّينَ شَرَفَ الدِّينِ أبا جَعْفَرٍ أحمَدَ بْنَ محمد بْنِ سعيدٍ، المعروفَ بابْنِ البَلَدِيِّ ناظِرَ واسِطَ، وكان عَضُدُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ ابْنُ رئيسِ الرُّؤساءِ قد تَحَكَّمَ في الدَّوْلَةِ، فأمَرَه المسْتَنْجِدُ بكَفِّ يدِه وأيْدِي أصْحابِه، فطالَبَ الوَزيرُ أخاه تاجَ الدِّينِ بحُسْبانِ عَمَلِه بنَهْرِ المَلِكِ من أيامِ المُقْتَفِي، وكذلك فَعَلَ بغَيْرِه، فخافه العُمَّالُ وأهْلُ الدَّوْلَةِ وحَصَّلَ بذلك أمْوالًا جَمَّةً[2].

/وَفاةُ المُسْتَنْجِدِ وخِلافَةُ المُسْتَضِيءِ [414 أ]

كان الخليفةُ المُسْتَنْجِدُ قد غَلَبَ على دَوْلَتِه أسْتادارُ عَضُدِ الدين: أبو الفَرَجِ ابْنُ رئيسِ الرُّؤساءِ، وكان أكْبَرَ الأمراءِ ببغْدادَ، وكان يُرادِفُه قُطْبُ الدِّينِ قايْمازُ المُقْتَفَوِيُّ. ولَمَّا ولَّى المسْتَنْجِدُ أبا جَعْفَرٍ بْنَ البَلَدِيِّ على وِزارَتِه، غَضَّ من أسْتادارِ وعارَضَه في أحْكامِه، فاسْتَحْكَمت بينَهما العَداوَةُ، وتَنَكَّرَ المُسْتَنْجِدُ لأسْتادارِ وصاحِبِه قُطْبِ الدِّينِ، فكانا يتَّهِمانِ أنَّ ذلك بسِعايةِ الوَزيرِ.

ومَرِضَ المسْتَنْجِدُ سنةَ سِتٍّ وسِتّينَ وخَمسِ مائةٍ واشْتَدَّ مَرَضُه، فتَحَيَّلا في إهْلاكِه، يُقال: إنَّهما وَضَعا عليه الطَّبيبَ، وعَلِمَ أنَّ هَلاكَه في الحَمَّامِ، فأشار عليه

(1) الكامل في التاريخ 11: 320؛ نهاية الأرب 23: 298.
(2) المصدر نفسه 11: 332-333؛ المصدر نفسه 23: 298.

بدُخولِه فدَخَلَه، وأغلَقوا عليه بابَه فماتَ. وقِيل: كَتَب المسْتَنْجِدُ إلى الوزيرِ ابْنِ البَلَدِيِّ بالقَبْضِ على أسْتادّار وقايْماز وقَتْلِها فأطْلَعَها الوزيرُ على كِتابِه، فاسْتَدْعَيا يَزْدَنَ وأخاه أيتامُشَ(أ) وفاوَضاهُما، وعَرَضا عليهما كتابَه، واتّفقوا(ب) على قَتْلِه فحَمَلُوه إلى الحَمّامِ وأغلَقُوا عليه البابَ وهو يَصِيحُ إلى أنْ ماتَ تاسِعَ رَبِيعٍ من سَنةِ سِتٍّ وسِتِّينَ لإحْدَى عَشْرَةَ سنةً من خِلافَتِه.

ولما أُرْجِفَ بمَوْتِه قَبْلَ أن يُقْبَضَ رَكِبَ الوزيرُ في الأمراءِ والأجْنادِ مُتَسَلِّحِين، وغَشِيَتْهم العامَّةُ واحْتَفَتْ بهم، وبعَثَ إليه أسْتادّار بأنَّه إنّما كان غَشْيًا عَرَضَ وقد أفاقَ أميرُ المؤمنينَ وخَفَّ ما به، فخَشِيَ الوزيرُ من دُخُولِ الجُنْدِ إلى دارِ الخلافةِ، فعاد إلى دارِه وافْتَرَقَ النّاسُ. فعِنْدَ ذلك أغْلَقَ أسْتادّار وقايْمازُ أبْوابَ الدارِ، وأحْضَرَا ابْنَ المُسْتَنْجِد أبا محمدٍ الحَسَنَ وبايَعَاه بالخلافةِ، ولَقَّباه المسْتَضِيءَ بأمْرِ اللهِ، وشَرَطا عليه أنْ يكونَ عَضُدُ الدِّينِ وزيرًا و[ابنُه](ج) كمالُ الدِّين أستادّار وقُطْبُ الدِّينِ قايْمازُ أميرَ العَسْكَرِ، وأجابَهم إلى ذلك، وبايَعَه أهْلُ بَيْتِه البَيْعَةَ الخاصَّةَ(1).

ثم تُوفِّي المُسْتَنْجِدُ وبايَعَه النّاسُ من الغَدِ في التّاجِي البَيْعَةَ العامَّةَ، وأظْهَرَ العَدْلَ وبَذَلَ الأمْوالَ. وسُقِطَ في يَدِ الوَزِيرِ ونَدِمَ على/ ما فَرَّط، واسْتُدْعِيَ للبَيْعَةِ، [114ب] فلمّا دَخَل قَتَلُوه. وقَبَضَ المسْتَضِيءُ على القاضِي ابْنِ مُرَخِّم وكان ظَلُومًا جائرًا،

(أ) عند ابن الأثير: تنامش. (ب) في ح: واتّفقا. (ج) من ح والكامل، وفي ظ: أخيه.

(1) الكامل في التاريخ 11: 360-361 (مختصرًا).

واستصْفاه وردَّ الظُّلاماتِ منه على أربابِها، *وولّى أبا بكرِ بْنَ نصْرِ بْنِ العَطَّارِ صاحِبَ المخزنِ ولقّبه ظَهيرَ الدِّينِ*(أ)[1].

انْقِراضُ الدَّوْلَةِ العَلَوِيَّةِ بِمِصْرَ، وعَوْدَةُ الدَّعْوةِ العَبَّاسِيَّةِ إليها

ولأوّلِ خِلافةِ المُسْتَضِيءِ كان انقِراضُ الدَّوْلَةِ العَلَويَّةِ بمِصْرَ، والخُطْبَةُ بها للمُسْتَضِيءِ من بني العَبَّاسِ في شَهْرِ المحرَّمِ فاتِحَ سنةِ سَبْعٍ وسِتّينَ وخَمْسِ مائةٍ قَبْلَ عاشُوراءَ، وكان آخِرُ الخُلَفاءِ العُبَيْدِيِّينَ بها العاضِدَ لدِينِ اللهِ مِن أعْقابِ الحافِظِ لدِينِ اللهِ عَبْدِ المجيدِ، حافِدِ المُسْتَنْصِرِ مَعَدٍّ ثامِنِ خُلَفائِهم، وكان مُغَلَّبًا لوُزرائِه، واسْتَوْلَى عليه شاوَر منهم وثَقُلَتْ وَطْأَتُه عليه، فاسْتَقْدَمَ الضِّرْغامَ بْنَ سَوارٍ من أهْلِ الدَّوْلَةِ من الإسْكَنْدَرِيَّةِ، وفَرَّ شاوَر إلى الشَّامِ مُسْتَنْجِدًا بالمَلِكِ العادِلِ نُورِ الدِّينِ محمودِ بْنِ زَنْكِي بْنِ آقْسُنْقُر، وكان مِن مَمالِيكِ السَّلْجُوقيَّةِ وأمرائِهم بالشَّامِ المُقِيمِين للدَّعْوَةِ العَبَّاسِيَّةِ.

وكان صَلاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ نَجْمِ الدِّين أيُّوبَ [بْنِ شاذِي] الكُرْدِيُّ هو وأبُوه نَجْمُ الدِّين أيُّوبُ، وعَمُّه أسَدُ الدِّين شِيرْكُوه في جَماعةٍ من الأكْرادِ، في خِدْمَةِ نُورِ الدِّين مَحْمودٍ بالشَّامِ، فلمّا جاءه شَاور مُسْتَنْجِدًا، بَعَثَ معَه هؤلاءِ الأمراءَ

(أ) سقط ما بين النجمين من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 362.

الأيُّوبيَّة وكَبِيرُهم أسَدُ الدِّينِ، فأعادَه إلى وِزارَتِه، وقَتَلَ الضِّرْغامَ، ولم يُوفِّ له شاور بما ضَمِن له عندَ مَسِيرِه من الشّامِ في نَجْدَتِه.

وكانَ الفِرنْجُ قد مَلَكُوا سَواحِلَ مِصْرَ والشّامِ وزاحَمُوا ما يَلِيهم من الأعْمالِ، وضَيَّقوا على مِصْرَ والقاهِرةِ إلى أنْ مَلَكوا بِلْبِيسَ وأيْلَةَ عندَ العَقَبةِ. واشْتَطُّوا على الدَّوْلَةِ العَلَوِيَّةِ في الضَّرائِبِ والطَّلَباتِ، وأصْبَحُوا زبونًا لمن يتجنَّى على الدَّوْلةِ. وداخَلَهم شاوَرُ في مِثْلِ ذلك، فارْتابَ به العاضِدُ، وبعَثَ عن أسَدِ الدِّينِ مُسْتَصْرِخًا به على الفِرنْجِ في ظاهِرِ أمْرِه، و"يُسِرُّ حَسْوًا في ارْتِغاءٍ"[1] مِن إبادةِ/ شاوَر [415 أ] [والتمكُّنِ منه، فوَصَلَ لذلك ووَلَّاه العاضِدُ وِزارَتَه وقلَّده ما وراءَ بابِه، فقَتَل الوزيرَ شاوَرَ][أ] وحَسَم داءَه، وكانَ مَهْلِكُهُ قريبًا من وِزارَتِه؛ يُقال: لسنةٍ، ويُقال: لخمسين يومًا. فاسْتَوْزَرَ العاضِدُ مكانَه صَلاحَ الدِّينِ ابنَ أخِيه نَجْمِ الدِّينِ، فقام بالأمْرِ، وأخَذَ في إصْلاحِ الأحْوالِ وهو يُعِدُّ نَفْسَه وعمَّه من قَبْله نائبًا عن نورِ الدِّينِ محمودِ بنِ زَنْكي صاحِبِ الشّامِ الذي بعَثَه وعمَّه للقيامِ بذلك.

ولمَّا ثبَتَ قدَمَه بمِصْرَ وأزالَ المُخالِفِينَ ضَعُفَ أمْرُ العاضِدِ، وتَحَكَّمَ صَلاحُ الدِّينِ في أُمورِه، وأقامَ خادِمَه قَراقُوشَ للوِلايةِ عليه في قَصْرِه والتَّحَكُّمِ فيه، فبعَثَ إليه نورُ الدِّينِ محمودٌ المَلِكُ العادِلُ بالشّامِ أنْ يَقْطَعَ الخُطْبَةَ للعاضِدِ، ويَخْطُبَ للمُسْتَضِيءِ، ففَعَلَ ذلك على توقُّعِ النَّكِيرِ من أهْلِ مصرَ. فلمّا وَقَع ذلك ظَهَر

(أ) زيادة من ح.

---

(1) مَثَلٌ يُضرب لمن يُظهر أمْرًا ويُريدُ غيره.

الاغتياطُ منهم وانمَحَتْ آثارُ الدَّوْلَةِ العلويَّة، وتمكَّنَتِ الدَّعْوةُ العباسِيَّةُ، وكان ذلك مُبْتَدأ الدَّوْلَةِ لبني أيُّوبَ بمِصْرَ.

ثم مَلَكوا من بعدِها أعْمالَ نورِ الدِّينِ بالشَّامِ، واسْتَضافُوا اليَمَنَ وطَرابُلُسَ المغرِبَ، واتَّسَعَ مُلْكُهم كما يُذكَرُ في أخبارِهم.

ولمَّا خطَبَ للمستَضِيءِ بمِصْرَ كتَبَ له نورُ الدِّينِ محمودٌ من دِمَشْقَ مُبَشِّرًا بذلك، فضُرِبَتِ البَشَائِرُ ببغْدادَ، وبعَثَ بالخِلَعِ إلى نُورِ الدِّينِ وصلاحِ الدِّينِ مَعَ عِمَادِ الدِّين صَنْدَلٍ من خواصِّ الخِدَمِ المُقْتَفَوِيَّةِ، وهو أسْتَاذ دار المُسْتَضِيءِ، فجاء إلى نُورِ الدِّينِ بدِمَشْقَ، وبَعَثَ الخِلَعَ لصلاحِ الدِّينِ والخُطَباءِ بمِصْرَ وبالأعْلامِ السُّودِ. واسْتقرَّتِ الدَّعْوَةُ العَبَّاسِيَّةُ بمِصْرَ إلى هذا العَهْدِ، واللهُ وارِثُ الأرْضِ ومَن عليها[1].

ثم بعَثَ نورُ الدِّينِ محمودٌ إلى المستَضِيءِ رَسُولَه القاضِيَ كمالَ الدِّين أبا الفَضْلِ محمدَ ابنَ عبدِ اللهِ الشَّهْرَزُورِيَّ قاضِيَ بلادِه يَطْلُبُ التَّقْليدَ لما بيَدِه من الأعْمالِ، وهي: مِصْرُ والشَّامُ والجزيرَةُ والمَوْصِلُ، وبما هو في طاعَتِه كديارِ بَكْرٍ وخِلاطَ وبلادِ الرُّومِ التي لقِلِيج أرْسَلانَ، وأن يُقطَعَ صريفينَ ودَرْبَ هارُونَ من سَوادِ العراقِ، كما كانتا لأبِيه، فأكْرَمَ الرَّسُولَ، وزادَ في الإحْسانِ إليه وكتَبَ له التَّقْليدَ بذلك كُلِّه[2].

(1) يراجع تفصيل هذه الأحداث، إضافةً إلى الكامل لابن الأثير، في كتاب الروضتين لأبي شامة وكتابي اتّعاظ الحنفا والسّلوك للمقريزي.
وقد أجملَ ابن خلدون ذكر هذه الأحداث التي فصّلها في مواضع أخرى من الجزء السابع من كتابه.

(2) الكامل في التاريخ 11: 395.

خَبَرُ يَزْدَنَ من أُمراءِ المسْتَضِيءِ

[415 ب] /كان يَزْدَن قد ولَّاه المُسْتَضِيءُ الحِلَّةَ، فكانَتْ في أعْمالِه، وكانَتْ حِمايَتُها لخفاجَةَ ولبَنِي حَزن منهم، فجَعَلَها يَزْدَن لبني كَعْبٍ منهم وأميرُهمُ الغَضْبانُ، *فغَضِب بنو حَزن، وأغاروا عليهم وعلى السَّوادِ، وخَرَجَ يَزْدَنُ في العَسْكَرِ لِقِتالِهم ومعه الغَضْبانُ*(أ) وعَشِيرةُ بني كَعْبٍ، فبينَما هُمْ ليلةً يَسِيرونَ رُمِيَ الغَضْبانُ بسَهْمٍ فماتَ، فعادتِ العساكِرُ إلى بغْدادَ، وأُعِيدَتْ خَفَارَةُ السَّوادِ إلى بني حزن[1]. ثم مات يَزْدَن سنةَ ثمانٍ وسِتِّينَ، وكانت واسِطُ من إقْطاعِه فأُقْطِعَتْ لأخِيه يتامش ولُقِّبَ علاءَ الدِّينِ[2].

مَقْتَلُ سَنْكاه ابنِ أخي شَمْلَة

قد ذَكَرْنا في دَوْلَةِ المسْتَنْجِدِ فِتْنَةَ سَنْكاه هذا، وعَمِّه شَمْلَةَ صاحِبِ خُوزِسْتانَ. ثم جاء ابنُ سَنْكاه إلى قَلْعَةِ الماهكيِّ فبَنَى بإزائِها قَلْعَةً ليتمكَّنَ بها من تِلْكَ الأعْمالِ، فبَعَثَ المسْتَضِيءُ العَسْكَرَ من بغْدادَ لمنْعِه فقاتَلَهم واشْتَدَّ قِتالُه. ثم انهَزَمَ وقُتِل، وعُلِّق رَأْسُه ببغْدادَ وهُدِمَتِ القَلْعَةُ[3].

(أ) سقط ما بين النجمين من ح.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 394.

(2) المصدر نفسه 11: 395.

(3) المصدر نفسه 11: 409.

فِتْنَةُ قايماز وهَرَبُه

قد ذكَرْنا شأنَ قُطْبِ الدِّينِ قايْماز، وأنَّه الذي بايَعَ للمُسْتَضِيءِ وجَعَلَه أميرَ العساكِرِ، وجَعَلَ عَضُدَ الدِّين أبا الفَرَجِ ابنَ رئيسِ الرُّؤساءِ وزيرًا. ثم اسْتَفْحَل أمْرُ قايْماز وغلَب على الدَّوْلَةِ، وحَمَلَ المستضيءَ على عَزْلِ عَضُدِ الدِّين أبي الفَرَجِ من الوِزارةِ، فلم يُمْكِنه مُخالَفَتُه، وعزَلَه سنةَ سَبْعٍ وسِتِّين، فأقام مَعْزولًا. وأراد الخليفةُ سنةَ تِسْعٍ وسِتِّينَ أنْ يُعِيدَه إلى الوَزارةِ، فمنَعَه قُطْبُ الدِّين من ذلك، ورَكِب فأغْلَقَ المسْتَضِيءُ أبْوابَ دارِه مما يَلِي بغْدادَ، وبعَثَ إلى قايْماز ولَاطَفَه بالرُّجوعِ عما هَمَّ به من وَزارةِ عَضُدِ الدِّينِ فقال لابُدَّ من إخْراجِه من بغْدادَ، فاسْتَجارَ برِباطِ شَيْخِ الشُّيوخِ صَدْرِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ إسْماعِيلَ، فأجارَه، واسْتطالَ قايْماز على الدَّوْلَةِ وأصْهَرَ إلى علاءِ الدِّينِ تَنامِش في أُخْتِه فزَوَّجَها منه وحَمَلُوا الدَّوْلَةَ جميعًا[1].

ثم سَخِطَ قايْماز ظَهِيرَ الدِّينِ بْنَ العَطَّارِ صاحِبَ المَخْزَنِ، وكان خاصًّا بالخليفةِ، وطَلَبَه فهرَب فأحْرَق دارَه وجَمَع الأمراءَ فاسْتَحْلَفَهم على المظاهَرَةِ، وأنْ /يَقْصِدُوا دارَ المسْتَضِيءِ ليُخْرِجُوا منها ابْنَ العَطَّارِ، فصَعِد المسْتَضِيءُ على سَطْحِ [416أ] دارِه وخُدَّامُه يَسْتَغِيثُونَ، ونادَى في العامَّة بطَلَبِه قايْماز ونَهْبِ دارِه، فهرَب من ظَهْرِ بَيْتِه، ونُهِبَتْ دارُه وأُخِذ منها ما لا يُحْصَى من الأمْوالِ. واقْتَتَل العامَّةُ على ذلك النَّهْبِ. ولَحِق قايْماز بالحِلَّةِ وتبِعه الأمراءُ، وبعَثَ إليه المسْتَضِيءُ شَيْخَ الشُّيوخِ عبدَ الرَّحِيم للسَّيْرِ عن الحِلَّةِ إلى المَوْصِلِ خَوْفًا من عَوْدِه إلى بَغْدادَ فيَعُودُ اسْتِيلاؤُه، لمحبَّةِ العامَّةِ فيه وطاعَتِهم له، فسار إلى المَوْصِلِ وأصابَه ومَن معَه في الطَّرِيقِ عَطَشٌ فهلَكَ

(1) الكامل في التاريخ 11: 409-410.

قُطْبُ الدِّينِ والكثيرُ منهم، وذلك في ذي الحِجَّةِ من سنةِ سَبْعِينَ. وأقام صِهْرُه علاءُ الدِّين تَنَامِش بالموصِلِ. ثم اسْتأْذَنَ الخليفةَ في القُدُومِ إلى بَغْدادَ فقَدِمَ، وأقام بها عاطلًا بغيرِ إقْطاعٍ، وهو الذي حَمَل قايْمازَ على مَا كان منه، ووَلَّى الخليفةُ أسْتادَّاره سِنْجِرَ المُقْتَفَوِيَّ[1]، ثم عَزَله سنةَ إحْدَى وسَبْعِين ووَلَّى مكانَه أبا الفَضْلِ هِبَةَ اللهِ ابْنَ عليِّ بْنِ الصَّاحِبِ[2].

فِتْنَةُ صاحِبِ خُوزِسْتانَ

قد ذكَرْنا أنَّ مَلِكْشاه بْنَ محمودِ بْنِ السُّلْطانِ محمدٍ اسْتقرَّ عندَ شَمْلَةَ التُّرْكُمانيِّ بخُوزِسْتَانَ، وذكَرْنا فِتْنَةَ شَمْلَةَ مع الخُلَفاءِ. ثم ماتَ شَمْلَةُ سنةَ سَبْعِين ومَلَكَ ابْنُه مكانَه. وماتَ مَلِكْشاه بْنُ محمودٍ وبقي ابْنُه بخُوزِسْتانَ، فجاء سنةَ ثِنْتَيْن وسَبْعِينَ إلى العراقِ، وخَرَّبَ البَنْدَنِيجَيْن، وعاثَ في النَّاسِ. وخرَج الوَزِيرُ عَضُدُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ في العساكِرِ، ووَصَلَ عَسْكَرُ الحِلَّةِ وواسِطَ مع طاشْ تَكِينَ أمِيرِ الحاجِّ وغرغلي، وساروا للقاءِ العَدُوِّ وكان معَه جُمُوعٌ من التُّرْكُمانِ فأجْفَلُوا ونَهَبَتْهم عساكِرُ بغْدادَ. ثم رَدَّهم المَلِكُ ابْنُ مَلِكْشاه ووَاقفُوا العساكِرَ أيامًا، ثم مضَى المَلِكُ إلى مكانِه وعادَتِ العساكِرُ إلى بغْدادَ[3].

(1) الكامل في التاريخ 11: 424-426 (مختصرًا)؛ نهاية الأرب 23: 303-305.

(2) المصدر نفسه 11: 434.

(3) المصدر نفسه 11: 440.

مَقْتَلُ الوزيرِ

قد ذكَرْنا أخبارَ الوزيرِ عَضُدِ الدِّينِ أبي الفرَجِ/ محمدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِبَةِ اللهِ بنِ المظفَّرِ ابنِ رئيسِ الرُّؤساءِ أبي القاسِمِ ابنِ المُسلِمَةِ، كان أبوه أستادَّار المُقْتَفي. ولمَّا ماتَ وَلِيَ ابنُه مكانَه. [416ب]

ولمَّا ماتَ المقْتَفي أقَرَّه المسْتَنْجِدُ ورَفع قَدْرَه، ثم اسْتَوْزَرَه المسْتَضِيءُ وكان بينَه وبينَ قايْماز ما قدَّمْناه، وأعادَه المسْتَضِيءُ للوَزارةِ، فلما كانت سنةَ ثلاثٍ وسَبْعِينَ اسْتأذَنَ المسْتَضِيءَ في الحجِّ فأَذِن له، وعَبَر دِجْلَةَ مسافِرًا في مَوْكِبٍ عظيمٍ من أرْبابِ المناصِبِ، واعْتَرَضَه مُتَظَلِّمٌ يُنادِي بظُلامَتِه، ثم طَعَنَه فسَقَطَ، وجاء ابنُ المُعَوِّذِ(أ) حاجِبُ البابِ ليَكْشِفَ خَبَرَه فطُعِنَ الآخَرَ، وحُمِلا على بَيْتِهما فماتا. ووَلِيَ الوزارةَ ظَهِيرُ الدِّينِ أبو بَكْرٍ مَنْصُورُ بْنُ نَصْرٍ، ويُعْرَفُ بابْنِ العَطَّارِ، فاسْتَوْلَى على الدَّوْلَةِ وتحَكَّمَ فيها[1].

وفاةُ المستَضِيءِ، وخِلافَةُ النَّاصِرِ

ثم تُوفِّي المُسْتَضِيءُ بأمرِ اللهِ أبو محمدٍ الحَسَنُ بْنُ يُوسُفَ المُسْتَنْجِدُ في [ثاني](ب) ذي القَعْدَةِ سنةَ خَمْسٍ وسَبْعِينَ لتِسْعِ سِنِينَ ونِصْفٍ من خِلافَتِه، وقام

(أ) عند ابن الأثير: ابن المعوج. (ب) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 446-447؛ نهاية الأرب 23: 301-302.

ظَهِيرُ الدِّين بْنُ العَطَّارِ في البَيْعَةِ لابنِه أبي العبَّاسِ أحْمَدَ، ولَقَّبه الناصِرَ لدِينِ اللهِ، فقام بخِلافَتِه، وقَبَض على ظَهِيرِ الدِّينِ بنِ العَطَّارِ وحَبَسَه واسْتَصْفاه. ثم أُخْرِجَ ثامِنَ عَشَرَ ذي القَعْدَةِ من مَحْبَسِه مَيِّتًا. وفَطِن به العامَّةُ. فتناوَلُوه من نَعْشِه وعَبَثُوا به، وتَحَكَّمَ في الدَّوْلَةِ أُسْتَاذالدَّار(أ) مَجْدُ الدِّين أبو الفضلِ بْنُ الصَّاحِبِ، وكان تَوَلَّى أَخْذَ البَيْعَةِ للنَّاصِرِ مع ابنِ العَطَّارِ، وبُعِثَتِ الرُّسُلُ إلى الآفاقِ لأخْذِ البَيْعَةِ. وسار صَدْرُ الدِّين شَيْخُ الشُّيوخِ إلى البَهْلَوانِ صاحِبِ هَمَذانَ وأصْبهانَ والرَّيِّ فامْتَنَعَ من البَيْعَةِ فأغلظ له صدر الدين في القول. وحَرَّضَ أصْحابَه على نقض طاعته إن لم يُبايِعْ فاضطر إلى البيعة والخطبة(1).

ثم قَبَض سنةَ ثلاثٍ وثمانين على أسْتَاذالدَّار(أ) أبي الفَضْلِ ابنِ الصَّاحِبِ وقَتَلَه من أجْلِ تَحَكُّمِه، وأخذ له أموالاً عظيمة. وكان السَّاعي فيه عندَ النَّاصِرِ عُبَيْدُ اللهِ بْنَ يُونُسَ، مِن أصْحابِه وصنائِعِه، فلم يَزَلْ يَسْعَى/ فيه عندَ النَّاصِرِ حتَّى أمَرَ [417أ] بقَتْلِه، واسْتَوْزَر ابنَ يُونُسَ هذا ولَقَّبه جَلالَ الدِّين وكُنْيَتُه أبو المظفَّرِ، ومشَى أرْبابُ الدَّوْلَةِ في خِدْمَتِه حتَّى قاضِي القُضاةِ(2).

(أ) النسخ: أستاذدار، والسياق يقتضي هذه الصيغة.

---

(1) الكامل في التاريخ 11: 459، 460؛ نهاية الأرب 23: 308.

(2) المصدر نفسه 11: 562.

هَدْمُ دارِ السَّلْطَنَةِ بِبغْدادَ وانْقِراضُ مُلوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ

قد ذكَرْنا فيما تقَدَّم مُلْكَ أرْسَلان شاه بْنِ طُغْرُل رَبيبِ إلْدِكِزَ، واسْتيلاءَ إلْدِكِز عليه وحُروبَه مع إينانْج صاحِبِ الرَّيِّ. ثم قَتَلَه سنةَ أرْبعٍ وستِّينَ، واسْتَوْلى على الرَّيِّ. ثم تُوفِّي إلْدِكِزُ الأتابِكُ بهَمَذانَ سنةَ ثمانٍ وستِّينَ، وقام مكانَه ابنُه محمدٌ البَهْلَوانُ، وبَقِي أخوه السُّلْطانُ أرْسلانُ بْنُ طُغْرُل في كَفالَتِه. ثم مات سنةَ ثَلاثٍ وسَبْعِينَ ونَصَبَ البَهْلَوانُ مكانَه ابنَه طُغْرُل. ثم تُوفِّي البَهْلَوانُ سنةَ ثِنْتَيْنِ وثَمانِينَ، وفي مِلكَتِه هَمَذانُ والرَّيُّ وأصْبَهانُ وأذْرَبِيجان وأرانِيَة وغيرُها، وفي كَفالَتِه السُّلْطانُ طُغْرُل ابْنُ أرْسَلانَ.

ولمَّا ماتَ البَهْلَوانُ قام مكانَه أخوه كُزَلُ أرْسلانُ، ويُسَمَّى عثمانَ، فاسْتَبَدَّ طُغْرُل وخَرَج عن الكَفالَةِ، ولَحِق به جَماعةٌ من الأمراءِ والجُنْدِ، فاسْتَوْلَى على بَعْضِ البلادِ ووَقَعَتْ بَيْنَه وبينَ كُزَلَ حُروبٌ. ثم قَوِي أمْرُ طُغْرُل وكثُر جَمْعُه، وبعَث كُزَلُ إلى النَّاصِرِ يُحَذِّرُه مِن طُغْرُلَ ويَسْتَنْجِدُه، ويَبْذُلُ الطَّاعةَ على ما يَخْتارُه المُسْتَضِيءُ وبعَث طُغْرُل رَسُولَه يأمُرُ بعمارةِ دارِ السَّلْطَنةِ لِيَسْكُنَها. وكانَتْ وِلايَتُهم ببغْدادَ والعراقِ قد انْقَطَعَتْ منذُ أيامِ المُقْتَفي فأكْرَمَ رَسُولَ كُزَلَ ووَعَد بالنَّجْدَةِ ، وانْصَرَفَ رَسُولُ طُغْرُلَ بغَيْرِ جَزابٍ. وأمَرَ النَّاصِرُ بهَدْمِ دارِ السَّلْطَنَةِ ببغْدادَ فعَفَّى أثَرَها[1].

ثم بعَث النَّاصِرُ وَزيرَه جَلالَ الدِّينِ أبا المُظَفَّرِ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ يُونُسَ في العساكِرِ لإنْجادِ كُزَلَ ومُدافَعَةِ طُغْرِل عن البلادِ، فسار لذلك في صَفَرَ سنةَ أرْبَعٍ

(1) الكامل في التاريخ 11: 560.

وثمانينَ، واعْتَرَضَهم طُغْرُل على هَمَذانَ قَبْلَ اجْتِماعِهم بكَزْلَ، واقْتَتَلُوا ثامِنَ ربيعٍ، فانْهَزَمَتْ عساكِرُ بغْدادَ، وأُسِرَ الوَزِيرُ[1]. ثم اسْتَوْلَى كَزْلُ على طُغْرُل وحَبَسَه [417 ب] ببَعْضِ القِلاعِ، ودانَتْ له/ البلادُ وخَطَبَ لِنَفْسِه بالسَّلْطَنَةِ، وضَرَب النَّوبَ الخَمْسَ. ثم قُتِل على فِراشِه سنةَ سَبْعٍ وثمانينَ ولم يُعْلَمْ قاتِلُه[2].

اسْتِيلاءُ النَّاصِرِ على النَّواحِي

تُوفِّي الأميرُ عِيسَى صاحِبُ تَكْرِيتَ سنةَ خَمْسٍ وثمانينَ، قَتَلَه إخْوتُه، فبعَثَ النَّاصِرُ العساكِرَ فحَصَرُوها حتَّى فتَحُوها على الأمانِ، وجاؤوا بإخْوَةِ عيسى إلى بَغْدادَ فسَكَنُوها وأَقْطَعَ لهم السُّلْطانُ[3]. ثُمَّ بعَثَ سنةَ خَمْسٍ وثمانينَ عساكِرَه إلى حَدِيثَة عَانَه فحَصَرُوها مُدَّةً وقاتَلُوها طَوِيلًا. ثم جَهَدَهُم الحِصارُ، فنزَلُوا عنها إلى الأمانِ وأَقْطاعٍ عَيَّنُوها ووَفَّى لهم النَّاصِرُ بذلك[4].

(1) الكامل في التاريخ 12: 24-25.

(2) المصدر نفسه 12: 75-76.

(3) المصدر نفسه 12: 42.

(4) المصدر نفسه 12: 58-59.

نَهْبُ العربِ البَصْرَةَ

كانتِ البَصْرَةُ في وِلايةِ طُغْرُل مَمْلوكِ [الخَليفَة] النَّاصِرِ [الدين الله]، كان مُقْطَعَها، واسْتَنَابَ بها محمدَ بْنَ إسماعِيلَ، واجْتَمَع بنو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ سنةَ ثمانٍ وثمانِينَ، وأميرُهم عُمَيْرَةُ وقَصَدُوا البَصْرَةَ للنَّهْبِ والعَيْثِ. وخَرَجَ إليهم محمدُ بنُ إسماعيلَ في صَفَرٍ فقاتَلَهم سائرَ يَوْمِه. ثم ثَلَمَوا من اللَّيْل ثُلْمًا في السُّور ودَخلوا البَلَدَ، وعاثُوا فيها قَتْلًا ونَهْبًا. ثم بَلَغ بني عامرٍ أنَّ خَفَاجَةَ والمُنْتَفِق سارُوا لِقتالِهم فرَحَلُوا إليهم وقاتَلُوهم فهَزَمُوهم، وغَنِموا أمْوالَهم وعادوا إلى البَصْرَةِ، وقد جَمَع الأميرُ أهْلَ السَّوادِ فلم يَقُومُوا للعَرَبِ وانْهَزَموا، ودخَل العَرَبُ البَصْرَةَ فنَهَبُوها يومَيْن ورَحَلُوا عنها[1].

اسْتِيلاءُ النَّاصِرِ عَلَى خُوزِسْتَانَ ثم أصْبَهانَ والرَّيِّ وهَمَذَانَ

كان النَّاصِرُ قد اسْتَنَابَ في الوَزارةِ بعدَ أسْرِ ابْنِ يُونُسَ مُؤَيِّدِ الدِّينِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بْنَ عليٍّ، المعروفَ بابْنِ القَصَّابِ، وكان قد وَلِيَ الأعْمالَ في خُوزِسْتَانَ وخَبَرَها، وله فيها الأصْحابُ. ولمَّا تُوُفِّيَ صاحِبُها ابْنُ شَمْلَةَ واخْتَلَفَ أوْلادُه، راسَلَه بَعْضُهم في ذلك، فطَلَبَ من النَّاصِرِ أن يُرْسِلَ معه العساكِرَ لِيَمْلِكَها له فأجابَه وخَرَجَ في العساكِرِ سنةَ إحْدَى وتِسْعِينَ، وحارَبَ أهْلَ خُوزِسْتَانَ، فَمَلَكَ أوَّلًا

(1) الكامل في التاريخ 12: 80، والإكمال منه للتوضيح .

مدينة تُسْتَر. ثم مَلَك سائرَ الحصُونِ والقِلاعِ وأخَذَ /بني شَمْلَةَ ملوكَها فبَعَثَ بهم إلى بغْدادَ، ووَلّى النّاصِرُ على خُوزِسْتانَ طاش تَكِينَ مُجِيرَ الدِّين أميرَ الحاجِّ[1].

ثم سار الوزيرُ إلى جهاتِ الرَّيِّ سنة إحْدَى وتِسْعِين، وجاءه قُطْلُغْ إينانْج بْنُ البَهْلَوانِ وقد غَلَبه خُوارِزْم شاه وهزَمه عندَ زَنْجانَ، وملَكَ الرَّيَّ من يدِه. وجاء قُطْلُغْ إلى الوزيرِ مُؤَيِّدِ الدِّين ورحَل معه إلى هَمَذانَ وبها ابنُ خُوارِزْم شاه في العساكِرِ، فأجْفَل عنها إلى الرَّيِّ، وملَكَ الوزيرُ هَمَذانَ، ورحَل في اتّباعِهم، ومَلَكَ كلَّ بلدٍ مَرُّوا عليها إلى الرَّيِّ. وأجْفَل عَسْكَرُ خُوارِزْمَ إلى دامَغانَ وبَسْطامَ وجُرْجانَ. ورجَع الوزيرُ إلى الرَّيِّ فأقام بها. ثم انْتَقَض قُطْلُغْ بْنُ البَهْلَوانِ، وطَمِع في المُلْكِ، فامْتَنع بالرَّيِّ وحاصَرَه الوزيرُ فخَرَج عنها إلى مدينةِ آوَةَ فمَنَعَهم شِحْنَةُ الوزير منها ورحَلَ الوَزِيرُ في أثَرِهم من الرَّيِّ إلى هَمَذانَ، وبَلَغه أن قُطْلُغْ قَصَد مدينةَ الكَرَجِ فسار إليه وقاتَلَه وهزَمه، ورجَع إلى هَمَذانَ فجاءه رَسُولُ خُوارِزْم شاه محمدُ تكش بالنَّكِيرِ على الوزيرِ في أخْذِ البلادِ، ويَطْلُب إعادتَها فلم يُجِبْه الوزيرُ إلى ذلك، فسار خُوارِزْم شاه إلى هَمَذانَ وقد تُوفِّي الوزيرُ ابنُ القَصّابِ خلالَ ذلك في شَعْبانَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وتِسْعِينَ، فقاتَلَ العساكِرَ التي كانت معه بهَمَذانَ وهَزَمَهم، وملَكَ هَمَذانَ ونَبَشَ الوزيرَ فقَطَع رأسَه وبعَثَ به إلى خُوارِزْمَ، ثم عاد إلى خُراسانَ وترَكَ وَلَدَه بأصْبَهانَ[2].

(1) الكامل في التاريخ 12: 108-109؛ نهاية الأرب 23: 312-313.

(2) المصدر نفسه 12: 111-112.

وكانوا يَبْغَضُون الخُوارِزْمِيَّة، فبعَث صَدْرُ الدِّينِ الخُجَنْدِيُّ رئيسُ الشَّافِعِيَّةِ إلى الدِّيوانِ ببغْدادَ يَسْتَدْعِي العساكِرَ لملكها، فجَهَّزَ الناصِرُ العسكَرَ مع سَيْفِ الدِّينِ طُغْرُل مُقْطَعِ بلدِ اللِّحْفِ من العراقِ، وسار فوصَل أصْبَهَانَ، ونَزَلَ ظاهِرَ البَلَدِ، وفارَقَها عَسْكَرُ الخُوارِزْمِيَّةِ فملكها طُغْرُلُ وأقام فيها دَعْوةَ النَّاصِرِ، وكان من مَماليكُ البَهْلَوانِ لمَّا رجَع خُوارِزْم شاه إلى خُراسانَ، اجْتَمَعوا واسْتَوْلَوْا على الرَّيِّ، وقدَّموا عليهم كوكجه من أعْيانِهم، وسارُوا إلى أصْبهانَ/ فوَجَدُوا بها عساكِرَ النَّاصِرِ وقد [418ب] فارَقَها عَسْكَرُ الخُوارِزْمِيَّةِ فساروا في طَلَبِهم، وخَرَج طُغْرُل وعَسْكَرُ النَّاصِرِ إلى هَمَذَانَ، ثم رجَع البَهْلَوانيَّةُ من طَلَبِ الخُوارِزْمِيَّةِ فملكوا أصْبَهَانَ، وبعَث كوكجه إلى بَغْدادَ بالطَّاعَةِ، وأنْ يكونَ له الرَّيُّ وساوَةُ وقُمَّ وقَاشَانُ. ويكُونُ للنَّاصِرِ أصْبهانُ وهَمَذَانُ وزَنْجانُ وقَزْوِينُ، فكَتَبَ له بما طَلَبَ وقَوِي أمْرُه(1).

ثم وصَل إلى بغْدادَ أبو الهَيْجاءِ السَّمِينُ من أكابِرِ أُمراءِ بني أيُّوبَ، وكان في إقْطاعِه بَيْتُ المقْدِسِ وأعْمالُه، فلمَّا ملَكَ العزيزُ والعادِلُ مدينةَ دِمَشْقَ من الأفْضَلِ ابْنِ صَلاحِ الدِّينِ عَزَلُوا أبا الهَيْجاءِ عن القُدْسِ، فسار إلى بَغْدادَ فأكْرَمَه النَّاصِرُ وبعَثَه بالعساكِرِ إلى هَمَذَانَ سنةَ ثلاثٍ وتِسْعِينَ فلقِي بها أزْبَكَ بْنَ البَهْلَوَانِ وأميرَ علمٍ وابْنَه وابْنَ سَطْلَمَش، وقد كاتَبوا النَّاصِرَ بالطَّاعَةِ فداخَل أميرَ عَلَمٍ وقبَض على أزْبَكَ وابْنَ سَطْلَمَش بموافقَتِه، ونكِرَ النَّاصِرُ ذلك على أبي الهَيْجاءِ وأمَرَه بإطْلاقِهم. وبعَث

(1) الكامل في التاريخ 12: 117-118.

إليه بالخَلعِ فلمْ يأمَنُوا، وفارَقُوا أبا الهَيْجاءِ فَخشِيَ من النَّاصِرِ ورَحَلَ إلى إرْبلَ، لأنَّه كان من أكْرادِها، وماتَ قبلَ وصُولِه إليها(1).

وأقامَ كوكجه ببلادِ الجبلِ واصْطَنع رَفِيقَه أيدغمش، واستخلَصه ووثق به فاصْطَنع أيدَغْمُش المماليكَ، وانتَقَض عليه آخِرَ المائةِ السادسة، وحاربه فقتَله واسْتَوْلَى على البلادِ. ونَصَبَ أزْبَكَ بنَ البَهْلَوانِ للمُلْكِ وكفله(2). ثم توفي طاش تكين أميرُ خُوزِسْتانَ سنةَ ثِنْتَيْنِ وسِتِّ مائةٍ، ووَلَّى النّاصِرُ مكانَه صِهرَه سِنْجرَ وهو من مَوالِيه. وسار سِنْجِر سنةَ ثلاثٍ وستِّ مائةٍ إلى جِبالِ تُرْكِسْتانَ، جبالٍ منيعةٍ بين فارِسَ وعُمانَ وأصْبَهانَ وخُوزِسْتانَ، وكان صاحِبُ هذه الجبالِ يُعرَفُ بأبي طاهرٍ، وكان للنَّاصِرِ مَوْلًى اسْمُه قُشْتُمُرُ من أكابِرِ مَوالِيه، ساءه وزيرُ الدَّولةِ ببعضِ الأحْوالِ، فلَحِقَ بأبي طاهرٍ صاحِبِ تُرْكِسْتانَ فأكْرَمَه وزَوَّجَه بابْنَتِه.

ثم ماتَ أبو طاهِرٍ فأطَاعَ أهْلُ تِلْكَ الوِلايةِ قُشْتُمُرَ، ومَلَكَ عليهم، وبعث النَّاصِرُ إلى سِنجِرَ صاحِبِ خُوزِسْتانَ أنْ يَقْصِدَه في العساكِرِ، فسار/ إليه وبذل [419أ]
الطَّاعةَ على البُعْدِ. فلمْ يُقْبَلْ منه، فلَقِيَه وقاتَلَه فانْهَزَمَ سِنْجِرُ، وقَوِيَ قُشْتُمُرُ على أمْرِه، وأرْسَلَ إلى ابنِ دَكْلا صاحِبِ فارِسَ، وإلى أيْدَغْمُشَ صاحِبِ الجَبَلِ، فاتَّفَق معَهما على الامْتِناعِ مِن النَّاصِرِ، واسْتَمَرَّ حالُه(3).

(1) الكامل في التاريخ 12: 125.

(2) المصدر نفسه 12: 195.

(3) المصدر نفسه 12: 256-257.

عَزْلُ الوزيرِ نَصِيرِ الدّين

كان نَصِيرُ الدِّين ناصِرُ بْنُ مَهْدِيٍّ العَلَوِيُّ مِن أهْلِ الرَّيِّ مِن بيتِ إمارةٍ، وقَدِمَ إلى بغْدادَ عندما ملَكَ الوزيرُ [مُؤَيَّد الدِّين][أ] ابْنُ القَصَّابِ الرَّيَّ، فأقْبَلَ عليه الخليفةُ، وجعَلَه نائبَ الوِزارةِ. ثم اسْتَوْزَره وجعَل ابْنَه صاحِبَ المَخْزَنِ فتَحَكَّمَ في الدَّوْلَةِ، وأساءَ إلى أكابِرِ مَوالِي النَّاصِرِ، فلمَّا حَجَّ مُظفَّرُ الدِّين سُنْقُرُ المعْروفُ بوَجْهِ السَّبُعِ سنةَ ثلاثٍ وسِتِّ مائةٍ، وكانَ أميرَ الحاجِّ، ففارَقَ الحاجَّ ومضَى إلى الشَّامِ، وبعَثَ إلى النَّاصِرِ أنَّ الوزيرَ يَنْفِي عَنْكَ مَوالِيَكَ، ويُرِيدُ أن يَدَّعِيَ الخِلافةَ، فعَزَله النَّاصِرُ، وأَلْزَمَه بَيْتَه. وبعَثَ إليه يتَنَصَّلُ من كلِّ شيءٍ مَلَكَه، ويَطْلُبُ المُقامَ بالمشْهَدِ، فأجابَه النَّاصِرُ بالأمانِ والإبْقاءِ، وأنَّ العَزْلَةَ لم تَكُنْ لذَنْبٍ، وإنَّما أكْثَرَ الأعداءُ المقالاتِ فوقَع ذلك. واخْتَرْ لنَفْسِك مَوْضِعًا تَنْتَقِلُ إليه مُوقَّرًا مُحْتَرَمًا، فاخْتارَ إيالَةَ النَّاصِرِ، خَوْفًا أن يُذهِبَ الأعْداءُ نَفْسَه[1].

ولما عُزِلَ عاد سُنْقُرُ أميرَ الحاجِّ من مِصْرَ، وعاد أيْضًا قُشْتُمُرُ، وأُقِيمَ نائبًا في الوِزارَةِ فَخْرُ الدِّين أبو البَدْرِ ومحمدُ بْنُ أحْمَدَ بْنِ إمْسِينَا الواسِطِيُّ، ولم يَكُنْ له ذلك التَّحَكُّمُ، وقارَن ذلك وَفاةُ صاحِبِ المَخْزَنِ ببغْدادَ أبي فِراسٍ نَصْرُ بْنُ ناصِرِ بْنِ مَكِّيٍّ المدائنيُّ، فوَلِي مكانَه أبو الفُتوحِ المبارَكُ ابْنُ الوزيرِ عَضُدِ الدِّينِ أبي الفَرَجِ ابْنِ

(أ) إضافة من ابن الأثير.

---

(1) الكامل في التاريخ 12: 258، 276.

رئيسِ الرُّؤساءِ، وأغلَى مَحَلَّه، وذلك في المحرَّمِ سنةَ خَمْسٍ وسِتِّ مائةٍ، ثم عُزِلَ آخِرَ السَّنَةِ لعَجْزِه.

ثم عُزِلَ في ربيعٍ من سنةِ سِتٍّ وسِتِّ مائةٍ فخرُ الدِّين بنُ إمْسِينا، ونُقِلَ إلى المخزَنِ، ووَلِيَ نِيابةَ الوَزارةِ مكانه مَكِينُ الدِّينِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ بَدْرٍ القُمِّيُّ كاتِبُ الإنْشاءِ، ولُقِّبَ مُؤَيَّدَ الدِّينِ[1].

انْتِقاضُ سِنْجِرَ بخُوزِسْتانَ

[419 ب] قد ذكَرْنا وِلايةَ سِنْجِرَ مَوْلَى/ النَّاصِرِ على خُوزِسْتانَ بعدَ طاش تَكِينَ أميرِ الحاجِّ، ثم إنَّه اسْتَوْحَش سنةَ ستٍّ وسِتِّ مائةٍ واسْتَقْدَمه النَّاصِرُ فاعْتَذَرَ، فبعَثَ إليه العساكِرَ مع مُؤَيَّدِ الدِّينِ نائِبِ الوَزارةِ، وعزِّ الدِّينِ بنِ نَجاحٍ الشَّرابيِّ من خواصِّ الخَليفةِ. فلمَّا قارَبَتْه العساكِرُ لَحِق بصاحِبِ فارِسَ أتابَكِ الدِّين سَعْدِ بنِ دكلا، فأكْرَمَه ومَنَعَه، ووَصَلَتْ عساكِرُ الخَليفةِ خُورِسْتانَ في ربيعٍ من سَنَتِه، وبَعَثُوا إلى سِنْجِرَ في الرُّجوعِ إلى الطَّاعةِ فأبَى، وسارُوا إلى أرَّجانَ لقَصْدِ ابنِ دَكْلا بشِيرازَ، والرُّسُلُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَهم. ثم رَحَلُوا في شَوَّالٍ يُرِيدونَ شِيرازَ، فبعَثَ ابنُ دَكْلا إلى الوزيرِ والشَّرابيِّ بالشَّفاعةِ في سِنْجِرَ واقْتِضاءِ الأمانِ له، فأجابوه إلى ذلك، وعادُوا بسِنْجِرَ إلى بَغْدادَ في المحرَّمِ سنةَ ثمانٍ وسِتِّ مائةٍ، ودَخَلُوا به مُقَيَّدًا. ووَلَّى النَّاصِرُ مَوْلَاه

(1) الكامل في التاريخ 12: 276، 283، 287-288.

ياقوتَا أميرَ الحاجِّ على خُوزِسْتان. ثم أطْلَقَ النَّاصِرُ سِنْجَرَ في صَفَرَ سنةَ ثمانٍ وخَلَعَ عليه[1].

اسْتيلاءُ مَنْكَلي على بَلَد الجَبَل[أ] وأصْبهان، وهَرَبُ أَيْدَغْمُشَ ثم مَقْتَلُه، ومَقْتَلُ مَنْكَلي وولايةُ أغْلَمُشَ

قد ذكَرْنا اسْتِيلاءَ أيْدَغْمُشَ، من أمراءِ البَهْلوانيَّةِ، على بلادِ الجَبَلِ: هَمَذَانَ وأصْبَهَانَ والرَّيِّ وما إليها، فاسْتَفْحَلَ فيها، وعَظُمَ شأنُه، وتَخَطَّى إلى أَذْرَبِيجان وأرانِيَةَ، فحاصَرَ صاحِبَها أُزْبَكَ بْنَ البَهْلَوانِ. ثم خرَجَ سنةَ ثمانٍ وسِتِّ مائةٍ مَنْكَلي من البَهْلَوانِيَّةِ، ونازَعَه المُلْكَ، وأطاعَه البَهْلَوانِيَّةُ، فاسْتَوْلَى على سائرِ تِلْكَ الأعْمالِ. وهَرَبَ شمسُ الدِّينِ أيْدَغْمُشُ إلى بَغْدادَ، وأمَرَ النَّاصِرُ بتَلَقِّيهِ وكان يومًا مَشْهودًا. وخَشِيَ مَنْكَلي من اتِّصالِه بالنَّاصِرِ فأوْفَدَ ابْنَه محمدًا في جَماعةٍ من العَسْكَرِ وتَلَقَّاه النَّاسُ على طَبَقاتِهم، وقد كان النَّاصِرُ شَرَعَ في إمْدادِ أيْدَغْمُشَ فأمَدَّه وسار إلى هَمَذَانَ في جُمادَى من سنةِ عَشْرٍ، ووَصَلَ إلى بلادِ سُلَيْمانَ بنِ بُرْجُمَ من التُّرْكُمانِ الإيوانيَّةِ، وكان النَّاصِرُ عَزَلَه عن إمارةِ قَوْمِه، ووَلَّى أخاه الأصْغَرَ، فبَعَثَ إلى مَنْكَلي بخبرِ أيْدَغْمُشَ، فبعَثَ العساكِرَ / لطَلَبِه فقتَلُوه وافْتَرَقَ جَمْعُه[2]. [420أ]

(أ) ظ، ح: الجيل.

---

(1) الكامل في التاريخ 12: 289-290.

(2) المصدر نفسه 12: 296، 300.

وبعَثَ النَّاصِرُ إلى مَنْكَلي بالنَّكِيرِ، فأساءَ في الجوابِ وأقامَ في أعمالِه واسْتَفْحَلَ أمْرُه وبعَثَ النَّاصِرُ إلى أُزْبَكَ بن البَهْلَوان صاحبِ أذْرِبيجان وأرانية يُغْرِيه به، وكان مُسْتَوْحِشًا منه. وأرْسَلَ أيضًا إلى(أ) جلالِ الدِّين صاحبِ ألَموتَ وغيْرِها من قِلاعِ الإسْماعِيلِيَّةِ من بلادِ العَجَمِ بمُعاضَدَةِ أُزْبَكَ على أن يقْتَسِموا بلادَ الجَبَلِ(ب)، وجَمَعَ الخليفةُ العساكِرَ من المَوْصِلِ والجزيرةِ وبَغْدادَ، وقدَّمَ على عَسْكَرِ بغدادَ مَمْلُوكَه مُظَفَّرَ الدِّينِ سُنْقُرَ وَجْهَ السَّبُعِ، واسْتَقْدَمَ مُظَفَّرَ الدِّينِ كُوكُبْري بْنَ زَيْنِ الدِّينِ كُوجُكَ(ج)، وهو على أرْبِلَ وشَهْرَزُورَ وأعمالِها، وجعَلَه مُقدَّمَ العساكِرِ جميعًا. وساروا إلى هَمَذانَ، فهَرَبَ مَنْكَلي إلى جَبَلٍ قُرَيْبَ الكَرَجِ، وأقاموا عليه يُحاصِرُونَه، ونَزَلَ مَنْكَلي في بَعْضِ الأيَّامِ فقاتَلَ أُزْبَكَ وهزَمه إلى مُخَيَّمِه. ثم جاء من الغدِ وقد طَمِعَ فيهم فاشْتَدُّوا في قِتالِه وهزَموه فهرَب عن البلادِ أجمَعَ، وافْتَرَقَتْ عساكِرُه، واسْتَوْلَتِ العساكِرُ على البلادِ، وأخَذَ جلالُ الدِّينِ مَلِكُ الإسماعِيلِيَّةِ منها ما عَيَّنَتْه له القِسْمةُ. ووَلَّى أُزْبَكُ بْنُ البَهْلَوانِ على بَقِيَّةِ البلادِ أغْلَمُشَ مَمْلُوكَ أخِيه، وعادَتِ العساكِرُ إلى بلادِها، ومضى مَنْكَلي مُنْهَزِمًا إلى مدينةِ ساوَةَ، فقَبَضَ عليه الشِّحْنَةُ بها وقَتَلَه، وبعَثَ أُزْبَكُ برأسِه إلى بَغْدادَ وذَلِكَ في جُمادَى سنة ثِنْتَيْ عَشْرَةَ[1].

(أ) ساقطة من ظ. (ب) في ح: الجيل. (ج) ح: كجك.

---

(1) الكامل في التاريخ 12: 306-307.

ولايةُ حافدِ النَّاصرِ على خُوزِسْتان

كان للنَّاصِرِ ولدٌ أصغَرُ اسْمُه عليٌّ وكُنْيَتُه أبو الحَسَنِ قد رَشَّحه لوِلَايَةِ العَهْدِ وعَزَل عنها ابنَه الأكبَرَ، وكان هذا أحَبَّ وَلَدِه إليه ومات في ذي القَعْدَةِ سنةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ، فتفَجَّع له وحَزِن عليه حُزْنًا لم يُسْمَعْ بمثلِه. وشَمِل الأسَفُ عليه الخاصَّ والعامَّ [1].

وكان تَرَكَ وَلَدَيْن لَقَّبَهما المؤيَّدَ والمظفَّرَ[أ]، فبَعَثَهما النَّاصِرُ إلى تُسْتَرَ من خُوزِسْتانَ بالعساكِرِ في المحرَّمِ سنةَ ثلاثَ عَشْرَةَ وبعث معهما مُؤيَّدَ الدِّينِ نائِبَ الوِزارةِ، وعزَّ الدِّينِ الشَّرابيَّ، فأقاما بها أيامًا. ثم عاد الموفَّقُ مع الوزيرِ والشَّرابيِّ إلى بَغْداد/ في شهرِ رَبيعٍ، وأقام المؤيَّدُ بتُسْتَرَ [2]. [420 ب]

اسْتِيلاءُ خُوارِزْم شاه على بلادِ الجَبَلِ[ب] وطَلَبُه الخُطْبَةَ بِبَغْدادَ

كان أغْلَمُش قد اسْتَوْلَى على بلادِ الجَبَلِ كما ذكَرْناه، واسْتَفْحَلَ مُلْكُه فيها. ثم قتَلَه الباطِنيَّةُ سنةَ أرْبَع عَشْرَةَ وستِّ مائةٍ. وكان علاءُ الدِّينِ محمدُ بنُ تكش خُوارِزْم شاه وارِثَ مُلْكِ السَّلْجوقيَّةِ قد اسْتَوْلَى على خُراسانَ وما وراءَ النَّهْرِ،

(أ) عند ابن الأثير: المُوَفَّق. (ب) في ح : الجبل .

(1) الكامل في التاريخ 12: 308.

(2) المصدر نفسه 12: 315.

فطَمِع في اسْتِضافةِ هذه البلادِ إليه، فسار في عساكِره واعْتَرَضه صاحِبُ بلادِ فارِسَ أتابَكُ سَعْدِ بنِ دَكْلا على أصْبهانَ، وقد ساقَه من الطَّمَعِ في البلادِ مِثْلُ الذي ساقَه، فقاتَلَه وهزَمَه خُوارِزم شاه وأخَذَه أسيرًا. ثم سار إلى ساوةَ فملَكَها، ثم قَزْوِينَ وزَنْجانَ وأَبْهَرَ، ثم هَمَذانَ ثم أصْبهانَ وقُمَّ وقاشانَ. وخَطَبَ له صاحِبُ أَذْرَبِيجان وأرَانِيَةَ، وكان يَبْعَثُ في الخُطْبَةِ إلى بَغدادَ ولا يُجابُ إليها فاعْتَزَم الآنَ على المسيرِ إليها، وقَدِم أميرًا في خَمْسَةَ عَشَرَ ألْفَ فارِسٍ، وأقطَعه حُلْوانَ فنزَلَها. ثم أتبَعه بأميرٍ آخَرَ، فلمّا سار عن هَمَذانَ سَقَطَ عليهم الثَّلْجُ وكادوا يَهْلِكون،وتَخَطَّفَ بَقِيَّتَهم بنو بُرْجَمَ من التُّرْكُمانِ وبنو عكا من الأكْرادِ. واعْتَزَمَ خُوارِزم شاه على الرُّجوعِ إلى خُراسانَ، ووَلَّى على هَمَذانَ الأميرَ طابشين، وجَعَل إمارةَ البلادِ كلِّها لابْنِه رُكْنِ الدِّينِ وأنْزَلَ معه عِمادَ المُلْكِ الساوي متوليًا أمورَ دَوْلَتِه، وعاد إلى خُراسانَ سنةَ خَمْسَ عَشْرةَ وأزالَ الخُطْبَةَ للنّاصِرِ من جَميعِ أعْمالِه[1].

إجْلاءُ بني مَعْرُوفٍ عن البَطائِحِ

كان بنو مَعْروفٍ هؤلاء مِن رَبيعَةَ ومُقَدَّمُهم مُعَلَّى، وكانت حِلَلُهم غربيَّ الفُراتِ قُرْبَ البَطائِحِ، فكَثُر عَيْثُهم وإفْسادُهم السَّابِلَةَ، وارتفعَتْ شَكْوَى أهْلِ البلادِ إلى الدِّيوانِ منهم فرُسِم للشَّريفِ مَعَدٍّ مُتَوَلِّي واسِطَ وأعمالِها أنْ يَسِيرَ إلى قِتالِهم وجَلائِهم، فجَمَعَ العَسْكَرَ من تَكْرِيتَ وهِيتَ والحَدِيثَةِ والأنْبارِ والحِلَّةِ والكُوفَةِ

(1) الكامل في التاريخ 12: 316-317 (ملخصًا).

وواسِطَ والبَصْرةِ فهزَمَهم واستباحَهم، وتقَسَّموا بينَ القَتْلِ والأَسْرِ والغَرَقِ، وحُمِلَتِ /الرُّؤوسُ إلى بَغْدادَ في ذي قَعْدَة[أ] سنةَ ستَّ عَشْرة[1] . [421أ]

ظُهورُ الطَّطَرِ[ب]

ظهرتْ هذه الأمَّةُ من أجْناسِ التُّرْكِ سنةَ سِتَّ عَشْرَةَ وسِتِّ مائةٍ، ومَساكِنُهم جبالُ طَمْغاجَ من أرْضِ الصِّينِ بينَها وبينَ بلادِ تُرْكِسْتانَ ما يَزِيدُ على سِتَّةِ أشْهُرٍ، وكان مَلِكُهم يُسَمَّى جَنْكِزْخانَ، من قَبِيلةٍ يُعْرَفون قَمَرْجِي[ج]، فسار إلى بلادِ تُرْكِسْتانَ وما وراءَ النهرِ ومَلَكَها من أيْدِي الخَطَا؛ ثم حارَب خُوارِزْمَ شاه إلى أنْ غَلَبَه على ما في يَدِه من خُراسانَ وبلادِ الجَبَلِ، ثم تَخَطَّى إلى أَذْرَبِيجان وأرَانِيَة فملَكَها. ثم ساروا إلى بلادِ شَرْوانَ وبَلَدِ اللَّانِ واللَّكْزِ، فاسْتَوْلَوْا على الأُمَمِ المختلفةِ بتِلْكَ الأَصْقاعِ. ثم مَلَكُوا بلادَ قَفْجاقٍ[د]، وسارَتْ طائفةٌ منهم أخْرَى إلى [بَلَد][هـ] غَزْنَةَ وما يُجاوِرُها من بلادِ الهِنْدِ وسِجِسْتانَ وكَرْمانَ فملَكُوا ذلك كلَّه في سنةٍ أو نَحْوِها، وفَعَلوا من العَيْثِ والقَتْلِ والنَّهْبِ ما لم يُسْمَعْ بمِثْلِه في غابِرِ الزَّمانِ. وهزَموا خُوارِزْمَ شاه علاءَ الدِّينِ محمدَ بْنَ تكش، فلَحِق بجَزِيرةٍ في بَحْرِ طَبَرِسْتانَ، فامْتَنَعَ بها إلى أنْ ماتَ لإحْدَى وعِشْرِينَ سنةً من مُلْكِه. ثم هزَمُوا ابْنَه جلالَ الدِّينِ وكان بغَزْنَة

(أ) بياض في ظ مقدار كلمة. (ب) في ح بنقطتين على كلٍّ من الطائين لتحديد النطق بالإشمام. (ج) ح: كمرجي. (د) ظ: قنجاج. (هـ) من ح.

(1) الكامل في التاريخ 12: 356.

واتَّبَعه جَنكِزخانُ إلى نَهرِ السِّندِ فعَبَرَ إلى بلادِ الهِنْدِ، وخَلَص منهم وأقام هناك مُدَّة. ثم رَجَع سنةَ ثِنْتَيْنِ وعِشْرِينَ إلى خُوزِسْتانَ والعراقِ. ثم مَلَكَ أذْرَبيجان وأرْمِينِيَّة إلى أنْ قَتلَه الطَّطَرُ حَسْبَمَا نَذكُرُ [في أخبارهم][أ] ذلك كلّه مُقسَّمًا بينَ دَولَتِهم ودَوْلَةِ بني خُوارِزْمَ شاه، أو مُكَرَّرًا فيهما. فهُناك تَفصِيلُ هذا المجمَلِ من أخبارِهم، واللهُ الموفِّقُ[1].

وَفاةُ النَّاصِرِ، وخِلافَةُ ابْنِه الظَّاهِرِ

ثم تُوفِّي أبو العَبَّاسِ أحْمَدُ النَّاصِرُ بنُ المُسْتضِيءِ في آخرِ شَهْرِ رمضانَ من سنةِ ثِنْتَيْنِ وعِشْرِينَ وستِّ مائةٍ لسَبْعٍ وأرْبَعِينَ سنةً من خلافتِه، بعدَ أن عَجَزَ عن الحَرَكَةِ ثلاثَ سِنِينَ من آخِرِ عُمْرِه، وذهَبَتْ إحْدَى عَيْنَيْه وضَعُفَ بَصَرُ الأخرى. وكانت حالُه مختلفةً في الجدِّ واللَّعِب، وكان مُتَفَنِّنًا في العلومِ، وله تَوالِيفُ/ في فُنونٍ [421 ب] منها متعدِّدةٍ، ويُقال: إنه الذي أطْمَعَ الطَّطَرَ في مُلْكِ العراقِ لما كانتْ بينَه وبينَ خُوارِزْمَ شاه من الفِتْنَةِ، وكان مع ذلك كثيرًا ما يَشْتَغِلُ برَمْيِ البُنْدُقِ والحَمامِ المناسيبِ، ويَلْبَسُ سَراوِيلَ الفُتُوَّةِ شأنَ العَيَّارِينَ من أهْلِ بغْدادَ. وكان له فيها سَنَدٌ إلى زُعمائِها يَقُصُّه على مَن يُلْبِسُه إيَّاها، وكان ذلك كلُّه دليلًا على هَرَمِ الدَّوْلَةِ

(أ) زيادة من ح.

---

(1) يراجع كذلك ما ذكره في الكامل في التاريخ 12: 358-360؛ والطَّطَر اسمٌ يُطْلَق على مجموعة قبائل مَغُولِيَّة (راجع مقال P.B. GOLDEN, *EI*² art. *Tatar* X, pp. 397-98).

وذَهابِ المُلْكِ عن أهْلِها بذَهابِ خِلالِها منهم[(1)].

ولمَّا تُوفِّي بُويِعَ ابْنُه أبو نَصْرٍ محمدٌ، ولُقِّبَ الظَّاهِرَ [بأمْرِ الله]، وكان وَلِيَّ عَهْدِه، عَهِد له أوَّلًا سنةَ خَمْسٍ وثمانِينَ وخَمْسِ مائةٍ، ثم خَلَعَهُ من العَهْد وعَهِدَ لأخِيه الصَّغِيرِ عليٍّ لِمَيْلِه إليه. وتُوفِّي سنةَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ فاضْطرَّ إلى إعادةِ هذا، فلمَّا بُويِعَ بعدَ أبِيه أظْهَرَ من العَدْلِ والإحْسانِ ما حُمِد منه، ويُقَالُ إنه فَرَّق في العلماءِ لَيْلَةَ الفِطْرِ التي بُويِعَ فيها مائةَ ألْفِ دِينار[(2)].

وَفاةُ الظَّاهِرِ ووِلايَةُ ابْنِه المُسْتَنْصِر

ثم تُوفِّي الظَّاهِرُ أبو نَصْرٍ محمدٌ في مُنْتَصَفِ رَجَبَ سنةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ وسِتِّ مائةٍ لِتِسْعَةِ أشْهُرٍ ونِصْفٍ من وِلايتِه، وكانتْ طَرِيقَتُه مُسْتَقِيمَةً وأخْبارُه في العَدْلِ مَأْثُورةً. ويُقال: إنَّه قَبْلَ وَفاتِه كَتَب بخَطِّه إلى الوزيرِ تَوْقِيعًا يَقْرأُه على أهْلِ الدَّوْلةِ، فجاء الرَّسُولُ به، وقال: أميرُ المؤْمِنِينَ يقولُ لَيْسَ غَرَضُنا أن يُقالَ: بَرَزَ مَرْسُومٌ أو نَفَذَ مِثالٌ، ثم لا يَتَبَيَّنُ له أثَرٌ، بل أنتُم إلى إمامٍ فَعَّالٍ أحْوَجُ منكم إلى إمامٍ قَوَّالٍ. ثم تَنَاوَلُوا الكِتابَ وقَرءُوه، فإذا فيه بعد البَسْمَلَةِ:

(1) الكامل في التاريخ 12: 438، 440؛ نهاية الأرب 23: 317-318. ويُنظر عن الفُتُوَّة وتَبَنِّى الخَلِيفَة النَّاصِر لدين الله لها مقدمة العلامة مصطفى جواد المُهِمَّة لكتاب الفُتُوَّة للشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي المكارم المعروف بابن المعمار البغداديّ الحَنْبَلِيّ، المتوفى سنة 642 هـ، بغداد 1958؛ وأيضًا FR. TAESCHNER, *EI*[2] art. *Futuwwa* II, pp. 983-91، وكتاب الفتوة لأبي عبد الرحمن السلمي ـ دار الرازي. عمان 2002.

(2) المصدر نفسه 12: 441 وفيه: أظْهَرَ من العَدْلِ والإحْسَانِ ما أعَاد به سُنَّةَ العُمَرَيْن، فلو قيل إنَّه لم يلِ الخِلافَةَ بعد عُمَر بن عبد العزيز مثله لكان القائِلُ صَادِقًا؛ وكذلك نهاية الأرب 23: 318-319.

اعْلَموا أنه ليس إمْهالُنا إهْمالًا، ولا إغْضاؤُنا إغْفالًا، ولكن لِنَبْلُوَكم أيُّكم أحْسَنُ عَمَلًا، وقد غَفَرْنا لكم ما سَلَفَ من إخْرابِ البلادِ، وتَشْريدِ الرَّعَايا، وتَقْبيحِ الشُّنْعَةِ، وإظْهارِ الباطِلِ الجَلِيِّ في صُورةِ الحَقِّ الخَفِيِّ حِيلةً ومَكِيدَةً، وتَسْمِيَةِ الاسْتِئْصالِ والاجْتِياحِ اسْتِيفاءً واسْتِدْراكًا لأغْراضٍ؛ انتَهَزْتُم فُرْصَتَها مُخْتَلَسَةً من بَراثِنِ لَيْثٍ باسِلٍ، وأنيابِ أسَدٍ مَهيبٍ، تنطقون بألفاظٍ مختلفةٍ على مَعْنًى واحِدٍ، وأنتم أُمناؤه وثِقاتُه فتُميلونَ رأيَه إلى هَواكُم وتَمْزِجُون باطِلَكم بحَقِّه،/ [422 أ] فيُطيعُكم وأنتم له عاصُون، ويُوافِقُكم وأنتم له مُخالِفُون والآنَ فقد بَدَّلَ اللهُ سبحانه بخَوْفِكم أمْنًا، وبفَقْرِكم غِنًى وبباطِلِكم حَقًّا. ورزَقَكم سُلْطانًا يُقِيلُ العَثْرَةَ ولا يُؤاخِذُ إلَّا مَن أصَرَّ، ولا يَنْتَقِمُ إلا مِمَّنِ اسْتَمَرَّ، يأمُرُكم بالعَدْلِ، وهو يُريدُه منكم، ويَنْهاكُم عن الجَوْرِ وهو يَكْرَهُه لكم، يَخافُ اللهَ فيُخَوِّفُكم مَكْرَه، ويَرْجُو اللهَ تعالَى ويُرَغِّبُكم في طاعَتِه، فإنْ سَلَكْتُم مَسالِكَ نُوّابِ خُلفاءِ اللهِ في أرْضِه وأُمنائِه على خَلْقِه وإلَّا هَلَكْتُم، والسَّلامُ(1).

ولمَّا تُوفِّي بُويِعَ ابنُه أبو جعفرٍ المُسْتَنْصِرُ، وسَلَكَ مَسْلَكَ أبيه إلَّا أنَّه وَجَد الدولةَ قد اخْتَلَّتْ، والأعْمالَ قد انْتَقَضَتْ والجِبَايَةَ قد انْتَقَصَتْ أو عَدِمتْ، فضاقَتْ عن أرْزاقِ الجُنْدِ وأَعْطِياتِهم، فأسْقَطَ كثيرًا من الجُنْدِ، واخْتَلَّت الأحْوالُ(2).

(1) الكامل في التاريخ 12: 456-457؛ نهاية الأرب 23: 320.

(2) المصدر نفسه 12: 458. وهو نهايةُ ما نقَلَه ابنُ خلدون عن الخلافة العبّاسيّة من كامل ابن الأثير الذي يَنْتهي كتابه بحوادث سنة 628هـ.

وهو الذي أعاد له محمدُ بنُ يوسُفَ بنِ [....] (أ) هُودٍ دَعْوَةَ العبَّاسِيَّةِ بالأندَلُسِ آخِرَ دَوْلَةِ الموحِّدِينَ بالمَغرِبِ فوَلَّاه عليها، وذلك سنةَ تِسْعٍ وعِشْرِين وسِتِّ مائةٍ كما نذكُرُه في أخبارِهم. ولآخِرِ دَوْلَتِه مَلَكَ الطَّطَرُ بلادَ الرُّومِ من يدِ غِياثِ الدِّين كَيْخِسْرُو، وآخِرِ مُلُوكِ بني قِلِيج أرْسلَانَ، ثم تَخَطَّوْها إلى بلادِ أرْمِينِيَّة فملَكُوها. ثم اسْتأمَنَ إليهم غِياثُ الدِّينِ فوَلَّوْه من قِبَلِهم وفي طاعَتِهم كما يأتي في أخبارِهم إنْ شاء اللهُ تعالى.

وَفاةُ المُسْتَنْصِرِ، وخِلافَةُ المُسْتَعْصِمِ آخِرِ بَني العَبَّاسِ بِبغْدادَ

لم يَزَلْ هذا الخَليفَةُ المسْتَنْصِرُ ببغْدادَ في النِّطاقِ الذي بَقِيَ لهم بعدَ اسْتِبْدادِ أهْلِ النَّواحِي كما قدَّمْناه. ثم انْحَلَّ أمْرُهم في هذا النِّطاقِ عُرْوةً عُرْوَةً، وتَمَلَّكَ الطَّطَرُ سائِرَ البلادِ، وتَغَلَّبوا على مُلُوكِ النَّواحِي ودُوَلِهم أجْمَعِينَ، ثم زاحَمُوهم في هذا النِّطاقِ ومَلَكُوا أكْثَرَه.

ثم تُوُفِّي المسْتَنْصِرُ سنةَ إحْدَى وأرْبَعِينَ، لِسِتَّ عَشْرَةَ سنةً من خِلافَتِه(1)، وبُويِعَ بالخِلافةِ ابنُه عبدُ اللهِ ولُقِّبَ المُسْتَعْصِمَ، وكان فَقِيهًا مُحَدِّثًا(2). وكان وَزِيرُه

(أ) بياض في ظ، ص مقدار كلمة. والاسم متصل في ح وصحيح.

---

(1) يقارن مع كتاب الحوادث المسمى وَهْمًا بالحوادِث الجامعة والتجارب النَّافِعَة المَنْسُوب لابن الفوطي 185-187، 200-202.

(2) الكامل في التاريخ 188-197؛ مفرج الكروب لابن واصل 5: 385؛ نهاية الأرب 23: 322؛ السلوك للمقريزي 1: 311-312.

[محمد بن أحمد، أبو طالب][أ] ابنُ العَلْقَمِيّ رافِضِيًّا، وكانتِ الفِتْنَةُ ببغْدادَ لا تَزالُ مُتَّصِلَةً بينَ الشِّيعةِ وأهْلِ السُّنَّةِ، / [422 ب] وبينَ الحنابِلَةِ وسائرِ أهْلِ المذاهِبِ، وبينَ العَيَّارِينَ والدُّعَّارِ والمفْسِدِينَ منذُ [الأمَرَاءِ الأُوَلِ][ب]، فلا تتجدَّدُ فِتْنَةٌ بينَ الملوكِ وأهْلِ الدُّوَلِ إلا ويَحْدُثُ فيها بينَ هؤلاءِ ما يُغَنِّي أهْلَ الدُّوَلِ حَسْبُه زيادةً لما يَحْدُثُ منهم أيَّامَ سُكُونِ الدُّوَلِ واسْتِقامَتِها.

وضاقَتِ الأحْوالُ على المُسْتَعْصِمِ فأسْقَطَ أكْثَرَ الجُنْدِ وفرَضَ أرْزاقَ الباقِينَ على البِياعاتِ، وفي المعايِشِ، فاضْطَرَبَ النَّاسُ وضاقَتِ الأحْوالُ وعَظُمَ الهَرْجُ ببغْدادَ، ووَقَعَتِ الفِتَنُ بين الشِّيعةِ وأهْلِ السُّنَّةِ، وكان مَسْكَنُ الشِّيعةِ بالكَرْخِ في الجانِبِ الغَرْبِيِّ[1]، وكان الوَزِيرُ ابنُ العَلْقَمِيِّ منهم فسَطَوْا بأهْلِ السُّنَّةِ، وأنْفَذَ المُسْتَعْصِمُ ابنَه أبا بَكْرٍ ورُكْنَ الدِّين الدَّوادَارَ، وأمَرَهم بنَهْبِ بُيُوتِهم بالكَرْخِ ولم يُراعِ فيهم ذِمَّةَ الوَزِيرِ فآسَفَه ذلك، وتَرَبَّص بالدَّوْلَةِ وأسْقَطَ مُعْظَمَ الجُنْدِ يُمَوِّهُ بأنَّه يُدافِعُ الطَّطَرَ بما يَتَوَفَّرُ من أرْزاقِهم في الدَّوْلَةِ[2].

وزَحَفَ هُولاكُو مَلِكُ الطَّطَرِ سنةَ ثِنْتَيْنِ وخَمْسِينَ إلى العراقِ، وقد فَتَحَ الرَّيَّ وأصْبهانَ وهَمَذَانَ، وتَتَبَّعَ قِلاعَ الإسْماعِيلِيَّةِ؛ ثم قَصَد قَلْعَةَ أَلَمُوتَ سنةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ، فبَلَغه في طريقِه كتابُ ابنِ الموصَلَايا صاحِبِ إرْبِلَ، وفيه وَصِيَّةٌ مِن ابنِ

(أ) بياض في ظ، ص، ح مقدار ثلاث كلمات. والاستكمال من: الوافي بالوفيات 1: 185.

(ب) من ح، وفي ظ: الأمير الأوَّل.

---

(1) كتاب الحوادث 320، 331.

(2) المختصر في أخبار البشر 3: 193-194.

العَلْقَمِيّ وَزِيرِ المُسْتَعْصِمِ إلى هُولاكو يَسْتَحِثُّه لقَصْدِ بغْدادَ، ويُهَوِّنُ عليه أمْرَها، فرَجَعَ عن بلادِ الإسْماعيليَّةِ، وسار إلى بغْدادَ واسْتَدْعَى أمَرَاءَ الطَّطَرِ فجاءه بنجو مُقَدَّمُ العساكِرِ ببلادِ الرُّومِ، وقد كانوا مَلَكُوها. ولمَّا قارَبُوا بغْدادَ برَز للقائِهم أيْبَكُ الدَّوادارُ في العساكِرِ فانْكَشَفَ الطَّطَرُ أوَّلًا، ثم تَدامَرُوا فانْهَزَمَ المسلِمُون فاعْتَرَضَهم دُونَ بغْدادَ أوْحالُ المياهِ من بُثُوقٍ انْبَثَقَتْ من دِجْلَةَ، فتَتَبَّعَهم دونَها، وقُتِلَ الدَّوادارُ، وأُسِرَ الأمراءُ الذين معَه.

ونَزَلَ هولاكو بغْدادَ، وخرَج إليه الوزيرُ مُؤَيَّدُ الدِّين بنُ العَلْقَمِيِّ فاسْتأمَنَ لنَفْسِه ورَجَع بالأمانِ إلى المسْتَعْصِمِ، وأنَّه يُبْقِيه على خِلافَتِه كما فَعَل بمَلِكِ بلادِ الرُّومِ. فخَرَج المُسْتَعْصِمُ ومعه الفُقَهاءُ والأعْيانُ فقَبَضَ عليه لوَقْتِه، وقَتَل جَمِيعَ مَنْ كان معَه. ثم قَتَلَ المُسْتَعْصِمَ شَدْخًا بالعُمُدِ أو وَطْئًا بالأقْدامِ لتَجافِيه بزَعْمِه عن دماءِ أهْلِ البَيْتِ، وذلك سنةَ سِتٍّ وخَمْسِينَ[1].

[423 أ] ورَكِبَ إلى بَغْدادَ فاسْتَباحَها/ واتَّصل العَيْثُ بها أيامًا، وخرَج النِّساءُ والصِّبْيانُ وعلى رؤوسِهم المصاحِفُ والألْواحُ، فداسَتْهُمُ العساكِرُ وماتُوا أجْمَعونَ. ويُقالُ إنَّ الذي أُحْصِي ذلك اليومَ من القَتْلَى ألْفُ ألْفٍ وستُّ مائةِ ألْفٍ، واسْتَوْلَوْا من قُصُورِ الخِلافَةِ وذَخائِرِها على ما لا يَبْلُغُه الوَصْفُ ولا يَحْصُرُه الضَّبْطُ والعَدُّ، وأُلْقِيَتْ كُتُبُ العِلْمِ التي كانت بخَزائِنِهم جميعًا في دِجْلَةَ، وكانت شيئًا لا يُعَبَّرُ عنه،

(1) مفرج الكروب 6: 215-216 (وفيه: وأمّا الخليفة ـ رحمه الله ـ فإنّهم قتلوه، لكنه لم يَطّلع أحدٌ على صورة قتله، فقيل: إنّه خُنِق، وقيل: رُفِس إلى أن مات، وقيل: غُرِّق، والله أعلم بحقيقة ذلك؛ نهاية الأرب 23: 324.

مُقابلةً – في زَعْمِهم – بما فَعَلَه المسْلِمون لأوّلِ الفَتْحِ [في][أ] كُتُبِ الفُرْسِ وعُلومِهم. واعْتَزَمَ هُولاكُو على إضْرامِ بُيوتِها نارًا، فلم يوافِقْه [لذلك][ب] أهْلُ مَمْلكَتِه[1].

ثم بعَثَ بالعساكِرِ إلى مَيّافارِقِين، فحاصَرُوها سَنَتَيْنِ حتَّى جَهَدها الحِصارُ واقْتَحَمُوها عَنْوَةً وقَتَلَ حامِيَتَها جميعًا وأمِيرَهم من بني أيُّوبَ، وهو الكامِلُ ناصِرُ الدِّين محمدُ ابْنُ شهابِ الدِّينِ غازِي بْنِ العادِلِ أبي بَكْرِ بْنِ أيُّوبَ، وبايَعَ له لُؤْلُؤٌ صاحِبُ المَوْصِلِ، وبعَثَ بالهَدِيَّةِ والطَّاعَةِ ووَلَّاه على عَمَلِه[2].

ثُمَّ بعَثَ بالعساكِرِ إلى إرْبِلَ فحاصَرَها مُدَّةً وامْتَنَعَتْ فرَحَلَتِ العساكِرُ عنها؛ ثم وصَلَ إليه صاحِبُها ابْنُ الصَّلَايَا فقَتَلَه واسْتَوْلَى على الجَزيرَةِ ودِيَارِ بَكْرٍ ودِيارِ رَبِيعَةَ كلِّها، وتاخَمَ الشَّامَ من جميعِ جِهاتِه حتى زَحَفَ إليه بعدُ كما يُذكَرُ[3].

وانْقَرَضَ أمْرُ الخِلافَةِ الإسْلاميَّةِ لبَنِي العبَّاس ببغْدادَ، وأعادَ لها مُلُوكُ التُّرْكِ بِمِصْرَ رَسْمًا جديدًا في خُلفاءَ نَصَبُوهم هُنالِكَ مِن أعْقابِ الخُلفاءِ الأوَّلِينَ، ولم يَزَلْ متَّصِلًا بها لهذا العَهْدِ على ما نَذْكُرُ الآنَ. ومن العَجَبِ أنَّ يَعْقوبَ بْنَ إسْحاقَ الكِنْدِي فَيْلَسُوف

(أ) من ح ، وفي ظ : من . (ب) من ح .

---

(1) أهمّ مَصدرٍ لهذه الأحداث كتابان لم يصلا إلينا: تاريخ ابن أنجب السّاعي، المتوفّى سنة 674هـ، ورَوضة الأريب في التاريخ لظهير الدّين عليّ بن محمد الكازرُوني، المتوفّى سنة 697هـ. أمّا الكتابُ الذي وَصَلَ إلينا ونَقَلَ عنهما فهو الكتاب المعروف بكتاب الحَوادِث لمؤلِّف مجهول من القرن الثامن الهجري (ينظر ما ذكرته عنه فيما تقدم 598) والصفحات 354-364 زاخرة بتفاصيل غنيّة عن الفظائع التي ارتكبها الطَّطَر في بغداد وسَائر مُدُنِ العِراق، وانظر كذلك مفرج الكروب لابن واصل 6: 212-216.

(2) المختصر في أخبار البشر 3: 196-197.

(3) المصدر نفسه 3: 198.

العَرَبِ ذكَرَ في مَلاحِمِه وكَلامِه على القرآنِ الذي دَلَّ على ظُهُورِ المِلَّةِ الإسْلامِيَّةِ العَرَبِيَّةِ أنَّ انقِراضَ أمْرِ العَرَبِ يَكُونُ أعْوامَ السِّتِّينَ والسِّتِّ مائةٍ، فكان كذلك.

وكانَتْ دَوْلَةُ بني العَبَّاسِ من يَوْمِ بُويِعَ للسَّفَّاحِ سَنَةَ ثِنْتَيْن وثَلاثِين ومائةٍ إلى أن قُتِلَ المُسْتَعْصِمُ سَنَةَ ستٍّ وخَمْسِينَ وسِتِّ مائةٍ خَمْسَ مائةِ سنةٍ وأرْبَعًا وعِشْرِينَ سنةً، وعَدَدُ خُلَفائِهم ببغْدادَ سَبْعةٌ وثَلاثِينَ خَلِيفَةً[1]. والله وارِثُ الأرْضِ ومَن عليها، وهو خَيْرُ الوارِثِينَ.

[423 ب]

(1) لعَرْضٍ عام لتاريخ الدَّوْلَة (الخِلافَة) العبّاسية يراجع مقال برنارد لويس في دائرة المعارف الإسلامية B. LEWIS, EI^2 art. *'Abbasides* I, pp. 15-24

[424 أ]

/الخبَرُ عن الخُلفاء العبّاسيّينَ المَنْصوبين بمصْرَ من بعد انْقراضِ الخِلافَة ببغْدادَ ومَبادِئ أُمورِهم وتَصاريف أحْوالِهم(1)

لَمّا هَلَكَ المُسْتَعْصِمُ ببغْدادَ، اسْتَوْلَى الطَّطَرُ على سائرِ المَمالكِ الإسْلاميّة وافْتَرَقَ شَمْلُ الجماعةِ، وانْتَثَرَ سِلْكُ الخِلافةِ، وهَرَبَ القَرابَةُ المُرشَّحونَ، وغيرُ المُرشَّحينَ، من قُصورِ بغْدادَ فذَهَبوا في الأرْضِ طُولًا وعَرْضًا، ولَحِقَ بمصْرَ كَبيرُهم يومَئِذٍ أبو القاسم(أ) أحْمَدُ ابْنُ الخليفةِ الظّاهِرِ، وهو عَمُّ المُسْتَعْصِمِ وأخو المُسْتَنْصِرِ، [ويُلَقَّبُ الأسْمَرَ لسُمْرةٍ كانت في لَوْنِه](ب) وكانَ سُلْطانَ مِصْرَ يومَئِذٍ المَلِكُ الظّاهِرُ بَيْبَرْس، ثالثُ مُلوكِ التُّرْكِ بعدَ بني أيُّوبَ بمِصْرَ والقاهرةِ، فقام على قَدَمِ التَّعْظيمِ، ورَكِبَ لتَلَقّيهِ وسُرَّ بقُدومِه، وكان وُصولُه سنةَ تِسْعٍ وخَمْسينَ، فجَمَعَ النّاسَ على

(أ) مضافة في حاشية ح بخط ابن خلدون. (ب) من حاشية ح بخطه.

(1) يراجع حَوْل هذا الموضوع ودَوْر مؤسّسة الخِلافَة بعد سُقُوطِ بغداد وانتقالها إلى مصر واستضافة السُّلْطان المملوكي الظّاهر بَيْبَرْس لها: نهاية الأرب 23: 327-333؛ صبح الأعشى للقلقشندي 3: 260-265؛ المواعظ والاعتبار للمقريزي 3: 783-786؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي 757-829؛ D. AYALON, "Studies on the Transfer of the 'Abbasid Caliphate from Bagdad to Cairo", *Arabica* VII (1960), pp. 41-59; M. CHAPOUTOT-REMADI, "Une institution mal connue: Le Khalifat 'abbaside du Caire", *CT* 20 (1972), pp. 11-23; P.M. HOLT, "Some Observations on the 'Abbasid Caliphate of Cairo", *BSOAS* 47 (1984), pp. 501-7؛ محمد عبد العال أحمد: أضواء جديدة على إحياء الخلافة العباسية ـ أسبابها ومواقف حكام بعض الأقطار الإسلامية منها، القاهرة 1987؛ R. AMITAI-PRESS, "The Fall and Rise of the Abbasid Caliphate", *JAOS* 116 (1996), pp. 487-94.

طَبَقاتِهِم بمَجْلِس المُلْك بالقَلْعَةِ، وحضَر القاضِي - يومَئِذٍ تاجُ الدِّينِ ابْنُ بِنْتِ الأعَزِّ - فأثْبَتَ نَسَبَه في بَيْتِ الخُلَفَاءِ بشَهادةِ العَرَبِ الواصِلِين معَه بالاسْتِفاضَةِ، ولم يَكُنْ شَخْصُه خفِيًّا، وبايَع له الظَّاهِرُ وسائِرُ النَّاسِ، ونَصَبه للخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ ولَقَّبُوه المُسْتَنْصِرَ، وخُطِبَ له على المَنابِرِ، ورُسِمَ اسْمُه في السِّكَّةِ. وصَدَرَتِ المراسِيمُ السُّلْطانِيَّةُ بأخْذِ البَيْعَةِ له في سائِرِ أعْمالِ السُّلْطانِ، وفَوَّض هو للسُّلْطانِ المَلِكِ الظَّاهِرِ في سائِرِ أعْمالِه، وكَتَب تَقْلِيدَه بذلك؛ ورَكِب السُّلْطانُ ثانِيَ يَوْمِه إلى خارِجِ البَلَدِ، ونصَب خَيْمَةً لمُجْتَمَعِ النَّاسِ فاجْتَمَعوا وأُقْرِئَ كِتابُ التَّقْلِيد.

وقامَ السُّلْطانُ بأمْرِ هذا الخَلِيفَةِ ورَتَّب له أرْبابَ الوظائِفِ والمناصِبِ الخلافِيَّةِ من كلِّ طَبَقَةٍ، وأجْرى له[أ] ولهم الأرْزاقَ السَّنِيَّةَ ، وأقامَ له الفَساطِيطَ والآلَةَ. ويُقال أنْفق عليه في مُعَسْكَرِه ذلك ألْفَ ألْفِ دينارٍ من الذَّهَبِ العَيْنِ، واعْتَزَمَ على بَعْثِه إلى بلادِ العِراقِ لاسْتِرْجاعِه مَمالِكَ الإسْلامِ مِن أيْدِي أهْلِ الكُفْرِ. وقد كان وَصَلَ على أثَرِ الخليفةِ صاحِبُ المَوْصِلِ، وهو إسْماعِيلُ الصَّالِحُ بْنُ لُؤْلُؤٍ، أخْرَجَه الطَّطَرُ من مُلْكِه بعدَ مَهْلِكِ أبِيه فامْتَعَضَ له المَلِكُ الظَّاهِرُ ووَعَدَه باسْتِرْجاعِ مُلْكِه. وخَرَج آخِرَ هذه السَّنَةِ مُشَيِّعًا للخَلِيفَةِ ولِصَالِحِ بْنِ لُؤْلُؤٍ، ووَصَلَ بهما إلى /دِمَشْقَ، [424 ب] فبالَغَ هُنالِكَ في تَكْرِمَتِهِما، وبعَث معَهما أميرَيْنِ من أُمَرائِه مَدَدًا وعَهِدَ لهما، وأمرَهما أنْ يَنْتَهِيا معَهما إلى الفُراتِ ويُقِيما هُنالِكَ دَرْءًا[ب] لهما، ووَدَّعاه وانْصَرَفا. فلمَّا وَصَلا إلى الفُراتِ، بادَرَ الخَلِيفَةُ بالعُبُورِ، وقصَد الصَّالِحُ بْنُ لُؤْلُؤٍ

(أ) ساقطة من ص. (ب) في ح : ردءا.

الموصِلَ، واتَّصَلَ الخَبَرُ بالطَّطَرِ فجَرَّدُوا العساكِـرَ للقائِه، والتَقَى الجَمْعَانِ بعـانَة، وصَـدَمُوه هنالِكَ فصادَمَهم قليلًا؛ ثم تَكاثَرُوا عليه فلَمْ يَكُنْ له بهم طاقةٌ، وأبلَى في جِهادِهم طويلًا، ثم استُشْهِدَ رَحِمه اللهُ. وسارَتْ عساكِرُ الطَّطَرِ إلى المَوْصِلِ فحاصَرُوا الصَّالِحَ إسماعيلَ بها سَبْعَةَ أشْهرٍ، ومَلَكُوها عليه عَنْوةً، وقُتِلَ رَحِمه اللهُ[(1)].

وتَشَوَّفَ السُّلْطانُ بِمِصْرَ المَلِكُ الظَّاهِرُ بعدَه إلى آخَرَ مَن أهْلِ هذا البَيْتِ يُقِيمُ به رَسْمَ الخلافةِ الإسْلامِيَّةِ، وبَيْنَما هو يُسائِلُ الرُّكْبانَ عن ذلك إذْ وَصَلَ رَجُلٌ مِن [قَرابة هـذا الخليفة كان وَصَلَ معه إلى مصر وحضر واقعة مَهْلِكه ورَجَعَ في الفَلّ][(أ)] ينتسبُ إلى الرَّاشِدِ ابنِ المُسْتَرْشِدِ. قال صاحِبُ حماةَ في تاريخه: عندَ نَسَّابَةِ مِصْرَ أنه أحْمَدُ بْنُ حَسَنِ بْنِ أبي بَكْرِ ابْنِ الأميرِ أبي عليٍّ القبيّ ابنِ الأميرِ حَسَنِ ابْنِ الرَّاشِدِ. وعندَ[(ب)] العبَّاسِيِّينَ السُّلَيْمانِيِّينَ في دَرَجِ نَسَبِهم الثَّابِتِ أنَّه أحْمَدُ بْنُ أبي بَكْرِ عليِّ بْنِ أبي بَكْرِ بْنِ أحْمَدَ بْنِ الإمامِ المُسْتَرْشِدِ[(2)]. انْتَهى كلامُ صاحِبِ حماةَ.

ولم يَكُنْ في آبائِه مِن خليفةٍ فيما بينَه وبينَ الراشِدِ [من][(ج)] هؤلاءِ الآباءِ، [فأكرَمَ السُّلْطانُ نُزُلَه وأسْكنه بالكَبْش، ثم نقله إلى بُرجِ السِّباعِ][(د)] وأثْبَتَ[(هـ)] نَسَبَه على العادَةِ، وجَمَعَ النَّاسَ على مَراتِبِهم وبايَعَ له ونَصَبه للخلافةِ الإسْلامِيَّةِ ولَقَّبه الحاكِمَ،

(أ) في ظ: وصل رجل من بغداد، وقد شطب في ح اسم بغداد وأضيفت الفقرة المحصورة في الحاشية بخط ابن خلدون.
(ب) في مختصر أبي الفدا: وعند الشرفاء العباسيين.
(ج) من ح، وفي ظ: في.
(د) من حاشية ح بخط ابن خلدون.
(هـ) كانت في ح مثل ظ: فأثبت السلطان، فلما زاد الإضافة في ح أعاد العطف بالواو بخطه وحذف كلمة السلطان بعده لدلالة الضمائر على إيراده في الإضافة.

---

(1) يقارن مع المختصر في أخبار البشر 3: 212-213.

(2) المصدر نفسه 3: 213.

وفَوَّضَ هو إليه الأمورَ العامَّةَ والخاصَّةَ، وخَرَجَ إليه عن العُهْدَةِ وأقام حافِظًا لسِيَاجِ الدِّين بإقامةِ رَسْمِ الخلافةِ. وعُمِرَتْ بذِكْرِه المنابِرُ، وزُيِّنَتْ باسْمِه السِّكَّةُ، ولم يَزَلْ على هذا الحالِ أيامَ الظَّاهِرِ بيبَرْسَ، ووَلَدَيْه بعدَه؛ ثم أيامَ [المنصور][أ] قلاوُونَ وابْنِه الأشْرَفِ، وطائفةً من دَوْلَةِ ابنِه المَلِكِ النَّاصِرِ محمدِ بْنِ قَلاوُونَ، إلى أنْ هَلَكَ سَنَةَ إحْدَى وسَبْعِ مائةٍ[1].

ونُصِبَ ابنُه أبو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ[ب] للخِلافَةِ مكانَه، ولَقَبُه المُسْتَكْفي؛ وحُفِظَ به الرَّسْمُ. [وكان للمُسْتَنْصِرِ أحمد ولدٌ آخر اسمه محمَّد، ولقبُه المُسْتَمْسِك بالله عهد إليه في حياته وتوفِّي قبل وَفاتِه. ولمحمّد ولدٌ اسمُه إبراهيم، فبويعَ لسُلَيْمان بعد أن سجّل بأهليته على القاضي الحنفي يومئذٍ، المعروف بالسَّرُوجيّ][ج]. وحضَر مع السُّلْطانِ النَّاصِرِ[د] محمدِ بْنِ قَلاوُونَ للقاءِ الطَّطَرِ في النَّوْبَتَيْنِ اللَّتَيْنِ لَقِيَهم فيها واسْتَوْحَش منه بَعْضَ أيّامِه، فأنزَلَه بالقَلْعَةِ، وقَطَعَه عن لقاءِ النَّاسِ عامًا أو نحوَه. ثم أذِنَ له/ في [425أ] النُّزُولِ إلى بَيْتِه ولقاءِ النَّاسِ إذا شاء، وكان ذلك سنةَ سَبْعٍ وثلاثِين. ثم تَجَدَّدَتِ الوَحْشَةُ وغرَّبَه إلى قُوص سنةَ ثمانٍ وثلاثِينَ؛ ثم هَلَكَ الخَلِيفَةُ أبو الرَّبِيعِ سنةَ أرْبَعِينَ قُبَيْلَ مَهْلِكِ المَلِكِ النَّاصِرِ، رَحِمَهما اللهُ[2]، وقد كان عَهِدَ بالخلافةِ لابْنِه أحمدَ فبُويِعَ له، ولُقِّبَ الحاكِمَ. ثم بدا للسُّلْطانِ في إمْضاءِ عَهْدِ ابْنِه بذلك فعَزَلَه، واسْتَبْدَلَ منه بأخِيه إبراهيمَ، ولَقَّبَه الواثِقَ. وكان مَهْلِكُ النَّاصِرِ لأشْهُرٍ قَرِيبةٍ من ذلك، [فلما توفِّي

(أ) من ح، وفي ظ: الصالح. (ب) سقط من ح. (ج) إضافة من حاشية ح بخطّه.

(1) يقارن مع تذكرة التنبيه في أيّام المنصور وبنيه لابن حبيب 1: 141، 240.
(2) تذكرة النبيه لابن حبيب 2: 315.

النَّاصر وقام بالأمر مولاه قُوصُون أَحْضَر أحمدُ بن الخليفة سليمان وإبراهيم بن محمد المُسْتَمْسِك، وأحْضَرَ القُضاةَ ليتخيّروا فيهما، وتشاجر إبراهيم مع القاضي الحنفيّ الغوريّ حتّى خرجوا إلى الإساءَة، ثمّ أخبرهم القاضي عزّ الدين ابن جماعة أنّ الخليفة سليمان بعث إليه في حياته إشهادًا بأن العهد لابنه أحمد[أ]] فأعادوا أحْمَدَ الحاكِمَ وَليَّ عَهْدِ أبِيه سنةَ إحْدَى وأرْبَعِينَ، وأقامَ في الخلافةِ إلى سنةِ ثلاثٍ وخَمْسِينَ[1] وهَلَكَ، رَحِمَه اللهُ، فوَلِيَ مِن بعدِه أخُوه أبو بَكْرٍ ولُقِّب المُعْتَضِدَ، ولم يَزَلْ مقيمًا لرَسْمِ الخِلافةِ إلى أنْ هَلَكَ لعَشَرةِ أعوامٍ من خِلافَتِه سنةَ ثلاثٍ وسِتِّينَ، ونُصِب بعدَه – بعَهْدِه – ابْنُه محمدٌ، ولُقِّبَ المُتَوَكِّلَ، فأقام رَسْمَ الخلافة، وحَضَرَ مع السُّلْطانِ الأشْرَفِ شَعْبانَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ المَلِكِ النَّاصِرِ عامَ انْتَقَضَ عليه التُّرْكُ في طريقِه إلى الحجِّ. وفسَد أمْرُه، ورَجَعَ الفَلُّ إلى مِصْرَ وطَلَبَه أُمَراءُ التُّرْكِ في البَيْعَةِ له بالسَّلْطَنَةِ مع الخِلافَةِ فامْتَنَعَ من ذلك. ثم خَلَعَه أيبك من أُمراءِ التُّرْكِ المسْتَبِدِّينَ أيامَ سُلْطانِه بالقاهرةِ سنةَ تِسْعٍ وسِتِّينَ لِمُغاضَبَةٍ وَقَعَتْ بينهما ، ونَصَبَ للخلافةِ زكريا ابْنَ عمِّه إبراهيمَ الواثِقِ، فلم يَطُلْ ذلك، وعَزَل زكريا لأيّامٍ قليلةٍ، وأعاده إلى مَنْصِبه إلى أنْ كانت واقِعَةُ قُرْطِ التُّرْكُمانِيِّ من أُمراءِ العساكِرِ بمِصْرَ ومُداخَلَتُه للمفسِدِينَ في الثَّوْرَةِ بالسُّلْطانِ المَلِكِ الظاهِرِ أبي سعيدٍ بَرْقُوقٍ سنةَ خَمْسٍ وثَمانِينَ؛ فسعَى عندَ السُّلْطانِ بأنّه ممّن داخَلَه قُرْطٌ هذا، فاسْتَرَابَ به وحَبَسَه بالقَلْعَةِ سِتَّ سِنِينَ وأدال منه بعُمَرَ ابْنِ عمِّه الواثِقِ إبراهيمَ ونَصَبَه للخلافةِ ولَقَّبه[ب] فأقام ثلاثًا أو نحوَها ثم هَلَكَ،

(أ) إضافة بخط المؤلف من حاشية ح.

(ب) بياض في ظ، ص، ح مقدار ثلاث كلمات.

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي 2: 502، 503، 552.

رَحِمه اللهُ، آخِرَ عامِ ثمانيةٍ وثمانينَ، ونصَبَ السُّلْطانُ عِوَضَه أخاه زكريا الذي كان أيْنَكُ نصَبه كما قدَّمْنا ذِكْرَه. ثم حدثَتْ فِتْنةُ يَلْبُغَا النَّاصِرِيِّ صاحِبِ حَلَبَ سنةَ إحْدَى وتِسْعِينَ وسَبْعِ مائةٍ. وتعَلَّل على السُّلْطانِ بحَبْسِه الخَلِيفَةَ، وأطال النَّكِيرَ في ذلك، فأطْلَقَ السُّلْطانُ الخليفةَ محمدًا المتوكِّلَ من / [425ب] مَحْبَسِه بالقَلْعَةِ، وأعادَه إلى الخلافةِ على رَسْمِه الأوَّلِ، وبالَغَ في تَكْرِمَتِه، وجَرَتْ فيما بينَ ذلك خُطوبٌ وفِتَنٌ نَذكُرُ أخبارَها مُسْتَوْفاةً في دَوْلَةِ التُّرْكِ المقِيمِينَ لرَسْمِ هؤلاءِ الخلفاءِ بمِصْرَ. وإنما ذكَرْنا هنا من أخبارِهم ما يتعلَّقُ بالخلافةِ فقط، دونَ أخبارِ الدَّوْلةِ والسُّلْطانِ.

وهذا الخَلِيفَةُ المتوكِّلُ هو المنصوبُ الآنَ لرَسْمِ الخِلافَةِ، والمُعَيَّنُ لإقامةِ المَناصِبِ الدِّينِيَّةِ على مُقْتَضَى الشَّريعةِ، والمُتَبَرَّكُ بذِكْرِه على مَنابِرِ هذه الإيالَةِ تَعْظِيمًا لبَيْتِهم الطَّاهِرِ، وجَرْيًا على سَنَنِ التَّبَرُّكِ بسَلَفِهم، وكمالِ الإيمانِ في مَحَبَّتِهم، وتوفيةً لشُروطِ الأمامةِ ببَيْعَتِهم.

وما زال مُلوكُ الهِنْدِ وغيرُهم من مُلوكِ الإسْلامِ بالنَّواحِي يَطْلُبُونَ التَّقْلِيدَ منه، ومن سَلَفِه بمِصْرَ، ويُكاتِبون في ذلك مُلوكَ التُّرْكِ بها من بني قَلاوُونَ وغيرِه فيُجِيبُونَهم إلى ذلك، ويَبْعَثُونَ إليهم بالتَّقْلِيدِ والخِلَعِ والألْوِيَةِ بالشِّعارِ العبَّاسِيِّ على العادةِ القديمةِ ببغدادَ. واللهُ يحفظُ سِياجَ الإسْلامِ والأمَّةِ، ويَمُدُّ القائمِينَ بأمورِهم بموادِّ التَّأْيِيدِ والإعانةِ بمَنِّ اللهِ وفَضْلِه.

كَمَلَتْ[1] أخبارُ خُلَفاءِ العبَّاسيِّينَ المنصوبِينَ بمِصْرَ بعدَ خُلفائِهم الأكابِرِ ببغدادَ، وبكمالِها كَمُلَ الجزءُ السَّادِسُ من الكتابِ الظَّاهِرِيِّ في العِبَرِ بأخبارِ العَرَبِ والعَجَمِ والبَرْبَرِ، ويتلوه الجزءُ السَّابعُ أخبارُ الدُّوَلِ العَلَوِيَّةِ المُزَاحِمَةِ لدَوْلَةِ بني العَبَّاسِ.

والحمدُ للهِ حَقَّ حَمْدِه، وصلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمدٍ أشرَفِ خَلْقِه، وآلِه وصَحْبِه، وسلَّمَ تَسْليمًا كثيرًا.

(1) هذا آخر نُسخَة الظَّاهري ظ بخطّ ناسخ هذا الجزء. وبآخر نُسخَة ص الشباعية التقسيم: تَمَّ الجزء الثَّالِث من تاريخ ابن خلدون المسمَّى بالعِبَر ويليه في الجزء الرابع: أخبار الدَّوْلَة العَلَوِيَّة المزاحمة لدَوْلَة بني العبَّاس.

وتنتهي نُسْخَةُ ح بالمُشَجَّر لخلفاء العبَّاسيين بمصر بعد بغداد وليس لها خاتمة.

كَمُلَتْ[1] أخْبارُ خُلَفاءِ العبَّاسِيِّينَ المنْصُوبِينَ بمِصْرَ بعدَ خُلفائِهم الأكابِرِ ببغْدادَ، وبكمالِها كَمُلَ الجزءُ السَّادِسُ من الكتابِ الظَّاهِرِيِّ في العِبَرِ بأخْبارِ العَرَبِ والعَجَمِ والبَرْبَرِ، ويَتْلُوه الجزءُ السَّابِعُ أخْبارُ الدُّوَلِ العَلَوِيَّةِ المُزَاحِمَةِ لدَوْلَةِ بني العَبَّاسِ.

والحمدُ للهِ حَقَّ حَمْدِه، وصلَّى اللهُ على سَيِّدِنا محمدٍ أشْرَفِ خَلْقِه، وآلِه وصَحْبِه، وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيرًا.

(1) هذا آخر نُسخَة الظَّاهري ظ بخطّ ناسخ هذا الجزء. وبآخر نُسخَة ص السُّباعية التقسيم: تمَّ الجزء الثَّالِث من تاريخ ابن خَلْدون المسمَّى بالعِبَر ويليه في الجزء الرابع: أخبار الدَّوْلَة العَلَوِيَّة المزاحمة لدَوْلَة بني العبَّاس.
وتنتهي نُسخَةُ ح بالمُشَجَّر لخلفاء العبَّاسيين بمصر بعد بغداد وليس لها خاتمة.

[1426أ]

خلفاء العباسيين بمصر بعد بغداد

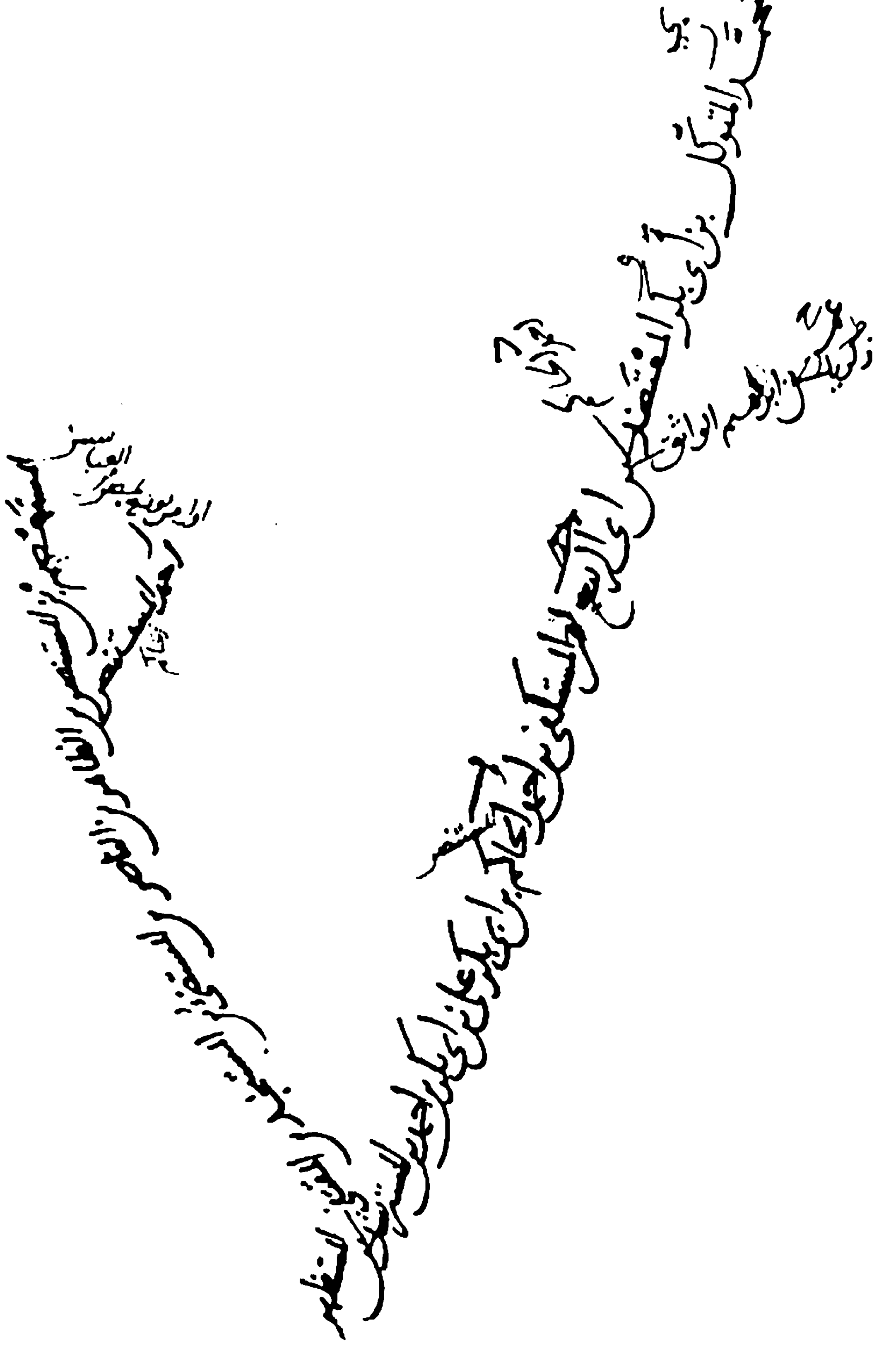

[خلفاء العباسيين بمصر بعد بغداد]

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي. تحقيق فواز أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي، 2003م.
- أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، نصوص تاريخية لأبي إسحاق الصابئ وأبي العبّاس الحسني وأبي طالب النّاطق والحاكم الجشمي وحميد المحلّي ويوسف بن محمد الحجوري، جمعها وحققها فيلفرد ماديلونغ، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية 1987م .
- أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، لمؤلف من القرن الثالث الهجري. تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، بيروت: دار الطليعة، 1971م.
- أخبار الراضي والمتّقي لله للصّولي، تحقيق هيورت د ن ، القاهرة 1934م .
- الأنساب، لأبي سعد السمعاني. تحقيق عبد الرحمن المعلمي، المجلدات الستة الأولى (حيدر أباد بالهند، 1962 – 1966م). وأكمله آخرون في اثني عشر مجلدًا، ونشرته دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد 1969 – 1973م.
- اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الخلفا، 1 – 3، تحقيق جمال الدّين الشيّال ومحمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1965 – 1973م .
- افتتاح الدعوة، للقاضي النّعمان بن حيّون، تحقيق وداد القاضي، بيروت: دار الثقافة 1970م .
- البيان المُغرِب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي. تحقيق كولان وبروفنسال، بيروت، نشر دار الثقافة، الطبعة الخامسة، 1998م.

- تاريخ (بغداد) مدينة السلام، للخطيب البغدادي. تحقيق بشّار عوّاد معروف، 17 مجلدًا (مع الفهارس)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1422هـ/2001م.
- تاريخ الخلفاء، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1965م .
- تاريخ الرسل (أو الأمم) والملوك، لأبي جعفر الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 11 مجلدًا (مع الذيول والفهارس)، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1971م.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لِمِسْكَوَيْه، 1 – 7 ، طهران 2003م .
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب، 1-3، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة 1980م .
- التعريف بالمصطلح الشريف، لابن فضل الله العمري، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية 1998م .
- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي. تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، 1982م.
- جمهرة النسب، لابن الكلبي. تحقيق ناجي حسن، بيروت: عالم الكتب 1978م.
- الحماسَة البَصرية، لعلي بن أبي الفرج الحسن البصري، 1-4، تحقيق عادل سليمان جمال، القاهرة: مكتبة الخانجي 2000م .
- الخلافة الفاطمية بالمغرب، لفرحان الدشراوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1994م .
- دور قبيلة كتامة في قيام الخلافة الفاطمية، لقيال محمد موسى، الجزائر 1979م .
- الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، لفيصل السّامر، 1-2، بغداد 1973م .

- الدّيباج المذهب في تراجم أعيان المذهب، لابن فَرحُون، 1-2، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة 1979م .
- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، 1-2، تحقيق أحمد محمد سليم، بيروت، دار الغرب الإسلامي 2003م .
- ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي، تحقيق آمدروز، بيروت 1908م .
- الروضة في أخبار الدولتين، لأبي شامة المقدسي، 1-2، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة 1956-1961م .
- زُبْدة الحلب في تاريخ حَلَب، لابن العديم، 1-3 ، تحقيق سامي الدهان، دمشق : المعهد الفرنسي للدراسات العربية 1951-1968م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، 1-2 ، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر 1934-1958م .
- سيرة أحمد بن طولون، للبلوي، تحقيق محمد كردعلي، دمشق: مطبعة الترقي 1358هـ .
- شعر علي بن جِبَلة المعروف بالعَكَوَّك، لأحمد نصيف الجنابي، النجف 1971م .
- الشِّعْرُ والشُّعَرَاء، لابن قتيبة، 1-2، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف 1966م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، 1 – 14، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1913م وما بعدها.
- صُورَة الأرض، لابن حَوْقَل، تحقيق كريمرز، ليدن 1938م .

- عُيُون الأخبار وفنون الآثار، لعماد الدين إدريس، الجزء الخامس، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1985م، الجزء السابع، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن: معهد الدراسات الإسماعيلية 2000م .
- العُيُون والحدائق، لمؤلِّف مجهول، ليدن 1908م .
- غاية الأماني بأخبار القُطْر اليماني، ليحيى بن الحسين، 1 – 2، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتَّاب 1968م .
- في نسب الخلفاء الفاطميين ، لحسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة: الجامعة الأمريكية 1958م .
- الكامل في التاريخ، لعز الدين ابن الأثير، 1 – 13. نشرة دار صادر ببيروت 1977 – 1980م عن نشرة Tornberg ليدن 1865م.
- (كتاب) الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، 24 مجلدًا، القاهرة، نشرة دار الكتب المصرية، 1927م وما بعدها.
- كتاب الحوادث المسمى وهمًا بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة المنسوب لابن القوطي، تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، بيروت – دار الغرب الإسلامي 1997م .
- كتاب الغنوة، لابن المعمار، تحقيق مصطفى جواد، بغداد 1958م .
- المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء، 1-4 ، القاهرة 1325هـ .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، 1 – 7، للمسعودي. نشرة بربيه دي مينار وبافيه دي كرتاي. تنقيح وتصحيح شارل بلّا. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، 1965 – 1970م.
- المعارف، لابن قُتيبة الدينَوَري. تحقيق ثروت عكاشة، ط 2، القاهرة: دار المعارف، 1969م.
- المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، 1 – 4. تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1963م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، 1 – 8. بيروت: دار صادر، 1955م.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيُّوب، لابن واصل الحموي، 1-5، تحقيق جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع، القاهرة 1953-1977م .
- مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني. شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1368هـ/1949م.
- المقفى الكبير، للمقريزي، 1-8 ، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- المُنتَقى من أخبار مصر، لابن مُيَسَّر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة – المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية 1981م .
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، للمقريزي، 1 – 5، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي 2001-2004م .

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للشريف الأدريسي، 1-8، روما – نابولي، المعهد الجامعي 1967-1982م .
- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري. جمع ميخائيل عوّاد، نشر بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1384هـ/1064م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، 1 – 32 ، تحقيق مجموعة من العلماء، القاهرة. دار الكتب المصرية 1922-1998م .
- الوافي بالوفيات، لخليل بن أيبك الصفدي، 1 – 30 ، تحقيق مجموعة من العلماء، (النشرات الإسلامية – 6)، بيروت 1949-2007م .
- الوَرَقَة، لابن الجرّاح، تحقيق عبد الوهاب عزّام، القاهرة – دار المعارف 1953م .
- الوزراء والكتّاب، للجهشياري. حقّقه ووضع فهارسه السقّا والأبياري وشلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1377هـ/1938م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان. تحقيق إحسان عباس، 1 – 8. بيروت: دار الثقافة، 1969 – 1972م.
- ولاة دمشق في العهد السلجوقي، لصلاح الدين المنجد، نصوص مستخرجة من تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر، دمشق 1949م .

المحتويات

الصفحة

تقديم — إبراهيم شبوح — أ

۞ الخَبَرُ عن الخُلَفَاءِ من بني العَبَّاسِ أيَّامَ الفِتْنة، وتغلُّب الأوْلياء وتَضايُق نِطَاقِ الدَّوْلَة باسْتِبْدَادِ الوُلاة في النَّواحي من لَدُن المُنتَصِر إلى أيَّامِ المُسْتَكْفي 3

- دَوْلَةُ المُنْتَصِر 7
- وَفَاةُ المُنْتَصِر، وبَيْعَةُ المُسْتَعِين 9
- فِتْنَةُ بَغْدَادَ وسَامَرَّاء 12
- مَقْتَلُ أُتامِش 13
- ظُهُورُ يَحْيَى بنِ عُمَرَ ومَقْتَلُه 14
- ابْتِدَاءُ الدَّوْلة العَلَوِيَّة بطَبَرِسْتَان 15
- مَقْتَلُ بَاغِر 18
- بَيْعَةُ المُعْتَزّ وحِصَارُ المُسْتَعِين ببغداد 19
- خَلْعُ المُسْتَعِين ومَقْتَلُه، والفِتَنُ خِلالَ ذلك 26
- أخْبَارُ مُسَاوِرِ الخَارِجيّ 30
- مَقْتَلُ وَصِيف ثم بُغَا 33

• ابتداءُ دَوْلَةِ الصَّـفَّار 34
• ابتِدَاءُ دَوْلةِ ابنِ طُولُونَ بِمِصْر 37
• اسْتِقْدَامُ سُـلَيْمانَ بنِ طَاهِرٍ لولايَةِ بَغْدَاد 38
• خَـبَرُ كَرَجِ أصْبَـهَانَ وأبي دُلَف 40
• خَلْعُ المُعْتَزِّ ومَوْتُه، وبَيْعَةُ المُهْتَدِي 41
• مَسِيرُ مُوسَى بنِ بُغَا إلى سَامَرَّاء، ومَقْتَلُ صَالِح بنِ وَصِيف 44
• الصَّوائِفُ مُنذُ وِلايَة المُنْتَصِر إلى آخِرِ أيَّام المُهْتَدِي 48
• الوِلايَــــات 49

۞ أخْبَارُ صَاحِب الزَّنْج وابْتِدَاءُ فِتْـنَـتِه 54

• خَلْعُ المُهْتَدِي وقَتْلُه، وبَـيْعَةُ المُعتَمِد 58
• ظُهُورُ العَـلَوِيَّة بِمِصْرَ والكُوفَة 62
• بَقِيَّةُ أخْـبَارِ الزَّنْج 63
• مَسِيرُ المُـوَلَّدِ لحَـرْبِهِم 65
• مَـقْـتَلُ مَـنْصُورٍ الخَـيَّاط 65
• مَسيرُ المُوفَّقِ لحَرْبِ الزَّنْج 66
• مَـقْـتَلُ البَحْرَانِيِّ قَائِدِ الزَّنْج 67
• مَسِيرُ ابنِ بُغَا لحَرْبِ الزَّنْج 68
• اسْتِيلاءُ الصَّفَّارِ على فَارِس 69
• اسْتِيلاءُ الحَسَنِ بنِ زَيْدٍ على جُرْجَان 70

- اسْتِيلاءُ الصَّفَّارِ على خُرَاسَان، وانْقِرَاضُ أمْرِ بني طَاهِرٍ منها ثُمّ اسْتِيلاؤه على طَبَرِسْتَان 70
- أنْسَابُ بني طَاهِرٍ أمَرَاءِ خُرَاسَانَ لعَهْدِ بني العبَّاس، وأخْبَارُهم 73
- فِتْنَةُ المَوْصِل 81
- حُرُوبُ ابنِ وَاصِلٍ بفَارِس 82
- مُبْتَدَأُ دَوْلَةِ بني سَامَانَ وَرَاءَ النَّهْر 84
- مَسِيرُ المُوفَّق إلى البَصْرَة لحَرْبِ الزَّنْج ووِلايَةِ العَهْد 86
- وَقْعَةُ الصَّفَّارِ والمُوفَّق 87
- سِيَاقَةُ أخْبَارِ الزَّنْج 89
- انْتقاضُ الخُجُسْتَانِيِّ بخُرَاسَانَ على الصَّفَّار، وقِيَامُهُ بدَعْوَةِ بني طَاهِر، ومَقْتَله 91
- اسْتِيلاءُ الصَّفَّارِ على الأهْوَاز 95
- اسْتِيلاءُ الزَّنْجِ على وَاسِط 96
- اسْتِيلاءُ ابنِ طُولُونَ على الشَّام 98
- ومن أخْبَارِ الزَّنْج 100
- مَوْتُ يَعْقُوبَ الصَّفَّار، ووِلايَةُ عَمْرٍو أخيه 101
- أخْبَارُ الزَّنْج مَعَ أغَرْتَمَش 101
- اسْتِرْجَاعُ ابنِ المُوفَّق ما غَلَبَ عليه الزَّنْج من أعْمَالِ دِجْلَة 103
- وُصُولُ المُوفَّقِ لحَرْبِ الزَّنْج، وفَتْحُ المَنِيعَةِ والمَنْصُورة 105

• اسْتِيلاءُ المُوَفَّقِ على الأَهْوَازِ وإجْلاءُ الزَّنْجِ عنها 107
• حِصَارُ مَدِينَةِ الخَبِيثِ المُخْتارةِ وفَتْحُها 108
• اسْتِيلاءُ المُوَفَّقِ على الجِهَةِ الغَرْبِيَّة 117
• اسْتِيلاءُ المُوَفَّقِ على الجِهَةِ الشَّرْقِيَّة 119
• مَقْتَلُ صَاحِبِ الزَّنْج 120
• وِلايَةُ ابنِ كُنْدَاجَ على المَوْصِل 122
• حَرْبُ الخَوَارِجِ بالمَوْصِل 124
• أَخْبَارُ رَافِعِ بنِ هَرْثَمَةَ مِن بَعْدِ الخُجُسْتَانيّ 125
• مُغاضَبَةُ المُعْتَمِد للمُوَفَّق، ومَسِيرُه إلى ابنِ طُولُونَ وما نَشَأَ من الفِتْنَةِ لأَجْلِ ذلك 126
• وَفاةُ ابنِ طُولُونَ ، ومَسِيرُ ابنِ كُنْدَاجَ إلى الشَّام 128
• وفاةُ صاحبِ طَبَرِسْتانَ وولايةُ أخيه 130
• فِتْنَةُ ابنِ كُنْدَاجَ وابنِ أبي السَّاجِ وابنِ طُولُونَ 131
• أَخْبَارُ عَمْرِو بنِ اللَّيْث 133
• مَسِيرُ المُوَفَّقِ إلى أَصْبَهَانَ والجَبَل 135
• قَبْضُ المُوَفَّقِ على ابنِه أبي العَبَّاس المُعْتَضِد ثم وَفاتُه ، وقِيامُ ابنِهِ أبي العَبَّاس بالأَمْرِ بَعْدَه 136
• ابْتِدَاءُ أَمْرِ القَرَامِطَة 137
• فِتْنَةُ طَرَسُوس 139
• فِتْنَةُ أَهْلِ المَوْصِل مع الخَوَارِج 140

- الصَّوائِفُ أيّامَ المُعْتَمِد 141
- الولاياتُ بالنَّواحي أيامَ المُعْتَمِد 145
- وَفاةُ المُعْتَمِد وبَيْعةُ المُعْتَضِد 165
- مَقْتَلُ رَافِع بنِ هَرْثَمة 166
- خَبَرُ الخَوارِج بالمَوْصِل 167
- إيقاعُ المُعْتَضِد ببَني شَيْبان، واسْتيلاؤه على مَارِدِين 168
- الوِلايَةُ على الجَبَلِ وأَصْبَهَان 169
- عَوْدُ حَمْدانَ إلى الطَّاعَة 169
- هَزيمَةُ هَارُونَ الشَّارِيِّ ومَهْلِكُهُ 170
- أخبارُ أبي دُلَفَ وبَنيه وإمارتِهم بأَصْبَهَانَ إلى انقِرَاضِ أمْرِهم 171
- خَبَرُ ابنِ الشَّيْخ بآمِدَ 177
- خَبَرُ ابنِ أبي السَّاج 178
- ابْتِدَاءُ أمْرِ القَرَامِطَة بالبَحْرَيْنِ وبالشَّام 178
- اسْتيلاءُ ابنِ سَامَانَ على خُرَاسَانَ من يَدِ عَمْرِو بنِ اللَّيْث، وأسْرُه ثُمَّ مَقْتَلُه 182
- اسْتيلاءُ ابنِ سَامَانَ على طَبَرِسْتَانَ من يَدِ العَلَوِيِّ ومَقْتَلُه 183
- ولايةُ عليِّ بنِ المُعْتَضِد على الجَزيرَة والثُّغُور 184
- خَبَرُ الأعْرَاب 185
- تَغَلُّبُ ابنِ اللَّيْث على فَارِس وإخْرَاجُ بَدْرٍ إيَّاه 186

- الوِلاياتُ في النَّـوَاحِي 186
- الصَّـــوائِفُ 188
- وَفَاةُ المُعْتَضِدِ وبَـيْعَةُ ابْنِهِ المُكْـتفِي 189
- مَقْـتَلُ بَدْرٍ مَوْلَى المُعْتَضِد 189
- اسْتِيلاءُ مُحَمَّدِ بنِ هَارُونَ على الرَّيِّ ، ثُمّ أسْـرُه ومَقْتَلُه 190
- اسْتِيلاءُ المُكْتَفِي على مِصْر، وانْقِرَاضُ دَوْلَةِ بني طُولُون 191
- ابْتِدَاءُ دَوْلَةِ بني حَمْدَان 193
- أخْـبَارُ ابْنِ اللَّيْثِ بفَارِسَ 195
- الصَّـــوائِفُ 195
- الوِلايـاتُ في النَّـوَاحِي 197
- وَفَاةُ المُكْـتَفِي وبَيْعَةُ المُقْـتَدِر 198
- خَلْعُ المُقْتَدِرِ بابْنِ المُعْتَزِّ وإعَادَتُه 199
- ابْتِدَاءُ دَوْلَةِ العُـبَـيْدِيِّـين من الشِّيعَةِ بإفْرِيقِيَّة 202
- خُرُوجُ عُبَـيْـدِ الله المَهْدِيِّ إلى المَغْرِب، واعْتِقَالُه بسِجِلْمَاسَة 208
- بَـيْعَةُ المَهْدِيِّ بسِجِلْمَاسَة 212
- أخْـبَارُ ابنِ اللَّيْثِ بفَارِس 213
- نَكْـبَةُ ابنِ الفُرَات ، ووِزَارَةُ الخَاقَانِيّ 215
- قِيَامُ أهْل صِقِلِّـيَّةَ بدَعْوَة المُقْتَدِر ، ثُمَّ رُجُوعُهُم إلى طَاعَةِ المَهْدِيِّ 216
- وِلايَةُ العَـــهْد 216

• ظُهورُ الأُطْرُوشِ ومُلكُهُ طَبَرِسْتَانَ 217
• غَلَبُ المَهْدِيِّ على الإِسْكَنْدَرِيَّة، ومَسِيرُ مُؤْنِسٍ إلى مِصْر 219
• انْتِقَاضُ الحُسَيْنِ على ابنِ حَمْدَانَ بدِيَارِ رَبِيعَةَ، وأسْرُه 220
• وِزَارَةُ ابنِ الفُرَاتِ الثَّانِيَةُ 221
• خَبَرُ ابنِ أبي السَّاج بأذْرَبِيجَان 221
• خَبَرُ سِجِسْتَانَ وكَرْمَان 224
• وَزَارَةُ حَامِدِ بنِ العَبَّاس 224
• وُصولُ أبي القَاسِمِ بنِ المَهْدِيِّ إلى مِصْر 226
• بَقِيَّةُ خَبَرِ ابنِ أبي السَّاج 227
• بَقِيَّةُ الخَبَرِ عن وُزَرَاءِ المُقْتَدِر 229
۞ أخْبَارُ القَرَامِطَة في البَصْرَةِ والكُوفَةِ ومعَ الحاجِّ وفي العِرَاقِ، ومَقْتَلُ ابنِ أبي السَّاجِ 237
• اسْتِيلاءُ القَرَامِطَةِ على مَكَّةَ، وقَلْعُهُم الحَجَرَ الأسْوَد 241
• مُلَخَّصُ الخَبَرِ عن بني أبي السَّاج 242
• خَلْعُ المُقْتَدِرِ وعَوْدُهُ 246
• أخْبَارُ قُوَّادِ الدَّيْلَم وتَغَلُّبِهِم على أعْمَالِ الخَلِيفَة 251
• ابْتِدَاءُ حَالِ أبي عبدِ الله البَرِيدِيِّ 255
• الصَّوَائِفُ أيَّامَ المُقْتَدِر 256
• الوِلَايَاتُ بالنَّوَاحِي أيَّامَ المُقْتَدِر 263
• اسْتِيحَاشُ مُؤْنِسٍ منَ المُقْتَدِرِ الثَّانية، ومَسِيرُهُ إلى المَوْصِل 270

- مَقْتَلُ المُقْتَدِرِ وبَيْعَةُ القَاهِر 271
- خَبَرُ ابنِ المُقْتَدِرِ وأَصْحَابِه 273
- مَقْتَلُ مُؤْنس وبُلَيْقِ وا بْنِه 274
- ابْتِدَاءُ دَوْلَةِ بني بُـوَيْه 279
- خَلْعُ القَاهِرِ وبَيْعَةُ الرَّاضِي 283
- مَقْتَلُ هَارُون 286
- نَكْبَةُ ابْنَيْ ياقوت 287
- خَبَرُ البَرِيدِيّ 288
- مَقْتَلُ يَاقُوت 289
- مَسِيرُ ابنِ مُقْلَةَ إلى المَوْصِل، واسْتِقْرَارُهَا لابنِ حَمْدَان 291
- نَكْبَةُ ابنِ مُقْلَةَ وخَبَرُ الوُزَرَاءِ بَعْدَهُ 292
- اسْتِيلاءُ ابنِ رَائِقٍ على الخَلِيفَة 293
- وُصُولُ بَجْكَم مَعَ ابنِ رَائِق 295
- مَسِيرُ الرَّاضِي وابنِ رَائِقٍ لحَرْبِ ابنِ البَرِيدِيّ 296
- اسْتِيلاءُ بَجْكَمَ على الأَهْوَاز 299
- اسْتِيلاء مُعِزِّ الدَّوْلَة على الأَهْوَاز 300
- وَزَارَةُ ابن مُقْلَة ونَكْبَته 302
- اسْتِيلاءُ بَجْكَمَ على بَغْداد 303
- دُخُولُ أَذْرَبِيجَانَ في طَاعَةِ وَشْمَكِير 304

• ظُهورُ ابْنِ رَائِق، ومَسِيرُهُ إلى الشَّام 305

• وِزَارَةُ ابنِ البَرِ يدِيّ 306

• مَسِيرُ رُكْنِ الدَّوْلَة إلى وَاسِطَ، ورُجوعُهُ عنها 306

• مَسِيرُ بَجْكَمَ إلى بَلَدِ الجِيل، وعَوْدُهُ إلى وَاسِطَ واستيلاؤهُ عليها 307

• استيلاءُ ابنِ رائِقٍ على الشَّام 308

• الصَّوائِفُ أيَّامَ الرَّاضِي 309

• الوِلاياتُ أيَّامَ الرَّاضِي والقَاهِرِ قَبْلَه 310

• وَفاةُ الرَّاضِي وبَيْعَةُ المُتَّقي 311

• مَقْتَلُ بَجْكَمَ 312

• إمَارَةُ البَرِيدِيّ ببَغْدَاد، وعَوْدُه إلى وَاسِط 313

• إمَارَةُ كُورْتَكِينَ الدَّ يْلَمِيّ 314

• عَوْدُ ابنِ رَائِقٍ إلى بَغْدَاد 315

• وِزَارَةُ ابنِ البَرِيدِيّ، ثُمّ اسْتِيلاؤُه على بَغْدَاد وفِرَارُ المُتَّقِي إلى المَوْصِل 316

• مَقْتَلُ ابنِ رَائِق، ووِلاَيَةُ ابنِ حَمْدَانَ مكانه 317

• عَوْدُ المُتَّقي إلى بَغْدَاد، وفِرَارُ ابنِ البَرِيدِيّ 318

• اسْتِيلاءُ الدَّيْلَمِ على أَذْرَبِيجانَ 319

• خَبَرُ سَيْفِ الدَّوْلة بوَاسِطَ 321

• إمَارَةُ تُوزُونَ، ثُمّ وَحْشَتُه معَ المُتَّقي 323

• مَسِيرُ المُتَّقي إلى المَوْصِلِ 324

• مَسِيرُ ابنِ بُوَيْه إلى وَاسِطَ، وعَوْدُهُ عنها، ثُمّ اسْتيلاؤُه عليها 325

• قَتْلُ ابنِ البَرِيديِّ أخاهُ ثُمّ وَفاتُه 326

• الصَّوائِفُ أيَّامَ المُتَّقي 328

• الوِلاياتُ أيَّامَ المُتَّقي 330

• خَلْعُ المُتَّقي ووِلايَةُ المُسْتَكْفي 331

• وَفاةُ تُوزُونَ وإمَارَةُ ابنِ شِيرَزاد 332

• اسْتِيلاءُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ بنُ بُوَيْه على بغْدادَ وانْدِراجُ أحْكامِ الخِلافَةِ في سُلْطانِهم 333

۞ الخَبَرُ عن الخُلَفاءِ من بَني العبَّاس المُغلَّبينَ لبَني بُوَيْه والسَّلْجُوقيَّةِ مِن بَعْدِهم، من لَدُنِ المُسْتَكْفي إلى المُقْتَفي، وما كان لهم من الأحْوالِ الخاصَّةِ بهم ببَغْدادَ ونَواحِيها 336

• خَلْعُ المُسْتَكْفي وبَيْعَةُ المُطِيعِ

• انْقِلابُ أحْوالِ الدَّوْلَةِ بِما تَجَدَّدَ في الجِبايَةِ والإقْطاعِ 337

• مَسِيرُ ابنِ حَمْدانَ إلى بغْدادَ 339

• اسْتِيلاءُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ على البَصْرةِ 340

• ابْتِداءُ أمْرِ بَني شاهِينٍ بالبَطِيحَةِ 342

• حِصارُ البَصْرَةِ 343

• مَوْتُ الصَّيْمَرِيِّ وَوِزارَةُ المُهَلَّبيِّ 344

345

- اسْتيلاءُ مُعِزّ الدَّوْلَةِ على المَوْصِلِ وعَوْدَهُ 346
- بِناءُ مُعِزّ الدَّوْلَة ببَغْدَاد 347
- ظُهورُ الكِتابةِ على المساجدِ 347
- وَفاةُ الوَزيرِ المُـهَلَّبيّ 348
- اسْتيلاءُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ على عُمانَ وحصارُه البطائحَ 349
- وفاةُ مُعِزّ الدَّوْلَةِ ووِلايةِ ابنِه بَخْتيار 350
- عَزْلُ أبي الفَضْلِ، ووِزارَةُ ابنِ بَقِيَّةَ 351
- مَسِيرُ بَخْتيارَ إلى المَوْصِلِ 352
- الفِتْنَةُ بينَ بَخْتيارَ وسُبُكْتُكِينَ والأتراكِ 353
- خَلْعُ المُطيعِ ووِلايةُ ابنِهِ الطَّائِعِ 354
- الصَّـوائِف 354
- فِتْنَةُ سُبُكْتُكِينَ وَمَوْتُه، وإمَارَةُ أفْتَكِينَ 355
- نَكْبَةُ بَخْتيارَ على يَدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ، ثُم عَوْدُهُ إلى مُلْكِه 356
- خبَرُ أفْـتَكِينَ 359
- مُلْكُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بغْدادَ وقَتْلُ بَخْتيارَ 360
- اسْتيلاءُ عَضُدِ الدَّوْلَةِ على مُلْكِ بني حَمْدانَ 362
- وَفاةُ عَضُدِ الدولةِ، ووِلايةُ ابنِه صَمْصامِ الدَّوْلَةِ 363
- نَكْبةُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ، ووِلايةُ أخيه شَرَفِ الدَّوْلَة 364
- ابْتِداءُ دولةِ باد وبني مَرْوانَ بالمَوْصِلِ 366

- وَفاةُ شَرَفِ الدَّوْلَةِ ومُلْكُ بهاءِ الدَّوْلَةِ 368
- خُرُوجُ القادرِ إلى البَطِيحَة 370
- فِتْنةُ صَمْصام الدَّوْلَةِ 371
- خَلْعُ الطَّائع وبَيْعَةُ القادِرِ 372
- مُـلْكُ صَمْـصامِ الدَّوْلَةِ الأهْـوازَ وعَوْدُهـا لبهـاءِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ اسْتِيلاؤه ثانيًا عليها 373
- مُلْكُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ البَصْرةَ 375
- مَقْتَلُ صَمْصامِ الدَّوْلَةِ 377
- اسْتِيلاءُ بَهاءِ الدَّوْلَةِ على فارِسَ 377
- الخَبَرُ عن وُزَراءِ بَهاءِ الدَّوْلَةِ 379
- وِلايَـةُ العِـراقِ 380
- انْقِراضُ دُوَلٍ وابْتِداءُ أُخرى في النَّواحِي 381
- ظُهورُ بني مَزْيَد 382
- فِتْنَةُ بَني مَـزْيَدٍ وبني دُبَيْسٍ 384
- ظُهورُ دَعْوةِ العَلَوِيَّةِ بالكُوفةِ والمَوْصِلِ 384
- وَفاةُ عَمِيدِ الجُيُوش، ووِلايَةُ فَخْرِ المُلْك 385
- وَفاةُ بَهاءِ الدَّوْلَة، ووِلايَةُ سُلْطانِ الدَّوْلَة 386
- مَقْتَلُ فَخْرِ المُلْك، ووِلايَةُ ابنِ سَهْلان 387
- الفِتْنَةُ بينَ سُلْطانِ الدَّوْلَةِ وأخِيه أبي الفَوارِس 388
- خُروجُ التُّرْكِ منَ الصِّينِ 389

- مُلْكُ مُشرِفِ الدَّوْلَةِ وغَلَبُه على سُلْطانِ الدَّوْلَةِ 389
- الخَبَرُ عن وَحْشَةِ الأَتْراك وفِتْنَة الكُوفةِ 391
- وَفاةُ مُشْرِف الدَّوْلَةِ، ووِلايةُ أخِيه جلالِ الدَّوْلَةِ 392
- قُدُومُ جَلالِ الدَّوْلَةِ إلى بغْدادَ 393
- مَسِيرُ جَلالِ الدَّوْلَةِ إلى الأَهْوازِ 394
- اسْتِيلاءُ جَلالِ الدَّوْلَةِ عَلَى البَصْرَةِ ثانيًا وانْتِزاعُها منه 397
- وَفاةُ القادِرِ ونَصْبُ القائِم 398
- وُثُوبُ الجُنْدِ بجَلالِ الدَّوْلَةِ وخُروجُه مِن بغْدادَ 399
- الصُّلْحُ بينَ جَلالِ الدَّوْلة وأبي كالِيجارَ 402
- اسْتِيلاءُ أبي كالِيجارَ على البَصْرةِ 403
- شَغَبُ الأَتْراكِ على جَلالِ الدَّوْلة 404

۞ ابْتِداءُ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ 405

- فِتْنَةُ قِرْواشٍ مع جَلالِ الدَّوْلَةِ 410
- الوَحْشَةُ بينَ جَلالِ الدَّوْلَةِ والقائِمِ 410
- وَفاةُ جلالِ الدَّوْلَةِ، ومُلْكُ أبي كالِيجارَ 411
- وَفاةُ أبي كالِيجارَ، ومُلْكُ ابنِه المَلِكِ الرَّحِيم 413
- مَسِيرُ المَلِكِ الرَّحِيم إلى فارِسَ 414
- مُهادَنَةُ طُغْرُلْبك للقائِمِ 416
- اسْتِيلاءُ المَلِكِ الرَّحِيمِ على البَصْرةِ من يَدِ أخِيه 417

• فِتْنَةُ ابْنِ أبي الشَّـوْكِ ثم طاعَتُه 418
• فِتْنَةُ الأَتْراكِ 419
• اسْتِيلاءُ طُغْرُلْبَك على أذْرَبِيْجَانَ وعلى أرْمِينِيَّةَ والمَوْصِلِ 420
• وَحْشَةُ البَسَاسِيريِّ 421
• وُصُول الغُزِّ إلى الدَّسْكَرَةِ ونَواحِي بغْدادَ 421
• اسْتِيلاءُ المَلِكِ الرَّحِيم على شِيرَازَ 422
• وُثُوبُ الأَتْراكِ ببغْدادَ بالبَسَاسِيريِّ 423
• اسْتِيلاءُ السُّلْطانِ طُغْرُلْبَك على بغْدادَ والخَلِيفَةِ، والخُطْبَةُ له 423
• القَبْضُ على المَلِكِ الرَّحِيم، وانْقِراضُ دَوْلَةِ بني بُوَيْه 425
• انْتِقاضُ أبي الغنائِمِ بواسِطَ 427
• الوَقْعَةُ بين البَسَاسِيرِيِّ وقَطَلْمَش 428
• مَسِيرُ طُغْرُلْبَك إلى المَوْصِلِ 429
• فِتْنَةُ يَنالَ مع أخِيه طُغْرُلْبَك ومَقْتَلُه 432
• دُخولُ البَسَاسِيرِيِّ بغْدادَ وخَلْعُ القائِمِ ثم عَوْدُه 434
• مَرْجِعُ السُّلْطانِ طُغْرُلْبَك إلى بَغْدَادَ، ومَقْتَلُ البَسَاسِيرِيِّ 438
• مَسِيرُ السُّلْطانِ إلى واسِطَ وطَاعَةُ دُبَيْسٍ 439
• وُزَرَاءُ القَــائِمِ 440
• عَقْدُ طُغْرُلْبَك على ابْنةِ الخَلِيفَةِ 441
• وَفاةُ السُّلْطانِ طُغْرُلْبَك ومُلْكُ أَلْب أرْسلانَ ابنِ أخِيهِ داوُدَ 443

- فِتنةُ قَطَلْمَش والجِهادُ بَعْدَها 446
- العَهْدُ بالسَّلْطَنَةِ لِمَلِكْشاه 447
- وُزَراءُ الخَليفَةِ 448
- الخُطْبَةُ بمكَّةَ 448
- طَاعَةُ دُبَيْس ومُسْلمِ بنِ قُرَيْشٍ 449
- الخُطْبَةُ العَبَّاسيةُ بحَلَب، واسْتِيلاءُ السُّلْطانِ عَلَيْها 449
- واقِعةُ السُّلْطانِ معَ مَلِك الرُّومِ وأَسْرُه 450
- شِحْنَةُ بَغْدَادَ 452
- مَقْتَلُ السُّلْطانِ أَلْب أَرْسلان ومُلْكُ ابنِه مَلِكْشاه 453
- وَفاةُ القَائمِ، ونَصْبُ المُقْتَدِي للخِلافَةِ 454
- عَزْلُ الوزيرِ ابنُ جُهَيْرٍ ووِزَارَةُ أَبي شُجَاعٍ 456
- اسْتِيلاءُ تُتُش بنِ أَلْب أَرْسَلانَ على دِمَشْق، وابتِدَاءُ دَوْلَتِه ودَوْلَةِ بَنِيه فيها 457
- سِفارةُ الشَّيْخ أبي إسْحاق الشِّيرازيِّ عنِ الخَليفَة 459
- عَزْلُ ابنِ جُهَيْرٍ عن الوِزَارَةِ وإمارَتُه على دِيارِ بَكْرٍ 460
- خَبَرُ الوزارةِ 462
- اسْتيلاءُ السُّلْطانِ على حَلَبَ 463
- فِتَنُ بَغْدَادَ 466
- مَقْتَلُ نِظام المُلْكِ وأَخْبارُهُ 467
- وَفَاةُ السُّلْطانِ مَلِكْشاه ومُلْكُ ابْنِه محمود 468

- ثَوْرَةُ بَرْكِيارُق بنِ مَلِكْشاه 469
- مَقْتَلُ تاجِ المُلْك 470
- الخُطْبَةُ لبَرْكِيارُق ببَغْدادَ 471
- وَفاةُ المُقْتَدِي، ونَصْبُ المُسْتَظْهِرِ للخِلافَةِ 472
- أخبارُ تُتُش وانتقاضُه وحُروبُه ومَقْتلُه 473
- ظُهورُ السُّلْطانِ محمَّدِ بنِ مَلِكْشاه والخُطْبَةُ له ببغدادَ 475
- إعادةُ الخُطْبة لبَرْكِيارُق 477
- المَصافُّ الأوَّل بينَ بَرْكِيارُق ومحمدٍ، وقَتْلُ كُوهْرائِينَ والخُطْبَةُ لمحمد 478
- مصافُّ بَرْكِيارُق مع أخيه سَنْجَرَ 479
- عَزْلُ الوزيرِ عَميدِ الدَّوْلَة بنِ جُهَيْرٍ ووَفاتُه 480
- المَصافُّ الثَّاني بينَ بَرْكِيارُق وأخيهِ محمدٍ ومَقْتلُ مؤيدِ المُلْكِ والخُطْبةُ لبَرْكِيارُق 481
- اسْتِيلاءُ محمدٍ على بغدادَ 484
- المَصافُّ الثَّالِثُ والرَّابعُ، وما تَخَلَّل بينَهما من الصُّلح ولم يتِمَّ 485
- الشِّحْنَةُ ببغْدادَ والخُطْبةُ لبَرْكِيارُق 487
- اسْتيلاءُ يَنالَ على الرَّيِّ بدَعْوةِ السُّلْطانِ محمدٍ ومَسيرُه إلى العراقِ 489
- المَصافُّ الخامِسُ بينَ السُّلْطانَيْن 491
- وُزَراءُ الخَليفَةِ المُسْتَظْهِر 492

- الصُّلحُ بينَ السُّلطانَيْن بَرْكِيارُق ومحمد 494
- وفاةُ السُّلطانِ بَرْكِيارُق، ومُلْكُ ابْنِه مَلِكْشاه 496
- وُصُولُ السُّلطانِ محمدٍ إلى بغدادَ واسْتِبداده بالسَّلْطَنَةِ والخُطْبةِ، ومَقْتَلُ إياز 497
- الشِّحْنَةُ بِبغْدادَ 501
- وَفاةُ السُّلْطانِ محمد، ومُلْكُ ابْنِه محمود 502
- وَفاةُ المُسْتَظْهِرِ وخِلافةُ المُسْتَرْشِد 503
- انْتِقاضُ المَلِكِ مَسْعودٍ عَلَى أخِيه السُّلْطانِ محمود ثُم مُصالَحَته واسْتِقْرارُ مَنْكُبَرْس شِحْنَةً ببغْداد 505
- انْتِقاضُ المَلِكِ طُغْرِل على أخِيه السُّلْطانِ محمود 508
- الفِتْنَةُ بينَ السُّلْطانِ محمودٍ وعمِّه سِنْجَر صاحِبِ خُرَاسَانَ والخُطْبةُ ببَغْدَادَ لسِنْجَر 509
- انْتِقاضُ المَلِكِ مسْعودٍ على أخِيه السُّلْطانِ مَحْمودٍ والفِتْنةُ بينَهما 513
- إقْطاعُ المَوْصِلِ للبُرْسُقيِّ ومَيَّافارِقِينَ لإيلْغَازِي 516
- طَاعةُ الملكِ طُغْرِل لأخِيه السُّلْطانِ محمود 517
- أخبارُ دُبَيْس مع المُسْتَرْشِدِ 518
- نَكْبةُ الوَزيرِ ابْنِ صَدَقَة، ووِلايةُ ابن نِظامِ المُلْكِ 519
- واقِعةُ المُسْتَرْشِدِ مَعَ دُبَيْس 520
- وِلايةُ بَرَنْقَش شِحْنَة بغْدادَ 522

- وُصولُ المَلِكِ طُغْرُل ودُبَيْس إلى العراق 523
- الفِتْنَةُ بينَ المُسْتَرْشِدِ والسُّلْطانِ محمود 525
- أخبارُ دُبَيْسٍ معَ السُّلْطانِ سِنْجِرَ ثمَّ بالعراقِ 527
- وفـاةُ الـسُّلْطانِ محمـودٍ ومُـلْكُ ابْنِـه داودَ ثم منازَعَتـه عُمومَتَـه واسْتِقلالُ مَسْعود 528
- واقِعَةُ مَسْعُودٍ مع سِنْجِرَ وهَزِيمتُه، وسَلْطَنةُ طُغْرُل 530
- واقِعَةُ طُغْرُل وداودَ، واسْتِيلاءُ مَسْعودٍ على السَّلْطَنَةِ 532
- مَسِيرُ المُسْتَرْشِدِ لِحصارِ المَوْصِلِ 533
- مَصَافُّ طُغْرِل ومَسْعودٍ، وانْهِزامُ مَسْعود 534
- وفاةُ طُغْرُل واسْتِيلاءُ السُّلْطان مَسْعودٍ 535
- فِتْنةُ السُّلْطانِ مَسْعودٍ معَ المُسْتَرْشِد 536
- مَقْتَلُ المُسْتَرْشِدِ وخِلافَةُ ابْنِه الرَّاشِد 538
- الفِتْنةُ بينَ الرَّاشِدِ والسُّلْطانِ مَسْعودٍ، ولَحاقُه بالمَوْصِلِ وخَلْعُه 539
- خلافةُ المُقْتَفِي 541
- فِتْنـةُ الـسُّلْطانِ مَـسْعودٍ معَ داودَ، واجْـتِماعُ داودَ بالراشِـدِ للحَرْبِ، ومَقْتَلُ الرَّاشِدِ 542
- وزَارَةُ الخليفةِ 546
- الشِّحْنَةُ 546
- انْتِقاضُ الأَعْياص واسْتِبْدادُ الأُمراءِ على السُّلْطانِ مَسْعودٍ وقَتْلُه إيَّاهم 547

- انـتقاضُ الأمراءِ ثانيةً على السُّلطانِ 549
- وِزارةُ المُقْتَفي 551
- وَفاةُ السُّلْطانِ مَسْعود، ومُلْكُ مَلِكْشاه ابْنِ أخِيه مَحْمودٍ ثم أخِيه محمد 551
- حُروبُ المُقْتَفي مَعَ أهْلِ الخِلافِ وحِصارُه للبلادِ 553
- اسْتِيلاءُ شُمْلَةَ على خُوزِسْتانَ 555
- إشارةٌ إلى بعْضِ أخبارِ السُّلْطانِ سَنْجَرَ بخُراسانَ ومَبْدإِ دَوْلةِ بَني خُوارِزْم شاه 555
- الخُطْبَةُ ببغْدادَ لسلَيْمانَ شاه ابْنِ السُّلْطانِ محمدٍ وحَرْبُه مَعَ السُّلْطانِ محمدِ بنِ محمودٍ، وحَبْسُه بالموصِلِ 557
- حِصارُ السُّلْطانِ محمدٍ بغْدادَ 559
- حُروبُ المقْتَفي مع أهْلِ النَّواحِي 561
- وَفاةُ السُّلْطانِ محمدِ بنِ محمودٍ، ومُلْكُ عَمِّه سُلَيْمان شاه ثم أرْسَلانَ بنِ طُغْرُلَ 562
- وَفاةُ المُقْتَفي وخِلافَةُ المسْتَنْجِد، وهو أوّلُ الخُلَفاءِ المسْتَبِدِّين على أمْرِهِم مِن بَنِي العَبَّاسِ عندَ تَراجُعِ الدَّوْلَةِ وضِيقِ نِطاقِها ما بينَ الموصِلِ وواسِطَ والبَصْرَةِ وحُلْوانَ 567
- فِتْنَةُ خَفاجَةَ 569
- إجْلاءُ بني أسَدٍ من العراقِ 569
- الفِتْنةُ بواسِطَ وما جرَّتْ إليه 570

- مَسِيرُ شَمْلَةَ إلى العراقِ 571
- وَفاةُ الوزيرِ 571
- وَفاةُ المُسْتَنْجِدِ وخِلافَةُ المُسْتَضِيء 572
- انْقِراضُ الدَّوْلَةِ العَلَوِيَّةِ بمِصْرَ، وعَوْدُ الدَّعْوةِ العَبَّاسِيَّةِ إليها 574
- خَبَرُ يَزْدَنَ من أُمراءِ المُسْتَضِيءِ 577
- مَقْتَلُ سَنْكَا ابْنِ أخِي شَمْلَةَ 577
- فِتْنَةُ قايْماز وهَرَبُه 578
- فِتْنَةُ صاحِبِ خُوزِسْتانَ 579
- مَقْتَلُ الوزيرِ 580
- وَفاةُ المُسْتَضِيءِ، وخِلافَةُ النَّاصِرِ 580
- هَدْمُ دارِ السَّلْطَنَةِ بِبَغْدادَ وانْقِراضُ مُلوكِ السَّلْجُوقِيَّةِ 582
- اسْتِيلاءُ النَّاصِرِ على النَّواحِي 583
- نَهْبُ العربِ البَصْرَةَ 584
- اسْتِيلاءُ النَّاصِرِ عَلَى خُوزِسْتانَ ثم أصْبهانَ والرَّيِّ وهَمَذانَ 584
- عَزْلُ الوزيرِ نَصِيرِ الدِّين 588
- انْتِقاضُ سِنْجِرَ بخُوزِسْتانَ 589
- اسْتِيلاءُ مَنْكَلِي على بَلَدِ الجَبَلِ وأصْبهانَ، وهَرَبُ أيْدَغْمُش ثم مَقْتَلُه، ومَقْتَلُ مَنْكَلِي وولايَةُ أغْلَمُش 590
- ولايَةُ حافِدِ النَّاصِرِ على خُوزِسْتانَ 592
- اسْتِيلاءُ خُوارِزْم شاه على بلادِ الجَبَلِ وطَلَبُه الخُطْبَةَ بِبَغْدادَ 592

• إجْلاءُ بني مَعْرُوفٍ عن البَطَائِح 593
• ظُهورُ الطَّطَرِ 594
• وَفاةُ النَّاصِرِ، وخِلافَةُ ابْنِه الظَّاهِرِ 595
• وَفاةُ الظَّاهِرِ ووِلايَةُ ابْنِه المُسْتَنْصِر 596
• وَفاةُ المُسْتَنْصِرِ، وخِلافَةُ المُسْتَعْصِم آخِرِ بَنِي العبَّاسِ ببغْدَادَ 598
• الخَبَرُ عنِ الخُلفاءِ العبَّاسِيِّينَ المَنْصُوبِين بِمِصْرَ من بعدِ انْقِراضِ الخِلافَةِ ببغْدادَ ومَبادِئِ أمُورِهم وتَصارِيفِ أحْوالِهم 603

2010 - 10 - 2000 - 1

Kitāb al-ʿIbar wa Dīwān al-Mubtada' wa-l-Khabar

fī Ayyām al-ʿArab wa-l-ʿAjam wa-l-Barbar wa man ʿĀṣarahum min Dhawī al-Sulṭān al-Akbar

By

Walī al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān b. Muḥammad
IBN KHALDŪN

BOOK TWO : VOL. 6

Collated with the autograph manuscripts by

Ayman Fu'ād Sayyid

Tunis 2010

Kitāb al-ʿIbar wa Dīwān al-Mubtada' wa-l-Khabar

fī Ayyām al-ʿArab wa-l-ʿAjam wa-l-Barbar wa man ʿĀṣarahum min Dhawī al-Sulṭān al-Akbar

By

Walī al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān b. Muḥammad
IBN KHALDŪN

BOOK TWO : VOL. 6

Collated with the autograph manuscripts by

Ayman Fu'ād Sayyid

Tunis 2010